

الجزء الأول

من مجموعة الرسائل

تأليف

شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم

ابن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي المتوفى

سنة ٧٢٨ رحمه الله تعالى

(الأولى)

رسالة الفرقان بين الحق والباطل

(وهو مما صححه أحد علماء دمشق المحروسة)

الطبعة الأولى

سنة ١٣٢٣ هـ

(بمطبعة العالم بدا سرة بمصر)

(على نفقة شركة طبع الكتب العلمية بمصر)

ماته) وسمى الكلام المقرر [illegible] سمه و [illegible] وهو [illegible] ركمى [illegible]

ورأيت الدرآن فاسعد نالله من الشيطان الرجيم اكان الكلام هو اسم مصدر

كلم تكليما و كلم تكلمة ويراد به الكلام [illegible] وذلك لان الانسان اذا

تكلم كان كلامه فعل منه وحركة هى مسمى المصدر وحصل عن الحركة

صوت يقطع حروفا هو نفس الكلم فالكلام و لسون وحو دلك ىداول

هذا وهذا ولهذا كان الكلام [illegible] يعمل نوعا من العمل اذ أريد به

المصدر وتارة تحمل قسيما له اذا أريد به الكلم وهو يتناول هذا وهذا

وهذا مبسوط في غير هذا الموضع

والمقصود هنا ان [illegible] مصدر كان [illegible]

[illegible]

[illegible] المصدر و [illegible] هو [illegible]

[illegible] فهو [illegible] فان [illegible]

[illegible]

[illegible] والعمل وهو

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

مجموع مكتوب [illegible]

يفرق بين الحق والباطل كما تقدم كما سمي هدى باعتبار أنه يهدي الى الحق وشفاء باعتبار أنه يشفي القلوب من مرض الشبهات والشهوات ونحو ذلك من أسمائه وكذلك أسماء الرسول كالمقفى والماحي والحاشر وكذلك أسماء الله الحسنى كالرحمن والرحيم والملك والحكيم ونحو ذلك والعدد يكون باعتبار الأسماء والصفات وان كان المسمى واحداً كقوله سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى * وقوله هو الأول والآخر والظاهر والباطن ونحو ذلك * وهنا ذكر أنه نزل الكتاب فانه نزله مفرقا وانه انزل التوراة والانجيل وذكر انه انزل الفرقان وقد أنزل سبحانه وتعالى الايمان في القلوب وانزل الميزان والايمان والميزان مما يحصل به الفرقان أيضاً كما يحصل بالقرآن واذا انزل القرآن حصل به الايمان والفرقان ونظير هذا قوله (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا) قيل الفرقان هو التوراة وقيل هو الحكم بنصره على فرعون كما في قوله (ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان)

وكذلك قوله (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) قيل النور هو محمد عليه الصلاة والسلام وقيل هو الاسلام وقوله (قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نوراً مبيناً) قيل البرهان هو محمد وقيل هو الحجة والدليل وقيل القرآن والحجة والدليل تناول الآيات التي بعث بها محمد صلى الله عليه وسلم لكنه هنا جاء بلفظ آتينا وجاءكم وهنا قال وأنزل الفرقان جاء بلفظ الانزال فانه ذاع بينهم ان القرآن والفرقان يحصل بالعلم والبيان

كما حصل بالقرآن وتحصل بالنظر والتمييز بين أهل الحق والباطل بأن
يجي هؤلاء وينصرهم ويعذب هؤلاء فيكون قد فرق بين الطائفتين
كما يفرق الفرق بين أولياء الله وأعدائه بالاحسان الي هؤلاء وعقوبة
هؤلاء وهذا كقوله في القرآن في قوله (إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على
عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير) قال الوالبي
عن ابن عباس يوم الفرقان يوم بدر فرق الله فيه بين الحق والباطل
قال ابن أبي حاتم وروى عن مجاهد ومقسم وعبيد الله بن عبد الله
والضحاك وقتادة ومقاتل بن حيان نحو ذلك وكذلك فسر أكثرهم إن
تتقوا الله يجعل لكم فرقانا كما في قوله (ومن يتق الله يجعل له مخرجا*
أي من كل مضيق ثم قال الوالبي عن ابن عباس في قوله إن
تتقوا الله يجعل لكم فرقانا أي مخرجا قال ابن أبي حاتم وروى عن
مجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة والسدي ومقاتل بن حيان كذلك
وفي لفظ عن مجاهد مخرجا في الدنيا والآخرة وروى عن الضحاك عن
ابن عباس فرقانا نصرا قال وفي رواية عن ابن عباس والسدي نجاة وعن
عروة بن الزبير يجعل لكم فرقانا أي فصلا بين الحق والباطل يظهر
الله به حقكم ويطفي به باطل من خالفكم وذكر البغوي عن مقاتل
ابن حيان قال مخرجا في الدنيا من أسباب الكرب قد يكون هذا تفسيرا
مراد مقاتل بن حيان كما ذكر أبو الفرج بن الجوزي عن ابن عباس
ومجاهد وعكرمة والضحاك وابن قتيبة انهم قالوا هو المخرج ثم قال
والمعنى يجعل لكم مخرجا في الدنيا من الضلال وليس مرادهم وانما

مرادهم المخرج المذكور فى قوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا والفرقان المذكور فى قوله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان وقدذكر عن ابن زيد أنه قال هدى في قلوبهم يعرفون به الحق من الباطل ونوعا الفرقان فرقان الهدى والبيان وهوالنصر والنجاةهو نوعا الظهور فى قوله تعالي هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله يظهره بالبيان والحجة والبرهان وبظهر باليد والعز والسنان وكذلك السلطان في قوله واجعل لى من لدنك سلطانا نصيراً فهذا النوع وهو الحجة والعلم كما فى قوله أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وقوله الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم ان فى صدورهم الا كبر وقوله ان هى الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان وقد فسر السلطان بسلطان القدرة واليد وفسر بالحجة والبيان ومن الفرقان ما نعته الله به فى قوله ورحمتي وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والاغلال التى كانت عليهم ففرق بين المعروف والمنكر امر بهذا ونهى عن هذا وبين الطيب والخبيث أحل هذا وحرم هذا .

ومن الفرقان أنه فرق بين اهل الحق المهتدين المؤمنين المصلحين أهل الحسنات وبين أهل الباطل الكفار والضالين المفسدين أهل

الـــ آ ت قال تعالى أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون وقال تعالى أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار وقال تعالى أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون وقال تعالى مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون وقال تعالى أمّن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولو الالباب وقال تعالي وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور إن أنت الا نذير انا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وقال تعالي أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها وقال تعالى أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون فهو سبحانه بين الفرق بين أشخاص أهل الطاعة لله والرسول ومعصية لله والرسول كما بين الفرق بين ما أمر به وبين ما نهى عنه

وأعظم من ذلك أنه بين الفرق بين الخالق والمخلوق وان المخلوق لا يجوز أن يسوى بين الخالق والمخلوق فى شيء ويجعل المخلوق نداً للخالق قال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله) وقال تعالى (هل تعلم له سمياً ولم

يكن له كفواً أحد ليس كمثله شيء وضرب الامثال في القرآن على من لم يفرق بل عدل بربه وسوى بينه وبين خلقه كما قالوا وهم في النار يصطرخون فيها تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وقال تعالي أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم والله يعلم ما تسرون وما تعلنون والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيأ وهم يخلقون اموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون .

فهو سبحانه الخالق العالم الحق الحي الذي لا يموت ومن سواه لا يخلق شيئا كما قال ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ماقدروا الله حق قدره .

وهذا مثل ضربه الله فان الذباب من أصغر الموجودات وكل من يدعى من دون الله لا يخلقون ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه فاذا تبين انهم لا يخلقون ذبابا ولا يقدرون على انتزاع ما يسلبهم فهم عن خلق غيره وعن مغالبته أعجز وأعجز

والمثل هو الاصل والنظير المشبه به كما قال ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون أي لما جعلوه نظيرا فقاسوا عليه آلهتهم وقالوا اذا كان قد عبد وهو لا يعذب وكذلك آلهتنا فضربوه مثلا لآلهتهم وجعلوا يصدون أي يضجون ويعجبون منه احتجاجا به على الرسول والفرق بينه وبين آلهتهم ظاهر كما بينه في قوله تعالى ان الذين سبقت

لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون وقال في فرعون وجعلناه سلفا ومثلا للآخرين أي مثلا تعتبر به ويقاس عاقبة غيره فمن عمل بمثل عمله حوزي بجزائه ليتعظ الناس به فلا تعمل عمل عمله وقال تعالى ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وهو ما ذكره من أحوال الامم الماضية التي تعتبر بها ويقاس عليها أحوال الامم المستقبلة كما قال لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الالباب فمن كان من أهل الايمان قيس بهم وعلم ان الله يسعده في الدنيا والآخرة ومن كان من اهل الكفر قيس بهم وعلم ان الله يشقيه في الدنيا والآخرة كما قال في حق هؤلاء أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر وقد قال قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين وقال في حق المؤمنين وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وقال وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين وقال في قصة أيوب رحمة من عندنا وذكرى للعابدين رحمة منا وذكرى لأولي الالباب وقال أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب وقال وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك * فلفظ المثل يراد به النظير الذي يقاس عليه ويعتبر

به ويراد به مجموع القياس قال سبحانه وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم أي لا أحد يحييها وهي رميم * فمثل الخالق بالمخلوق في هذا النفي فجعل هذا مثل هذا لا يقدر على احيائها سواء بطريقة قياس تمثيل أو قياس شمول كما قد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع وبين ان معنى القياس قياس بالشمول وقياس بالتمثيل وان المثل المضروب المذكور في القرآن فاذا قلت النبيذ مسكر وكل مسكر حرام وأثبت الدليل على المقدمة الكبرى بقوله صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام فهو كقوله صلى الله عليه وسلم قياساً على الخمر لان الخمر انما حرمت لأجل الاسكار وهو موجود في النبيذ فقوله ضرب مثل فاستمعوا له جعل ماهو من أصغر المخلوقات مثلا ونظيراً يعتبر به فاذا كان أدون خلق الله لا يقدرون على خلقه ولا مقاومته فلا يقدرون على خلق ماسواه فعلم بها من عظمة الخالق وان كل ما يعبدون من دون الله في السماء والارض لا يقدرون على ماهو أصغر مخلوقاته وقد قيل انهم جعلوا آلهتهم مثلا لله فاسمعوا لذكرها وهذا لانهم لم يفهموا المثل الذي ضربه الله جعلوا المشركين هم الذين ضربوا هذا المثل ومثل هذا في القرآن قد ضربه الله تبين أنه لا يقاس المخلوق بالخالق ويجعل له ندا ومثلا كقوله قل من يرزقكم من السماء والارض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فانى تصرفون كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم

لا يؤمنون قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي الا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون وما يتبع اكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغني من الحق شيأ ان الله عليم بما يفعلون

ولما قرر الوحدانية قرر النبوة كذلك فقال وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله وهؤلاء مثلوا المخلوق بالخالق وهذا من تكذيبهم اياه ولهذا كان المشركون يسوون بين آلهتهم وبين الله في كل شيء بل كانوا يؤمنون بان الله هو الخالق المالك لهم وهم مخلوقون مملوكون له ولكن كانوا يسوون بينه وبينها في المحبة والتعظيم والدعاء والعبادة والنذر لها ونحو ذلك مما يخص به الرب فمن عدل بالله غيره في شيء من خصائصه سبحانه وتعالى فهو مشرك مخالف من لا يعدل به ولكن يشبه مع اعترافه بان الله ربه وحده وخضوعه له خوفا من عقوبة الذنب فهذا يفرق بينه وبين من لا يعرف بتحريم ذلك .

﴿ فصل ﴾ وهو سبحانه وتعالى كما يفرق بين الامور المختلفة فانه يجمع ويسوي بين الامور المتماثلة فيحكم في الشيء حكما وأمرا بحكم مثله لا يفرق بين متماثلين ولا يسوي بين شيئين غير متماثلين بل ان كانا

مختلفين فصادقين لم يسوء فيهما

ولفظ الاختلاف في القرآن يراد به التضاد والتعارض لا يراد به مجرد عدم التماثل كما هو اصطلاح كثير من النظار ومنه قوله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وقوله انكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من افك وقوله ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر

وقد بين سبحانه وتعالى ان السنة لا تبدل ولا تحول في غير موضع * والسنة هي العادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني مثل مافعل بنظيره الاول ولهذا أمر سبحانه وتعالى بالاعتبار وقال لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب

والاعتبار أن يقرن الشيء بمثله فيعلم أن حكمه مثل حكمه كما قال ابن عباس هلا اعتبرتم الاصابع بالاسنان فاذا قال فاعتبروا ياأولي الابصار وقال لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب أفاد أن من عمل مثل أعمالهم جوزي مثل جزائهم ليحذر ان يعمل مثل أعمال الكفار وليرغب في أن يعمل مثل أعمال المؤمنين اتباع الانبياء قال تعالى قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين وقال تعالى وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا وقال تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا

ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا وهذه الآية أنزلها الله وقد أعز الله الإسلام وظهور الاسلام وذل المنافقين فلم يستطيعوا أن يظهروا بعد هذا ما كانوا يظهرونه قبل ذلك قبل بدر وبعدها وقبل أحد وبعدها وأخفوا النفاق وكتموه فلهذا لم يقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم

وبهذا يجيب من لم يقبل الزادقة ويقول اذا أخفوا زندقتهم لم يمكن قتلهم ولكن اذا أظهروها قتلوا بهذه الآية بقوله ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا

قال قتادة ذكر لنا ان المنافقين كانوا يظهرون ما في أنفسهم من النفاق فأوعدهم الله بهذه الآية فلما أوعدهم بهذه الآية أسروا ذلك وكتموه سنة الله في الذين خلوا من قبل يقول هكذا سنة الله فيهم اذا أظهروا النفاق قال مقاتل ابن حيان قوله سنة الله في الذين خلوا من قبل يعني كما قتل أهل بدر وأسروا وذلك قوله سنة الله في الذين خلوا من قبل

قال السدى كان النفاق على ثلاثة أوجه نفاق مثل نفاق عبد الله ابن أبى وعبد الله بن نبيل ومالك بن داعس وكان هؤلاء وجوها من وجوه الانصار فكانوا يستحيون أن يأتوا الزنا يصونون بذلك أنفسهم والذين في قلوبهم مرض قال الزناة ان وجدوه عملوا به وان لم يجدوه لم يتبعوه ونفاق يكابرون النساء مكابرة وهم هؤلاء الذين يجالسون على

الطريق ثم قال المؤمنين ثم فصلت الآية أينما ثقفوا يعملون هذا العمل مكابرة النساء * قال السدي هذا حكم في القرآن ليس نعمل به لو أن رجلا أو أكثر من ذلك اقتصوا أثر امرأة فغلبوها على نفسها ففجروا بها كان الحكم فيهم غير الجلد والرجم أن تؤخذوا وتضرب أعناقهم

قال السدي قوله سنة كذلك كان يفعل بمن مضى من الأمم قال فمن كابر امرأة على نفسها فقتل فليس على قاتله دية لأنه مكابر

قلت هذا على وجهين أحدهما أن يقتل دفعا لصوله عنها مثل أن يقهرها فهذا دخل في قوله من قتل دون حرمته فهو شهيد وهذه لها أن تدفعه بالقتل لكن إذا طاوعت ففيه نزاع وتفصيل وفيه قصتان عن عمر وعلى معروفتان وأما إذا فجر بها مستكرها ولم تحدث منه توبة فهؤلاء نوعان أحدهما أن يكون له شوكة كالمحاربين لأخذ المال وهؤلاء محاربون للفاحشة فيقتلوا قال السدي وقاله غيره وذكر أبو الليث أن هذه حربت عنده ورأى أن هؤلاء أحق بأن يكونوا محاربين والثاني أن لا يكونوا ذوي شوكة بل يفعلون ذلك غيلة واحتيالا حتى إذا صارت عندهم المرأة أكرهوها فهذا المحارب غيلة كما قال السدي يقتل أيضا وإن كانوا جماعة في المصر فهم كالمحاربين في المصر وهذه المسائل لها مواضع أخر

والمقصود أن الله أخبر أن سنته لن تبدل ولن تتحول وسنته عادته التي يسوي فيها بين الشيء وبين نظيره الماضي وهذا يقتضي أنه سبحانه يحكم في الأمور المتماثلة بأحكام متماثلة ولهذا قال أكفاركم خير من أولئكم وقال احشروا الذين ظلموا وأزواجهم أي أشباههم ونظراءهم

وقال وإذا النفوس زوجت قرن النظير بنظيره وقال تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم وقال قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا وقال والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم

فجعل التابعين لهم باحسان مشاركين لهم فيما ذكر من الرضوان والجنة وقد قال تعالى والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وقال تعالى والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤف رحيم وقال تعالى وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم فمن اتبع السابقين الأولين كان منهم وهم خير الناس بعد الأنبياء فإن أمة محمد خير أمة أخرجت للناس وأولئك خير أمة محمد كما ثبت في الصحاح من غير وجه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير القرون القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم *ولهذا كان معرفة أقوالهم في العلم والدين وأعمالهم خيرا وأنفع من معرفة أقوال المتأخرين وأعمالهم في جميع علوم الدين وأعماله كالتفسير وأصول الدين وفروعه والزهد والعبادة والأخلاق والجهاد وغير ذلك فإنهم أفضل ممن بعدهم كما دل عليه الكتاب والسنة فالاقتداء بهم خير من الاقتداء بمن بعدهم ومعرفة

اجماعهم ونزاعهم في العلم والدين خير وأنفع من معرفة مايذكر من اجماع غيرهم ونزاعهم

وذلك أن اجماعهم لايكون الامعصوما واذا تنازعوا فالحق لايخرج عنهم فيمكن طلب الحق في بعض أقاويلهم ولايحكم بخطأ قول من أقوالهم حتى يعرف دلالة الكتاب والسنة على خلافه قال تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا

وأما المتأخرون الذين لم يتحروا متابعتهم وسلوك سبيلهم ولاهم خبرة بأقوالهم وأفعالهم بل هم في كثير مما يتكلمون به في العلم ويعملون به ولا يعرفون طريق الصحابة والتابعين في ذلك من أهل الكلام والرأى والزهد والتصوف فهؤلاء تجد عمدتهم في كثير من الامور المهمة في الدين انما هو عما يظنونه من الاجماع وهم لا يعرفون في ذلك أقوال السلف البتة أوعرفوا بعضها ولم يعرفوا سائرها فتارة يحكون الاجماع ولا يعلمون الاقولهم وقول من نازعهم من الطوائف المتأخرين طائفة أوطائفتين أو ثلاث وتارة عرفوا أقوال بعض السلف والاول كثير في مسائل أصول الدين وفروعه كما تجد كتب أهل الكلام مشحونة بذلك يحكون اجماعا ونزاعا ولا يعرفون ماقال السلف في ذلك البتة بل قد يكون قول السلف خارجا عن أقوالهم كما تجد ذلك في مسائل أقوال الله وأفعاله وصفاته مثل مسئلة القرآن والرؤية والقدر وغير ذلك وهم

اذا ذكروا اجماع المسلمين لم يكن لهم علم بهذا الاجماع فانه لو أمكن العلم باجماع المسلمين لم تكن هؤلاء من أدنى العلم به لعدم علمهم بأقوال السلف وكيف اذا كان المسلمون يحصر القطع بجماعهم في مسائل النزاع بخلاف السلف فانه يمكن العلم باجماعهم كثيرا واذا ذكروا نزاع المتأخرين لم يكن بمجرد ذلك أن يجعل هذه من مسائل الاجتهاد التي يكون كل قول من تلك الاقوال سائغا لم يخالف اجماعا لان كثيرا من أصول المتأخرين محدث مبتدع في الاسلام مسبوق باجماع السلف على خلافه والنزاع الحادث بعد اجماع السلف خطأ قطعا كخلاف الخوارج والرافضة والقدرية والمرجئة ممن قد اشتهرت لهم أقوال خالفوا فيها النصوص المستفيضة المعلومة واجماع الصحابة بخلاف ما يعرف من نزاع السلف فانه لا يمكن أن يقال فيه خارق للاجماع وانما يرد بالنص واذا قيل قد أجمع التابعون على أحد قوليهم فارتفع النزاع فمثل هذا مبني على مقدمتين احداهما العلم بأنه لم يبق في الامة من يقول بقول الآخر وهذا متعذر * الثاني ان مثل هذا هل يرفع النزاع مشهور فنزاع السلف يمكن القول به اذا كان معه حجة على خلافه ونزاع المتأخرين لا يمكن هذا لان كثيرا منه قد تقدم الاجماع على خلافه كما دلت النصوص على خلافه ومخالفة اجماع السلف خطأ قطعا وأيضا فلم يبق مسئلة في الدين الا وقد تكلم فيها السلف ولابد أن يكون لهم قول يخالف ذلك القول أو يوافقه وقد بسطنا في غير هذا الموضع ان الصواب في أقوالهم أكثر وأحسن وان خطأهم أخف من خطأ المتأخرين وان

المتأخرين أكثر خطأ وأفحش وهذا في جميع علوم الدين ولهذا أمثلة كثيرة يضيق هذا الموضع عن استقصائها والله سبحانه أعلم

(فصل ومما ينبغي أن يعلم أن القرآن والحديث) اذا عرف تفسيره من جهة النبي صلى الله عليه وسلم لم يحتج في ذلك الى أقوال أهل اللغة فانه قد عرف تفسيره وما أريد بذلك من جهة النبي صلى الله عليه وسلم لم يحتج في ذلك الى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم ولهذا قال الفقهاء الاسماء ثلاثة انواع نوع يعرف حده بالشرع كالصلاة والزكاة ونوع يعرف حده باللغة كالشمس والقمر ونوع يعرف حده بالعرف كلفظ القبض ولفظ المعروف في قوله وعاشروهن بالمعروف

وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة وكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم باحسان انه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن لا برأيه ولا ذوقه ولا معقوله ولا قياسه ولا وجده فانهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والآيات البينات أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق وان القرآن يهدي للتي هي أقوم فيه نبأ من قبلهم وخبر ما بعدهم وحكم ما بينهم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسن فلا يستطيع أن يزيغه الى هواه ولا يحرف به لسانه ولا يخلق عن كثرة الترداد فاذا ردد مرة بعد مرة لم يخلق ولم يمل كغيره من الكلام لا تنقضي عجائبه ولا تشبع منه العلماء من قال به

صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعي اليه هدى الى صراط مستقيم

وكان القرآن هو الامام الذي نقتدي به ولهذا لا يوجد في كلام أحد من السلف أنه عارض القرآن بعقل ورأي وقياس ولا بذوق ووجد ومكاشفة ولا قال قط قد تعارض في هذا العقل والنقل فضلا عن أن يقول يجب تقديم العقل والنقل يعني القرآن والحديث وأقوال الصحابة والتابعين اما أن يفوض واما أن يؤول * ولا فيهم من يقول ان له ذوقا أو وجدا أو مخاطبة أو مكاشفة تخالف القرآن والحديث فضلا عن أن يدعي أحدهم انه أخذ من حيث يأخذ الملك الذي يأتي الرسول * وانه يأخذ من ذلك المعدن علم التوحيد والانبياء كلهم يأخذون عن مشكاته أو يقول الولى أفضل من النبي ونحو ذلك من مقالات أهل الالحاد * فان هذه الاقوال لم تكن حدثت بعد في المسلمين وانما يعرف مثل هذه اما من ملاحدة اليهود والنصارى فان فيهم من يجوز ان غير النبي أفضل من النبي كما قد يقوله في الحواريين فانهم عندهم رسل وهم يقولون أفضل من داود وسليمان بل ومن ابراهيم وموسى وان سموهم أنبياء الى أمثال هذه الامور * ولم يكن السلف يقبلون معارضة الآية الا بآية أخرى تفسرها وتنسخها أو بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم تفسرها * فان سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تبين القرآن وتدل عليه وتعبر عنه وكانوا يسمون ما عارض الآية ناسخا لها فالنسخ عندهم اسم عام لكل ما رفع دلالة الآية على معنى باطل وان كان ذلك المعني لم يرد بها

وان كان لا يدل عليه ظاهر الآية بل قد   وقد فهمه
منها قوم فيسمون ما رفع ذلك الابهام والافهام نسخا   هذه
التسمية لا تؤخذ عن كل واحد منهم وأصل ذلك   الشيطان
ثم يحكم الله آياته فما ألقاه الشيطان في الأذهان من ظن دلالة الآية
على معنى لم يدل عليه سمى هؤلاء ما رفع ذلك الظن نسخا كما سموا
قوله فاتقوا الله ما استطعتم ناسخا لقوله فاتقوا الله حق تقاته وقوله لا يكلف
الله نفسا إلا وسعها ناسخا لقوله إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه
يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وأمثال ذلك مما ليس
هذا موضع بسطه

اذ المقصود انهم كانوا متفقين على ان القرآن لا يعارضه الا قرآن
لا رأى ومعقول وقياس ولا ذوق ووجد والهام ومكاشفة

وكانت البدع الاولى مثل بدعة الخوارج انما هي من سوء فهمهم
للقرآن لم يقصدوا معارضته لكن فهموا منه ما لم يدل عليه فظنوا انه
يوجب تكفير أرباب الذنوب اذ كان المؤمن هو البر التقي قالوا فمن لم
يكن برا تقيا فهو كافر وهو مخلد في النار ثم قالوا وعثمان وعلى ومن
والاهما ليسوا بمؤمنين لانهم حكموا بغير ما أنزل الله فكانت بدعتهم لها
مقدمتان الواحدة ان من خالف القرآن بعمل أو برأى أخطأ فيه فهو
كافر والثانية ان عثمان وعليا ومن والاهما كانوا كذلك ولهذا يجب
الاحتراز من تكفير المسلمين بالذنوب والخطايا فانه أول بدعة ظهرت
في الاسلام فكفر أهلها المسلمين واستحلوا دماءهم وأموالهم وقد ثبت

عن النبي صلى الله عليه وسلم الاحاديث الصحيحة في ذمهم والامر بقتالهم قال الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه صح فيهم الحديث من عشرة أوجه ولهذا قد أخرجها مسلم في صحيحه وافرد البخاري قطعة منها وهم مع هذا الذم انما قصدوا اتباع القرآن فكيف بمن يكون بدعته معارضة القرآن والاعراض عنه وهو مع ذلك يكفر المسلمين كالجهمية ثم الشيعة لما حدثوا لم يكن الذي ابتدع التشيع قصده الدين بل كان غرضه فاسداً وقد قيل انه كان منافقاً زنديقاً فاصل بدعتهم مبنية على الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكذيب الأحاديث الصحيحة ولهذا لا يوجد في فرق الامة من الكذب أكثر مما يوجد فيهم بخلاف الخوارج فانه لا نعرف فيهم من يكذب

﴿ والشيعة ﴾ لا يكاد يوثق برواية أحد منهم من شيوخهم لكثرة الكذب فيهم ولهذا أعرض عنهم اهل الصحيح فلا يروي البخاري ومسلم أحاديث علي الا عن أهل بيته كاولاده مثل الحسن والحسين ومثل محمد ابن الحنفية وكاتبه عبيد الله بن أبي رافع أو أصحاب ابن مسعود وغيرهم مثل عبيدة السلماني والحرث التيمي وقيس بن عباد وأمثالهم اذ هؤلاء صادقون فيما يروونه عن علي فلهذا أخرج أصحاب الصحيح حديثهم

وهاتان الطائفتان الخوارج والشيعة حدثوا بعد مقتل عثمان وكان المسلمون في خلافة أبي بكر وعمر وصدراً من خلافة عثمان في السنة الاولى من ولايته متفقين لا تنازع بينهم ثم حدث في أواخر خلافة عثمان أمور أوجبت نوعاً من التفرق وقام قوم من أهل الفتنة والظلم فقتلوا

عثمان فتفرق المسلمون بعد مقتل عثمان ولما اقتتل المسلمون بصفين واتفقوا على تحكيم حكمين

خرجت الخوارج على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وفارقوه وفارقوا جماعة المسلمين الى مكان يقال له حروراء فكف عنهم أمير المؤمنين وقال لكم علينا أن لا نمنعكم حقكم من الفيء ولا نمنعكم المساجد الى أن استحلوا دماء المسلمين وأموالهم فقتلوا عبد الله بن خباب وأغاروا على سرح المسلمين فعلم علي أنهم الطائفة التي ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية آيتهم فيهم رجل مخدج اليد عليها بضعة عليها شعرات وفي رواية يقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الاوثان فخطب الناس وأخبرهم بما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هم هؤلاء القوم قد سفكوا الدم الحرام وأغاروا على سرح الناس فقاتلهم ووجد العلامة بعد أن كاد لا يوجد فسجد لله شكراً

وحدث في أيامه الشيعة لكن كانوا مختفين بقولهم لا يظهرونه لعلي وشيعته بل كانوا ثلاثة طوائف

طائفة تقول انه اله وهؤلاء لما ظهر عليهم أحرقهم بالنار وخد لهم أخاديد عند باب مسجد بني كندة وقيل انه أنشد

لما رأيت الامر أمراً منكراً * أججت ناري ودعوت قنبرا

وقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال اتي علي بزنادقة

يحرقهم بالنار ولو كنت أنا لم أحرقهم لنهي النبي صلى الله عليه وسلم أن يعذب بعذاب الله ولضربت أعناقهم لقوله من بدل دينه فاقتلوه

وهذا الذي قاله ابن عباس هو مذهب أكثر الفقهاء وقد روى أنه أحرقهم ثلاثا

(والثانية) السابة وكان قد بلغه عن أبي السوداء انه كان يسب أبا بكر وعمر فطلبه قيل انه طلبه ليقتله فهرب منه

(والثالثة) المفضلة الذين يفضلونه على أبي بكر وعمر فتواتر عنه انه قال خير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر وروى ذلك البخاري في صحيحه عن محمد بن الحنفية انه سأل أباه من خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر قال ثم من قال عمر وكانت الشيعة الاولى لا يتنازعون في تفضيل أبي بكر وعمر وانما كان النزاع في على وعثمان ولهذا قال شريك ابن عبد الله ان أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر فقيل له تقول هذا وأنت من الشيعة فقال كل الشيعة كانوا على هذا وهو الذي قال هذا على اعواد منبره أفنكذبه فيما قال ولهذا قال سفيان الثوري من فضل عليا على أبي بكر وعمر فقد ازرى بالمهاجرين والانصار وما أرى يصعد له الى الله عز وجل عمل وهو كذلك رواه أبو داود في سننه وكأنه يعرض بالحسن بن صالح بن حي فان الزيدية الصالحية وهم أصلح طوائف الزيدية ينسبون اليه

ولكن الشيعة لم يكن لهم في ذلك الزمان جماعة المسلمين ولا امام ولا دار ولا سيف يقاتلون به المسلمين وانما كان هذا للخوارج تميزوا

بالامام والجماعة والدار وسموا دارهم دار الهجرة وجعلوا دار المسلمين دار كفر وحرب

وكلا الطائفتين تطعن بل تكفر ولاة المسلمين وجمهور الخوارج يكفرون عثمان وعليا ومن تولاهما والرافضة يلعنون أبا بكر وعمر وعثمان ومن تولاهما ولكن الفساد الظاهر كان في الخوارج من سفك الدماء وأخذ الاموال والخروج بالسيف فلهذا جاءت الاحاديث الصحيحة بقتالهم والاحاديث في ذمهم والامر بقتالهم كثيرة جداً وهي متواترة عند أهل الحديث مثل أحاديث الرؤية وعذاب القبر وفتنه وأحاديث الشفاعة والحوض

﴿ وقد رويت أحاديث في ذم القدرية والمرجئة ﴾ روى بعضها أهل السنن كأبي داود وابن ماجه وبعض الناس يثبتها ويقويها ومن العلماء من طعن فيها وضعفها ولكن الذي ثبت في ذم القدرية ونحوهم هو عن الصحابة كابن عمر وابن عباس

﴿وأما لفظ الرافضة﴾ فهذا اللفظ أول ما ظهر في الاسلام لما خرج زيد بن علي بن الحسين في اوائل المائة الثانية في خلافة هشام بن عبد الملك واتبعه الشيعة فسئل عن أبي بكر وعمر فتولاهما وترحم عليهما فرفضه قوم فقال رفضتموني رفضتموني فسموا الرافضة فالرافضة تتولى أخاه أبا جعفر محمد بن علي زيديه والزيديه يتولونه ويتولون الاثنين ومن حينئذ انقسمت الشيعة الى زيدية والرافضة امامية

﴿ ثم في آخر عصر الصحابة حدثت القدرية ﴾ وأصل بدعتهم كانت من

عجز عقولهم عن الايمان بقدر الله والايمان بامره ونهيه ووعده ووعيده وظنوا ان ذلك ممتنع وكانوا قد آمنوا بدين الله وأمره ونهيه ووعده ووعيده وظنوا انه اذا كان كذلك لم يكن قد علم قبل الامر من يطيع ومن يعصي لانهم ظنوا أن من علم ما سيكون لم يحسن منه أن أمر وهو يعلم أن المأمور يعصيه ولا يطيعه وظنوا ايضا انه اذا علم انهم يفسدون لم يحسن أن يخلق من يعلم انه يفسد فلما بلغ قولهم بانكار القدر السابق للصحابة أنكروا انكارا عظيما وتبرؤا منهم حتى قال عبد الله بن عمر أخبر أولئك أني بريء منهم وانهم مني برآء والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لاحدهم مثل أحد ذهبا فانفقه ماقبله الله منه حتى يؤمن بالقدر وذكر عن أبيه حديث جبريل وهذا أول حديث في صحيح مسلم وقد أخرجه البخاري ومسلم من طريق أبي هريرة أيضاً مختصرا

ثم كثر الخوض في القدر وكان أكثر الخوض فيه بالبصرة والشام وبعضه في المدينة فصار مقصودهم وجمهورهم ينكرون بالقدر السابق وبالكتاب المتقدم وصار نزاع الناس في الارادة وخلق أفعال العباد فصاروا في ذلك حزبين* النفاة يقولون لاارادة الا بمعنى المشيئة وهو لم يرد الا ما أمر به ولم يخلق شيأ من أفعال العباد* وقابلهم الخائضون في القدر من المجبرة مثل الجهم بن صفوان وامثاله فقالوا ليست الارادة الا بمعنى المشيئة والامر والنهي لا يستلزم ارادة وقالوا العبد لافعل له البتة ولا قدرة بل الله هو الفاعل القادر فقط وكان جهم مع ذلك ينفي الاسماء والصفات يذكر عنه انه قال لا يسمي الله شيأ ولا غير ذلك من

الاسماء التى اسـمى بها العباد الا القادر فقط لان العبد ليس تقادر * وكان الخوارج قد تكلموا في تكفير أهل الذنوب من أهل الملة وقالوا انهم كفار مخلدون في النار فخاض الناس فى ذلك وخاض فى ذلك القدرية بعد موت الحسن البصرى فقال عمرو بن عبيد وأصحابه لاهم مسلمون ولا كفار بل هـم منزلة بين المنزلتين وهم مخلدون فى النار ووافقوا الخوارج على انهم مخلدون وعلى انه ليس معهم من الاسـلام والايمـان شيء ولكن لم يسموهم كفارا واعتزلوا حلقة أصحاب الحسن البصرى مثل قتادة وايوب السختيانى وأمثالهما

﴿ فسموا معتزلة من ذلك الوقت بعـد موت الحسن ﴾ وقيل ان قتادة كان يقول أولئك المعتزلة

وتنازع الناس في الاسماء والاحكام أى فى أسماء الدين مثل مسلم ومؤمن وكافر وفاسق وفى أحكام هؤلاء فى الدنيا والآخرة فالمعتزلة وافقوا الخوارج على حكمهم فى الآخرة دون الدنيا فلم يستحلوا من دمائهـم وأموالهـم ما استحلته الخوارج وفي الاسماء أحدثوا المنزلة بين المنزلتين وهذه خاصة المعتزلة التي انفردوا فيها وسائر أقوالهم قد شاركهم فيها غيرهم

﴿ وحدثت المرجئة ﴾ وكان أكثرهم من أهل الكوفة ولم يكن أصحاب عبد الله من المرجئة ولا ابراهيم النخعي وأمثاله فصاروا نقيض الخوارج والمعتزلة فقالوا ان الاعمـال ليست من الايمان وكانت هـذه البدعة أخف البدع فان كثيرا من النزاع فيها نزاع في الاسم واللفظ

دون الحكم اذ كان الفقهاء الذين نضاف اليهم هذا القول مثل حماد بن أبي سليمان وأبي حنيفة وغيرهما هم مع سائر أهل السنة متفقين على ان الله يعذب من يعذبه من أهل الكبائر بالنار ثم يخرجهم بالشفاعة كما جاءت الاحاديث الصحيحة بذلك وعلى انه لابد في الايمان أن يتكلم بلسانه وعلى ان الاعمال المفروضة واجبة وتاركها مستحق للذم والعقاب وكان في الاعمال هل هي من الايمان وفي الاستثناء ونحو ذلك وعامته نزاع لفظي فان الايمان اذا أطلق دخلت فيه الاعمال لقول النبي صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وستون شعبة أو بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لااله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان واذا عطف عليه العمل كقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات فقد ذكر مقيدا بالعطف فهنا قد يقال الاعمال دخلت فيه وعطفت عطف الخاص على العام وقد يقال لم تدخل فيه ولكن مع العطف كما في اسم الفقير والمسكين اذا أفرد أحدهما تناول الآخر واذا عطف أحدهما على الآخر فهما صنفان كما في آية الصدقات كقوله انما الصدقات للفقراء والمساكين وكما في آية الكفارة كقوله فكفارته اطعام عشرة مساكين وفي قوله وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم فالفقير والمسكين شيء واحد وهذا التفصيل في الايمان هو كذلك في لفظ البر والتقوى والمعروف وفي الاثم والعدوان والمنكر تختلف دلالتها في الافراد والاقتران لمن تدبر القرآن وقد بسط هذا بسطاً كثيرا في الكلام على الايمان وشرح حديث جبريل الذي فيه بيان ان الايمان

أصله في القلب وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله كما في المسند عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الاسلام علانية والايمان في القلب وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الا ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد واذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب فاذا كان الايمان في القلب فقد صلح القلب فيجب أن يصلح سائر الجسد فلذلك هو ثمرة مافي القلب فلهذا قال بعضهم الاعمال ثمرة الايمان وصحته لما كانت لازمة لصلاح القلب دخلت في الاسم كما نطق بذلك الكتاب والسنة في غير موضع وفي الجملة الذين رموا بالارجاء من الاكابر مثل طلق بن حبيب وابراهيم التيمي ونحوهما كان ارجاؤهم من هذا النوع

﴿ وكانوا أيضا ﴾ لا يستثنون في الايمان وكانوا يقولون الايمان هو الايمان الموجود فينا ونحن نقطع بأنا مصدقون ويرون الاستثناء شكا وكان عبد الله بن مسعود وأصحابه يستثنون وقد روى في حديث انه رجع عن ذلك لما قال له بعض أصحاب معاذ ماقال لكن أحمد أنكر هذا وضعف هذا الحديث وصار الناس في الاستثناء على ثلاثة أقوال قول انه يجب الاستثناء ومن لم يستثن كان مبتدعا وقول ان الاستثناء محظور فانه يقتضي الشك في الايمان والقول الثالث أوسطها وأعدلها انه يجوز الاستثناء باعتبار وتركه باعتبار فاذا كان مقصوده انى لاأعلم انى قائم في كل ماأوجب الله علي وانه يقبل أعمالي ليس مقصوده الشك فيما في قلبه فهذا استثناؤه حسن وقصده أن لايزكي نفسه وأن لايقطع بأنه

عمل عملا كما أمر وقبل منه والذنوب كثيرة والنفاق مخوف على عامة الناس قال ابن أبي مليكة أدركت ثلاثين من أصحاب محمد كلهم يخاف النفاق على نفسه لا يقول واحد منهم ان ايمانه كايمان جبريل وميكائيل والبخاري في أول صحيحه بوب أبوابا في الايمان والرد على المرجئة وقد ذكر بعض من صنف في هذا الباب من أصحاب أبي حنيفة قال وأبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد كرهوا أن يقول الرجل ايماني كايمان جبريل وميكائيل قال محمد لانه أفضل يقينا أو ايماني كايمان جبريل أو ايماني كايمان أبي بكر أو كايمان هذا ولكن يقول آمنت بما آمن به جبريل وأبو بكر

وأبو حنيفة وأصحابه لا يجوزون الاستثناء في الايمان بكون الاعمال منه ويذمون المرجئة والمرجئة عندهم الذين لا يوجبون الفرائض ولا اجتناب المحارم بل يكتفون بالايمان وقد علل تحريم الاستثناء وبانه لا يصح تعليقه علي الشرط لان المعلق على الشرط لا يوجد الا عند وجوده كما قالوا في قوله أنت طالق ان شاء الله فاذا علق الايمان بالشرط كسائر المعلقات بالشرط لا يحصل الا عند حصول الشرط قالوا وشرط المشيئة الذي يرجاه القائل لا يتحقق حصوله الى يوم القيامة فاذا علق العزم بالفعل علي التصديق والإقرار فقد ظهرت المشيئة وصح العقد فلا معني للاستثناء ولان الاستثناء عقيب الكلام يرفع الكلام فلا يبقى الاقرار بالايمان والعقد مؤمنا وربما يوهم هذا القائل الفارق بالاستثناء علي الايمان بقاء التصديق وذلك ريبة

﴿ قلت ﴾ فتعليلهم في المسألة انما يتوجه فمن يعلق انشاء الايمان

علي المشيئه كالدى ريد الدحول فى الاسلام فيقال له آمن فيقول أنا او من ان شاء الله أو آمنت ان شاء الله أو أسلمت ان شاء الله أو أشهد ان شاءالله أن لااله الا الله وأشهد ان شاء الله أن محمدا رسول الله والدين استثنوا من السلف والخلف لم يقصدوا فى الانشاء وانما كان استثناؤهم في اخباره عما قد حصل له من الايمان فاستثنوا اما ان الأيمان المطلق يقتضي دخول الجنة وهم لايعلمون الخاتمه كانه اذا قيل للرجل أنت مؤمن قيل له أنت عند الله مؤمن من أهل الجنة فيقول أنا كذلك انشاء الله أو لانهم لايعرفون انهم أتوا بكمال الايمان الواجب ولهذا كان من جواب بعضهم اذا قيل له أنت مؤمن آمنت بالله وملائكته وكتبه فيجزم بهذا ولا يعلقهأو يقول ان كنت تريد الايمان الذى يعصم دمي ومالىفأنا مؤمنوان كنت تريد قولهانما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلي ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا وقوله انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله اولئك هم الصادقونفأنا مؤمن انشاء الله وأما الاستثناء لم يستثن فيه أحد ولا شرع الاستثناء فيه بل كل من آمن وأسلم آمن وأسلم جزما بلا تعليق

وتبين ان النزاع فى المسئله قد يكون لفظيا فان الذي حرمه هؤلاء غير الذى استحسنه وأمر به أولئك ومن جزم جزم بما فى قلبه من

احال وهـذا حق لاينافي تعلق الكمال والعاقبة ولكن هؤلاء عندهم الاعمال ليست من الايمان فصار الايمان هو الاسلام عند أولئك

﴿ والمشهور عند أهل الحديث أنه لا يستثني في الاسـلام ﴾ وهو المشهور عن أحمد رضي الله عنه وقد روي عنه فيه الاستثناء كما قد بسط هذا في شرح حديث جبريل وغيره من نصوص الايمان التي في الكتاب والسنة

﴿ ولو قال لامرأته أنت طالق ان شاء الله ﴾ ففيه نزاع مشهور وقد رجحنا التفصيل وهو ان الكلام يراد به شيآن يراد به ايقاع الطلاق تارة ويراد به منع ايقاعه تارة فان كان مراده أنت طالق بهذا اللفظ فقوله ان شاء الله مثل قوله بمشيئة الله وقد شاء الله الطلاق حين أتي بالطلاق فيقع وان كان قد علق لئلا يقع أو علقه على مشيئة توجد بعد هذا لم يقع به الطلاق حتى يطلق بعد هـذا فانه حينئذ شاء الله أن يطلق وقول من قال المشيئة سخرة ليس كما قال بل نحن نعلم قطعا أن الطلاق لايقع الا اذا طلقت المرأة بأن يطلقها الزوج أو من يقوم مقامه من ولي أو وكيل فاذا لم يوجد بطلاق لم يقع طلاق قط فاذا قال أنت طالق ان شاء الله وقصد حقيقة التعليق لم يقع الا بطلق بعد ذلك وكذلك اذا قصد تعليقه لئلا يقع الآن وأما ان قصد ايقاعه الآن وعلقه بالمشيئة توكيدا وتحقيقا فهذا يقع به الطلاق

وما أعرف أحداً أنشأ الايمـان فعلقه على المشيئة فاذا علقه فان كان مقصوده أنا مؤمن ان شاء الله أنا أومن بعد ذلك فهذا لم يصر مؤمنا

مثل الذي يقال له هل تصير من أهل دين الاسلام فقال اصير ان شاء الله فهذا لم يسلم بل هو باق على الكفر وان كان قصده انه قد آمنت واياني بمشيئة الله صار مؤمنا لكن اطلاق اللفظ يحتمل هذا وهذا فلا يجوز اطلاق مثل هذا اللفظ في الانشاء وأيضا فان الاصل انه انما تعلق بالمشيئة ما كان مستقبلا فأما الماضي والحاضر فلا تعلق بالمشيئة والذين استثنوا لم يستثنوا في الانشاء كما تقدم كيف وقد أمروا أن يقولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وقال تعالى آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله فأخبر انهم آمنوا فوقع الايمان منهم قطعا بلا استثناء •

وعلى كل احد أن يقول آمنا بالله وما أنزل الينا كما أمر الله بلا استثناء وهذا متفق عليه بين المسلمين ما استثنى أحد من السلف قط في مثل هذا وانما الكلام اذا أخبر عن نفسه بأنه مؤمن كما يخبر عن نفسه بأنه بر تقي فيقول القائل له أنت مؤمن هو عندهم كقوله هل أنت بر تقي فاذا قال أنا بر تقي فقد زكى نفسه فيقول ان شاء الله وأرجو أن أكون كذلك وذلك ان الايمان التام يتعقبه قبول الله له وجزاؤه عليه وكتابة الملك له فالاستثناء يعود الى ذلك لا الى ما علمه هو من نفسه وحصل واستقر فان هذا لا يصح تعليقه بالمشيئة بل يقال هذا حاصل بمشيئة الله وفضله واحسانه وقوله فيه ان شاء الله بمعنى اذ شاء الله وذلك تحقيق لا تعليق والرجل قد يقول والله ليكونن كذا ان شاء الله وهو جازم

بأنه يكون فالمعلق هو الفعل كقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله والله عالم بأنهم سيدخلونه وقد يقول الآدمي لأفعلن كذا ان شاء الله وهو لايجزم بأنه يقع لكن يرجوه فيقول يكون ان شاء الله ثم عزمه عليه قد يكون جازما ولكن لايجزم بوقوع المعزوم عليه وقد يكون العزم مترددا معلقا بالمشيئة أيضا ولكن متي كان المعزوم عليه معلقا لزم تعلق بقاء العزم فانه بتقدير ان يعلق العزم ابتداء أودواما في مثل ذلك ولهذا لم يحسن المطلق المعلق وحرف أن لايكون لابقي العزم ولابد اذا دخل على الماضي صار مستقبلا تقول ان جاء زيد كان كذلك فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ واذا أريد الماضي دخل حرف كان كقوله ان كنتم تحبون الله فاتبعوني فيفرق بين قوله أنا مؤمن ان شاء الله وبين قوله ان كان الله شاء ايماني * وكذلك اذا كان مقصوده انى لاأعلم عاذا يختم لي كما قيل لابن مسعود ان فلانا يشهد انه مؤمن قال فليشهد أنه من أهل الجنة فهذا مراده اذا شهد انه مؤمن عندالله يموت على الايمان وكذلك ان كان مقصوده ان ايماني حاصل بمشيئة الله * ومن لم يستثن قال أنا لاأشك في ايماني قلبي ولاجناح عليه اذا لم يزك نفسه ويقطع بأنه عامل كما أمر وقد تقبل الله عمله وان لم يقل ان ايمانه كايمان جبريل وأبي بكر وعمر ونحو ذلك من أقوال المرجئة كما كان مسعر بن كدام يقول أنا لاأشك في ايماني قال أحمد ولم يكن من المرجئة فان المرجئة الذين يقولون الاعمال ليست من الايمان وهو كان يقول هي من الايمان لكن أنا لاأشك في ايماني

وكان الثوري يقول لسفيان بن عيينة ألا تنهاه عن هذا فانهما من قبيلة واحدة وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع

والمقصود هنا أن النزاع في هذا كان بين أهل العلم والدين من جنس المنازعة في كثير من الاحكام وكلهم من أهل الايمان والقرآن

﴿ وأما جهم ﴾ وكان يقول ان الايمان مجرد تصديق القلب وان لم يتكلم به وهذا القول لا يعرف عن أحد من علماء الائمة وأئمتها بل أحمد ووكيع وغيرهما كفروا من قال بهذا القول ولكن هو الذي نصره الاشعري وأكثر أصحابه ولكن قالوا مع ذلك ان كل من حكم الشرع بكفره حكمنا بكفره واستدللنا بتكفير الشارع له على خلو قلبه من المعرفة وقد بسط الكلام على أقوالهم وأقوال غيرهم في الايمان

والاصل الذي منه نشأ النزاع اعتقاد من اعتقد أن من كان مؤمنا لم يكن معه شيء من الكفر والنفاق وظن بعضهم ان هذا اجماع كما ذكر الاشعري ان هذا اجماع فهذا كان أصل الارجاء كما كان أصل القدر عجزهم عن الايمان بالشرع والقدر جميعا فلما كان هذا أصلهم صاروا حزبين قالت الخوارج والمعتزلة قد علمنا يقينا أن الاعمال من الايمان فمن تركها فقد ترك بعض الايمان واذا زال بعضه زال جميعه لان الايمان لا يتبعض ولا يكون في العبد ايمان ونفاق فيكون أصحاب الذنوب مخلدين في النار اذا كان ليس معهم من الايمان شيء وقالت المرجئة مقتصدهم وغلاتهم كالجهمية قد علمنا ان أهل الذنوب من أهل القبلة لا يخلدون في النار بل يخرجون منها كما تواترت بذلك الاحاديث

وعلم بالكتاب والسنة واجماع الأئمة انهم ليسوا كفارا مرتدين فان الكتاب قد أمر بقطع السارق لا بقتله وجاءت السنة بجلد الشارب لا بقتله ولو كان هؤلاء كفارا مرتدين لوجب قتلهم وبهذا ظهر للمعتزلة ضعف قول الخوارج فخالفوهم في أحكامهم في الدنيا

والخوارج لا يتمسكون من السنة الا بما فسر مجملها دون ما خالف ظاهر القرآن عندهم فلا يرجمون الزاني ولا يرون للسرقة نصابا وحينئذ فقد يقولون ليس في القرآن قتل المرتد فقد يكون المرتد عندهم نوعين

وأقوال الخوارج انما عرفناها من نقل الناس عنهم لم نقف لهم على كتاب مصنف كما وقفنا على كتب المعتزلة والرافضة والزيدية والكرامية والأشعرية والسالمية وأهل المذاهب الاربعة والظاهرية ومذاهب أهل الحديث والفلاسفة والصوفية ونحو هؤلاء وقد بسط الكلام على تفصيل القوم في أقوال هؤلاء في غير هذا الموضع

﴿ وان الناس في ترتيب أهل الاهواء على أقسام ﴾ منهم من يرتبهم على زمن حدوثهم فيبدأ بالخوارج ومنهم من يرتبهم بحسب خفة أمرهم وغلظه فيبدأ بالمرجئة ويختم بالجهمية كما فعله كثير من أصحاب أحمد رضي الله عنه كعبد الله ابنه ونحوه وكالخلال وأبي عبد الله بن بطة وأمثالهما وكأبي الفرج المقدسي وكلا الطائفتين تختم بالجهمية لانهم أغلظ البدع وكالبخاري في صحيحه فانه بدأ بكتاب الايمان والرد على المرجئة وختمه بكتاب التوحيد والرد على الزنادقة والجهمية ولما صنف الكتاب في الكلام صاروا يقدمون التوحيد والصفات فيكون الكلام أولا مع

الجهميه وكدلك رتب أبو القاسم الطبرى كتابه في أصول السنة والبيهقي أورد لكل صنف مصنفا فله مصنف في الصفات ومصنف في القدر ومصنف في شعب الايمان ومصنف في دلائل النبوة ومصنف في البعث والنشور وبسط هذه الامور له موضع آخر

والمقصود هنا أن منشأ النزاع في الاسماء والاحكام في الايمان والاسلام انهم لما ظنوا انه لا ينقص قال أولئك فاذا فعل دنبا زال بعضه فيزول كله ويخلد في النار فقالت الجهميه والمرجئة قد علمنا أنه ليس يخلد في النار وانه ليس كافرا مرتدا بل هو من المسلمين واذا كان من المسلمين وجب أن يكون مؤمنا تام الايمان منه بعض الايمان لان الايمان عندهم لا ينقص فاحتاجوا أن يجعلوا الايمان شيأ واحدا يشترك فيه جميع اهل الملة فقال فقهاء المرجئه هو التصديق بالقلب والقول باللسان وقالت الجهمية بل تصديق القلب فقد لا يجب اذا كان الرجل أخرس أوكان مكرها فالذى لا بد منه تصديق القلب وقالت المرجئة الرجل اذا أسلم كان مؤمنا قبل أن يجب عليه شيء من الاعمال وأنكر كل هذه الطوائف أنه ينقص (والصحابة) قد ثبت عنهم ان الايمان يزيد وينقص وهو قول أئمة السنة وكان ابن المبارك يقول هو يتفاضل ويتزايد ويمسك عن لفظ ينقص وعن مالك في كونه لا ينقص روايتان والقرآن قد نطق بالزيادة في غير موضع ودلت النصوص على نقصه كقوله لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ونحو ذلك لكن لم نعرف هذا اللفظ الا في قوله في النساء ناقصات عقل ودين وجعل من نقصان

فيها انها اذا حاضت لا تصوم ولا تصلي وبهذا استدل غير واحد على أنه ينقص

وذلك ان أصل أهل السنة ان الايمان يتفاضل من وجهين من جهة أمر الرب ومن جهة فعل العبد أما الاول فانه ليس الايمان الذي أمر به شخص من المؤمنين هو الايمان الذى أمر به كل شخص فان المسلمين فى أول الامر كانوا مأمورين بمقدار من الايمان ثم بعد ذلك أمروا بغير ذلك وأمروا بترك ما كانوا مأمورين به كالقبلة فكان من الايمان فى أول الامر الايمان بوجوب استقبال بيت المقدس ثم صار من الايمان تحريم استقباله ووجوب استقبال الكعبة فقد تنوع الايمان في الشريعة الواحدة وأيضا فمن وجب عليه الحج والزكاة أو الجهاد يجب عليه من الايمان أن يعلم ما أمر به ويؤمن بان الله أوجب عليه مالا يجب على غيره الا مجملا وهذا يجب عليه فيه الايمان المفصل وكذلك الرجل أول ما يسلم انما يجب عليه الاقرار المجمل ثم اذا جاء وقت الصلاة كان عليه ان يؤمن بوجوبها ويؤديها فلم يتساو الناس فيما أمروا به من الايمان وهذا من أصول غلط المرجئة فانهم ظنوا انه شئ واحد وانه يستوى فيه جميع المكلفين فقالوا ايمان الملائكة والانبياء وأفسق الناس سواء كما انه اذا تلفظ الفاسق بالشهادتين أو قرأ فاتحة الكتاب كان لفظه كلفظ غيره من الناس فيقال لهم قد تبين أن الايمان الذى أوجبه الله على عباده يتنوع ويتفاضل ويتباينون فيه تباينا عظيما ويجب على الملائكة من الايمان مالا يجب على البشر ويجب على الانبياء من الايمان

مالا يجب على غيرهم ويجب على العلماء مالا يجب على غيرهم ويجب على الامراء مالا يجب على غيرهم وليس المراد انه يجب عليهم من العمل فقط بل ومن التصديق والاقرار فان الناس وان كان يجب عليهم الاقرار المجمل بكل ماجاء به الرسول فاكثرهم لا يعرفون تفصيل كل ماأخبر به ومالم يعلموه كيف يؤمرون بالاقرار به مفصلا ومالم يؤمر به العبد من الاعمال لايجب عليه معرفته ومعرفة الآمر به فمن أمر بحج وجب عليه معرفة ماأمر به من أعمال الحج والايمان بها فيجب عليه من الايمان والعمل مالا يجب على غيره وكذلك من أمر بالزكاة يجب عليه معرفة ماأمر الله به من الزكاة ومن الايمان بذلك والعمل به مالا يجب على غيره فيجب عليه من العلم والايمان والعمل مالا يجب على غيره اذا جعل العلم والعمل ليسا من الايمان وان جعل جميع ذلك داخلا في مسمى الايمان كان أبلغ فبكل حال قد وجب عليه من الايمان مالا يجب على غيره

ولهذا كان من الناس من قد يؤمن بالرسول مجملا فاذا جاءت أمور أخرى لم يؤمن بها فيصير منافقا مثل طائفة نافقت لما حولت القبلة الى الكعبة وطائفة نافقت لما انهزمت المسلمون يوم أحد ونحو ذلك

ولهذا وصف الله المنافقين في القرآن بانهم آمنوا ثم كفروا كما ذكر ذلك في سورة المنافقين وذكر مثل ذلك في سورة البقرة فقال مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ماحوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لايبصرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون وقال

طائفة من السلف عرفوا ثم أنكروا وأبصروا ثم عموا

فمن هؤلاء من كان يؤمن أولا ايمانا مجملا ثم يأتي أمورا يؤمن بها فينافق في الباطن وما يمكنه اظهار الردة بل يتكلم بالنفاق مع خاصته وهذا كما ذكر الله عنهم في الجهاد فقال واذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم طاعة وقول معروف فاذا عزم الأمر ولو صدقوا الله لكان خيرا لهم

وبالجملة ولا يمكن المنازعة ان الايمان الذي أوجبه الله يتباين فيه أحوال الناس ويتفاضلون في ايمانهم ودينهم بحسب ذلك ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في النساء ناقصات عقل ودين وقال في نقصان دينهن انها اذا حاضت لا تصوم ولا تصلي وهذا مما أمر الله به فليس هذا النقص ذنبا لها تعاقب عليه لكن هو نقص حيث لم تؤمر بالعبادة في هذا الحال والرجل كامل حيث أمر بالعبادة في كل حال فدل ذلك على ان من أمر بطاعة ففعلها كان أفضل ممن لم يؤمر بها وان لم يكن عاصيا فهذا أفضل دينا وايمانا وهذا المفضول ليس بمعاقب ومذموم فهذه زيادة كزيادة الايمان بالتطوعات لكن هذه زيادة بواجب في حق شخص وليس بواجب في حق شخص غيره فهذه الزيادة لو تركها هذا لاستحق العقاب بتركها وذاك لا يستحق العقاب بتركها ولكن ايمان ذلك أكمل قال النبي صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا

فهذا يبين تفاضل الايمان في نفس الأمر به وفي نفس الاخبار

التي يجب التصديق بها والنوع الثاني وهو تفاضل الناس في الاتيان به مع استوائهم في الواجب وهذا هو الذي يظن أنه محل النزاع وكلاهما محل النزاع وهذا أيضا يتفاضلون فيه فليس ايمان السارق والزاني والشارب كايمان غيرهم ولا ايمان من أدى الواجبات كايمان من أخل ببعضها كما انه ليس دين هذا وبره وتقواه مثل دين هذا وبره وتقواه بل هذا أفضل دينا وبرا وتقوى فهو كذلك أفضل ايمانا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا وقد يجتمع في العبد ايمان ونفاق كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا اؤتمن خان واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر

وأصل هؤلاء ان الايمان لا يتبعض ولا يتفاضل بل هو شيء واحد يستوي فيه جميع العباد فيما أوجبه الرب من الايمان وفيما يفعله العبد من الاعمال فغلطوا في هذا وهذا ثم تفرقوا كما تقدم

وصارت المرجئة على ثلاثة أقوال فعلماؤهم وأئمتهم أحسنهم قولا وهو ان قالوا الايمان تصديق القلب وقول اللسان

وقالت الجهمية هو تصديق القلب فقط فمن تكلم به فهو مؤمن كامل الايمان لكن ان كان مقرًّا بقلبه كان من أهل الجنة وان كان مكذبا بقلبه كان منافقا مؤمنا من أهل النار

﴿وهذا القول هو الذي انفردت به الكرامية وابتدعوه﴾ ولم يسبقها

أحد الي هذا القول وهو آخر ماأحدث من الاقوال في الايمان وبعض الناس يحكي عنهم ان من تكلم به بلسانه دون قلبه فهو من أهل الجنة وهو غلط عليهم بل يقولون انه مؤمن كامل الايمان وانه من أهل النار ويلزمهم ان يكون المؤمن الكامل الايمان معذباً في النار بل يكون مخلداً فيها

وقد تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان وان قالوا لايخلد وهو منافق لزمهم أن يكون المنافقون يخرجون من النار والمنافقون قد قال الله فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا

وقد نهى الله نبيه عن الصلاة عليهم والاستغفار لهم وقال له استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وقال ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون وقد أخبر انهم كفروا بالله ورسوله فان قالوا هؤلاء فقد كانوا يتكلمون بألسنتهم سراً فكفروا بذلك وانما يكون مؤمناً اذا تكلم بلسانه ولم يتكلم بما ينقضه فان ذلك ردة عن الايمان قيل لهم ولو أضمروا النفاق ولم يتكلموا به كانوا منافقين قال تعالي يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ماتحذرون وأيضاً قد أخبر الله عنهم أنهم يقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم وانهم كاذبون فقال تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين وقال تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الاسلام علانية والايمان فى القلب وقد قال الله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم وفى الصحيحين عن سعد ان النبي صلى الله عليه وسلم أعطي رجالا ولم يعط رجلا فقلت يارسول الله أعطيت فلانا وفلانا وتركت فلانا وهو مؤمن فقال أو مسلم مرتين أو ثلاثا وبسط الكلام في هذا له مواضع أخر وقد صنفت فى ذلك مجلداً غير ماصنفت فيه غير ذلك

وكلام الناس فى هذا الاسم ومسماه كثير لأنه قطب الدين الذى يدور عليه وليس فى القول اسم علق به السعادة والشقاء والمدح والذم والثواب والعقاب أعظم من اسم الايمان والكفر ولهذا سمى هذا الاصل مسائل الاسماء والاحكام وقد رأيت لابن الهيصم فيه مصنفاً فى أنه قول اللسان فقط ورأيت لابن الباقلانى فيه مصنفاً أنه تصديق القلب فقط وكلاهما في عصر واحد وكلاهما رد على المعتزلة والرافضة

﴿ والمقصود هنا ان السلف كان اعتصامهم بالقرآن والايمان ﴾

فلما حدث في الامة ماحدث من التفرق والاختلاف صار أهل التفرق والاختلاف شيعاً صار هؤلاء عمدتهم فى الباطن ليست على القرآن والايمان ولكن على أصول ابتدعها شيوخهم عليها يعتمدون فى التوحيد والصفات والقدر والايمان بالرسول وغير ذلك ثم ماظنوا أنه يوافقها من القرآن احتجوا به وما خالفها تأولوه فلهذا تجدهم اذا احتجوا بالقرآن والحديث لم يعتنوا بتحرير دلالتهما ولم يستقصوا مافى القرآن

من ذلك المعنى اذ كان اعتمادهم فى نفس الامر الي غير ذلك والآيات التى تخالفهم شرعون فى تأويلها شروع من قصد ردها كيف أمكن ليس مقصوده ان يفهم مراد الرسول بل ان يدفع منازعه عن الاحتجاج بها

ولهذا قال كثير منهم كأبى الحسين البصرى ومن تبعه كالرازى والآمدى وابن الحاجب ان الامة اذا اختلفت فى تأويل الآية على قولين جاز لمن بعدهم احداث قول ثالث بخلاف ما اذا اختلفوا فى الاحكام على قولين جوزوا ان تكون الامة مجتمعة على الضلال فى تفسير القرآن والحديث وان يكون الله أنزل الآية وأراد بها معنى لم يفهمه الصحابة والتابعون ولكن قالوا ان الله أراد معنى آخر وهم لو تصوروا هذه المقالة لم يقولوا هذا فان أصلهم أن الأمة لا تجتمع على ضلالة ولا يقولون قولين كلاهما خطأ والصواب قول ثالث لم يقولوه لكن قد اعتادوا ان يتأولوا ما خالفهم والتأويل عندهم مقصوده بيان احتمال في لفظ الآية يجوز ان يراد ذلك المعنى بذلك اللفظ ولم يستشعروا أن المتأول هو مبين لمراد الآية مخبر عن الله تعالى أنه أراد هذا المعنى اذا حملها على معنى وكذلك اذا قال يجوز أن يراد بها هذا المعنى والامة قبله لم يقولوا أريد بها الا هذا أو هذا فقد جوزوا أن يكون ما أراده الله لم يخبر به الامة وأخبرت أن مراده غير ما أراده لكن الذى قاله هؤلاء يتمشى اذا كان التأويل أنه يجوز أن يراد هذا المعنى من غير حكم بانه مراد وتكون الامه قبلهم كلها كانت جاهلة بمراد الله ضالة عن

معروفة وانقرض عصر الصحابة والتابعين وهم لم يعلموا الآية ولكن طائفة قالت يجوز أن يريد هذا المعنى وطائفة قالت يجوز أن يريد هذا المعنى وليس فيهم من علم المراد فجاء الثالث وقال هنا معنى يجوز ان يكون هو المراد فاذا كانت الأمة من الجهل بمعانى القرآن والضلال عن مراد الرب بهذه الحال بوجه ماقالوه وبسط هذا له موضع آخر

والمقصود ان كثيراً من المتأخرين لم يصيروا يعتمدون فى دينهم لاعلى القرآن ولا على الايمان الذى جاء به الرسول بخلاف السلف فلهذا كان السلف أكمل علماً وإيماناً وخطؤهم أخف وصوابهم أكثر كما قدمناه وكان الاصل الذى أسسوه هو ماأمرهم الله به فى قوله ياأيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم فان هذا أمر للمؤمنين بما وصف به الملائكة كما قال تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم مابين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين فوصفهم سبحانه بأنهم لا يسبقونه بالقول وانهم بأمره يعملون فلا يخبرون عن شئ من صفاته ولا غير صفاته الا بعد أن يخبر سبحانه بما يخبر به فيكون خبرهم وقولهم تبعاً لخبره وقوله كما قال لا يسبقونه بالقول وأعمالهم تابعة لأمره فلا يعملون الا ماأمرهم هو أن يعملوا به فهم مطيعون لأمره سبحانه وقد وصف سبحانه بذلك ملائكة النار فقال قوا أنفسكم وأهليكم ناراً

وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وقد ظن بعضهم ان هذا توكيد وقال بعضهم بل لا يعصونه في الماضي ويفعلون ما أمروا به في المستقبل وأحسن من هذا وهذا أن العاصي هو الممتنع من طاعة الامر مع قدرته على الامتثال فلو لم يفعل ما أمر به لعجزه لم يكن عاصياً فاذا قال لا يعصون الله ما أمرهم لم يكن في هذا بيان انهم يفعلون ما يؤمرون فان العاجز ليس بعاص ولا فاعل لما أمر به فقال ويفعلون مايؤمرون ليبين أنهم قادرون على فعل ما أمروا به فهم لا يتركونه لاعجزاً ولا معصية والمأمور انما يترك ماأمر به لأحد هذين اما أن لا يكون قادراً واما أن يكون عاصياً لايريد الطاعة فاذا كان مطيعاً يريد طاعة الأمر وهو قادر وجب وجود فعل ماأمر به فكذلك الملائكة المذكورون لا يعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون وقد وصف الملائكة بأنهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم مابين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين

فالملائكة مصدقون لخبر ربهم مطيعون لأمره ولا يخبرون حتى يخبر ولا يعملون حتى يأمر كما قال تعالى لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وقد أمر الله المؤمنين أن يكونوا مع الله ورسوله كذلك فان البشر لم يسمعوا كلام الله منه بل بينهم وبينه رسول من البشر فعليهم أن لا يقولوا حتى يقول الرسول ما نعهم عن الله ولا يعملون الا بما

أمرهم به كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم

قال مجاهد لاتفتاتوا عليه بشئ حتى يقضيه الله على لسانه تقدموا معناه تتقدموا وهو فعل لازم وقد قرئ تقدموا يقال قدم وتقدم كما يقال بين وتبين وقد يستعمل قدم متعديا أى قدم غيره لكن هذا هو فعل لازم فلا تقدموا معناه لاتتقدموا بين يدى الله ورسوله

فعلى كل مؤمن أن لايتكلم في شئ من الدين الا تبعاً لما جاء به الرسول ولا يتقدم بين يديه بل ينظر ماقال فيكون قوله تبعاً لقوله وعلمه تبعاً لامره فهكذا كان الصحابة ومن سلك سبيلهم من التابعين لهم باحسان وأئمة المسلمين فلهذا لم يكن أحد منهم يعارض النصوص بمعقوله ولا يؤسس ديناً غير ما جاء به الرسول واذا أراد معرفة شئ من الدين والكلام فيه نظر فيما قاله الله والرسول فمنه يتعلم وبه يتكلم وفيه ينظر ويتفكر وبه يستدل فهذا أصل أهل السنة وأهل البدع لايجعلون اعتمادهم فى الباطن ونقد الامر على ماتلقوه عن الرسول بل على مارأوه أو ذاقوه ثم ان وجدوا السنة توافقه والا لم يبالوا بذلك فاذا وجدوها تخالفه أعرضوا عنها تفويضاً أو حرفوها تأويلا

فهذا هو الفرقان بين أهل الايمان والسنة وأهل النفاق والبدعة وان كان هؤلاء لهم من الايمان نصيب وافر من اتباع السنة لكن فيهم من النفاق والبدعة بحسب ماتقدموا فيه بين يدى الله ورسوله وخالفوا الله ورسوله ثم ان لم يعلموا ان ذلك يخالف الرسول ولو علموا

لما قالوه لم يكونوا مؤمنين بل أقصى الأمان مبتدعين وحظوهم مغمور هم لا يعلمون علمه وان نقصوا به

﴿ وصل ﴾ وكل من خالف ماجاء به الرسول لم يكن عنده علم بذلك ولا عدل بل لا يكون عنده الا جهل وظلم وظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى وذلك لان ماأخبر به الرسول فهو حق باطنا وظاهرا فلا يمكن أن يتصور أن يكون الحق في نقيضه وحينئذ فمن اعتقد نقيضه كان اعتقاده باطلا والاعتقاد الباطل لا يكون علما وما أمر به الرسول فهو عدل لاظلم فيه فمن نهي عنه فهو نهى عن العدل ومن أمر بضده فقد أمر بالظلم فان ضد العدل الظلم فلا يكون مايخالفه الا جهلا وظلما ظنا وما تهوى الانفس وهو لايخرج عن قسمين أحسنهما أن يكون كان شرعا لبعض الانبياء ثم نسخ وأدناها أن يكون ماشرع قط بل يكون من المبدل فكل ماخالف حكم الله ورسوله فاما شرع منسوخ واما شرع مبدل ماشرعه الله بل شرعه شارع بغير اذن من الله كما قال أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله لكن هذا وهذا قد يقعان في خفي الامور ودقيقها باجتهاد من أصحابها استفرغوا فيه وسعهم في طلب الحق ويكون لهم من الصواب والاتباع مايغمر ذلك كما وقع مثل ذلك من بعض الصحابة في مسائل الطلاق والفرائض ونحو ذلك ولم يكن منهم مثل هذا في جلي الامور وجليلها لان بيان هذا من الرسول كان ظاهرا بينهم فلا يخالفه الا من يخالف الرسول وهم معصومون بفضل الله يحكمون الرسول فيما شجر بينهم لا يتقدمون

بين هدى الله ورسوله فضلا عن تعمد مخالفة الله ورسوله

واما طال الزمان خفي على كثير من الناس ماكان ظاهرا لهم ودق على كثير من الناس ماكان جليا لهم فكثر من المتأخرين مخالفة الكتاب والسنة مالم يكن مثل هذا في السلف

وان كانوا مع هذا مجتهدين معذورين يغفر الله لهم خطاياهم ويثيبهم على اجتهادهم

وقد يكون لهم من الحسنات مايكون للعامل منهم أجر خمسين رجلا يعملها في ذلك الزمان لانهم كانوا يجدون من يعينهم على ذلك وهؤلاء المتأخرون لم يجدوا من يعينهم على ذلك لكن تضعيف الاجر لهم في أمور لم يضعف للصحابة لايلزم ان يكونوا أفضل من الصحابة ولا يكون فاضلهم كفاضل الصحابة فان الذي سبق اليه الصحابة من الايمان والجهاد ومعاداة أهل الارض في موالاة الرسول وتصديقه وطاعته فيما يخبر به ويوجبه قبل أن تنتشر دعوته وتظهر كلمته وتكثر أعوانه وأنصاره وتنتشر دلائل نبوته بل مع قلة المؤمنين وكثرة الكافرين والمنافقين وانفاق المؤمنين أموالهم في سبيل الله ابتغاء وجهه في مثل تلك الحال أمر ماينبغي يحصل مثله لاحد كما في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا مابلغ مد أحدهم ولا نصيفه

وقد استفاضت النصوص الصحيحة عنه انه قال

خير القرون قرني الذين بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم

لحملة القرن الاول أفضل من القرن الثاني والثاني أفضل من الثالث والثالث أفضل من الرابع لكن قد يكون في الرابع من هو أفضل من بعض الثالث وكذلك في الثالث مع الثاني وهل يكون فيمن بعد الصحابة من هو افضل من بعض الصحابة المفضولين لا الفاضلين هذا فيه نزاع وفيه قولان حكاهما القاضي عياض وغيره ومن الناس من يفرضها في مثل معاوية وعمر بن عبد العزيز فان معاوية له مزية الصحبة والجهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم وعمر له مزية فضيلته من العدل والزهد والخوف من الله تعالى وبسط هذا له موضع آخر

والمقصود هنا ان من خالف الرسول فلا بد وأن يتبع الظن وما تهوي الانفس كما قال تعالى في المشركين الذين يعبدون اللات والعزى ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى

وقال في الذين يخبرون عن الملائكة انهم اناث ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى وهم جعلوهم اناثا كما قال وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وفي القراءة الاخرى عند الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون وهؤلاء قال عنهم ان يتبعون الا الظن لانه خبر محض ليس فيه عمل وهناك وما تهوى الانفس لانهم كانوا يعبدونها ويدعونها فهناك عبادة وعمل بهوى أنفسهم

فقال ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس * والذي جاء به الرسول كما قال والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوي وكل من خالف الرسول لا يخرج عن الظن وما تهوى الانفس فان كان ممن اعتقدما قاله وله فيه حجة يستدل بها كان غايته الظن الذي لا يغنى من الحق شيأ كاحتجاجهم بقياس فاسد أو نقل كاذب أو خطاب ألقى اليهم اعتقدوا انه من الله وكان من القاء الشيطان

وهذه الثلاثة هي عمدة من يخالف السنة بما رآه حجة ودليلا اما أن يحتج بأدلة عقلية ويظنها برهانا وأدلة قطعية وتكون شبهات فاسدة مركبة من ألفاظ مجملة ومعاني متشابهة لم يميز بين حقها وباطلها كما يوجد مثل ذلك في حجج ما يحتج به من خالف الكتاب والسنة انما تركب حججه من الفاظ متشابهة فاذا وقع الاستفسار والتفصيل تبين الحق من الباطل وهذه هي الحجج العقلية وان تمسك المبطل بحجج سمعية فاما أن تكون كذبا على الرسول أو تكون غير دالة على ما احتج بها أهل الباطل فانه اما في الاسناد واما في المتن ودلالته على ما ذكر وهذه الحجة السمعية هذه حجج أهل العلم الظاهر *

وأما حجج أهل الذوق والوجد والمكاشفة والمخاطبة فان أهل الحق من هؤلاء لهم (خطاب صحيحة) مطابقة كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قد كان في الامم قبلكم محدثون فان يكن في أمتي أحد فعمر وكان عمر يقول اقتربوا من أفواه المطيعين واسمعوا

منهم مايقولون فانها تجلى لهم أمور صادقه * وفي الترمذى عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ثم قرأ قوله ان في ذلك لآيات للمتوسمين * وقال بعض الصحابة أظنه والله للحق يقذفه الله على قلوبهم وأسماعهم * وفي صحيح البخارى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التي يمشى بها * وفي رواية فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي فقد أخبر انه يسمع بالحق ويبصره

وكانوا يقولون ان السكينة تنطق على لسان عمر رضى الله عنه * وقال صلى الله عليه وسلم من سأل القضاء واستعان عليه وكل اليه ومن لم يسأله ولم يستعن عليه أنزل الله عليه ملكا يسدده وقال الله تعالى نور على نور الايمان مع نور القرآن * وقال تعالى أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه وهو المؤمن على بينة من ربه ويتبعه شاهد من الله * وهو القرآن شهد الله في القرآن بمثل ماعليه المؤمن من بينة الايمان وهذا القدر مما أقر به حذاق النظار لما تكلموا في وجوب النظر وتحصيله للعلم فقيل لهم أهل التصفية والرياضة والعبادة والتأله يحصل لهم المعارف والعلوم اليقينية بدون النظر كما قال الشيخ الملقب بالكبرى (بالرازى) ورفيقه وقد قالا له يا شيخ بلغنا أنك تعلم علم اليقين فقال نعم فقالا كيف تعلم ونحن نتناظر في زمان طويل كلما ذكر شيأ أفسده وكلما ذكرت شيأ أفسده فقال هو واردات ترد على النفوس تعجز

النفوس عن ردها فجعلا يعجبان من ذلك ويكرران الكلام وطلب أحدهما أن يحصل له هذه الواردات فعلمه الشيخ وأدبه حتى حصلت له وكان من المعتزلة الغلاة

فبين له ان الحق مع أهل الاثبات وان الله سبحانه فوق سمواته وعلم ذلك بالضرورة رأيت هذه الحكاية بخط القاضي نجم الدين أحمد ابن محمد بن خلف المقدسي وذكر ان الشيخ الكبري حكاها له وكان قد حدثني بها غير واحد حتى رأيتها بخطه وكلام المشايخ في مثل هذا كثير وهذا الوصف الذي ذكره الشيخ جواب لهم بحسب مايعرفون فانهم قد قسموا العلم الى ضروري ونظري والنظري مستند الى الضروري والضروري هو العلم الذي يلزم نفس المخلوق لزوما لايمكنه معه الانفكاك عنه هذا حد القاضي أبي بكر الطيب وغيره فخاصته انه يلزم النفس لزوما لايمكن مع ذلك دفعه فقال لهم علم اليقين عندنا هو من هذا الجنس وهو علم يلزم النفس لزوما لايمكنه مع ذلك الانفكاك عنه وقال واردات لانه يحصل مع العلم طمأنينة وسكينة توجب العمل به فالواردات تحصل بهذا وهذا وهذا قد أقر به كثير من حذاق النظار متقدميهم كالكيا الهراسي والغزالي وغيرهما ومتأخريهم كالرازي والآمدي وقالوا نحن لاننكر أن يحصل للناس علم ضروري عما يحصل لنا بالنظر هذا لابد منه لكن ان لم يكن علما ضروريا فلابد له من دليل والدليل يكون مستلزما للمدلول عليه بحيث يلزم من انتفاء الدليل انتفاء المدلول عليه قالوا فان كان له دفع ذلك الاعتقاد

الذي حصل له لزم دفع شيء مما يعلم بالضرورة فهذا هو الدليل وان لم يكن كذلك فهذا هوس لا يلتفت اليه وبسط هذا له موضع آخر

والمقصود ان هذا الحس واقع لكن يقع أيضا ما يظن انه منه كثير أولا يميز كثير منهم الحق من الباطل كما يقع في الادلة العقلية والسمعية فمن هؤلاء من يسمع خطابا او يرى من يأمره بقضية ويكون ذلك خطابا من الشيطان ويكون ذلك الذي يخاطبه الشيطان وهو يحسب أنه من أولياء الله من رجال الغيب

ورجال الغيب هم الجن وهو يحسب انه انسي وقد يقول له أنا الخضر أو الناس بل أنا محمد أو ابراهيم الخليل أو المسيح أو أبو بكر أو عمر أو أنا الشيخ فلان أو الشيخ فلان ممن يحسن بهم الظن وقد يطير به في الهواء أو يأتيه بطعام أو شراب أو نفقة فيظن هذا كرامة بل آية ومعجزة تدل على ان هذا من رجال الغيب أو من الملائكة ويكون ذلك شيطانا لبس عليه فهذا ومثله واقع كثيرا أعرف منه وقائع كثيرة كما أعرف من الغلط في السمعيات والعقليات فهؤلاء يتبعون ظنا لا يغني من الحق شيأ ولو لم يتقدموا بين يدي الله ورسوله بل اعتصموا بالكتاب والسنة لتبين لهم ان هذا من الشيطان وكثير من هؤلاء يتبع ذوقه ووجده وما يجده محبوبا اليه بغير علم ولا هدى ولا بصيرة فيكون متبعا لهواه بلا ظن وخيارهم من يتبع الظن وما تهوى الأنفس وهؤلاء اذا طلب من أحدهم حجة ذكر تقليده لمن يحسن به الظن من آبائه وأسلافه كقول المشركين انا وجدنا آباءنا على أمة وانا

على آثارهم مقتدون وان عكسوا احتجوا بالقدر وهو ان الله أراد هذا وسلطنا عليه فهم يعملون بهواهم وارادة هوسهم بحسب قدرتهم كالملوك السلاطين وكان الواجب عليهم أن يعملوا بما أمر الله فيتبعون أمر الله وما يحبه ويرضاه لا يتبعون ارادتهم وما يحبونه هم ويرضونه وأن يستعينوا بالله ويقولون اياك نعبد واياك نستعين لا حول ولا قوة الا بالله لا يعتمدون على ماأوتوه من القوة والتصرف والحال فان هذا من الجد وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول عقب الصلاة وفي الاعتدال بعد الركوع اللهم لامانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد

فالذوق والوجد هو يرجع الى حب الانسان ووجده بحلاوته وذوقه وطعمه وكل صاحب محبة فله في محبوبه ذوق ووجد فان لم يكن ذلك بسلطان من الله وهو ما أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم كان صاحبه متبعا لهواه بغير هدى وقد قال الله تعالى ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله وقال تعالى ومالكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ماحرم عليكم الا مااضطررتم اليه وان كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم ان ربك هو أعلم بالمعتدين

وكذلك من اتبع مايرد عليه من الخطاب أو مايراه من الانوار والاشخاص الغيبية ولا يعتبر ذلك بالكتاب والسنة فانما يتبع ظنا لا يغني من الحق شيأ

فليس في المحدثين الملهمين أفضل من عمر كما قال صلى الله عليه

وسلم انه قد كان فى الامم قبلكم محدثون فان يكن في أمتي منهم أحد فعمر منهم وقد وافق عمر ربه فى عدة أشياء ومع هذا فكان عليه أن يعتصم بما جاء به الرسول ولا يقبل مايرد عليه حتي يعرضه علي الرسول ولا يتقدم بين يدى الله ورسوله بل يجعل ماورد عليه وكان اذا تبين له من ذلك أشياء خلاف ما وقع له فيرجع الى السنة وكان أبو بكر يبين له أشياء خفيت عليه فيرجع الى بيان الصديق وارشاده وتعليمه كما جرى يوم الحديبية ويوم مات الرسول ويوم ناظره من مانع الزكاة وغير ذلك وكانت المرأة ترد عليه مايقوله وتذكر الحجة من القرآن فيرجع اليها كما جرى فى مهور النساء ومثل هذا كثير

فكل من كان من أهل الالهام والخطاب والمكاشفة لم يكن أفضل من عمر فعليه أن يسلك سبيله فى الاعتصام بالكتاب والسنة تبعا لما جاء به الرسول لايجعل ماجاء به الرسول تبعا لما ورد عليه وهؤلاء الذين أخطؤا وضلوا وتركوا ذلك واستغنوا بما ورد عليهم وظنوا ان ذلك يغنيهم عن اتباع العلم المنقول

وصار أحدهم يقول أخذوا علمهم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحى الذى لايموت فيقال له أما ما نقله الثقات عن المعصوم فهو حق ولولا النقل المعصوم لكنت أنت وأمثالك اما من المشركين واما من اليهود والنصاري وأما ماورد عليك فمن أين لك انه وحي من الله ومن أين لك انه ليس من وحى الشيطان

والوحى وحيان وحى من الرحمن ووحي من الشيطان قال تعالى

وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وقال تعالي وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الي بعض زخرف القول غرورا وقال تعالي هل أنبئكم على من تنزل الشياطين وقد كان المختار بن أبي عبيد من هذا الضرب حتى قيل لابن عمر وابن عباس قيل لاحدهما انه يقول انه يوحي اليه فقال وان الشياطين ليوحون الي أوليائهم ليجادلوكم وقيل للآخر انه يقول انه ينزل عليه فقال هل أنبئكم على من تنزل الشياطين فهؤلاء يحتاجون الى الفرقان الايماني القرآني النبوي الشرعي أعظم من حاجة غيرهم وهؤلاء لهم حسيات يرونها ويسمعونها والحسيات يضطر اليها الانسان بغير اختياره كما قد يرى الانسان اشياء ويسمع أشياء بغير اختياره كما ان النظار لهم قياس ومعقول وأهل السمع لهم أخبار منقولات وهذه الانواع الثلاثة هى طرق العلم الحس والخبر والنظر وكل انسان من هذه الثلاثة في بعض الامور لكن يكون بعض الانواع أغلب علي بعض الناس فى الدين وغير الدين كالطب فانه تجربات وقياسات وأهله منهم من يغلب عليه التجربة ومنهم من يغلب عليه القياس والقياس اصله التجربة والتجربة لابد فيها من قياس لكن مثل قياس العادات لا تعرف فيه العلة والمناسبة وصاحب القياس من يستخرج العلة المناسبة ويعلق الحكم بها والعقل خاصة القياس والاعتبار والقضايا الكلية فلا بد له من الحسيات التي هي الاصل ليعتبر بها والحس ان لم يكن مع صاحبه عقل والا فقد يغلط

والناس يقولون غلط الحس والغلط تارة من الحس وتارة من صاحبه فان الحس يرى أمرا معينا ويظن صاحبه فيه شيأ آخر فيؤتى من ظنه فلا بد له من العقل

ولهذا النائم يرى شيأ وتلك الامور لها وجود وتحقيق ولكن هى خيالات وأمثلة فلما غرب ظنها الرائي نفس الحقائق كالذى يرى نفسه فى مكان آخر يكلم أمواتا ويكلمونه ويفعل أمورا كثيرة وهو في النوم يجزم بانه نفسه الذى يقول ويفعل لان عقله عزب عنه وتلك الصورة التي رآها مثال صورته وخيالها لكن غاب عقله عن نفسه حتى ظن ان ذلك المثال هو نفسه فلما ثاب اليه عقله علم ان ذلك خيالات وامثالات ومن الناس من لا يغيب عقله بل يعلم في المنام أن ذلك في المنام وهذا كالذى يرى صورته فى المرآة أو صورة غيره فاذا كان ضعيف العقل ظن أن تلك الصورة هي الشخص حتى انه يفعل به ما يفعل بالشخص وهذا يقع للصبيان والبله كما يخيل لاحدهم في الضوء شخص يتحرك ويصعد وينزل فيظنونه شخصا حقيقة ولا يعلمون انه خيال فالحس أحس صحيحا لم يغلط لكن معه عقل لم يميز بين هذا العين والمثال فان العقل قد عقل قبل هذا أن مثل هذا يكون مثالا وقد عقل لوازم الشخص بعينه وانه لايكون في الهواء ولافى المرآة ولايكون بدنه في غير مكانه وأن الجسم الواحد لايكون في مكانين

وهؤلاء الذين لهم مكاشفات ومخاطبات يرون ويسمعون ماله وجود فى الخارج ومالا يكون موجوداً الا فى أنفسهم كحال النائم وهذا يعرفه

كل أحد ولكن قد يرون في الخارج أشخاصاً يراها عياناً وما في خيال الانسان لا يراه غيره ويخاطبهم أولئك الأشخاص ويحملونهم ويذهبون بهم الى عرفات فيقفون بها واما الى غير عرفات ويأتونهم بذهب وفضة وطعام ولباس وسلاح وغير ذلك يخرجون الى الناس ويأتونهم أيضاً بمن يطلبونه مثل من يكون له ارادة في امرأة أو صبي فيأتونه بذلك اما محمولاً في الهواء واما بسعي شديد ويخبر أنه وجد في نفسه من الباعث القوي ما لم يمكنه المقام معه أو يخبر أنه سمع خطابا وقد يقتلون له من يريد قتله من أعدائه أو يمرضونه فهذا كله موجود كثيراً لكن من الناس من يعلم ان هذا من الشيطان وأنه من السحر وان ذلك حصل مما قاله ويعلمه من السحر ومنهم من يعلم أن ذلك من الجن ويقول هذا كرامة أكرمنا بتسخير الجن لنا ومنهم من لا يظن أولئك الاشخاص الا آدميين أو ملائكة فان كانوا غير معروفين قال هؤلاء رجال الغيب وان يسموا قالوا هذا هو الخضر وهذا هو الياس وهذا هو أبو بكر وعمر وهذا هو الشيخ عبد القادر أو الشيخ عدي أو الشيخ أحمد الرفاعي أو غير ذلك ظن أن الامر كذلك فهذا لم يغلط لكن غلط عقله حيث لم يعرف ان هذه شياطين تمثلت على صور هؤلاء وكثير من هؤلاء يظن أن النبي صلى الله عليه وسلم نفسه أو غيره من الأنبياء أو الصالحين يأتيه في اليقظة ومن يرى ذلك عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم أو الشيخ وهو صادق في أنه اياه من قال انه النبي أو الشيخ أو قيل له ذلك فيه لكن غلط حيث ظن صدق أولئك والذي له عقل وعلم يعلم ان هذا ليس هو النبي صلى الله عليه وسلم تارة لما يراه

منهم من مخالفة الشرع مثل أن يأمروه بما يخالف أمر الله ورسوله وتارة يعلمه أن النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يأتي أحداً من أصحابه بعد موته في اليقظة ولا كان يخاطبهم من قبره فكيف يكون هذا لي وتارة يعلم أن الميت لم يقم من قبره وأن روحه في الجنة لا تصير في الدنيا هكذا وهذا يقع كثيراً لكثير من هؤلاء ويسمون تلك الصورة رفيقة فلان وقد يقولون هو معناه تشكل وقد يقولون روحانيته ومن هؤلاء من يقول اذا مت فلا تدعوا أحداً يغسلني ولا فلانا يحضرني فاني أنا أغسل نفسي فاذا مات رأوه قد جاء وغسل ذلك البدن ويكون ذلك جنياً قد قال لهذا الميت انك تجيء بعد الموت واعتقد ذلك حقاً فانه كان في حياته يقول له أموراً وغرض الشيطان أن يضل أصحابه وأما بلاد المشركين كالهند فهذا كثيراً ما يرون الميت بعد موته جاء وفتح حانوته ورد ودائع وقضى ديونا ودخل الى منزله ثم ذهب وهم لا يشكون أنه الشخص نفسه وانما هو شيطان تصور في صورته

(ومن هؤلاء) من يكون في جنازة أبيه أو غيره والميت على سريره وهو يراه آخذاً يمشي مع الناس بعد انه وأنه قد حمل شيئاً بعد أبيه فلا يشك انه أن أباه نفسه هو كان الماشي معه الذي رآه هو دون غيره وانما كان شيطانا ويكون مثل هذا الشيطان قد سمى نفسه خالداً وغير خالد وقال لهم انه من رجال الغيب وهم يعتقدون أنه من الانس الصالحين ويسمونه خالداً الغيبي وينسبون الشيخ اليه ويقولون محمداً الخالدي ونحو ذلك

﴿ فإن الجن مأمورون ومنهيون ﴾ كالانس وقد بعث الله الرسل من الانس اليهم والى الانس وأمر الجميع بطاعة الرسل كما قال تعالي يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم انهم كانوا كافرين وهذا بعد قوله ويوم يحشرهم جميعاً يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ماشاء الله * قال غير واحد من السلف أى كثير من أغويتم من الانس وأضللتموهم قال البغوى قال بعضهم استمتاع الانس بالجن ما كانوا يلقون لهم من الاراجيف والسحر والكهانة وتزيينهم لهم الأمور التي يهوونها ويسهل سبيلها عليهم واستمتاع الجن بالانس طاعة الانس لهم فيما يزينون لهم من الضلالة والمعاصى قال محمد بن كعب هو طاعة بعضهم لبعض وموافقة بعضهم بعضاً وذكر ابن أبى حاتم عن الحسن البصري قال ما كان استمتاع بعضهم ببعض الا أن الجن أمرت وعملت الانس * وعن محمد بن كعب قال هو الصحابة في الدنيا وقال ابن السائب استمتاع الانس بالجن استعاذتهم بهم واستمتاع الجن بالانس ان قالوا قد أسرنا الانس مع الجن حتى عاذوا بنا فيزدادون شرفا في أنفسهم وعظماً فى نفوسهم وهذا كقوله وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا * قلت الاستمتاع بالشئ هو ان يتمتع به ينال به مايطلبه ويريده ويهواه ويدخل فى ذلك استمتاع الرجال بالنساء

بعضهم ببعض كما قال فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ومن ذلك الفواحش كاستمتاع الذكور بالذكور والاناث بالاناث

ويدخل في هذا الاستمتاع بالاستخدام وأئمة الرياسة كما تمتع الملوك والسادة بجنودهم ومماليكهم ويدخل في ذلك الاستمتاع بالاموال كاللباس ومنه قوله ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره وكان من السلف من يمتع المرأة بخادم فهي تستمتع بخدمته ومنهم من يمتع بكسوة أو نفقة ولهذا قال الفقهاء أعلى المتعة خادم وأدناها كسوة يجزى فيها الصلاة

وفي الجملة استمتاع الانس بالجن والجن بالانس يشبه استمتاع الانس بالانس قال الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقال تعالى وتقطعت بهم الاسباب قال مجاهد هي المودات التي كانت لغير الله وقال الخليل انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً وقال تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه فالمشرك يعبد مايهواه واتباع الهوى هو استمتاع من صاحبه بما يهواه وقد وقع في الانس والجن هذا كله

وتارة يخدم هؤلاء لهؤلاء في أغراضهم وهؤلاء لهؤلاء في أغراضهم فالجن تأتيه بما يريد من صورة أومال أوقتل عدوه والانس تطيع الجن فتارة يسجد له وتارة يسجد لما يأمره بالسجود له وتارة يمكنه من نفسه فيفعل به الفاحشة وكذلك الجنيات منهن من يريد من الانس الذي يخدمه مايريد نساء الانس من الرجال وهذا كثير في رجال الجن

و اسائهم فكثير من رجالهم يقال من اسماء الانس ما ساله الانسى وقد يفعل ذلك بالذكران

﴿ وصرع الجن للانس هو لأسباب ثلاثة ﴾ تارة يكون الجني يحب المصروع فيصرعه ليتمتع به وهذا الصرع يكون أرفق من غيره وأسهل وتارة يكون الانسى آذاهم اذا بال عليهم أو صب عليهم ماء حاراً أو يكون قتل بعضهم أو غير ذلك من أنواع الاذى هـذا أشد الصرع وكثيراً مايقتلون المصروع وتارة يكون بطريق العبث به كما يعبث سفهاء الانس بابناء السبيل

ومن استمتاع الانس بالجن استخدامهم فى الاخبار بالامور الغائبة كما يخبر الكهان فان فى الانس من له غرض في هـذا لما يحصل به من الرياسة والمال وغير ذلك فان كان القوم كفاراً كما كانت العرب لم تبال بأن يقال انه كاهن كما كان العرب كهانا وقدم النبى صلى الله عليـه وسلم المدينة وفيها كهان وكان المنافقون يطلبون التحاكم الى الكهان وكان أبو أبرق الاسلمي أحد الكهان قبل أن يسلم وان كان القوم مسلمين لم تظهر أنه كاهن بل يجعـل ذلك من باب الكرامات وهو من جنس الكهان فانه لايخدم الانسى بهذه الاخبار الا لما يستمتع به من الانسى بان يطيعه الانسى فى بعض مايريده اما في شرك واما فى فاحشة واما في أكل حرام واما في قتل نفس بغير حق فالشياطين لهم غرض فيما نهى الله عنه من الكفر والفسوق والعصيان ولهم لذة في الشر والفتن يحبون ذلك وان لم يكن فيه منفعة لهم وهم يقولون بأمر السارق أن يسرق ويذهب الى

أهل المال فيقولون فلان سرق متاعكم ولهذا قال القوة الملكية والبهيمية والسبعية والشيطانية فان الملكية فيها العلم النافع والعمل الصالح والبهيمية فيها الشهوات كالاكل والشرب والسبعية فيها الغضب وهو دفع المؤدى وأما الشيطانية فشر محض ليس فيها جلب منفعة ولا دفع مضرة والفلاسفة ونحوهم ممن لا يعرف الجن والشياطين لا يعرفون هذه وانما يعرفون الشهوة والغضب والشهوة والغضب خلقا لمصلحة ومنفعة لكن المذموم هو العدوان فيهما وأما الشيطان فيأمر بالشر الذى لا منفعة فيه ويحب ذلك كما فعل ابليس بآدم لما وسوس له وكما امتنع من السجود له فالحسد يأمر به الشيطان والحاسد لا ينتفع بزوال النعمة عن المحسود لكن بغض ذلك وقد يكون بغضه لفوات غرضه وقد لا يكون

ومن استمتاع الانس بالجن استخدامهم فى احضار بعض ما يطلبونه من مال وطعام وثياب ونفقة فقد يأتون ببعض ذلك وقد يدلونه على كنز وغيره واستمتاع الجن بالانس استعمالهم فيما يريده الشيطان من كفر وفسوق ومعصية

ومن استمتاع الانس بالجن استخدامهم فيما يطلبه الانس من شرك وقتل وفواحش فتارة يتمثل الجنى فى صورة الانسي فاذا استغاث به بعض أتباعه أتاه وظن انه الشيخ نفسه وتارة يكون التابع قد نادى شيخه وهتف به يا سيدي فلان فينقل الجني ذلك الكلام الى الشيخ بمثل صوت الانسي حتى يظن الشيخ انه صوت الانسي انه ثم ان الشيخ يقول نعم ويشير اشارة يدفع بها ذلك المكروه فيأتى الجنى بمثل ذلك الصوت والفعل

يظن ذلك الشخص أنه شيخه نفسه وهو الذي أجابه وهو الذي فعل ذلك حتى ان تابع الشيخ قد يكون يده في اناء يأكل فيضع الجني يده في صورة يد الشيخ ويأخذ من الطعام ويظن ذلك التابع انه شيخه حاضر معه والجني يمثل للشيخ نفسه مثل ذلك الاناء فيضع يده فيه حتى يظن الشيخ ان يده في ذلك الاناء فاذا حضر المريد ذكر له الشيخ ان يدي كانت في الاناء فيصدقه ويكون بينهما مسافة شهر والشيخ موضعه ويده في موضعه ولكن الجني مثل للشيخ ومثل للمريد حتى ظن كل منهما ان أحدهما عند الآخر وانما كان عنده ما مثله الجني وخيله واذا سئل الشيخ المخدوم عن أمر غائب اما سرقة واما شخص مات وطلب منه أن يخبر بحاله أو عله في السماء أو غير ذلك فان الجني قد يمثل ذلك فيريه صورة المسروق ويقول الشيخ ذهب لكم كذا وكذا ثم ان كان صاحب المال معظما وأراد أن يدله على سرقته مثل له الشيخ الذي أخذه أو المكان الذي فيه المال فيذهبون اليه فيجدونه كما قال والاكثر منهم أنهم يظهرون صورة المال ولا يكون عليه لان الذي سرق المال معه أيضا جني يخدمه والجن يخاف بعضهم من بعض كالانس يخاف بعضهم بعضا فاذا دل الجني على حاله أولياء السارق قد يؤذوه وأحيانا لا يدل لكون السارق وأعوانه يخدمونه ويرشونه كما تصنع سرقة اللصوص من الانس تارة يعرف السارق ولا يعرف به اما لرغبة ينالها منه واما لرهبة وخوف منه واذا كان المال المسروق اكبر يخافه ونحو عرف سارقه فهذا وامثاله من استمتاع بعضهم ببعض

﴿ والجن مكلفون كتكليف الانس ﴾ ومحمد صلى الله عليه وسلم مرسل الى الثقلين الجن والانس وكفار الجن يدخلون النار بنصوص واجماع المسلمين ﴿ وأما مؤمنهم ﴾ ففيهم قولان وأكثر العلماء على انهم يثابون أيضا ويدخلون الجنة وقد روى أنهم يكونون فى ربضها يراهم الانس من حيث لا يرون الانس عكس الحال في الدنيا وهو حديث رواه الطبراني في معجمه الصغير يحتاج النظر في اسناده * وقد احتج ابن أبى ليلى وأبو يوسف على ذلك بقوله تعالى ولكل درجات مما عملوا وقد ذكر الجن والانس الابرار والفجار في الاحقاف والانعام * واحتج الاوزاعي وغيره بقوله تعالي لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان وقد قال تعالى في الاعراف أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا وقد تقدم قبل هذا ذكر أهل الجنة وقوله أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة ثم قال ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم درجات أهل الجنة تذهب علوا ودرجات أهل النار تذهب سفلا وقد قال تعالى عن قول الجن منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا وقالوا وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ففيهم الكفار والفساق والعصاة وفيهم من فيه عبادة ودين بنوع من قلة العلم كما في الانس وكل نوع من الجن يميل الى نظيره من الانس

فاليهود مع اليهود والنصارى مع النصارى والمسلمون مع المسلمين والفساق مع الفساق وأهل الجهل والبدع مع أهل الجهل والبدع

واستخدام الانس لهم مثل استخدام الانس للانس لشيء * منهم من يستخدمهم في المحرمات من الفواحش والظلم والشرك والقول على الله بلا علم وقد يظنون ذلك من كرامات الصالحين وانما هو من افعال الشياطين * ومنهم من يستخدمهم في أمور مباحة اما احضار ماله أو دلالة على مكان فيه مال ليس له مالك معصوم أودفع من يؤذيه ونحو ذلك فهذا كاستعانة الانس بعضهم ببعض في ذلك * والنوع الثالث أن يستعملهم في طاعة الله ورسوله كما يستعمل الانس في مثل ذلك فيأمرهم بما أمر الله به ورسوله وينهاهم عما نهاهم الله عنه ورسوله كما يأمر الانس وينهاهم وهذه حال نبينا صلى الله عليه وسلم وحال من اتبعه واقتدى به من أمته وهم أفضل الخلق فانهم يأمرون الانس والجن بما أمرهم الله به ورسوله وينهون الانس والجن عما نهاهم الله عنه ورسوله اذ كان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مبعوثا بذلك الى الثقلين الانس والجن وقد قال الله له قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين وقال قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ﴿ وعمر رضى الله عنه لما نادي ياسارية الجبل قال ان لله جنودا يبلغون صوتي ﴾ وجنود الله هم من الملائكة ومن صالحي الجن فجنود الله بلغوا صوت عمر الى سارية وهو أنهم نادوه بمثل صوت عمر والا فنفس صوت عمر لا يصل نفسه

في هذه المسافة البعيدة وهذا كالرجل يدعو آخر وهو بعيد عنه فيقول يافلان ويعان على ذلك فيقول الواسطة بينهما يافلان وقد يقول لمن هو بعيد عنه يافلان احبس الماء اطلق الماء وهو لا يسمع صوته ولكن الواسطة تبلغ ذلك يافلان احبس الماء ارسل الماء اما بمثل صوت الاول ان كان لا يقبل الا صوته والا فلا يضر بأي صوت كان اذا عرف ان صاحبه قد ناداه وهذا حكاية كان عمر مرة قد أرسل جيشا فجاء شخص وأخبر أهل المدينة بانتصار الجيش وشاع الخبر فقال عمر من أين لكم هذا قالوا شخص صفته كيت وكيت فأخبرنا فقال عمر ذاك أبو الهيثم بريد الجن وسيجيء بريد الانسان بعد ذلك بأيام

وقد يأمر الملك بعض الناس بأمر ويسكنه اياه ويخرج فيرى الناس يتحدثون به فان الجن تسمعه وتخبر به الناس والذين يستخدمون الجن في المباحات يشبه استخدام سليمان لكن أعطى ملكا لا ينبغي لاحد بعده وسخرت له الانس والجن وهذا لم يحصل لغيره والنبي صلى الله عليه وسلم لما تفلت عليه العفريت ليقطع عليه صلاته قال فأخذته فذعته حتى سال لعابه على يدي وأردت أن أربطه الى سارية من سواري المسجد ثم ذكرت دعوة أخي سليمان فأرسلته ﴿ فلم يستخدم ﴾ الجن أصلا لكن دعاهم الى الايمان بالله وقرأ عليهم القرآن وبلغهم الرسالة وبايعهم كما فعل بالانس * والذي أوتيه صلى الله عليه وسلم أعظم مما أوتيه سليمان فانه استعمل الجن والانس في عبادة الله وحده وسعادتهم في الدنيا والآخرة لا لغرض

يرجع اليه الا انه بوجه الله وطلب مرضاته واختار أن يكون عبداً رسولاً على أن يكون نبياً ملكاً فداود وسليمان ويوسف أنبياء ملوك وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد رسل عبيد فهو أفضل كفضل السابقين المقربين على الابرار أصحاب اليمين وكثير من يرى هذه العجائب الخارقة يعتقد انها من كرامات الاولياء وكثير من أهل الكلام والعلم لم يعرفوا الفرق بين الأنبياء والصالحين في الآيات الخارقة وما لاولياء الشيطان من ذلك من السحرة والكهان والكفار من المشركين وأهل الكتاب وأهل البدع والضلال من الداخلين في الاسلام جعلوا الخوارق جنساً واحدا وقالوا كلها يمكن أن يكون معجزة اذا اقترن بدعوي النبوة والاستدلال بها والتحدي بمثلها.

واذا ادعى النبوة من ليس نبي من الكفار والسحرة فلابد أن يسلبه الله ماكان معه من ذلك وأن يقيض له من يعارضه ولو عارض واحد من هؤلاء النبي لأعجزه الله لخاصة المعجزات عندهم مجرد كون المرسل اليهم لا يأتون بمثل ماأتى به النبي كان معتاداً للناس قالوا ان عجز الناس عن المعارضة خرق عادة فهذه هي المعجزات عندهم وهم صنفوا سلفهم من المعتزلة الذين قالوا المعجزات هي خرق العادة لكن أنكروا كرامات الصالحين وأنكروا أن يكون السحر والكهانة الا من جنس الشعبذة والحيل لم يعلموا أن الشياطين تعين على ذلك وأولئك أثبتوا الكرامات ثم زعموا أن المسلمين أجمعوا على أن هذه لا تكون الا لرجل صالح أو نبي قالوا فاذا ظهرت على يد رجل كان صالحاً بهذا الاجماع

وهؤلاء أنفسهم قد ذكروا أنها تكون للسحرة مما هو مثلها وقد بسطت القول في ذلك كما قد بسط في غير هذا الموضع

فصار كثير من الناس لا يعلمون ما للسحرة والكهان وما تفعله الشياطين من العجائب وظنوا أنها لا تكون الا لرجل صالح فصار من ظهرت هذه له يظن أنها كرامة فيقوى قلبه بأن طريقته هي طريقة الاولياء وكذلك غيرهم يظن فيه ذلك ثم يقولون الولى اذا تولى لا يعترض عليه فمنهم من يراه مخالفاً لما علم بالاضطرار من دين الرسول مثل ترك الصلاة المفروضة وأكل الخبائث كالخمر والحشيشة والميتة وغير ذلك وفعل الفواحش والفحش والتفحش في المنطق وظلم الناس وقتل النفس بغير حق والشرك بالله وهو مع ذلك يظن فيه أنه ولى من أولياء الله قد وهبه هذه الكرامات بلا عمل فضلا من الله تعالى ولا يعلمون ان هذه من أعمال الشياطين وان هذه من أولياء الشياطين يضل به الناس ويغويهم

﴿ ودخلت ﴾ الشياطين في أنواع من ذلك فتارة يأتون الشخص في النوم يقول أحدهم أنا أبو بكر الصديق وأنا أتوبك لى وأصير شيخك وأنت توب الناس لى ويلبسه ويصبح وعلى رأسه ما ألبسه فلا شك ان الصديق هو الذى جاءه ولا يعلم أنه الشيطان وقد جرى مثل هذا لعدة من المشايخ بالعراق والجزيرة والشام وتارة تقص شعره في النوم فيصبح فيجد شعره مقصوصاً وتارة يقول أنا الشيخ فلان فلا يشك ان الشيخ نفسه جاءه وقص شعره

وكثيراً مايستغيث الرجل بشيخه الحي أو الميت فيأتونه في صورة ذلك الشيخ وقد يخلصونه مما يكره فلا يشك ان الشيخ نفسه جاءه أو ان ملكا تصور بصورته وجاءه ولا يعلم ان ذلك الذي تمثل انما هو الشيطان لما اشرك بالله أضله الشياطين والملائكة لاتجيب مشركا وتارة يأتون الى من هو خال في البرية وقد يكون ملكا أو أميراً كبيراً ويكون كافراً وقد انقطع عن أصحابه وعطش وخاف الموت فيأتيه في صورة انسي ويسقيه ويدعوه الى الاسلام ويتوبه فيسلم على يديه ويتوبه ويطعمه ويدله على الطريق ويقول من أنت فيقول أنا فلان ويكون في موضع

(كما جرى مثل هذا لي) كنت في مصر في قلعتها وجرى مثل هذا الى كثير من الترك من ناحية المشرق وقال له ذلك الشخص أنا ابن تيمية فلم يشك ذلك الامير انى أنا هو وأخبر بذلك ملك ماردين وأرسل بذلك ملك ماردين الى ملك مصر رسولا وكنت في الحبس فاستعظموا ذلك وأنا لم أخرج من الحبس ولكن كان هذا جنياً يحبنا فيصنع بالترك التتر مثل ما كنت أصنع بهم لما جاؤا الى دمشق كنت أدعوهم الى الاسلام فاذا نطق أحدهم بالشهادتين أطعمتهم ماتيسر فعمل معهم مثل ما كنت أعمل وأراد بذلك اكرامي ليظن ذاك انى أنا الذي فعلت ذلك

(قال لي طائفة من الناس فلم لايجوز أن يكون ملكا قلت لا) ان الملك لايكذب وهذا قد قال أنا ابن تيمية وهو يعلم أنه كاذب في ذلك

(وكثير من الناس) رأى من قال انى أنا الخضر وانما كان جنياً

ثم صار من الناس من يكذب بهذه الحكايات انكار الموت الخضر والذين قد عرفوا صدقها يقطعون بحياة الخضر وكلا الطائفتين مخطئ فان الذين رأوا من قال انى أنا الخضر هم كثيرون صادقون والحكايات متواترات لكن اخطؤا فى ظنهم انه الخضر وانما كان جنا ولهذا يجرى مثل هذا لليهود والنصارى فكثيرا ماأتيهم فى كنائسهم من يقول انه الخضر وكذلك اليهود يأتيهم في كنائسهم من يقول انه الخضر وفى ذلك من الحكايات الصادقة مايضيق عنه هذا الموضع يبين صدق من رأي شخصاً وظن أنه الخضر وانه غلط في ظنه أنه الخضر وانما كان جنيا وقد يقول أنا المسيح أو موسي أو محمد أو أبو بكر أو عمر أو الشيخ فلان فكل هذا قد وقع والنبى صلى الله عليه وسلم قال من رآنى فى المنام فقد رآنى حقاً فان الشيطان لايتمثل فى صورتى قال ابن عباس فى صورته التى كان عليها فى حياته وهذه رؤية فى المنام وأما فى اليقظة فمن ظن أن أحداً من الموتى يجيء بنفسه للناس عيانا قبل يوم القيامة فمن جهله أتى

﴿ ومن هنا ﴾ ضلت النصارى حيث اعتقدوا ان المسيح بعد ان صلب كما يظنون انه أتى الى الحواريين وكلمهم ووصاهم وهذا مذكور في أناجيلهم وكلها تشهد بذلك وذاك الذى جاء كان شيطانا قال انا المسيح ولم يكن هو المسيح نفسه ويجوز أن يشتبه مثل هذا على الحواريين كما اشتبه على كثير من شيوخ المسلمين ولكن ماأخبرهم المسيح قبل أن يرفع بتبليغه فهو الحق الذى يجب عليهم تبليغه ولم يرفع حتى بلغ

رسالات ربه فلا حاجة الى مجيئه بعد ان رفع الي السماء

(وأصحاب الحلاج) لما قتل كان يأتيهم من يقول أنا الحلاج فيرونه في صورته عيانا وكذلك شيخ بمصر يقال له الدسوقي بعد أن مات كان يأتي أصحابه من جهته رسائل وكتب مكتوبة وأراني صادق من أصحابه الكتاب الذي أرسله فرأيته بخط الجن وقد رأيت خط الجن غير مرة وفيه كلام من كلام الجن وذاك المعتقد يعتقد ان الشيخ حي وكان يقول انتقل ثم مات وكذلك شيخ آخر كان بالمشرق وكان له خوارق من الجن وقيل كان بعد هذا يأتي خواص أصحابه في صورته فيعتقدون أنه هو وهكذا الذين كانوا يعتقدون بقاء علي أو بقاء محمد بن الحنفية قد كان يأتي الى بعض أصحابهم جني في صورته وكذا منتظر الرافضة قد يراه أحدهم احيانا ويكون المرئي جنيا فهذا باب واسع واقع كثيراً وكلما كان القوم أجهل كان عندهم أكثر وفي المشركين أكثر مما في النصارى وهو في النصارى كما هو في الداخلين في الاسلام وهذه الامور يسلم بسببها ناس ويتوب بسببها ناس يكونون أضل من أصحابها فينقلون بسببها الى ما هو خير مما كان عليه كالشيخ الذي فيه كذب وفجور من الانس قد يأتيه قوم كفار فيدعوهم الى الاسلام فيسلمون ويصيرون خيراً مما كانوا وان كان قصد ذلك الرجل فاسداً وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم وهذا كان كالحجج والادلة التي يذكرها كثير من أهل الكلام والرأي فانه ينقطع بها كثير من أهل الباطل ويقوى بها قلوب كثير من أهل

الحق وان كان فى نفسها باطله فغيرها أبطل منها والخير والشر درجات فينتفع بها أقوام ينتقلون مما كانوا عليه الى ماهو خير منه وقد ذهب كثير من مبتدعة المسلمين من الرافضة والجهمية وغيرهم الى بلاد الكفار فأسلم على يديه خلق كثير وانتفعوا بذلك وصاروا مسلمين مبتدعين وهو خير من أن يكونوا كفاراً وكذلك بعض الملوك قد يغزو غزواً يظلم فيه المسلمين والكفار ويكون آثماً بذلك ومع هذا فيحصل به نفع خلق كثير كانوا كفاراً فصاروا مسلمين وذاك كان شراً بالنسبة الى القائم بالواجب وأما بالنسبة الى الكفار فهو خير وكذلك كثير من الاحاديث الضعيفة في الترغيب والترهيب والفضائل والاحكام والقصص قد يسمعها أقوام فينتقلون بها الى خير مما كانوا عليه وان كانت كذبا وهذا كالرجل يسلم رغبة فى الدنيا ورهبة من السيف ثم اذا أسلم وطال مكثه بين المسلمين دخل الايمان فى قلبه فنفس ذل الكفر الذى كان عليه وانقهاره ودخوله في حكم المسلمين خير من أن يبقى كافراً فانتقل الى خير مما كان عليه وخف الشر الذى كان فيه ثم اذا أراد الله هدايته أدخل الايمان فى قلبه والله تعالى بعث الرسل بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها والنبي صلى الله عليه وسلم دعا الخلق بغاية الامكان ونقل كل شخص الى خير مما كان عليه بحسب الامكان ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون وأكثر المتكلمين يردون باطلا بباطل وبدعة ببدعة لكن قد يردون باطل الكفار من المشركين وأهل الكتاب بباطل المسلمين فيصير الكافر

مسلما مبتدعا وأخص من هؤلاء من يرد البدع الظاهرة كبدعة الرافضة ببدعة أخف منها وهى بدعة أهل السنة وقد ذكرنا فيما تقدم أصناف البدع

ولا ريب ان المعتزلة خير من الرافضة ومن الخوارج فان المعتزلة تقر بخلافة الخلفاء الاربعة وكلهم يتولون أبا بكر وعمر وعثمان وكذلك المعروف عنهم انهم يتولون عليا ومنهم من يفضله على أبي بكر وعمر ولكن حكي عن بعض متقدميهم أنه قال فسق يوم الجمل احدى الطائفتين ولا أعلم عينها وقالوا انه قال لو شهد علي والزبير لم اقبل شهادتهما لفسق أحدهما لا بعينه ولو شهد على مع آخر ففي قبول شهادته قولان وهذا القول شاذ فيهم والذي عليه عامتهم تعظيم علي

ومن المشهور عندهم ذم معاوية وأبي موسى وعمرو بن العاص لاجل علي ومنهم من يكفر هؤلاء ويفسقهم بخلاف طلحة والزبير وعائشة فانهم يقولون ان هؤلاء تابوا من قتاله وكلهم يتولى عثمان ويعظمون أبا بكر وعمر ويعظمون الذنوب فهم يتحرون الصدق كالخوارج لايختلقون الكذب كالرافضة ولا يرون أيضا اتخاذ دار غير دار الاسلام كالخوارج ولهم كتب في تفسير القرآن ونصر الرسول ولهم محاسن كثيرة يترجحون على الخوارج والروافض وهم قصدهم اثبات توحيد الله ورحمته وحكمته وصدقه وطاعته وأصولهم الخمس عن هذه الصفات الخمس لكنهم غلطوا في بعض ماقالوه في كل واحد من أصولهم الخمس فجعلوا من التوحيد نفي الصفات وانكار الرؤية والقول بان القرآن

مخلوق فوافقوا في ذلك الجهمية وجعلوا من العدل انه لايشاء ما يكون ويكون مالا يشاء وانه لم يخلق أفعال العباد فنفوا قدرته ومشيئته وخلقه لاثبات العدل وجعلوا من الرحمة نفي أمور خلقها لم يعرفوا ما فيها من الحكمة وكذلك هم والخوارج قالوا بانفاذ الوعيد ليثبتوا ان الرب صادق لايكذب اذ كان عندهم قد أخبر بالوعيد العام فمتى لم يقل بذلك لزم كذبه وغلطوا في فهم الوعيد وكذلك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بالسيف قصدوا به طاعة الله ورسوله كما قصده الخوارج والزيدية فغلطوا في ذلك وكذلك انكارهم للخوارق غير المعجزات قصدوا به اثبات النبوة ونصرها وغلطوا فيما ذكروه فان النصر لايكون بتكذيب الحق وذلك لكونهم لم يحققوا خصائص آيات الانبيا والاشعرية ما ردوه من بدع المعتزلة والرافضة والجهمية وغيرهم وبينوا ما بينوه من تناقضهم وعظموا الحديث والسنة ومذهب الجماعة فحصل بما قالوه من بيان تناقض أصحاب البدع الكبار وردهم ما انتفع به خلق كثير

فان الاشعري كان من المعتزلة وبقي على مذهبهم أربعين سنة يقرأ على أبي علي الجبائي فلما انتقل عن مذهبهم كان خبيرا باصولهم وبالرد عليهم وبيان تناقضهم وأما ما بقي عليه من السنة فليس هو من خصائص المعتزلة بل هو من القدر المشترك بينهم وبين الجهمية وأما خصائص المعتزلة فلم يوافقهم الاشعري في شيء منها بل ناقضهم في جميع أصولهم ومال في مسائل العدل والاسماء والاحكام الى مذهب جهم ونحوه وكثير من الطوائف كالنجارية أتباع حسين النجار والضرارية أتباع

ضرار بن عمرو ويخالفون المعتزلة في القدر والاسماء والاحكام وانفاذ الوعيد والمعتزلة من أبعد الناس عن طريق أهل الكشف والخوارق والصوفية يذمونها ويعيبونها وكذلك يالغون في ذم النصارى اكثر مما يبالغون في ذم اليهود وهم الى اليهود أقرب كما أن الصوفية ونحوهم الى النصارى أقرب فان النصارى عندهم عبادة وزهد وأخلاق بلا معرفة ولا بصيرة فهم ضالون واليهود عندهم علم ونظر بلا قصد صالح ولا عبادة ولا زهد ولا أخلاق كريمة فهم مغضوب عليهم والنصارى ضالون

قال أبو محمد عبد الرحمن بن ابي حاتم ولا اعلم في هذا الحرف اختلافا بين المفسرين وروى باسناده عن أبي روق عن ابن عباس وعن طريق الضالين وهم النصارى الذين أضلهم الله بفريتهم عليه يقول فالهمنا دينك الحق وهو لااله الا الله وحده لا شريك له حتى لا تغضب علينا كما غضبت على اليهود ولا تضلنا كما أضللت النصارى فتعذبنا كما تعذبهم يقول امنعنا من ذلك برفقك ورحمتك ورأفتك وقدرتك قال ابن أبي حاتم ولا أعلم في هذا الحرف اختلافا بين المفسرين وقد قال سفيان ابن عيينة كانوا يقولون من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى

فاهل الكلام أصل أمرهم هو النظر في العلم ودليله فيعظمون العلم وطريقه وهو الدليل والسلوك في طريقه وهو النظر

وأهل الزهد يعظمون الارادة والمريد وطريق أهل الارادة

فهؤلاء بدون أمرهم على الارادة وأولئك يدون أمرهم على النظر وهذه هي القوة العلمية ولابد لاهل الصراط المستقيم من هذا وهذا ولابد أن يكون هذا وهذا موافقا لما جاء به الرسول

فالايمان قول وعمل وموافقة السنة وأولئك عظموا النظر وأعرضوا عن الارادة وعظموا جنس النظر ولم يلتزموا النظر الشرعي فغلطوا من جهة كون جنس الارادة لم يعظموه وان كانوا يوجبون الاعمال الظاهرة فهم لايعرفون أعمال القلوب وحقائقها ومن جهة ان النظر لم يميزوا فيه بين النظر الشرعي الحق الذى أمر به الشارع وأخبر به وبين النظر البدعي الباطل المنهى عنه

وكذلك الصوفية عظموا جنس الارادة ارادة القلب وذموا الهوى بالعوالي الباب ولم يميز كثير منهم بين الارادة الشرعية الموافقة لامر الله ورسوله وبين الارادة البدعية بل أقبلوا على طريق الارادة طريقة النظار

وأعرض كثير منهم فدخل عليهم الداخل من هاتين الجهتين ولهذا صار هؤلاء يميل اليهم النصارى ويميلون اليهم وأولئك يميل اليهم اليهود ويميلون اليهم وبين اليهود والنصارى غاية التنافر والتباغض وكذلك بين أهل الكلام والرأي وبين أهل التصوف والزهد تنافر وتباغض وهذا وهذا من الخروج عن الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا

نسأل الله العظيم أن يهدينا وسائر اخواننا الصراط المستقيم صراط

الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين

(فصل) فان قيل فاذا كان في كتب الاناجيل التي عندهم ان المسيح صلب وانه بعد الصلب بأيام أتى اليهم وقال لهم انا المسيح ولا يقولون ان الشيطان تمثل على صورته فان الشيطان ليس هو لحم وعظم وهذه آخر الاناجيل أو نحو هذا الكلام فان الانجيل الذي قال الله عز وجل فيه وليحكم أهل الانجيل بما انزل الله فيه وقال قبل هذا وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون وقد قال قبل هذا وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء وقال أيضا ولو أنهم اقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقال أيضا قل ياأهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين وهذا أمر للنبي صلى الله عليه وسلم بان يقول لاهل الكتاب الذين بعث اليهم وهو من كان في وقتهم ومن يأتي من بعدهم الى يوم القيامة لم تؤمر أن يقول ذلك

لمن قد تاب منهم وكذلك قوله وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله اخبار عن اليهود الموجودين وان عندهم التوراة فيها حكم الله وكذلك قوله

وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه هو أمر من الله على لسان محمد لاهل الانجيل ومن لايؤمن على لسان محمد صلى الله عليه وسلم قيل قبل هذا انه قد نقل ناس في العالم نسخة بعض ما أنزل الله في التوراة والانجيل بل ذلك منقول فان التوراة انقطع تواتره والانجيل انما أخذت عن أربعة ثم من هؤلاء من زعم ان كثيرا مما في التوراه والانجيل باطل ليس من كلام الله ومنهم من قال بل ذلك قليل وقيل لم يحرف احد شيئا من حروف الكتب وانما حرفوا معانيها بالتأويل وهذان القولان قال كلا منهما كثير من المسلمين والصحيح القول الثالث وهو ان في الارض نسخا صحيحة وبقيت الى عهد النبي صلى الله عليه وسلم ونسخا كثيرة محرفة ومن قال انه لايحرف شيء من النسخ فقد قال مالا يمكنه نفيه ومن قال جميع النسخ بعد النبي صلى الله عليه وسلم حرفت فقد قال مايعلم انه خطأ والقرآن يأمرهم أن يحكموا بما أنزل الله في التوراة والانجيل ويخبران فيهما حكمه وليس في القرآن خبر أنهم غيروا جميع النسخ واذ كان كذلك فقول هو سبحانه قال وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه وما أنزله الله هو مانقلوه عن المسيح فاما حكايته لحاله بعد ان رفع فهو مثلها في التوراة ذكر وفاة موسى عليه السلام ومعلوم ان هذا الذي في التوراه والانجيل من الخبر عن موسى

وعيسى بعد توفيهما ليس هو مما أنزله الله ومما تلقوه عن موسى وعيسى بل هو مما كتبوه مع ذلك بالتعريف بحال توفيهما وهذا خبر محض من الموجودين بعدهما عن حالهما ليس هو مما أنزله الله عليهما ولا هو مما أمرا به في حياتهما ولا مما أخبرا به الناس

وكذلك لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم وقوله ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم فان اقامة الكتاب العمل بما أمر الله به في الكتاب من التصديق بما أخبر به على لسان الرسول وما كتبه الذين نسخوه من بعد وفاة الرسول ومقدار عمره ونحو ذلك ليس هو مما أنزله الله على الرسول ولا مما أمر به ولا أخبر به وقد يقع مثل هذا في الكتب المصنفة يصنف الشخص كتابا فيذكر ناسخه في آخره عمر المصنف ونسبه وسنه ونحو ذلك مما ليس هو من كلام المصنف

(ولهذا) أمر الصحابة والعلماء تجريد القرآن وان لا يكتب في المصحف غير القرآن فلا يكتب أسماء السور ولا التخميس والتعشير ولا آمين ولا غير ذلك والمصاحف القديمة والتي كتبها أهل العلم على هذه الصفة وفي المصاحف من قد كتب ناسخها أسماء السور والتخميس والتعشير والوقف والابتداء وكتب في آخر المصحف تصديقه ودعا وكتب اسمه ونحو ذلك وليس هذا من القرآن فهكذا ما في الانجيل من الخبر عن صلب المسيح وتوفيه ومجيئه بعد رفعه الى الحواريين ليس

هو مما قاله المسيح وانما هو مما رآه من بعده والذي أنزله الله هو ما سمع من المسيح المبلغ عن الله

فان قيل فاذا كان الحواريون قد اعتقدوا أن المسيح صلب وانه أتاهم بعد أيام وهم الذين نقلوا عن المسيح الانجيل والدين فقد دخلت الشبهة

قيل الحواريون وكل من نقل عن الانبياء انما يجب أن يقبل منهم ما نقلوه عن الانبياء فان الحجة في كلام الانبياء وما سوى ذلك فموقوف على الحجة ان كان حقاً قبل والا رد ولهذا كان ما نقله الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم من القرآن والحديث يجب قبوله لاسيما المتواتر كالقرآن وكثير من السنن وأما ما قالوه فما أجمعوا عليه فاجماعهم معصوم وما تنازعوا فيه رد الى الله والرسول وعمر قد كان أولا أنكر موت النبي صلى الله عليه وسلم حتى رد ذلك عليه أبو بكر وقد تنازعوا في دفنه حتى فصل أبو بكر بالحديث الذي رواه وتنازعوا في تجهيز جيش أسامة وتنازعوا في قتال مانعي الزكاة فلم يكن هذا قادحا فيما نقلوه عن النبي صلى الله عليه وسلم والنصارى ليسوا متفقين على صلب المسيح ولم يشهد أحد منهم صلبه فان الذي صلب انما صلبه اليهود ولم يكن أحد من أصحاب المسيح حاضراً وأولئك اليهود الذين صلبوه قد اشتبه عليهم المصلوب بالمسيح وقد قيل انهم عرفوا أنه ليس هو المسيح ولكنهم كذبوا وشبهوا على الناس والاول هو المشهور وعليه جمهور الناس وحينئذ فليس عند النصارى خبر عمن يصدقونه بأنه صلب لكن عندهم

على ذلك الشخص الذي جاء بعد أيام وقال أنا المسيح وذاك شيطان وهم يعرفون بأن الشياطين كثيراً ماتجيء ويدعي أنه نبي أو صالح ويقول أنا فلان النبي أو الصالح ويكون شيطانا وفي ذلك حكايات متعددة مثل حكاية الراهب الذي جاءه جاء وقال أنا المسيح جئت لأهديك فعرف أنه الشيطان فقال أنت قد بلغت الرسالة ونحن نعمل بها فإن جئت اليوم بشيء يخالف ذلك لم نقبل منك

فليس عند النصارى واليهود علم بأن المسيح صلب كما قال تعالى وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وأضاف الخبر عن قتله إلى اليهود بقوله وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله فإنهم بهذا الكلام يستحقون العقوبة إذ كانوا يعتقدون جواز قتل المسيح ومن جوز قتله فهو كمن قتله فهم في هذا القول كاذبون وهم آثمون وإذا قالوه خبرا لم يحصل لهم الخبر لأنهم لم يقتلوه وحصل الوزر لاستحلالهم ذلك وسعيهم فيه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قالوا يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال إنه كان حريصاً على قتل صاحبه وقوله وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه قيل هم اليهود وقيل النصارى والآية تعم الطائفتين وقوله لفي شك منه قيل من قتله وقيل منه أي في شك منه هل صلب أم لا كما اختلفوا فيه فقالت اليهود هو ساحر وقالت النصارى إنه إله فاليهود والنصارى اختلفوا هل صلب أم لا وهم في شك من ذلك مالهم به من علم وقد كان هذا في الصلب وكيف

الذى جاء بعد الرفع وقال انه هو المسيح

فان قيل كان الحواريون الذين أدركوه قد حصل هذا فى ايمانهم فأين المؤمنون به الذين قال فيهم

وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا وقوله فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين

قيل ظن من ظن منهم أنه صلب لايقدح فى ايمانه اذا كان لم يحرف ماجاء به المسيح بل هو مقر بأنه عبد الله ورسوله وكلمة ألقاها الي مريم وروح منه فاعتقاده بعد هذا أنه صلب لايقدح في ايمانه فان هذا اعتقاد موته على وجه معين وغاية الصلب أن يكون قتلا له وقتل النبى لايقدح فى نبوته وقد قتل بنو اسرائيل كثيراً من الانبياء وقال تعالى وكأين من نبى قتل معه ربيون كثير الآية وقال تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم وكذلك اعتقاد من اعتقد منهم أنه جاء بعد الرفع وكلهم هو مثل اعتقاد كثير من مشايخ المسلمين ان النبى صلى الله عليه وسلم جاءهم فى اليقظة فانهم لايكفرون بذلك بل هذا كان يعتقده من هو من أكثر الناس اتباعاً للسنة واتباعاً لها وكان في الزهد والعبادة أعظم من غيره وكان يأتيه من يظن انه رسول الله فهذا غلط منه لايوجب كفره وكذلك ظن من ظن الحواريين ان ذلك هو المسيح لايوجب خروجهم عن الايمان بالمسيح ولايقدح فيما نقلوه عنه وعمر لما كان يعتقد أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يمت ولكن ذهب الي ربه كما ذهب موسى وانه لايموت

حتى يموت أصحابه لم يكن هذا قادحا في ايمانه وانما كان عاطيا و رجع عنه

﴿ فصل وقوله تعالى في هذه مالهم به من علم الا اتباع الظن ﴾

هو ذم لهم على اتباع الظن بلا علم وكذلك قوله ان هي الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى وكذلك قوله ومالهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا وقوله تعالي وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون وقوله أفمن يهدى الي الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى الا أن يهدى فمالكم كيف تحكمون وما يتبع أكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغني من الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون

فهذه عدة مواضع يذم الله فيها الذين لا يتبعون الا الظن وكذلك قوله قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون قل فلله الحجة البالغة مطالبة بالعلم وذم لمن يتبع الظن وما عنده علم وكذلك قوله ائتوني بعلم ان كنتم صادقين وقوله وان كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم وامثال ذلك ذم لمن عمل بغير علم وعمل بالظن

وقد ثبت في السنة المتواترة واجماع الامة ان الحاكم يحكم بشاهدين وان لم يكن شهود حاجب الخصم*وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال انكم تختصمون الىّ ولعل بعضكم أن يكون الحن بحجته من بعض وانما أقضي بنحو مما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار

والاجتهاد في تحقيق المناط مما اتفق المسلمون عليه ولابد منه كحكم ذوى عدل بالمثل في جزاء الصيد وكالاستدلال على الكعبة عند الاشتباه ونحو ذلك فلا نقطع به الانسان بل يجوز أن تكون القبلة في غير جهة اجتهاده كما يجوز اذا حكم أن يكون قد قضى لاحدهما بشئ من حق الآخر وأدلة الاحكام لابد فيها من هذا فان دلالة العموم في الظواهر قد تكون محتملة للنقيض وكذلك خبر الواحد والقياس وان كان قوم نازعوا في القياس فالفقهاء منهم لم ينازعوا في خبر الواحد كالظاهرية ومن نازع في هذا وهذا لم ينازع في العموم كالمعتزلة البغداديين وان نازع في العموم والقياس منازع كبعض الرافضة مثل الموسوى ونحوه لم ينازع في الاخبار فان الامامية عمدتهم على ما نقل عن الائمة فلابد لهم من الرواية ولا يوجد من يستغنى عن الظواهر والاخبار والاقيسة بل لابد أن يعمل ببعض ذلك مع تجويز نقيضه وهذا عمل بالظن والقرآن قد حرم اتباع الظن وقد تنوعت طرق الناس في جواز هذا فطائفة قالت لا نتبع قط الا العلم ولا نعمل بالظن أصلا وقالوا ان خبر الواحد يفيد العلم وكذلك يقولون في الظواهر بل يقولون نقطع بخطأ من خالفنا و ننقض حكمه كما يقوله داود وأصحابه وهؤلاء عمدتهم انما هو ما يظنونه ظاهراً واما الاستصحاب والاستصحاب في كثير من المواضع من أضعف الادله وهم في كثير مما يحتجون به قد لايكون ما احتجوا به ظاهر اللفظ بل الظاهر خلافه وطائفة قالت لما قام الدليل على وجوب العمل بالظن الراجح

كذا متمسكين للعلم فنحن نعمل بالعلم عند وجود العلم لا نعمل بالظن وهذه طريقة القاضي ابي بكر واتباعه

وهنا السؤال المشهور في حد الفقه انه العلم بالاحكام الشرعية العملية وقال الرازي العلم بالاحكام الشرعية العملية المستدل على أعيانها بحيث لا يعلم كونها من الدين ضرورة قال

(فان قيل) الفقه من باب الظنون فكيف جعلته علما

(قلنا) المجتهد اذا غلب على ظنه مشاركة صورة لصورة في مناط الحكم قطع بوجوب العمل بما أدى اليه ظنه فالحكم حاصل قطعا والظن واقع في طريقه وحقيقة هذا الجواب ان هنا مقدمتين احداهما انه قد حصل عندي ظن والثانية قد قام الدليل القطعي على وجوب اتباع هذا الظن فالمقدمة الاولى وجدانية والثانية عقلية استدلالية فليس الظن مقدمة في الدليل كما توهمه بعضهم لكن قال العمل بهذا الظن هو حكم أصول الفقه ليس هو الفقه بل الفقه هو ذلك الظن الحاصل بالظاهر وخبر الواحد والقياس والاصول يفيد أن العمل بهذا الظن واجب والا فالفقهاء لا يتبرصون لهذا فهذا الحكم العملي الاصولي ليس هو الفقه وهذا الجواب جواب القاضي أبي بكر وهو بناه على أصله فانه عنده كل مجتهد مصيب وليس في نفس الامر أمر مطلوب ولا على الظن دليل يوجب ترجيح ظن على ظن بل الظنون عنده بحسب الاتفاق

وقال الغزالي وغيره ممن نصر قوله قد يكون بحسب ميل النفس الى أحد القولين دون الآخر كميل ذي الشدة الى قول وذي اللين الى

قول وحينئذ فعندهم متى وجد المجتهد ظنا في نفسه فحكم الله في حقه اتباع هذا الظن وقد أنكر أبو المعالي وغيره عليه هذا القول انكارا بليغا وهم معذورون في انكاره فان هذا أولا مكابرة فان الظنون عليها أمارات ودلائل يوجب وجودها ترجيح ظن على ظن وهذا أمر معلوم بالضرورة والشريعة جاءت به ورجحت شيأ على شيء والكلام في شيئين في اتباع الظن وفي الفقه هل هو من الظنون

اما الاول فالجواب الصحيح هو الجواب الثالث وهو ان كل ما أمر الله تعالى به فانما أمر بالعلم وذلك انه في المسائل الخفية عليه أن ينظر في الادلة ويعمل بالراجح وكون هذا هو الراجح أمر معلوم عنده أمر مقطوع به وان قدر أن ترجيح هذا على هذا فيه شك عنده لم يعمل به واذا ظن الرجحان فانما ظنه لعدم دليل عنده على ان هذا راجح وفرق بين اعتقاد الرجحان ورجحان الاعتقاد وأما اعتقاد الرجحان فقد يكون علما وقد لا يعمل حتى يعلم الرجحان واذا ظن الرجحان أيضا فلابد أن يظنه بدليل يكون عنده أرجح من دليل الجانب الآخر ورجحان هذا غير معلوم فلا بد أن ينتهي الامر الى رجحان معلوم عنده فيكون متبعا لما علم انه أرجح وهذا اتباع للعلم لا للظن وهو اتباع الاحسن كما قال فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا باحسنها وقال الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقال واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم فاذا كان احد الدليلين هو الارجح فاتباعه هو الاحسن وهذا معلوم

فالواجب على المجتهد أن يعمل بما يعلم انه أرجح من غيره وهو العمل بأرجح الدليلين المتعارضين وحينئذ فما عمل الا بالعلم وهذا جواب الحسن البصري وأبي وغيرهم والقرآن ذم من لا يتبع الا الظن فلم يستند ظنه الى علم فان هذا أرجح من غيره كما قال ما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وقال هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وهكذا في سائر المواضع يذم الذين ان يتبعون الا الظن فعندهم ظن مجرد لا علم معه وهم يتبعونه والذي جاءت به الشريعة وعليه عقلاء الناس انهم لا يعملون الا بعلم بأن هذا أرجح من هذا فيعتقدون الرجحان اعتقادا عمليا لكن لا يلزم اذا كان أرجح أن لا يكون المرجوح هو الثابت في نفس الامر وهذا كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال وانكم تختصمون الي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض وانما أقضي بنحو مما أسمع فاذا أتى أحد الخصمين بحجة مثل بينة تشهد له ولم يأت الآخر بشاهد معها كان الحاكم عالما بأن حجة هذا أرجح فما حكم الا بعلم لكن الآخر قد يكون له حجة لا يعلمها أولا يحسن أن يبينها مثل أن يكون قد قضاه أو أبرأه وله بينة تشهد بذلك وهو لا يعلمها أولا يذكرها أولا يحضران يتكلم بذلك ويكون هو المضيع لحقه حيث لم يبين حجته والحاكم لم يحكم الا بعلم وعدل وضياع حق هذا كان من تفريطه وتفريطه لا من الحاكم وهكذا أدلة الاحكام فاذا تعارض خبران أحدهما مسند ثابت والآخر مرسل كان المسند الثابت أقوى من المرسل وهذا معلوم لان المحدث بهذا قد علم عدله وضبطه والآخر لم نعلم عدله ولا

صـ طه كشاهدين ركى أحدهما ولم يزك الآخر فهـذا المزكى أرجح وان جاز أن يكون في نفس الامر قول الآخر هو الحق لكن المجتهد انما عمل بعلم وهو علمه برجحان هذا على هذا الناس ممن لم تتبع الا الظن ومن يكن يتبين له الا بعد الاجتهاد التام ومن أرسل ذلك الحديث وفي تزكية هذا الشاهد فان المرسل قد يكون راويه عدلا حافظا كما قد يكون هذا الشاهد عدلا ولكن ليس معنا علم بانتفاء عدالة الراوى لكن معنا عدم العلم بعدالتهما وقد لا يعلم عدالتهما مع ثبوتها ورجحانها في نفس الامر فمن هنا تقع الخطأ في الاجتهاد لكن هـذا لا سبيل الى أن يكلفه العالم أن يدع ما يعلمه الى أمر لا يعلمه لامكانه ثبوته في نفس الامر فاذا كان لابد من ترجيح أحد القولين وجب ترجيح هـذا الذى علم ثبوته على مالا يعلم ثبوته وان لم يعلم انتفاؤه من جهته فانهما اذا تعارضا وكانا متناقضين فاثبات أحدهما هو نفى الآخر فهذا الدليل المعلوم قد علم أنه يثبت هذا وينفى ذلك وذلك المجهول بالعكس فاذا كان لابد من الترجيح وجب قطعا ترجيح المعلوم ثبوته على مالم يعلم ثبوته ولكن قد يقال انه لا يقطع بثبوته وقد فلما فرق بين اعتقاد الرجحان ورجحان الاعتقاد أما اعتقاد الرجحان فهو علم والمجتهد ما عمل الا بذلك العلم وهو اعتقاد رجحان هذا على هذا وأما رجحان هـذا الاعتقاد على هـذا الاعتقاد فهو الظن لكن لم يكن ممن قال الله فيه ان يتبعون الا الظن بل هنا ظن رجحان هذا وظن رجحان ذاك وهـذا الظن هو الراجح ورجحانه معلوم فحكم بما علمه من الظن الراجح ودليله الراجح

وهذا معلوم له لا يطون عنده وهذا يوجد في جميع العلوم والصناعات كالطب والتجارة وغير ذلك

وأما الجواب عن قولهم الفقه من باب الظنون فقد أجاب طائفة منهم أبو الخطاب بجواب آخر وهو ان العلم المراد به العلم الظاهر وان جوز أن يكون الامر بخلافه كقوله فان علمتموهن مؤمنات

والتحقيق أن عنه جوابين أحدهما أن يقال جمهور مسائل الفقه التي يحتاج اليها الناس ويفتون بها هي ثابتة بالنص أو الاجماع وانما يقع الظن والنزاع في قليل مما يحتاج اليه الناس وهذا موجود في سائر العلوم وكثير مسائل الخلاف هي في أمور قليلة الوقوع ومقدرة وأما ما لا بد للناس منه من العلم مما يجب عليهم ويحرم ويباح فهو معلوم مقطوع به وما يعلم من الدين ضرورة جزء من الفقه واخراجه من الفقه قول لم يقله أحد من المتقدمين فانه ولا اعتبر بهذا القيد أحد الا الرازي ونحوه وجميع الفقهاء يذكرون في كتب الفقه وجوب الصلاة والزكاة والحج واستقبال القبلة ووجوب الوضوء والغسل من الجنابة وتحريم الخمر والفواحش وغير ذلك مما يعلم من الدين ضرورة

وأيضا فكون الشيء معلوما من الدين ضرورة أمر اضافي فحديث العهد بالاسلام ومن نشأ ببادية بعيدة قد لا يعلم هذا بالكلية فضلا عن كونه يعلمه بالضرورة وكثير من العلماء يعلم بالضرورة أن النبي صلي الله عليه وسلم سجد للسهو وقضى بالدية على العاقلة وقضى أن الولد للفراش وغير ذلك مما يعلمه الخاصة بالضرورة وأكثر الناس لا يعلمه

الثه *الجواب الثاني أن يقال الفقه لا يكون فقها الا من المجتهد المستدل وهو قد علم ان هذا الدليل أرجح وهذا الظن أرجح فالفقه هو علمه برجحان هذا الدليل وهذا الظن لدى الفقيه قطعه بوجوب العمل أي بما أدى اليه اجتهاده بل هذا القطع من أصول الفقه والاصولي يتكلم في جنس الادلة ويتكلم كلاما كليا فيقول يجب اذا تعارض دليلان أن يحكم بأرجحهما ويقول ايضا اذا تعارض العام والخاص فالخاص أرجح واذا تعارض المسند والمرسل فالمسند أرجح ويقول أيضا العام المجرد عن قرائن التخصيص شموله الافراد أرجح من عدم شموله ويجب العمل بذلك

فاما الفقيه فيتكلم في دليل معين في حكم معين مثل أن يقول قوله وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم خاص في أهل الكتاب ومتأخر عن قوله ولا تنكحوا المشركات وتلك الآية لا تتناول أهل الكتاب وان تناولتهم فهذا خاص متأخر فيكون ناسخا ومخصصا فهو يعلم أن دلالة هذا النص على الحل أرجح من دلالة ذلك النص على التحريم وهذا الرجحان معلوم عنده قطعا وهذا الفقه الذي يحصل به الفقه وهو علم قطعي لا ظني ومن لم يعلم كان مقلدا للائمة الاربعة والجمهور الذين جوزوا نكاح الكتابيات واعتقاد المقلد ليس بفقه ولهذا قال المستدل على أعيانها والفقيه قد استدل على عين الحكم المطلوب والسؤل عنه وحيث لا يعلم الرجحان فهو متوقف لا يقول له واذا قيل له فقد قال ولا تمسكوا

بعصم الكوافر قال هـذا نزل عام الحديبية والمراد به المشركات فان سبب النزول يدل على انهن مرادات قطعا وسورة المائدة بعد ذلك وهي خاص متأخر وذاك عام مقدم والخاص المتأخر أرجح من العام المقدم وهذا لما نزل قوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر فارق عمر امرأة مشركة وكذلك غيره فدل على انهم كانوا ينكحون المشركات الى حين نزول هذه الآية ولو كانت آية البقرة قد نزلت قبل هذه لم يكن كذلك فدل على أن آية البقرة بعد آية الممتحنة وآية المائدة بعد آية البقرة * فهذا النظر وامثاله هو نظر الفقيه العالم برجحان دليل ظن على دليل وهذا علم لا ظن

وقد بين أن الظن له أدلة تقتضيه وان العالم انما يعلم بما يوجب العلم بالرجحان لا بنفس الظن الا اذا علم رجحانه وأما الظن الذى لا يعلم رجحانه فلا يجوز اتباعه وذلك هو الذى ذم الله به من قال فيه ان يتبعون الا الظن فهم لا يتبعون الا الظن ليس عندهم علم ولو كانوا عالمين بانه ظن راجح لكانوا قد اتبعوا علما لم يكونوا ممن يتبع الا الظن والله أعلم

﴿ فصـل ﴾ فيها ثلاثة أشياء، أحدها الظن الراجح في نفس المستدل المجتهد

والثاني الأدلة التي يسميها بعض المتكلمين أمارات التي تعارضت وعلم المستدل بأن التي أوجبت ذلك الظن أقوى من غيرها

الثالث انه قد يكون في نفس الامر دليل آخر على القول الآخر

ثم نعلم به المستدل وهذا هو الواقع في عامة موارد الاجتهاد فان الرجل قد سمع نصا عاما كما سمع ابن عمر وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم نهي عن قطع الخفين وانه أمر أن لا يخرج أحد حتى يودع البيت وأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن لبس الحرير وظاهره العموم وهذا راجح على الاستصحاب النافي للتحريم فعملوا بهذا الراجح وهم المصيبون فظنا أن النهي أولى من الاستصحاب لكن يجوز أن يكون مع الاستصحاب دليل خاص ولكن لما لم يعلموه لم يجز لهم أن يعدلوا عما علموه الى ما لم يعلموه فكانوا يفتون بأن الحائض عليها الوداع وعليها قطع الخفين وان قليل الحرير وكثيره حرام وان الرجل كان يحرمه على الرجال والنساء لعموم قوله من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة وكان في نفس الامر نصوص خاصة بأن النبي صلى الله عليه وسلم رخص للحائض أن تنفر بلا وداع وانها تلبس الخفين وغيرهما مما نهي عنه المحرم ولكن تجتنب النقاب والقفازين وانه رخص في موضع أصبعين أو ثلاث أو أربع من الحرير كما ثبت ذلك في الصحيح في رواية عمر ولم يعرفه ابنه عبدالله وكان له جبة مكفوفة بالحرير فلما سمع ابن عمر ونحوه هذه النصوص الخاصة رجعوا وعلموا حينئذ انه كان في نفس الامر دليل أقوى من الدليل الذي استصحبوه ولم يعلموا انه وهم في الحالين انما حكموا بعلم لم يكونوا ممن لم يتبع الا الظن فانهم أولا رجحوا العموم على استصحاب البراءة الاصلية وهذا ترجيح بعلم فان هذا راجح بلا ريب والشرع طافح بهذا

فما أوجبه الله أو حرمه كتابه كالوضوء والصلاة والحج وغيرها هي نصوص عامه وماحرمه كالميتة والدم ولحم الخنزير حرمه نصوص عامة وهي احجة ومقدمه على البراءه الاصليه الباقيه للوجوب والتحريم فمن رجح ذلك فقد حكم بعلم وحكم بأرجح الدلائل المعلوم الرجحان ولم يكن ممن لم يتبع الا الظن لكن لتجويزه أن يكون النص مخصوصا صار عنده ظن راجح ولو علم انه لاتخصيص هناك قطع بالعموم وكذلك لو علم اراده نوع قطع بانتفاء الخصوص وهذا القول في سائر الادلة مثل أن يتمسك بنصوص وتكون منسوخه ولم يبلغه الناسخ كالذين نهوا عن الانتباذ في الاوعيه وعن زيارة القبور ولم يبلغهم النص الناسخ وكذلك الذين صلوا الى بيت المقدس قبل أن يبلغهم النسخ مثل من كان من المسلمين بالبوادي وبمكة والحبشة وغير ذلك وهؤلاء غير الذين كانوا بالمدينة وصلى بعضهم صلاه الى القبلتين بعضها الى هذه القبلة وبعضها الى هذه القبلة لما بلغهم النسخ وهم في أثناء الصلاة فاستداروا في صلاتهم من جهة بيت المقدس الى جهة الكعبه من جهة الشام الى جهة اليمن

فالقاضي أبو بكر ونحوه من الذين يقولون أن يكون في الباطن حكم مطلوب بالاجتهاد أو دليل عليه يقولون ماثم الا الظن الذي في نفس المجتهد والامارات لاضابط لها وليست أمارة أقوى من امارة فانهم اذا قالوا ذلك لزمهم أن يكون الذي عمل بالمرجوح دون الراجح مخطئا وعندهم ليس في نفس الامر خطأ

وأما السلف والائمة الاربعة والجمهور فيقولون بل الامارات بعضها أقوى من بعض في نفس الامر (وعلى الانسان ان يجتهد) ويطلب الاقوى فاذا رأى دليلا أقوى من غيره ولم ير مايعارضه عمل به ولا يكلف الله نفسا الا وسعها واذا كان في الباطن ماهو أرجح منه كان مخطئا معذورا وله أجر على اجتهاده وعمله بما بين له رجحانه وخطؤه مغفور له وذلك الباطن هو الحكم لكن بشرط القدرة على معرفته فمن عجز عن معرفته لم يؤاخذ بتركه

فاذا أريد بالخطأ الاثم فليس المجتهد بمخطئ بل كل مجتهد مصيب مطيع لله فاعل ماأمره الله به واذا أريد به عدم العلم بالحق في نفس الامر فالمصيب واحد وله أجران كما في المجتهدين في جهة الكعبة اذا صلوا الى أربع جهات فالذي أصاب الكعبة واحد وله أجران لاجتهاده وعمله كان أكمل من غيره والمؤمن القوي أحب الى الله من المؤمن الضعيف ومن زاده الله علما وعملا زاده أجرا بما زاده من العلم والعمل قال تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء قال مالك عن زيد بن أسلم بالعلم وكذلك قال في قصة يوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك الا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم

وقد تبين ان جميع المجتهدين انما قالوا بعلم واتبعوا العلم وان الفقه من أجل العلوم وانهم ليسوا من الذين لايتبعون الا الظن لكن بعضهم قد يكون عنده علم ليس عند الآخر اما بان سمع مالم يسمع الآخر

واما نان فهم مالم نفهم الآخر كما قال تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما

وهذه حال أهل الاجتهاد والنظر والاستدلال في الاصول والفروع ولم تفرق أحد من السلف والأئمة بين أصول وفروع

بل جعل الدين قسمين أصولا وفروعا لم يكن معروفا فى الصحابة والتابعين ولم نقل أحد من السلف والصحابة والتابعين ان المجتهد الذي استفرغ وسعه فى طلب الحق يأثم لافى الاصول ولا في الفروع ولكن هـذا التفريق ظهر من جهة المعتزلة وأدخله في أصول الفقه من نقل ذلك عنهم وحكوا عن عبيد الله بن الحسـن العنبرى انه قال كل مجتهد مصيب ومراده انه لايأثم

وهذا قول عامة الائمة كابى حنيفة والشافعي وغيرهما

ولهذا يقبلون شهادة أهل الاهواء و يصلون خلفهم ومن ردها كمالك وأحمـد فليس ذلك مستلزما لأنهما لكن المقصود انكار المنكر وهجر من أظهر البدعة فاذا هجر ولم يصـل خلفه ولم تقبل شهادته كان ذلك منعا له من اظهار البدعة ولهـذا فرق أحمد وغيره بين الداعيـة للبدعة المظهر لها وغيره وكذلك قال الخرقى ومن صلى خلف من يجهر ببدعة أو منكرا عاد وبسط هذا له موضع آخر

والذين فرقوا بين الاصول والفروع لم يذكروا ضابطا يميز بين النوعين بل تارة يقولون هـذا قطعى وهـذا ظني وكثير من مسائل

الاحكام قطعي وكثير من مسائل الاصول على عند بعض الناس فان كون الشيء قطعيا او ظنيا أمرا اضافي وتارة يقولون الاصول هي العلميات الخبريات والفروع العمليات وكثير من العمليات من جحدها كفر كوجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج وتارة يقولون هذه عقليات وهذه سمعيات واذا كانت عقليات لم يلزم تكفير المخطىء فان الكفر حكم شرعي يتعلق بالشرع وقد بسط هذا في غير هذا الموضع

واذا تدبر الانسان تنازع الناس وجد عند كل طائفة من العلم ماليس عند الاخرى كما في مسائل الاحكام مثال ذلك متقدم في الاصول الخمسة التوحيد والعدل والمنزلة بين المنزلتين ومسائل الاسماء والاحكام وانفاذ الوعيد وهي التي توالي المعتزلة من وافقهم عليها ويتبرؤن ممن خالفهم فيها وقد قدمنا انهم قصدوا توحيد الرب واثبات عدله وحكمته ورحمته وصدقه وطاعة أمره لكن غلطوا في كل واحدة من هذه الامور كما تقدم وكذلك الذين ناقضوهم من الجهمية ومن سلك مسلكهم كابي الحسن الاشعري وأصحابه فانهم ناقضوهم في الاصول الخمسة وكان عندهم علم ليس عند أولئك وكان عند أولئك علم ليس عند هؤلاء وكل من الطائفتين لم تحط علما بما في الكتاب والسنة من بيان هذه الامور بل علموا بعضا وجهلوا بعضا فان هؤلاء المجبرة هم في الحقيقة لايثبتون لله عدلا ولا حكمة ولا رحمة ولا صدقا فاولئك قصدوا اثبات هذه الامور أما العدل فعندهم كل ممكن فهو عدل والظلم عندهم هو الممتنع فلا يكون ثم عدل يقصد فعله وظلم يقصد تركه ولهذا

يجوزون عليه فعل كل شيء وان كان قبيحا ويقولون القبيح هو ما نهي عنه وهو لا ناهي له ويجوزون الامر بكل شيء وان كان منكرا وشركا والنهي عن كل شيء وان كان توحيدا ومعروفا فلا ضابط عندهم للفعل فاذا ألزموهم جواز اظهار المعجزات على يد الكاذب ولم يكن لهم عن ذلك جواب صحيح ولم يذكروا فرقا بين المعجزات وغيرها ولا مابه نعلم صدق النبي صلى الله عليه وسلم الا اذا نقضوا أصلهم وقد قال الله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط وعندهم هذا لا فائدة فيه فليس في الممكن قسط وجور حتى يكون قائما بهذا دون هذا وقد بسط هذا في غير هذا الموضع

وكذلك الحكمة عندهم لا تعقل لحكمة وقد فسروا الحكمة اما بالعلم واما بالقدر واما بالارادة ومعلوم ان القادر قد يكون حكيما ويكون غير حكيم كذلك المريد قد يكون ارادته حكمة وقد يكون سفها والعلم يطابق المعلوم سواء كان حكمة أو سفها فليس عندهم في نفس الامر ان الله حكيم وكذلك الرحمة ما عندهم في نفس الامر الا ارادة ترجيح احد المثلين بلا مرجح نسبتها الى نفع العباد وضررهم سواء فليس عندهم في نفس الامر رحمة ولا محبة أيضا وقد بسط هذا في غير هذا الموضع وبين تناقضهم في الصفات والافعال حيث أثبتوا الارادة مع نفي المحبة والرضا ومع نفي الحكمة وبين تناقضهم وتناقض كل من أثبت بعض الصفات دون بعض وان المتفلسفة نفاة الارادة أعظم تناقضا منهم فان الرازي ذكر في المطالب العالية مسئلة الارادة ورجح فيها نفي الارادة

لانه لم يمكنه أن يجيب عن حجة الفلاسفة على أصول أصحابه الجهمية والمعتزلة ومن اتبعهم وكذلك في غير هذا من المسائل فهو تارة يرجح قوله دون قول الفلاسفة وتارة يرجح قول الفلاسفة وتارة يحار ويقف واعترف في آخر عمره بان طريق هؤلاء وهؤلاء لا تشفي عليلا ولا تروي غليلا

وقال قد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروي غليلا ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن اقرأ في الاثبات الرحمن على العرش استوى اليه يصعد الكلم الطيب واقرأ في النفي ليس كمثله شيء ولا يحيطون به علما ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي فقد تبين انهم لا يثبتون عدل الرب ولا حكمته ولا رحمته وكذلك الصدق فانهم لما أرادوا أن يقيموا الدليل على ان الله صادق تعذر ذلك عليهم فقالوا الصدق في الكلام النفساني واجب لانه يعلم الامور ومن يعلم يمتنع أن تقوم في نفسه خبر بخلاف علمه وعلى هذا اعتمد الغزالي وغيره فقيل لهم هذا ضعيف لوجهين أحدهما الصدق في ذلك المعنى لا ينفع ان لم يثبت الصدق في العبارات الدالة عليه وتلك من الافعال عندهم الثاني انهم أثبتوا الخبر النفساني فان الانسان يخبر بالكذب فيقوم في نفسه معنى ليس هو العلم وهو معنى الخبر فهذا ينقض انهم يقولون ان العلم قد يقوم في نفسه خبر بخلاف علمه والرازي لما ذكر مسألة انه لا يجوز أن يتكلم بكلام ولا يعنى به شيئا خلافا للحشوية قيل له هل قال أحد من طوائف الامة ان الله لا يعنى بكلامه شيئا وانما النزاع هل يتكلم بما لا يفهم العباد معناه وقيل لهم هب أن في

هذا زاغا فهو لم يقم دليل على امتناع ذلك بل قال هذا عيب أو نقص والله منزه عنه فقيل له اما أن يريد المعنى القائم بالذات أو العبارات المخلوقة أما الاول فلا يجوز ارادته هنا لان المسألة هي فيمن يتكلم بالحروف المنظومة ولا نعني به شيئا وذلك القائم بالذات هو نفس المعنى وان أردت الحروف وهو مراده فتلك عندك مخلوقة ويجوز عندك أن يخلق كل شيء ليس منزها عن فعل من الافعال والعبث عندك هو مالا تريده فهذا منع وتبين انه ليس لهم حجة لا على صدقه ولا على تنزيهه عن العيب في خطابه فان ذلك انما يكون ممن ينزهه عن بعض الافعال وتبين بذلك أنهم لا يثبتون عدله ولا حكمته ولا رحمته ولا صدقه والمعتزلة قصدهم اثبات هذه الامور ولهذا يذكرونها في خطبة الصفات كما يذكرها أبو الحسن البصري وغيره كما ذكر في أول صور الادلة خطبة مضمونها ان الله واحد عدل لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون وانه بالناس لرؤف رحيم وأطنب فيها اثبات صدقه ولهذا يكفرون من يجوزه أو يكذبه أو يسفهه أو يشبهه ولكن قد غلطوا في مواضع كثيرة كما قد نبه على هذا في غير موضع فكلا الطائفتين معها حق وباطل ولم يستوعب الحق الامن اتبع المهاجرين والانصار وآمن بما جاء به الرسول كله على وجهه لم يؤمن ببعض ويكفر ببعض وهؤلاء هم أهل الرحمة الذين لا يختلفون بخلاف أولئك المختلفين قال تعالى ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم

(فصل) والجهمية والمعتزلة مشتركون في نفي الصفات وابن كلاب

ومن تبعه كالاشعري وأبي العباس القلانسي ومن تبعهم أثبتوا الصفات لكن لم يثبتوا الصفات الاختيارية مثل كونه يتكلم بمشيئته ومثل كون فعله الاختياري يقوم بذاته ومثل كونه يحب ويرضى عن المؤمنين بعد ايمانهم ويغضب ويبغض الكافرين بعد كفرهم ومثل كونه يرى أفعال العباد بعد ان يعملوها كما قال تعالى وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون فاثبت رؤية مستقبلة وكذلك قوله تعالى ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون ومثل كونه نادى موسى حين اتى لم يناده قبل ذلك نداء قائم بذاته فان المعتزلة والجهمية يقولون خلق نداء في الهواء والكلابية والسالمية يقولون النداء قائم بذاته وهو قديم لكن سمعه موسى فاحدثوا سماع موسى والا فما زال عندهم مناديا

والقرآن والاحاديث وأقوال السلف والائمة كلها تخالف هذا وهذا وتبين انه ناداه حين جاء وانه تكلم بمشيئته في وقت تكلمه بعين كما قال ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وقال تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون والقرآن فيه مئون من الآيات تدل على هذا الاصل وأما الاحاديث فلا تحصى وهذا قول ائمة السنة والسلف وجمهور العقلاء وهذا قال عبد الله بن المبارك والامام أحمد بن حنبل وغيرهما لم يزل متكلما اذا شاء وكيف شاء وهذا قول عامة أهل السنة فلهذا اتفقوا على أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ولم يعرف عن أحد من

السلف أنه قال هو قديم لم يزل والذين قالوا من المتأخرين هو قديم كثير منهم من لم يتصور المراد بل منهم من يقول هو قديم في علمه ومنهم من يقول قديم أي متقدم الوجود متقدم على ذات زمان المبعث لا أنه أزلي لم يزل ومنهم من يقول بل مرادنا بقديم أنه غير مخلوق وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع

والمقصود هنا أنه على هذا الأصل اذا خلق المخلوقات رآها وسمع أصوات عباده وكان ذلك بمشيئته وقدرته اذ كان خالقه لهم بمشيئته وقدرته وبذلك صاروا يرون ويسمع كلامه وقد جاء في القرآن والسنة في غير موضع أنه يخص بالنظر والاستماع بعض المخلوقات كقوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ملك كذاب وشيخ زان وعائل مستكبر وكذلك في الاستماع قال تعالى وأذنت لربها وحقت أي استمعت وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما أذن الله لشيء كأذنه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به وقال لله أشد أذنا الى صاحب القرآن من صاحب القينة الى قينته وهذا تخصيص بالأذن وهو الاستماع لبعض الأصوات دون بعض وكذلك سمع الاجابة كقوله سمع الله لمن حمده وقول الخليل انك سميع الدعاء وقوله ان ربي سميع قريب يقتضي التخصيص بهذا السمع فهذا التخصيص ثابت في الكتاب والسنة وهو تخصيص بمعنى يقوم بذاته بمشيئته وقدرته كما تقدم وعند النفاة هو تخصيص بأمر مخلوق منفصل لا بمعنى يقوم بذاته وتخصيص من يحب وتخصيصه بالنظر والاستماع المذكور يقتضي أن هذا النوع منتف

عن غيرهم

﴿ لكن مع ذلك هل يقال ﴾ ان نفس الرؤية والسمع الذي هو مطلق الادراك هو من لوازم ذاته فلا يمكن وجود مسموع ومرئي الا وقد تعلق به كالعلم أو يقال انه أيضا بمشيئته وقدرته فيمكنه أن لاينظر الى بعض المخلوقات هذا فيه قولان والاول قول من لايجعل ذلك متعلقا بمشيئته وقدرته وأما الذين يجعلونه متعلقا بمشيئته وقدرته فقد يقولون متى وجد المرئي والمسموع وجب تعلق الادراك به

﴿ والقول الثاني ﴾ ان نفس السمع والرؤية تتعلق بمشيئته وقدرته فيمكن أن لاينظر الى شيء من المخلوقات وهذا هو المأثور عن طائفة من السلف كما روى ابن أبي حاتم عن أبي عمران الجوني قال ما نظر الله الي شيء من خلقه الا رحمه ولكنه قضى أن لاينظر اليهم وقد يقال هذا مثل الذكر والنسيان فان الله تعالى قال اذكروني أذكركم وفي الصحيحين عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالي أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملا خير منهم وان تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا وان أتاني يمشي أتيته هرولة فهذا الذكر مختص بمن ذكره فمن لا يذكره لايحصل له هذا الذكر ومن آمن به وأطاعه ذكره برحمته ومن أعرض عن الذكر الذي أنزله أعرض عنه كما قال ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت

بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ومثله قوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم

وقد فسروا هذا النسيان بأنه   وهذا النسيان ضد ذلك الذكر وفى الصحيح في حديث الكافر يحاسبه قال أفظننت أنك ملاقيّ قال لا قال فاليوم أنساك كما نسيتني فهذا يقتضي أنه لايذكره كما يذكر أهل طاعته هو متعلق بمشيئته وقدرته أيضا وهو سبحانه قد خلق هذا العبد وعلم ماسيعمله قبل ان يعمله ولما عمل علم ماعمل ورأى عمله فهذا النسيان لاينافي ماعلمه سبحانه من حال هذا

(فصل في جماع الفرقان بين الحق والباطل) والهدى والضلال والرشاد والغي وطريق السعادة والنجاة وطريق الشقاوة والهلاك ان يجعل مابعث الله به رسله وأنزل به كتبه هو الحق الذي يجب اتباعه وبه يحصل الفرقان والهدى والعلم والايمان فيصدق بأنه حق وصدق وما سواه من كلام سائر الناس يعرض عليه فان وافقه فهو حق وان خالفه فهو باطل وان لم يعلم هل وافقه أو خالفه لكون ذلك الكلام مجملا لايعرف مراد صاحبه أو قد عرف مراده ولكن لم يعرف هل جاء الرسول بتصديقه أو تكذيبه فانه يمسك فلا يتكلم الا بعلم

(والعلم ماقام عليه الدليل) والنافع منه ماجاء به الرسول وقد يكون علم من غير الرسول لكن فى أمور دنيوية مثل الطب والحساب والفلاحة والتجارة وأما الامور الالهية والمعارف الدينية فهذه العلم فيها

ما جد عن الرسول فالرسول أعلم الخلق بها وأرغبهم في تعريف الخلق بها وأقدرهم على بيانها وتعريفها وهو فوق كل أحد في العلم والقدرة والارادة وهذه الثلاثة بها يتم المقصود ومن سوي الرسول اما أن يكون في علمه بها نقص أو فساد واما أن لايكون له اراده فيما علمه من ذلك فلم يبينه اما لرغبة واما لرهبة واما لغرض آخر واما أن يكون بيانه ناقصا ليس بيانه البيان عما عرفه الجنان

وبيان الرسول على وجهين تارة ببين الادله العقليه الدالة عليها والقرآن مملوء من الادلة العقليه والبراهين اليقينيه على المعارف الالهية والمطالب الدينيه وتارة يخبر بها خبراً مجرداً لما قد أقامه من الآيات البينات والدلائل اليقينيات على أنه رسول الله المبلغ عن الله وأنه لايقول عليه الا الحق وان الله شهد له بذلك وأعلم عباده وأخبرهم أنه صادق مصدوق فيما بلغه عنه والادله التي بها نعلم أنه رسول الله كثيرة متنوعة وهي أدله عقلية يعلم صحتها بالعقل وهي أيضاً شرعية سمعية لكن الرسول بينها ودل عليها وأرشد اليها وجميع طوائف النظار متفقون على أن القرآن اشتمل على الادلة العقليه في المطالب الدينية وهم يذكرون ذلك في كتبهم الاصولية وفي كتب التفسير وعامة النظار أيضاً يحتجون بالادلة السمعيه الخبرية المجردة عن المطالب الدينية فانه اذا ثبت صدق الرسول وجب تصديقه فيما يخبر به

﴿ والعلوم ثلاثة أقسام﴾ منها مالا يعلم الا بالادله العقلية وأحسن الادلة العقليه التي بينها القرآن وأرشد اليها الرسول فينبغي أن يعرف

أن أجل الأدلة العقلية وأكملها وأفضلها مأخوذ عن الرسول فان من الناس من يذهل عن هذا فمنهم من يقدح في الدلائل العقلية مطلقاً لأنه قد صار في ذهنه أنها هي الكلام المبتدع الذي أحدثه من المتكلمين ومنهم من يعرض عن تدبر القرآن وطلب الدلائل اليقينية العقلية منه لانه قد صار في ذهنه أن القرآن انما يدل بطريق الخبر فقط فلا بد أن يعلم بالعقل قبل ذلك ثبوت النبوة وصدق الخبر حتى يستدل بعد ذلك بخبر من ثبت بالعقل صدقه ومنها مالا يعلمه غير الانبياء الا بخبر الانبياء وخبرهم المجرد هو دليل سمعي مثل تفاصيل ما أخبروا به من الامور الالهية والملائكة والعرش والجنة والنار وتفاصيل ما يؤمر به وينهي عنه فاما نفس اثبات الصانع وَوحدانيته وعلمه وقدرته ومشيئته وحكمته ورحمته ونحو ذلك فهذا لا يعلم بالادلة العقلية وان كانت الادلة والآيات التي تأتي بها الانبياء هي أكمل الادلة العقلية لكن معرفة هذه ليست مقصورة على الخبر المجرد وان كان أخبار الانبياء المجردة تفيد العلم اليقيني أيضا فيعلم بالادلة العقلية التي أرشدوا اليها ويعلم بمجرد خبرهم لما علم صدقهم بالادلة والآيات والبراهين التي دلت على صدقهم

﴿ وقد تنازع الناس في العلم بالمعاد وبحسن الافعال وقبحها ﴾ فاكثر الناس يقولون انه يعلم بالعقل مع السمع والقائلون بان العقل يعلم به الحسن والقبح أكثر من القائلين أن المعاد يعلم بالعقل قال أبو الخطاب هو قول أكثر الفقهاء والمتكلمين ومنهم من يقول المعاد والحسن والقبح لا يعلم الا بمجرد الخبر وهو قول الاشعري وأصحابه ومن وافقهم

من أتباع الأئمة كالقاضي أبي يعلى وأبي المعالي الجويني وأبي الوليد الباجي وغيرهم وكلهم متفقون على أن من العلوم ما علم بالعقل والسمع الذي هو مجرد الخبر مثل كون أفعال العباد مخلوقة لله أو غير مخلوقة وكون رؤيته ممكنة أو ممتنعة ونحو ذلك وكتب أصول الدين لجميع الطوائف مملوءة بالاحتجاج بالادلة السمعية الخبرية لكن الرازي طعن في ذلك في المطالب العالية وقال لان الاستدلال بالسمع مشروط بان لا يعارضه قاطع عقلي فاذا عارضه لعقلي وجب تقديمه عليه قال والعلم بانتفاء المعارض العقلي متعذر وهو انما ثبت بالسمع ما علم بالاضطرار ان الرسول أخبر به كالمعاد وقد ظن أن هذه طريقة أئمة الواقفة في الوعيد كالاشعري والقاضي أبي بكر وغيرهما وليس كذلك فان هؤلاء انما وقفوا في اخبار الوعيد خاصة لان العموم عندهم لا يفيد القطع أولانهم لا يقولون بصيغ العموم وقد تعارضت عندهم الادلة والا فهم يثبتون الصفات الخبرية لله كالوجه واليد بمجرد السمع والخبر ولم يختلف قول الاشعري في ذلك وهو قول ائمة أصحابه لكن أبو المعالي وأتباعه لا يثبتون الصفات الخبرية بل منهم من نفاها ومنهم من توقف فيها كالرازي والآمدي فيمكن أن ينقل قول الاشعري يخرج من قول هؤلاء بأن يقال لا يعرف أنهم استندوا في الاصول على دليل سمعي لكن يقال المعاد يحتجون عليه بالقرآن والاحاديث ولكن الرازي هو الذي سلك فيه طريق العلم الضروري ان الرسول جاء به وفي الجملة فجميع الادلة اليقينية توجب علما ضروريا والادلة السمعية الخبرية توجب علما ضروريا باخبار

الرسول لكن منها ما تكثر أدلته كخبر الأخبار المتواترة ويحصل به علم ضروري من غير تعيين دليل وقد يعين الأدلة ويستدل بها وبسط هذا له موضع آخر

والمقصود هنا أن تؤخذ من الرسول العلوم الالهية الدينية سمعيها وعقليها ويجعل ما جاء به هو الأصول لدلالة الأدلة اليقينية البرهانية على أن ما قاله حق جملة وتفصيلا فدلائل النبوة فاعلامها تدل على ذلك جملة وتفاصيل الأدلة العقلية الموجودة في القرآن والحديث تدل على ذلك تفصيلا وأيضا فإن الأنبياء والرسل إنما بعثوا بتعريف هذا فهم أعلم الناس به وأحقهم بقيامه وأولاهم بالحق فيه وأيضا فمن جرب مايقولونه ويقوله غيرهم وجد الصواب معهم والخطأ مع مخالفهم كما قال الرازي مع أنه من أعظم الناس طعنا في الأدلة السمعية حتى ابتدع قولا ما عرف به قائل مشهور غيره وهو أنها لا تفيد اليقين ومع هذا فانه يقول لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروي غليلا ووجدت أقرب الطرق طريقة القرآن أقرأ في الاثبات اليه يصعد الكلم الطيب الرحمن على العرش استوى واقرأ في النفي ليس كمثله شيء ولا يحيطون به علما قال ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي وأيضا فمن اعتبر ما عند الطوائف الذين لم يعتصموا بتعليم الأنبياء وإرشادهم وأخبارهم وجدهم كلهم حائرين ضالين شاكين مرتابين أو جاهلين جهلا مركبا فهم لا يخرجون عن الملتين اللذين في القرآن والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه

لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب أو كظلمات في بحر لجيّ يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور

﴿ فصل ﴾ واهل الضلال الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا وهم كما قال مجاهد أهل البدع والشبهات يتمسكون بما هو بدعة في الشرع ومشتبه في العقل كما قال فيهم الامام أحمد قال هم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب ، متفقون على مخالفة الكتاب يحتجون بالمتشابه من الكلام ويضلون الناس بما يشبهون عليهم والموقعة من أهل الضلال تجعل لها دينا وأصول دين قد ابتدعوه برأيهم ثم يعرضون على ذلك القرآن والحديث فان وافقه احتجوا به اعتضادا لا اعتمادا وان خالفه فتارة يحرفون الكلم عن مواضعه ويتأولونه على غير تأويله وهذا فعل أئمتهم وتارة يعرضون عنه ويقولون نفوض معناه الى الله وهذا فعل عامتهم وعمدة الطائفتين في الباطن غير ماجاء به الرسول يجعلون أقوالهم البدعية محكمة يجب اتباعها واعتقاد موجبها والمخالف اما كافر واما جاهل لا يعرف هذا الباب وليس له علم بالمعقول ولا بالاصول ويجعلون كلام الله ورسوله الذي يخالفها من المتشابه الذي لا يعرف معناه الا الله أولا يعرف معناه الا الراسخون في العلم والراسخون عندهم من كان موافقا لهم على ذلك القول وهؤلاء أضل ممن تمسك بما تشابه عليه من آيات الكتاب ويترك المحكم كالنصارى والخوارج وغيرهم اذ كان

هؤلاء أخذوا بالمتشابه من كلام الله وجعلوه محكما وجعلوا المحكم متشابها وأما أولئك كنفاة الصفات من الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم (وكالفلاسفة) ويجعلون ما ابتدعوه هم برأيهم هو المحكم الذي يجب اتباعه وان لم يكن معهم من الانبياء والكتاب والسنة ما يوافقه ويجعلون ما جاءت به الانبياء وان كان صريحا قد يعلم معناه بالضرورة يجعلونه من المتشابه ولهذا كان هؤلاء أعظم مخالفة للانبياء من جميع أهل البدع حتى قال يوسف بن اسباط وعبدالله بن المبارك وغيرهما كطائفة من أصحاب أحمد ان الجهمية نفاة الصفات خارجون عن الثنتين وسبعين فرقة قالوا وأصولها أربعة الشيعة والخوارج والمرجئة والقدرية* وقد ذكرنا في غير هذا الموضع ان قوله تعالى فقال منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات في المتشابهات قولان أحدهما أنها آيات بعينها تتشابه على كل الناس* والثاني وهو الصحيح ان التشابه أمر نسبي فقد يتشابه عند هذا ما لا يتشابه عند غيره ولكن ثم آيات محكمات لا يتشابه فيها على أحد وتلك المتشابهات اذا عرف معناها صارت غير متشابهة بل القول كله محكم كما قال أحكمت آياته ثم فصلت وهذا كقوله الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور لا يعلمهن كثير من الناس وكذلك قولهم ان البقر تشابه علينا وقد صنف أحمد كتابا في الرد علي الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله وفسر تلك الآيات كلها وذمهم على أنهم أولوا ذلك المتشابه على غير تأويله وعامتها آيات معروفة قد تكلم العلماء في تفسيرها مثل

الآيات التي سأل عنها نافع بن الأزرق لابن عباس قال الحسن البصري ما أنزل الله آية الا وهو يحب أن يعلم فيم أنزلت وماذا عني بها ومن قال من السلف ان المتشابه لا يعلم تأويله الا الله فقد أصاب أيضا ومراده بالتأويل ما استأثر الله بعلمه مثل وقت الساعة ومجيء اشراطها ومثل كيفية نفسه وما أعده في الجنة لاوليائه وكان من اسباب نزول الآية احتجاج النصارى بما تشابه عليهم كقوله انا ونحن وهذا يعرف العلماء أن المراد به الواحد المعظم الذي له أعوان لم يرد به ان الآلهة ثلاثة فتأويل هذا الذي هو تفسيره يعلمه الراسخون ويفرقون بين ما قيل فيه إيانا وما قيل فيه انا لدخول الملائكة فيما يرسلهم فيه اذ كانوا رسله وأما كونه هو المعبود الاله فهو له وحده ولهذا لا يقول فايانا فاعبدوا ولا إيانا فارهبوا بل متى جاء الأمر بالعبادة والتقوى والخشية والتوكل ذكر نفسه وحده باسمه الخاص واذا ذكر الافعال التي يرسل فيها الملائكة قال انا وحنا لك ونحو ذلك فاذا قرأناه فاتبع قرآنه نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق ونحو ذلك مع ان تأويل هذا وهو حقيقة ما دل عليه من الملائكة وصفاتهم وكيفية ارسال الرب لهم لا يعلمه الا الله كما قد بسط في غير هذا الموضع

والمقصود هنا ان الواجب أن يجعل ما قاله الله ورسوله هو الاصل ويتدبر معناه ويعقل ويعرف برهانه ودليله اما العقلي واما الخبري السمعي ويعرف دلالة القرآن على هذا وهذا ويجعل أقوال الناس التي قد توافقه وتخالفه متشابهة مجملة فيقال لاصحاب هذه الالفاظ يحتمل كذا وكذا

ويحتمل كذا وكذا فان أرادوا بها ما يوافق خبر الرسول قبل وان أرادوا بها ما يخالفه رد وهذا مثل لفظ المركب والجسم والمتحيز والجوهر والجهة والعرض ونحو ذلك ولفظ الخير ونحو ذلك فان هذه الالفاظ مالا توجد في الكتاب والسنة بالمعنى الذي يريده أهل هذا الاصطلاح بل ولا في اللغة اصلا بل هم يختصون بالتعبير بها على معان لم تعبر غيرهم عن تلك المعاني بهذه الالفاظ فيفسر تلك المعاني بعبارات أخرى ويبطل مادل عليه القرآن من الادلة العقلية والسمعية واذا وقع الاستفسار والتفصيل تبين الحق من الباطل وعرف وجه الكلام على أدلتهم فانها ملفقة من مقدمات مشتركة يأخذون اللفظ المشترك في احدى المقدمتين بمعنى وفي المقدمة الاخرى بمعنى آخر فهو في صورة اللفظ دليل وفي المعنى ليس بدليل كمن يقول سهيل بعيد من الثريا لايجوز أن يقترن بها ولا يتزوجها والذي قال

* أيها المنكح الثريا سهيلا *

أراد امرأة اسمها الثريا ورجلا اسمه سهيل ثم قال

عمرك الله كيف يلتقيان * هي شامية اذا ما استقلت

* وسهيل اذا استقل يمان *

وهذا لفظ مشترك فمن يفهمه وانكاره من الظاهر من جهة اللفظ المشترك وقد بسط الكلام على أدلتهم المفصلة في غير موضع

والاصل الذي بني عليه نفاة الصفات وعطلوا ما عطلوه حتى صار منتهاهم الى قول فرعون الذي جحد الخالق وكذب رسوله وهي في

أن الله كله هو استدلالهم على حدوث العالم بأن الاجسام محدثة واستدلالهم على ذلك بأنها لا تخلو من الحوادث ولم تسبقها وما لم يخل من الحوادث ولم يسبقها فهو محدث وهذا أصل قول الجهمية الذين أطبق السلف والأئمة على ذمهم وأصل قول المتكلمين الذين أطبقوا على ذمهم وقد صنف الناس مصنفات متعددة فيها أقوال السلف والأئمة في ذم الجهمية وفي ذم هؤلاء المتكلمين

﴿ والسلف لم يذموا جنس الكلام ﴾ فان كل آدمي يتكلم ولا ذموا الاستدلال والنظر والجدل الذي أمر الله به رسوله والاستدلال بما بينه الله ورسوله بل ولا ذموا كلاما هو حق بل ذموا الكلام الباطل وهو المخالف للكتاب والسنة وهو المخالف للعقل أيضاً وهو الباطل

فالكلام الذي ذمه السلف هو الكلام الباطل وهو المخالف للشرع والعقل ولكن كثير من الناس خفي عليه بطلان هـذا الكلام فمنهم من اعتقده موافقاً للشرع والعقل حتى اعتقد أن ابراهيم الخليل استدل به ومن هؤلاء من يجعله أصل الدين ولا يحصل الايمان أو لا يتم الا به ولكن من عرف ماجاء به الرسول وماكان عليه الصحابة علم بالاضطرار أن الرسول والصحابة لم يكونوا يسلكون هذا المسلك وصار من عرف ذلك يعرف أن هذا بدعة وكثير منهم لا يعرف أنه فاسد بل يظن مع ذلك أنه صحيح من جهة العقل لكنه طويل أو تبعد المعرفة أو هو طريق مخيفة مخطرة يخاف على سالكه فصاروا يعيبونه كما يعاب الطريق الطويل والطريق المخيف مع اعتقادهم أنه يوصل الى المعرفة وأنه صحيح

في نفسه * وأما الحذاق العارفون بحقيقه فعلموا أنه باطل عقلا وشرعا وأنه ليس بطريق موصل الى المعرفة بل انما يوصل لمن اعتقد صحته الى الجهل والضلال ومن تبين له تناقضه أوصله الى الحيرة والشك

ولهذا صار حذاق سالكيه ينتهون الى الحيرة والشك اذ كان حقيقته أن كل موجود فهو حادث مسبوق بالعدم وليس في الوجود قديم وهذا مكابرة فان الوجود مشهود وهو اما حادث واما قديم والحادث لا بد له من قديم فثبت وجود القديم على التقدير

وكذلك ما ابتدعه في هذه الطريق ابن سينا وأتباعه من الاستدلال بالممكن على الواجب أبطل من ذلك كما قد بسط ذلك في غير هذا الموضع وحقيقته ان كل موجود فهو ممكن ليس في الوجود موجود بنفسه مع انهم جعلوا هذا طريقاً لاثبات الواجب بنفسه كما يجعل أولئك هذا طريقاً لاثبات القدم وكلاهما يناقض ثبوت القديم والواجب فليس في واحد منهما اثبات قديم ولا واجب بنفسه مع ان ثبوت موجود قديم وواجب بنفسه معلوم بالضروره ولهذا صار حذاق هؤلاء الى أن الموجود الواجب والقديم هو العالم بنفسه وقالوا هو الله وأنكروا أن لا يكون العالم رب مباين للعالم اذ كان ثبوت القديم الواجب بنفسه لا بد منه على كل قول وفرعون ونحوه ممن انكر الصانع ما كان ينكر هذا الوجود المشهود فلما كان حقيقة قول أولئك يستلزم أنه ليس موجود قديم ولا واجب لكنهم لا يعرفون ان هذا يلزمهم بل يظنون أنهم أقاموا الدليل على اثبات القديم الواجب بنفسه

(ولكن وصفوه) بصفات الممتنع فقالوا لا داخل العالم ولا خارجه ولا هو صفة ولا موصوف ولا يشار اليه ونحو ذلك من الصفات السلبية التي تستلزم عدمه وكان هذا مما يفرغه العقول والفطر ويعرف أن هذا صفة المعدوم الممتنع لا صفة الموجود فانهم في نفس الامر يستلزم أنه ما ثم قديم ولا واجب ولكن ظنوا انهم أثبتوا القديم والواجب وهذا الذي أثبتوه هو ممتنع فما أثبتوا قديماً ولا واجباً فجاء آخرون من جهتهم فرأوا هذا مكابرة ولا بد من اثبات القديم والواجب فقالوا هو هذا العالم وكان قدماء الجهمية يقولون انه بذاته في كل مكان وهؤلاء قالوا هو عين الموجودات والموجود القديم الواجب هو نفس الوجود المحدث الممكن والحلول هو الذي أظهره الجهمية للناس حتى عرفه السلف والأئمة وردوه وأما حقيقة قولهم فهو النفي أن لا داخل العالم ولا خارجه ولكن هذا لم تسمعه الأئمة ولم يعرفوا أنه قولهم الا من بعضهم ولهذا كان الأئمة يحكون عن الجهمية أنه في كل مكان ويحكون عنهم وصفه بالصفات السلبية وشاع عند الناس أن الجهمية يصفونه بالسلوب حتى قال أبو تمام

جهمية الاوصاف الا أنها * قد حليت بمحاسن الاسما

وهم لم يقصدوا نفي القديم والواجب فان هذا لا يقصده أحد من العقلاء لا مسلم ولا كافر اذ كان خلاف ما يعلمه كل أحد ببديهة عقله فانه اذا قدر أن جميع الموجودات حادثة عن عدم لزم ان كل الموجودات حدثت بانفسها ومن المعلوم ببداهة العقول ان الحادث لا يحدث بنفسه

ولهذا قال تعالى أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون وقد قيل خلقوا من غير شئ من غير رب خلقهم وقيل من غير مادة وقيل من غير عاقبة وجزاء والاول مراد قطعاً فان كل ماخلق من مادة او لغاية فلا بد له من خالق

﴿ ومعرفة الفطر ﴾ أن المحدث لا بد له من محدث أظهر فيها من ان كل محدث لا بد له من مادة خلق منها وغاية خلق لها فان كثيراً من العقلاء نازع في هذا وهذا ولم ينازع في الاول طائفة قالت ان هذا العالم حدث من غير محدث أحدثه بل من الطوائف من قال انه قديم بنفسه واجب بنفسه ليس له صانع واما أن تقول انه محدث حدث بنفسه بلا صانع فهذا لا يعرف عن طائفة معروفة وانما يحكى عمن لا يعرف ومثل هذا القول وأمثاله يقوله من يقوله ممن حصل له فساد في عقله صار به الى السفسطة والسفسطة تعرض لآحاد الناس وفي بعض الامور ولكن أمة من الامم كلهم سوفسطائيه في كل شئ هذا لا يتصور فلهذا لا تعرف عن أمة من الامم انهم قالوا بحدوث العالم من غير محدث وهؤلاء لما اعتقدوا ان كل موصوف أو كل ماقامت به صفة أو فعل بمشيئته فهو محدث وممكن لزمهم القول بحدوث كل موجود اذ كان الخالق جل جلاله متصفا بما يقوم به من الصفات والامور الاختيارات مثل أنه متكلم بمشيئته وقدرته و يخلق مايخلقه بمشيئته وقدرته لكن هؤلاء اعتقدوا انتفاء هذه الصفات عنه لاعتقادهم صحة القول بأن ماقامت به الصفات والحوادث فهو حادث لان ذلك لا يخلو

من الحوادث ومالم يخل من الحوادث فهو حادث واذا كان حادثا كان له محدث قدم واعتمدوا أنهم أثبتوا الرب وانه ذات مجردة عن الصفات ووجوده مطلق لا يشار اليه ولا يعين ويقولون هو بلا اشارة ولا تعيين وهذا الذي أثبتوه لا حقيقة له فى الخارج وانما هو في الذهن وكان ماأثبتوه واعتمدوا أنه الصانع للعالم انما يحقق في الاذهان لا في الاعيان وكان حقيقة قولهم تعطيل الصانع فجاء اخوانهم فى أصل المقالة وقالوا هذا الوجود المطلق المجرد عن الصفات هو الوجود السارى في الموجودات فقالوا بحلوله في كل شئ وقال آخرون منهم هو وجود كل شئ ومنهم من فرق بين الوجود والثبوت ومنهم من فرق بين التعيين والاطلاق ومنهم من جعله فى العالم كالمادة في الصورة ومنهم من جعله في العالم كالزبد فى اللبن وكالزيت والشيرج فى السمسم والزيتون وقد بسط الكلام على هؤلاء فى غير هذا الموضع

والمقصود هنا أن الاصل الذى أصابهم قولهم ماقامت به الصفات والافعال والامور الاختيارية أو الحوادث فهو حادث ثم قالوا والجسم لايخلو من الحوادث وأثبتوا ذلك بطرق منهم من قال لايخلو عن الاكوان الاربعة الحركة والسكون والاجتماع والافتراق ومنهم من قال لايخلو عن الحركة والسكون فقط ومنهم من قال لايخلو من الاعراض والاعراض كلها حادثة وهى لاتبقى زمانين وهذه طريقة الآمدى وزعم أن أكثر أصحاب الاشعرية اعتمدوا عليها والرازي اعتمد على طريقة الحركة والسكون

وقد بسط الكلام على هذه الطرق وجميع ما احتجوا به على حدوث الجسم وامكانه وذكرنا في ذلك كلامهم هم أنفسهم في فساد جميع هذه الطرق وانهم هم بينوا فساد جميع ما استدل به على حدوث الجسم وامكانه وبينوا فسادها طريقا طريقا ذكروه كما قد بسط هذا في غير هذا الموضع

وأما الهشامية والكرامية وغيرهم ممن يقول بأنه جسم قديم فقد شاركوهم في أصل هذه المقالة لكن لم يقولوا بحدوث كل جسم ولا قالوا ان الجسم لا ينفك عن الحوادث اذ كان القديم عندهم جسما قديما وهو خال من الحوادث وقد قيل أول من قال في الاسلام ان القديم جسم هو هشام بن الحكم كما ان أول من أظهر في الاسلام نفي الجسم هو الجهم بن صفوان وكلام السلف والأئمة في ذم الجهمية كثير مشهور فان مرض التعطيل شر من مرض التجسيم وانما كان السلف يذمون المشبهة كما قال الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه واسحق ابن راهويه وغيرهما قالوا المشبهة الذين يقولون بصر كبصري ويد كيدي وقدم كقدمي وابن كلاب ومن تبعه أثبتوا الصفات التي لا تتعلق بمشيئته وقدرته فنفوها قالوا لانها حادثة ولو قامت به الحوادث لكان حادثا لأن ماقبل الشيء لم يخل عنه وعن ضده فلو قبل بعض هذه الحوادث لم يخل منه ومن ضده فلم يخل من الحوادث فيكون حادثا.

ومحمد بن كرام فكان بعد ابن كلاب في عصر مسلم بن الحجاج أثبت انه يوصف بالصفات الاختيارية ويتكلم بمشيئته وقدرته ولكن عنده يمتنع انه كان في الأزل متكلما بمشيئته وقدرته لامتناع حوادث

لأول لها فلم ـل يقول السلف انه لم يزل متكلما اذا شاء بل قال انه صار يتكلم بمشيئته وقدرته كما صار يفعل بمشيئته وقدرته بعدان لم يكن كذلك وقال هو وأصحابه في المشهور عنه ان الحوادث التي تقوم به لايخلو منها ولا يزول عنها لانه لو قامت به الحوادث ثم زالت عنه كان قابلا لحدوثها وزوالها واذا كان قابلا كذلك لم يخل منه ومالم يخل من الحوادث فهو حادث وانما يقبل على أصلهم انه تقوم به الحوادث فقط كما يقبل أن يفعلها ويحدثها ولا يلزم من ذلك أنها لم تحل منه كما لم يلزم أنه لم يزل فاعلا لها والحدوث عندهم غير الاحداث والقرآن عندهم حادث لامحدث لان المحدث يفتقر الي احداث بخلاف الحدوث وهم اذا قالوا كان خاليا منها في الازل وكان ساكنا لم يقولوا انه قام به حادث بل يقولون السكون أمر عدمي كما يقوله الفلاسفة ولكن الحركة أمر وجودي بخلاف ما يقوله من المعتزلة والاشعرية ان السكون أمر وجودي كالحركة فاذا حصل به حادث لم يكن ثم عدم هذا الحادث فانما يعدم الحادث باحداث يقوم به وهذا ممتنع عندهم فيقولون انه يمتنع عدم الجسم وتقدم ان البارى يقوم به احداث المخلوقات وافناؤها فالحوادث التي تقوم بهم تقوم به لو أفناها لقام به الاحداث والافناء وكان قابلا لان يحدث فيه حادث ويفني ذلك الحادث وما كان كذلك لم يخل من احداث وافناء فلم يخل من الحوادث ومالم يخل منها فهو حادث وانما كان كذلك لان القابل للشيء لايخلو عنه وعن ضده كما قالت الكلابية لكن المعتزلة يقولون السكون ضد الحركة فالقابل لاحدهما لايخلو عنه

وعن الآخر وهؤلاء يقولون السكون ليس بضد وجودي بل هو عدمي وإنما الوجودي هو الاحداث والافناء فلو قبل قيام الاحداث والافناء به لكان قائلا لقيام الاضداد الوجودية والقابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده وهؤلاء لما أراد منازعوهم ابطال قولهم كان عمدتهم بيان تناقض أقوالهم كما ذكر ذلك أبو المعالي وأتباعه وكما ذكر الآمدي تناقضهم من وجوه كثيرة قد ذكرت في غير هذا الموضع وغايتها انها تدل على مناقضتهم لا على صحة مذهب المنازع

ومن طائفة كثيرة يقول انه تقوم به الحوادث وتزول وانه كلم موسى بصوت وذلك الصوت عدم وهذا مذهب أئمة السنة والحديث من السلف وغيرهم وأظن الكرامية لهم في ذلك قولان وإلا فالقول بفناء الصوت الذي كلم به موسى من جنس القول بقدمه كما يقول ذلك من يقوله من أهل الكلام والحديث والفقه من السالمية وغيرهم ومن الحنبلية والشافعية والمالكية يقول انه كلم موسى بصوت سمعه موسى وذلك الصوت قديم وهذا القول يعرف فساده ببديهة العقل وكذلك قول من يقول كلمه بصوت حادث وان ذلك الصوت باق لا يزال هو وسائر ما يقوم به من الحوادث هي أقوال يعرف فسادها بالبديهة

وانما أوقع هذه الطوائف في هذه الاقوال ذلك الاصل الذي تلقوه عن الجهمية وهو أن ما لم يخل من الحوادث فهو حادث وهو باطل عقلا وشرعا وهذا الاصل فاسد مخالف للعقل والشرع وبه استطالت عليهم الفلاسفة الدهرية فلا للاسلام نصروا ولا لعدوه كسروا

بل قد خالفوا السلف والائمة وخالفوا العقل والشرع وسلطوا عليهم وعلى المسلمين عدوهم من الفلاسفة والدهرية والملاحدة بسبب غلطهم في هذا الاصل الذي جعلوه أصل دينهم ولو اعتصموا بما جاء به الرسول لوافقوا المعقول والمنقول وثبت لهم الاصل ولكن ضيعوا الاصول فحرموا الوصول والاصول اتباع ماجاء به الرسول

وأحدثوا أصولا ظنوا انها أصول ثابتة وكانت كما ضرب الله المثلين مثل البناء والشجرة فقال في المؤمنين والمنافقين أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لايهدى القوم الظالمين وقال ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء والاصول مأخوذة من أصول الشجرة وأساس البناء ولهذا يقال فيه الاصل ماابتنى عليه غيره أو ماتفرع عنه غيره

فالأصول الثابتة هي أصول الانبياء كما قيل

أيها المغتدى لتطلب علما * كل علم عبد لعلم الرسول
تطلب الفرع كي تصحح حكما * ثم أغفلت أصل أصل الاصول

والله يهدينا وسائر اخواننا المؤمنين الى صراطه المستقيم صراط

الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وهذه الاصول ينبني عليها مافي القلوب ويتفرع عليهاوقد ضرب الله مثل الكلمة الطيبة التي في قلوب المؤمنين ومثل الكلمة الخبيثة التي في قلوب الكافرين

والكلمة هي قضية جازمة وعقيدة جامعة و نبينا صلى الله عليه وسلم أوتي فواتح الكلام وخواتمه وجوامعه فبعث بالعلوم الكلية والعلوم الاولية والآخرية على أتم قضية فالكلمة الطيبة في قلوب المؤمنين وهي العقيدة الايمانية التوحيدية كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء فاصل أصول الايمان ثابت في قلب المؤمن كثبات أصل الشجرة الطيبة وفرعها في السماء اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والله سبحانه مثل الكلمة الطيبة أي كلمة التوحيد بشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء

فبين بذلك ان الكلمة الطيبة لها أصل ثابت في قلب المؤمن ولها فرع عال وهي ثابتة في قلب ثابت كما قال يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة فالمؤمن عنده يقين وطمأنينة والايمان في قلبه ثابت مستقر وهو في نفسه ثابت على الايمان مستقر لايتحول عنه والكلمة الخبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار لامكان تستقر فيه ولا استقرار في المكان فان القرار يراد به مكان الاستقرار كما قال تعالى بئس القرار وقد جعل لكم الارض قرارا

ويقال فلان ماله قرار أى ثبات وقد فسر القرار فى لأنه مهدا وهذا فالمبطل ليس قوله ثابتا في قلبه ولا هو ثابت فيه ولا يستمر كما قال تعالى فى المثل الآخر فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض فانه وان اعتقده مدة فانه عند الحقيقة يخونه كالذى يشرك بالله فعند الحقيقة يضل عنه ما كان يدعو من دون الله وكذلك الاعمال الباطلة التي يعتمدها الانسان عند الحقيقة تخونه ولا تنفعه بل هي كالشجرة الخبيثة التي اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار فمن كان معه كلمة طيبة أصلها ثابت كان له فرع في السماء يوصله الى الله فانه سبحانه اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ومن لم يكن معه أصل ثابت فانه يحرم الوصول لانه ضيع الاصول ولهذا تجد أهل البدع والشبهات لا يصلون الى غاية محمودة كما قال تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال

والله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب بأن يكون هو المعبود وحده لا شريك له وانما يعبد بما أمر به على ألسن رسله

وأصل عبادته معرفته بما وصف به نفسه في كتابه وما وصفه به رسله ولهذا كان مذهب السلف انهم يصفون الله بما وصف به نفسه وما وصفه به رسله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل والذين ينكرون بعض ذلك ما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته ولا وصفوه حق صفته ولا عبدوه حق عبادته

والله سبحانه قد ذكر هذه الكلمة ماقدروا الله حق قدره في ثلاث مواضع ليثبت عظمته في نفسه وما يستحقه من الصفات وليثبت وحدانيته وانه لا يستحق العبادة الا هو وليثبت ما أنزله على رسله فقال في الزمر وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة الآية وقال في الحج ضعف الطالب والمطلوب ماقدروا الله حق قدره وقال في الانعام وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ماأنزل الله على بشر من شئ والمواضع الثلاثة ذم الذين ماقدروه حق قدره من الكفار فدل ذلك على انه يجب على المؤمن أن يقدر الله حق قدره كما يجب عليه أن يتقيه حق تقاته وأن يجاهد فيه حق جهاده قال تعالى وجاهدوا في الله حق جهاده وقال اتقوا الله حق تقاته والمصدر هنا مضاف الى المفعول والفاعل مراد أي حق جهاده الذي أمركم به وحق تقاته التي أمركم بها واقدروه قدره الذي بينه لكم وأمركم به فصدقوا الرسول فيما أخبر وأطيعوه فيما أوجب وأمر وأما مايخرج عن طاقة البشر فذلك لايذم أحد على تركه قالت عائشة فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو * ودلت الآية على ان له قدرا عظيما لاسيما قوله وماقدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه وفي تفسير ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال من آمن بأن الله على كل شئ قدير فقد قدر الله حق قدره

وقد ثبت في الصحيحين من حديث ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية لما ذكر له بعض اليهود ان الله يحمل السموات

على أصبع والارض على أصبع والجبال على أصبع والشجر والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا وتصديقا لقول الحبر وقرأ هذه الآية

وعن ابن عباس قال مر يهودي بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا القاسم ما تقول اذا وضع الله السماء على ذه والارض على ذه والجبال والماء على ذه وسائر الخلق على ذه فأنزل الله تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه رواه الامام أحمد والترمذي من حديث أبي الضحى عن ابن عباس وقال غريب حسن صحيح

وهذا يقتضي ان عظمته أعظم مما وصف ذلك الحبر فان الذي في الآية أبلغ كما في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم قال يقبض الله الارض يوم القيامه ويطوى السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الارض وفي الصحيحين عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوى الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمني ثم يقول أين الملوك أين الجبارون أين المتكبرون ورواه مسلم أبسط من هذا وذكر فيه انه يأخذ الارض بيده الاخرى

وقد روى ابن حاتم حدثنا أبي ثنا عمرو بن رافع ثنا يعقوب بن عبدالله عن جعفر عن سعيد بن جبير قال تكلمت اليهود في صفة الرب تبارك وتعالى فقالوا مالم يعلموا ولم يروا فأنزل الله على نبيه وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات

نفيه سبحانه وتعالى عما يشركون فجعل صفاته التي وصفوا بها شركا

وقال حدثنا أبي ثنا أبو نعيم ثنا الحكم يعني أبا معاذ عن الحسن قال عمد اليهود فنظروا في خلق السموات والارض والملائكة فلما فرغوا أخذوا يقدرونه فأنزل الله تعالى على نبيه وما قدروا الله حق قدره وهذا يدل على انه أعظم مما وصفوه وانهم لم يقدروه حق قدره وقوله عما يشركون فكل من جعل مخلوقا مثلا للخالق في شيء من الاشياء فأحبه مثل ما يحب الخالق أو وصفه بمثل ما يوصف به الخالق فهو مشرك سوى بين الله وبين المخلوق في شيء من الاشياء فعدل بربه والرب تعالى لا كفؤ له ولا سمي له ولا مثل له ومن جعله مثل المعدوم والممتنع فهو شر من هؤلاء فانه معطل ممثل والمعطل شر من المشرك والله ثنى قصة فرعون في القرآن في غير موضع لاحتياج الناس الى الاعتبار بها فانه حصل له من الملك ودعوى الربوبية والالهية والعلو مالم يحصل مثله لاحد من المعطلين وكانت عاقبته الى ما ذكر الله تعالى وليس لله صفة يماثله فيها غيره فلهذا لم يجز أن يستعمل في حقه قياس التمثيل ولا قياس الشمول الذي تستوي افراده فان ذلك شرك اذ سوى فيه بالمخلوق بل قياس الاولى فانه سبحانه له المثل الاعلى في السموات والارض فهو أحق من غيره بصفات الكمال وأحق من غيره بالتنزيه عن صفات النقص وقد بسط هذه الامور في غير هذا الموضع وبين ان من جعله الوجود المطلق والمقيد بالسلب أو ذاتا مجردة فهؤلاء مثلوه بأنقص المعقولات الذهنية وجعلوه دون الموجودات الخارجية والله

الذين قصدوا اثبات حدوث العالم باثبات حدوث الجسم لم يثبتوا بذلك حدوث شيء كما قد بين في موضعه

ثم انهم جعلوا عمدتهم في تنزيه الرب عن النقائص على نفي الجسم ومن سلك هذا المسلك لم ينزه الله عن شيء من النقائص البتة فانه ما من صفة ينفيها لانها تستلزم التجسيم وتكون من صفات الاجسام الا يقال له فيما اثبته نظير ما تقوله هو في نفس تلك الصفة فان كان مثبتا لبعض الصفات قيل له القول في هذه الصفة التي نفيتها كالقول فيما أثبته فان كان هذا تجسيما وقولا باطلا فهذا كذلك وان قلت أنا أثبت هذا على الوجه الذي يليق بالرب قيل له وكذلك هذا كذلك وان قلت أنا أثبته وأنفي الجسم قيل ذلك وهذا كذلك فليس لك أن تفرق بين المتماثلين وان ممن يثبت الاسماء وينفي الصفات كالمعتزلة قيل له في الصفات ما يقوله هو في الاسماء فاذا كان يثبت حيا عالما قادرا وهو لا يعرف من هو متصف بذلك الا جسما كان اثبات ان له علما وقدرة كما نطق به الكتاب والسنة كذلك وان كان ممن لا يثبت لا الاسماء ولا الصفات كالجهمية المحضة والملاحدة قيل له فلا بد أن تثبت موجودا قائما بنفسه وأنت لا تعرف ذلك الا جسما وان قال لا اسميه باسم لا اثبات ولا نفي قيل له سكوتك لا ينفي الحقائق ولا واسطة بين النفي والاثبات فاما أن يكون حقا ثابتا موجودا واما أن يكون باطلا معدوما وأيضا فان كنت لم تعرفه فانت جاهل فلا تكلم وان عرفته فلا بد ان تميز بينه وبين غيره بما يختص به مثل أن يقول رب العالمين أو القديم الازلي

أوالموجود بنفسه ويجوزذلك وحينئذ فقد أثبت حيا موجودا قائما بنفسه وأثبته فاعلا وأنت لاتعرف ما هو كذلك الاالجسم وان قدر انه جاحد له قيل له فهذا الوجود مشهود فان كان قديما أزليا موجودا بنفسه فقد ثبت جسم قديم أزلي موجود بنفسه وهو ماقررت منه وان كان مخلوقا مصنوعا فله خالق خلقه ولابد أن يكون قديما أزليا فقد ثبت الموجود القائم بنفسه القديم الازلى على كل تقدير وهذا مبسوط في غير هذا الموضع

وهنا قد نبهنا على ذلك وانه كل من بنى تنزيهه للرب عن النقائص والعيوب على نفي الجسم فانه لايمكنه أن ينزهه عن عيب أصلا بهذه الحجة وكذلك من جعل عمدته نفي التركيب

ومن تدبر ما ذكروه في كتبهم تبين له انهم لم يقيموا حجة على وجوده فلاهم أثبتوه وأثبتوا له مايستحقه ولانزهوه ونفوا عنه مالايجوز عليه اذ كان اثباته هو اثبات حدوث الجسم ولم يقيموا على ذلك دليلا والنفي اعتمدوا فيه على ذلك وهم متناقضون فيه لو كانوا أقاموا دليلا على نفي كونه جسما فكيف اذا لم يقيموا على ذلك دليلا وتناقضوا

وهذا مما تبين لك ان من خرج عن الكتاب والسنة فليس معه علم لاعقلي ولا سمعي لاسيما في هذا المطلوب الاعظم لكنهم قد يكونون معتقدين لعقائد صحيحة عرفوها بالفطرة العقلية وبما سمعوه من القرآن ودين المسلمين فقلوبهم تثبت ماتثبت وتنفي ماتنفي بناء على هذه الفطرة المكملة بالشرعة المنزلة لكنهم سلكوا هذه الطرق البدعية وليس فيها

علم أصلا ولكن يستفاد من كلامهم ابطال بعضهم لقول المبطل الآخر وبيان تناقضه ولهذا لما ذكروا المقالات الباطلة في الرب جعلوا ردوها بأن ذلك تجسيم كما فعل القاضي أبو بكر في هداية المسترشدين وغيره فلم يقيموا حجة على أولئك المبطلين وردوا كثيراً مما تقول اليهود أنه تجسيم وقد كان اليهود عند النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وكانوا أحيانا يذكرون له بعض الصفات كحديث الحبر وقد ذم الله اليهود على أشياء كقولهم ان الله فقير وان يده مغلولة وغير ذلك ولم ينقل النبي صلى الله عليه وسلم قط انهم يجسمون ولا ان في التوراة تجسيما ولا عابهم بذلك ولا رد هذه الاقوال الباطلة أن هذا تجسيم كما فعل ذلك من فعله من النفاة فتبين ان هذه الطريقة مخالفة للشرع والعقل وانها مخالفة لما بعث الله به رسوله ولما فطر عليه عباده وان أهلها من جنس الذين قالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير وقد بينا في غير هذا الموضع فساد ما ذكره الرازي من ان طريقة الوجوب والامكان من أعظم الطرق وبينا فساده وانها لا تفيد علماً وانهم لم يقيموا دليلا على اثبات واجب الوجود وان طريقة الكمال أشرف منها وعليها اعتماد العقلاء قديماً وحديثاً وهو قد اعترف في آخر عمره بانه قد تأمل الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما وجدها تشفي عليلا ولا تروي غليلا ووجد أقرب الطرق طريقة القرآن وطريقة الوجوب والامكان لم يسلكها أحد قبل ابن سينا وهو أخذها من كلام المتكلمين الذين قسموا الوجود الى محدث وقديم فقسمه هو الى واجب وممكن لتمكنه القول

بأن الملك ممكن مع قدرته وخالف بذلك عامة العقلاء من سلفه وغير سلفه وخالف نفسه فانه قد ذكر في المنطق ما ذكره سلفه من أن الممكن لايكون الا محدثا كما قد بسط الكلام عليه في غير هذا الموضع

(ثم) ان هؤلاء الذين سلكوا هذه الطريقة انتهت بهم الى قول فرعون فان فرعون جحد الخالق وكذب موسى في أن الله كلمه وهؤلاء ينتهي قولهم الى جحد الخالق وان أثبتوه قالوا انه لايتكلم ولا نادي أحداً ولا ناجاه وعمدتهم في نفي ذاته على نفي الجسم وفي نفي كلامه وتكليمه لموسى على أنه لاتحله الحوادث فلا يبقى عندهم رب ولا مرسل وحقيقة قولهم يناقض شهادة أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله فان الرسول هو المبلغ لرسالة مرسله والرسالة هي كلامه الذي بعثه به فاذا لم يكن متكلماً لم تكن رسالة ولهذا اتفق الانبياء على أن الله يتكلم ومن لم يقل انه يتكلم بمشيئته وقدرته كلاما يقوم بذاته لم نقل انه يتكلم والنفاة منهم من يقول

الكلام صفة فعل بمعنى أنه مخلوق بائن عنه ومنهم من يقول هو صفة ذات بمعنى أنه كالحياة يقوم بذاته وهو لايتكلم بمشيئته وقدرته وكل طائفة مصيبة في ابطال باطل الاخرى

والدليل يقوم على أنه صفة ذات وفعل تقوم بذات الرب والرب يتكلم بمشيئته وقدرته فادلة من قال انه صفة فعل كلها انما تدل على أنه يتكلم بقدرته ومشيئته وهذا حق وأدلة من قال انه صفة ذات انما تدل على أن كلامه يقوم بذاته وهذا حق وأما من أثبت أحدهما كمن

قال ان كلامه مخلوق أوقال انه لايتكلم بمشيئته وقدرته فهؤلاء في الحقيقة لم يثبتوا أنه يتكلم ولا أثبتوا له كلاما ولهذا يقولون مالا يعقل هذا يقول انه معنى واحد قائم بالذات وهذا يقول حروف أو حروف وأصوات قديمة أزلية لازمة لذاته وهذا يقول مخلوق بائن عنه

ولهذا لما ظهر لطائفة من أتباعهم مافى قولهم من الفساد ولم يعرفوا غير هذه الاقوال الثلاثة حاروا وتوقفوا وقالوا نحن نقر بما عليه عموم المسلمين من ان القرآن كلام الله وأما كونه مخلوقا أوبحرف وصوت أو معنى قائم بالذات فلا نقول شيئا من هذا ومعلوم أن الهدي في هذه الاصول ومعرفة الحق فيها ومعرفة ماجاء به الرسول وهو الموافق لصريح المعقول أنفع وأعظم من كثير مما يتكلمون فيه من العلم لاسيما والقلوب تطلب معرفة الحق في هذه بالفطرة ولما قد رأوا من اختلاف الناس فيها وهؤلاء يذكرون هذا الوقف في عقائدهم وفيما صنفوه فى أصول الدين كما قد رأيت منهم من أكابر شيوخ العلم والدين بمصر والشام قد صنفوا فى أصول الدين ماصنفوه ولما تكلموا في مسئلة القرآن وهل هو مخلوق أو قديم أوهو الحروف والاصوات أو معنى قائم بالذات نهوا عن هذه الاقوال وقالوا الواجب أن يقال ماقاله المسلمون كلهم ان القرآن كلام الله ونمسك عن هذه الاقوال وهؤلاء توقفوا عن حيرة وشك ولهم رغبة فى العلم والهدى والدين وهم من أحرص الناس على معرفة الحق في ذلك وغيره لكن لم يعلموا الا هذه الاقوال الثلاثة قول المعتزلة والكلابية والسالمية وكل طائفة تبين فساد قول الاخرى وفي كل

قول من الفساد مايوجب الامتناع من قوله ولم يعلموا قولا غير هذه فرضوا بالجهل البسيط وكان أحب اليهم من الجهل المركب وكان أسباب ذلك أنهم وافقوا هؤلاء على أصل قولهم ودينهم وهو الاستدلال على حدوث الاجسام وحدوث العالم بطريقة أهل الكلام المبتدع كما سلكها من ذكرته من أجلاء شيوخ أهل العلم والدين والاستدلال على امكانها بكونها مركبة كما سلك الشيخ الآخر وهذا ينفي عن الواجب أن يكون جسما بهذه الطريقة وذلك يقتضي أنه جسم سلك الطريقة وحذاق النظار الذين كانوا أخبر بهذه الطرق وأعظم نظراً واستدلالا بها وبغيرها قد عرفوا فسادها كما قد بسط في غير هذا الموضع

والله سبحانه قد أخبر أنه أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وأخبر أنه ينصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا والله سبحانه يجزي الانسان بجنس عمله فالجزاء من جنس العمل فمن خالف الرسل عوقب بمثل ذنبه فان كان قد قدح فيهم ونسب مايقولونه الى أنه جهل وخروج عن العلم والعقل ابتلي في عقله وعلمه وظهر من جهله ماعوقب به ومن قال عنهم انهم تعمدوا الكذب أظهر الله كذبه ومن قال انهم جهال أظهر الله جهله ففرعون وهامان وقارون لما قالوا عن موسى انه ساحر كذاب أخبر الله بذلك عنهم في قوله ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب وطلب فرعون اهلاكه بالقتل وصار يصفه بالعيوب كقوله وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه اني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الارض الفساد

وقال أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين أهلك الله فرعون وأظهر كذبه وافتراءه على الله وعلى رسله وأذله غاية الاذلال وأعجزه عن الكلام النافع فلم يبين حجة وفرعون هذه الامة أبو جهل كان يسمى أبا الحكم ولكن النبي صلى الله عليه وسلم سماه أبا جهل وهو كما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو جهل أهلك به نفسه وأتباعه فى الدنيا والآخرة

﴿ والذين ﴾ قالوا عن الرسول انه أبتر وقصدوا أنه يموت وينقطع ذكره عوقبوا بانبتارهم كما قال تعالى ان شانئك هو الابتر فلا يوجد من شنأ الرسول الا بتره الله حتى أهل البدع المخالفون لسنته قيل لابي بكر ابن عياش ان بالمسجد قوما يجلسون للناس ويتكلمون بالبدعة فقال من جلس للناس جلس الناس اليه لكن أهل السنة يبقون ويبقى ذكرهم وأهل البدعة يموتون ويموت ذكرهم

وهؤلاء المشبهون لفرعون الجهمية نفاة الصفات الذين وافقوا فرعون فى جحده وقالوا انه ليس فوق السموات وان الله لم يكلم موسى تكليما كما قال فرعون ياهامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى وانى لاظنه كاذبا وكان فرعون جاحداً للرب فلولا أن موسى أخبره أن ربه فوق العالم لما قال أطلع الى اله موسى وانى لاظنه كاذبا قال تعالى وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون الا في تباب وقال تعالى وقال فرعون ياأيها الملأ ماعلمت لكم من اله غيرى فاوقد لي ياهامان على الطين فاجعل

لي صرحا لعلى أطلع الى اله موسي واني لأظنه من الكاذبين واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق وظنوا انهم الينا لايرجعون فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم أئمة يدعون الي النار ويوم القيامة لاينصرون وأتبعناهم في هـذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين

ومحمد صلي الله عليه وسلم لما عرج به الي ربه وفرض عليه الصلوات الخمس ذكر انه رجع الى موسى وان موسى قال له ارجع الى ربك فسله التخفيف الى أمتك كما تواتر هذا في أحاديث المعراج فموسى صدق محمدا فى أن ربه فوق وفرعون كذب موسى في ان ربه فوق فالمقرون بذلك متبعون لموسى ومحمد والمكذبون بذلك موافقون لفرعون

وهذه الحجة مما اعتمد عليها غير واحد من النظار وهي مما اعتمد عليه أبو الحسن الاشعري في كتابه في الابانه وذكر عدة أدلة عقلية وسمعية على ان الله فوق العالم وقال في أوله

فان قال قائل قد أنكرتم قول الجهمية والقدريه والخوارج والروافض والمعتزلة والمرجئة فعرفونا قولكم الذى به تقولون وديانتكم التى بها تدينون

قيل له قولنا الذى نقول به وديانتنا التى ندين بها التمسك بكتاب ربنا وسنة نبينا وما جاء عن الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل قائلون ولما خالف قوله مجانبون فانه الامام الكامل والرئيس الفاضل الذي أبان الله به الحق وأوضح به

المناهج وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكين فرحمه الله من امام مقدم وكبير معهم وعلى جميع أئمة المسلمين وذكر جملة الاعتقاد والكلام على علو الله على العرش وعلى الرؤيه ومسئلة القرآن ونحو ذلك وهذا مبسوط في غير هذا الموضع

والمقصود هنا ان المعطلة نفاة الصفات أو نفاة بعضها لا يعتمدون في ذلك على ماجاء به الرسول اذ كان ماجاء به الرسول انما يتضمن الاثبات لا النفي لكن يعتمدون في ذلك على مايظنونه أدلة عقلية ويعارضون بذلك ماجاء به الرسول وحقيقة قولهم ان الرسول لم يذكر في ذلك مايرجع اليه لا من سمع ولا عقل فلم يخبر بذلك خبرا بين به الحق على زعمهم ولا ذكر أدلة عقلية تبين الصواب في ذلك على زعمهم بخلاف غير هذا فانهم معترفون بان الرسول ذكر في القرآن أدلة عقلية على ثبوت الرب وعلى صدق الرسول وقد يقولون أيضا انه أخبر بالمعاد لكن نفوا الصفات لما رأوا ان ماذكروه من النفي لم يذكره الرسول فلم يخبر به ولا ذكر دليلا عقليا عليه بل انما ذكر الاثبات وليس هو في نفس الامر حقا فاحوج الناس الى التأويل أو التفويض فلما نسبوا ماجاء به الرسول الى انه ليس فيه لا دليل سمعي ولا عقلي لاخبر يبين الحق ولا دليل يدل عليه عاقبهم الله بجنس ذنوبهم فكان مايقولونه في هذا الباب خارجا عن العقل والسمع مع دعواهم انه من العقليات البرهانية فاذا اختبره العارف وجده من الشبهات الشيطانية من جنس شبهات أهل السفسطة والالحاد الذين يقدحون في العقليات

والسمعيات وأما السمع فخلافهم له ظاهر لكل أحد وانما يظن من يعظمهم ويتبعهم انهم أحكموا العقليات فاذا حقق الامر وجدهم كما قال أهل النار لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير وكما قال تعالى والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور

فلما كان حقيقة قولهم ان القرآن والحديث ليس فيه في هذا الباب دليل سمعي ولا عقلي سلبهم الله في هذا الباب معرفة الأدلة السمعية والعقلية حتي كانوا من أضل البرية مع دعواهم انهم أعلم من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين بل قد يدعون انهم أعلم من النبيين وهذا ميراث من فرعون وحزبه اللعين

وقد قيل ان أول من عرف انه أظهر في الاسلام التعطيل الذي تضمنه قول فرعون هو الجعد بن درهم فضحي به خالد بن عبد الله القسري وقال أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم اني مضح بالجعد بن درهم انه زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا ثم نزل فذبحه وشكر له علماء المسلمين مافعله كالحسن البصري وغيره وهذا الجعد اليه نسب مروان ابن محمد الجعدي آخر خلفاء بني أمية وكان شؤمه عاد عليه حتي زالت

الدولة فانه اذا ظهرت البدع التي تخالف دين الرسل انتقم الله ممن خالف الرسل وانتصر لهم ولهذا لما ظهرت الملاحدة الباطنية وملكوا الشام وغيرها ظهر فيها النفاق والزندقة الذي هو باطن أمرهم وهو حقيقة قول فرعون انكار الصانع وانكار عبادته وخيار ما كانوا يتظاهرون به الرفض وكانوا خيارهم وأقربهم الى الاسلام الرافضة وظهر بسببهم الرفض والالحاد حتى كان من كان ينزل الشام مثل بني حمدان الغالية ونحوهم متشيعين وكذلك من كان من بني بويه في المشرق

وكان ابن سينا وأهل بيته من أهل دعوتهم قال وبسبب ذلك اشتغلت في الفلسفة وكان مبدأ ظهورهم من حين تولى المقتدر ولم يكن بلغ بعد وهو مبدأ انحلال الدولة العباسية ولهذا سمي حينئذ بامير المؤمنين الاموي الذي كان بالاندلس وكان قبل ذلك لا يسمى بهذا الاسم ويقول لا يكون للمسلمين خليفتان فلما ولى المقتدر قال هذا صبي لا تصح ولايته فسمى بهذا الاسم

وكان بنو عبيد الله القداح الملاحدة يسمون بهذا الاسم لكن هؤلاء كانوا في الباطن ملاحدة زنادقة منافقين وكان نسبهم باطلا كدينهم بخلاف الاموي والعباسي فان كلاهما نسبه صحيح وهم مسلمون كامثالهم من خلفاء المسلمين

فلما ظهر النفاق والبدع والفجور المخالف لدين الرسول سلطت عليهم الاعداء فخرجت الروم النصارى الى الشام والجزيرة مرة بعد مرة وأخذوا الثغور الشامية شيئا بعد شيء الى أن أخذوا بيت المقدس

في أواخر المائة الرابعة وبعد هذا بمدة حاصروا دمشق وكان أهل الشام بأسوء حال بين الكفار النصارى والمنافقين الملاحدة الى أن تولى نور الدين الشهيد وقام بما قام به من أمر الاسلام والطهارة والجهاد لاعدائه ثم استنجد به ملوك مصر بنو عبيد على النصارى فانجدهم وجرت فصول كثيرة الى أن أخذت مصر من بنى عبيد أخذها صلاح الدين يوسف بن شادي وخطب بها لبنى العباس فمن حينئذ ظهر الاسلام بمصر بعد ان مكثت بايدى المنافقين المرتدين عن دين الاسلام مائتي سنة

فكان الايمان بالرسول والجهاد عن دينه سببا لخير الدنيا والآخرة وبالعكس البدع والالحاد ومخالفة ماجاء به سبب لشر الدنيا والآخرة

فلما ظهر في الشام ومصر والجزيرة الالحاد والبدع سلط عليهم الكفار ولما أقاموا ماأقاموه من الاسلام وقهر الملحدين والمبتدعين نصرهم الله على الكفار تحقيقا لقوله ياأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين

وكذلك لما كان أهل المشرق قائمين بالاسلام وكانوا منصورين على الكفار المشركين من الترك والهند والصين وغيرهم فلما ظهر منهم

ماظهر من البدع والالحاد والفجور سلط عليهم الكفار قال تعالى وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال و بنين وجعلناكم أكثر نفيرا ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ماعلوا تتبيرا عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا

وكان بعض المشائخ يقول هولاكو ملك الترك التتار الذى قهر الخليفة بالعراق وقتل ببغداد مقتلة عظيمة جدا يقال قتل منهم ألف ألف وكذلك قتل بحلب دار الملك حينئذ كان بعض الشيوخ يقول هو للمسلمين بمنزلة بخت نصر لبني اسرائيل

وكان من أسباب دخول هؤلاء ديار المسلمين ظهور الالحاد والنفاق والبدع حتي انه صنف الرازى كتابا فى عبادة الكواكب والاصنام وعمل السحر سماه السر المكتوم فى السحر ومخاطبة النجوم ويقال انه صنفه لام السلطان علاء الدين محمد بن لكش بن جلال الدين خوارزم شاه وكان من أعظم ملوك الارض وكان للرازى به اتصال قوى حتي انه وصى اليه على أولاده وصنف له كتابا سماه الرسالة العلائية فى الاختيارات السماوية

وهذه الاختيارات لاهل الضلال بدل الاستخارة التي علمها النبى

صلى الله عليه وسلم المسلمين كما قال جابر في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الامور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول اذا هم أحدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم انى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر وتسميه باسمه خير لى في ديني ومعاشي وعاقبة أمرى فاقدره لى ويسره ثم بارك لى فيه وان كنت تعلم ان هذا الامر شر لى في دينى ومعاشى وعاقبة أمرى فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم رضني به ‹ وأهل النجوم › لهم اختيارات اذا أراد أحدهم أن يعمل عملا أخذ طالعا سعيدا فعمل فيه ذلك العمل لينجح زعمهم وقد صنف الناس كتبا في الرد عليهم وذكروا كثرة مايقع من خلاف مقصودهم فيما يخبرون به ويأمرون به وكم يخبرون من خبر فيكون كذبا وكم يأمرون باختيار فيكون شرا والرازي صنف الاختيارات لهذا الملك وذكر فيه الاختيار لشرب الخمر وغير ذلك كما ذكر في السر المكتوم في عبادة الكواكب ودعوتها مع السجود لها والشرك بها ودعائها مثل ما يدعو الموحدون ربهم بل أعظم والتقرب اليها بما يظن انه مناسب لها من الكفر والفسوق والعصيان فذكر انه يتقرب الى الزهرة بفعل الفواحش وشرب الخمر والغناء ونحو ذلك مما حرمه الله ورسوله وهذا فى نفس الامر يقرب الى الشياطين الذين يأمرونهم بذلك ويقولون لهم ان الكوكب نفسه يحب ذلك والا

والكواكب مسخرات بأمر الله مطيعة لله لا تأمر بشرك ولا غيره من المعاصي ولكن الشياطين هي التي تأمر بذلك ويسمونها روحانية الكواكب وقد يجعلونها ملائكة وانما هي شياطين ولما ظهر أرض المشرق بسبب مثل هذا الملك ونحوه ومثل هذا العالم ونحوه ماظهر من الالحاد والبدع سلط الله عليهم الترك المشركين الكفار فأبادوا هذا الملك وجرت له أمور فيها عبرة لمن يعتبر ويعلم تحقيق ما أخبر الله به في كتابه حيث يقول سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق أي ان القرآن حق وقال سأريكم آياتي فلا تستعجلون وبسط هذا له موضع آخر

والمقصود هنا أن دولة بني أمية كان انقراضها بسبب هذا الجعد المعطل وغيره من الاسباب التي أوجبت ادبارها وفي آخر دولتهم (ظهر الجهم بن صفوان) بخراسان وقد قيل ان أصله من ترمذ وأظهر قول المعطلة النفاة الجهمية وقد قتل في بعض الحروب وكان أئمة المسلمين بالمشرق أعلم بحقيقة قوله من علماء الحجاز والشام والعراق ولهذا يوجد لعبد الله بن المبارك وغيره من علماء المسلمين بالمشرق من الكلام في الجهمية أكثر مما يوجد لغيرهم مع ان عامة أئمة المسلمين تكلموا فيهم ولكن لم يكونوا ظاهرين الا بالمشرق لكن قوي أمرهم لما مات الرشيد وتولى ابنه الملقب بالمأمون بالمشرق وتلقى عن هؤلاء ماتلقاه

ثم لما ولي الخلافة اجتمع بكثير من هؤلاء ودعا الى قولهم في آخر عمره

وكتب الى بغداد وهو (بالثغر بطرسوس) التي سلدسيس وكانت اذ ذاك أعظم ثغور بغداد ومن أعظم ثغور المسلمين يقصدها أهل الدين من كل ناحية ويرابطون بها رابط بها الامام أحمد رضي الله عنه والسري السقطي وغيرهما وتولى قضاءها أبو عبيد وتولى قضاءها أيضا صالح بن أحمد بن حنبل ولهذا ذكرت في كتب الفقه كثيرا فانها كانت ثغرا عظيما

وكتب من الثغر الى نائبه ببغداد اسحاق بن ابراهيم بن مصعب كتابا يدعو الناس فيه الى أن يقولوا (القرآن مخلوق) فلم يجبه أحد ثم كتب كتابا ثانيا يأمره بتقييد من لم يجبه وارساله اليه فأجاب أكثرهم ثم قيدوا سبعة لم يجيبوا فأجاب منهم خمسة بعد القيد وبقي اثنان لم يجيبا الامام أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح فارسلوهما اليه فمات قبل أن يصلا اليه ثم أوصى الى أخيه أبي اسحاق وكان هذا سنة ثمان عشرة ومائتين وبقي أحمد في الحبس الى سنة عشرين بجري ما جرى من المناظرة حتى قطعهم بالحجة ثم لما خافوا الفتنة ضربوه وأطلقوه وظهر مذهب الغلاة الجهمية وامتحنوا الناس فصار من أجابهم أعطوه والا منعوه العطاء وعزلوه من الولايات ولم يقبلوا شهادته وكانوا اذا افتكوا الاسرى يمتحنون الاسير فان أجابهم افدوه والا لم يفدوه

وكتب قاضيهم أحمد بن أبي داود على ستارة الكعبة ليس كمثله شيء وهو العزيز الحكيم لم يكتب وهو السميع البصير

ثم ولي الواثق واشتد الامر الى أن ولي المتوكل فرفع المحنة وظهرت حينئذ السنة وبسط هذا له موضع آخر

والمقصود ان أئمة المسلمين لما عرفوا حقيقة قول الجهمية ينموه حتى قال عبد الله بن المبارك انا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية وكان ينشد

عجبت لشيطان دعا الناس جهرة * الى النار واشتق اسمه من جهنم

وقيل له بماذا يعرف ربنا قال بأنه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه قيل له بحد قال بحد وكذلك قال أحمد بن حنبل واسحاق بن ابراهيم بن راهويه وعثمان بن سعيد الدارمي وغيرهم من ائمة السنة

وحقيقة قول الجهمية المعطلة هو قول فرعون وهو جحد الخالق وتعطيل كلامه ودينه كما كان فرعون يفعل فكان يجحد الخالق جل جلاله ويقول ما علمت لكم من اله غيري ويقول لموسى لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين ويقول أنا ربكم الاعلى وكان ينكر أن يكون الله كلم موسى أو لا يكون لموسى اله فوق السموات ويريد أن يبطل عبادة الله وطاعته ويكون هو المعبود المطاع فلما كان قول الجهمية المعطلة النفاة تؤول الي قول فرعون كان منتهى قولهم انكار رب العالمين وانكار عبادته وانكار كلامه حتى ظهروا بدعوي التحقيق والتوحيد والعرفان فصاروا يقولون العالم هو الله والوجود واحد والموجود القديم الاولى الخالق هو الموجود المحدث المخلوق والرب هو العبد مائم رب وعبد وخالق ومخلوق بل هو عندهم فرقان ولهذا صاروا يطعنون على الانبياء وينقصونهم يعيبون على نوح وعلى ابراهيم الخليل وغيرهما ويمدحون فرعون ويجوزون عبادة جميع المخلوقات وجميع الاصنام

ولا يرضون بأن تعبد الاصنام حتى يقولوا ان عباد الاصنام لم يعبدوا الا الله وان الله نفسه هو العابد وهو المعبود وهو الوجود كله فجحدوا الرب وأبطلوا دينه وأمره ونهيه وما أرسل به رسله وتكليمه لموسى وغيره

وقد ضل في هذا جماعة ولهم معرفة بالكلام والفلسفة والتصوف المناسب لذلك كابن سبعين والصدر القونوى تلميذ ابن عربي والتلمساني والتلمساني وهو من حذاقهم علماً ومعرفة وكان يظهر المذهب بالفعل فيشرب الخمر ويأتي المحرمات

وحدثني الثقة أنه قرأ عليه فصوص الحكم لابن عربي وكان يظنه من كلام أولياء الله العارفين فلما قرأه رآه يخالف القرآن قال فقلت له هذا الكلام يخالف القرآن فقال القرآن كله شرك وإنما التوحيد في كلامنا وكان يقول ثبت عندنا في الكشف ما يخالف صريح المعقول

وحدثني من كان معه ومع آخر نظير له فمرا على كلب أجرب ميت بالطريق عند دار الطعم فقال له رفيقه هذا أيضاً هو ذات الله فقال وهل ثم شيء خارج عنها نعم الجميع في ذاته

وهؤلاء حقيقة قولهم هو قول فرعون لكن فرعون ما كان يخالف أحداً فينافقه فلم يثبت الخالق وان كان في الباطن مقراً به وكان يعرف أنه ليس هو الا مخلوق لكن حب العلو في الارض والظلم دعاه الى الجحود والانكار كما قال فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وأما هؤلاء فهم من وجه منافقون المسلمين ولا يمكنهم

اظهار جحود الصانع ومن وجه هم ضلال يحسبون انهم على حق وان الخالق هو المخلوق فان كان قولهم هو قول فرعون لكن فرعون كان معانداً مظهراً للجحود والعناد وهؤلاء اما جهال ضلال واما منافقون مبطنون الالحاد والجحود ويوافقون المسلمين في الظاهر

وحدثني الشيخ عبد السيد الذي كان قاضي اليهود ثم أسلم وكان من أصدق الناس ومن خيار المسلمين وأحسنهم اسلاما أنه كان يجتمع بشيخ منهم يقال له الشرف البلاسي يطلب منه المعرفة والعلم قال فدعاني الى هذا المذهب فقلت له قولكم يشبه قول فرعون قال ونحن على قول فرعون فقلت لعبد السيد واعترف لك بهذا قال نعم وكان عبد السيد اذ ذاك قد ذاكرني بهذا المذهب فقلت له هذا مذهب فاسد وهو يؤول الى قول فرعون فحدثني بهذا فقلت له ما ظننت أنهم يعترفون بأنهم على قول فرعون لكن مع اقرار الخصم ما يحتاج الى بينة قال عبد السيد فقلت له لا أدع موسى وأذهب الى فرعون فقال ولم قلت لأن موسى أغرق فرعون فانقطع واحتج عليه بالظهور الكوني فقلت لعبد السيد وكان هذا قبل أن يسلم نفعتك اليهودية يهودي خير من فرعوني

وفيهم جماعات لهم عبادة وزهد وصدق فيما هم فيه وهم يحسبون أنه حق وعامتهم الذين يقرون ظاهراً وباطناً بأن محمداً رسول الله وأنه أفضل الخلق أفضل من جميع الأنبياء والأولياء لا يفهمون حقيقته فهم بل يحسبون أنه تحقيق ما جاء به الرسول وأنه من جنس كلام أهل المعرفة الذين يتكلمون في حقائق الايمان والدين وهم من خواص أولياء

الله ويحسبون هؤلاء من جنس أولئك بل جنس الفضيل بن عياض وابراهيم بن أدهم وأبي سليمان الداراني والسري السقطي والجنيد بن محمد وسهل بن عبد الله وأمثال هؤلاء

وأما عرافهم الذين يعلمون حقيقة قولهم ويعلمون أنه ليس الأمر كذلك ويقولون مايقول ابن عربي ونحوه ان الاولياء أفضل من الانبياء وان خاتم الاولياء أفضل من خاتم الانبياء وان جميع الانبياء يستفيدون معرفة الله من مشكاة خاتم الاولياء وأنه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يأتي خاتم الانبياء فانهم متجهمة متفلسفة يخرجون أقوال الفلسفة والجهمية في قالب الكشف وعند المتفلسفة أن جبريل انما هو خيال في نفس النبي ليس هو ملكا يأتي من السماء والنبي عندهم يأخذ من هذا الخيال وأما خاتم الاولياء في زعمهم فانه يأخذ من العقل المجرد الذي يأخذ منه الخيال فهو يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحي به الى الرسول وهم يعظمون فرعون ويقولون ماقاله صاحب الفصوص قال ولما كان فرعون في منصب التحكم صاحب الوقت وان جار في العرف الناموسي لذلك قال أنا ربكم الاعلى أي وان كان الكل أربابا بنسبة ما فانا الاعلى منهم بما أعطيته في الظاهر من الحكم فيكم قال ولما علمت السحرة صدق فرعون فيما قاله لم ينكروه وأقروا له بذلك وقالوا له اقض ما أنت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا قال فصح قول فرعون أنا ربكم الاعلى وان كان فرعون عين الحق

وحدثني الثقة الذي كان منهم ثم رجع عنهم ان بعض شيوخهم

محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم قال واذا نهق الحمار ونبح الكلب سجدوا له وقالوا هذا هو الله فانه مظهر من المظاهر قال فقلت له محمد ابن عبد الله أيضاً مظهر من المظاهر فاجعلوه كسائر المظاهر وأنتم تعظمون المظاهر كلها أو اسكتوا عنه قال فقالوا لي محمد نبغضه فانه أظهر الفرق ودعا اليه وعاقب من لم يقل به قال فتناقضوا في مذهبهم الباطل وجعلوا الكلب والحمار أفضل من أفضل الخلق قال لي وهم يصرحون باللعنة له ولغيره من الانبياء ولا ريب أنهم من أعظم الناس عبادة للشيطان وكفراً بالرحمن

وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سمعتم صياح الديكة فسلوا الله من فضله فانها رأت ملكا واذا سمعتم نهيق الحمار ونباح الكلب فتعوذوا بالله من الشيطان فانها رأت شيطانا فهم اذا سمعوا نهيق الحمار ونباح الكلب تكون الشياطين قد حضرت فيكون سجودهم للشياطين

وكان فيهم شيخ جاهل من أعظمهم تحقيقاً لكن هذا لم يكن من هؤلاء الذين يسبون الانبياء وقد صنف كتابا سماه فك الازرار عن أعناق الاسرار ذكر فيه مخاطبة جرت له مع ابليس وأنه قال له ما معناه انكم قد علمتموني وقهرتموني ونحو هذا لكن جرت لي قصة تعجبت منها مع شيخ منكم فاني تجليت له فقلت انا الله لا اله الا انا فسجد لي فتعجبت كيف سجد لي قال هذا الشيخ فقلت له ذاك أفضلنا وأعلمنا وأنت لم تعرف قصده ما رأى في الوجود اثنين وما رأي الا واحداً فسجد لذلك

الواحـد لاغير بين ابليس وغيره فجعل هذا الشيخ ذاك الذي سجد لابليس لايميز بين الرب وغيره بل جعل ابليس هو الله هو وغيره من الموجودات جعله أفضلهم وأعلمهم

ولهـذا قال ابن عربي نوحا أول رسول بعث الى أهل الارض وهو الذي جعـل الله ذريته هم الباقين وأنجاه ومن معه في السفينة وأهلك سائر أهل الارض لما كذبوه فلبث في قومه ألف سنة الا خمسين عاما وعظم قومه الكفار الذين عبدوا الاصنام وانهم ماعبدوا الا الله وان خطاياهم خطت بهم فغرقوا في بحار العلم بالله وهذا عادته بتنقص الانبياء و بمدح الكفار كما ذكر مثل ذلك في قصة نوح وابراهيم وموسى وهرون وغيرهم وبمدح عباد العجل وتنقص هرون وافترى على موسى فقال وكان موسى أعلم بالامر من هرون لانه علم ماعبده أصحاب العجل لعلمه بأن الله قد قضى أن لايعبد الا اياه وما قضى الله شيء الا وقع فكان عتب موسى أخاه هرون لما وقع الامر في انكاره وعدم اتساعه فان العارف من يرى الحق في كل شيء بل يراه عين كل شيء فذكر عن موسى انه عتب على هرون أنه أنكر عليهـم عبادة العجل وانه لم يسع ذلك فلم ينكره فان العارف من يرى الحق في كل شيء بل يراه عين كل شيء

وهذا من أعظم الافتراء على موسى وهرون وعلى الله وعلى عباد العجل فان الله أخبر عن موسى أنه أنكر العجل انكاراً أعظم من انكار هرون وانه أخـذ بلحية هرون لما لم يدعهـم ويتبع موسى لمعرفة

قال تعالي وما أعجلك عن قومك ياموسى قال هم أولاء على أثرى وعجلت اليك رب لترضى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى فرجع موسى الي قومه غضبان أسفا قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد ام أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى قالوا ماأخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسى أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم هارون من قبل ياقوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتي يرجع الينا موسى قال ياهارون مامنعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت امري قال يابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي اني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولى

قلت لبعض هؤلاء هذا الكلام الذى ذكره هذا عن موسى وهارون يوافق القرآن أو يخالفه فقال لا بل يخالفه فلت فاخـتر لنفسك اما القرآن واما كلام ابن عربى وكذلك قال عن نوح قال لو أن نوحا جمع لقومه بين الدعوتين لاجابوه أي ذكر لهم فدعاهم جهارا ثم دعاهم اسرارا الى أن قال ولما علموا ان الدعوة الى الله مكر بالمدعو لانه ماعدم من البداية فيدعى الى الغاية ادعوا الي الله فهذا عين المكر على بصيرة فنبه ان الامر كله لله فاجابوه مكرا كما دعاهم فجاء المحمدى وعلم أن الدعوة الى الله ماهي من حيث هويته وانما هى من حيث

أسماؤه فقال يوم تشمر المتقين الي الرحمن وفدا فجاء بحرف الغاية وقرنها بالاسم فعرفنا ان العالم كان تحت حيطه اسم الهي أوجب عليهم أن يكونوا متقين فقالوا في مكرهم لاتذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا فانهم اذا تركوهم جهلوا من الحق بقدر ما تركوا من هؤلاء فان للحق في كل معبود وجها يعرفه من عرفه ويجهله من يجهله كما قال في المحمديين وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا أي حكم فالعارف يعرف من عبد وفي أي صورة ظهر حتى عبد وان التفريق والكثرة كالاعضاء في الصورة المحسوسة وكالقوي المعنوية في الصورة الروحانية فما عبد غير الله في كل معبود

وهو دائما يحرف القرآن عن مواضعه كما قال في هذه القصة مما خطاياهم فهي التي خطت بهم فغرقوا في بحار العلم بالله وهي الحيرة فادخلوا نارا في عين الماء في المحمديين واذا البحار سجرت سجرت التنور أوقدته فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا فكان الله عين أنصارهم فهلكوا فيه الي الابد وقوله وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه بمعنى أمر وأوجب وفرض وفي القراءة الاخري ووصى ربك أن لا تعبدوا الا اياه فجعل معناه انه قدر وشاء أن لا يعبدوا الا اياه وما قدره فهو كائن فجعل معناها كل معبود هو الله وان أحدا ما عبد غير الله قط وهذا من أظهر الفرية على الله وعلى كتبه وعلى دينه وعلى أهل الارض فان الله في غير موضع أخبر ان المشركين عبدوا غير الله بل يعبدون الشيطان

كما قال تعالى ألم أعهد اليكم يابنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون وقال تعالى عن يوسف انه قال ياصاحبى السجن أ أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها أنتم و آباؤكم ماأنزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله أمر أن لا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون وقال تعالى وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فأتوا علي قوم يعكفون علي أصنام لهم قالوا ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ماهم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال أغير الله أبغيكم الها وهو فضلكم علي العالمين وقال تعالى عن الخليل اذ قال لابيه ياأبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا ياأبت انى قد جاءنى من العلم مالم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا ياأبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا ياأبت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قال أراغب أنت عن آلهتي ياابراهيم لئن لم تنته لارجمنك واهجرنى مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربى انه كان بى حفيا وأعتزلكم وماتدعون من دون الله وأدعو ربى عسى أن لاأكون بدعاء ربى شقيا فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا

فهو سبحانه يقول فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهؤلاء

الملحدون يقولون ماعبدنا غير الله في كل معبود

وقال تعالى واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لايكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين الى قوله ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين

قال أبو قلابة هي لكل مفتر الي يوم القيامة أن يذله الله

والجهمية النفاة كلهم مفترون كما قال الامام أحمد بن حنبل انما يقودون قولهم الى فرية على الله وهؤلاء من أعظمهم افتراء على الله فان القائلين بان وجود الخالق هو وجود المخلوق هم أعظم افتراء ممن يقول انه يحل فيه وهؤلاء يجهلون من يقول بالحلول أو يقول بالاتحاد وهو ان الخالق اتحد مع المخلوق فان هذا انما يكون اذا كان شيئآن متباينان ثم اتحد أحدهما بالآخر كما قوله النصارى من اتحاد اللاهوت مع الناسوت وهذا انما يقال في شيء معين وهؤلاء عندهم ماثم وجود لغيره حتى يتحد مع وجوده وهم من أعظم الناس تناقضا فانهم يقولون ماثم غير ولا سوى ويقول التلمسانيه ليس الا الله بدل قول المسلمين لااله الا الله ثم تقولون هؤلاء المحجوبون لايرون هذا فاذا كان ماثم غير ولا سوى فمن المحجوب ومن الحاجب ومن الذي ليس بمحجوب وعما حجب وقد أثبتوا أربعة أشياء قوم محجوبون وقوم ليسوا بمحجوبين وأمرا انكشف لهؤلاء وحجب عن أولئك فأين هذا من

قولهم مع اسار ولا وجود ان كما حدثني الثقة أنه قال للتلمساني فعلى قولكم لا فرق بين امرأة الرجل وأمه و بنته قال نعم الجميع عندنا سواء لكن هؤلاء المحجوبون قالوا حرام فقلنا حرام عليكم فقيل لهم فمن المخاطب المحجوبين أهو هم أم غيرهم فان كانوا هم فقد حرم على نفسه لما زعم انه حرام عليهم دونه وان كانوا غيره فقد أثبت غيرين وعندهم مائم غير وهؤلاء اشتبه عليهم الواحد بالنوع بالواحد بالعين فانه يقال الوجود واحد كما يقال الانسانية واحدة والحيوانية واحدة أي يعني واحد كلي وهذا الكلي لا يكون كليا الا في الذهن لا في الخارج فظنوا هذا الكلي ثابتا في الخارج ثم ظنوه هو الله

وليس في الخارج كلي مع كونه كليا وانما يكون كليا في الذهن واذا قدر في الخارج كلي فهو جزء من المعينات وقائم بها ليس هو متميزا قائما بنفسه فحيوانية الحيوان وانسانية الانسان سواء قدرت معينة أو مطلقة هي صفة له ويمتنع أن يكون صفة الموصوف مبدعة له ولو قدر وجودها مجردا عن الاعيان على رأى من أثبت المثل الافلاطونية فتثبت الماهيات الكلية مجردة عن الموصوفات وتدعى انها قديمة أزلية مثل انسانية مجردة وحيوانية مجردة وهذا خيال باطل وهذا الذي جعله مجردا هو مجرد في الذهن وليس في الخارج كلي مجرد واذا قدر ثبوت كلي مجرد في الخارج وهو مسمى الوجود فهذا يتناول وجود المحدثات كلها كما يتناول وجود القديم وهذا لا يكون مبدعا لشيء ولا اختصاص له بصفات الكمال ولا يوصف بأنه حي عليم قدير اذ ليس وصفه بذلك بأولى من

وصفه بانه عاجز جاهل ميت والخالق لابد أن يكون حيا عالما قديرا سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ثم لو قدر أن هذا هو الخالق فهذا غير الاعيان الموجودة المخلوقة فقد ثبت وجودان أحدهما غير الآخر وأحدهما محدث مخلوق فيكون الآخر الخالق غير المخلوق ولا يمكن جحد وجود الاعيان المعينة ولكن الواحد من هؤلاء قد يغيب عن شهود المعينات كما يغيب عن شهود نفسه ويظن ان مالم يشهده قد عدم في نفسه وفنى وليس كذلك فان ماعدم وفني شهوده له وعلمه به ونظره اليه فالمعدوم الفانى صفة هذا الشخص والا فالموجودات في نفسها باقيه على حالها لم تتغير وعدم العلم ليس علما بالمعدوم وعدم المشهود ليس شهودا للعدم ولكن هذه الحال تعتري كثيرا من السالكين يغيب أحدهم عن شهود نفسه وغيره من المخلوقات وقد يسمون هذا فناء واصطلاما وهذا فناء عن شهود تلك المخلوقات لاانها في نفسها فنيت ومن قال فنى مالم يكن و بقى مالم يزل فالتحقيق اذا كان صادقا انه فنى شهوده لمالم يكن وبقي شهوده لمالم يزل لاان مالم يكن فني في نفسه فانه باق موجود ولكن يتوهمون اذا لم يشهدوه انه قد عدم في نفسه

ومن هنا دخلت طائفة في الاتحاد والحلول فأحدهم قد يذكر الله حتى يغلب على قلبه ذكر الله ويستغرق فى ذلك فلا يبقى له مذكور مشهود لقلبه الا الله ويفنى ذكره وشهوده لما سواه فيتوهم أن الاشياء قد فنيت وان نفسه فنيت حتى يتوهم انه هو الله وان الوجود هو الله

ومن هذا الباب غلط أبي يزيد ونحوه حيث قال ما في الجبة الا الله وقد بسط هذا في غير هذا الموضع وبين انه يعبر بالفناء عن ثلاثة أمور *أحدها أنه يعني بعبادة الله عن عبادة ماسواه وبحبه وطاعته وخشيته ورجائه والتوكل عليه عن محبة ماسواه وطاعته وخشيته ورجائه والتوكل عليه وهذا هو حقيقة التوحيد الذي بعث الله به الرسل وانزل به الكتب وهو تحقيق شهادة أن لا اله الا الله فنفي من قلبه التأله لغير الله وبقي في قلبه تأله الله وحده ونفي من قلبه حب غير الله وخشية غير الله والتوكل على غير الله وبقي في قلبه حب الله وخشية الله والتوكل على الله وهذا الفناء يجامع البقاء فيتخلى القلب عن عبادة غير الله مع تحلى القلب بعبادة الله وحده كما قال صلى الله عليه وسلم لرجل قل أسلمت لله وتخليت وهو تحقيق شهادة أن لا اله الا الله بالنفي مع الاثبات نفي الهية غيره مع اثبات الهيته وحده فانه ليس في الوجود اله الا الله ليس فيه معبود يستحق العبادة الا الله فيجب أن يكون هذا ثابتا في القلب فلا يكون في القلب من يأله القلب ويعبده الا الله وحده ويخرج من القلب كل تأله لغير الله ويثبت فيه تأله الله وحده اذ كان ليس ثم اله الا الله وحده وهذه الولاية لله مقرونة بالبراءة والعداوة لكل معبود سواه ولمن عبدهم قال تعالى عن الخليل عليه السلام واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون

وقال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين

وقال تعالى قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده

قلت لبعض مخالطيه من شيوخ هؤلاء قول الخليل انني براء مما تعبدون ممن تبرأ الخليل اتبرأ من الله تعالى وعندكم ما عبد غير الله قط والخليل قد تبرأ من كل ما كانوا يعبدون الا من رب العالمين وقد جعل الله لنا وله ومن معه أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر قال تعالى قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد وقد قال صلى الله عليه وسلم أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد * ألا كل شيء ما خلا الله باطل * وهذا تصديق قوله تعالى ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير وقال تعالى فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون وقال سبحانه كل شيء هالك الا وجهه قال طائفة من السلف كل عمل باطل الا ما أريد به وجهه وقد قال سبحانه ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ أنزلت اليك

وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر والاله هو المألوه أى المستحق لان يؤله أى يعبد ولا يستحق أن يؤله ويعبد الا الله وحده وكل معبود سواه من لدن عرشه الى قرار أرضه باطل وفعال بمعنى مفعول مثل لفظ الركاب والحمال بمعنى المركوب والمحمول وكان الصحابة يحملون في حفر الخندق يقولون

هذا الحمال لا حمال خيبر * هذا أبر ربنا وأطهر

واذا قيل هذا هو الامام فهو الذى يستحق أن يؤتم به كما قال تعالى لابراهيم انى جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين فعهده بالامامة لا ينال الظالم فالظالم لا يجوز أن يؤتم به فى ظلمه ولا يركن اليه كما قال تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار فمن ائتم بمن لا يصلح للامامة فقد ظلم نفسه فكيف بمن جعل مع الله الها آخر وعبد من لا يصلح للعبادة والله تعالى لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ﴿ وقد غلط ﴾ طائفة من أهل الكلام فظنوا ان الاله بمعنى الفاعل وجعلوا الالهية هى القدرة والربوبية فالاله هو القادر وهو الرب وجعلوا العباد مألوهين كما أنهم مربوبون * فالذين يقولون بوحدة الوجود مشارعون فى أمور لكن امامهم ابن عربي يقول الاعيان ثابتة في العدم ووجود الحق فاض عليها ولهذا قال ونحن جعلناه بألوهيتنا الها وزعم ان المخلوقات جعلت الرب الها لها حيث كانوا مألوهين ومعنى مألوهين عنده مربوبين وكونهم مألوهين حيث كانت أعيانهم ثابتة في العدم وفى كلامهم من هذا وأمثاله مما فيه تنقص بالربوبية مالا

يحصى وتعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا

والتحقيق ان الله خالق كل شئ والمعدوم ليس بشئ في الخارج ولكن الله يعلم مايكون قبل أن يكون ويكتبه وقديذكره ويخبربه فيكون شيئا في العلم والذكر والكتاب لافي الخارج كما قال انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون والله سبحانه خالق الانسان ومعلمه فهو الذي خلق خلق الانسان من علق وهو الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم ولوقدر أن الاله بمعنى الرب فهو لذي جعل الرب مربوبا فيكون على هذا هو الذي جعل المألوه مألوها والمربوب لم يجعله ربا بل ربوبيته صفة وهو الذي خلق المربوب وجعله مربوبا وهو اذا آمن بالرب واعتقد ربوبيته وأخبر بها كان قد اتخذ الله ربا ولم يبغ ربا سوى الله ولم يتخذ ربا سواه كما قال تعالى قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شئ وقال تعالي أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والارض وقال ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون وهو أيضا في نفسه هو الاله الحق لا اله غيره فاذا عبده الانسان فقد وحده ولم يجعل معه الها آخر ولا اتخذ الها غيره قال تعالى فلاتجعل مع الله الها آخر فتكون من المعذبين وقال تعالى ولاتجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا وقال ابراهيم لابيه آزر أتتخذ أصناما آلهة انى أراك وقومك في ضلال مبين فالمخلوق ليس باله في نفسه لكن عابده اتخذه الها وجعله الها وسماه الها وذلك كله باطل لاينفع صاحبه بل يضره كما أن الجاهل اذا اتخذ اماما ومفتيا

وقاصيا كان ذلك باطلا فانه لا يصلح أن تؤم ولا يتقى ولا تقصى وغير الله لا يصلح أن يتخذ الها يعبد ويدعى فانه لايخلق ولا يرزق وهو سبحانه لامانع لما أعطى ولا معطى لما منع ولا ينفع ذا الجد منه الجد ومن دعا من لا يسمع دعاءه أو يسمع ولا يستجيب له فدعاؤه باطل وضلال وكل من سوى الله اما انه لا يسمع دعاء الداعى أو يسمع ولكن لا يستجيب له فان غير الله لا يستقل بفعل شيء البتة وقد قال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وما لهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له فغير الله لا مالك لشيء ولا شريك فى شيء ولا هو معاون للرب فى شيء بل قد يكون له شفاعة اذ كان من الملائكة والانبياء والصالحين ولكن لا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له فلابد أن يأذن للشافع أن يشفع وأن يأذن للمشفوع له أن يشفع له ومن دونه لا يملكون الشفاعة البتة فلا يصلح من سواه لان يكون الها معبودا كما لا يصلح أن يكون خالقا رازقا لا اله الا هو وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير

﴿ فصـــل ﴾ وهؤلاء كان من أعظم أسباب ضلالهم مشاركتهم للفلاسفة وتلقيهم عنهم فان أولئك القوم من أبعد الناس عن الاستدلال بما جاء به الرسول فان الرسول بعث بالبينات والهدي بين الادلة العقلية ويخبر الناس بالغيب الذي لا يمكنهم معرفته بعقولهم وهؤلاء المتفلسفة يقولون انه لم يفد الناس علما بخبره ولا بدلالاته وانما خاطب خطابا جمهوريا ليصلح به العامة ويعتقدوا في الرب والمعاد اعتقادا ينفعهم وان كان تمدنا

وباطلا وحقيقة كلامهم ان الانبياء تكذب فيما تخبر به لكن كذبا للمصلحة فامتنع أن يطلبوا من خبرهم علما واذا لم تكن أخبارهم مطابقة للمخبر فكيف يثبتون أدلة عقلية على ثبوت ما أخبروا به والمتكلمون الذين يقولون انهم لا يخبرون الا بالصدق ولكن يشككون في العقليات غير طريقهم مبتدعون مع اقرارهم بأن القرآن اشتمل على الادلة العقلية فكيف هؤلاء الملاحدة المعترين ولهذا لا يعتنون بالقرآن ولا بتفسيره ولا بالحديث وكلام السلف وان تعلموا من ذلك شيأ فلاجل اطلق الجمهور به ليعيشوا بينهم بذكره لا لاعتقادهم موجبه في الباطن وهذا بخلاف طوائف المتكلمين فانهم يعظمون القرآن في الجملة وتفسيره مع مافيهم من البدع * ولهذا لما استولى التتار على بغداد وكان الطوسي منجما لهولاكو استولى على كتب الناس الوقف والملك فكان كتب الاسلام مثل التفسير والحديث والفقه والرقائق يعدمها وأخذ كتب الطب والنجوم والفلسفة والعربيه فهذه عنده هي الكتب المعظمة وكان بعض من أعرفه قارئا خطيبا لكن كان يعظم هؤلاء ويرتاض رياضة فلسفية سحرية حتى استخدم الجن وكان بعض الشاطين ألقى اليه ان هؤلاء يستولون على دار الاسلام فكان يقول لبعض أصحابنا يافلان عن قليل ترى هذا الجامع جامع دمشق يقرأ فيه المنطق والطبعي والرياضي والالهي ثم يرضيه ويقول والعربية أيضا والعربية انما احتاج المسلمون اليها لاجل خطاب الرسول بها فاذا أعرض عن الاصل كان أهل العربية بمنزلة شعراء الجاهلية أصحاب المعلقات السبع ونحوهم من حطب النار

(فصل) أول التفرق والابتداع في الاسلام بعد مقتل سيدنا عثمان وافتراق المسلمين فلما اتفق علي ومعاويه على التحكيم أنكرت الخوارج ، قالوا لاحكم الا لله وفارقوا جماعة المسلمين فارسل اليهم ابن عباس فناظرهم فرجع نصفهم والآخرون أغاروا على ماشية الناس واستحلوا دماءهم فقتلوا ابن خباب وقالوا كلنا قتله فقاتلهم علي وأصل مذهبهم تعظيم القرآن وطلب أتباعه لكن خرجوا عن السنة والجماعة فهم لايرون اتباع السنة التي يظنون أنها تخالف القرآن كالرجم ونصاب السرقة وغير ذلك فضلوا فان الرسول أعلم بما أنزل الله عليه والله قد أنزل عليه الكتاب والحكمة وجوزوا على النبي أن يكون ظالما فلم ينفذوا لحكم النبي ولا لحكم الائمة بعده بل قالوا ان عثمان وعليا ومن والاهما قدحكموا بغير ماأنزل الله ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون فكفروا المسلمين بهذا وبغيره وتكفيرهم وتكفير سائر أهل البدع مبني على مقدمتين باطلتين احداهما ان هذا يخالف القرآن والثانيه ان من خالف القرآن يكفر ولو كان مخطئا أو مذنبا معتقدا للوجوب والتحريم

وبازائهم الشيعة غلوا في الأئمة وجعلوهم معصومين يعلمون كل شئ وأوجبوا الرجوع اليهم في جميع ماجاءت به الرسل فلا يعرجون لاعلى القرآن ولا على السنة بل على قول من ظنوه معصوما وانتهي الامر الى الائتمام بامام معدوم لاحقيقة له فكانوا أضل من الخوارج فان أولئك يرجعون الي القرآن وهو حق وان غلطوا فيه وهؤلاء لايرجعون

الى شئ بل الى معدوم لاحقيقة له ثم انما يتمسكون بما ينقل لهم عن بعض الموتى فيتمسكون بنقل غير مصدق عن قائل غير معصوم. ولهذا كانوا أكذب الطوائف والخوارج صادقون فحديثهم من أصح الحديث وحديث الشيعة من أكذب الحديث ولكن الخوارج دينهم المعظم مفارقة جماعة المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم والشيعه تختار هذا لكنهم عاجزون والزيدية تفعل هذا والامامية تارة تفعله وتارة يقولون لا نقاتل الا تحت راية امام معصوم والشيعة استعنوا أعداء الملة من الملاحدة والباطنية وغيرهم ولهذا وصت الملاحدة مثل القرامطة الذين كانوا في البحرين وهم من أكفر الخلق ومثل قرامطة المغرب ومصر وهم كانوا يستترون بالتشيع أوصوا بان يدخل على المسلمين من باب التشيع فانهم يفتحون الباب لكل عدو للاسلام من المشركين وأهل الكتاب والمنافقين وهم من أبعد الناس عن القرآن والحديث كما قد بسط هذا فى مواضع

والمقصود ان النبى صلى الله عليه وسلم قال انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله فحض على كتاب الله ثم قال وعترتى أهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى ثلاثا فوصى المسلمين بهم لم يجعلهم أئمة يرجع المسلمون اليهم فانتحلت الخوارج كتاب الله وانتحلت الشيعة أهل البيت وكلاهما غير متبع لما انتحله فان الخوارج خالفوا السنة التى أمر القرآن باتباعها وكفروا المؤمنين الذين أمر القرآن بموالاتهم ولهذا تأول سعد بن أبى وقاص فيهم هذه الآية وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد

الله من بعد ميثاقه ويقطعون ماأمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض وصاروا يتبعون المتشابه من القرآن فيأولونه غير تأويله من غير معرفة منهم بمعناه ولا رسوخ فى العلم ولا اتباع للسنة ولا مراجعة لجماعة المسلمين الذين يفهمون القرآن واما مخالفة الشيعة لاهل السنة فكثيرة جدا قد بسطت فى مواضع

(فصل) ثم حدث في آخر عصر الصحابة القدرية وكانت الخوارج تتكلم فى حكم الله الشرعي أمره ونهيه ومايتبع ذلك من وعده ووعيده وحكم من وافق ذلك ومن خالفه ومن يكون مؤمنا وكافرا وهي مسائل الاسماء والاحكام وسموا محكمة لخوضهم في التحكيم بالباطل وكان الرجل اذا قال لاحكم الا لله قالواهو محكم أى خائض في حكم الله فخاض أولئك فى شرع الله بالباطل وأما القدرية فخاضوا فى قدره بالباطل وأصل ضلالهم ظنهم ان القدر يناقض الشرع فصاروا حزبين حزبا يعظمون الشرع والأمر والنهي والوعد والوعيد واتباع مايحبه الله ويرضاه وهجر مايبغضه وما يسخطه وظنوا ان هذا لايمكن أن يجمع بينه وبين القدر فقطعوا ماأمر الله به أن يوصل ونقضوا عهد الله من بعد ميثاقه كما قطعت الخوارج ماأمر الله به أن يوصل من اتفاق الكتاب والسنة وأهل الجماعة ففرقوا بين الكتاب والسنة وفرقوا بين الكتاب وجماعة المسلمين وفرقوا بين المسلمين فقطعوا ماأمر الله به أن يوصل وكذلك القدرية فصاروا حزبين حزبا يغلب الشرع فيكذب بالقدر وينفيه أو ينفى بعضه وحزبا يغلب القدر فينفى الشرع فى الباطن أو ينفى حقيقته

ويقول لافرق بين ماأمر الله به وما نهى عنه في نفس الأمر الجميع سواء وكذلك أولياؤه وأعداؤه وكذلك ماذكر انه يحبه وذكر انه يبغضه لكنه فرق بين المماثلين بمحض المشيئة يأمر بهذا وينهي عن مثله فجحدوا الفرق والفصل الذي بين التوحيد والشرك وبين الايمان والكفر وبين الطاعة والمعصية وبين الحلال والحرام كما أن أولئك وان أقروا بالفرق فأنكروا الجمع وانكروا أن يكون الله على كل شئ قدير ومنهم من أنكر أن يكون الله بكل شيء عليما وأنكروا أن يكون خالقا لكل شئ وأن يكون ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن وأنكروا أن يكون الله فعالا لما يشاء وأثبتوا لغير الله الافراد بالاحداث وشركاء خلقوا كخلقه كما فعلت المجوس واعتقدوا انه لايمكن الايمان بأمره ونهيه الا مع تعجيزه أو تجهيله وانه لايمكن أن يوصف بالاحسان والكرم ان لم يجعل عاجزا والا لزم أن يكون بخيلا كما أن القدرية المجبرة قالوا لايمكن أن يجعل عالما قادرا الا بتسفيهه وتجويره فهؤلاء نفوا حكمته وعدله وأولئك نفوا قدرته ومشيئته أوقدرته ومشيئته وعلمه وهؤلاء ضاهوا المجوس فى الاشراك بربوبيته حيث جعلوا غيره خالقا وأولئك ضاهوا المشركين الذين لايفرقون بين عبادته وعبادة غيره بل يجوزون عبادة غيره كما يجوزون عبادته ويقولون لوشاء الله ماأشركنا الآية وهؤلاء يسمي توحيدهم توحيد المشركين وهو توحيد الربوبية فاما توحيد الالهية المتضمن للامر والنهي ولكون الله يحب ماأمر به ويبغض مانهى عنه فهم ينكرونه ولهذا هم أكثر اتباعا لاهوائهم وأكثر شركا

وجوزوا من المعرفة وقتية عندهم وعادتهم تكون [illegible] الاصنام
وأن المعارف لا تستحق بها حسنة ولا تستحق بها سيئة [illegible] ذلك
صاحب منازل السائرين وأما عبادة الاصنام فاحتج بها [illegible] وهم كالرازي
[illegible] فيها نفعا وان [illegible] وان [illegible] وأما [illegible] عادتها
عادتها وبالانكار على من انكر ذلك وهم [illegible] في ذلك فاعذره
أصلهم انه لا يمكن اثبات قدرته وحكمته اذ لو كان قادراً لفعل [illegible]
ما فعل فلما لم يفعله دل على أنه غير قادر وقالوا [illegible]
حكمته لان في ذلك يوجب السفه والظلم وهو منزه عنه بخلاف [illegible]
عليه فانه معذور اذا لم يفعله فلا يلام عليه وقال [illegible]
بلا حكمة ولا يجوز أن يفعل لحكمة لان ذلك [illegible] الى
الفعل وهو منزه عن الحاجة ولا يعدل ولا يظلم بل كل ما أمكن [illegible]
عدل وليس في الافعال ما هو حسن في الامر به وقبيح في النهي
عنه ولا معروف ومنكر بل يجوز أن يأمر بكل شيء وينهى عن كل شيء

ثم من حقق منهم أنكر الشرع بالكلية وأن [illegible] مع أنه
مضطر الى ان يأمر بشيء وينهى عن شيء فان هذا الامر [illegible] الخلق
لا يجدون عنه محيصاً لكن من اتبع الانبياء يأمر بما [illegible]
وينهى عما يضره ويضر غيره ومن خالف الانبياء فلابد أن يأمر [illegible]
يضر وينهى عما ينفع فيستحق عذاب الدنيا والآخرة وأما من كان
منهم مقراً بالنبوة فانكر الشرع في الباطن وقال العارف لا تستحق
حسنة ولا تستحق سيئة فصار منافقاً [illegible] بخلاف [illegible]

الشرع لأجل المارستان ولهذا يسمون باطنية كما سموا الملاحدة باطنية فإن كلاهما يبطن خلاف ما يظهر يبطنون تعطيل ما جاء به الرسول من الأمر والنهي

فتنتهي الجهمية المجبرة اما مشركون ظاهراً وباطناً واما منافقون يبطنون الشرك ولهذا يظنون بالله ظن السوء وأنه لا ينصر محمداً وأتباعه كما قال تعالى ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً وهم يعملون بقوله لا يسئل عما يفعل وأنه يفعل ما يشاء ولذلك لما ظهر المشركون التتار وأهل الكتاب كثر في عبادهم وعلمائهم من صار مع المشركين وأهل الكتاب وارتد عن الاسلام اما باطناً وظاهراً واما باطناً وقال انه مع الحقيقة ومع المشيئة الالهية وصاروا يحتجون لمن هو معظم للرسل عما يوافق على تكذيبه بأن ما يفعله من الشرك والخروج عن الشريعة والاة المشركين وأهل الكتاب والدخول في دينهم ومجاهدة المسلمين معهم هو بأمر الرسول فتارة يأتيهم شياطينهم بما يخيلون لهم أنه مكتوب من نور وان الرسول أمر بقتال المسلمين مع الكفار لكون المسلمين قد عصوا ولما ظهر أن مع المشركين وأهل الكتاب خفراً لهم من الرجال المسلمين رجال الغيب وان لهم خوارق تقتضي أنهم أولياء الله صار الناس من أهل العلم ثلاثة أحزاب حزب يكذبون بوجود هؤلاء ولكن عاينهم الناس وثبت ذلك عمن عاينهم أو حدثه الثقاة بما رأوه هؤلاء اذ رأوهم أو تيقنوا وجودهم خضعوا لهم

وخرج عن ... م ورجعوا الى ... واعتقدوا أن لهم في الباطن ...
الى الله غير طريقة الانبياء وبعضهم ... بأن يزعموا أن أولياء ...
عن دائرة الرسول وقالوا يكون الرسول هو ... لطائفة من ... هؤلاء ...
فهؤلاء معظمون للرسول جاهلون بدينه ...
لا ساغ دين غير دينه وطريق غير ... رسله

وكان هذه الاحوال الثلاثة ...
ذلك ان هؤلاء من اتباع الشياطين وان رجال ...
الذين مع الكفار شياطين وان من ... الانس ...
شيطان من شياطين الانس أعداء الانبياء ... قال تعالى ...
لكل نبي عدوا ... الانس والجن ... بعضهم الى
... القول غرورا

وكان سبب الضلال عدم الفرقان بين أولياء الرحمن و...
الشيطان وأصله قول الجهمية الذين يسمون ... من المخلوقات ...
بين المحبوب والمسخوط ثم أنه ... حرب ...

ولما جاء قازان وقد أسلم دمشق ...
اليه ... كانوا قد ارتدوا وصاروا كفاراً مع الكفار

وحضر عندي الشيخ ... واعترف ... عن الاسلام
... فقلت له ... لي ...
الرسول ... ان المسلمين كاهل ...
... فالجيش الكافر ... الذين ...

هؤلاء فإن هؤلاء كي يرس احد اراً وأحــد أولئك المشركون عزاب ألوف من حرائر المسلمين وسرارهم اعراختيارهم وردوهم عن الاسلام الي الكفر وأظهروا الشرك وعبادة الاصـنام ودين النصارى و تعظيم الصليب حتى بقي المسلمون مقهورين مع المشركين وأهل الكتاب مع اضاعيف ماكان تفعل من المعاصي فهل يأمر محمد صلى الله عليه وسلم بهذا ويرضى بهذا فتبين له وقال لا والله وأخبرني عن رؤية من ارتد من الشيوخ عن الاسلام لما كانت شياطين المشركين تكرههم على الردة في الباطن و تهددهم ان لم يردوا

فلما كان هذا اضعف ايمانهم و توحيدهم و المادة التي تشهدونها من جهة الرسول والا فالشياطين لا سلطان لهم على قلوب الموحدين وهذا وامثاله ماكانوا يعتقدون أنهم شياطين بل انهم رجال من رجال الغيب الانس وكلهم الله بتصريف الامر

فبين لهم ان رجال الغيب هم الجن كما قال تعالى وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا و بين أن من الناس من جهله وغلطه فإن الانس يؤنسون أي يشهدون ويرون انما يحتجب الانسي أحيانا لا يكون دائماً محتجباً عن أبصار الانس بخلاف الجن فانهم كما قال الله انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم وكان عند هذا من المشايخ من يذكر عن الشيخ محمد بن السكران ان هو لا بد ملك المشركين لما دخل بغداد رأي ابن السكران شيخاً محلوق الرأس على صورة شيخ من مشايخ الدين والطريق آخذا بفرس هو لا كو فقـ

فلما رآه أنكر هذا واستعظم أن يكون شيخ من شيوخ المسلمين يدعو من ملك المشركين لقتل المسلمين فقال يا هذا أوكله نحو هذا فقال أمرت بأمر أو قال لهذا نفعل هذا بأمر أو فعلت هذا بأمر فقال ثم بأمر فسكت ابن الذكراني وأنهى هذا الجواب وكان هذا لقلة علمه بالفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان وظن أن ما وقع به الشيوخ في قلوبهم هو من الله وأن من قال حدثني قلبي عن ربي فإن الله معه يخاطبه ومن قال أحدكم عليكم تأخذون ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت هو كذلك وهذا أصل من ادعى الاستغناء عن الأنبياء وأنه لا يحتاج إلى واسطتهم

وجواب هذا أن يقال له ممن عرفت أنه أمرك فإن قال أمر الله ويأمر الله الذي بعث به رسوله وأنزل به القرآن أم أمر وقع في قلبك فإن قال بالأول ظهر كذبه فإنه ليس فيما يأمر الله به رسوله أن يأتي بالكفار المشركين وأهل الكتاب لقتل المسلمين وسبيهم وأخذ أموالهم لأجل دنيا يصيبونها ويحمل الدار يعبد بها الأوثان ويضرب فيها بالنواقيس ويهان قراء القرآن وأهل العلم بالشرع ويعظم الجهلة علماء المشركين وأقسة النصارى وأمثال ذلك فإن هؤلاء أعظم عداوة لمحمد صلى الله عليه وسلم وهم من جنس مشركي العرب الذين قاتلوه يوم أحد وأولئك عصاة من عصاة أمته وإن كان فيهم منافقون كثيرون فالمنافقون يبطنون نفاقهم وإن قال أمر وقع في قلبي لم يكذب لكن يقال من أين لك أن هذا رحماني ولم لا يكون الشيطان هو الذي أمرك بهذا وقد علمت أن ما يقع في قلوب

المشركين وأهل الكتاب هو من الشيطان فان رجع الى توحيد الربوبية وان الجميع بمشيئة قيل له حينئذ تكون ما فعله الشيطان والمشركون وأهل الكتاب هو بالأمر ولا ريب انه بالأمر الكوني القدري فجميع الخلق داخلون تحته لكن من فعل بمجرد هذا الأمر لا بأمر الرسول فانما يكون من جنس شياطين الانس والجن وهو مستوجب لعذاب الله في الدنيا والآخرة وهو عابد أمر الله متبع لهواه وهو ممن قال الله فيه لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين وممن قال فيهم الشيطان فبعزتك لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال الله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين وقال تعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون وقال تعالى انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون فكيف تأمر بالشرك والكفر وتسلط الكفار من المشركين وأهل الكتاب على المسلمين وقتل الكفار للمسلمين هذا لا تأمر الله به كما لا يأمر بالفحشاء فان هذا من أفحش الفواحش اذا جعلت الفاحشة اسما لكل ما تعظم قبحه فكانت جميع القبائح السيئة داخلة في الفحشاء

وكان أيضا بالشام بعض أكابر الشيوخ يقال له الشيخ عثمان شيخ دير ناعس يأتيه حفير الفرج العماري راكبا أسدا ويخلو به ويناجيه ويقول ياشيخ عثمان وكان يحفظ حاريرهم فيصدره عثمان وأتباعه في

دلك ويرون ان الله أمره بهدا كما أمر الحسر أن يعمل ... عسر
ان السكران وأمثاله لحمراء المسركين النار

والحواب لهدا كالحواب لدلك يقال له وكذلك الله ... الى ... أرسل
علي لسان نبيه العين أمرأن توالى المسلمين وأن لا ... عدو ... من
أولياء بل أمرك أن تبغضهم وتجاهدهم بما استطعت هو أمرك أن
تتوكل بحفظ حدار ربهم فان قال هدا ظهر كذبه وان قال بل هو آمر
ألقى في قلبى لم يكدب وقيل له فهدا من أمر الشيطان لامن أمر ...
الدى أنزل به كتابه وأرسل به رسله وتكلمه من الامر الذى ...
كمسرك المسركين الدين قالوا لو شاء الله ماأشركنا ولا آباؤنا

ومن هؤلاء من يظن الرحال الدين ... الا ...
وأهل الكتاب هم أولياء الله ولا يجب عليهم ... الرسول ...
الموكلة بنى آدم المعامات

ومات لشيخ كان من شيوخهم محمد أرسل الى الثقلين الانس والجن
ولم يرسل الى الملائكة فكل انسى أو جني خرج من الاتيان به فهو
عدو لله لاولى لله بخلاف الملائكة

ثم يقال له الملائكة لايعاونون الكفار على المعاصى ولا على ...
المسلمين وانما يعاونهم على دلك الشياطين ولكن الملائكة ...
موكلة بخلقهم ورزقهم وكتابة أعمالهم فان دلك ليس ... فهدا ...
بالفرق بينهم وبين الملائكة من هدين الوجهين

وقد ظهر أنهم من جنس الشياطين لامن جنس الملائكة ...

هذا الشيخ هو وأبوه من خفراء الكفار وكان والده يقال له محمد الخالدي نسبة الى شيطان كان يقرنه يقال له الشيخ خالد وهم يقولون انه من الانس من رجال الغيب

وحدثني الثقة عنه انه كان يقول الابدال صنعوا الطرائق ولعمري لقد صنعوا طرائق الشياطين شياطين الانس والجن وهؤلاء المشايخ لدين كانوا من المسلمين ولكن يوالون الشيوخ الذين يوالون المشركين الذين هم خفراء الكفار ويظنون أنهم من أولياء الله اشركوا هم وهم في أصل ضلاله وهو انهم جعلوا الخوارق الشيطانية من جنس الكرامات الرحمانية ولم يفرقوا بين أولياء الرحمن كما قال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين فهؤلاء وهؤلاء عشوا عن ذكر الرحمن الذي أنزله وهو الكتاب والسنة وعن الروح الذي أوحاه الله الى نبيه الذي جعله الله نورا يهدي به من يشاء من عباده وبه يحصل الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ولم يفرقوا بين آيات الانبياء ومعجزاتهم وبين خوارق السحرة والكهان اذ هذا مذهب الجهمية المجبرة وهؤلاء كلهم يشتركون في هذا المذهب فلا يجعلون الله يحب ما أمر به ويبغض ما نهى عنه بل يجعلون كل ما قدره وقضاه فانه يحبه ويرضاه فتبقى جميع الامور عندهم سواء وانما يتميز نوع من الخوارق فمن كان له خارق جعلوه من أولياء الله وخضعوا له اما انسانا له واما موافقة له ومحبة واما ان يسلموا له حاله فلا يحبوه ولا يبغضوه اذ كانت قلوبهم لم يبق فيها من الايمان ما يأمرون به المعروف وينكرون به المنكر في هذا

الموضع

وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان وفي رواية لمسلم من جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل وميت الاحياء الذي لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا وفي حديث حذيفة الذي في صحيح مسلم ان الفتنة تعرض على القلوب كعرض الحصير عودا عودا فايما قلب أشربها نكتت فيه نكتة بيضاء وأيما قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء حتى تعود القلوب على قلبين قلب أبيض مثل الصفا لا تضره فتنة مادامت السماء والارض وقلب أسود مرباد لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا الا ماأشرب من هواه

فهؤلاء العباد الزهاد الذين عبدوا الله بآرائهم وذوقهم ووجدهم لا بالامر والنهي منتهاهم اتباع أهوائهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله لا سيما اذا كانت حقيقتهم هي قول الجهمية المجبرة فرأوا أن جميع الكائنات اشتركت في المشيئة ولم يميزوا بعضها عن بعض فان الله يحب هذا ويرضاه وهذا يبغضه ويسخطه فان الله يحب المعروف ويبغض المنكر فاذا لم يفرقوا بين هذا وهذا نكت في قلوبهم نكت سوداء فسود قلوبهم فيكون المعروف مايهوونه ويحبونه ويجدونه ويذوقونه ويكون المنكر مايهوون بغضه وتنفر عنه قلوبهم كالمشركين الذين كانوا عن

التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة ولهذا يوجد في هؤلاء وأتباعهم من ينفرون عن القرآن والشرع كما تنفر الحمر المستنفرة التي تفر من الرماة ومن الأسد ولهذا يوصفون بأنهم إذا قيل لهم قال المصطفى نفروا

وكان الشيخ ابراهيم بن معضاد يقول لمن رآه من هؤلاء كاليونسية والاحمدية ياخنازير ياأبناء الخنازير ماأرى لله ورسوله عندكم رائحة بل يريد كل منهم أن يؤتى صحفا منشرة كل منهم يريد أن يجيئه أمر من ربه وأخذ عن الله بلا واسطة الرسول وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ماأوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالاته وبسط هذا له موضع آخر

والمقصود هنا أن قول القدرية الجهمية المجبرة أعظم مناقضة لما جاءت به الرسل من قول النفاة ولهذا لم يكن هؤلاء مظهرين لهذا في زمن السلف بل كلما ضعف نور النبوة أظهروا حقيقة قولهم فانه من جنس قول المشركين المكذبين للرسل ومنتهاهم الشرك وتكذيب الرسل وهذا جماع الكفر كما أن التوحيد وتصديق الرسل جماع الايمان ولهذا صاروا مع أهل الكفر المحض من المشركين وأهل الكتاب وبسط هذه الامور له موضع آخر

والمقصود هنا أن القدرية المجبرة من جنس المشركين كما أن النافية من جنس المجوس وأن المجبرة ماعندهم سوى القدرة والمشيئة في نفس الأمر والنافية تنفي القدرة العامة والمشيئة التامة وزعم أنها نفت

الحكمة والعدل وفي الحقيقة كلاهما ناف للحكمة والعدل والشرع والقدرة كما قد بسط في مواضع وأولئك يعلمون قوله لا يسأل عما يفعل والله يفعل مايشاء وهذا ذكره الله اثباتا لقدرته لا نفيا لحكمته وعدله بل بين سبحانه انه يفعل مايشاء ولا أحد يمكنه أن يعارضه اذا شاء شيئا بل هو قادر على فعل مايشاء بخلاف المخلوق الذي يشاء أشياء كثيرة ولا يمكنه أن يفعلها ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لا يقولن أحدكم اللهم اغفرلي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت فان الله لامكره له ولكن ليعزم المسئلة وذلك انه انما يقال افعل كذا ان شئت لمن قد يفعله كرها ويفعل مالا يريد لدفع شر الاكراه عنه والله تعالى لامكره له فلا يفعل الا مايشاء فقوله تعالى ان الله يفعل مايشاء ويغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ونحو ذلك هو لاثبات قدرته على مايشاء وهذا رد لقول القدرية النفاة الذين يقولون انه لم يشأ الا ما كان بل لايشاء الا الطاعة ومع هذا فقد شاءها ولم يكن ممن عصاه وليس هو قادرا عندهم على أن يجعل العبد لامطيعا ولا عاصيا

فهذه الآيات التي يحتج بها المجبرة تدل على فساد مذهب النفاة كما أن الآيات التي يحتج بها النفاة التي تدل على أنه حكيم عادل لايظلم مثقال ذرة وانه لم يخلق الخلق عبثا ونحو ذلك تدل على فساد قول المجبرة وليس في هذه الآيات ولا هذه مايدل على صحة قول واحدة من الطائفتين بل ماتحتج به كل طائفة يدل على فساد مذهب الاخرى وكلا القولين باطل وهذا هو الذي نهي عنه النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي

في المسند وغيره وبعضه في صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم انه خرج على أصحابه وهم يتمارون في القدر وهذا يقول ألم يقل الله كذا وهذا يقول ألم يقل الله كذا فكأنما فقئ في وجهه حب الرمان فقال أبهذا أمرتم أم الى هذا دعيتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض ولهذا قال أحمد في بعض مناظرته لمن صار يضرب الآيات بعضها ببعض انا قد نهينا عن هذا

فمن دفع نصوصا يحتج بها غيره لم يؤمن بها بل آمن بما يحتج صار ممن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض

وهذا حال أهل الاهواء هم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب متفقون على مخالفة الكتاب وقد تركوا كلهم بعض النصوص وهو ما يجمع تلك الاقوال فصاروا كما قال عن أهل الكتاب ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة

فاذا ترك الناس بعض ما أنزل الله وقعت بينهم العداوة والبغضاء اذ لم يبق هنا حق جامع يشتركون فيه بل تقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون وهؤلاء كلهم ليس معهم من الحق الا ما وافقوا فيه الرسول وهو ما تمسكوا به من شرعه مما أخبر به وما أمر به * وأما ما ابتدعوه فكله ضلالة كما قال صلى الله عليه وسلم واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة وقد تكون تلك البدعة أعظم عندهم مما أخذوا به من الشريعة يجعلون تلك هي الاصول العقلية كالقدرية المجبرة

والدماة وكلاهما يحمل ما أحدثوه من الكلام فى الاصول وهو الذى سموه العقليات أعظم عندهم مما تلقوه من الشرع فالمعتزلة يجعلون العقليات هى الخبريات والامريات جميعا فاوا ... أيضا ان الشرع ... [illegible]

كذلك ما ... [illegible]

... [illegible]

... [illegible]

وجهم بن صفوان وأتباعه هم أعظم ... فانهم ... مع الصفات وهم رؤس الجبرية والاشعرية ... فى الخبر ... نازعوهم ... فى اثبات الكسب والقدرة عليه وهم ... هذه الاصول العقلية وهى العلم بما يجب للرب ... وما ... من الافعال هى أعظم العلوم وأشرفها وانهم ... بها على الصحابة وان التى لم يعلمها الصحابة اما لكونه وكانها الى ... الامة واما لكون الصحابة كانوا مشغولين عنها بالجهاد واما لكونه قل ... فى ذلك ما لم يعلموه ولم يشغلهم بالادلة لاشتغالهم بالجهاد

وهذه هى الاصول العقلية التى يعتمدون عليها هم ومن ... كالقاضى أبي يعلى وأبى المعالى وأبي الوليد الباجى ... للقاضى أبى بكر وأمثاله وهو وأتباعه يناقضون عبد الجبار وأمثاله كما ناقض الاشعرى وأمثاله أبا على وأبا هاشم

وكل الاصول العقلية التى ابتدعها هؤلاء وهؤلاء باطلة فى ...

والشرع وان كانت كل واحدة من الطائفتين تعتقد أنها أعظم الدين ويقدمونها على الاصول الشرعية فانهم في ذلك بمنزلة ما تعظمه العباد والزهاد والفقراء والصوفية من الخوارق الشيطانية ويفضلونها على العبادات الشرعية والعبادات الشرعية هي التي معهم من الاسلام وتلك ذلها الجهال وان كانت أعظم عندهم من العبادات حتى يقولوا نهاية الصوفي ابتداء الفقيه ونهاية الفقيه ابتداء المولة وكذلك صاحب منازل السائرين يذكر في كل باب ثلاث درجات فالاولى وهي أضعفها عندهم توافق الشرع في الظاهر والثانية قد توافق الشرع وقد لا توافق والثالثة هي الاعلى تخالف لا سيما في التوحيد والفناء والرجاء ونحو ذلك وهذا الذي ابتدعوه هو أعظم عندهم مما وافقوا فيه الرسل وكثير من العباد يفضل نوافله على أداء الفرائض وهذا كثير والله أعلم.

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله
وصحبه وسلم تسليما كثيرا والحمد
لله رب العالمين

﴿ تمت الرسالة الاولى من رسائل العلامة ابن تيمية ﴾

﴿ ويليها الرسالة الثانية معارج الوصول له أيضاً ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قال الشيخ الإمام العالم تقي الدين أوحد المجتهدين احمد بن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه وهو مما كتبه بقلعة دمشق مأسوراً

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً

(فصل في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين جميع الدين أصوله وفروعه باطنه وظاهره علمه وعمله) فإن هذا الأصل هو أصل أصول العلم والإيمان وكل من كان أعظم اعتصاما بهذا الأصل كان أولى بالحق علماً وعملاً ومن كان أبعد عن الحق علماً وعملاً كالقرامطة والمتفلسفة الذين يظنون أن الرسل ما كانوا يعلمون حقائق العلوم الالهية والكلية وإنما يعرف ذلك بزعمهم من عرفه من المتفلسفة ويقولون خاصة النبوة هي التخييل ويجعلون النبوة أفضل من غيرها عند الجمهور لا عند أهل المعرفة كما يقول هذا ونحوه الفارابي وأمثاله مثل مبشر بن فاتك وأمثاله من الاسماعيلية وآخرون يعترفون بأن الرسول علم الحقائق لكن يقولون لم يبينها بل خاطب الجمهور بالتخييل فيجعلون التخييل في خطابه لا في علمه كما يقول ذلك ابن سينا وأمثاله وآخرون يعترفون بأن الرسل علموا الحق وبينوه لكن يقولون لا يمكن معرفته من كلامهم بل نعرف بطريق آخر اما المعقول عند طائفة واما المكاشفة عند طائفة اما قياس فلسفي واما خيال صوفي ثم بعد ذلك ينظر في كلام

الرسول فما وافق ذلك قبل وما خالفه اما أن يفوض واما أن يؤول وهذه طريقة كثير من أهل الكلام الجهمية والمعتزلة وهي طريقة خيار الباطنية والفلاسفة الذين يعظمون الرسول وينزهونه عن الجهل والكذب لكن يدخلون في التأويل وأبو حامد الغزالي لما ذكر في كتابه طرق الناس في التأويل وان الفلاسفة زادوا فيه حتى انحلوا وان الحق بين جمود الحنابلة وبين انحلال الفلاسفة وان ذلك لا يعرف من جهة السمع بل يعرف الحق بنور يقذف في القلب ثم ينظر في السمع فما وافق ذلك قبلته والا فلا وكان مقصوده بالفلاسفة الأولين خيار الفلاسفة وهم الذين يعظمون الرسول عن أن يكذب للمصلحة ولكن هؤلاء وقعوا في نظير ما فروا منه ونسبوه الى التلبيس والتعمية واضلال الخلق بل الى أن يظهر الباطل ويكتم الحق

وابن سينا وأمثاله لما عرفوا أن كلام الرسول لا يحتمل هذه التأويلات الفلسفية بل قد عرفوا أنه أراد مفهوم الخطاب سلك التخييل وقال انه خاطب الجمهور بما يخيل اليهم مع علمه أن الحق في نفس الامر ليس كذلك فهؤلاء يقولون ان الرسل كذبوا للمصلحة وهذا طريق ابن رشد الحفيد وأمثاله من الباطنية فالذين عظموا الرسل من هؤلاء عن الكذب نسبوهم الى التلبيس والاضلال والذين أقروا بأنهم بينوا قالوا انهم كذبوا للمصلحة واما أهل العلم والايمان فمتفقون على أن الرسل لم يقولوا الا بالحق وانهم بينوه مع علمهم بأنهم أعلم الخلق بالحق فهم الصادقون المصدوقون علموا الحق وبينوه فمن قال انهم كذبوا للمصلحة فهو من اخوان المكذبين للرسل لكن هذا لما رأى ما عملوا

من الجور والعدل في العالم لم يمكنه أن يقول كذبوا لطلب العلو والفساد بل قال كذبوا لمصلحة الخلق كما يحكى عن ابن التومرت وأمثاله ولهذا كان هؤلاء لا يفرقون بين النبي والساحر الا من جهة حسن القصد فان النبي يقصد الخير والساحر يقصد الشر والا فالكل منهما خوارق هي عندهم قوى نفسانية وكلاهما عندهم يكذب لكن الساحر يكذب للعلو والفساد والنبي عندهم يكذب لمصلحة اذ لم يمكنه اقامة العدل بينهم الا بنوع من الكذب والذين علموا أن النبوة تناقض الكذب على الله وان النبي لا يكون الا صادقا من هؤلاء قالوا انهم لم يبينوا الحق ولو أنهم قالوا سكتوا عن بيانه لكان اول الحاداً لكن قالوا انهم أخبروا بما اظهر منه للناس الباطل ولم يبينوا لهم الحق فعندهم انهم جمعوا بين شيئين بين كتمان حق لم يبينوه وبين اظهار ما يدل على الباطل وان كانوا لم يقصدوا الباطل فجعلوا كلامهم من جنس المعاريض التي يعنى بها المتكلم معنى صحيحاً لكن لا يفهم المستمع منها الا الباطل واذا قالوا قصدوا التعريض كان أول الحاداً ممن قال انهم قصدوا الكذب

(والتعريض من نوع الكذب) اذ كان كذبا في الافهام ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم لم يكذب الا ثلاث كذبات كلهن في ذات الله وهي معاريض لقوله عن سارة انها أختي اذ كان ليس هناك مؤمن الا هو وهي (١)

وهؤلاء يقولون ان كلام ابراهيم وعامة الانبياء مما اخبروا به عن الغيب كذب من المعاريض

وأما جمهور المتكلمين فلا يقولون بهذا بل يقولون قصدوا البيان

---

(١) ذكر احدى الثلاث والثانية قوله اني سقيم والثالثة قوله بل فعله كبيرهم هذا

دون العريض اكن مع هذا يقول الجهمية ونحوهم ان بيان الحق ليس في خطابهم بل انما في خطابهم مايدل على الباطل والمتكلمون من الجهمية والمعتزلة والاشعرية ونحوهم ممن سلك في اثبات الصانع طريقة الاعراض يقولون ان الصحابة لم يبينوا أصول الدين بل ولا الرسول اما لشغلهم بالجهاد أو لغير ذلك وقد بسط الكلام على هؤلاء في غير هذا الموضع

وبين ان أصول الدين الحق الذي أنزل الله به كتابه وأرسل به رسوله وهي الادلة والبراهين والآيات الدالة على ذلك قد بينها الرسول أحسن بيان وأنه دل الناس وهداهم الي الادلة العقلية والبراهين اليقينية التي بها يعلمون المطالب الالهية وبها يعلمون اثبات ربوبية الله ووحدانيته وصفاته وصدق رسوله والمعاد وغير ذلك مما يحتاج الى معرفته بالادلة العقلية بل وما يمكن بيانه بالادلة العقلية وان كان لايحتاج اليها فان كثيراً من الامور يعرف بالخبر الصادق ومع هذا فالرسول بين الادلة العقلية الدالة عليها فجمع بين الطريقين السمعي والعقلي

وبينا أن دلالة الكتاب والسنة على أصول الدين ليست بمجرد الخبر كما تظنه طائفة من الغالطين من أهل الكلام والحديث والفقهاء والصوفية وغيرهم بل الكتاب والسنة دلا الخلق وهدياهم الي الآيات والبراهين والادلة المبينة لاصول الدين وهؤلاء الغالطون الذين أعرضوا عما في القرآن من الدلائل العقلية والبراهين اليقينية صاروا اذا صنفوا في أصول الدين أحزابا

حزب يقدمون في كتبهم الكلام في النظر والدليل والعلم وان النظر

يوجب العلم وأنه واجب ويتكلمون في جنس النظر وجنس الدليل وجنس العلم بكلام قد اختلط فيه الحق بالباطل ثم اذا صاروا الى ماهو الأصل والدليل للدين استدلوا بحدوث الاعراض على حدوث الاجسام وهو دليل مبتدع في الشرع وباطل في العقل

والحزب الثاني عرفوا أن هذا الكلام مبتدع وهو مستلزم مخالفة الكتاب والسنة وعنه ينشأ القول بأن القرآن مخلوق وأن الله لا يرى في الآخرة وليس فوق العرش ونحو ذلك من بدع الجهمية فصنفوا كتباً قدموا فيها مايدل على وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة من القرآن والحديث وكلام السلف وذكروا أشياء صحيحة لكنهم قد يخلطون الآثار صحيحها بضعيفها وقد يستدلون بما لا يدل على المطلوب وأيضاً فهم انما يستدلون بالقرآن من جهة اخباره لا من جهة دلالته فلا يذكرون مافيه من الادلة على اثبات الربوبية والوحدانية والنبوة والمعاد وأنه قد بين الادلة العقلية الدالة على ذلك ولهذا سموا كتبهم أصول السنة والشريعة ونحو ذلك وجعلوا الايمان بالرسول قد استقر فلا يحتاج أن يبين الادلة الدالة عليه فذمهم أولئك ونسبوهم الى الجهل اذ لم يذكروا الاصول الدالة على صدق الرسول وهؤلاء ينسبون أولئك الى البدعة بل الى الكفر لكونهم أصلوا أصولا تخالف ماقاله الرسول والطائفتان يلحقهما الملام لكونهما أعرضتا عن الاصول التي بينها الله بكتابه فانها اصول الدين وأدلته وآياته فلما أعرض عنها الطائفتان وقع بينهم العداوة كما قال الله تعالى فنسوا حظاً مما ذكروا به فاغرينا بينهم

العداوة والبغضاء الى يوم القيامه

وحزب ثالث قد عرف تفريط هؤلاء وتعدي اولئك وبدعتهم وذمهم وذم طالب العلم الذكي الذي اشتاقت نفسه الى معرفة الادلة والخروج عن التقليد اذا سلك طريقهم وقال ان طريقهم صارة وان السلف لم يسلكوها ونحو ذلك مما يقتضي ذمها وهو كلام صحيح لكنه انما يدل على أمر مجمل لا تتبين دلالته على المطلوب بل قد يعتقد طريق المتكلمين مع قوله انه بدعة ولا يفتح أبواب الادلة التي ذكرها الله في القرآن التي تبين أن ما جاء به الرسول حق ويخرج الذكي بمعرفتها عن التقليد وعن الضلال والبدعة والجهل فهؤلاء أضل فريقهم لانهم لم يتدبروا القرآن وأعرضوا عن آيات الله التي بينها بكتابه كما يعرض من يعرض عن آيات الله المخلوقة قال الله تعالى وكم من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وقال تعالى وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون وقال تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون وقال تعالى كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب وقال تعالى ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل وقال تعالى وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر الآيه وقال تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك وقال تعالى وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات والزبر والكتاب المنير ومثل هذا كثير لبسطه مواضع أخر

والمقصود ان هؤلاء الغالطين الذين أعرضوا عما في القرآن من الدلائل العقلية والبراهين اليقينية لايذكرون الاعتبار والدليل والعلم الذى جاء به الرسول والقرآن مملوء من ذلك والمتكلمون يعترفون بأن فى القرآن من الادلة العقلية الدالة على أصول الدين مافيه لكنهم يسلكون طرقا أخر كطريق الاعراض

ومنهم من يظن ان هذه طريق ابراهيم الخليل وهو غالط

والفلاسفة يقولون القرآن جاء بالطريق الخطابية والمقدمات الاقناعية التى تقنع الجمهور ويقولون ان المتكلمين جاؤا بالطرق الجدلية ويدعون أنهم همأهل البرهان اليقيني وهمأبعد عن البرهان فى الالهيات من المتكلمين والمتكلمون أعلم منهم بالعلميات البرهانية فى الالهيات والكليات ولكن للمتفلسفة فى الطبيعيات خوض وتفصيل تميزوا به بخلاف الالهيات فانهم من أجهل الناس بها وأبعدهم عن معرفة الحق فيها وكلام ارسطو معلمهم فيها قليل كثير الخطأ فهو لحم جمل غث على رأس جبل وعر لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقل وهذا مبسوط فى غير هذا الموضع

والقرآن جاء بالبينات والهدى بالآيات البينات وهى الدلائل اليقينيات وقد قال الله تعالى لرسوله أدع الي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن والمتفلسفة يفسرون ذلك بطرقهم المنطقية فى البرهان والخطابة والجدل وهو ضلال من وجوه قد بسطت فى غير هذا الموضع بل الحكمة هى معرفة الحق والعمل به فالقلوب

التي فاتهم وقصد تدعى بالحكمة فبين لها الحق علما وعملا فتقبله وتعمل به وآخرون يعترفون بالحق لكن لهم أهواء تصدهم عن اتباعه فهؤلاء يدعون بالموعظة الحسنة المشتملة على الترغيب في الحق والترهيب من الباطل والوعظ أمر ونهي بترغيب وترهيب كما قال تعالى ولو انهم فعلوا مايوعظون به وقال تعالى يعظكم الله ان تعودوا لمثله أبدا فالدعوة بهذين الطريقين لمن قبل الحق ومن لم يقبله فانه يجادل بالتي هي أحسن والقرآن مشتمل على هذا وهذا ولهذا اذا جادل يسأل و يستفهم عن المقدمات البينة البرهانية التي لايمكن أحد أن يجحدها لتقرير المخاطب بالحق ولاعترافه بانكار الباطل كما في مثل قوله ام خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون وقوله أفعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد وقوله أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم وقوله أيحسب الانسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى أليس ذلك بقـادر على أن يحيي الموتى وقوله أفرأيتم ماتمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون وقوله وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة مافي الصحف الاولى وقوله أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب تتلى عليهم وقوله أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل وقوله ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين الى أمثال ذلك مما يخاطبهم باستفهام التقرير المتضمن اقرارهم واعترافهم بالمقدمات البرهانية التي تدل على المطلوب فهو من أحسن جدل بالبرهان فان الجدل انما يشترط فيه أن يسلم الخصم

المقدمات وان لم تكن بينة معروفة فاذا كانت بينة معروفة كانت برهانية والقرآن لا يحتج في مجادلته بمقدمة لمجرد تسليم الخصم بها كما هي الطريقة الجدلية عند أهل المنطق وغيرهم بل بالقضايا والمقدمات التي تسلمها الناس وهي برهانية وان كان بعضهم يسلمها وبعضهم ينازع فيها ذكر الدليل على صحتها كقوله وماقدروا الله حق قدره اذقالوا ماأنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدي للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم فان الخطاب لما كان مع من يقر بنبوة موسى من أهل الكتاب ومع من ينكرها من المشركين ذكر ذلك بقوله قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى وقد بين البراهين الدالة على صدق موسى في غير موضع وعلى قراءة من قرأ يبدونها كان كثير وأبي عمرو يجعلونه قولا وعلمتم مالم تعلموا احتجاجا على المشركين بما جاء به محمد فالحجة على أولئك نبوة موسى وعلى هؤلاء نبوة محمد ولكل منهما من البراهين ماقد بين بعضه في غير موضع وعلى قراءة الاكثرين بالتاء هو خطاب لاهل الكتاب وقوله علمتم مالم تعلموا يبين لما جاءت به الانبياء مما أنكروه فعلمهم الانبياء مالم يقبلوه ولم يعلموه فاستدل بما عرفوه من أخبار الانبياء ومالم يعرفوه

وقد قص سبحانه قصة موسى وأظهر براهين موسى وآياته التي هي من أظهر البراهين والادلة حتى اعترف بها السحرة التي جمعهم فرعون وناهيك بذلك فلما أظهر الله حق موسى وأتى بالآيات التي علم بالاضطرار انها من الله وابتلعت عصاه الحبال والعصي التي أتى بها

السحرة بعد ان جاؤا بسحر عظيم وسحروا اعين الناس واسترهبوا الناس ثم لما ظهر الحق وانقلبوا صاغرين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون فقال لهم فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولاصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى قالوا لن نؤثرك على ماجاءنا من البينات من الدلائل اليقينية القطعية وعلى الذي فطرنا وهو خالقنا وربنا الذي لابد لنا منه لن نؤثرك على هذه الدلائل اليقينية وعلى خالق البرية فاقض ماأنت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى

وقد ذكر الله هذه القصة في عدة مواضع من القرآن يبين في كل موضع منها من الاعتبار والاستدلال نوعا غير النوع الآخر كما يسمى الله ورسوله وكتابه بأسماء متعددة كل اسم يدل على معنى لم يدل عليه الاسم الآخر وليس في هذا تكرار بل فيه تنويع الآيات مثل أسماء النبي صلى الله عليه وسلم اذا قيل محمد وأحمد والحاشر والعاقب والمقفى ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملحمة في كل اسم دلالة على معنى ليس في الاسم الآخر وان كانت الذات واحدة فالصفات متنوعة وكذلك القرآن اذا قيل فيه قرآن وفرقان وبيان وهدى وبصائر وشفاء ونور ورحمة وروح فكل اسم يدل على معنى ليس هو المعنى الآخر وكذلك أسماء الرب تعالى اذا قيل الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور فكل اسم يدل على معنى ليس

هو المعنى الذى فى الاسم الآخر فالذات واحدة والصفات متعددة فهذا فى الاسماء المفردة وكذلك فى الجمل التامة يعبر عن القصة بجمل تدل على معان فيها ثم يعبر عنها بجمل أخرى تدل على معان أخر وان كانت القصة المذكورة ذاتها واحدة فصفاتها متعددة ففى كل جملة من الجمل معنى ليس فى الجمل الأخر

وليس فى القرآن تكرار أصلا وأما ما ذكره بعض الناس من تكرر القصص مع الاكتفاء بالواحدة وكان الحكمة فيه أن وفود العرب كانت ترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقرئهم المسلمون شيئا من القرآن فيكون ذلك كافيا وكان يبعث الى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة فلو لم تكن الآيات والقصص مثناة متكررة لوقعت قصة موسى الى قوم وقصة عيسى الى قوم وقصة نوح الى قوم فأراد الله أن يشهر هذه القصص فى أطراف الارض وأن يلقيها الى كل سمع فهذا كلام من لم يقدر القرآن قدره وأبو الفرج اقتصر على هذا الجواب فى قوله مثانى لما قيل لم ثنيت وبسط هذا له موضع آخر فان التثنية هى التنويع والتجنيس وهى استيفاء الاقسام ولهذا يقول من يقول من السلف الاقسام والامثال

والمقصود هنا التنبيه على ان القرآن اشتمل على أصول الدين التى تستحق هذا الاسم وعلى البراهين والآيات والادلة اليقينية بخلاف ما أحدثه المبتدعون والملحدون كما قال الرازى مع خبرته بطرق هؤلاء لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما وجدتها تشفى عليلا

ولا تروى عليلا ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن اقرأ في الاثبات اليه يصعد الكلم الطيب الرحمن على العرش استوى وأقرأ في النفي ليس كمثله شيء ولا يحيطون به علما قال ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي

والخير والسعادة والكمال والصلاح منحصر في نوعين ... العلم النافع والعمل الصالح وقد بعث الله محمدا بأفضل ذلك ... ودين الحق كما قال هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ... على الدين كله وكفى بالله ... قال ... واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار فذكر النوعين قال الوالبي عن ابن عباس يقول أولو القوة في العبادة قال ابن أبي حاتم وروى عن سعيد بن جبير وعطاء الخراساني والحسن والضحاك والسدي وقتادة وأبي سنان ومبشر بن عبيد نحو ذلك والأبصار قال الأبصار الفقه في الدين وقال مجاهد الأبصار الصواب في الحكم وعن سعيد بن جبير قال البصيرة بدين الله وكتابه وعن عطاء الخراساني أولي الأيدي والأبصار قال أولو القوة في العبادة والبصر والعلم بأمر الله وعن مجاهد وروى عن قتادة قال أعطوا قوة في العبادة وبصرا في الدين

وجميع حكماء الأمم يفضلون هذين النوعين مثل حكماء اليونان والهند والعرب قال ابن قتيبة الحكمة عند العرب العلم والعمل فالعمل الصالح هو عبادة الله وحده لاشريك له وهو الدين دين الاسلام والعلم والهدى هو تصديق الرسول فيما أخبر به عن الله وملائكته وكتبه

ورسله واليوم الآخر وغير ذلك فالعلم النافع هو الايمان والعمل الصالح هو الاسلام العلم النافع من علم الله والعمل الصالح هو العمل بأمر الله هذا تصديق الرسول فيما أخبر وهذا طاعته فيما أمر وضد الاول أن يقول على الله مالا تعلم وضد الثانى أن يشرك بالله مالم ينزل به سلطانا والاول أشرف فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا وجميع الطوائف تفضل هذين النوعين لكن الذى جاء به الرسول هو أفضل مافيهما كما قال ان هذا القرآن يهدى للتي هى أقوم

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ فى ركعتي الفجر تارة سورة الاخلاص وقل ياأيها الكافرون وفى قل ياأيها الكافرون عبادة الله وحده وهو دين الاسلام وفى قل هو الله أحد صفة الرحمن وأن يقال فيه ويخبر عنه بما يستحقه وهو الايمان هذا هو التوحيد القولى وذلك هو التوحيد العلمي

وكان تارة يقرأ فيهما في الاولى قوله فى البقرة قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون وفى الثانية قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الى قوله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون

قال أبو العالية فى قوله فلنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون قال خلتان يسئل عنهما كل أحد ماذا كنت تعبد وماذا أجبت المرسلين

فالاول محقق شهادة أن لااله الا الله والثاني يحقق الشهادة بان محمدا رسول الله

والصوفية بنوا أمرهم على الارادة ولا بد منها لكن بشرط أن يكون ارادة عبادة الله وحده بما أمر

والمتكلمون بنوا أمرهم على النظر المقتضى للعلم ولابد منه لكن بشرط أن يكون علما بما أخبر به الرسول والنظر في الادلة التي دل بها الرسول هي آيات الله ولابد من هذا وهذا

ومن طلب علما بلا ارادة أو ارادة بلا علم فهو ضال ومن طلب هذا وهذا بدون اتباع الرسول فيهما فهو ضال بل كما قال من السلف الدين والايمان قول وعمل واتباع السنة وأهل الفقه في الاعمال الظاهرة يتكلمون في العبادات الظاهرة وأهل التصوف والزهد يتكلمون في قصد الانسان وارادته وأهل النظر والكلام وأهل العقائد من اهل الحديث وغيرهم يتكلمون في العلم والمعرفة والتصديق الذي هو أصل الارادة ويقولون العبادة لابد فيها من القصد والقصد لا يصح الا بعد العلم بالمقصود المعبود وهذا صحيح فلابد من معرفة المعبود وما يعبد به فالضالون من المشركين والنصارى وأشباههم لهم عبادات وزهادات لكن لغير الله أو بغير أمر الله وانما القصد والارادة النافعة هو ارادة عبادة الله وحده وهو انما يعبد بما شرع لا بالبدع

وعلى هذين الاصلين يدور دين الاسلام على أن يعبد الله وحده وأن يعبد بما شرع ولا يعبد بالبدع وأما العلم والمعرفة والتصوف فمدارها

على أن يعرف ما اخبر به الرسول ويعرف أن ما أخبر به حق اما لعلمه فانه لا يقول الا حقا وهذا تصديق عام واما لعلمه بان ذلك الخبر حق بما أظهر الله من آيات صدقه فانه أنزل الكتاب والميزان وأرى الناس آياته في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم ان القرآن حق

(فصل) وأما العمليات وما يسميه ناس الفروع والشرع والفقه وهذا قد بينه الرسول أحسن بيان فما شيء مما أمر الله به أو نهى عنه أو حلله أو حرمه الا بين ذلك وقد قال تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وقال تعالى ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون وقال تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين وقال تعالى كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وقال تعالى تالله لقد أرسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم وماأنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون فقد بين سبحانه انه ماأنزل عليه الكتاب الا ليبين لهم الذي اختلفوا فيه كما بين انه أنزل جنس الكتاب مع النبيين ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وقال تعالى وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه انيب وقال تعالى وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم مايتقون

فقد بين للمسلمين جميع مايتقونه كما قال وقد فصل لكم ماحرم

عليكم الا مااصطررتم اليه وقال تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول وهو الرد الى كتاب الله او الى سنة الرسول بعد موته وقوله فان تنازعتم شرط والفعل نكرة في سياق الشرط فاى شيء تنازعوا فيه ردوه الي الله والرسول ولو لم يكن بيان الله والرسول فاصلا للنزاع لم يؤمروا بالرد اليه والرسول أنزل الله عليه الكتاب والحكمة كما ذكر ذلك في غير موضع وقد علم أمته الكتاب والحكمة كما قال ويعلمهم الكتاب وكان يذكر في بيته الكتاب والحكمة وامر ازواج نبيه بذكر ذلك فقال واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة فآيات الله هي القرآن اذ كان نفس القرآن يدل على انه منزل من الله فهو علامة ودلالة على منزله والحكمة قال غير واحد من السلف هي السنة وقال أيضا طائفة كذلك وغيره هي معرفة الدين والعمل به وقيل غير ذلك وكل ذلك حق فهي تتضمن التمييز بين المأمور والمحظور والحق والباطل وتعليم العلم بالحق دون الباطل وهذه السنة التي فرق بها بين الحق والباطل وبين الاعمال الحسنة من القبيحة والخير من الشر وقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم انه قال تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لايزيغ عنها بعدي الا هالك

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كلام نحو هذا وهذا كثير في الحديث والآثار يذكرونه في الكتب التي يذكر فيها هذه الآثار كما ذكر مثل ذلك غير واحد فيما صنفوه في السنة مثل ابن بطة واللالكائي والطلمنكي وقبلهم المصنفون في السنة كأصحاب احمد مثل عبد الله والاثرم وحرب

الكرماني وغيرهم ومثل الحلال وغيره

والمقصود هنا تحقيق ذلك وان الكتاب والسنة وافيان بجميع أمور الدين وأما اجماع الامة فهو في نفسه حق لاتجتمع الامه على ضلاله وكذلك القياس الصحيح حق فان الله بعث رسله بالعدل وأنزل الميزان مع الكتاب والميزان يتضمن العدل وما يعرف به العدل وقد فسروا انزال ذلك بأن ألهم العباد معرفة ذلك والله ورسوله يسوى بين المتماثلين ويفرق بين المختلفين وهذا هو القياس الصحيح وقد ضرب الله في القرآن من كل مثل وبين بالقياس الصحيح وهى الامثال المضروبة مابينه من الحق لكن القياس الصحيح يطابق النص فان الميزان يطابق الكتاب والله أمر نبيه أن يحكم بما انزل وأمره أن يحكم بالعدل فهو أنزل الكتاب وانما أنزل الكتاب بالعدل قال تعالى وأن احكم بينهم بما أنزل الله وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط واما اجماع الامة فهو حق لاتجتمع الامه ولله الحمد على ضلالة كما وصفها الله بذلك فى الكتاب والسنه فقال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله وهذا وصف لهم بانهم يأمرون بكل معروف وينهون عن كل منكر كما وصف نبيهم بذلك في قوله الذى يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وبذلك وصف المؤمنين فى قوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فلو قالت الامة في الدين بما هو ضلال لكانت لم تأمر بالمعروف فى ذلك ولم تنه عن المنكر فيه وقال تعالى

وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً والوسط العدل الخيار

وقد جعلهم الله شهداء على الناس وأقام شهادتهم مقام شهادة الرسول وقد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم مر عليه بجنازة فأثنوا عليها خيراً فقال وجبت وجبت ثم مر عليه بجنازة فأثنوا عليها شراً فقال وجبت وجبت قالوا يارسول الله ماقولك وجبت وجبت قال هذه الجنازة أثنيتم عليها خيراً فقلت وجبت لها الجنة وهذه الجنازة أثنيتم عليها شراً فقلت وجبت لها النار أنتم شهداء الله في الارض

فاذا كان الرب قد جعلهم شهداء لم يشهدوا بباطل فاذا شهدوا ان الله أمر بشيء فقد أمر به واذا شهدوا أن الله نهي عن شيء فقد نهي عنه ولو كانوا يشهدون بباطل أو خطأ لم يكونوا شهداء الله في الارض بل زكاهم الله في شهادتهم كما زكى الانبياء فيما يبلغون عنه انهم لا يقولون عليه الا الحق وكذلك الامة لا تشهد على الله الا بحق وقال تعالى واتبع سبيل من أناب الي والامة منيبة الى الله فيجب اتباع سبيلها وقال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه فرضي عمن اتبع السابقين الي يوم القيامة فدل على أن متابعهم عامل بما يرضي الله والله لا يرضى الا بالحق لا بالباطل وقال تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولي ونصله جهنم وساءت مصيرا

وكان عمر بن عبد العزيز يقول كلمات كان مالك يأثرها عنه كثيراً

قال سن رسول الله صلي الله عليه وسلم وولاه الامر من بعده سننا الاخد بها تصديق لكتاب الله واستعمال لطاعه الله ومعونة على دين الله ليس لاحد تغييرها ولا النظر في رأى من خالفها فمن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله تعالى ماتولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا

والشافعي رضي الله عنه لما جرد الكلام في أصول الفقه احتج بهذه الآية على الاجماع كما كان هو وغيره من مالك ذكر ذلك عن عمر بن عبد العزيز والآية دلت على أن متبع غير سبيل المؤمنين مستحق للوعيد كما أن مشاق الرسول من بعد ماتبين له الهدى مستحق للوعيد ومعلوم أن هذا الوصف يوجب الوعيد بمجرده فلو لم يكن الوصف الآخر يدخل فى ذلك لكان لافائدة في ذكره

وهنا للناس ثلاثه أقوال قيل اتباع غير سبيل المؤمنين هو مجرد مخالفه الرسول المذكورة فى الآية وقيل بل مخالفة الرسول مستقلة بالذم وكذلك اتباع غير سبيلهم مستقل بالذم وقيل بل اتباع غير سبيل المؤمنين يوجب الذم كما دلت عليه الآيه لكن هذا لايقتضى مفارقة الاول بل قد يكون مستلزما له فكل متابع غير سبيل المؤمنين هو فى نفس الامر مشاق للرسول وكذلك مشاق الرسول متبع غير سبيل المؤمنين وهذا كما فى طاعة الله والرسول فان طاعه الله واجبة وطاعة الرسول واجبة وكل واحد من معصيه الله ومعصيه الرسول موجب للذم وهما متلازمان فانه من يطع الرسول فقد أطاع الله وفي الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من أطاعنى فقد أطاع الله

ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى ومن عصانى فقد عصى الله ومن عصى أميري فقد عصانى وقال انما الطاعة في المعروف يعنى اذا أمر أميرى بالمعروف فطاعته من طاعتى وكل من عصى الله فقد عصى الرسول فان الرسول يأمر بما أمر الله به بل من أطاع رسولا واحداً فقد أطاع جميع الرسل ومن آمن بواحد منهم فقد آمن بالجميع ومن عصى واحداً منهم فقد عصى الجميع ومن كذب واحداً منهم فقد كذب الجميع لان كل رسول يصدق الآخر ويقول انه رسول صادق ويأمر بطاعته فمن كذب رسولا فقد كذب الذى صدقه ومن عصاه فقد عصى من أمر بطاعته ولهذا كان دين الانبياء واحداً كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال انا معاشر الانبياء ديننا واحد وقال تعالى شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه وقال تعالى ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً اني بما تعملون عليم وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون وقال تعالى فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون ودين الانبياء كلهم الاسلام كما أخبر الله بذلك في غير موضع وهو الاسلام لله وحده وذلك انما يكون بطاعته فيما أمر به

فى دلك ارق بطاعة كل شى هي من دين الاسلام اد داك واستقبال بيت المقدس كان من دين الاسلام قبل النسخ ثم لما أمر بتركه صار استقبالها من دين الاسلام ولم يبق استقبال الصخرة من دين الاسلام ولهذا خرج اليهود والنصارى عن دين الاسلام فانهم تركوا طاعة الله وتصديق رسوله واعتاضوا عن دلك ببدل أو منسوخ وهكذا كل مبتدع دينا خالف به سنة الرسول لا يتبع الا دينا مبدلا أو منسوخا فكل ما خالف ماجاء به الرسول اما أن يكون دلك قد كان مشروعا لنبى ثم نسخ على لسان محمد واما أن لا يكون شرع قط فهذا كالاديان التى شرعها الشياطين على ألسنة أوليائهم قال تعالى أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله وقال وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون وقال وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك مافعلوه فذرهم وما يفترون ولهذا كان الصحابة اذا قال أحدهم برأيه شيئا يقول ان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريء منه كما قال دلك ابن مسعود وروى عن ابى بكر وعمر فالاقسام ثلاثة فانه اما أن يكون هذا القول موافقا لقول الرسول أولا يكون واما أن يكون موافقا لشرع غيره واما أن لا يكون فهذا الثالث المبدل كاديان المشركين والمجوس وما كان شرعا لغيره وهو لا يوافق شرعه فقد نسخ كالسبت وتحريم كل ذي ظفر وشحم الثرب والكليتين فان اتخاذ السبت عيدا وتحريم هذه الطيبات

قد كان شرعا لموسى ثم نسخ بل قد قال المسيح ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم فقد نسخ الله على لسان المسيح بعض ما كان حراما في شرع موسى وأما محمد فقال الله فيه الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون والشرك كله من المبدل لم يشرع الله الشرك قط كما قال واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون وقال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لااله الا أنا فاعبدون

وكذلك ما كان يحرمه أهل الجاهلية مما ذكره الله فى القرآن كالسائبة والوصيلة والحام وغير ذلك هو من الدين المبدل ولهذا ذكر الله ذلك عنهم في سورة الانعام بين ان من حرم ذلك فقد كذب على الله وذكر تعالى ماحرمه على لسان محمد وعلى لسان موسى في الانعام قل لاأجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أودما مسفوحا أولحم خنزير فانه رجس أوفسقاً أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ماحملت ظهورهما أو الحوايا أو مااختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون وكذلك قال بعد هذا وعلى الذين هادوا حرمنا ماقصصنا عليك من قبل

يبين أن ما حرمه المشركون لم يحرمه على لسان موسى ولا لسان محمد وهذان هما الكتابان جاآ بكتاب فيه الحلال والحرام كما قال تعالى قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه وقال تعالى ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وقال تعالى قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى الى قوله وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه وقال الجن لما سمعت القرآن انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم وقال ورقة ابن نوفل ان هذا والذي جاء به موسى ليخرجان من مشكاة واحدة وكذلك قال النجاشي فالقرآن والتوراة هما كتابان جاآ من عند الله لم يأت من عنده كتاب أهدى منهما كل منهما أصل مستقل والدين فيهما دين واحد وكل منهما يتضمن اثبات صفات الله تعالى والامر بعبادته وحده لاشريك له ففيه التوحيد قولا وعملا كما في سورتي الاخلاص قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد

وأما الزبور فان داود لم يأت بغير شريعة التوراة وانما في الزبور ثناء على الله ودعاء وأمر ونهى بدينه وطاعته وعبادته مطلقاً وأما المسيح فانه قال ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم فاحل لهم بعض المحرمات وهو في الاكثر متبع لشريعة التوراة ولهذا لم يكن بد لمن اتبع المسيح من ان يقرأ التوراة ويتبع مافيها اذ كان الانجيل تبعاً لها

وأما القرآن فانه مستقل بنفسه لم يحوج أصحابه الى كتاب آخر بل اشتمل على جميع مافي الكتب من المحاسن وعلى زيادات كثيرة

لاتوجد في الكتب ولهذا كان مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه يقرر مافيها من الحق ويبطل ماحرف منها وينسخ مانسخه الله فيقرر الدين الحق وهو جمهور مافيها ويبطل الدين المبدل الذي لم يكن فيها والقليل الذي نسخ فيها فان المنسوخ قليل جدا بالنسبة الى المحكم المقرر والانبياء كلهم دينهم واحد وتصديق بعضهم مستلزم تصديق سائرهم وطاعة بعضهم تستلزم طاعة سائرهم وكذلك التكذيب والمعصية لايجوز أن يكذب نبيا بل ان عرفه صدقه والا فهو يصدق بكل ماأنزل الله مطلقا وهو يأمر بطاعة من أمر الله بطاعته * ولهذا كان من صدق محمدا فقد صدق كل نبي ومن أطاعه فقد أطاع كل نبي ومن كذبه فقد كذب كل نبي ومن عصاه فقد عصى كل نبي قال تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا *وقال تعالى أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الاخزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وماالله بغافل عما تعملون

ومن كذب هؤلاء تكذيبا لجنس الرسالة فقد صرح بأنه يكذب الجميع ولهذا يقول تعالى كذبت قوم نوح المرسلين ولم يرسل اليهم قبل نوح أحد وقال تعالى وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وكذلك من كان من الملاحدة والمتفلسفة طاعنا في جنس الرسل كما قدمنا بأن يزعم انهم لم يعلموا الحق أولم يبينوه فهو مكذب لجميع الرسل

كالذين قال فيهم الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون اذ الاغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون وقال تعالى فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون وقال تعالى عن الوليد انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر

وأهل الكتاب منهم من يؤمن بجنس الرسالة لكن يكذب بعض الرسل كالمسيح ومحمد فهؤلاء لما آمنوا ببعض وكفروا ببعض كانوا كافرين حقا وكثير ممن لايكذب الرسل تكذيبا صريحا من الفلاسفة والاطباء وكثير من أهل الكلام والتصوف ولا يؤمن بحقيقة النبوة والرسالة بل يقر بفضلهم في الجملة مع كونه يقول ان غيرهم أعلم منهم أوانهم لم يبينوا الحق أو لبسوه أوان النبوة هي فيض يفيض على النفوس من العقل الفعال من جنس مايراه النائم ولا يقر بملائكة منفصلين ولابالجن ونحو ذلك فهؤلاء يقرون ببعض صفات الانبياء دون بعض بما أوتوه ومن بعض لايقرون بجميع ماأوتيه الانبياء وهؤلاء قد يكون أحدهم شرا من اليهود والنصاري الذين أقروا بجميع صفات النبوة لكن كذبوا ببعض الانبياء فان الذي أقر به هؤلاء مما جاءت به الانبياء

أعظم وأكثر إذ كان هؤلاء يقرون بأن الله خالق السموات والأرض في ستة أيام ويقرون بقيام القيامة ويقرون بأنه تجب عبادته وحده لا شريك له ويقرون بالشرائع المتفق عليها وأولئك يكذبون بهذا وإنما يقرون ببعض شرع محمد ولهذا كان اليهود والنصارى أقل كفرا من الملاحدة الباطنية والمتفلسفة ونحوهم أكثر من كان من اليهود والنصارى قد دخل مع هؤلاء فقد جمع نوعي الكفر لم يؤمن بجميع صفاتهم ولا بجميع أعيانهم وهؤلاء موجودون في دول الكفار كثيرا كما يوجد أيضا في المنتسبين إلى الإسلام من هؤلاء وهؤلاء إذ كانوا في دولة المسلمين وأهل الكتاب كانوا منافقين فيهم من النفاق بحسب ما فيهم من الكفر والنفاق يتبعض والكفر يتبعض ويزيد وينقص كما أن الإيمان يتبعض ويزيد وينقص قال الله تعالى إنما النسيء زيادة في الكفر وقال وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون * وقال وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا * وقال وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا * وقال ويزيد الله الذين اهتدوا هدى * وقال في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا * وقال إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا

وكثير من المصنفين في الكلام لا يردون على أهل الكتاب إلا ما يقولون إنه يعلم بالعقل مثل تثليث النصارى ومثل تكذيب محمد

ولا يناظرونهم في غير هذا من أصول الدين وهذا تقصير منهم مخالفة لطريقة القرآن فإن الله بين في القرآن ما خالفوا به الأنبياء وذمهم على ذلك والقرآن مملوء من ذلك إذ كان الكفر والإيمان يتعلق بالرسالة والنبوة فإذا تبين ما خالفوا فيه الأنبياء ظهر كفرهم وأولئك المتكلمون لما أصلوا لهم دينا غير ما أحدثوه من الكلام كالاستدلال بالأعراض على حدوث الأجسام ظنوا أن هذا هو أصول الدين ولو كان ما قالوه حقا لكان ذلك جزأ من الدين فكيف إن كان باطلا

وقد ذكرت في الرد على النصارى من مخالفتهم للأنبياء كلهم مع مخالفتهم لصريح العقل ما تظهر به من كفرهم ما ظهر ولهذا قلنا فيه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح خاطبهم في مقامين

أحدهما تبديلهم لدين المسيح

والثاني تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم واليهود خطاهم في تكذيب من بعد موسى إلى المسيح ثم في تكذيب محمد كما ذكر الله ذلك في سورة البقرة في قوله ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون وقالوا قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فقليلا ما يؤمنون ثم قال ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين إلى أن ذكر أنهم أعرضوا عن كتاب الله ظهريا واتبعوا السحر فقال ولما جاءهم رسول

من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان الى قوله ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون

والنصارى نبههم على الغلو والشرك الذي ابتدعوه وعلى تكذيب الرسول والرهبانية التي ابتدعوها ولا يحمدهم عليها اذ كانوا قد ابتدعوها وكل بدعة ضلالة لكن اذا كان صاحبها قاصدا للحق فقد يعفى عنه فيبقى عمله ضائعا لا فائدة فيه وهذا هو الضلال الذي يعذر صاحبه فلا يعاقب ولا يثاب ولهذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضالين فان المغضوب عليه يعاقب بنفس الغضب والضال فاته المقصود وهو الرحمة والثواب ولكن قد لا يعاقب كما عوقب ذلك بل يكون ملعونا مطرودا ولهذا في حديث زيد بن عمرو بن نفيل ان اليهود قالوا له لن تدخل في ديننا حتى تأخذ نصيبك من غضب الله وقالوا له النصارى حتى تأخذ نصيبك من لعنة الله وقال الضحاك وطائفة ان جهنم طبقات فالعليا للعصاة هذه الامة والتي تليها للنصارى والتي تليها لليهود فجعلوا اليهود تحت النصاري والقرآن قد شهد بان المشركين واليهود يوجدون أشد عداوة للذين آمنوا من الذين قالوا انا نصارى وشدة العداوة زيادة في الكفر فاليهود أقوى كفرا من النصارى وان كان النصارى أجهل وأضل لكن أولئك يعاقبون على عملهم اذ كانوا عرفوا الحق

وتركوه عنادا فكانوا مغضوبا عليهم وهؤلاء بالضلال حرموا أجر المهتدين ولعنوا وطردوا عما يستحقه المهتدون ثم اذا قامت عليهم الحجة فلم يؤمنوا استحقوا العقاب اذ كان اسم الضلال عاما

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في الحديث الصحيح في خطبة يوم الجمعة خير الكلام كلام الله وخير الهدى هدي محمد وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ولم يقل وكل ضلالة في النار بل يضل عن الحق من قصد الحق وقد اجتهد في طلبه فعجز عنه فلا يعاقب وقد يفعل بعض ما أمر به فيكون له أجر على اجتهاده وخطؤه الذي ضل فيه عن حقيقة الامر مغفور له

وكثير من مجتهدي السلف والخلف قد قالوا وفعلوا ما هو بدعة ولم يعلموا انه بدعة اما لاحاديث ضعيفة ظنوها صحيحة وأما لآيات فهموا منها مالم يرد منها واما لرأي رأوه وفي المسألة نصوص لم تبلغهم

واذا اتقى الرجل ربه ما استطاع دخل في قوله ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا وفي الصحيح ان الله قال قد فعلت وبسط هذا له موضع آخر

والمقصود هنا ان الرسول بين جميع الدين بالكتاب والسنة وان الاجماع اجماع الامة حق فانها لا تجتمع على ضلالة وكذلك القياس الصحيح حق يوافق الكتاب والسنة

والآية المشهورة التي يحتج بها على الاجماع قوله ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى

ومن الناس من يقول انها لاتدل على مورد النزاع فان الذم فيها على مجموع الامرين وهذا لانزاع فيه أو على اتباع غير سبيل المؤمنين التي بها كانوا مؤمنين وهي متابعة الرسول وهذا لانزاع فيه أو أن سبيل المؤمنين هو الاستدلال بالكتاب والسنة وهذا لانزاع فيه فهذا ونحوه قول من يقول لايدل على محل النزاع وآخرون يقولون بل تدل على وجوب اتباع المؤمنين مطلقا وتكلفوا لذلك ما تكلفوه كما قد عرف من كلامهم ولم يجيبوا عن أسئلة أولئك بأجوبة شافية

والقول الثالث الوسط انها تدل على وجوب اتباع سبيل المؤمنين وتحريم اتباع غير سبيلهم ولكن مع تحريم مشاقة الرسول من بعد ما تبين له الهدى وهو يدل على ذم كل من هذا وهذا كما تقدم لكن لا ينفي تلازمهما كما ذكر في طاعة الله والرسول وحينئذ نقول الذم اما أن يكون لاحدهما لمشاقة الرسول فقط أو باتباع غير سبيلهم فقط أو أن يكون الذم لايلحق بواحد منهما بل بهما اذا اجتمعا أو يلحق الذم بكل منهما وان انفرد عن الآخر أو بكل منهما لكونه مستلزما للآخر والاولان باطلان لانه لو كان المؤثر أحدهما فقط كان ذكر الآخر ضائعا لافائدة فيه وكون الذم لايلحق بواحد منهما باطل قطعا فان مشاقة الرسول موجبة للوعيد مع قطع النظر عمن اتبعه ولحوق الذم بكل منهما وان انفرد عن الآخر لاتدل عليه الآية فان الوعيد فيها انما هو على المجموع بقي القسم الآخر وهو ان كلا من الوصفين يقتضي الوعيد لانه مستلزم للآخر كما يقال مثل ذلك في معصية الله والرسول

ومخالفة القرآن والاسلام ويقال ن خالف القرآن والاسلام ومن خرج عن القرآن و الاسلام فهو من اهل النار ومثله قوله ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا فان الكفر بكل من هذه الاصول يستلزم الكفر بغيره فمن كفر بالله كفر بالجميع ومن كفر بالملائكة كفر بالكتب والرسل فكان كافرا بالله اذ كذب رسله وكتبه وكذلك اذا كفر باليوم الآخر كذب الكتب والرسل فكان كافرا وكذلك قوله يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون فذمهم على الوصفين وكل منهما مقتض للذم وهما متلازمان ولهذا نهى عنهما جميعا في قوله ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون فانه من لبس الحق بالباطل فغطاه به فغلط به لزم أن يكتم الحق الذي تبين انه باطل اذ لو بينه زال الباطل الذي لبس به الحق فهكذا مشاقة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين من شاقه فقد اتبع غير سبيلهم وهذا ظاهر ومن اتبع غير سبيلهم فقد شاقه أيضا فانه قد جعل له مدخلا في الوعيد فدل على انه وصف مؤثر في الذم فمن خرج عن اجماعهم فقد اتبع غير سبيلهم قطعا والآية توجب ذم ذلك واذا قيل هي انما ذمته مع مشاقة الرسول قلنا لانهما متلازمان وذلك لان كل ما أجمع عليه المسلمون فانه يكون منصوصا عن الرسول فالمخالف لهم مخالف للرسول كما أن المخالف للرسول مخالف لله ولكن هذا يقتضي ان كل ما أجمع عليه قد بينه الرسول وهذا هو الصواب

ولا يوجد قط مسئلة مجمع عليها الا وفيها بيان من الرسول ولكن قد يخفى ذلك على بعض الناس ويعلم الاجماع فيستدل به كما أنه يستدل بالنص من لم يعرف دلالة النص وهو دليل ثان مع النص كالامثال المضروبة فى القرآن وكذلك الاجماع دليل آخر كما يقال قد دل على ذلك الكتاب والسنة والاجماع وكل من هذه الاصول يدل على الحق مع تلازمها فان مادل عليه الاجماع فقد دل عليه الكتاب والسنة وما دل عليه القرآن فعن الرسول أخذ فالكتاب والسنة كلاهما مأخوذ عنه ولا يوجد مسئلة يتفق الاجماع عليها الا وفيها نص

وقد كان بعض الناس يذكر مسائل فيها اجماع بلا نص كالمضاربة وليس كذلك بل المضاربة كانت مشهورة بينهم فى الجاهلية لاسيما قريش فان الاغلب كان عليهم التجارة وكان أصحاب الاموال يدفعونها الى العمال ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد سافر بمال غيره قبل النبوة كما سافر بمال خديجة والعير التى كان فيها أبو سفيان كان أكثرها مضاربة مع ابى سفيان وغيرها فلما جاء الاسلام أقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أصحابه يسافرون بمال غيرهم مضاربة ولم ينه عن ذلك والسنة قوله وفعله واقراره فلما أقرها كانت ثابتة بالسنة والأثر المشهور فيها عن عمر الذى رواه مالك في الموطأ ويعتمد عليه الفقهاء لما أرسل أبو موسى بمال أقرضه لابنيه واتجرا فيه وربحا وطلب عمر أن يأخذ الربح كله للمسلمين لكونه خصهما بذلك دون سائر الجيش فقال له أحدهما لو خسر المال كان علينا فكيف لا يكون لنا الربح وعلينا الضمان فقال له بعض الصحابة اجعله مضاربا

لحمسه مصاربة وانما قال دلك لان المصاربة كانت معروفة بيهم والعهد بالرسول قريب لم يحدث بعده فعلم انها كانت معروفه بينهم على عهد الرسول كما كانت الفلاحة وغيرها من الصناعات كالحياطه والحرارة وعلى هدا فالمسائل المجمع عليها قد تكون طائفة من المجتهدين لم يعرفوا فيها نصا فقالوا فيها باجتهاد الراي الموافق للنص لكن كان النص عند غيرهم وابن جرير وطائفه يقولون لا ينعقد الاجماع الا عن نص نقلوه عن الرسول مع قولهم بصحة القياس

ونحن لا نشترط أن يكونوا كلهم علموا النص فنقلوه بالمعنى كما تنقل الاخبار لكن استقرأنا موارد الاجماع فوجدنا كلها منصوصة وكثير من العلماء لم يعلم النص وقد وافق الجماعة كما انه قد يحتج بقياس وفيها اجماع لم يعلمه فيوافق الاجماع وكما يكون فى المسألة نص خاص وقد استدل فيها بعضهم بعموم كاستدلال ابن مسعود وغيره بقوله وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن وقال ابن مسعود سورة النساء القصري نزلت بعد الطولى أي بعد البقرة وقوله أجلهن أن يضعن حملهن يقتضي انحصار الاجل فى دلك فلو أوجب عليها أن تعتد بابعد الاجلين لم يكن أجلها أن تضع حملها وعلى وابن عباس وغيرهما ادخلوها فى عموم الآيتين وجاء النص الخاص فى قصه سبيعة الاسلمية بما يوافق قول ابن مسعود

وكذلك لما تنازعوا في المفوضة اذا مات زوجها هل لها مهر المثل أفتى ابن مسعود فيها برأيه أن لها مهر المثل ثم رووا حديث بروع بنت

واشق بما يوافق دلك وقد حالفه على وريد وعيرهما فقالوا لامهر لها

وسب ان بعص المجتهدين قديفتى بعموم أو قياس ويكون فى الحادثه نص حاص لم يعلمه فيوافقه ولا نعلم مسئله واحده اتفقوا على انه لا نص فيها بل عامه ماتنازعوا فيه كان بعضهم يحتج فيه بالنصوص أولئك يحتجوا بنص كالمتوفى عنها الحامل وهؤلاء احتجوا بشمول الآيتين لها والآخرين قالوا انما تدخل في آية الحمل فقط وان آيه الشهور في غير الحامل كما ان آيه القروء فى غير الحامل

وكذلك لما تنازعوا فى الحرام احتج من جعله يمينا بقوله لم تحرم ماأحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم

وكذلك لما تنازعوا فى المبتوتة هل لها نفقة أو سكنى احتج هؤلاء بحديث فاطمه وبان السكنى التى فى القرآن للرجعية وأولئك قالوا بل هى لهما ودلالات النصوص قد تكون خفية فخص الله بفهمهن بعض الناس كما قال على الا فهما يؤتيه الله عبدا فى كتابه

وقد يكون النص بينا ويذهل المجتهد عنه كتيمم الجنب فانه بين في القرآن في آيتين ولما احتج أبو موسى على ابن مسعود بذلك قال الحاضر مادرى عبد الله مايقول الا أنه قال لو أرخصنا لهم فى هذا لاوشك أحدهم اذا وجد المرء البرد أن يتيمم وقد قال ابن عباس وفاطمة بنت قيس وجابر ان المطلقة في القرآن هى الرجعية بدليل قوله لاتدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا وأى أمر يحدثه بعد الثلاثة

وقد احتج طائفة على وجوب العمرة بقوله وأتموا الحج والعمرة لله واحتج بهذه الآية من منع الفسخ وآخرون يقولون انما أمر بالاتمام فقط وكذلك أمر الشارع أن يتم وكذلك في الفسخ قالوا من فسخ العمرة الى غير حج فلم يتمها اما اذا فسخها الحج من عامه فهذا قد أتي بما هو اتم مما شرع فيه فانه شرع في حج مجرد فاتى بعمرة في الحج ولو لم يكن هذا اتماما لما امر به النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه عام حجة الوداع

وتنازعوا في الذي بيده عقدة النكاح وفي قوله أو لامستم النساء ونحو ذلك مما ليس هذا موضع استقصائه

وأمامسئلة مجردة اتفقوا على انه لا يستدل فيها بنص جلي ولا خفي فهذامالاأعرفه

والجد لما قال أكثرهم انه أب استدلوا على ذلك بالقرآن بقوله كما أخرج أبويكم من الجنة وقال ابن عباس لو كان الجن يظن ان الانس تسمى أباالاب جدا لما قالت وانه تعالى جد ربنا تقول انما هو أب لكن أب ابعد من أب

وقد روى عن على وزيد أنهما احتجا بقياس فمن ادعى اجماعهم على ترك العمل بالرأى والقياس مطلقا فقد غلط ومن ادعي ان من المسائل مالم يتكلم فيها أحد منهم الا بالرأى والقياس فقد غلط بل كان كل منهم يتكلم بحسب ما عنده من العلم فمن رأى دلالة الكتاب ذكرها ومن رأى دلالة الميزان ذكرها

والدلائل الصحيحة لا تتناقض لكن قد يخفى وجه اتفاقها أو ضعف أحدها على بعض العلماء

وللصحابة فهم في القرآن يخفى على أكثر المتأخرين كما أن لهم معرفة بأمور من السنة وأحوال الرسول لا يعرفها أكثر المتأخرين فإنهم شهدوا التنزيل وعاينوا الرسول وعرفوا من أقواله وأفعاله وأحواله ما يستدلون به على مرادهم ما لم يعرفه أكثر المتأخرين الذين لم يعرفوا ذلك فطلبوا الحكم مما اعتقدوه من إجماع أو قياس

ومن قال من المتأخرين ان الاجماع مستند معظم الشريعة فقد أخبر عن حاله فانه لنقص معرفته بالكتاب والسنة احتاج الى ذلك وهذا كقولهم ان أكثر الحوادث يحتاج فيها الي القياس لعدم دلالة النصوص عليها فانما هذا قول من لا معرفة له بالكتاب والسنة ودلالتهما على الاحكام وقد قال الامام أحمد رضي الله عنه انه ما من مسئلة الا وقد تكلم فيها الصحابة أو في نظيرها فانه لما فتحت البلاد وانتشر الاسلام حدثت جميع أجناس الاعمال فتكلموا فيها بالكتاب والسنة وانما تكلم بعضهم بالرأي في مسائل قليلة والاجماع لم يكن يحتج به عامتهم ولا يحتاجون اليه اذهم أهل الاجماع فلا اجماع قبلهم لكن لما جاء التابعون كتب عمر الى شريح اقض بما في كتاب الله فان لم تجد فبما في سنة رسول الله فان لم تجد فبما به قضى الصالحون قبلك وفي رواية فبما أجمع عليه الناس وعمر قال بتقديم الكتاب ثم السنة وكذلك ابن مسعود قال مثل ما قال عمر قدم الكتاب ثم السنة ثم الاجماع وكذلك ابن عباس كان يفتي بما في

الكتاب ثم بما في السنة ثم بسنة أبي بكر وعمر لقوله اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر

وهذه الآثار ثابتة عن عمر وابن مسعود وابن عباس وهم من أشهر الصحابة لفتيا والقضاء وهذا هو الصواب ولكن طائفة من المتأخرين قالوا يبدأ المجتهد بأن ينظر أولا في الاجماع فان وجده لم يلتفت الى غيره وان وجد نصاً خالفه اعتقد أنه منسوخ بنص لم يبلغه وقال بعضهم الاجماع نسخه

والصواب طريقة السلف وذلك لأن الاجماع اذا خالفه نص فلا بد أن يكون مع الاجماع نص معروف به أن ذاك منسوخ فاما أن يكون النص المحكم قد ضيعته الامة وحفظت النص المنسوخ فهذا لا يوجد قط وهو نسبة الامة الى حفظ ما نهيت عن اتباعه واضاعة ما امرت باتباعه وهي معصومة عن ذلك

ومعرفة الاجماع قد تتعذر كثيراً أو غالبا فمن ذا الذي يحيط بأقوال المجتهدين بخلاف النصوص فان معرفتها ممكنة متيسرة وهم انما كانوا يقضون بالكتاب أولاً لأن السنة لا تنسخ الكتاب فلا يكون في القرآن شئ منسوخ بالسنة بل ان كان فيه منسوخ كان في القرآن ناسخه فلا يقدم غير القرآن عليه ثم اذا لم يجد ذلك طلبه في السنة ولا يكون في السنة شئ منسوخ الا والسنة نسخته لا ينسخ السنة اجماع ولا غيره ولا تعارض السنة باجماع وأكثر ألفاظ الآثار فان لم يجد فالطالب قد لا يجد مطلوبه في السنة مع أنه فيها وكذلك في القرآن فيجوز له اذا لم يجده

في القرآن أن نظائره في السنة وإذا كان في السنة لم يكن ما في السنة معارضاً لما في القرآن وكذلك الاجماع الصحيح لا يعارض كتاباً ولا سنة

تم بحمد الله وعونه وصلواته على خير بريته محمد وآله

تمت الرسالة الثانية

ويليها الرسالة الثالثة التبيان في نزول القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

(قال الامام العلامة المحقق أبو العباس أحمد بن تيميه)

(رحمه الله تعالى ورضي عنه)

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد

(وآله وصحبه أجمعين)

(أما بعد فهذا) فصل في نزول القرآن ولفظ النزول حيث ذكر في كتاب الله تعالى فان كثيراً من الناس فسروا النزول في مواضع من القرآن بتفسير ماهو معناه المعروف لاشتباه المعنى في تلك المواضع وصار ذلك حجة لمن فسر نزول القرآن بتفسير أهل البدع

فمن الجهمية من يقول انزل بمعنى خلق كقوله تعالى وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد أو يقول خلقه في مكان عال ثم أنزله من ذلك المكان

ومن الكلابية من يقول أنزل بمعنى الاعلام به وافهامه للملك أو نزول الملك بما فهمه

وهذا الذي قالوه باطل في اللغة والشرع والعقل والمقصود هنا ذكر النزول

فنقول وبالله التوفيق النزول في كتاب الله عز وجل ثلاثة انواع نزول مقيد بأنه منه ونزول مقيد بأنه من السماء ونزول غير مقيد لابهذا ولا بهذا

فالاول لم يرد الا في القرآن كما قال تعالى والذين آتيناهم الكتاب

يعلمون أنه منزل من ربك بالحق وقال تعالى نزله روح القدس من ربك بالحق وقال تعالى تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم وفيها قولان أحدهما لاحذف في الكلام بل قوله تنزيل الكتاب مبتدأ وخبره من الله العزيز الحكيم والثاني أنه خبر مبتدأ محذوف أي هذا تنزيل الكتاب وعلى كلا القولين فقد ثبت أنه منزل منه وكذلك قوله حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم والتنزيل بمعنى المنزل تسمية للمفعول باسم المصدر وهو كثير ولهذا يقال القرآن كلام الله ليس بمخلوق منه بدا قال أحمد وغيره وإليه يعود أي هو المتكلم به وقال كلام الله من الله ليس بائن منه أي لم يخلقه في غيره فيكون مبتدأ منزلا من ذلك المخلوق بل هو منزل من الله كما أخبر به ومن الله بدا لا من مخلوق فهو الذي تكلم به لا غيره

وأما النزول المقيد بالسماء فقوله وأنزلنا من السماء والسماء اسم جنس لكل ما علا فإذا قيد بشيء معين تقيد به فقوله في غير موضع من السماء مطلق أي في العلو ثم قد يتقيد في موضع آخر بقوله أأنتم أنزلتموه من المزن وقوله فترى الودق يخرج من خلاله أي أنه منزل من السحاب وما يشبه نزول القرآن قوله ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده فنزول الملائكة هو نزولهم بالوحي من أمره الذي هو كلامه وكذلك تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم وقوله فيها يفرق كل أمر حكيم أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين فهذا شبيه بقوله قل نزله روح القدس

وأما المطلق ففي مواضع منها ما ذكره من انزال السكينة لقوله
فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وقوله هو الذي أنزل السكينة
في قلوب المؤمنين الى غير ذلك

ومن ذلك انزال الميزان ذكره مع الكتاب في موضعين وجمهور
المفسرين على ان المراد به العدل وعن مجاهد رحمه الله هو ما يوزن به
ولا منافاة بين القولين وكذلك العدل وما يعرف به العدل منزل في
القلوب والملائكة قد تنزل على قلوب المؤمنين لقوله اذ يوحي ربك الى
الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا فذلك الثبات نزل في القلوب بواسطة
الملائكة وهو السكينة قال النبي صلى الله عليه وسلم من طلب القضاء
واستعان عليه وكل اليه ومن لم يطلب القضاء ولم يستعن عليه أنزل الله
عليه ملكا يسدده فالله ينزل عليه ملكا وذلك الملك يلهمه السداد وهو
ينزل في قلبه

ومنه حديث حذيفة رضي الله عنه الذي في الصحيحين عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان الله أنزل الامانة في جذر قلوب الرجال
فعلموا من القرآن وعلموا من السنة والامانة هي الايمان أنزلها في
أصل قلوب الرجال وهو كانزال الميزان والسكينة وفي الصحيح عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله
يتلون كتاب الله الحديث الى آخره فذكر أربعة غير حشيان الرحمة
وهي أن تغشاهم كما تغشى اللباس لابسه وكما تغشى الرجل المرأة والليل

النار ثم قال وبرلت عليهم السكينة وهو انزالها في قلوبهم وحفهم الملائكة أي جلست حولهم وذكرهم الله فيمن عنده من الملائكة

وذكر الله الغشيان في مواضع مثل قوله تعالى يغشى الليل النهار وقوله فلما تغشاها حملت حملاً خفيفا وقوله والمؤتفكة أهوى فغشاها ما غشى وقوله ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون هذا كله فيه احاطة من كل وجه

وذكر تعالى انزال النعاس في قوله ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون هذا كله فيه احاطة من كل وجه

وذكر تعالى انزال النعاس في قوله ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم هذا يوم أحد وقال في يوم بدر اذ يغشاكم النعاس أمنة منه والنعاس ينزل في الرأس بسبب نزول الابخرة التي يدخل في الدماغ فتنعقد فيحصل منها النعاس

وطائفة من أهل الكلام منهم أبو الحسن الاشعري ومن اتبعه من أصحاب مالك والشافعي وأحمد جعلوا النزول والاتيان والمجيء حدثا يحدثه منفصلا عنه فذاك هو اتيانه واستواؤه على العرش فقالوا استواؤه فعل فعله في العرش يصير به مستويا من غير فعل يقوم بالرب لكن أكثر الناس خالفوهم وقالوا المعروف أنه لا يجيء شيء من الصفات والاعراض الا بمجيء شيء فاذا قالوا جاء البرد وجاء الحر فقد جاء الهواء الذي يحمل الحر والبرد وهو عين قائمة بنفسها واذا قالوا جاءت الحمى

فالحمى حر وبرد نفوم بعين قائمـة بسبب أخـلاط تحرك وتحول من حال الي حال فيحدث الحر والبرد بذلك وهذا بخلاف العرض الذي يحدث بلا تحول من حامل مثل لون الفاكهة فانه لا يقال فى هذا جاء به الحمرة والصفرة والخضرة بل يقال أحمر وأصفر وأخضر واذا كان كذلك فانزل له تعالى العدل والسكينة والنعاس والامانة وهذه صفات تقوم بالعباد انما تكون اذا قضى بها الهم فأعيان قائمة توصف بالنزول كما توصف الملائكة بالنزول بالوحي والقرآن فاذا نزل بها الملائكة قيل انها نزلت

وكذلك لو نزل عن الملائكة كالهواء الذي نزل بالاسباب ويحدث الله منه البخار الذي يكون منه النعاس وكان قد أنزل النعاس سبحانه بالحمله

وقد ذكر سبحانه انزال الحديد والحديد يخلق فى المعادن

وما يذكر عن ابن عباس رضى الله عنهما ان آدم عليه السلام نزل من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة فهو كذب لا يثبت مثله

وكذلك الحديث الذى رواه الثعلبى عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله أنزل أربع بركات من السماء الى الارض فأنزل الحديد والماء والنار والملح حديث موضوع مكذوب فى اسناده سيف بن محمد ابن أخت سفيان الثورى رحمه الله من الكذابين المعروفين بالكذب

قال اں الحوري هو يف ں محمد اں أحب سفيان الثوري بروي عں الثوری وعاصم الاحول والاعمش قال أحمد رحمه الله هو كداب يصع الحدث وقال مره لىس لشيء وقال يحيي كان كداىا حديا وقال مرة ليس ىثقة ولا مأمون وقال الدار قطي ضعيف متروك والناس يشهدون ان هده الامة تصنع من حديد المعادن مايريدون فان قيل ان آدم عليه السلام نزل معه جميع الآلات فهده مكابرة للعيان وان قيل بل نزل معه آلة واحده وتلك لا تعرف وأی فائده في هدا لسائر الناس ثم مايصنع بهده الآلات اذا لم يكن ثم حديد موجود تطرق بهده الآلات واذا خلق الله الحديد صنعت منه هده الآلات مع أن المأثور ان أول من خط وخاط ادريس عليه السلام و آدم عليه السلام لم يخط ثوبا فما يصنع بالابرة

ثم أخبر انه أنزل الحديد فكان المقصود الأكبر بذكر الحديد هو اتخاذ آلات الجهاد منه كالسيف والسنان والنصل وما أشبه ذلك الذي به ينصر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وهذا لم ينزل من السماء فان قيل نزلت الآلة التى يطبع بها قيل فالله أخبر أنه أنزل الحديد لهده المعاني المتقدمة والآلة وحدها لا تكفي بل لابد من مادة يصنع بها آلات الجهاد لكن لفظ النزول أشكل على كثير من الناس حتي قال قطرب رحمه الله معناه جعله نزلا كما يقال أنزل الامير على فلان نزلا حسنا أي جعله نزلا قال ومثله قوله تعالى وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج وهذا ضعيف فان أنزل انما تطلق على مايؤكل لاعلى

مانها ان به قال الله تعالى فنزل من حميم والضيافة سميت نزلا لان العادة ان الضيف يكون راكبا وينزل في مكان تؤتى اليه ضيافته فيسمونه نزلا لاجل نزوله وينزل بنى فلان ضيف ولهذا قال نوح عليه السلام رب انزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين لانه كان راكبا فى السفينة وسميت المواضع التي ينزل بها المسافرون منازل لانهم يكونون ركبانا فينزلون والمشاة تبع للركبان وتسمى المساكن منازل

وجعل بعضهم نزول الحديد بمعنى الخلق لانه أخرجه من المعادن وعلمهم صنعته فان الحديد انما يخلق فى المعادن والمعادن انما تكون في الجبال فالحديد ينزله الله من معادنه التي فى الجبال لينتفع به بنو آدم وقال تعالى وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج

وهذا مما أشكل أيضا فمنهم من قال جعل ومنهم من قال خلق لكونها تخلق من الماء فان به تكون النبات الذى ينزل أصله من السماء وهو الماء وقال قطرب جعلناه نزلا ولا حاجة الى اخراج اللفظ عن معناه المعروف لغة فان الانعام تنزل من بطون أمهاتها ومن أصلاب آبائها تأتي بطون أمهاتها ويقال للرجل قد أنزل الماء واذا أنزل وجب عليه الغسل مع أن الرجل غالب انزاله وهو على ظهر اما وقت الجماع واما بالاحتلام فكيف بالانعام التي غالب انزالها مع قيامها على رجليها وارتفاعها على ظهور الاناث

ومما يبين هذا أنه لم يستعمل النزول فيما خلق من السفليات فلم يقل أنزل النبات ولا أنزل المرعي وانما استعمل فيما يخلق في محل عال وأنزله

الله من ذلك الخيل كالحديد والانعام

وقال تعالى يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشا الآية وفيها قراءتان احداهما الريش وكون الباس القوى أيضا منزلا وأما قراءة الرفع فلا وكلاهما حق وقد قيل خلقناه وقيل أنزلنا أسبابه وقيل الهمناهم كيفية صنعه وهذه الاقوال ضعيفة فان السلف الذين ذكروا لم يجيء فيه لفظ أنزلنا ولم يستعمل في كل مايصنع أنزلنا فلم نقل أنزلنا الدور وأنزلنا الطبخ ونحو ذلك وهو لم يقل انا أنزلنا كل لباس ورياش وقد قيل ان الريش والرياش المراد به اللباس الفاخر كلاهما بمعنى واحد مثل اللبس واللباس وقد قيل هما المال والخصب والمعاش وارتاش فلان حسنت حاله

والصحيح ان الريش هو الاثاث والمتاع قال أبو عمرو العرب تقول أعطاني فلان ريشه أى كسوته وجهازه وقال غيره الرياش في كلام العرب الاثاث وما ظهر من المتاع والثياب والفرش ونحوها وبعض المفسرين أطلق عليه لفظ المال والمراد به مال مخصوص قال ابن زيد جمالا وهذا لأنه مأخوذ من ريش الطائر وهو ماريوش به ويدفع عنه حر والبرد وجمال الطائر ريشه وكذلك مايبيت فيه الانسان من الفرش وما يبسطه تحته ونحو ذلك والقرآن مقصوده جنس اللباس الذى يلبس على البدن وفي البيوت كما قال تعالى والله جعل لكم من بيوتكم سكنا الآية فامتن سبحانه بما ينتفعون به من الانعام في اللباس والأثاث وهذا والله اعلم معنى انزاله فانه ينزله من ظهور الانعام وهو كسوة الانعام من

الاصواف والاوبار والاشعار وسمع به بنو آدم من الثياب والرياش فقد أبرلها عليهم وأكثر أهل الارض كسوتهم من حلود الدواب فهى لدفع الحر والبرد وأعظم مما صنع من القطن والكتان والله تعالى ذكر في سورة النحل النعمة على عادته فذكر في أول السورة أصول النعم التي لا تعيش بنو آدم الا بها وذكر في اثنائها تمام النعم التي لا تطيب عيشهم الا بها فذكر في أولها الرزق الذي لا بد لهم منه وذكر ما يدفع البرد من الكسوة بقوله والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنها تأكلون ثم في اثناء السورة ذكر لهم المساكن ومنافع البيوت ونها مساكن الحاضرة والبادية ومساكن المسافرين فقال تعالى والله جعل لكم من بيوتكم سكنا الآية ثم ذكر انما به الظلال التي تقيهم الحر والباس فقال والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا الى قوله كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ولم يذكر هنا ما يقي من البرد لانه قد ذكره في أول السورة وذلك في أصول النعم لان البرد يقتل فلا تقدر أحد أن يعيش في البلاد الباردة بلا دفء بخلاف الحر فانه أذى لكنه لا يقتل كما يقتل البرد فان الحر قد يتقى بالظلال والثياب وغيرها وأهله أيضا لا يحتاجون الى وقاية كما يحتاج اليه اذ يدل أدنى وقاية يكفيهم وهم في الليل وظهر في النهار ولا يتأذون به أذى كبيرا بل لا يحتاجون اليه أحيانا حاجة قوية فجمع بينهما في قوله سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم ولا حذف في اللفظ ولا قصور في المعنى كما يظنه من لم يحسن القرآن بل لفظه أتم لفظ ومعناه أكمل المعاني

فاذا كان الاناس والرياش ينزل من ظهور الانعام وكسوة الانعام منزلة من الاصلاب والبطون كما تقدم فهو منزل من الجهتين فانه على ظهور الانعام لا ينتفع به بنو آدم حتى ينزل

وقد بينا ان ليس في القرآن ولا في السنة لفظ نزول الا وفيه معنى النزول المعروف وهذا هو اللائق بالقرآن فانه نزل بلغة العرب ولا تعرف العرب نزولا الا بهذا المعنى ولو أريد غير هذا المعنى لكان خطابا بغيرلغتها ثم هو استعمال اللفظ المعروف له معنى في معنى آخر بلا بيان وهذا لا يجوز بما ذكرنا وبهذا يحصل مقصود القرآن واللغة الذي أخبر الله تعالى انه بينه وجعله هدى للناس ولكن هذا آخره والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا

وسئل أيضا رحمه الله تعالى عن عرض الاديان عند الموت هل لذلك أصل في الكتاب والسنة أم لا وقوله صلى الله عليه وسلم انكم لتفتنون في قبوركم ما المراد بالفتنة واذا ارتد العبد والعياذ بالله تعالى هل يجازى باعماله الصالحة قبل الردة أم لا

الجواب الحمد لله أما عرض الاديان على العبد وقت الموت فليس هو أمرا عاما لكل أحد ولا هو أيضا منتفيا عن كل أحد بل من الناس من تعرض عليه الاديان ومنهم من لا تعرض عليه وقد وقع ذلك لاقوام وذلك كله من فتنة المحيا والممات التي أمرنا ان نتعوذ منها في صلاتنا منها مافي الحديث الصحيح الذي أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن

نستعيذ في صلاتنا من أربع من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال ولكن وقت الموت يكون الشيطان أحرص مايكون على اغواء ابن آدم لانه وقت الحاجة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الاعمال بخواتيمها وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار وان العبد ليعمل بعمل أهل النار حتى مايكون بينه وبينها الاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة ولهذا روى ان الشيطان أشد مايكون على ابن آدم حين الموت يقول لاعوانه دونكم هذا فانه ان فاتكم لن تظفروا به أبدا وحكاية عبد الله بن أحمد بن حنبل مع أبيه وهو يقول لا بعد لا بعد مشهورة ولهذا يدل ان من لم يحج يخاف عليه من ذلك لما روي أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله الحرام ولم يحج فلا عليه ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين قال عكرمة لما نزلت هذه الآية ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه قالت اليهود والنصارى نحن مسلمون فقال الله لهم ولله على الناس حج البيت فقالوا لانحجه فقال الله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين

وأما الفتنة في القبور فهي الامتحان والاختبار للميت حين يسأله الملكان فيقولان له ما ربك وما دينك ومن نبيك ويقولان له

يقولون في هذا الرجل الذي بعث فيكم محمد فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فيقول المؤمن الله ربي والاسلام ديني ومحمد نبيي ويقول هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فآمنا به واتبعناه فينتهرانه انتهارة شديدة وهي آخر فتنة التي تفتن بها المؤمن فيقولان له كما قال أولا

وقد تواترت الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الفتنة من حديث البراء بن عازب وانس بن مالك وأبي هريرة وغيرهم رضي الله عنهم وهي عامة للمكلفين الا النبيين فقد اختلف فيهم وكذلك اختلف في غير المكلفين كالصبيان والمجانين فقيل لا يفتنون لان المحنة انما تكون للمكلفين وهذا قول القاضي أبو يعلي وابن عقيل وعلى هذا فلا يلقنون بعد الموت وقيل بل يلقنون ويفتنون أيضا وهذا قول أبي حكيم وأبي الحسن ابن عبيد ونقله عن أصحابه وهو مطابق لقول من يقول انهم مكلفون يوم القيامة كما هو قول أكثر أهل العلم وأهل السنة من أهل الحديث والكلام وهو الذي ذكره أبو الحسن الاشعري عن أهل السنة واختاره وهو مقتضى نصوص الامام أحمد

وأما الردة عن الايمان بان يصير الرجل كافرا مشركا أو كتابيا فانه اذا مات على ذلك والعياذ بالله تعالى حبط عمله باتفاق العلماء كما نطق بذلك القرآن في غير موضع كقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وقوله ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله

وقوله ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون وقوله لئن أشركت ليحبطن عملك والمراد عن النبى صلى الله عليه وسلم ولكن النزاع فيما اذا ارتد ثم عاد الى الاسلام هل تحبط الاعمال التى عملها قبل الردة ويجب عليه قضاؤها أم لا تحبط الا اذا مات مرتدا على قولين مشهورين هما قولان في مذهب الامام أحمد والحبوط مذهب الامامين مالك وأبي حنيفه وهو الراجح والوقف مذهب الشافعي وتنازع الناس أيضاً في المرتد هل يقال كان له ايمان صحيح حبط بالردة أم يقال بل بالردة تبين ان ايمانه كان فاسدا وان الايمان الصحيح لا يزول البتة على قولين لطوائف من الناس وعلى ذلك ينبني قول المستثني انا مؤمن ان شاء الله

هل يعود الاستثناء الى كمال الايمان في الحال أو

يعود الى الموافاة في المآل والله أعلم قاله

أحمد بن تيمية أحسن الله

جزاءه وتوفيقه

تمت الرسالة الثالثة

ويليها الرسالة الرابعة أيضاً

بسم الله الرحمن الرحيم

سؤال أبي القاسم بن يوسف بن محمد التجيبي السبتي فتفضل سيدنا الشيخ الفقيه الامام الفاضل العالم بقية السلف قدوة الخلف المدع المعرب المعرب المفصح أعلم من لقيت ببلاد المشرق والمغرب تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية أبقى الله علينا بركته بأن يوصيني بما يكون فيه صلاح ديني ودنياي ويرشدني الى كتاب يكون عليه اعتمادي في علم الحديث وكذلك في غيره من العلوم الشرعية وينبهني على أفضل الاعمال الصالحة بعد الواجبات ويبين لي أرجح المكاسب كل ذلك على قصد الايماء والاختصار والله تعالى يحفظه والسلام الكريم عليه ورحمة الله وبركاته

قال شيخ الاسلام بحر العلوم ابن تيمية رحمه الله ورضي عنه الحمد لله رب العالمين (اما الوصية) فما أعلم وصية أنفع من وصية الله ورسوله لمن عقلها واتبعها قال الله تعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله ووصى النبي صلى الله عليه وسلم معاذا لما بعثه الى اليمن فقال يا معاذ اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وكان معاذ رضي الله عنه من النبي صلى الله عليه وسلم بمنزلة عليه فانه قال له يا معاذ والله اني لأحبك وكان يردفه وراءه وروي فيه انه أعلم الامة بالحلال والحرام وأنه يحشر أمام العلماء برتوة أي بخطوة ومن فضله بعثه النبي صلى الله عليه وسلم مبلغا عنه داعيا ومفقها ومفتيا وحاكما الى أهل اليمن وكان يشبهه بابراهيم الخليل عليه السلام وابراهيم امام الناس وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول ان معاذا كان أمة قانتا حنيفا ولم يك من المشركين تشبيها له بابراهيم ثم

أنه وصاه بهذه الوصية فعلم أنها جامعة وهي كذلك من عقلها مع أنها

تفسير الوصية القرآنية

اما بيان جمعها فلأن العبد عليه حقين حق لله عز وجل وحق لعباده ثم الحق الذي عليه لابد أن يخل ببعضه أحيانا اما بترك مأمور به أو فعل منهي عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اتق الله حيثما كنت وهذه كلمة جامعة وفي قوله حيثما كنت تحقيق لحاجته الى التقوى في السر والعلانية ثم قال وأتبع السيئة الحسنة تمحها فان الطبيب متى تناول المريض شيئا مضرا أمره بما يصلحه والذنب للعبد كأنه أمر حتم فالكيس هو الذي لا يزال يأتي من الحسنات بما يمحو السيئات وانما قدم في لفظ الحديث السيئة وان كانت مفعوله لان المقصود هنا محوها لا فعل الحسنة فصار كقوله صبوا على بوله ذنوبا من ماء

وينبغي أن تكون الحسنات من جنس السيئات فانه أبلغ في المحو والذنوب يزول موجبها بأشياء أحدها التوبة * والثاني الاستغفار من غير توبة فان الله تعالى قد يغفر له اجابة لدعائه وان لم يتب فاذا اجتمعت التوبة والاستغفار فهو الكمال * الثالث الاعمال الصالحة المكفرة أما الكفارات المقدرة كما يكفر المجامع في رمضان والمظاهر والمرتكب لبعض محظورات الحج أو تارك بعض واجباته أوقاتل الصيد بالكفارات المقدرة وهي أربعة أجناس هدي وعتق وصدقة وصيام وأما الكفارات المطلقة كما قال حذيفة لعمر فتنة الرجل في أهله وماله وولده يكفرها الصلاة والصيام والصدقة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد دل على

كتاب الله القرآن والأحاديث الصحاح في التكبير بالصلوات الخمس والجمعة والصيام والحج وسائر الأعمال التي يقال فيها من قال كذا وعمل كذا غفر له أو غفر له ما تقدم من ذنبه وهي كثيرة لمن تلقاها من السنن خصوصاً ما صنف من فضائل الأعمال

واعلم أن العناية بهذا من أشد ما بالانسان الحاجة اليه فان الانسان من حين بلغ خصوصاً في هذه الأزمنة ونحوها من أزمنة الفترات التي تشبه الجاهلية من بعض الوجوه فان الانسان الذي نشأ بين أهل علم ودين قد يتلطخ من أمور الجاهلية بعدة أشياء فكيف بغير هذا وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي سعيد رضي الله عنه لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يارسول الله اليهود والنصارى قال فمن هذا خبر تصديقه في قوله تعالى فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا ولهذا شواهد في الصحاح والحسان وهذا أمر قد سرى في المنتسبين الى الدين من الخاصة كما قال غير واحد من السلف منهم ابن عيينة فان كثيراً من أحوال اليهود قد ابتلى به بعض المنتسبين الى العلم وكثيراً من أحوال النصارى قد ابتلى به بعض المنتسبين الى الدين كما يبصر ذلك من فهم دين الاسلام الذي بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم ثم نزله على أحوال الناس واذا كان الأمر كذلك فمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وكان ميتاً فأحياه الله وجعل له نوراً يمشي به في الناس لابد أن يلاحظ أحوال الجاهلية

وصرفي الامة من المغضوب عليهم والضالين من اليهود والنصارى فيرى أن قد ابتلي ببعض ذلك

وأنفع ما للخاصة والعامة العلم بما يخلص النفوس من هذه الورطات وهو اتباع السيئات الحسنات والحسنات ما ندب الله اليه على لسان خاتم النبيين من الاعمال والاخلاق والصفات ومما يزيل موجب الذنوب المصائب المكفرة وهي كل ما يؤلم من هم أو حزن أو أذى في مال أو عرض أو جسد أو غير ذلك لكن ليس هذا من فعل العبد

فلما قضى بهاتين الكلمتين حق الله من عمل الصالح واصلاح الفاسد قال وخالق الناس بخلق حسن وهو حق الناس

وجماع الخلق الحسن مع الناس أن تصل من قطعك بالسلام والاكرام والدعاء له والاستغفار والثناء عليه والزيارة له وتعطي من حرمك من التعليم والمنفعة والمال وتعفو عمن ظلمك في دم أو مال أو عرض وبعض هذا واجب وبعضه مستحب

وأما الخلق العظيم الذي وصف الله به محمداً صلى الله عليه وسلم فهو الدين الجامع لجميع ماأمر الله به مطلقاً هكذا قال مجاهد وغيره وهو تأويل القرآن كما قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن وحقيقته المبادرة الى امتثال ما يحبه الله تعالى بطيب نفس وانشراح صدر

وأما بيان ان هذا كله في وصية الله فهو ان اسم تقوى الله يجمع فعل كل ما أمر الله به ايجابا واستحبابا وما نهى عنه تحريماً وتنزيهاً وهذا يجمع حقوق الله وحقوق العباد لكن لما كان تارة يعني بالتقوى خشية

امداب المفصة للانكفاف عن المحارم جاء مفسراً في حديث معاذ وكذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنهما الذي رواه الترمذي وصححه قيل يارسول الله ما أكثر مايدخل الناس الجنة قال تقوى الله وحسن الخلق وقيل ما أكثر مايدخل الناس النار قال الأجوفان الفم والفرج وفي الصحيح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين ايماناً أحسنهم خلقاً فجعل كمال الايمان في كمال حسن الخلق ومعلوم أن الايمان كله تقوى الله وتفصيل أصول التقوى وفروعها لايحتمله هذا الموضع فانها الدين كله لكن ينبوع الخير وأصله اخلاص العبد لربه عبادة واستعانة كما في قوله اياك نعبد واياك نستعين وفي قوله فاعبده وتوكل عليه وفي قوله عليه توكلت واليه انيب وفي قوله فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له بحيث يقطع العبد تعلق قلبه من المخلوقين انتفاعاً بهم أو عملا لاجلهم ويجعل همته ربه تعالى وذلك بملازمة الدعاء له في كل مطلوب من فاقة وحاجة ومخافة وغير ذلك والعمل له بكل محبوب ومن أحكم هذا فلا يمكن ان يوصف مايعقبه ذلك

وأما ما سألت عنه من أفضل الاعمال بعد الفرائض فانه يختلف باختلاف الناس فيما يقدرون عليه وما يناسب أوقاتهم فلا يمكن فيه جواب جامع مفصل لكل أحد لكن مما هو كالاجماع بين العلماء بالله وأمره ملازمة ذكر الله دائماً هو أفضل ماشغل العبد به نفسه في الجملة وعلى ذلك حديث أبي هريرة الذي رواه مسلم سبق المفردون قالوا يارسول

أنه ومن المفردون قال الذاكرون الله كثيراً والذاكرات وفيه رواه أبو داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من اعطاء الذهب والورق ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يارسول الله قال ذكر الله والدلائل القرآنية والايمانية بصرا وخبرا ونظراً على ذلك كثيرة وأقل ذلك أن يلازم العبد الاذكار المأثورة عن معلم الخير وامام المتقين صلى الله عليه وسلم الاذكار المؤقتة في أول النهار وآخره وعند أخذ المضجع وعند الاستيقاظ من المنام وأدبار الصلوات والاذكار المقيدة مثل مايقال عند الاكل والشرب واللباس والجماع ودخول المنزل والمسجد والخلاء والخروج من ذلك وعند المطر والرعد الى غير ذلك وقد صنفت له الكتب المسماة بعمل يوم وليلة ثم ملازمة الذكر مطلقاً وأفضله لا اله الا الله وقد تعرض أحوال يكون بقية الذكر مثل سبحان الله والحمد لله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله أفضل منه ثم يعلم ان كل مايتكلم به اللسان وتصوره القلب مما يقرب الى الله من تعلم علم وتعليمه وأمر بمعروف ونهي عن منكر فهو من ذكر الله ولهذا من اشتغل بطلب العلم النافع بعد أداء الفرائض اوجلس مجلساً يتفقه أو يفقه فيه الفقه الذي سماه الله ورسوله فقها فهذا أيضاً من أفضل ذكر الله وعلى ذلك اذا تدبرت لم تجد بين الاولين في كلماتهم في أفضل الاعمال كبير اختلاف وما اشتبه أمره على العبد فعليه بالاستخارة المشروعة فما ندم من استخار

الله تعالى وليكثر من ذلك ومن الدعاء فانه مفتاح كل خير ولا يعجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لى وليتحر الاوقات الفاضلة كآخر الليل وأدبار الصلوات وعند الاذان ووقت نزول المطر ونحو ذلك

﴿ وأما أرجح المكاسب ﴾ فالتوكل على الله والثقة بكفايته وحسن الظن به وذلك أنه ينبغي للمهتم بأمر الرزق أن يلجأ فيه الى الله ويدعوه كما قال سبحانه فيما يأثر عنه نبيه كلكم جائع الا من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم ياعبادى كلكم عار الا من كسوته فاستكسونى أكسكم وفيما رواه الترمذي عن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى شسع نعله اذا انقطع فانه ان لم ييسره لم يتيسر وقد قال الله تعالى في كتابه واسألوا الله من فضله وقال سبحانه فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله وهذا وان كان في الجمعة فمعناه قائم في جميع الصلوات ولهذا والله أعلم أمر النبي صلى الله عليه وسلم للذى يدخل المسجد أن يقول اللهم افتح لى أبواب رحمتك واذا خرج أن يقول اللهم اني أسألك من فضلك وقد قال الخليل صلى الله عليه وسلم فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له وهذا أمر والامر يقتضى الايجاب فالاستعانة بالله واللجأ اليه في أمر الرزق وغيره أصل عظيم

ثم ينبغى له أن يأخذ المال بسخاوة نفس ليبارك له فيه ولا يأخذه باشراف وهلع بل يكون المال عنده بمنزلة الخلاء الذى يحتاج اليه من غير أن يكون له في القلب مكانة والسعى فيه اذا سعى كاصلاح الخلاء

وفي الحديث المرفوع رواه الترمذي وغيره من أصبح والدنيا أكبر همه شتت الله عليه شمله وفرق عليه ضيعته ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له ومن أصبح والآخرة أكبر همه جمع الله عليه شمله وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة وقال بعض السلف أنت محتاج الى الدنيا وأنت الى نصيبك من الآخرة أحوج فان بدأت بنصيبك من الآخرة مر على نصيبك من الدنيا فانتظمه انتظاما قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين

فأما تعيين مكسب على مكسب من صناعة أو تجارة أو بناية او حراثة أو غير ذلك فهذا يختلف باختلاف الناس ولا أعلم في ذلك شيئا عاما لكن اذا عن للانسان جهة فليستخر الله تعالى فيها الاستخارة المتلقاة عن معلم الخير صلى الله عليه وسلم فان فيها من البركة ما لا يحاط به ثم ما تيسر له فلا يتكلف غيره الا أن يكون منه كراهة شرعية

وأما ما تعتمد عليه من الكتب في العلوم فهذا باب واسع وهو أيضا يختلف باختلاف نشأ الانسان في البلاد وقد تيسر له في بعض البلاد من العلم أو من طريقه ومذهبه فيه ما لا يتيسر له في بلد آخر لكن جماع الخير أن يستعين بالله سبحانه في تلقي العلم الموروث عن النبي صلى الله عليه وسلم فانه هو الذي يستحق أن يسمى علما وما سواه اما أن يكون علما فلا يكون نافعا واما أن لا يكون علما وان سمي به ولان كان علما نافعا فلا بد أن يكون في ميراث محمد صلى الله عليه وسلم ما يغني عنه مما هو مثله وخير

ه ولكن همته فهم مقاصد الرسول في أمره ونهيه وسائر كلامه فاذا اطمأن قلبه أن هذا هو مراد الرسول فلا يعدل عنه فيما بينه وبين الله تعالى ولا مع الناس اذا أمكنه ذلك

واجتهد أن يعتصم فى كل باب من أبواب العلم بأصل مأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم واذا اشتبه عليه مما قد اختلف فيه الناس فليدع بما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا قام يصلي من الليل اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك أنت تهدي من تشاء الي صراط مستقيم فان الله تعالى قد قال فيما رواه عنه رسوله ياعبادي كلكم ضال الا من هديته فاستهدونى أهدكم

وأما وصف الكتب والمصنفين فقد سمع منا فى أثناء المذاكرة ما يسره الله سبحانه وما فى الكتب المصنفة المبوبة كتاب أنفع من صحيح محمد بن اسماعيل البخاري لكن هو وحده لا يقوم بأصول العلم ولا يقوم بتمام المقصود للمتبحر فى أبواب العلم اذ لابد من معرفة أحاديث أخر وكلام أهل الفقه وأهل العلم في الامور التى يختص بعلمها بعض العلماء وقد أوعبت الامة في كل فن من فنون العلم ايعابا فمن نور الله قلبه هداه بما يبلغه من ذلك ومن أعماه لم تزده كثرة الكتب الا حيرة وضلالا كما قال النبى صلى الله عليه وسلم لابن لبيد الانصارى أوليست التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى فماذا تغنى عنهم فنسأل الله

العصم أن يرزقنا الهدى والسداد و ايهمنا رشدنا ونعوذ به من شرور أنفسنا لا يزغ قلوبنا بعد اذهدانا ويهب لنا من لدنه رحمة انه هو الوهاب والحمد لله رب العالمين وصلواته على أشرف المرسلين

﴿ وجد بأصله ما نصه ﴾

سمع هذه الوصية على مصنفها شيخنا امام الائمة الاعلام شيخ الاسلام سيد الحفاظ والمحدثين قدوة المسلمين مفتي الفرق علم الهدي تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني رضي الله عنه أخوه الامام العالم شرف الدين أبو محمد عبد الله والشيخ الامام العالم الزاهد شمس الدين محمد بن أبي العباس الذهبي وعز الدين عبد العزيز بن عبد اللطيف بن عبد العزيز بن عبد السلام بن تيمية ونور الدين محمد بن شرف الدين محمد بن علاء الدين محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق الانصاري ابن الصائغ والشيخ أبو بكر بن قاسم بن ابي بكر الرحبي الكناني وزين الدين عبادة بن عبد الغني بن منصور بن منصور بن ابراهيم بن سلامة الحراني وحريز بن سعيد بن حميد العساني وعبد المجيد بن محمود بن أحمد الحلبي وناصر الدين محمد بن أحمد بن عبد الغني بن العلائي الحراني وذلك بقراءة القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي في ليلة ثالث شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين وستمائة بدار الحديث بالقصاعين بدمشق والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم انتهي

﴿ تمت الرسالة الرابعه وتليها الخامسة له أيضا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

مسئلة في النية في الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والعتق والجهاد وغير ذلك فهل محل ذلك القلب أم اللسان وهل يجب أن يجهر بالنية أم يستحب ذلك أو قال أحد من المسلمين ان لم يفعل ذلك بطلت صلاته وغيرها أو قال أحد ان صلاة الجاهر أفضل من صلاة الخافت اماما كان أو مأموما أو منفردا والتلفظ بها هل هو واجب أولا أو قال أحد من الائمة الاربعة أو غيرهم من أئمة المسلمين ان لم يتلفظ بالنية بطلت صلاته وان كانت غير واجبة فهل يستحب التلفظ بها وما السنة التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون في ذلك واذا أصر على الجهر بها معتقدا أن ذلك مشروع فهل هو مبتدع مخالف لشريعة الاسلام وهل يستحق التعزير على ذلك والعقوبة عليه اذا لم ينته أم لا

وأجاب عنها الشيخ الامام العالم الزاهد العابد الورع شيخ الاسلام مفتى الانام أوحد عصره وفريد دهره تقي الدين أبو العباس أحمد ابن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرانى رضى الله عنه وأرضاه في شهر صفر سنة خمس وعشرين وسبعمائة وهو في دمشق المحروسة

الحمد لله رب العالمين* محل النية القلب دون اللسان باتفاق أئمة المسلمين في جميع العبادات الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والعتق والجهاد وغير ذلك ولو تكلم بلسانه بخلاف ما نوى في قلبه كان الاعتبار بما نوى لا باللفظ ولو تكلم بلسانه بالنية ولم تحصل النية في قلبه

لم يحر دلك باىفاق أئمه المسلمين فان البيه هي من حس القصد والعرم تقول العرب بواك الله بحير أى قصدك بحير وقول البى صلى الله عليه وسلم اىما الاعمال بالىيات وانما لكل امرئ مانوى فمن كان هجرىه الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرىه الى دىيا ىصيبها أو الى امرأة يىروحها فهجرىه الى ماهاجر اليه مراده صلى الله عليه وسلم بالىية اا ه اىي فى القلب دون اللسان باىفاق أئمة المسلمين الائمة الاربعة وعىيرهم وسبب الحديث ىدل علي دلك فان سىمه ان رحلا هاحر من مكة الى المدينة ايروح امرأة يقال لها أم قيس فسمى مهاحر أم قيس فخطب البى صلى الله عليه وسلم الىاس على المىىر ودكر هدا الحديث وهدا كان بيته فى قلبه

والجهر بالىية لايحب ولا يستحب باىفاق المسلمين ولا يبطل صلاة من لم يجهر بها عىد أحد من المسلمين بل الجاهر بالىيه مبتدع مخالف للشريعه أدا فعل دلك معتقدا انه من الشرع فهو جاهل ضال مستحق التعرير والعقوبة على دلك ادا أصر على دلك بعد تعريفه والبيان له لاسيما ادا آدى من الى جانبه برفع صوته أو كرر دلك مرة بعد مرة فانه يستحق التعرير البليغ علي دلك ولم يقل أحد من المسلمين ان صلاة الجاهر أفضل من صلاة المخافت بها سواء كان اماما أو مأموما أو منفردا وأما التلفظ بها سرا فلا يجب أيضا عىد الأئمة الاربعه وسائر أئمة المسلمين ولم ىقل أحد من الائمه ان التلفظ بالىية واجب لا في طهارة ولا صلاة ولا صيام ولا حج ولا يجب على المصلي أن يقول بلسانه أصلي

الطهر أو العصر ولا يقول اماما ولا مأموما ولا يقول بلسانه فرضا ولا نفلا ولا غير ذلك بل يكفي أن تكون نيته في قلبه والله يعلم ما في القلوب وكذلك نية الغسل من الجنابة والوضوء يكفي فيه نية القلب وكذلك نية الصيام في رمضان لايجب على أحد أن يقول بلسانه أنا صائم غدا باتفاق الائمة بل يكفي نية قلبه والنية تتبع العلم فمن علم ما يريد أن يفعله فلا بد أن ينويه فاذا علم المسلم ان غدا من رمضان فهو ممن يصوم رمضان فلابد أن ينوي الصيام فاذا علم ان غدا العيد لم ينو الصيام تلك الليلة وكذلك الصلاة اذا علم ان الصلاة القائمة صلاة الفجر أو الظهر وهو يعلم انه يريد صلاة الفجر أو الظهر فانه انما ينوي تلك الصلاة لا يمكنه أن يعلم انها الفجر وينوي الظهر وكذلك اذا علم انه يصلي اماما أو مأموما فانه لابد ان ينوي ذلك وان علم أنه يصلي وحده فلا بد أن ينوي ذلك والنية تتبع العلم والاعتقاد اتباعا ضروريا اذا كان يعلم ما يريد أن يفعله فاذا كان يعلم انه يريد أن يصلي الظهر وقد علم ان تلك الصلاة صلاة الظهر امتنع أن يقصد غيرها ولو اعتقد ان الوقت باق فنوى الصلاة في وقتها فتبين ان الوقت قد خرج اجزأته صلاته باتفاق الائمة ولو اعتقد انه خرج فنوى الصلاة بعد الوقت فتبين انها في الوقت أجزأته الصلاة باتفاق الائمة واذا كان قصده أن يصلي خلف الامام نفسه مثل زيد فكان الامام عمرا لم يكن قد صلي خلف ذلك وانما اذا كان قصده ان يصلي خلف الامام الحاضر أي امام كان واعتقد انه زيد فظهر انه عمرو لم يضره ذلك وكذلك لو كان مقصوده أن يصلي على الجنازة الحاضرة أي جنازة كانت

فصلى رجلا فكانت امرأة صحت صلاته بخلاف ما اذا كان مقصوده أن لا يصلى الا على من يعتقد أنه فلان فصلى على من يعتقد أنه فلان فتبين غيره فانه هنا لم يقصد الصلاة على ذلك الحاضر

والمقصود هنا ان التلفظ بالنية لا يجب عند أحد من الائمة ولكن بعض المتأخرين خرج وجها من مذهب الشافعي بوجوب ذلك وغلطه جماهير أئمة أصحاب الشافعي وكان غلطه ان الشافعي قال ان الصلاة لا بد من النطق في أولها فظن هذا الغالط ان الشافعي أراد النطق بالنية فغلطه أصحاب الشافعي جميعهم ولكن التلفظ بها هل هو مستحب أم لا فيه قولان معروفان للفقهاء منهم من استحب التلفظ بها كما ذكر ذلك من ذكره من أصحاب أبي حنيفة والشافعي وأحمد وقالوا التلفظ بها أوكد واستحبوا التلفظ بها في الصلاة والصيام والحج وغير ذلك ومنهم من لم يستحب التلفظ بها كما قال ذلك من قاله من أصحاب مالك واحمد وغيرهما وهذا هو المنصوص عن مالك وأحمد وغيرهما من الائمة وقال أبو داود قلت لاحمد أتقول قبل التكبير شيئا قال لا وهذا القول هو الصواب فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يقول قبل التكبير شيئا ولم يكن يتلفظ بالنية لا في الصلاه ولا في الحج ولا غيرها من العبادات ولا خلفاؤه ولا أمر أحدا أن يتلفظ بالنية بل قال لمن علمه الصلاه اذا قمت الى الصلاة فكبر وكان اذا قام الى الصلاه كبر كما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير ويفتتح القراءة بالحمد لله رب العالمين ولم يتلفظ قبل التكبير

به ولا غيرها ولا علم ذلك أحدا من المسلمين ، ولو كان ذلك مستحبا لفعله ولعلمه للمسلمين وكذلك في الحج انما كان يفتتح الاحرام بالتلبية وشرع للمسلمين أن يلبوا في أول الحج وقال لضباعة بنت الزبير حجى واشترطي فقولي لبيك اللهم لبيك ومحلي حيث حبستني فأمرها أن تشترط بعد التلبية ولم يشرع لاحد أن يقول قبل التلبية شيئا لا يقول اللهم اني أريد العمرة أو الحج أو العمرة والحج ولا أن يقول فيسره على وتقبل مني ولا أن يقول نويت الحج والعمرة أو نويتهما جميعا ولا أن يقول أحرمت لله ولا غير ذلك من العبارات ولا أن يقول قبل التلبية شيئا بل جعل التلبية في الحج كالتكبير في الصلاة وكان هو وأصحابه يقولون فلان اهل بالحج أهل بالعمرة وأهل بهما كما يقال كبر للصلاة والاهلال رفع الصوت بالتلبية وكان يقول في تلبيته لبيك عمرة وحجا فيسمي ما يريد فعله بعد التلبية لا قبلها وجميع ماأحدثه الناس من التلفظ بالنية قبل التكبير وقبل التلبية وفي الطهارة وسائر العبادات فهي البدع التي لم يشرعها وكل محدث في العبادات المشروعة من الزيادات التي لم يشرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كان يداوم في العبادات على تركها ففعلها والمداومة عليها بدعة وضلالة من وجهين من حيث اعتقاد المعتقدان ذلك مشروع مستحبا يكون فعله خيرا من تركه مع أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يفعله البتة فيبقى حقيقة هذا القول أن ما فعلناه أكمل وأفضل مما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سأل رجل مالك بن أنس عن الاحرام قبل الميقات فقال أخاف ...

الفتنة فقال له السائل وأي فتنة في ذلك وإنما هي زيادة أميال في طاعة الله فقال وأي فتنة أعظم من أن تظن في نفسك أنك خصصت بفضل لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلا قوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم

وقد ثبت عنه في الصحيحين أنه قال من رغب عن سنتي فليس مني أي من ظن أن غير سنتي أفضل من سنتي فرغب عما سننته معتقداً أن ما رغب فيه أفضل مما رغب عنه فليس مني (لأن خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد) كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يخطب بذلك يوم الجمعة فمن قال إن هدي غير محمد أفضل من هدي محمد فهو مفتون ضال قال تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم وهو قد أمر المسلمين باتباعه وأن يعتقدوا وجوب ما أوجبه واستحباب ما أحبه وأنه لا أفضل من ذلك فمن لم يعتقد هذا فقد عصى أمره وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال قد هلك المتنطعون قالها ثلاثاً وقال أبي بن كعب وابن مسعود اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة وفي صحيح مسلم عن ابن عمر أنه قال صلاة السفر ركعتان من خالف السنة فقد كفر أي من اعتقد أن الركعتين في السفر لا تجزئ المسافر فقد كفر

الوجه الثاني من حيث المداومة على خلاف ما داوم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في العبادات فإن هذا بدعة باتفاق الأئمة وإن ظن

الطان ان فيه ريا ء حـر كما أحدث بعض المتقـدمين الاذان والاقامة في العـيدين فنهي عن ذلك وكرهه ائمة الاسلام وكما لو صلي عقب السعي ركعتين قياسا على ركعتى الطواف وقد استحب ذلك بعض المتأخرين من أصحاب الشافعى واستحب بعض المتأخرين من أصحاب احمد في الحاج اذا دخل المسجد الحرام أن يفتتح بتحية المسجد فخالف الائمة والسـنة وانما السنة أن يفتتح المحرم بالطواف كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم لما دخل المسجد بخلاف المقيم الذى يريد الصـلاة فيه دون الطواف فهذا اذا صلى تحية المسجد فحسن

وفي الجملة فالنبى صلى الله عليه وسـلم قدأ كمل اللهله ولامته الدين وأتم عليهم به النعمة فمن جعـل عملا واجبا مالم يوجبه الله ورسولهأو مستحبا مالم يستحبه الله ورسوله فهو غالط كما أن جعـل حراماأو مكروها مالم يحرمه الله ورسوله أولم يكرهه الله ورسوله فهو غالط فجماع الدين لاحرام الا ماحرمه الله ورسوله ولا دين الاماشرعه اللهورسوله ومن خرج عن هذا وهـذا فقد دخل في حرب من شرع من الدين مالم يأذن به اللهوحرم مالم يحرمه الله وهـذا من دين أهل الجاهلية المخالفين للرسول الذين ذمهم الله فى سوره الانعام والاعراف وغيرها من السور حيث شرعوا من الدين مالم يأذن به الله وحرموا مالم يحرمه الله وأحلوا ماحرمه الله فذمهم الله وعابهـم علي ذلك فلهذا كان دين المؤمنين بالله ورسوله ان الاحكام الخمسة الايجاب والاستحباب والتحليل والكراهه والتحريم لا تؤخـذ الا عن الله ورسوله فلا واجب الا

ماأوجبه الله ورسوله ولا مستحبا الا ماأحبه الله ورسوله ولا حلال الا ماأحله الله ورسوله ولا مكروه الا ما كرهه الله ورسوله ولا محرم الا ماحرمه الله ورسوله فمن ذلك ما اتفق عليه أئمة الدين ومنه ما تنازعوا فيه فما تنازعوا فيه رد الى الله ورسوله كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا وأما من تكلم بجهل وبما خالف اتفاق الأئمة فانه ينهى عن ذلك ويؤدب على الاصرار كما يفعل بأمثاله من الجهال ولا يقتدى في خلاف الشريعة بأحد من أئمة العلماء وان كان مشهورا بالفقه والعلم بل يسأل عما عنده من العلم كما قال بعض السلف لا تنظر الى عمل الفقيه ولكن سله يصدقك والحمد لله وحده

وهذه فتوى أخرى في المسئلة السابقة

سئل الشيخ الامام العالم العلامة شيخ الاسلام مفتي الانام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية رضي الله عنه وأرضاه بالديار المصرية سنة ثمان وسبعمائة

في رجل يجهر بالنية ويقول أصلي فرض كذا وكذا وينقض الصلاة فيها ويعد الركعات بحيث يشوش على من الى جانبه فأنكر عليه رجل وقال هذا لم يأمر الله به ولا رسوله فقال له بل هذا مما أمر الله به ورسوله وكان يجهر الامام بالتلاوة وهو يقرأ خلفه فهل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله أو أحد من الصحابة أو أحد من الأئمة

الأربعة وغيرهم فإذا لم يكن فعله أحد من أئمة المسلمين وعلمائهم فماذا يجب على من ينسب هذا إليهم وقول كل من تعمل في دينه ما يشتهي بل أنت جاهل فيما تذكره انتهى

أجاب رضي الله عنه وأرضاه الحمد لله رب العالمين* الجهر بلفظ النية ليس مشروع ولا نقل ذلك أحد من علماء المسلمين ولا فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من الخلفاء الراشدين وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها ومن ادعي أن ذلك دين الله أو انه واجب فانه يجب تعريفه الشريعة واستتابه من هذا القول فان أصر على ذلك قتل بل النية الواجبة في العبادات كالوضوء والغسل والصلاة والصيام والزكاة والكفارة وغير ذلك محلها القلب باتفاق أئمة المسلمين اذ النية هي القصد والارادة والقصد والارادة محلهما القلب دون اللسان باتفاق العقلاء فلو نوى بقلبه خلاف ما تكلم به بلسانه كانت العبرة بما نواه لا باللفظ ومتى نوى بقلبه ولم يتلفظ بلسانه صحت نيته عند الأئمة الأربعة وسائر أئمة المسلمين من الاولين والآخرين وليس في ذلك خلاف عند أحد ممن يقتدي به ويفتى بقوله ولكن بعض المتأخرين من أتباع الأئمة زعم ان اللفظ بالنية واجب ولم يقل ان الجهر بها واجب ومع هذا فهذا القول خطأ صريح مخالف لاجماع المسلمين لما علم بالاضطرار من دين الاسلام عند من يعلم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة خلفائه وكيف كان يصلي الصحابة والتابعون فان كل من علم ذلك يعلم أنهم لم يكونوا يتلفظون بالنية ولا أمرهم النبي صلي الله عليه وسلم بذلك ولا علمه لاحد من أصحابه بل

قد ثبت فى الصحيحين وغيرهما انه قال للاعرابى المسيء فى صلاته اذا قمت الى الصلاة وكبر ثم اقرأ ماتيسر معك من القرآن وفى السنن عنه أنه قال مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم وفى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين وقد ثبت بالنقل المتواتر واجماع المسلمين أن النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة كانوا يفتتحون الصلاة بالتكبير ولم ينقل مسلم لا عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا عن احد من الصحابة أنه تلفظ قبل التكبير بلفظ النية لا جهراً ولا سراً ولا أنه أمر بذلك مع أنه من المعلوم أن الهمم والدواعى متوفرة على نقل ذلك لو كان وأنه يمتنع على أهل التواتر عادة وشرعاً كتمان نقل ذلك فاذا لم ينقله أحد علم قطعاً أنه لم يكن وهذا تنازع الفقهاء المتأخرون فى التلفظ بالنية هل هو مستحب مع النية التى فى القلب فاستحب طائفة من أصحاب أبى حنيفة والشافعى وأحمد قالوا لانه أوكد واتم تحقيقاً للنية ولم يستحب طائفة من أصحاب مالك وأحمد وغيرهم بل رأوا أنه بدعة مكروهة قالوا لانه لو كان مستحباً لفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأمر به فانه صلى الله عليه وسلم قد بين كل مايقرب الى الله لاسيما الصلاة التى لا تؤخذ صفتها الا عنه وقد ثبت عنه فى الصحيح أنه قال صلوا كما رأيتمونى أصلى فزيادة هذا وأمثاله فى صفة الصلاة مثل سائر الزيادات المحدثة فى العبادات كمن زاد فى أذان الاذان

والاقامة ومن زاد في النهي صلاة ركعتين على المروة وأمثال ذلك
قالوا وأيضاً فان التلفظ بالنية فاسد في العقل فان قول القائل أنوي ان
أفعل كذا وكذا بمنزلة قوله أنوي انى آكل هذا الطعام لاشبع وانى
ألبس هذا الثوب لاستتر وامثال ذلك من النيات الموجودة في القلب
التي يستقبح النطق بها وقد قال تعالى قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم
ما في السموات وما في الارض وقال طائفة من السلف في قوله انما
نطعمكم لوجه الله قالوا لم يقولوا بألسنتهم وانما علمه الله من قلوبهم

وبالجملة فلا بد من النية في القلب بلا نزاع وأما التلفظ بها سراً فهل
يكره أو يستحب فيه نزاع بين المتأخرين وأما الجهر بها فهو مكروه
منهي عنه غير مشروع باتفاق المسلمين وكذلك تكريرها وسواء الامام
والمأموم والمنفرد فكل هؤلاء لا يشرع لاحد منهم أن يجهر بلفظ النية
ولا يكررها باتفاق المسلمين بل ينهون عن ذلك بل جهر المنفرد بالقراءة
اذا كان فيه أذى لغيره لم يشرع كما خرج النبي صلى الله عليه وسلم على
أصحابه وهم يصلون فقال أيها الناس كلكم يناجي ربه فلا يجهر بعضكم
على بعض بالقراءة وأما المأموم فسنته المخافتة باتفاق المسلمين لكن اذا
جهر أحيانا بشيء من الذكر فلا بأس كالامام اذا أسمعهم أحيانا الآية
في صلاة السر فقد ثبت في الصحيح عن أبي قتادة أنه اخبر عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه كان في صلاة الظهر والعصر يسمعهم الآية أحيانا
وثبت في الصحيح ان من الصحابة المأمومين من جهر بدعاء حين افتتاح
الصلاة وعند رفع رأسه من الركوع ولم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك

ومن اصر على فعل البدع وتحسينها فانه ينبغي أن يعزر تعزيراً يردعه وأمثاله عن مثل ذلك ومن نسب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الباطل خطأ فانه يعرف فان لم ينته عوقب ولا يحل لاحد أن يتكلم في الدين بلا علم ولا يعين من يتكلم في الدين بلا علم أو أدخل في الدين ماليس منه

واما قول القائل كل من يعمل في دينه ما اشتهى فهي كلمة عظيمة يجب أن يستتاب منها والا عوقب بل الاصرار على اعتقاد مثل هذه الكلمة يوجب القتل فليس لاحد أن يعمل في الدين الا ماشرعه الله ورسوله دون ما يشتهيه ويهواه قال تعالى ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله وان كثيراً ليضلون باهوائهم بغير علم وقال ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله وقال ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل وقال تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً أم تحسب ان أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا وقد قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما وقد روى عنه أنه قال والذى نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به وقد قال تعالى ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما انزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيداً واذا قيل لهم تعالوا الى ماأنزل الله والى الرسول رأيت

المنافقين يصدون عنك صدودا وقال تعالى أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله وقال تعالى المص كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه وذكرى للمؤمنين اتبعوا ماأنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ماتذكرون وقال تعالى ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن وأمثال هذا في القرآن كثير فتبين أن على العبد أن يتبع الحق الذى بعث الله به رسوله ولا يجعل دينه تبعاً لهواه والله تعالى أعلم

وأجاب عن المسئلة المذكورة أيضا الشيخ الامام العالم قاضي القضاة جمال الدين أبو الربيع سليمان بن عمر الشافعي رضي الله عنه وأرضاه الحمد لله رب العالمين الله الموفق * النية المعتبرة في الصلاة وجميع العبادات محلها القلب فلا يضر عدم النطق بها كما لو نوى بقلبه الظهر وسبق لسانه الي العصر ولا يكفي النطق بها مع غفلة القلب وانما استحب بعض أصحابنا مساعدة اللسان القلب من غير جهر وقد شذ صاحب الافصاح بما نقله عن نص أصحابنا أنه لابد من التلفظ بها في الصلاة وهو خلاف قول جمهور الاصحاب وأما الجهر بها وبالقراءة خلف الامام فليس من السنة بل مكروه فان حصل به تشويش على المصلين فحرام ومن قال بأن الجهر بلفظ النية من السنة فهو مخطئ ولا يحل له ولا لغيره أن يقول في دين الله تعالي بغير علم ولا يجوز لاحد اعانة من قال في الدين بغير علم وقوله كل من يعمل في دينه مايشتهي فهذا قول جاهل بعون على ذلك اذ ليس لاحد أن يعمل في دين الله تعالي الا ماشرعه

الله تعالى ورسوله ومن فعل غير ذلك فقد اتبع هواه نعوذ بالله تعالى من اتباع الهوى وقد تكرر في الكتاب العزيز الذم والانكار على من اتبع هواه وقد قال سبحانه وتعالى ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل وقال تعالى وان كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم الى غير ذلك مما ورد في القرآن من أمثاله والله أعلم والحمد لله وحده

وأجاب عنها الشيخ الامام العالم العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الحريري الانصاري عفا الله عنه الحمد لله رب العالمين اللهم وفق والطف ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك ولا أحد من أصحابه رضي الله عنهم ولا أحد من الأئمة الاربعة ولا علماء المسلمين تفعل مثل ذلك والنية هي الارادة ولا يشترط أن يعلم بقلبه أي صلاة يصلي أما الذكر باللسان فلا يشترط به ويحسن ذلك لاجتماع عزيمته فان زعم الفاعل لذلك أن هذا هو دين الله تعالى فقد كذب على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وأدخل في دين الله تعالى ما ليس فيه يستتاب بعد التعريف وتزاح عنه هذه الشبهة التي عرضت له فان تاب والا قتل بذلك والجهر بالتلاوة خلف الامام لا يجوز ولا نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه والعلماء على جوازه ويجب تعزيره على ذلك ولا يحل لاحد أن يعينه على هذا ومن أعانه وجب تعزيره وقوله كل من يعمل في دينه ما يشتهي فقد كذب على الشريعة المطهرة بل يجب علينا اتباع ما جاء به كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فان اعتقد ان هذا

هو الدين ومن كفر بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فيستتاب فان تاب والا قتل والحالة هذه والله أعلم

وأجاب عنها الشيخ الامام العالم العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم التونسي المالكي رحمه الله تعالى الحمد لله اللهم ارحم ووفق النية من أعمال القلوب فالجهر بها بدعة مع ما في ذلك من التشويش على الناس وكذلك الجهر بالقرآن فيزجر عن ذلك ويلزم بالاتباع للسنة وانكاره على المنكر عليه جهل ودعوى باطلة وقوله كل من يعمل في دينه ما يشتهي فهذا أمر شنيع يقارب الكفر يجب تأديبه عليه وأن يتوب منه ونعوذ بالله من الجهل واتباع الهوى ونسأله الهدى والعصمة والله سبحانه وتعالى أعلم

وأجاب عنها الشيخ الامام العالم العلامة علاء الدين بن العطار عفا الله عنه الحمد لله لا يشرع تعيين عدد الركعات ولا الجماعة في النية وأما التلفظ بها من غير تشويش فلا بأس به اذا كان مطابقا للقلب ولا يشترط ولا يجب ورفع الصوت به مع التشويش على المصلين حرام اجماعا ومع عدمه بدعة قبيحة فان قصد به الرياء كان حراما من وجهين كبيرة من الكبائر والمنكر عليه مصيب ومصوبه مخطئ ونسبته الى دين الله تعالى اعتقادا كفر وغير اعتقاد معصية ولا يحل ترك كل أحد ونهيه خصوصا اذا كان قدرة وعمله مخالفا للسنة بل يجب على كل مؤمن تمكين منعه وزجره ومنعه وردعه ولم ينقل هذا الفعل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه ولا عن أحد ممن يقتدى به من علماء

الاسلام واصل النية مشروع في جميع الاعمال الصلاة وغيرها ومحلها القلب وهل يشترط مقارنتها لاول العبادة يعني انها جزء العبادة أو لا يشترط ذلك ومحلها شرط الصحة العبادة لا يضر تقدمها عليها مذهب الشافعي رحمه الله الاول ومذهب بعض أصحابه وجماعة من العلماء الثاني ومن فعل النية على ما ذكر في الابتداء فعمله غير صحيح قال معاذ بن جبل رضي الله عنه الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه أعلم أمتي بالحلال والحرام قال معاذ العمل الصالح هو الذي

سبقه العلم والنية والصبر والاخلاص مشتمل عليه فكل

عمل لم يشتمل على هذه الاربعة فليس بصالح

ونية هذا الرجل ليس على وفق العمل

ولا قصد بها الصبر على مقتضاه

ولا أخلص فيها لله تعالى

والله يعلم المفسد

من المصلح

تمت الرسالة الخامسة

وتليها السادسة لها أيضا

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الاسلام تقى الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى عن العرش هل هو كرى أم لا فاذا كان كريا والله من ورائه محيط بهائن عنه فما فائدة ان العبد يتوجه الى الله تعالى حين دعائه وقصد العلو دون الجهات فلا فرق حينئذ وقت الدعاء بين قصد جهة العلو وغيرها من الجهات التى تحيط بالداعى ومع هذا نجد فى نفوسنا قصدا لطلب العلو لا نلتفت يمنة ولا يسرة فأخبرنا عن هذه الضرورة التى نجدها فى قلوبنا وقد فطرنا عليها أدام الله النفع بكم وبعلومكم آمين

فأجاب رحمه الله تعالى بما نصه الحمد لله رب العالمين الجواب عن هذا السؤال بثلاث مقالات * احداها ان القائل الذى يقول لم يثبت بدليل يعتمد عليه ان العرش فلك من الافلاك المستديرة الكريه الشكل لا بدليل شرعى ولا بدليل عقلي وانما ذكر هذا طائفة من المتأخرين الذين نظروا فى علم الهيئة وغيرها من الفلسفة ورأوا ان الافلاك تسعة وان التاسع وهو الاطلس محيط بها مستديرا كاستدارتها وهو الذي يحركها الحركة الشوقية وان كان لكل فلك حركة تخصه غير هذه الحركة العامة ثم سمعوا من أخبار الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ذكر عرش الله وكرسيه وذكر السموات السبع فقالوا بطريق الظن ان العرش هو الفلك التاسع لاعتقادهم أنه ليس وراء التاسع شئ اما مطلقا واما انه ليس وراءه مخلوق ثم ان منهم من رأى ان التاسع هو الذى يحرك الافلاك كلها فجعلوه مبدأ الحوادث وزعموا ان الله يحدث

فيه مانقدره في الارض أو نحده في النفس التي زعموا انها متعلقة أو في العقل الذي زعموا انه الذي صدر عنه هذا الفلك وربما سماه بعضهم الروح وربما جعل بعضهم النفس هي الروح وربما جعل بعضهم النفس هي اللوح المحفوظ كما يجعل العقل هو القلم وتارة يجعلون اللوح العقل الفعال العاشر الذي لفلك القمر أوالنفس المتعلقة به وربما جعلوا ذلك بالنسبة الى الحق كالدماغ بالنسبة الى الانسان يقدر فيه ما يفعله قبل أن يكون الى غير ذلك من المقالات التي شرحناها وبينا فسادها في غير هذا الموضع * ومنهم من يدعي انه علم ذلك بطريق الكشف والمشاهدة ويكون كاذبا فيما يدعيه وانما أخذ ذلك عن هؤلاء المتفلسفة تقليدا لهم أوموافقة لهم على طرقهم الفاسدة كما فعل أصحاب رسائل اخوان الصفا وأمثالهم * وقد يتخيل في نفسه ماتقلده عن غيره فيظنه كشفا كما تخيل النصارى التثليث الذي تعتقده * وقد يرى ذلك في منامه فيظنه كشفا وانما هو تخيل لما اعتقده وكثير من أرباب الاعتقادات الفاسدة اذا ارتاضوا صقلت الرياضة نفوسهم وتمثل لهم اعتقاداتهم فظنوها كشفا وقد بسطنا الكلام على هذا في غير هذا الموضع

والمقصود هنا ان ماذكروه من ان العرش هو الفلك التاسع قد يقال انه ليس لهم عليه دليل لاعقلي ولا شرعي أما العقل فان أئمة الفلاسفة مصرحون بأنه لم تقم عندهم دليل على ان الافلاك هي تسعة فقط بل يجوز أن يكون أكثر من ذلك ولكن دلتهم الحركات والكسوفات ونحو ذلك على ماذكروه ومالم يكن لهم دليل على ثبوته

فهم لا يعلمون ثبوته ولا انتفاءه مثال ذلك انهم علموا ان هذا الكوكب تحت هذا بان السفلي يكسف العلوي من غير عكس فاستدلوا بذلك على انه من فلك فوقه كما استدلوا بالحركات المختلفه على أفلاك مختلفه حتي جعلوا في الفلك الواحد عده أفلاك كفلك التدوير وغيره فاما ما كان موجودا فوق هذا ولم يكن لهم ما يستدلون به على ثبوته فهم لا يعلمون نفيه ولا اثباته بطريقهم وكذلك قول القائل ان حركة التاسع مبدأ الحوادث خطأ وضلال على أصولهم فانهم يقولون ان الثامن له حركة تخصه بما فيه من الثوابت وتلك الحركه قطعا غير قطبي التاسع وكذلك السابع والسادس واذا كان لكل فلك حركه تخصه والحركات المختلفه هي سبب الاشكال الحادثة المختلفه الفلكية فتلك الاشكال سبب الحوادث السفليه كانت حركة التاسع جزء السبب كحركة غيره والاشكال الحادثة في الفلك كمقارنة الكوكب لكوكب في درجة واحدة ومقابلته له اذا كان بينهما نصف الفلك وهو مائة وثمانون درجه وتثليثه له اذا كان بينهما ثلث الفلك وهو مائة وعشرون درجة وتربيعه له اذا كان بينهما ربعه تسعون درجة وتسديسه له اذا كان بينهما سدس الفلك ستون درجة وأمثال ذلك من الاشكال انما حدثت بحركات مختلفه وكل حركه ليست عن الاخرى اذ حركه الثامن التى تخصه ليست عن حركه التاسع وان كان تابعا له في الحركه الكليه كالانسان المتحرك في السفينة الى خلاف حركتها وكذلك حركه السابع التى تخصه ليست عن التاسع ولا عن الثامن وكذلك سائر الافلاك فكيف يجوز أن تجعل مبدأ

الحوادث كلها بمجرد حركة التاسع كما زعمه من ظن انه العرش كيف والفلك التاسع عندهم بسيط متشابه الاجزاء لا اختلاف فيه أصلا وكيف يكون سبب الامور مختلفة لا باعتبار القوابل واسباب أخر

ولكن هم قوم ضالون يجعلون مع هذا الاثنائه وستين درجة ويجعلون لكل درجة من الاثر ما يخالف الاخرى لا باختلاف القوابل كمن يجيء الى ماء واحد ويجعل لبعض أجزائه من الاثر ما يخالف الآخر لا بحسب القوابل بل يجعل أحد أجزائه مسخنا والآخر مبردا والآخر مسعدا والآخر مشقيا وهذا مما يعلمون هم وكل عاقل انه باطل وضلال واذا كان هؤلاء ليس عندهم ما ينفي وجود شيء آخر فوق الافلاك التسعة كان الجزم بان ما أخبرت به الرسل من ان العرش هو الفلك التاسع رجما بالغيب وقولا بلا علم هذا كله بتقدير ثبوت الافلاك التسعة على المشهور عند أهل الهيئة اذ في ذلك من النزاع والاضطراب وفي أدلة ذلك ما ليس هذا موضعه وانما نتكلم على هذا التقدير والافلاك في أشكالها واحاطة بعضها ببعض من جنس واحد فنسبة السابع الى السادس كنسبة السادس الى الخامس واذا كان هناك فلك تاسع فنسبته الى الثامن كنسبة الثامن الى التاسع

وأما العرش فالاخبار تدل على مباينته لغيره من المخلوقات وانه ليس نسبته الى بعضها كنسبة بعضها الى بعض قال الله تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به الآية وقال سبحانه ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية فاخبر ان للعرش

حملة اليوم ويوم القيامه وان حمله ومن حوله يسبحون ويستغفرون للمؤمنين ومعلوم ان قيام ذلك من الافلاك بقدرة الله تعالى كقيام سائر الافلاك لا فرق في ذلك بين كرة وكره وان قدر أن لمخصصها ملائكه في نفس الامر تحملها فحكمه حكم نظيره وقال تعالي وترى الملائكه حافين من حول العرش الآية فذكر هناك ان الملائكة تحف من حول العرش وذكر في موضع آخر ان له حملة وجمع في موضع ثالث بين حملته ومن حوله فقال الذين يحملون العرش ومن حوله وأيضا فقد أخبر ان عرشه كان على الماء قبل أن يخلق السموات والارض كما قال تعالى وهو الذى خلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء وقد ثبت فى صحيح البخاري رحمه الله تعالى عن عمران بن حصين رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والارض وفي رواية له كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وكتب في الذكر كل شيء وفي رواية غيره صحيحة كان الله ولم يكن شيء معه وكان عرشه على الماء ثم كتب في الذكر كل شيء وفى صحيح مسلم رحمه الله تعالي عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة ﴿ تمت الرسالة السادسه ﴾

﴿ ويليها السابعه أيضا ﴾

﷽

من احمد ابن تيمية عفا الله عنه الي من يصل اليه هذا الكتاب من المسلمين المنتسبين الي السنه والجماعه المنتمين الى جماعه الشيخ العارف القدوة أبي البركات عدى بن مسافر الاموى رحمه الله ومن نحا نحوهم وفقهم الله لسلوك سبيله وأعانهم على طاعته وطاعه رسوله صلى الله عليه وسلم وجعلهم معتصمين بحبله المتين مهتدين لصراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وجنبهم طريق أهل الضلال والاعوجاج الخارجين عما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم من الشرعه والمنهاج حتى يكونوا ممن أعظم عليهم المنه بمتابعه الكتاب والسنة سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فانا نحمد اليكم الله الذى لا اله الا هو وهو للحمد أهل وهو على كل شئ قدير ونسأله أن يصلي على خاتم النبيين وسيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم وأكرم الخلق على ربه وأقربهم اليه زلفى وأعظمهم عنده درجة محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

أما بعد فان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا وأنزل عليه الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه وأكمل له ولامته الدين وأتم عليهم النعمه وجعلهم خير أمه أخرجت للناس فهم يوفون سبعين أمة هم خيرها وأكرمها على الله وجعلهم أمه وسطا أى عدلا

وخيارا ولذلك جعلهم شهداء على الناس هداهم لما بعث به رسله جميعهم من الدين الذى شرعه لجميع خلقه ثم خصهم بعد ذلك بما ميزهم به وفضلهم من الشرعه والمنهاج الذى جعله لهم فالاولى مثل أصول الايمان وأعلاها وأفضلها هو التوحيد وهو شهادة أن لااله الا الله كما قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لااله الا أنا فاعبدون وقال تعالى ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقال تعالى واسأل من قد أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون وقال تعالى شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى وقال تعالى ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وان هذه أمتكم أمة واحده وأنا ربكم فاتقون ومثل الايمان بجميع كتب الله وجميع رسله كما قال تعالي قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الي ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم لانفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون ومثل قوله تعالى قل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لاعدل بينكم ومثل قوله تعالي آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير الى آخرها ومثل الايمان باليوم الآخر وما فيه من الثواب والعقاب كما أخبر عن ايمان من تقدم من مؤمنى الامم به حيث قال ان

الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومثل أصول الشرائع كما ذكر فى سورة الانعام والأعراف وسبحان وغيرهن من السور المكية من امره بعبادته وحده لاشريك له وأمره ببر الوالدين وصلة الارحام والوفاء بالعهود والعدل فى المقال وتوفية الميزان والمكيال واعطاء السائل والمحروم وتحريم قتل النفس بغير الحق وتحريم الفواحش ماظهر منها وما بطن وتحريم الاثم والبغى بغير الحق وتحريم الكلام في الدين بغير علم مع مايدخل في التوحيد من اخلاص الدين لله والتوكل على الله والرجاء لرحمة الله والخوف من الله والصبر لحكم الله والقيام لامر الله وأن يكون الله ورسوله احب الى العبد من أهله وماله والناس أجمعين الى غير ذلك من أصول الايمان التى أنزل الله ذكرها في مواضع من القرآن كالسور المكية وبعض المدنية وأما الثاني فما انزله الله فى السور المدنية من شرائع دينه وما سنه الرسول صلى الله عليه وسلم لامته فان الله سبحانه أنزل عليه الكتاب والحكمه وامتن على المؤمنين بذلك وأمر أزواج نبيه بذكر ذلك فقال وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وقال لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمه وقال واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة قال غير واحد من السلف الحكمة هى السنة لان الذى كان يتلى في بيوت أزواجه رضى الله عنهن سوى القرآن هو سنته

صلى الله عليه وسلم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الا انى أوتيت الكتاب ومثله معه وقال حسان بن عطيه كان جبريل عليه السلام ينزل على النبى صلى الله عليه وسلم بالسنه كما ينزل بالقرآن فيعلمه اياها كما يعلمه القرآن

وهذه الشرائع التى هدى الله بها هذا النبى وأمته مثل الوجهة والمنسك والمنهاج وذلك مثل الصلوات الخمس فى أوقاتها بهذا العدد وهذه القراءة والركوع والسجود واستقبال الكعبة ومثل فرائض الزكاة ونصبها التى فرضها فى اموال المسلمين من الماشية والحبوب والثمار والتجارة والذهب والفضة ومن جعلت له حيث يقول انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ومثل صيام شهر رمضان ومثل حج البيت الحرام ومثل الحدود التى حدها لهم فى المناكح والمواريث والعقوبات والمبايعات ومثل السنن التى سنها لهم من الاعياد والجمعات والجماعات فى المكتوبات والجماعات فى الكسوف والاستسقاء وصلاه الجنازه والتراويح وما سنه لهم فى العادات مثل المطاعم والملابس والولادة والموت ونحو ذلك من السنن والآداب والاحكام التى هى حكم الله ورسوله بينهم فى الدماء والاموال والابضاع والاعراض والمنافع والابشار وغير ذلك من الحدود والحقوق الى غير ذلك مما شرعه لهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وحبب اليهم الايمان وزينه فى قلوبهم فجعلهم متبعين لرسوله صلى

الله عليه وسلم وعصمهم أن يجتمعوا على ضلالة كما ضلت الأمم قبلهم اذ كانت كل أمة اذا ضلت أرسل الله تعالى رسولا اليهم كما قال تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقال تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير

ومحمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء لا نبي بعده فعصم الله أمته أن تجتمع على ضلالة وجعل فيها من تقوم به الحجة الى يوم القيامة ولهذا كان اجماعهم حجة كما كان الكتاب والسنة حجة ولهذا امتاز اهل الحق من هذه الامة والسنة والجماعة عن أهل الباطل الذين يزعمون أنهم يتبعون الكتاب ويعرضون عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعما مضت عليه جماعة المسلمين

فان الله أمر في كتابه باتباع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولزوم سبيله وأمر بالجماعة والائتلاف ونهى عن الفرقة والاختلاف فقال تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الا ليطاع باذن الله وقال تعالى ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وقال تعالى واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وقال تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء وقال تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك

دين القيمة وقال تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وقال تعالى في أم الكتاب اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين

وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون

فأمر سبحانه في أم الكتاب التي لم ينزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها التي أعطيها نبينا صلى الله عليه وسلم من كنز تحت العرش التي لا تجزئ صلاة الا بها ان نسأله ان يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم كاليهود ولا الضالين كالنصارى

وهذا الصراط المستقيم هو دين الاسلام المحض وهو ما في كتاب الله تعالى وهو السنة والجماعة فان السنة المحضة هي دين الاسلام المحض فان النبي صلى الله عليه وسلم روى عنه من وجوه متعددة رواها أهل السنن والمسانيد كالامام أحمد وأبي داود والترمذي وغيرهم أنه قال ستفترق هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة وهي الجماعة وفي رواية من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي

وهذه الفرقة الناجية أهل السنة وهم وسط في النحل كما ان ملة الاسلام وسط في الملل فالمسلمون وسط في أنبياء الله ورسله وعباده الصالحين لم يغلوا فيهم كما غلت النصارى فاتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا

لا اله الا هو سبحانه عما يشركون ولا جفوا عنهم كما جفت اليهود وكانوا يقتلون الانبياء بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس وكلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذبوا فريقاً وقتلوا فريقاً بل المؤمنون آمنوا برسل الله وعزروهم ونصروهم ووقروهم وأحبوهم وأطاعوهم ولم يعبدوهم ولم يتخذوهم أربابا كما قال تعالى ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون

ومن ذلك ان المؤمنين توسطوا في المسيح فلم يقولوا هو الله ولا ابن الله ولا ثالث ثلاثة كما تقوله النصارى ولا كفروا به وقالوا على مريم بهتانا عظيما حتى جعلوه ولد بغية كما زعمت اليهود بل قالوا هذا عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم العذراء البتول وروح منه

وكذلك المؤمنون وسط في شرائع دين الله فلم يحرموا على الله ان ينسخ ما شاء ويمحو ما شاء ويثبت كما قالته اليهود كما حكى الله تعالى ذلك عنهم بقوله سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها وبقوله واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم ولا جوزوا لاكابر علمائهم وعبادهم أن يغيروا دين الله فيأمروا بما شاؤا وينهوا عما شاؤا كما يفعله النصارى كما ذكر الله ذلك عنهم بقوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون

الله قال عدى بن حاتم رضى الله عنه قلت يارسول الله ماعبدوهم قال ماعبدوهم ولكن أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم والمؤمنون قالوا لله الخلق والامر فكما لا يخلق غيره لا يأمر غيره وقالوا سمعنا وأطعنا فاطاعوا كل ماأمر الله به وقالوا ان الله يحكم ما يريد وأما المخلوق فليس له ان يبدل أمر الخالق تعالى ولو كان عظيما

وكذلك في صفات الله تعالى فان اليهود وصفوا الله تعالى بصفات المخلوق الناقصة فقالوا هو فقير ونحن أغنياء وقالوا يدالله مغلولة وقالوا انه تعب من الخلق فاستراح يوم السبت الى غير ذلك والنصارى وصفوا المخلوق بصفات الخالق المختصة به فقالوا انه يخلق ويرزق ويغفر ويرحم ويتوب على الخلق ويثيب ويعاقب والمؤمنون آمنوا بالله سبحانه وتعالي ليس له سمىّ ولا ند ولم يكن له كفواً أحد وليس كمثله شئ فانه رب العالمين وخالق كل شئ وكل ماسواه عباد له فقراء اليه ان كل من في السموات والارض الا آت الرحمن عبداً لقد أحصاهم وعدهم عداً وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً

ومن ذلك أمر الحلال والحرام فان اليهود كما قال الله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم فلا يأكلون ذوات الظفر مثل الابل والبط ولا شحم الثرب والكليتين ولا الجدى فى لبن أمه الى غير ذلك مما حرم عليهم من الطعام واللباس وغيرهما حتى قيل ان المحرمات عليهم ثلاثمئة وستون نوعا والواجب عليهم مائتان وثمانية

وأرنبون أمراً وكذلك شدد عليهم في المحاسات حتى لا يؤا كلوا الحائض ولا يجامعوها في البيوت وأما النصارى فاستحلوا الخبائث وجميع المحرمات وباشروا جميع النجاسات وإنما قال لهم المسيح ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم ولهذا قال تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وأما المؤمنون فكما نعتهم الله به في قوله ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون وهذا باب يطول وصفه

وهكذا أهل السنة والجماعة في الفرق فهم في باب أسماء الله وآياته وصفاته وسط بين أهل التعطيل الذين يلحدون في أسماء الله وآياته ويعطلون حقائق ما نعت الله به نفسه حتى يشبهونه بالعدم والموات وبين أهل التمثيل الذين يضربون له الأمثال ويشبهونه بالمخلوقات

فيؤمن أهل السنة والجماعة بما وصف الله به نفسه وما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف وتمثيل

وهم في باب خلقه وأمره وسط بين المكذبين بقدرة الله الذين لا يؤمنون بقدرته الكاملة ومشيئته الشاملة وخلقه لكل شيء وبين المفسدين لدين الله الذين يجعلون العبد ليس له مشيئة ولا قدرة ولا عمل فيعطلون الأمر والنهي والثواب والعقاب فيصيرون بمنزلة المشركين الذين قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء

فيؤمن أهل السنة بأن الله على كل شيء قدير فيقدر أن يهدي العباد ويقلب قلوبهم وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فلا يكون في ملكه ما لا يريد ولا يعجز عن انفاذ مراده وانه خالق كل شيء من الأعيان والصفات والحركات

ويؤمنون أن العبد له قدرة ومشيئة وعمل وانه مختار ولا يسمونه مجبوراً اذ المجبور من أكره على خلاف اختياره والله سبحانه جعل العبد مختاراً لما يفعله فهو مختار مريد والله خالقه وخالق اختياره وهذا ليس له نظير فان الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله

وهم في باب الاسماء والاحكام والوعد والوعيد وسط بين الوعيدية الذين يجعلون أهل الكبائر من المسلمين مخلدين في النار ويخرجونهم من الايمان بالكلية ويكذبون بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وبين المرجئة الذين يقولون ايمان الفساق مثل ايمان الانبياء والاعمال الصالحة ليست من الدين والايمان ويكذبون بالوعيد والعقاب بالكلية

فيؤمن أهل السنة والجماعة بأن فساق المسلمين معهم بعض الايمان وأصله وليس معهم جميع الايمان الواجب الذي يستوجبون به الجنة

وانهم لايخلدون فى النار بل يخرج منها من كان فى قلبه مثقال حبة من ايمان أومثقال خردلة من ايمان

وأن النبي صلى الله عليه وسلم ادخر شفاعته لاهل الكبائر من أمته

وهم أيضاً فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم وسط بين الغالية الذين يغالون في على رضى الله عنه فيفضلونه على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ويعتقدون أنه الامام المعصوم دونهما وان الصحابة ظلموا وفسقوا وكفروا الامة بعدهم كذلك وربما جعلوه نبياً أوالهاً وبين الجافيــة الذين يعتقدون كفره وكفر عثمان رضى الله عنهما ويستحلون دماهما ودماء من تولاهما ويستحبون سب على وعثمان ونحوهما ويقدحون فى خلافة على رضى الله عنه وامامته

وكذلك فى سائر أبواب السنة هم وسط لانهم متمسكون بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما اتفق عليــه السابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان

﴿ فصــل ﴾ واعلموا أصلحكم الله قد من الله عليكم بالانتساب الى الاسلام الذى هو دين الله وعافاكم الله مما ابتلى به من خرج عن الاسلام من المشركين وأهل الكتاب والاسلام أعظم النعم وأجلها فان الله لايقبل من أحد ديناً سواه ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين وعافاكم الله بانتسابكم الى السنة من أكثر البدع المضلة مثل كثير من بدع الروافض والجهمية والخوارج والقدريه بحيث جعل عندكم من البغض لمن يكذب باسماء الله وصفاته وقضائه وقدره

أو يسب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هو من طريقة أهل السنة والجماعة وهذا من أكبر نعم الله على من أنعم عليه بذلك فان هذا من تمام الايمان وكمال الدين ولهذا كثر فكم من أهل الصلاح والدين وأهل القتال المجاهدين ما لا يوجد مثله في طوائف المبتدعين ومازال في عساكر المسلمين المنصورة وجنود الله المؤيدة منكم من يؤيد الله به الدين ويعز به المؤمنين وفي أهل الزهادة والعبادة منكم من له الاحوال الزكية والطريقة المرضية وله المكاشفات والتصرفات وفكم من اولياء الله المتقين من له لسان صدق في العالمين فان قدماء المشايخ الذين كانوا فيكم مثل الملقب بشيخ الاسلام أبي الحسن علي بن أحمد بن يوسف القرشي الهكاري وبعده الشيخ العارف القدوة عدى بن مسافر الاموى ومن سلك سبيلهما فيهم من الفضل والدين والصلاح والاتباع للسنة ما عظم الله به أقدارهم ورفع به منارهم والشيخ عدى قدس الله روحه كان من أفاضل عباد الله الصالحين وأكابر المشايخ المتبعين وله من الاحوال الزكية والمناقب العلية ما يعرفه أهل المعرفة بذلك وله في الامة صيت مشهور ولسان صدق مذكور وعقيدته المحفوظة عنه لم يخرج فيها عن عقيدة من تقدمه من المشايخ الذين سلك سبيلهم كالشيخ الامام الصالح أبي الفرج عبد الواحد بن محمد بن علي الانصاري الشيرازي ثم الدمشقي وكشيخ الاسلام الهكاري ونحوهما وهؤلاء المشايخ لم يخرجوا في الاصول الكبار عن أصول أهل السنة والجماعة بل كان لهم من الترغيب في أصول أهل السنة والدعاء اليها والحرص على نشرها ومنابذة من خالفها

مع الدين والفضل والصلاح مارفع الله به اقدارهم وأعلا منارهم وغالب مايقولونه في أصولها الكبار جيد مع أنه لابدوان يوجد في كلامهم وكلام نظرائهم من المسائل المرجوحة والدلائل الضعيفة كأحاديث لاتثبت ومقاييس لاتطرد مايعرفه أهل البصيرة

وذلك ان كل أحد يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم لاسيما المتأخرون من الامة الذين لم يحكموا معرفة الكتاب والسنة والفقه فيهما وعرفوا بين صحيح الاحاديث وسقيمها وناتج المقاييس وعقيمها مع مايضم الى ذلك من غلبة الاهواء وكثرة الآراء وتغلظ الاختلاف والافتراق وحصول العداوة والشقاق فان هذه الاسباب ونحوها مما يوجب قوة الجهل والظلم اللذين نعت الله بهما الانسان في قوله وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا فاذا من الله على الانسان بالعلم والعدل أنقذه من هذا الضلال وقد قال سبحانه والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وقد قال تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون

وأنتم تعلمون أصلحكم الله أن السنة التي يجب اتباعها ويحمد أهلها ويذم من خالفها هي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمور الاعتقادات وأمور العبادات وسائر أمور الديانات وذلك انما يعرف بمعرفة أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الثابتة عنه في اقواله وأفعاله وماتركه من قول وعمل ثم ما كان عليه السابقون والتابعون لهم باحسان

وذلك في دواوين الاسلام المعروفة مثل صحيحي البخاري ومسلم وكتب السنن مثل سنن أبي داود والنسائي وجامع الترمذي وموطأ الامام مالك ومثل المسانيد المعروفة كمثل مسند الامام أحمد وغيره ويوجد في كتب التفاسير والمغازي وسائر كتب الحديث جملها وأجزائها من الآثار مايستدل ببعضها على بعض وهذا أمر قد أقام الله له من اهل المعرفة من اعتنى به حتى حفظ الله الدين على أهله

وقد جمع طوائف من العلماء الاحاديث والآثار المروية في أبواب عقائد أهل السنة مثل حماد بن سلمة وعبد الرحمن بن مهدي وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي وعثمان بن سعيد الدارمي وغيرهم في طبقتهم ومثلها ما بوب عليه البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه وغيرهم في كتبهم ومثل مصنفات أبي بكر الاثرم وعبدالله بن أحمد وأبي بكر الخلال وابي القاسم الطبراني وأبي الشيخ الاصبهاني وأبي بكر الآجري وأبي الحسن الدارقطني وأبي عبد الله بن منده وأبي القاسم اللالكائي وأبي عبد الله بن بطه وابي عمر الطلمنكي وأبي نعيم الاصبهاني وأبي بكر البيهقي وابي ذر الهروي وان كان يقع في بعض هذه المصنفات من الاحاديث الضعيفة مايعرفه أهل المعرفة

(وقد) يروي كثير من الناس في الصفات وسائر ابواب الاعتقادات وعامة أبواب الدين أحاديث كثيرة تكون مكذوبة موضوعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي قسمان

منها مايكون كلاما باطلا لايجوز أن يقال فضلا عن ان يضاف الى

النبي صلى الله عليه وسلم

والقسم الثاني من الكلام ما يكون قد قاله بعض السلف أو بعض العلماء أو بعض الناس ويكون حقا أو مما يسوغ فيه الاجتهاد أو مذهباً لقائله فيعزى الى النبي صلى الله عليه وسلم وهذا كثير عند من لا يعرف الحديث مثل المسائل التي وضعها الشيخ أبو الفرج عبد الواحد بن محمد بن علي الانصاري وجعلها محنة يفرق فيها بين السني والبدعي وهي مسائل معروفة عمل بعض الكذابين وجعل لها اسنادا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلها من كلامه وهذا يعلمه من له أدنى معرفة انه مكذوب مفترى وهذه المسائل وان كان غالبها موافقاً لاصول السنة ففيها ما اذا خالفه الانسان لم يحكم بأنه مبتدع مثل أول نعمة أنعم بها على عبده فان هذه المسئلة فيها نزاع بين أهل السنة والنزاع فيها لفظي لان مبناها على أن اللذة يعقبها ألم هل تسمي نعمة أم لا وفيها أيضاً أشياء مرجوحة

فالواجب أن يفرق بين الحديث الصحيح والحديث الكذب فان السنة هي الحق دون الباطل وهي الاحاديث الصحيحة دون الموضوعة فهذا أصل عظيم لاهل الاسلام عموما ولمن يدعي السنة خصوصاً

﴿ فصل ﴾ وقد تقدم ان دين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه والله تعالى ما أمر عباده بأمر الا اعترض الشيطان فيه بأمرين لا يبالي بأيهما ظفر اما افراط فيه واما تفريط فيه واذا كان الاسلام الذي هو دين الله لا يقبل من أحد سواه قد اعترض الشيطان كثيراً ممن ينتسب

اليه حتى أخرجه عن كثير من شرائعه بل أخرج طوائف من أعبد هذه الامة وأورعها عنه حتى مرقوا منه كما يمرق السهم من الرمية وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال المارقين منه فثبت عنه في الصحاح وغيرها من رواية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأبي سعيد الخدري وسهل بن حنيف وأبي ذر الغفاري وسعد بن أبي وقاص وعبد الله ابن عمر وابن مسعود رضي الله عنهم وعن هؤلاء ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الخوارج فقال يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤن القرآن لايجاوز حناجرهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية أينما لقيتموهم فاقتلوهم أو فقاتلوهم فان في قتلهم أجراً عند الله لمن قتلهم يوم القيامة لئن أدركتهم لاقتلنهم قتل عاد وفي رواية شر قتلى تحت أديم السماء خير قتلى من قتلوه وفي روايه لو يعلم الذين يقاتلونهم ماروي لهم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم لنكلوا عن العمل وهؤلاء لما خرجوا في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قاتلهم هو وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر النبي صلى الله عليه وسلم وتحضيضه على قتالهم واتفق على قتالهم جميع أئمة الاسلام

وهكذا كل من فارق جماعة المسلمين وخرج عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشريعته من أهل الاهواء المضلة والبدع المخالفة ولهذا قاتل المسلمون أيضاً الرافضة الذين هم شر من هؤلاء وهم الذين يكفرون جماهير المسلمين مثل الخلفاء الثلاثة وغيرهم ويزعمون

أنهم هم المؤمنون ومن سواهم كافر ويكفرون من يقول ان الله يرى في الآخرة أو يؤمن بصفات الله وبقدرته الكاملة ومشيئته الشاملة ويكفرون من خالفهم في بدعهم التي هم عليها فانهم يمسحون القدمين ولا يمسحون على الخف ويؤخرون الفطور والصلاة الى طلوع النجم، يجمعون بين الصلاتين من غير عذر ويقنتون في الصلوات الخمس ويحرمون الفقاع وذبائح أهل الكتاب وذبائح من خالفهم من المسلمين لانهم عندهم كفار ويقولون على الصحابة رضي الله عنهم أقوالا عظيمة لاحاجة الى ذكرها هنا الى أشياء أخرى فلهم المسلمون بأمر الله ورسوله

فاذا كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين قد انتسب الى الاسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة حتى أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتالهم فيعلم أن المنتسب الى الاسلام أو السنة في هذه الازمان قد يمرق أيضا من الاسلام والسنة حتى يدعي السنة من ليس من أهلها بل قد مرق منها وذلك بأسباب

منها الغلو الذي ذمه الله تعالى في كتابه حيث قال يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه الى قوله وكفى بالله وكيلا وقال تعالى يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل وقال النبي صلى الله عليه وسلم اياكم والغلو في الدين فانه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين وهو حديث صحيح

ومنها التفرق والاختلاف الذى ذكره الله تعالى فى كتابه العزيز

ومنها أحاديث تروى عن النبى صلى الله عليه وسلم وهى كذب عليه باتفاق أهل المعرفة يسمعها الجاهل بالحديث فيصدق بها لموافقة ظنه وهواه

وأصل الضلال اتباع الظن والهوى كما قال الله تعالى في حق من ذمهم ان يتبعون الا الظن وما تهوي الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى وقال فى حق نبيه صلى الله عليه وسلم والنجم اذا هوى ماضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحي فنزهه عن الضلال والغواية اللذين هما الجهل والظلم فالضال هو الذى لايعلم الحق والغاوى الذى يتبع هواه وأخبر أنه ماينطق عن هوى النفس بل هو وحى أوحاه الله اليه فوصفه بالعلم ونزهه عن الهوى

وأنا أذكر جوامع من أصول الباطل التي ابتدعها طوائف ممن ينتسب الى السنة وقدمرق منها وصار من أكابر الظالمين وهي فصول

(الفصل الاول) أحاديث رووها في الصفات زائدة على الاحاديث التي فى دواوين الاسلام مما نعلم باليقين القاطع انها كذب وبهتان بل كفر شنيع وقد يقولون من أنواع الكفر مالا يروون فيه حديثا مثل حديث يروونه ان الله ينزل عشية عرفة على جمل أورق يصافح الركبان ويعانق المشاة وهذا من أعظم الكذب على الله ورسوله صلي الله عليه وسلم وقائله من اعظم القائلين على الله غير الحق ولم يرو هذا الحديث أحد من علماء المسلمين أصلا بل أجمع علماء المسلمين وأهل المعرفة

بالحديث على انه مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أهل العلم كان قتيبة وغيره هذا وأمثاله انما وضعه الزنادقة الكفار ليشنعوا به أهل الحديث ويقولون انهم يروون مثل هذا

وكذلك حديث آخر فيه انه رأى ربه حين أفاض من مزدلفة يمشي أمام الحجيج وعليه جبة صوف أو ما يشبه هذا الهذيان والافتراء على الله الذي لا يقوله من عرف الله ورسوله صلى الله عليه وسلم

وهكذا حديث فيه ان الله يمشي على الارض فاذا كان موضع خضرة قالوا هذا موضع قدميه ويقرؤن قوله تعالى فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها هذا أيضا كذب باتفاق العلماء ولم يقل الله فانظر الى آثار خطى الله وانما قال أثر رحمة الله ورحمته هنا النبات

وهكذا أحاديث في بعضها ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه في الطواف وفي بعضها انه رآه وهو خارج من مكة وفي بعضها انه رآه في بعض سكك المدينة الى أنواع أخر

وكل حديث فيه ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعينه في الارض فهو كذب باتفاق المسلمين وعلمائهم هذا شيء لم يقله أحد من علماء المسلمين ولا رواه أحد منهم

وانما كان النزاع بين الصحابة في ان محمدا صلى الله عليه وسلم هل رأى ربه ليلة المعراج فكان ابن عباس رضي الله عنهما وأكثر علماء السنة يقولون ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه ليلة المعراج وكانت عائشة رضي الله عنها وطائفة معها تنكر ذلك ولم يرو عائشة رضي الله

عنها في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم شيئا ولا سأله عن ذلك ولا نقل في ذلك عن الصديق رضي الله عنه كما يرويه ناس من الجهال ان أباها سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال نعم وقال لعائشة لا فهذا الحديث كذب باتفاق العلماء ولهذا ذكر القاضي أبو يعلى وغيره أنه اختلف الرواية عن الامام أحمد رحمه الله هل يقال ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعيني رأسه أو يقال بعين قلبه أو يقال رآه ولا يقال بعين رأسه ولا بعين قلبه على ثلاث روايات

وكذلك الحديث الذي رواه أهل العلم انه قال رأيت ربي في صورة كذا وكذا يروى من طريق ابن عباس ومن طريق أم الطفيل وغيرهما وفيه أنه وضع يده بين كتفي حتى وجدت بردانا مله على صدري هذا الحديث لم يكن ليلة المعراج فان هذا الحديث كان بالمدينة وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم نام عن صلاة الصبح ثم خرج اليهم وقال رأيت كذا وكذا وهو من رواية من لم يصل خلفه الا بالمدينة كأم الطفيل وغيرها والمعراج انما كان من مكة باتفاق أهل العلم وبنص القرآن والسنة المتواترة كما قال الله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى

فعلم ان هذا الحديث كان رؤيا منام بالمدينة كما جاء مفسرا في كثير من طرقه انه كان رؤيا منام مع أن رؤيا الانبياء وحي لم يكن رؤيا يقظة ليلة المعراج وقد اتفق المسلمون على ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ير ربه بعينه في الارض وان الله لم ينزل له الى الارض وليس عن النبي

صلى الله عليه وسلم قط حديث فيه ان الله نزل له الي الارض

بل الاحاديث الصحيحة ان الله يدنو عشية عرفة وفي رواية الى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر ويقول من يدعوني فيستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له

وثبت في الصحيح ان الله يدنو عشية عرفة وفي رواية الى سماء الدنيا ويباهي الملائكة باهل عرفة فيقول انظروا الى عبادي أتوني شعثا غبرا ما اراد هؤلاء وقد روى ان الله ينزل ليلة النصف من شعبان ان صح الحديث فان هذا مما تكلم فيه أهل العلم

وكذلك ماروى بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل من حراء تبدى له ربه على كرسي بين السماء والارض غلط باتفاق أهل العلم بل الذي في الصحاح ان الذي تبدى له الملك الذي جاءه بحراء في أول مرة وقال له اقرأ فقلت لست بقارئ فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت لست بقارئ فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم فهذا أول مانزل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم جعل النبي صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي قال فبينا أنا أمشي اذ سمعت صوتا فرفعت رأسي فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والارض رواه جابر رضي الله عنه في الصحيحين فاخبر ان الملك الذي جاءه بحراء رآه بين السماء والارض وذكر أنه رعب منه فوقع في

بعض الروايات الملك فظن القرىء أنه الملك وانه الله وهذا غلط وباطل

وبالجملة ان كل حديث فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعينه في الارض وفيه انه نزل له الى الارض وفيه ان رياض الجنة من خطوات الحق وفيه انه وطئ على صخرة بيت المقدس كل هذا كذب باطل باتفاق علماء المسلمين من أهل الحديث وغيرهم

وكذلك كل من ادعى انه رأى ربه بعينه قبل الموت فدعواه باطل باتفاق أهل السنة والجماعة لانهم اتفقوا جميعهم على ان أحدا من المؤمنين لا يرى ربه بعينه رأسه حتى يموت وثبت ذلك في صحيح مسلم عن النواس ابن سمعان عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما ذكر الدجال قال واعلموا ان أحدا منكم لن يرى ربه حتى يموت وكذلك روى هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه أخر يحذر أمته فتنة الدجال وبين لهم ان أحدا منهم لن يري ربه حتى يموت فلا يظن أحد ان هذا الدجال الذي رآه هو ربه ولكن الذي يقع لاهل حقائق الايمان من المعرفة بالله ويقين القلوب ومشاهدتها وتجلياتها هو على مراتب كثيرة قال النبي صلى الله عليه وسلم لما سأله جبريل عليه السلام عن الاحسان قال الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك

وقد يرى المؤمن ربه في المنام في صور متنوعة على قدر ايمانه ويقينه فاذا كان ايمانه صحيحا لم يره الا في صورة حسنة واذا كان في ايمانه نقص رأى ما يشبه ايمانه ورؤيا المنام لها حكم غير رؤيا الحقيقة في اليقظة ولها تعبير وتأويل لما فيها من الامثال المضروبة للحقائق

(وقد) يحصل لبعض الناس في اليقظة أيضا من الرؤيا نظير ما يحصل للنائم في المنام فيرى بقلبه مثل ما يرى النائم * وقد يتجلى له من الحقائق ما يشهده بقلبه فهذا كله يقع في الدنيا

وربما غلب أحدهم ما يشهده قلبه وتجمع حواسه وظن انه رأى ذلك بعيني رأسه حتى يستيقظ فيعلم انه نائم وربما علم في المنام انه نائم

فهكذا من العباد من يحصل له مشاهدة قلبية تغلب عليه حتى تفنيه عن الشعور بحواسه فيظنها رؤية بعينه وهو غالط في ذلك وكل من قال من العباد المتقدمين أو المتأخرين انه رأى ربه بعيني رأسه فهو غالط في ذلك باجماع أهل العلم والايمان

نعم رؤية الله بالابصار هي للمؤمنين في الجنة وهي أيضا للناس في عرصات القيامة كما تواترت الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال انكم سترون ربكم كما ترون الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب وكما ترون القمر ليلة البدر صحوا ليس دونه سحاب وقال صلى الله عليه وسلم جنات الفردوس أربع جنات من ذهب آنيتهما وحليتهما وما فيهما وجنتان من فضة آنيتهما وحليتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الارداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن وقال صلى الله عليه وسلم اذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد يا أهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون ما هو ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار فيكشف الحجاب فينظرون اليه فما أعطاهم شيئا أحب اليهم من النظر اليه وهي الزيادة

وهذه الاحاديث وغيرها في الصحاح وقد تلقاها السلف والائمة بالقبول واتفق عليها أهل السنة والجماعة وانما يكذب بها أو يحرفها الجهمية ومن تبعهم من المعتزلة والرافضة ونحوهم الذين يكذبون بصفات الله تعالى ورؤيته وغير ذلك وهم المعطلة شرار الخلق والخليقة

ودين الله وسط بين تكذيب هؤلاء بما اخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم في الآخرة وبين تصديق الغالية بأنه يرى بالعيون في الدنيا وكلاهما باطل

وهؤلاء الذين يزعم أحدهم انه يراه بعيني رأسه في الدنيا هم ضلال كما تقدم فان ضموا الى ذلك أنهم يرونه في بعض الاشخاص اما بعض الصالحين أو بعض المردان أو بعض الملوك أو غيرهم عظم ضلالهم وكفرهم وكانوا حينئذ أضل من النصارى الذين يزعمون انهم رأوه في صورة عيسى ابن مريم بل هم أضل من اتباع الدجال الذي يكون في آخر الزمان ويقول للناس انا ربكم ويأمر السماء فتمطر والارض فتنبت ويقول للخربة اخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها وهذا هو الذي حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم أمته وقال ما من خلق آدم الى قيام الساعة فتنة أعظم من الدجال وقال اذا جلس أحدكم في الصلاة فليستعذ بالله من أربع ليقل اللهم اني أعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال فهذا ادعى الربوبية وأتى بشبهات فتن بها الخلق حتى قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم انه أعور وان ربكم ليس بأعور واعلموا ان

أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت فذكر لهم علامتين ظاهرتين يعرفهما جميع الناس لعلمه صلى الله عليه وسلم أن من الناس من يضل فيجوز أن يرى ربه في الدنيا في صورة البشر كهؤلاء الضلال الذين يعتقدون ذلك وهؤلاء قد يسمون الحلولية والاتحادية

وهم صنفان قوم يخصونه بالحلول أو الاتحاد في بعض الاشياء كما يقوله النصارى في المسيح عليه السلام والغالية في علي رضي الله عنه ونحوه وقوم في أنواع من المشايخ وقوم في بعض الملوك وقوم في بعض الصور الجميلة الى غير ذلك من الاقوال التي هي شر من مقالة النصارى

وصنف يعمون فيقولون بحلوله أو اتحاده في جميع الموجودات حتى الكلاب والخنازير والنجاسات وغيرها كما يقول ذلك قوم من الجهمية ومن تبعهم من الاتحادية كأصحاب ابن عربي وابن سبعين وابن الفارض والتلمساني والبلياني وغيرهم

ومذهب جميع المرسلين ومن تبعهم من المؤمنين وأهل الكتب ان الله سبحانه خالق العالمين ورب السموات والارض ومابينهما ورب العرش العظيم والخلق جميعهم عباده وهم فقراء اليه

وهو سبحانه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه ومع هذا فهو معهم أينما كانوا كما قال سبحانه وتعالى هو الذى خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم مايلج في الارض وما يخرج منها وماينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير

فهؤلاء الضلال الكفار الذين يزعم أحدهم انه يرى ربه بعينيه وربما زعم انه جالسه وحادثه أو صافحه وربما يعين أحدهم آدميا إما شخصا أو صبيا أو غير ذلك ويزعم انه كلمهم يستتابون فان تابوا وإلا ضربت أعناقهم وكانوا كفارا فانهم أكفر من اليهود والنصارى الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم فان المسيح رسول كريم وجيه عند الله في الدنيا والآخرة ومن المقربين فاذا كان الذين قالوا انه هو الله وانه اتحد به أو حل فيه قد كفرهم وعظم كفرهم بل الذين قالوا انه اتخذ ولدا حتى قال وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولداً وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبداً فكيف بمن يزعم في شخص من الاشخاص انه هو هذا اكفر من الغالية الذين يزعمون ان عليا رضي الله عنه أو غيره من أهل البيت هو الله

وهؤلاء هم الزنادقة الذين حرقهم علي رضي الله عنه بالنار وأمر باخاديد خدت لهم عند باب كندة وقذفهم فيها بعد ان أجلهم ثلاثا ليتوبوا فلما لم يتوبوا أحرقهم بالنار واتفق الصحابة رضي الله عنهم على قتلهم لكن ابن عباس رضي الله عنهما كان مذهبه أن يقتلوا بالسيف بلا تحريق وهو قول أكثر العلماء وقصتهم معروفة عند العلماء

(فصل) وكذلك الغلو في بعض المشايخ اما في الشيخ عدي ويونس القتى أو الحلاج وغيرهم بل الغلو في علي بن أبي طالب رضي الله عنه

ونحوه بل الغلو في المسيح عليه السلام ونحوه فكل من غلا في حي أو في رجل صالح كمثل علي رضي الله عنه أو عدي أو نحوه أو في من نعتقد فيه الصلاح كالحلاج أو الحاكم الذي كان بمصر أو يونس القتي ونحوهم وجعل فيه نوعا من الالهية مثل أن يقول كل رزق لا يرزقنيه الشيخ فلان ما أريده أو يقول اذا ذبح شاة باسم سيدي أو يعبده بالسجود له أو لغيره أو يدعوه من دون الله تعالى مثل أن يقول ياسيدي فلان اغفر لي أو ارحمني او انصرني أو ارزقني أو أغثني أو أجرني او توكلت عليك أو أنت حسبي أو انا في حسبك أو نحو هذه الأقوال والافعال التي هي من خصائص الربوبية التي لا تصلح الا لله تعالى وكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب والا قتل فان الله انما أرسل الرسل وأنزل الكتب لنعبد الله وحده لاشريك له ولا نجعل مع الله الها آخر

والذين كانوا يدعون مع الله آلهة أخرى مثل الشمس والقمر والكواكب والعزير والمسيح والملائكة واللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ويغوث ويعوق ونسرا وغير ذلك لم يكونوا يعتقدون انها تخلق الخلائق أو انها تنزل المطر أو انها تنبت النبات وانما كانوا يعبدون الانبياء والملائكة والكواكب والجن والتماثيل المصورة لهؤلاء أو يعبدون قبورهم ويقولون انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى

ويقولون هم شفعاؤنا عند الله فارسل الله رسله تنهي أن يدعى احد من دونه لادعاء عبادة ولا دعاء استغاثة وقال تعالي قل ادعوا الذين

زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا

قال طائفة من السلف كان اقوام يدعون المسيح وعزيرا والملائكة فقال الله لهم هؤلاء الذين تدعونهم يتقربون الى كما تتقربون ويرجون رحمتي كما ترجون رحمتي ويخافون عذابي كما تخافون عذابي وقال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له فاخبر سبحانه ان مايدعى من دون الله ليس له مثقال ذرة في الملك ولا شرك في الملك وانه ليس له من الخلق عون يستعين به وانه لاتنفع الشفاعة عنده الا باذنه

وقال تعالى وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيأ الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى وقال تعالى أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لايملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون وقال تعالى ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبؤن الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض الآية

وعبادة الله وحده هي اصل الدين وهو التوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب فقال تعالى واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون وقال تعالى ولقد بعثنا في

كل أمه رسولا أن اعـدوا الله واحدوا الطاعوب وقال امالى وما أرسلا من قلك من رسول الا نوحي اليه أنه لااله الا أنا فاعدون

وكان الىى صلى الله عله وسلم يحقق التوحيد و علمه أمه حتي قال له رحل ماساء الله وسئت فقال أجعلني لله ندا ىل ماساء الله وحده وقال لاتقولوا ماساء الله وشاء محمد ولكن ماساء الله ىم ماساء محمد ونهي عن الحلف بعير الله فقال من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت وقال من حلف بعير الله فقد أسرك وقال لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى بن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله

ولهذا اتفق العلماء على انه ليس لاحد ان يحلف بمخلوق كالكعبة ونحوها

ونهى النبى صلي الله عليه وسلم عن السجود له ولما سجد بعض أصحابه نهاه عن ذلك وقال لا يصلح السجود الا لله وقال لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لاحد لامرت المرأة أن تسجد لزوجها وقال لمعاذ بن جبل رضى الله عنه أرأيت لو مررت بقبري اكنت ساجدا له قال لا قال فلا تسجد لى

ونهي النبى صلي الله عليه وسلم عن اتخاذ القبور مساجد فقال فى مرض موته لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر مافعلوا قالت عائشة رضى الله عنها ولولا ذلك لابرز قبره ولكن كره أن يتخذ مسجدا وفى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال

قبل أن يموت بخمس إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا بيتي عيدا ولا بيوتكم قبورا وصلوا علي حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني ولهذا اتفق أئمة الاسلام على انه لا يشرع بناء المساجد على القبور ولا تشرع الصلاة عند القبور بل كثير من العلماء يقول الصلاة عندها باطلة

والسنة في زيارة قبور المسلمين نظير الصلاة عليهم قبل الدفن قال الله تعالى في كتابه عن المنافقين ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره فكان دليل الخطاب أن المؤمنين يصلى عليهم ويقام على قبورهم

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين نسأل الله لنا ولكم العافية اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم

وذلك أن من أكبر أسباب عبادة الأوثان كان التعظيم للقبور بالعبادة ونحوها قال الله تعالى في كتابه وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا

قال طائفة من السلف كانت هذه أسماء قوم صالحين فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم وعبدوها

ولهذا اتفق العلماء على أن من سلم على النبي صلى الله عليه وسلم عند قبره أنه لا يتمسح بحجرته ولا يقبلها لأن التقبيل والاستلام

يكون لاركان بيت الله الحرام ولا تشبه بات المخلوق بيت الخالق

وكذلك الطواف والصلاه والاجماع للعبادات انما تقصد في بيوت الله وهي المساجد التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ولا تقصد دون المخلوقين فتتخذ عيدا كما قال صلى الله عليه وسلم لاتتخذوا بيتي عيدا كل هذا لتحقيق التوحيد الذي هو أصل الدين ورأسه الذي لا يقبل الله عملا الا به ويغفر لصاحبه ولا يغفر لمن تركه وكما قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما

ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضل الكلام وأعظمه فاعظم آيه في القرآن آيه الكرسي الله لااله الا هو الحي القيوم لاتأخذه سنة ولا نوم وقال صلى الله عليه وسلم من كان آخر كلامه لااله الا الله دخل الجنة والاله الذي يألهه القلب عبادة له واستعانة ورجاء له وخشية واجلالا واكراما

(فصل) ومن ذلك الاقتصاد في السنة واتباعها كما جاءت بلا زيادة ولا نقصان مثل الكلام في القرآن وسائر الصفات فان مذهب سلف الامة وأهل السنة ان القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدا واليه يعود هكذا قال غير واحد من السلف روى عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار وكان من التابعين الاعيان قال مازلت أسمع الناس يقولون ذلك

والقرآن الذي أنزله الله على رسوله صلى الله عليه وسلم هو هذا

القرآن الذي يقرؤه المسلمون ويكتبونه في مصاحفهم وهو كلام الله لا كلام غيره وان تلاه العباد وبلغوه بحركاتهم وأصواتهم فان الكلام لمن قاله مبتدئا لا لمن قاله مبلغا مؤديا قال الله تعالى وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه وهذا القرآن في المصاحف كما قال تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ وقال تعالى يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة وقال انه لقرآن كريم في كتاب مكنون والقرآن كلام الله بحروفه ونظمه ومعانيه كل ذلك يدخل في القرآن وفي كلام الله واعراب الحروف هو من تمام الحروف كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فاعربه فله بكل حرف عشر حسنات وقال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما حفظ اعراب القرآن أحب الينا من حفظ بعض حروفه

واذا كتب المسلمون مصحفا فان أحبوا ان لا ينقطوه ولا يشكلوه جاز ذلك كما كان الصحابة يكتبون المصاحف من غير تنقيط ولا تشكيل لان القوم كانوا عربا لا يلحنون وهكذا هي المصاحف التي بعث بها عثمان رضي الله عنه الى الامصار في زمن التابعين

ثم فشا اللحن فنقطت المصاحف وشكلت بالنقط الحمر ثم شكلت بمثل خط الحروف فتنازع العلماء في كراهة ذلك وفيه خلاف عن الامام أحمد رحمه الله وغيره من العلماء قيل يكره ذلك لانه بدعة وقيل لا يكره للحاجة اليه وقيل يكره النقط دون الشكل لبيان الاعراب والصحيح انه لا بأس به

وا صدق عا ب عن الى صلى الله عله وسلم ان الله كام صوت ونادى آدم عله السلام صوت الي أمال دلك من الاحاديث فهده الحمله كان عليها سلف الامه وأئمة السنة

وقال أئمه السنه القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق حيث تلى وحيث كتب فلا يقال لتلاوة العبد بالقرآن انها مخلوقة لان دلك يدخل فيه القرآن المنزل ولا يقال غير مخلوقه لان دلك يدخل فيه أفعال العباد

ولم يقل قط احد من أئمة السلف ان اصوات العباد بالقرآن قديمة بل انكروا على من قال لفظ العبد بالقرآن غير مخلوق واما من قال ان المداد قديم فهدا من اجهل الناس وابعدهم عن السنه قال الله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا فاخبر ان المداد يكتب به كلماته

وكذلك من قال ليس القرآن في المصحف وانما في المصحف مداد وورق أو حكايه وعباره فهو مبتدع ضال بل القرآن الذى انزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم هو ما بين الدفتين والكلام في المصحف على الوجه الذى يعرفه الناس له خاصه يمتاز بها عن سائر الاشياء

وكذلك من زاد على السنة فقال ان ألفاظ العباد واصواتهم قديمة فهو مبتدع ضال كمن قال ان الله لا يتكلم بحرف ولا بصوت فانه أيضا مبتدع منكر للسنه

وكذلك من زاد وقال ان المداد قديم فهو ضال كمن قال ليس

في المصاحف كلام الله واما من زد على ذلك من الجهال الذين يقولون ان الورق والجلد والوتد وقطعه من الحائط كلام الله فهو بمنزلة من يقول ما تكلم الله بالقرآن ولا هو كلامه هذا الغلو من جانب الاثبات يقابل التكذيب من جانب النفي وكلاهما خارج عن السنة والجماعه

وكذلك افراد الكلام في النقطه والشكله بدعة نفيا واثباتا وانما حدثت هذه البدعه من مائة سنة أو أكثر بقليل فان من قال ان المداد الذي نقط به الحروف ويشكل به قديم فهو ضال جاهل ومن قال ان اعراب حروف القرآن ليس من القرآن فهو ضال مبتدع

بل الواجب أن يقال هذا القرآن العربي هو كلام الله وقد دخل في ذلك حروفه باعرابها كما دخلت معانيه ويقال ما بين اللوحين جميعه كلام الله فان كان المصحف منقوطا مشكولا أطلق على ما بين اللوحين جميعه انه كلام الله وان كان غير منقوط ولا مشكول كالمصاحف القديمة التي كتبها الصحابه كان أيضا ما بين اللوحين هو كلام الله فلا يجوز أن تلقى الفتن بين المسلمين بأمر محدث ونزاع لفظي لا حقيقة له ولا يجوز أن يحدث في الدين ما ليس منه

﴿ فصل ﴾ وكذلك يجب الاقتصاد والاعتدال في أمر الصحابه والقرابة رضي الله عنهم فان الله تعالى أثنى على أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم من السابقين والتابعين لهم باحسان وأخبر أنه رضي عنهم ورضوا عنه وذكرهم في آيات من كتابه مثل قوله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على

الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما وقال تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً

وفي الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه

وقد اتفق أهل السنة والجماعة على ما تواتر عن أمير المؤمنين على ابن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال خير هذه الامة بعد نبيها ابو بكر ثم عمر رضي الله عنهما واتفق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة عثمان بعد عمر رضي الله عنهما وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم تصير ملكا وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة

وكان أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه آخر الخلفاء الراشدين المهديين

وقد اتفق عامة أهل السنة من العلماء والعباد والامراء والاجناد على أن يقولوا أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم ودلائل ذلك وفضائل الصحابة كثير ليس هذا موضعه

وكذلك نؤمن بالامساك عما شجر بينهم ونعلم أن بعض المنقول في ذلك كذب وهم كانوا مجتهدين اما مصيبين لهم اجران أو مثابين على عملهم الصالح مغفور لهم خطؤهم وما كان لهم من السيئات وقد سبق لهم من الله الحسني فان الله يغفرها لهم اما بتوبة أو بحسنات ماحية أو مصائب مكفرة أو غير ذلك فانهم خير قرون هذه الامة كما قال صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم وهذه خير أمة أخرجت للناس

ونعلم مع ذلك ان علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان أفضل وأقرب الى الحق من معاوية وممن قاتله معه لما ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين تقتلهم أدنى الطائفتين الي الحق وفي هذا الحديث دليل على أنه مع كل طائفة حق وان عليا رضي الله عنه أقرب الي الحق

وأما الذين قعدوا عن القتال في الفتنة كسعد بن أبي وقاص وابن عمر وغيرهما رضي الله عنهم فاتبعوا النصوص التي سمعوها في ذلك عن القتال في الفتنة وعلى ذلك أكثر أهل الحديث

وكذلك آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم من الحقوق

مالحب رعايتها فان الله جعل لهم حقاً في الخمس والفيء وأمر بالصلاة عليهم مع الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لنا قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد وآل محمد هم الذين حرمت عليهم الصدقة هكذا قال الشافعي وأحمد ابن حنبل وغيرهما من العلماء رحمهم الله فان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الصدقة لاتحل لمحمد ولا لآل محمد وقد قال الله تعالى في كتابه انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وحرم الله عليهم الصدقة لانها أوساخ الناس وقد قال بعض السلف حب أبي بكر وعمر ايمان وبغضهما نفاق وفي المسانيد والسنن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للعباس لما شكا اليه جفوة قوم لهم قال والذي نفسي بيده لايدخلون الجنة حتى يحبوكم من أجلي

وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله اصطفى بني اسماعيل واصطفى بني كنانة من بني اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى بني هاشم من قريش واصطفاني من بني هاشم

وقد كانت الفتنة لما وقعت بقتل عثمان وافتراق الامة بعده صار قوم ممن يحب عثمان ويغلو فيه ينحرف عن عليّ رضي الله عنه مثل كثير من أهل الشام ممن كان اذ ذاك يسب علياً رضي الله عنه ويبغضه

وقوم ممن يحب علياً رضي الله عنه ويغلو فيه ينحرف عن عثمان رضي الله عنه مثل كثير من أهل العراق ممن كان يبغض عثمان ويسبه

رضي الله عنه

ثم تعاطت بدعتهم بعد ذلك حتى سبوا أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وزاد البلاء بهم حينئذ

والسنة محبة عثمان وعلي جميعا وتقديم أبي بكر وعمر عليهما رضي الله عنهم لما خصهما الله به من الفضائل التي سبقا بها عثمان وعليا جميعا وقد نهى الله في كتابه عن التفرق والتشتت وأمر بالاعتصام بحبله

فهذا موضع يجب على المؤمن أن يثبت فيه ويعتصم بحبل الله فإن السنة مبناها على العلم والعدل والاتباع لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

فالرافضة لما كانت تسب الصحابة صار العلماء يأمرون بعقوبة من سب الصحابة ثم كفرت الصحابة وقالت عنهم أشياء قد ذكرنا حكمهم فيها في غير هذا الموضع

ولم يكن أحد إذ ذاك يتكلم في يزيد بن معاوية ولا كان الكلام فيه من الدين ثم حدثت بعد ذلك أشياء فصار قوم يظهرون لعنة يزيد ابن معاوية وربما كان غرضهم بذلك التطرق إلى لعنة غيره فكره أكثر أهل السنة لعنة أحد بعينه فسمع بذلك قوم ممن كان يتسنن فاعتقد أن يزيد كان من كبار الصالحين وأئمة الهدى وصار الغلاة فيه على طرفي نقيض هؤلاء يقولون إنه كافر زنديق وإنه قتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وقتل الأنصار وأبناءهم بالحرة ليأخذ بثأر أهل بيته الذين قتلوا كفارا مثل جده لأمه عتبة بن ربيعة وخاله الوليد

وعىرها وىد كروں عـىه ىں الاسىهار ىشرب الخمر واطهار العواحش أسـياء وأقوام يعتقدون أىه كاں اماما عادلا هاديا مهـديا واىه كاں مں الصحابة أو أكابر الصحابة واىه كاں مں أوليا الله ىعالى وربما اعتقد ىعصهم اىه كاں مں الانىياء ويقولوں مں وقف فى ىرىد وقفه الله على ىار حهىم ويروون عں الشيخ حسـں ں عـدى اىه كاں كدا وكدا ولياً وقفوا على النار لقولهم فى ىرىد وفى رمں الشيخ حسں رادوا أسـياء ىاطله ىطماً وىثراً وغلوا فى الشيخ عدى وفى يرىد ىاشياء ىخالفه لما كاں علىه الشيخ عدى الكبير قدس الله روحه فاں طريقته كاىت سليمة لم يكں فيها مں هده البدع واىىلوا ىرواقص عادوهم وقتلوا الشيخ حسىا وحرت فتں لايحبها الله ولا رسوله

وهـدا الغلو فى ىريد مں الطرفىں حـلاف لما أجمع علىـه أهل العلم بالايمـاں

فاں ىريد ىں معاوية ولد في حلافة عثماں ىں عفاں رضى الله عىه ولم يدرك الىى صلى الله علىه وسلم ولا كاں مں الصحاىه ىاتفاق العلماء ولا كاں مں المشهورين ىالدىں والصلاح وكاں مں شـىاں المسلمىں ولا كاں كافراً ولا رىديقاً وتولى ىعد اىيه على كراهة مں ىعض المسلمىں ورضا مں ىعضهم وكاں فيه شجاعة وكرم ولم يكں مطهراً للفواحش كما يحكي عىه حصومه

وحرت فى امارته أمور عطيمه أحـدها مقىل الحسىں رضى الله عىه وهو لم يأمر ىقىل الحسىں ولا أطهر الفرح ىقىله ولا ىكب ىالمصحف

على ساباه رضى الله عنه ولا حمل رأس الحسين رضى الله عنه الى الشام لكن أمر بمنع الحسين رضى الله عنه وبدفعه عن الامر ولو كان بقتاله وزاد النواب على أمره وحض الشمر ذي الجوشن على قتله لعبيد الله ابن زياد فاعتدي عليه عبيد الله بن زياد فطلب منهم الحسين رضى الله عنه ان يجيء الى يزيد أو يذهب الى الثغر مرابطاً او يعود الى مكة فمنعوه رضى الله عنه الا أن يستأسر لهم وأمر عمر بن سعد بقتاله فقتلوه مظلوما له ولطائفة من أهل بيته رضى الله عنهم

وكان قتله رضي الله عنه من المصائب العظيمة فان قتل الحسين وقتل عثمان قبله كانا من أعظم أسباب الفتن في هذه الامة وقاتلهما من شرار الخلق عند الله ولما قدم أهلهم رضى الله عنهم على يزيد بن معاوية أكرمهم وسيرهم الى المدينة وروى عنه انه لعن زيادا على قتله وقال كنت أرضى من طاعة أهل العراق بدون قتل الحسين لكنه مع هذا لم يظهر منه انكار قتله والانتصار له والاخذ بثاره كان هو الواجب عليه فصار أهل الحق يلومونه على تركه للواجب مضافا الى أمور أخري وأما خصومه فيزيدون عليه من الفرية أشياء

وأما الامر الثاني فان أهل المدينة النبوية نقضوا بيعته وأخرجوا نوابه وأهله فبعث اليهم جيشاً وامره اذا لم يطيعوه بعد ثلاث أن يدخلها بالسيف ويبيحها ثلاثا فصار عسكره في المدينة النبوية ثلاثا يقتلون وينهبون ويفتضون الفروج المحرمة ثم ارسل جيشاً الي مكة المشرفة

فحاصروا مكة وتوفي يزيد وهم محاصرون مكة وهذا من العدوان والظلم الذي فعل أمره

ولهذا كان الذي عليه معتقد أهل السنة وأئمة الامة أنه لا يسب ولا يحب قال صالح بن أحمد بن حنبل قلت لأبي ان قوما يقولون انهم يحبون يزيد قال يا بني وهل يحب يزيد أحد يؤمن بالله واليوم الآخر فقلت يا أبتي فلماذا لا تلعنه قال يا بني ومتى رأيت اباك يلعن أحداً

وروى عنه قيل له تكتب الحديث عن يزيد بن معاوية فقال لا ولا كرامة او ليس هو الذي فعل بأهل المدينة مافعل

فيزيد عند علماء أئمة المسلمين ملك من الملوك لا يحبونه محبة الصالحين وأولياء الله ولا يسبونه فانهم لا يحبون لعنة المسلم المعين لما روى البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلا كان يدعى حمارا وكان يكثر شرب الخمر وكان كلما اتي به الى النبي صلى الله عليه وسلم ضربه فقال رجل لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله

ومع هذا فطائفة من أهل السنة يجيزون لعنه لانهم يعتقدون انه فعل من الظلم ما يجوز لعنة فاعله وطائفة أخرى ترى محبته لانه مسلم تولى على عهد الصحابة وبايعه الصحابة ويقولون لم يصح عنه مانقل عنه وكانت له محاسن ولم يصح عنه ماقيل عنه أوكان مجتهدا فيما فعله

والصواب هو ما عليه الأئمة من انه لم يخص بمحبة ولا يلعن ومع هذا فان كان فاسقا أو ظالما فالله يغفر الفاسق والظالم لاسيما اذا اتى بحسنات

عطيـة

وقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور له وأول جيش غزاها كان أميرهم يزيد بن معاوية وكان معه أبو أيوب الانصاري رضي الله عنه

وقد تشتبه يزيد بن معاوية بعمه يزيد بن أبي سفيان فان يزيد بن أبي سفيان كان من الصحابة وكان من خيار الصحابة وهو خير آل حرب وكان احد أمراء الشام الذين بعثهم ابو بكر رضي الله عنه في فتوح الشام ومشى أبو بكر في ركابه بوصيه مشيعاله فقال له ياخليفة رسول الله اما ان تركب واما أن أنزل فقال لست براكب ولست بنازل اني أحتسب خطاي هذه في سبيل الله فلما توفي بعد فتوح الشام في خلافة عمر ولى عمر رضي الله عنه مكانه أخاه معاوية وولد له يزيد في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه واقام معاوية بالشام الي أن وقع ماوقع

فالواجب الاقتصار في ذلك والاعراض عن ذكر يزيد بن معاوية وامتحان المسلمين به فان هذا من البدع المخالفة لاهل السنة والجماعة فانه بسبب ذلك اعتقد قوم من الجهال أن يزيد بن معاويه من الصحابة وانه من أكابر الصالحين وائمة العدل وهو خطأ بين

(فصل) وكذلك التفريق بين الامة وامتحانها بما لم يأمر الله به ولا رسوله مثل أن يقال للرجل أنت شكيلي أو قرفندي فان هذه أسماء باطلة ما أنزل الله بها من سلطان وليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا في الآثار المعروفة عن سلف الأمة لا شكيلي ولا قرفندي والواجب

على المسلم اذا سئل عن ذلك أن يقول لا أنا شكيلي ولا قرفندي بل أنا مسلم متبع لكتاب الله وسنة رسوله

وقد روينا عن معاوية بن أبي سفيان انه سأل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقال أنت على ملة علي أو ملة عثمان فقال لست على ملة علي ولا على ملة عثمان بل انا على ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك كان كل من السلف يقولون كل هذه الاهواء في النار ويقول أحدهم ما أبالي أي النعمتين أعظم علي ان هداني الله للاسلام أو ان جنبني هذه الاهواء والله تعالى قد سمانا في القرآن المسلمين المؤمنين عباد الله فلا نعدل عن الاسماء التي سمانا الله بها الى اسماء احدثها قوم وسموها هم وآباؤهم ما أنزل الله بها من سلطان

بل الاسماء التي قد يسوغ التسمي بها مثل انتساب الناس الى امام كالحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي أو الى شيخ كالقادري والعدوي ونحوهم أو مثل الانتساب الى القبائل كالقيسي واليماني والى الامصار كالشامي والعراقي والمصري

فلا يجوز لاحد أن يمتحن الناس بها ولا يوالي بهذه الاسماء ولا يعادي عليها بل أكرم الخلق عند الله أتقاهم من أي طائفة كان

وأولياء الله الذين هم أولياؤه هم الذين آمنوا وكانوا يتقون فقد أخبر سبحانه ان أولياءه هم المؤمنون المتقون وقد بين المتقين في قوله تعالى ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال

على حبه ذوي القربي واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون والتقوى هي فعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن حال أولياء الله وما صاروا به أولياء، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب الي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه

فقد ذكر في هذا الحديث ان التقرب الى الله تعالى على درجتين * احداهما التقرب اليه بالفرائض * والثانية هي التقرب الى الله بالنوافل بعد أداء الفرائض * فالأولى درجة المقتصدين الأبرار أصحاب اليمين * والثانية درجة السابقين المؤمنين كما قال الله تعالى ان الأبرار لفي نعيم على الأرائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون

قال ابن عباس رضي الله عنهما يمزج لأصحاب اليمين مزجا ويشربه

المقربون صرفا

وقد ذكر الله هذا المعنى في عدة مواضع من كتابه فكل من آمن بالله ورسوله واتقى الله فهو من أولياء الله

والله سبحانه قد أوجب موالاة المؤمنين بعضهم لبعض وأوجب عليهم معاداة الكافرين فقال تعالى ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لايهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ماأسروا في أنفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد أيمانهم انهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم و يحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون

فقد أخبر سبحانه ان ولي المؤمن هو الله ورسوله وعباده المؤمنون وهذا عام في كل مؤمن موصوف بهذه الصفة سواء كان من أهل نسبة أو بلدة أو مذهب أو طريقة أو لم يكن وقال الله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض وقال تعالى ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم

في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض الى قوله والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وقال تعالى وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا الى قوله تعالى فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون

وفي الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وفي الصحاح أيضاً أنه قال المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه وفي الصحاح أيضاً أنه قال والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وقال صلى الله عليه وسلم المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه وأمثال هذه النصوص في الكتاب والسنة كثيرة

وقد جعل الله فيها عباده المؤمنين بعضهم أولياء بعض وجعلهم إخوة وجعلهم متناصرين متراحمين متعاطفين وأمرهم سبحانه بالائتلاف ونهاهم عن الافتراق والاختلاف فقال واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا

وقال إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء إنما أمرهم الى الله الآية

وكيف يجوز مع هذا لأمة محمد صلى الله عليه وسلم أن تفترق

ويختان حتى يوالي الرجل طائفة ويعادي طائفة أخرى بالظن والهوى بلا برهان من الله تعالى وقد برأ الله نبيه صلى الله عليه وسلم ممن كان هكذا

فهذا فعل أهل البدع كالخوارج الذين فارقوا جماعة المسلمين واستحلوا دماء من خالفهم

وأما أهل السنة والجماعة فهم معتصمون بحبل الله وأقل ما في ذلك أن يفضل الرجل من يوافقه على هواه وإن كان غيره أتقى لله منه

وإنما الواجب أن يقدم من قدمه الله ورسوله ويؤخر من أخره الله ورسوله ويحب ما أحبه الله ورسوله ويبغض ما أبغضه الله ورسوله وينهى عما نهى الله عنه ورسوله وأن يرضى بما رضي الله به ورسوله وأن يكون المسلمون يداً واحدة فكيف إذا بلغ الأمر ببعض الناس إلى أن يضلل غيره ويكفره وقد يكون الصواب معه وهو الموافق للكتاب والسنة ولو كان أخوه المسلم قد أخطأ في شيء من أمور الدين فليس كل من أخطأ يكون كافراً ولا فاسقاً بل قد عفا الله لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان وقد قال تعالى في كتابه في دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا وثبت في الصحيح أن الله قال قد فعلت

لا سيما وقد يكون من يوافقكم في أخص من الإسلام مثل أن يكون مثلكم على مذهب الشافعي او منتسباً الى الشيخ عدي ثم بعد

هذا بد يخالف في سيء وربما كان الصواب معه فكيف استحل عرضه ودمه أو ماله مع ماورد دكر الله تعالى من حقوق المسلم والمؤمن

وكيف يحور التفريق من الامة باسماء مبتدعة لاأصل لها في كتاب الله ولا سنه رسوله صلى الله عليه وسلم

وهدا التفريق الدى حصل من الامة علمائها ومشايخها وأمرائها وكبرائها هو الدى أوجب تسلط الاعداء عليها وذلك بتركهم العمل بطاعة الله ورسوله كما قال تعالى ومن الدين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما دكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء

فمتى ترك الناس بعض ما أمرهم الله به وقعت بينهم العداوة والبغضاء واذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا واذا اجتمعوا صلحوا وملكوا فان الجماعة رحمه والفرقه عذاب

وجماع ذلك في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا الى قوله ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون

فمن الامر بالمعروف الامر بالائتلاف والاجتماع والنهى عن الاختلاف والفرقه ومن النهى عن المنكر اقامه الحدود على من خرج من شريعة الله تعالى

فمن اعتقد في بشر انه اله أو دعا ميتاً أوطلب منه الرزق والنصر والهدايه وتوكل عليه أو سجد له فانه يستتاب فان تاب والا ضربت عنقه

ومن فضل أحداً من المشائخ على النبي صلى الله عليه وسلم أو اعتقد أن احدا يستغني عن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم استتيب فان تاب والا ضربت عنقه

وكذلك من اعتقد ان أحداً من أولياء الله يكون مع محمد صلى الله عليه وسلم كما كان الخضر مع موسى عليه السلام فانه يستتاب فان تاب والا ضربت عنقه لان الخضر لم يكن من أمة موسى عليه السلام ولا كان يجب عليه طاعته بل قال له اني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه وكان مبعوثا الى بني اسرائيل كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة

ومحمد صلى الله عليه وسلم مبعوث الى جميع الثقلين انسهم وجنهم فمن اعتقد انه يسوغ لاحد الخروج عن شريعته وطاعته فهو كافر يجب قتله

وكذلك من كفر المسلمين أو استحل دماءهم وأموالهم ببدعة ابتدعها ليست في كتاب الله ولا سنة رسوله فانه يجب نهيه عن ذلك وعقوبته بما يزجره ولو بالقتل أو القتال فانه اذا عوقب المعتدون من جميع الطوائف وأكرم المتقون من جميع الطوائف كان ذلك من أعظم الاسباب التي ترضي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وتصلح أمر المسلمين ويجب على أولي الامر وهم علماء كل طائفة وأمراؤها ومشايخها أن يقوموا على عامتهم ويأمروهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر ويأمروهم

ثـا امر الله به ورسوله وينهونهم عما نهى الله عـنه ورسوله صلى الله عليه وسلم

فالاول مثل شرائع الاسلام وهي الصلوات الخمس فى مواقيتها واقامة الجمعـة والجماعات من الواجبات والسنن الراتبات كالاعياد وصـلاة كسوف والاستسقاء والتراويح وصـلاة الجنائز وغير ذلك وكذلك الصدقات المشروعة والصوم المشروع وحج البيت الحرام ومثل الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والايمان بالقدر خيره وشره ومثل الاحسان وهو ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ومثل سـائر ماأمر الله به ورسوله من الامور الباطنـة والظاهرة ومثل اخلاص الدين لله والتوكل على الله وأن تكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما والرجاء لرحمة الله والخشية من عذابه والصـبر لحكم الله والتسليم لامر الله ومثل صدق الحديث والوفاء بالعهود وأداء الامانات الي أهلها وبر الوالدين وصـلة الارحام والتعاون على البر والتقوى والاحسان الى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والصاحب والزوجة والمملوك والعدل في المقال والفعال ثم الندب الي مكارم الاخلاق مثل ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك قال الله تعالي وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فاجره على الله انه لايحب الظالمين ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ماعليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق أولئك لهـم عذاب أليم ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور

وأما المنكر الذي نهى الله عنه ورسوله فاعظمه الشرك بالله وهو أن يدعو مع الله الها آخر أما الشمس واما القمر أو الكواكب أو ملكا من الملائكة او نبيا من الانبياء أو رجلا من الصالحين أو أحداً من الجن أو تماثيل هؤلاء أو قبورهم أو غير ذلك مما يدعى من دون الله تعالى أو يستغاث به أو يسجد له فكل هذا وأشباهه من الشرك الذي حرمه الله على لسان جميع رسله

وقد حرم الله قتل النفس بغير حقها وأكل أموال الناس بالباطل اما بالغصب واما بالربا أو الميسر كالبيوع والمعاملات التي نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك قطيعة الرحم وعقوق الوالدين وبخس المكيال والميزان والاثم والبغي بغير الحق

وكذلك ماحرمه الله تعالى أن يقول الرجل على الله مالا يعلم مثل أن يروى عن الله ورسوله أحاديث يجزم بها وهو لا يعلم صحتها أو يصف الله بصفات لم ينزل بها كتاب من الله ولا اثارة من علم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء كانت من صفات النفي والتعطيل مثل قول الجهمية انه ليس فوق العرش ولا فوق السموات وانه لا يرى في الآخرة وانه لا يتكلم ولا يحب ونحو ذلك مما كذبوا به الله ورسوله أو كانت من صفات الاثبات والتمثيل مثل من يزعم انه يمشي في الارض أو يجالس الخلق أو انهم يرونه باعينهم أو ان السموات تحويه وتحيط به أو انه سار في مخلوقاته الى غير ذلك من أنواع الفرية على الله

وكذلك العبادات المبتدعة التي لم يشرعها الله ورسوله صلى الله عليه

وسلم كما قال تعالى أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله فان الله شرع لعباده المؤمنين عبادات فاحدث لهم الشيطان عبادات ضاهى بها تلك فانه شرع لهم عبادة الله وحده لاشريك له فشرع لهم شركاء وهي عبادة ماسواه والاشراك به وشرع لهم الصلوات الخمس وقراءة القرآن فيها والاستماع له والاجتماع لاستماع القرآن خارج الصلاة أيضاً فاول سورة أنزلها على نبيه صلى الله عليه وسلم اقرأ باسم ربك الذى خلق أمر فى أولها بالقراءة وفى آخرها بالسجود بقوله تعالى فاسجد واقترب

ولهذا كان أعظم الاذكار التي فى الصلاة قراءة القرآن وأعظم الافعال السجود لله وحده لاشريك له وقال تعالى وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا وقال تعالي واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمعوا امروا واحداً منهم ان يقرأ والباقي يستمعون وكان عمر بن الخطاب يقول لابى موسى رضى الله عنهما ذكرنا ربنا فيقرأوهم يستمعون ومر النبى صلى الله عليه وسلم بابى موسي رضى الله عنه وهو يقرأ فجعل يستمع لقراءته وقال يأبا موسى مررت بك البارحة فجعلت استمع قراءتك فقال لو علمت لحبرته لك تحبيراً وقال لله اشد اذنا أى استماعا الى الرجل يحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة الى قينته

وهذا هو سماع المؤمنين وسلف الامة واكابر المشايخ كمعروف

الكرخي والفضيل بن عياض وأبي سليمان الداراني ونحوهم وهو سماع المتأخرين من الأكابر كالشيخ عبد القادر والشيخ عدي بن مسافر والشيخ أبي مدين وغيرهم من المشايخ رحمهم الله وأما المشركون فكان سماعهم كما ذكره الله تعالى في كتابه بقوله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية

قال السلف المكاء الصفير والتصدية التصفيق باليد فكان المشركون يجتمعون في المسجد الحرام يصفقون ويصوتون يتخذون ذلك عبادة وصلاة فذمهم الله على ذلك وجعل ذلك من الباطل الذي نهي عنه

فمن اتخذ نظير هذا السماع عبادة وقربة يتقرب بها الى الله فقد ضاهى هؤلاء في بعض أمورهم وكذلك لم تفعله القرون الثلاثة التي اثنى عليها النبي صلى الله عليه وسلم ولا فعله أكابر المشايخ

وأما سماع الغناء على وجه اللعب فهذا من خصوصية الافراح للنساء والصبيان كما جاءت به الآثار فان دين الاسلام واسع لا حرج فيه

وعماد الدين الذي لا يقوم الا به هو الصلوات الخمس المكتوبات

ويجب على المسلمين من الاعتناء بها ما لا يجب من الاعتناء بغيرها

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب الى عماله ان أهم أمركم عندي الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ومن ضيعها كان لما سواها من عمله أشد اضاعة

وهي اول ما أوجبه الله من العبادات والصلوات الخمس تولى الله ايجابها بخطابه رسوله ليلة المعراج وهي آخر ما وصى به النبي صلى الله

عليه وسلم أمته وقت فراق الدنيا جعل يقول الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم وهي أول مايحاسب عليه العبد من عمله وآخر مايفقد من الدين فاذا ذهبت ذهب الدين كله وهي عمود الدين فمتى ذهبت سقط الدين

قال النبي صلى الله عليه وسلم رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله وقد قال الله في كتابه فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وغيره اضاعتها تأخيرها عن وقتها ولو تركوها كانوا كفاراً وقال تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطي والمحافظة عليها فعلها في أوقاتها وقال تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون وهم الذين يؤخرونها حتي يخرج الوقت

وقد اتفق المسلمون على أنه لايجوز تأخير صلاة النهار الى الليل ولا تأخير صلاة الليل الى النهار لا لمسافر ولا لمريض ولا غيرهما لكن يجوز عند الحاجة أن يجمع المسلم بين صلاتى النهار وهي الظهر والعصر فى وقت احداهما ويجمع بين صلاتي الليل وهي المغرب والعشاء في وقت احداهما وذلك لمثل المسافر والمريض وعند المطر ونحو ذلك من الأعذار

وقد أوجب الله على المسلمين أن يصلوا بحسب طاقتهم كما قال الله تعالى فاتقوا الله مااستطعتم فعلى الرجل أن يصلي بطهارة كاملة وقراءة كاملة وركوع وسجود كامل فان كان عادما للماء أو يتضرر باستعماله لمرض أو برد أوغير ذلك وهو محدث أوجنب تيمم الصعيد الطيب وهو التراب يمسح به وجهه ويديه ويصلي ولا يؤخرها عن وقتها باتفاق العلماء

وكذلك اذا كان محبوساً أو مقيداً أو زمناً أو غير ذلك صلى على حسب حاله واذا كان بازاء عدو صلى أيضاً صلاة الخوف قال الله تعالى واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك الى قوله وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم الى قوله فاذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا

ويجب على أهل القدرة من المسلمين ان يأمروا بالصلاة كل أحد من الرجال والنساء حتى الصبيان

قال النبي صلى الله عليه وسلم مروهم بالصلاة لسبع واضربوهم على تركها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع

والرجل البالغ اذا امتنع من صلاة واحدة من الصلوات الخمس أو ترك بعض فرائضها المتفق عليها فانه يستتاب فان تاب والا قتل

فمن العلماء من يقول يكون مرتداً كافراً لا يصلى عليه ولا يدفن بين المسلمين ومنهم من يقول يكون كقاطع الطريق وقاتل النفس والزاني المحصن وامر الصلاة عظيم شأنها أن تذكر ههنا فانها قوام الدين وعماده وتعظيمه تعالى لها في كتابه فوق جميع العبادات فانه سبحانه يخصها بالذكر تارة ويقرنها بالزكاة تارة وبالصبر تارة وبالنسك تارة كقوله تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وقوله واستعينوا بالصبر والصلاة وقوله فصل لربك وانحر وقوله ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين

لا شريك له وبذلك أمرت وانا اول المسلمين وتارة تفتتح بها أعمال البر ويختتم بها كما ذكره في سورة سأل سائل وفي أول سورة المؤمنين قال تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أوما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون

وسأل الله العظيم أن يجعلنا واياكم من الذين يرثون الفردوس
هم فيها خالدون والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا
محمد وآله وصحبه وسلم
تسليماً كثيرا

تمت الرسالة السابعة

ويليها الرسالة الثامنة أصلها

بسم الله الرحمن الرحيم

سؤال ورد على الشيخ تقي الدين رضي الله عنه من الديار المصرية في شوال سنة أربع عشرة وسبعمائة في حسن ارادة الله تعالى لخلق الخلق وانشاء الانام وهل يخلق لعلة أو لغير علة فان قيل لا لعلة فهو عبث تعالى الله عنه وان قيل لعلة فان قلتم انها لم تزل لزم أن يكون المعلول لم يزل وان قلتم انها محدثة لزم أن يكون لها علة والتسلسل محال

الجواب * الحمد لله رب العالمين * هذه المسألة من أجل المسائل الكبار التي تكلم فيها الناس وأعظمها شعوبا وفروعا وأكثرها شبهاً ومحارات فان لها تعلقاً بصفات الله تعالى وأسمائه وأفعاله وأحكامه من الامر والنهي والوعد والوعيد وهي داخلة في خلقه وأمره فكل ما في الوجود متعلق بهذه المسأله فان المخلوقات جميعها متعلقة بها وهي متعلقة بالخالق سبحانه وكذلك الشرائع كلها الامر والنهي والوعد والوعيد متعلق بها وهي متعلقة بمسائل القدر والامر ومسائل الصفات والافعال وهذه جوامع علوم الناس فعلم الفقه هو الامر والنهي

وقد تكلم الناس في تعليل الاحكام الشرعيه والامر والنهي كالامر بالتوحيد والصدق والعدل والصلاه والزكاة والصيام والحج والنهي عن الشرك والكذب والظلم والفواحش هل أمر بذلك لحكمة ومصلحة وعلة اقتضت ذلك أم ذلك لمحض المشيئة وصرف الاراده وهل علل الشرع بمعنى الداعي والباعث أو بمعنى الامارة والعلامة

وهل يسوغ في الحكمه أن ينهى الله عن التوحيد والصدق والعدل

ويأمر بالشرك والكذب والظلم أم لا

وتكلم الناس في تنزيه الله تعالى عن الظلم هل هو منزه عنه مع قدرته عليه أم الظلم ممتنع لنفسه لا يمكن وقوعه وتكلموا في محبة الله ورضاه وغضبه وسخطه هل هو بمعنى ارادته وهو الثواب والعقاب المخلوق أم هذه صفات أخص من الارادة

وتنازعوا فيما وقع في الارض من الكفر والفسوق والعصيان هل يريده ويحبه ويرضاه كما يريد ويحب سائر ما يحدث أم هو واقع بدون قدرته ومشيئته وهو لا يقدر أن يهدي ضالا ولا يضل مهتديا أم هو واقع بقدرته ومشيئته ولا يكون في ملكه ما لا يريد وله في جميع خلقه حكمة بالغة وهو يبغضه ويكرهه ويمقت فاعله ولا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر ولا يريده الارادة الدينية المتضمنة لمحبته ورضاه وان اراده الارادة الكونية التي تتناول ما قدره وقضاه وفروع هذه المسألة كثيرة ولاجل تجاذب الاصل ووقوع الاشتباه فيه صار الناس فيه الى التقديرات الثلاثة المذكورة في سؤال السائل وكل تقدير قال به طوائف من بني آدم من المسلمين وغير المسلمين

(فالتقدير الاول) هو قول من يقول خلق المخلوقات وأمر بالمأمورات لا لعلة ولا لداع ولا باعث بل فعل ذلك لمحض المشيئة وصرف الارادة وهذا قول كثير ممن يثبت القدر وينتسب الى السنة من أهل الكلام والفقه وغيرهم وقد قال بهذا طوائف من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم وهو قول الاشعري وأصحابه وقول كثير من نفاة القياس

الظاهرية كابن حزم وأمثاله

ومن حجة هؤلاء انه لو خلق الخلق لعلة لكان ناقصاً بدونها مستكملاً بها فانه اما أن يكون وجود تلك العلة وعدمها بالنسبة اليه سواء أو يكون وجودها اولى به فان كان الاول امتنع أن يفعل لاجلها وان كان الثاني ثبت ان وجودها أولي به فيكون مستكملاً بها فيكون قبلها ناقصاً

ومن حججهم ماذكره السائل من أن العلة ان كانت قديمة وجب قدم المعلول لان العلة الغائية وان كانت متقدمة على المعلول في العلم والقصد كما قال اول الفكرة آخر العمل وأول البغية آخر الدرك فهي ان العلة الغائية بها صار الفاعل فاعلا ولا ريب أنها متأخرة في الوجود عن الفعل فمن فعل فعلا لمطلوب يطلبه بذلك الفعل كان حصول المطلوب بعد الفعل فاذا قدر أن ذلك المطلوب الذي هو العلة قديماً كان الفعل قديماً بطريق الاولى فلو قيل انه فعل لعلة قديمة لزم أن لايحدث شيء من الحوادث وهو خلاف المشاهدة وان قيل انه فعل لعلة حادثة لزم محذوران أحدهما أن يكون محلا للحوادث فان العلة ان كانت منفصلة عنه فان لم يعد اليه منها حكم امتنع أن تكون وجودها أولى به من عدمها واذا قدر أنه عاد اليه منها حكم كان ذلك حادثاً فيقوم به الحوادث والمحذور الثاني ان ذلك يستلزم التسلسل من وجهين أحدهما أن تلك العلة الحادثة المطلوبة بالفعل هي أيضاً مما يحدثه الله بقدرته ومشيئته فان كانت لغير علة لزم العبث كما تقدم وان كان

لعله عاد الا قسم فيها فاذا كان كلما أحدثه أحدثه لعلة والعلة مما أحدثه لزم تسلسل الحوادث الثاني ان تلك العلة اما أن تكون مرادة لنفسها أولعلة أخرى فان كانت مرادة لنفسها امتنع حدوثها لان ماأراده الله تعالى لذاته وهو قادر عليه لا تؤخر احداثه وان كانت مرادة لغيرها فالقول في ذلك الغير كالقول فيها ويلزم التسلسل وهذا ونحوه من حجج من ينفي تعليل أفعال الله تعالى وأحكامه

والتقدير الثاني قول من يجعل العلة الغائية قديمة كما يجعل العلة الفاعلية قديمة كما تقول ذلك طوائف من المسلمين كما سيأتي بيانه كما يقول ذلك من يقوله من المتفلسفة القائلين بقدم العالم وهؤلاء أصل قولهم ان المبدع للعالم علة تامة تستلزم معلولها لايجوز أن يتأخر عنها معلولها وأعظم حججهم قولهم ان جميع الامور المعتبرة في كونه فاعلا ان كانت موجودة في الازل لزم وجود المفعول في الازل لان العلة التامة لايتأخر عنها معلولها فانه لو تأخر لم تكن جميع شروط الفعل وجدت في الازل فانا لا نعني بالعلة التامة الاما استلزم المعلول فاذا قدر انه تخلف عنها المعلول لم تكن تامة وان لم تكن العلة التامة التي هي جميع الامور المعتبرة في الفعل وهي المقتضي التام لوجود الفعل وهي جميع شروط الفعل التي يلزم من وجودها وجود الفعل وان لم يكن جميعها في الازل فلا بد اذا وجد المفعول بعد ذلك من تجدد سبب والا لزم ترجيح أحد طرفي الممكن بلا مرجح واذا كان هناك سبب حادث فالقول في حدوثه كالقول في الحادث الاول ويلزم التسلسل قالوا فالقول باسماء العلة التامة المستلزمة

للمعلول توجب امالة لتسلسل واما الترجيح بلا مرجح

ثم أكثر هؤلاء يثبتون علة غائية للفعل وهى بعينها الفاعلة أكثرهم

ء ابن سينا فانهم يثبتون له العلة الغائية ويثبتون له العلة الغائية

ويقولون مع هذا ليس له ارادة بل هو موجب بالذات لا فاعل بالاختيار

وقولهم باطل من وجوه كثيرة * منها أن يقال هذا القول يستلزم

أن لا يحدث شيء وان كان كلما حدث حدث بغير احداث محدث ومعلوم

ان بطلان هذا بين من بطلان التسلسل وبطلان الترجيح بلا مرجح

وذلك ان العلة التامة المستلزمة لمعلولها يقترن بها معلولها ولا يجوز أن

يتأخر عنها شيء من معلولها وكل ما حدث من الحوادث لا يجوز أن

يحدث عن هذه العلة التامة وليس هناك ما تصدر عنه الممكنات سوي

الواجب بنفسه الذى سماه هؤلاء علة تامة فاذا امتنع صدور الحوادث

عنه وليس هناك محدثها غيره لزم أن يحدث بلا محدث وان قدر محدث

أن غيره أحدثها فان كان واجبا بنفسه كان القول فيه كالقول فى الواجب

الاول وأصل قولهم ان الواجب بنفسه علة تامة تستلزم مقارنة معلوله

له فلا يجوز أن يصدر على قولهم عن العلة التامة حادث لا بواسطة ولا

بغير واسطة لان تلك الواسطة ان كانت من لوازم وجوده كانت قديمة

معه فامتنع صدور الحوادث عنها وان كانت حادثة كان القول فيها

كالقول في غيرها وان قدر ان المحدث للحوادث غير واجب بنفسه كان

ممكنا مفتقرا الى موجب يجب به ثم ان قيل انه محدث كان من الحوادث

وان قيل انه قديم كان له علة تامة مستلزمة له وامتنع حينئذ حدوث

الحوادث عنه فان الممكن لا يوجد هو ولا شيء من صفاته وأفعاله الا عن الواجب بنفسه فاذا قدر حدوث الحوادث عن ممكن قديم معلول لعلة قديمة قيل هل حدث فيه سبب يقتضي الحدوث أم لا فان قيل لم يحدث سبب لزم الترجيح بلا مرجح وان قيل حدث سبب لزم التسلسل كما تقدم

الوجه الثاني لذي يبين بطلان قولهم أن يقال مضمون الحجة انه اذا لم يكن ثم علة قديمة لزم التسلسل أو الترجيح لا مرجح والتسلسل عندكم جائز فان أصل قولهم ان هذه الحوادث متسلسلة شيئا بعد شيء وان حركات الفلك توجب استعداد القوابل لان تفيض عليها الصور الحادثة من العلة القديمة سواء قلتم هي العقل الفعال أو هي الواجب الذي يصدر عنه بتوسط العقول أو غير ذلك من الوسائط واذا كان التسلسل جائزا عندكم لم يمتنع حدوث الحوادث من غير علة موجبة للمعلول وان لزم التسلسل بل هذا خير في الشرع والعقل من قولكم وذلك ان الشرع أخبر ان الله خلق السموات والارض في ستة أيام وهذا مما اتفق عليه اهل الملل المسلمون واليهود والنصارى فان قيل انه حدث بسبب حادث وقيل ذلك كان خيرا من قولهم انها قديمة أزلية معه في الشرع وكان أولى في العقل لان العقل ليس فيه مايدل على قدم هذه الا لانه حق يعارض الشرع وهذه الحجة غايتها اذا اقتضت أنه لا يحدث شيء الا بسبب حادث فاذا قيل ان السموات والارض حدثتا لما حدث حدث قبل ذلك ما كان في حجتكم ما يبطل هذا

الوجه الثالث أن يقال حدوث حادث بعد حادث بلا نهاية اما أن يكون ممكنا في العقل أو ممتنعا فان كان ممتنعا في العقل لزم ان الحوادث جميعها لها أول كما يقول ذلك من يقوله من أهل الكلام وبطل قولهم بقدم حركات الافلاك وان كان محدثا أمكن أن يكون حدوث ما أحدثه الله تعالى كالسموات والارض موقوفا على حوادث قبل ذلك كما يقولون أنتم فيما يحدث في هذا العالم من الحيوان والنبات والمعادن والمطر والسحاب وغير ذلك ولزم فساد حجتكم على التقديرين ثم يقال اما أن تثبتوا للمبدع العالم حكمة وغاية مطلوبة واما أن لا تثبتوا فان لم تثبتوا بطل قولكم باثبات العلة الغائية وبطل ما ذكرتموه من حكمة الباري تعالى في خلق الحيوان وغير ذلك من المخلوقات وأيضا فالوجود يبطل هذا القول فان الحكمة الموجودة في الوجود أمر يفوق العد والاحصاء كاحداثه سبحانه لما يحدثه من نعمته ورحمته وقت حاجة الخلق اليه كاحداث المطر وقت الشتاء بقدر الحاجة واحداثه للانسان الآلات التي يحتاج اليها بقدر حاجته وأمثال ذلك مما ليس هذا موضع بسطه وان أثبتم له حكمة مطلوبة وهي باصطلاحكم العلة الغائية لزمكم أن تثبتوا له المشيئة والارادة بالضرورة فان القول بأن الفاعل فعل كذا لحكمة كذا بدون كونه مريدا لتلك الحكمة المطلوبة جمع بين النقيضين وهؤلاء المتفلسفة من أكثر الناس تناقضا ولهذا يجعلون العلم هو العالم والعلم هو الارادة والارادة هي القدرة وأمثال ذلك

وأما التقرير الثالث وهو انه فعل المفعولات وأمر بالمأمورات لحكمة

محمودة فهذا قول أكثر الناس من المسلمين وغير المسلمين وقول طوائف من أصحاب أبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد وغيرهم وقول طوائف من أهل الكلام من المعتزلة والكرامية والمرجئة وغيرهم وقول أكثر أهل الحديث والتصوف وأهل التفسير وأكثر قدماء الفلاسفة وكثير من متأخريهم كأبي البركات وامثاله لكن هؤلاء على أقوال * منهم من قال ان الحكمة المطلوبة مخلوقة منفصلة عنه أيضا كما يقول ذلك من يقوله من المعتزلة والشيعة ومن وافقهم وقالوا الحكمة في ذلك احسانه الى الخلق والحكمة في الامر تعريض المكلفين للثواب وقالوا ان فعل الاحسان الى الغير حسن محمود في العقل فخلق الخلق لهذه الحكمة من غير أن يعود اليه من ذلك حكم ولا قام به فعل ولا نعت فقال لهم الناس أنتم متناقضون في هذا القول لان الاحسان الى الغير محمود لكونه يعود منه على فاعله حكم يحمد لاجله اما لتكميل نفسه بذلك واما لقصده الحمد والثواب بذلك واما لرقة وألم يجده في نفسه يدفع بذلك الاحسان الالم واما لالتذاذه وسروره وفرحه بالاحسان فان النفس الكريمة تفرح وتسر وتلتذ بالخير الذي يحصل منها الى غيرها فالاحسان الى الغير محمود لكون المحسن يعود اليه من فعله هذه الامور اما اذا قدر أن وجود الاحسان وعدمه بالنسبة الى الفاعل سواء لم نعلم أن مثل هذا الفعل يحسن منه بل مثل هذا يعد عبثاً في عقول العقلاء وكل من فعل فعلا ليس فيه لنفسه لذة ولا مصلحة ولا منفعة بوجه من الوجوه لا عاجلة ولا آجلة كان عبثاً ولم يكن محموداً على هذا وأنتم

علمتم أفعاله فراراً من العبث فوقعتم في العبث فان العبث هو الفعل الذي ليس فيه مصلحة ولا منفعة ولا فائدة تعود على الفاعل ولهذا لم يأمر الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من العقلاء أحداً بالاحسان الى غيره ونفعه ونحو ذلك الا لما له في ذلك من المنفعة والمصلحة والا فامر الفاعل بفعل لا يعود اليه منه لذة ولا سرور ولا منفعة ولا فرح بوجه من الوجوه لا في العاجل ولا في الآجل لا يستحسن من الآمر

ونشأ من هذا الكلام نزاع بين المعتزلة وغيرهم ومن وافقهم في مسألة التحسين والتقبيح العقلي فاثبتت ذلك المعتزلة وغيرهم ومن وافقهم من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وأهل الحديث وغيرهم وحكوا ذلك عن أبي حنيفة نفسه ونفى ذلك الاشعرية ومن وافقهم من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم واتفق الفريقان على أن الحسن والقبح اذا فسر بكون الفعل نافعا للفاعل ملائما له وكونه ضاراً للفاعل منافراً له انه يمكن معرفته بالعقل كما يعرف بالشرع وظن من ظن من هؤلاء ان الحسن والقبح المعلوم بالشرع خارج عن هذا وهذا ليس كذلك بل جميع الافعال التي أوجبها الله تعالى وندب اليها هي نافعة لفاعلها ومصلحة لهم وجميع الافعال التي نهى الله عنها هي ضارة لفاعلها ومفسدة في حقهم والثواب المترتب على طاعة الشارع نافع للفاعل ومصلحة له والذم والعقاب المترتب على معصيته ضار للفاعل ومفسدة له

والمعتزلة أثبتت الحسن في أفعال الله تعالى لا بمعنى حكم يعود اليه من أفعاله وما زعوهم لما اعتقدوا ان لا حسن ولا قبح الا ما عاد الى الفاعل منه حكم نفوا ذلك وقالوا القبح فى حق الله تعالى هو الممتنع لذاته وكل ما قدر ممكنا من الافعال فهو حسن اذ لا فرق بالنسبة اليه عندهم بين مفعول ومفعول وأولئك أثبتوا حسنا وقبحا لا يعود الى الفاعل منه حكم تقوم بذاته اذ عندهم لا يقوم بذاته وصف ولا فعل ولا غير ذلك وان كانوا قد يتناقضون ثم أخذوا يقيسون ذلك على ما يحسن من العبد ويقبح فجعلوا يوجبون على الله سبحانه ما يوجبون على العبد ويحرمون عليه من جنس ما يحرمون على العبد ويسمون ذلك العدل والحكمة مع قصور عقلهم عن معرفة حكمته فلا يثبتون له مشيئة عامة ولا قدرة تامة ولا يجعلونه على كل شيء قديرا ولا يقولون ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا يقرون بأنه خالق كل شيء ويثبتون له من الظلم ما نزه نفسه عنه سبحانه فانه قال ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضما أى لا يخاف أن يظلم فيحمل عليه من سيئات غيره ولا يهضم من حسناته وقال تعالى ما يبدل القول لدىّ وما انا بظلام للعبيد وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث البطاقة الذى رواه الترمذى وغيره يجاء برجل من أمتى يوم القيامة فتنشر له تسعة وتسعون سجلاً كل سجل مد البصر فيقال له هل تنكر من هذا شيئا فيقول لا يا رب فيقال له لا ظلم عليك اليوم ويؤتى ببطاقة فيها شهادة أن لا اله الا الله فتوضع البطاقة في كفة والسجلات فى كفة فطاشت

السجلات وثقلت البطاقة فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه لا يظلم بل يثاب على ما أتى به من التوحيد كما قال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره

وجمهور هؤلاء الذين يسمون أنفسهم عدلية يقولون من فعل كبيرة واحدة أحبطت جميع حسناته وخلد في نار جهنم فهذا الذي سماه الله ورسوله ظلما ينفون الله به مع دعواهم تنزيهه عن الظلم ويسمون تخصيصه من يشاء برحمته وفضله وجعله ماخلقه لما فيه من الحكمة البالغة ظلما

والكلام في هذه الامور مبسوط في غير هذا الموضع لكن نبهنا على مجامع أصول الناس في هذا المقام وهؤلاء المعتزلة ومن وافقهم من الشيعة يوجبون على الله سبحانه انه يفعل بكل عبد ماهو الاصلح في دينه وتنازعوا في وجوب الاصلح في دنياه ومذهبهم أنه لا يقدر أن يفعل مع مخلوق من المصلحة الدينية غير مافعل ولا يقدر أن يهدي ضالا ولا يضل مهتديا

وأما سائر الطوائف الذين يقولون بالتعليل من الفقهاء وأهل الحديث والصوفية وأهل الكلام وغيرهم والمتفلسفة أيضاً فلا يوافقونهم على هذا بل يقولون انه يفعل مايفعل سبحانه لحكمة يعلمها وهو يعلم العباد أو بعض العباد من حكمته مايطلعهم عليه وقد لا يعلمون ذلك والامور العامة التي يفعلها تكون لحكمة عامة ورحمة عامة كارساله محمداً صلى الله عليه وسلم فانه كما قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين فان

ارساله كان من أعظم النعمة على الخلق وفيه أعظم حكمة للخالق ورحمة منه لعباده كما قال تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وقال تعالى وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين وقال تعالى ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفراً قالوا هو محمد صلى الله عليه وسلم

فاذا قال القائل فقد تضرر برسالته طائفة من الناس كالذين كذبوه من المشركين وأهل الكتاب

كان عن هذا جوابان*أحدهما انه نفعهم بحسب الامكان فانه أضعف شرهم الذي كانوا يفعلونه لولا الرسالة باظهار الحجج والآيات التي زلزلت مافي قلوبهم وبالجهاد والجزية التي أخافتهم وأذلتهم حتى قل شرهم ومن قتله منهم مات قبل أن يطول عمره في الكفر فيعظم كفره وكان ذلك تقليلا لشره والرسل صلوات الله عليهم بعثوا لتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الامكان*والجواب الثاني ان ماحصل من الضرر أمر مغمور في جنب ماحصل من النفع كالمطر الذي نفع اذا حرب به بعض البيوت أو احتبس به بعض المسافرين والمكتسبين كالقصارين ونحوهم وما كان نفعه ومصلحته عامة كان خيراً مقصوداً ورحمة محبوبة وان تضرر به بعض الناس وهذا الجواب أجاب به طوائف من المسلمين وأهل الكلام والفقه وغيرهم من الحنفية والحنبلية وغيرهم ومن الكرامية والصوفية وهو جواب كثير من المتفلسفة

وقال هؤلاء جميع ما يحدثه في الوجود من الضرر فلا بد فيه من حكمة قال تعالى صنع الله الذي أتقن كل شيء وقال الذي أحسن كل شيء خلقه والضرر الذي يحصل به حكمة مطلوبة لا يكون شراً مطلقا وان كان شراً بالنسبة الى من تضرر به

ولهذا لا يجيء في كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم اضافة الشر وحده الى الله بل لا يذكر الشر الا على أحد وجوه ثلاثة اما أن يدخل في عموم المخلوقات فانه اذا دخل في العموم أفاد عموم القدرة والمشيئة والخلق وتضمن ما اشتمل عليه من حكمة تتعلق بالعموم واما ان يضاف الى السبب الفاعل واما ان يحذف فاعله فالاول كقوله تعالى الله خالق كل شيء ونحو ذلك

ومن هذا الباب أسماء الله المقترنة كالمعطي المانع والضار النافع المعز المذل الخافض الرافع فلا يفرد الاسم المانع عن قرينه ولا الضار عن قرينه لان اقترانهما يدل على العموم وكل ما في الوجود من رحمة ونفع ومصلحة فهو من فضله تعالى وما في الوجود من غير ذلك فمن عدله فكل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ما انفق منذ خلق السموات والارض فانه لم يغض ما في يمينه والقسط بيده الاخرى يخفض ويرفع فاخبر ان يده اليمنى فيها الاحسان الى الخلق ويده الاخرى فيها العدل والميزان الذي به يخفض ويرفع فخفضه ورفعه من عدله واحسانه الى خلقه من فضله

وأما حذف الفاعل فمثل قول الجن وانا لا ندري أشر أريد بمن في الارض أم أراد بهم ربهم رشدا وقوله تعالي صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ونحو ذلك

واضافته الى السبب كقوله من شر ما خلق وقوله فاردت أن أعيبها مع قوله فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما وقوله تعالي ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وقوله ربنا ظلمنا أنفسنا وقوله تعالى أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم وأمثال ذلك

ولهذا ليس في اسماء الله الحسني اسم يتضمن الشر وانما يذكر الشر في مفعولاته كقوله نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الاليم وقوله ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم وقوله اعلموا أن الله شديد العقاب الآية وقوله ان بطش ربك لشديد انه هو يبدئ ويعيد وهو الغفور الودود فبين سبحانه ان بطشه شديد وانه هو الغفور الودود

واسم المنتقم ليس من أسماء الله الحسنى الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم وانما جاء في القرآن مقيدا كقوله تعالى انا من المجرمين منتقمون وقوله ان الله عزيز ذو انتقام والحديث الذي في عدد الاسماء الحسنى الذي يذكر فيه المنتقم وذكر في سياقه البر التواب المنتقم العفو رؤوف ليس هو عند أهل المعرفة بالحديث من كلام النبي صلي الله عليه وسلم بل هذا ذكره الوليد بن مسلم عن بعض شيوخه ولهذا لم يروه

احد من أهل الكتب المشهورة الا الترمذى رواه من طريق الوليد ابن مسلم بسياق ورواه غيره باختلاف فى الاسماء وفى ترتيبها يبين انه ليس من كلام النبى صلى الله عليه وسلم وسائر من روى هذا الحديث عن أبى هريرة ثم عن الاعرج ثم عن أبى الزناد لم يذكروا أعيان الاسماء بل ذكروا قوله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا من أحصاها دخل الجنة وهكذا أخرجه أهل الصحيح كالبخارى ومسلم وغيرهما ولكن روي عدد الاسماء من طريق أخرى من حديث محمد بن سيرين عن ابي هريرة ورواه ابن ماجه واسناده ضعيف يعلم اهل الحديث انه ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وليس فى عدد الاسماء عن النبى صلى الله عليه وسلم الا هذان الحديثان كلاهما مرويان من طريق أبى هريرة وهذا مبسوط في موضعه

والمقصود هنا التنبيه على أصول تقع في معرفة هذه المسئلة فان نفوس بنى آدم لا يزال يجول فيها من هذه المسئلة امر عظيم

واذ علم العبد من حيث الجملة ان لله فيما خلقه وما أمر به حكمة عظيمة كفاه هذا ثم كلما ازداد علماً وايمانا ظهر له من حكمة الله ورحمته ما يبهر عقله ويبين له تصديق ما أخبر الله به فى كتابه حيث قال سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق فانه صلى الله عليه وسلم قال في الحديث الصحيح لله أرحم بعباده من الوالدة بولدها وفي الصحيحين عنه انه قال ان الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة أنزل

منها رحمة واحـدة فيها يتراحم الخلق حتى ان الدابة لترفع حافرها عن ولدها من تلك الرحمة واحتبس عنده تسعة وتسعين رحمة فاذا كان يوم القيامة جمع هذه الى تلك ورحم بها عباده أو كما قال

ثم هؤلاء الجمهور من المسلمين وغيرهم كأئمة المذاهب الاربعة وغيرهم من السلف والعلماء الذين يثبتون حكمة ولا ينفونها كما نفاها الاشعرية ونحوهم الذين يثبتون ارادة بلا حكمة ومشيئة بلا رحمة ولا محبة ولا رضا وجعلوا جميع المخلوقات بالنسبة اليه سواء لا يفرقون بين الارادة والمحبة والرضا بل ما وقع من الكفر والفسوق والعصيان قالوا انه يحبه ويرضاه كما يريده واذا قالوا لا يحبه ولا يرضاه ديناً قالوا انه لا يريده ديناً وما لم يقع من الايمان والتقوى فانه لا يحبه ولا يرضاه عندهم كما لا يريده وقد قال تعالى اذ يبيتون ما لا يرضى من القول فأخبر أنه لا يرضاه مع أنه قدره وقضاه ولا يوافقون المعتزلة على انكار قدر الله تعالى وعموم خلقه ومشيئته وقدرته ولا يشبهونه بخلقه فيما يحب ويحرم كما فعل هؤلا ولا ينفون ما وصف به نفسه من صفاته وأفعاله بل أثبتوا له ما أثبته لنفسه من الصفات والافعال وينزهونه عما نزه نفسه من الصفات والافعال وقالوا ان الله خالق كل شيء ومليكه وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وهو على كل شيء قدير وهو يحب المحسنين والمتقين ويرضى عن السابقين الاولين من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان ولا يرضى لعباده الكفر ولا يرضى بالقول المخالف لامر الله ورسوله وقالوا مع أنه خالق كل شيء وربه ومليكه فقد فرق بين المخلوقات أعيانها

وأفعالها كما قال تعالى افنجعل المسلمين كالمجرمين وكما قال أم حسب الذين اجترحوا السيآت أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون وقال تعالى أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار وقال وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات وأمثال ذلك مما يبين الفرق بين المخلوقات وانقسام الخلق الى شقي وسعيد كما قال تعالى هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقال تعالى فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة وقال تعالى يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا اليماً وقال تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فاولئك في العذاب محضرون ونظائر هذا في القرآن كثير

وينبغي أن تعلم ان هذا المقام زل فيه طوائف من أهل الكلام والتصوف وصاروا فيه الى ماهو شر من قول المعتزلة ونحوهم من القدرية فان هؤلاء يعظمون الامر والنهي والوعد والوعيد وطاعة الله ورسوله ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر لكن ضلوا في القدر واعتقدوا أنهم اذا اثبتوا مشيئة عامة وقدرة شاملة وخلقاً متناولا لكل شيء لزم من ذلك القدح في عدل الرب وحكمته وغلطوا في ذلك وقابل هؤلاء قوم من العلماء والعباد وأهل الكلام والتصوف فأثبتوا القدر وآمنوا بان الله رب كل شيء ومليكه وانه ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن وانه خالق

كل شئ وهذا حسن وصواب لكنهم قصروا فى الامر والنهى والوعد والوعيد وافرطوا حتى خلا بهم الى الالحاد فصاروا من جنس المشركين الذين قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ فاولئك القدرية وان كانوا يشبهون المجوس من حيث انهم أثبتوا فاعلا لما اعتقدوه شرا غير الله سبحانه فهؤلاء شابهوا المشركين الذين قالوا لو شاء الله ماأشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ فالمشركون شر من المجوس فان المجوس يقرون بالجزية باتفاق المسلمين وذهب بعض العلماء الى حل نسائهم وطعامهم وأما المشركون فاتفقت الامة على تحريم نكاح نسائهم ومذهب الشافعى وأحمد في المشهور عنه وغيرهما انهم لا يقرون بالجزية وجمهور العلماء على أن مشركى العرب لا يقرون بالجزية وان أقرت المجوس فان النبى صلى الله عليه وسلم لم يقبل الجزية من المشركين بل قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وانى رسول الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله عز وجل

والمقصود هنا ان من أثبت القدر واحتج به على ابطال الامر والنهى فهو شر ممن أثبت الامر والنهى ولم يثبت القدر وهذا متفق عليه بين المسلمين وغيرهم من أهل الملل بل جميع الخلق فان من احتج بالقدر وشهد الربوبية العامة لجميع المخلوقات ولم يفرق بين المأمور والمحظور والمؤمن والكافر وأهل الطاعة وأهل المعصية لم يؤمن أحد بنبي من الرسل ولا بشئ من الكتب وكان عنده آدم وابليس سواء ونوح وقومه سواء وموسى وفرعون سواء والسابقون الاولون والكافرون سواء فهذه

الضلال وقد كثر في كثير من أهل التصوف والزهد والعبادة لاسيما اذا قرنوا به توحيد أهل الكلام المثبتين للقدر والمشيئه من غير اثبات المحبة والبغض والرضا والسخط الذين يقولون التوحيد هو توحيد الربوبية والالهية عندهم هي القدرة على الاختراع ولا يعرفون توحيد الالهيه ولا يعلمون ان الاله هو المألوه المعبود وان مجرد الاقرار بأن الله رب كل شيء لايكون توحيداً حتى نشهد أن لا اله الا الله كما قال تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون قال عكرمة تسألهم من خلق السموات والارض فيقولون الله وهم يعبدون غيره

وهؤلاء يدعون التوحيد والفناء فى التوحيد ويقولون ان هذا نهاية المعرفة وان العارف اذا صار في هذا المقام لا يستحسن حسنة ولا يستقبح سيئه لشهوده الربوبية العامة والقيومية الشامله

وهذا الموضع وقع فيه من الشيوخ الكبار من شاء الله ولاحول ولا قوة الا بالله

وهؤلاء غاية توحيدهم هو توحيد المشركين الذين كانوا يعبدون الاصنام الذين قال تعالى عنهم قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون وقال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فاني يؤفكون وقال ولئن سألتهم من

حلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون
وقال تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض أم من يملك السمع
والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر
الامر فسيقولون الله قل أفلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد
الحق الا الضلال فانى تصرفون كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا
أنهم لا يؤمنون قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله
يبدأ الخلق ثم يعيده فاني تؤفكون قل هل من شركائكم من يهدي الى
الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي الي الحق أحق أن يتبع أم من
لا يهدي الا أن يهدى فمالكم كيف تحكمون وقال تعالى أمن خلق
السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة
ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون أم من
جعل الارض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل
بين البحرين حاجزاً أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون أم من يجيب
المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أإله مع الله
قليلا ما تذكرون أم من يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل
الرياح بشراً بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون أم من يبدأ
الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض أإله مع الله قل هاتوا
برهانكم ان كنتم صادقين فان هؤلاء المشركين كانوا مقرين بان الله
خالق السموات والارض وخالقهم وبيده ملكوت كل شيء وكانوا
مقرين بالقدر

فان العرب كانوا يثبتون القدر في الجاهلية وهو معروف عنهم في النظم والنثر ومع هذا فانما لم يكونوا يعبدون الله وحده لا شريك له بل عبدوا غيره كانوا مشركين شراً من اليهود والنصارى

فمن كان غايته توحيده وتحقيقه هو هذا التوحيد كان غاية توحيده توحيد المشركين

وهذا المقام مقام وأي مقام زلت فيه أقدام وضلت فيه افهام وبدل فيه دين المسلمين والتبس فيه أهل التوحيد بعباد الاصنام على كثير ممن يدعون نهاية التوحيد والتحقيق والمعرفة والكلام

ومعلوم عند كل من يؤمن بالله ورسوله ان المعتزلة والشيعة المقدرة المثبتين للامر والنهي والوعد والوعيد خير ممن يسوي بين المؤمن والكافر والبر والفاجر والنبي الصادق والمتنبئ الكاذب وأولياء الله وأعدائه الذين ذمهم السلف بل هم أحق بالذم من المعتزلة كما قال الخلال في كتاب السنة في الرد على القدرية وقولهم ان الله أجبر العباد على المعاصي وذكر المروزي قال قلت لابي عبد الله رجل يقول ان الله أجبر العباد فقال هكذا لا نقول وأنكر ذلك وقال يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء

وذكر عن المروزي ان رجلا قال ان الله لم يجبر العباد على المعاصي فرد عليه آخر فقال ان الله جبر العباد أراد بذلك اثبات القدر فسألوا عن ذلك أحمد بن حنبل فأنكر عليهما جميعاً حتى قال أو أمر أن يقال يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وذكر عن عبد الرحمن بن مهدي

قال أنكر سفيان الثوري جبر وقال ان الله جبل العباد

قال المروزي أراد قول النبي صلى الله عليه وسلم لاشج عبد القيس يعني قوله ان فيك لخلتين يحبهما الله الحلم والاناة فقال اخلقين تخلقت بهما أم خلقين جبلت عليهما فقال بل خلقين جبلت عليهما فقال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما

وذكر عن أبي اسحاق الفزاري قال قال الاوزاعي أتاني رجلان فسألاني عن القدر فأحببت ان آتيك بهما تسمع كلامهما وتجيبهما فقلت رحمك الله أنت أولى بالجواب قال فأتاني الاوزاعي ومعه الرجلان فقال تكلما فقالا قدم علينا ناس من أهل القدر فنازعونا في القدر ونازعناهم فيه حتى بلغ بنا وبهم الى أن قلنا ان الله جبرنا على مانهانا عنه وحال بيننا وبين ماأمرنا به ورزقنا ماحرم علينا فقال ياهؤلاء ان الذين أتوكما بما أتوكما به قد ابتدعوا بدعة وأحدثوا حدثا واني أراكما قد خرجتما من البدعة الى مثل ماخرجوا اليه فقال أصبت وأحسنت يا أبا اسحاق

وذكر عن بقية بن الوليد قال سألت الزبيدي والاوزاعي عن الجبر فقال الزبيدي أمر الله أعظم وقدرته أعظم من أن يجبر أو يعضل ولكن يقضي ويقدر ويخلق ويجبل عبده على ماأحب

وقال الاوزاعي ماأعرف للجبر أصلا من القرآن والسنة فأهاب أن أقول ذلك ولكن القضاء والقدر والخلق والجبل فهذا يعرف في القرآن والحديث * وقال مطرف بن الشخير لم نوكل الى القدر واليه نصير * وقال ضمرة بن ربيعة لم نؤمر أن نتوكل على القدر واليه نصير

وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما منكم من أحد الا وقد علم مقعده من الجنة ومقعده من النار قالوا يارسول الله أفلا ندع العمل ونتكل على الكتاب فقال لا اعملوا فكل ميسر لما خلق له وهذا باب واسع

والمقصود هنا ان الخلال وغيره أدخلوا القائلين بالجبر في مسمى القدرية وان كانوا لا يحتجون بالقدر على المعاصي فكيف بمن يحتج به على المعاصي * ومعلوم انه يدخل في ذم من ذم الله من القدرية من يحتج به على اسقاط الامر والنهي اعظم مما يدخل فيه المنكر له فان ضلال هذا أعظم ولهذا قرنت القدرية بالمرجئة في كلام غير واحد من السلف وروي في ذلك حديث مرفوع لان كلا من هاتين البدعتين تفسد الامر والنهي والوعد والوعيد فالارجاء يضعف الايمان بالوعيد ويهون امر الفرائض والمحارم والقدري ان احتج به كان عونا للمرجئ وان كذب به كان هو والمرجئ قد تقابلا هذا يبالغ في التشديد حتى لا يجعل العبد يستعين بالله على فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه وهذا يبالغ في الناحية الاخرى

ومن المعلوم ان الله تعالى ارسل الرسل وأنزل الكتب لتصديق الرسل فيما أخبرت وطاعتهم فيما أمرت كما قال تعالى وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله وقال تعالى ومن يطع الرسول فقد أطاع الله والايمان بالقدر من تمام ذلك فمن أثبت القدر وجعل ذلك معارضا للامر فقد أذهب الاصل ومعلوم ان من أسقط الامر والنهي

الذي بعث الله به رسله فهو كافر باتفاق المسلمين واليهود والنصارى بل هؤلاء قولهم متناقض لا يمكن أحدهم أن يعيش به ولا يقوم به مصلحة أحد من الخلق ولا يتعاشر عليه اثنان فان القدر ان كان حجة فهو حجة لكل أحد والافليس حجة لاحد فاذا قدر ان الرجل ظلمه ظالم أو شتمه شاتم أو أخذ ماله أو أفسد أهله أو غير ذلك فمتى لامه أو ذمه أو طلب عقوبته أبطل الاحتجاج بالقدر ومن ادعى ان العارف اذا شهد الارادة سقط عنه الامر كان هذا الكلام من الكفر الذى لا يرضاه اليهود ولا النصارى بل ذلك ممتنع في العقل محال فى الشرع فان الجائع يفرق بين الخبز والتراب والعطشان يفرق بين الماء والشراب فيحب ماينفعه ويرويه دون مالا ينفعه والجميع مخلوق لله تعالى فالحى وان كان من كان لابد أن يفرق بين ماينفعه ويعممه ويسره وبين مايضره ويشقيه وتؤلمه هذا حقيقة الامر فان الله تعالى أمر العباد بما ينفعهم ونهاهم عما يضرهم

﴿ والناس في الشرع والقدر على أنواع فشر الخلق ﴾ من يحتج بالقدر لنفسه ولا يراه حجة لغيره يستند اليه فى الذنوب والمعائب ولا يطمئن اليه في المصائب كما قال بعض العلماء أنت عند الطاعة قدرى وعند المعصية جبرى اى مذهب وافق هواك تمذهبت به وبازاء هؤلاء خير الخلق الذين يصبرون على المصائب ويستغفرون من المعائب كما قال تعالى فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك * وقال ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله

لايحب كل مختال فخور * وقال تعالى ماأصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه * قال بعض السلف هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم * قال تعالى والذين اذافعلوافاحشة أوظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الاالله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون

وقد ذكر الله تعالى عن آدم عليه السلام انه لما فعل مافعل قال ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وعن ابليس انه قال فبما أغويتني لأزينن لهم في الارض ولأغوينهم أجمعين فمن تاب أشبه أباه آدم ومن أصر واحتج بالقدر أشبه ابليس

(والحديث الذي في الصحيحين في احتجاج آدم وموسى عليهما السلام) لما قال له موسى أنت آدم أبوالبشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وعلمك أسماء كل شئ لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة فقال له آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه وخط لك التوراة بيده فكم وجدت مكتوبا علي قبل أن أخلق وعصى آدم ربه فغوى قال بكذا وكذا سنة قال فحج آدم موسي وهذا الحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة وقد روي باسناد جيد عن عمر رضي الله عنه فآدم انما حج موسى لان موسى لامه على مافعل لاجل ماحصل لهم من المصيبة بسبب أكله من الشجرة ولم يكن لومه لاجل حق لله في الذنب فان آدم كان قدتاب من الذنب كماقال تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وقال تعالى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ومن

هو دون موسى عليه السلام يعلم انه بعد التوبة والمغفرة لا يبقى ملام على الذنب وآدم اعلم بالله من أن يحتج بالقدر على الذنب وموسى عليه السلام أعلم بالله تعالى من أن يقبل هذه الحجة فان هذه لو كانت حجة على الذنب لكانت حجة لابليس عدو آدم وحجة لفرعون عدو موسى وحجة لكل كافر وبطل أمر الله ونهيه بل انما كان القدر حجة لآدم على موسى لانه لام غيره لاجل المصيبة التي حصلت له بفعل ذلك وتلك المصيبة كانت مكتوبة عليه * وقد قال تعالى ما أصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه * وقال أنس خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أف قط ولا قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء لم أفعله لم لا فعلته * وكان بعض أهله اذا عتبني على شيء يقول دعوه فلو قضي شيء لكان * وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت ماضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده خادما ولا امرأة ولا دابة ولا شيئا قط الا أن يجاهد في سبيل الله ولا نيل منه قط شيء فانتقم لنفسه الا أن ينتهك محارم الله فاذا انتهك محارم الله لم يقم لغضبه شيء حتى ينتقم لله * وقد قال صلى الله عليه وسلم وأن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها فني أمر الله ونهيه يسارع الى الطاعة ويقيم الحدود على من تعدي حدود الله ولا تأخذه في الله لومة لائم واذا آذاه مؤذ أو قصر مقصر في حقه عفا عنه ولم يؤاخذه نظرا الى القدر فهذا سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وهذا واجب فيما قدر من المصائب بغير فعل آدمي

كالمصائب السماوية أو بفعل لا سبيل فيه الى العقوبة كفعل آدم عليه السلام فانه لا سبيل الى لومه شرعا لاجل التوبة ولا قدرا لاجل القضاء والقدر واما اذا ظلم رجل رجلا فله أن يستوفى مظلمته على وجه العدل وان عفا عنه كان أفضل له كما قال تعالى والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له

وأما الصنف الثالث فهم الذين لا ينظرون الى القدر لا في المعائب ولا في المصائب التي هي من أفعال العباد بل يضيفون ذلك الى العبد واذا أساؤا استغفروا وهذا حسن لكن اذا أصابتهم مصيبة بفعل العبد لم ينظروا الى القدر الذي مضى بها عليهم ولا يقولون لمن قصر في حقهم دعوه ولو قضى شيء لكان لاسيما وقد تكون تلك المصيبة بسبب ذنوبهم فلا ينظرون اليها وقد قال تعالى أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم وقال تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم وقال تعالى وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فان الانسان كفور ومن هذا قوله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك

فان هذه الآية تنازع فيها كثير من مثبتي القدر ونفاته هؤلاء يقولون الافعال كلها من الله لقوله تعالى قل كل من عند الله وهؤلا

يقولون الحسنة من الله والسيئة من نفسك لقوله ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وقد يحتج الاولون بقراءة من قرأ فمن نفسك بالفتح على معنى الاستفهام وربما قدر بعضهم تقديرا أي أفمن نفسك وربما قدر بعضهم القول في قوله تعالى ما أصابك ويقولون تقدير الآية فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يقولون ويحرفون لفظ القرآن ومعناه ويجعلون ما هو من قول الله قول الصدق من قول المنافقين الذين أنكر الله قولهم ويضمرون في القرآن ما لا دليل على ثبوته بل سياق الكلام ينفيه من هاتين الطائفتين جاهله بمعنى القرآن وبحقيقة المذهب الذي ينصره وأما القرآن فالمراد هنا بالحسنات والسيئات النعم والمصائب ليس المراد الطاعات والمعاصي وهذا كقوله تعالى ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا وكقوله ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا الآية ومنه قوله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون كما قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون أي بالنعم والمصائب هذا بخلاف قوله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها وقوله تعالى ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وأمثال ذلك فان المراد بها الطاعة والمعصية وفي كل موضع ما يبين المراد بالمقصود فليس في القرآن العزيز بحمد الله تعالى اشكال بل هو مبين

وذلك انه اذا قيل ما أصابك وما مسك ونحو ذلك كان من نفس

عيرك كما قال ماأصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وكما قال تعالى ان تصبك حسنة تسؤهم وقال تعالى وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم واذا قال من جاء بالحسنة كانت من فعله لانه هو الجائي بها فهذا يكون فيما فعله العبد لافيما فعل به وسياق الآيتين يبين ذلك فانه ذكر هذا في سياق الحض على الجهاد وذم الناكلين عنه فقال تعالى ياأيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا وان منكم لمن ليبطئن فان أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله على اذ لم أكن معهم شهيدا ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كان لم تكن بينكم وبينه مودة ياليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما فامر سبحانه بالجهاد وذم المثبطين وذكر ما يصيب المؤمنين تارة من المصيبة وتارة من فضل الله فيه كما أصابهم يوم احد فقال أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم وأصابهم يوم بدر فضل من الله بنصره لهم وتأييده كما قال تعالى ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ثم انه سبحانه قال فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة الآية وقال تعالى ومالكم لاتقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الى قوله أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك فهذا من كلام الكفار والمنافقين اذا أصابهم نصر وغيره من النعم قالوا هذه من عند الله وان أصابهم ذل وخوف وغير ذلك من المصائب قالوا هذه من عند محمد بسبب الدين الذي جاء به فان الكفار

كانوا يدعون ما اصابهم من المصائب الى فعل أهل الايمان وقد ذكر تطير ذلك في قصة موسى وفرعون قال تعالي ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه و تطيره قوله تعالي في سورة يس قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وما علينا الا البلاغ المبين قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم فاخبر الله تعالى ان الكفار كانوا يتطيرون بالمؤمنين فاذا أصابهم بلاء جعلوه بسبب اهل الايمان وما أصابهم من الخير جعلوه من الله عزوجل وقال تعالي فما لهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا والله تعالى نزل أحسن الحديث ولو فهموا القرآن لعلموا أن الله أمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر أمر بالخير ونهى عن الشر فليس فيما بعث الله به رسله مايكون سببا للشر بل الشر حصل بذنوب العباد وقال تعالي ماأصابك من حسنة فمن الله أى ماأصابك من نصر ورزق وعافية فمن الله نعمة أنعمها عليك وان كان بسبب أعمالك الصالحة فهو الذى هداك وأعانك ويسرك لليسري ومن عليك بالايمان وزينه في قلبك وكره اليك الكفر والفسوق والعصيان وفي آخر الحديث الصحيح الالهي حديث أبى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى ياعبادى انما هى اعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه

وفى صحيح سيد الاستغفار اللهم أنت ربي لااله الا أنت خلقتني

وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا أنت من قالها اذا أصبح موقنا بها فمات من يومه دخل الجنة ومن قالها اذا أمسى موقنا بها فمات من ليلته دخل الجنة ثم قال تعالي وما أصابك من سيئة من ذل وخوف وهزيمة كما أصابهم يوم أحد فمن نفسك أي بذنوبك وخطاياك وان كان ذلك مكتوبا مقدرا عليك

فان القدر ليس حجة لاحد على الله ولا على خلقه ولو جاز لاحد ان يحتج بالقدر على ما يفعله من السيئات لم يعاقب ظالم ولم يقتل مشرك ولم يقم حد ولم يكف أحد عن ظلم أحد وهذا من الفساد في الدين والدنيا المعلوم ضرورة وأوله بصريح المعقول المطابق لما جاء به الرسول فالقدر نؤمن به ولا نحتج به فمن لم يؤمن بالقدر ضارع المجوس ومن احتج به ضارع المشركين ومن أقر بالامر والقدر وطعن في عدل الله وحكمته كان شبيها بابليس فان الله تعالي ذكر عنه انه طعن في حكمته وعارضه برأيه وهواه وانه قال فبما اغويتني لازينن لهم في الارض

وقد ذكر طائفة من اهل الكتاب وبعض المصنفين في المقالات كالشهرستاني انه ناظر الملائكة في ذلك معارضاً لله تعالى في خلقه وامره لكن هذه المناظرة بين ابليس والملائكة التي ذكرها الشهرستاني في اول المقالات ونقلها عن بعض اهل الكتاب ليس لها اسناد يعتمد عليه ولو وجدناها في كتب أهل الكتاب لم يجز أن نصدقها لمجرد ذلك فان

النبي صلى الله عليه وسلم ثبت عنه في الصحيح انه قال اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم فاما أن يحدثوكم بحق فتكذبوه واما أن يحدثوكم بباطل فتصدقوه ونحو ذلك والله أعلم ان تكون المناظرة من وضع بعض المكذبين بالقدر اما من أهل الكتاب واما من المسلمين والشهرستاني نقلها من كتب المقالات وأهل المقالات ينقلون كثيرا من المقالات من كتب المعتزلة كما نقل الاشعري وغيره ماتقله في المقالات من كتب المعتزلة فانهم من أكثر الطوائف وأولها تصنيفا في هذا الباب ولهذا توجد المقالات منقوله بعباراتهم فوضعوا هذه المناظرة على لسان الناس كما رأينا كثيرا منهم يضع كتابا أو قصيدة على لسان بعض اليهود أو غيرهم ومقصودهم بذلك الرد على المثبتين للقدر يقولون ان حجة الله على خلقه لاتتم الا بالتكذيب بالقدر كما وضعوا في مثالب ابن كلاب انه كان نصرانيا لانه أثبت الصفات وعندهم من أثبت الصفات فقد أشبه النصارى وباقي أمثال هذه الحكايات بالقبول من المنتسبين الى السنة ممن لم يعرف حقيقة أمرها

والمقصود هنا أن الآية الكريمة حجة على هؤلاء وهؤلاء على من يحتج بالقدر فان الله تعالى أخبر انه عذبهم بذنوبهم فلو كانت حجتهم مقبولة لم يعذبهم بذنوبهم وحجة على من كذب بالقدر فانه سبحانه أخبر ان الحسنة من الله وان السيئة من نفس العبد والقدرية مجمعون على ان العبد هو المحدث للمعصية كما هو المحدث للطاعة والله عندهم ما أحدث هذا ولا هذا ولا هذا بل أمر بهذا ونهى عن هذا وليس عندهم لله

نعمة أنعمها على عباده المؤمنين في الدين الا وقد أنعم بمثلها على الكفار عندهم ان على بن أبي طالب رضي الله عنه وابا لهب مستويان في نعمة الله الدينية اذ كل منهما أرسل اليه الرسول واقدر على الفعل وأخبر عنه لكن هذا فعل الايمان بنفسه من غير أن يخصه بنعمة آمن بها وهذا فعل الكفر بنفسه من غير أن يفضل الله عليه ذلك المؤمن ولا خصه بنعمة آمن لاجلها وعندهم ان الله حبب الايمان الى الكفار كابي لهب وامثاله كما حببه الى المؤمنين كعلي رضي الله عنه وامثاله وزينه في قلوب الطائفتين وكره الكفر والفسوق والعصيان الى الطائفتين سواء لكن هؤلاء كرهوا ما كرهه الله اليهم بغير نعمة خصهم بها وهؤلاء لم يكرهوا ما كرهه الله اليهم

ومن نوهم منهم أومن نقل عنهم ان الطاعة من الله والمعصية من العبد فهو جاهل بمذهبهم فان هذا لم يقله أحد من علماء القدرية ولا يمكن أن يقوله فان أصل قولهم ان فعل العبد للطاعة كفعله للمعصية كلاهما فعله بقدرة تحصل له من غير أن يخصه بارادة خلقها فيه تختص باحدهما فاذا احتجوا بهذه الآية على مذهبهم كانوا جاهلين بمذهبهم وكانت الآية حجة عليهم لا لهم لانه قال تعالى قل كل من عند الله وعندهم ليس الحسنات المفعولة ولا السيئات المفعولة من عند الله بل كلاهما من العبد وقوله تعالى ماأصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك مخالف لقولهم فان عندهم الحسنة المفعولة من العبد لامن الله سبحانه وتعالى

وكذلك من احتج من مثبتة القدر بالآية على اثباته اذا احتج بقوله تعالى قل كل من عند الله كان مخطئا فان الله ذكر هذه الآية ردا على من يقول الحسنة من الله والسيئة من العبد ولم يقل أحد من الناس ان الحسنة المفعولة من الله والسيئة المفعولة من العبد وأيضاً فان نفس فعل العبد وان قال أهل الاثبات ان الله خلقه وهو مخلوق له ومفعول له فانهم لا ينكرون ان العبد هو المتحرك بالافعال وبه قامت ومنه نشأت وان كان الله خلقها وأيضاً فان قوله بعد هذا ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك يمنع أن تفسر بالطاعة والمعصية فان أهل الاثبات لا يقولون ان الله خلق احداهما دون الاخرى بل يقولون بان الله خلق جميع الافعال وكل الحوادث

﴿ ومما ينبغي أن يعلم ﴾ ان مذاهب سلف الامة مع ان قولهم الله خالق كل شيء وربه ومليكه وانه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن وانه على كل شيء قدير وأنه هو الذي خلق العبد هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا ونحو ذلك ان العبد فاعل حقيقة وله مشيئة وقدرة قال تعالى لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين وقال تعالى ان هذه تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون الا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة

وهذا الموضع اضطرب فيه الخائضون في القدر فغلت الجهمية ونحوهم من الجبرية الكفر والفسوق زاعمين ان أفعال العبد حقيقة منفردة عن فعل العبد سائر المسلمين فكتب بعلا لم وقال من يرد عليهم

من المائلين الى الجبر بل هى فعله وليست أفعالا للعباد بل هى كسبه للعبد وقالوا ان قدرة العبد لاتأثير لها في حدوث مقدورها ولا في صفة من صفاتها وان الله أجرى العادة بخلق مقدورها مقارنا لهـا ويكون الفعل خلقا من الله وابداعا واحداثا وكسبا من العبد لوقوعه مقارنا لقدرته

وقالوا ان العبد ليس محدثا لافعاله ولا موجداً لها ومع هذا فقد يقولون انا لانقول بالجبر المحض بل نثبت للعبد قدرة حادثه والجبر المحض الذى لاتثبت للعبد قدرة وأخذوا يفرقون بين الكسب الذى أثبتوه وبين الخلق فقالوا الكسب عبارة عن اقتران المقدور بالقدرة الحادثه والخلق هو المقدور بالقدرة القديمه وقالوا أيضاً الكسب هو الفعل القائم بمحل القدرة عليه والخلق هو الفعل الخارج عن محل القدرة عليه فقال لهم الناس هذا لايوجب فرقا بين كون العبد كسبا وبين كونه فاعلا وأوجد وأحدث وصنع وعمل ونحو ذلك فان فعله واحداثه وعمله وصنعه هو أيضاً مقدور بالقدرة الحادثه وهو قائم فى محل القدرة الحادثه وأيضاً فهذا فرق لاحقيقة له فان كون المقدور في محل القدرة أوخارجا عن محلها لايعود الى تأثير القدرة فيه وهو مبنى على أصلين ان الله لايقدر على فعل يقوم بنفسه وان خلقه للعالم هو نفس العالم وأكثر العقلاء من المسلمين وغيرهم على خلاف ذلك والثانى ان قدرة العبد لايكون مقدورها خارجا عن محلها وفى ذلك نزاع طويل ليس هـذا موضعه وايضاً فاذا فسر التأثير بمجرد الاقتران فلا فرق بين أن يكون الفارق

في المحل أو خارجا عن المحل وأيضاً قال لهم المنازعون من المستقر في فطر الناس ان من فعل العدل فهو عادل ومن فعل الظلم فهو ظالم ومن فعل الكذب فهو كاذب فاذا لم يكن العبد فاعلا لكذبه وظلمه وعدله بل الله هو فاعل ذلك لزم أن يكون هو المتصف بالكذب والظلم

قالوا وهذا كما قلتم أنتم وسائر الصفاتية من المستقر في فطر الناس أن من قام به العلم فهو عالم ومن قامت به القدرة فهو قادر ومن قامت به الحركة فهو متحرك ومن قام به الكلام فهو متكلم ومن قامت به الارادة فهو مريد وقلتم اذا كان الكلام مخلوقا كان كلاما للمحل الذي خلقه فيه كسائر الصفات فهذه القاعدة المطردة فيمن قامت به الصفات نظيرها أيضاً من فعل الافعال وقالوا أيضاً القرآن مملوء بذكر اضافة هذه الافعال الى العباد كقوله تعالى جزاء بما كنتم تعملون وقوله اعملوا ما شئتم وقوله وقل اعملوا فسيرى الله عملكم وقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأمثال ذلك وقالوا أيضاً ان الشرع والعقل متفقان على أن العبد يحمد ويذم على فعله ويكون حسنة له فلولم يكن الا فعل غيره لكان ذلك الغير هو المحمود المذموم عليها

وفي المسئلة كلام ليس هذا موضع بسطه لكن ننبه على نكت نافعة في هذا الموضع المشكل

فنقول قول القائل هذا فعل هذا وفعل هذا لفظ فيه اجمال فانه تارة يراد بالفعل نفس الفعل وتارة يراد به مسمى المصدر فيقول فعلت هذا أفعله فعلا وعملت هذا أعمله عملا فاذا أريد بالعمل نفس الفعل

الذي هو مسمى المصدر كصلاة الانسان وصيامه ونحو ذلك فالعمل هنا المعمول قال تعالى يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات فجعل هذه المصنوعات معمولة للجن ومن هذا الباب قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون فانه في أصح القولين ماءبمعنى الذي والمراد به ماتنحتونه من الاصنام كما قال تعالى أتعبدون ماتنحتون والله خلقكم وما تعملون أي والله خلقكم وخلق الاصنام التي تنحتونها ومنه حديث حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خالق كل صانع وصنعته لكن قد يستدل بالآية على ان الله خالق أفعال العباد من وجه آخر فيقال اذا كان خالقاً لما تعملونه من المنحوتات لزم أن يكون هو الخالق للتأليف الذي أحدثتموه فيها فانها انما صارت معمولة بذلك التأليف والا فهي بدون ذلك ليست معمولة لهم واذا كان خالقاً لما يعملونه من المنحوتات لزم أن يكون هو الخالق للتأليف الذي أحدثوه فيها فانها انما صارت معمولة بذلك التأليف والا فهي بدون ذلك ليست معمولة لهم واذا كان خالقاً للتأليف كان خالقاً لافعالهم

والمقصود ان لفظ الفعل والعمل والصنع انواع وذلك كلفظ البناء والخياطة والتجارة تقع على نفس مسمى المصدر وعلى المعمول وكذلك لفظ التلاوة والقراءة والكلام والقول تقع على نفس مسمى المصدر وعلى مايحصل بذلك من نفس القول والكلام فيراد بالتلاوة والقراءة المقروء والمتلو كما يراد بها مسمى المصدر

والمقصود هنا ان القائل اذا قال هذه التصرفات فعل الله أو فعل

العبد فان أراد بذلك أنها فعل الله بمعنى المصدر فهذا باطل باتفاق المسلمين وبصريح العقل ولكن من قال هو فعل الله أراد به انها مفعولة مخلوقة لله كسائر المخلوقات ثم من هؤلاء من قال انه ليس لله فعل تقوم به فلا فرق عنده بين فعله ومفعوله وخالقه ومخلوقه

وأما الجمهور الذين يفرقون بين هذا وهذا فيقولون هذه مخلوقة لله مفعوله ليست هي نفس فعله وأما العبد فهي فعله القائم به وهي أيضاً مفعولة له اذا أريد بالفعل المفعول فمن لم يفرق في حق الرب تعالى بين الفعل والمفعول اذا قال انها فعل لله تعالى وليس لمسمى فعل الله عنده معنيان فحينئذ فلا تكون فعلا للعبد ولا مفعولة له بطريق الاولى

وبعض هؤلاء قال هي فعل للرب وللعبد فأثبت مفعولا بين مفعولين وأكثر المعتزلة يوافقون هؤلاء على أن فعل الرب تعالى لايكون الا بمعنى مفعوله مع أنهم يفرقون في العبد بين الفعل والمفعول فلهذا عظم النزاع وأشكلت المسئلة على الطائفتين وحاروا فيها

وأما من قال خالق الرب تعالى لمخلوقاته ليس هو نفس مخلوقاته قال ان أفعال العباد مخلوقة كسائر المخلوقات ومفعولة للرب كسائر المفعولات ولم يقل انها نفس فعل الرب وخلقه بل قال أنها نفس فعل العبد وعلى هذا تزول الشبهة فانه فقال الكذب والظلم ونحو ذلك من القبائح يتصف بها من كانت فعلا له كما يفعلها العبد وتقوم به ولا يتصف بها من كانت مخلوقة له اذا كان قد جعلها صفة لغيره كما أنه سبحانه لايتصف بما خلقه في غيره من الطعوم والالوان والروائح والاشكال

والمقادير والحركات وغير ذلك فإذا كان قد خلق لون الإنسان لم يكن هو الملون به وإذا خلق رائحة منتنة أوطعماً مراً او صورة قبيحة ونحو ذلك مما هو مكروه مذموم مستقبح لم يكن هو متصفاً بهذه المخلوقات القبيحة المذمومة المكروهة والأفعال القبيحة ومعنى قبحها كونها ضارة لفاعلها وسبباً لذمه وعقابه وجالبة لألمه وعذابه وهذا أمر يعود على الفاعل الذي قامت به لا على الخالق الذي خلقها فعلا لغيره

ثم على قول الجمهور الذين يقولون له حكمة فيما خلقه في العالم مما هو مستقبح وضار ومؤذ يقولون له فيما خلقه من هذه الأفعال القبيحة الضارة لفاعلها حكمة عظيمة كما له حكمة عظيمة فيما خلقه من الأمراض والهموم ومن يقول لا يعلل أفعاله لا يعلل لا هذا ولا هذا

يوضح ذلك أن الله تعالى إذا خلق في الإنسان عمى ومرضاً وجوعاً وعطشاً ووصباً ونصباً ونحو ذلك كان العبد هو المريض الجائع العطشان المتألم بضرر هذه المخلوقات وما فيها من الأذى والكراهة عائد اليه ولا يعود الى الله تعالى شيء من ذلك فكذلك ما خلق فيه من كذب وظلم وكفر ونحو ذلك هي أمور ضارة مكروهة مؤذية وهذا معنى كونها سيآت وقبائح أي انها تسوء صاحبها وتضره وقد تسوء أيضاً غيره وتضره كما ان مرضه ونتن ريحه ونحو ذلك قد تسوء غيره وتضره يبين ذلك ان القدرية سلموا ان الله تعالى قد يخلق في العبد كفراً أو فسوقاً على سبيل الجزاء كما في قوله تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة وقوله في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً وقوله فلما زاغوا

أراع الله قلوبهم ثم انه من المعلوم ان هذه المخلوقات تكون فعلا للعبد وكسبا له يجرى عليها ويستحق الذم عليها والعقاب وهى مخلوقة لله تعالى فالقول عند أهل الاثبات فيما يخلقه من أعمال العباد ابتداء كالقول فيما يخلقه جزاء من هذا الوجه وان افترقا من وجه آخر وهم لا يمكنهم أن يفرقوا بينهما بفرق يعود الى كون هذا فعلا لله دون هذا وهذا فعل للعبد دون هذا لكن يقولون هذا يحسن من الله تعالى لكونه جزاء للعبد وذلك لا يحسن منه لكونه ابتداء العبد بما يضره وهم لا يقولون لا يحسن منه أن يضر الحيوان الا بجرم سابق اوعوض لاحق وأما أهل الاثبات للقدر فمن لم يعلل منهم لا يفرق بين مخلوق ومخلوق

وأما القائلون بالحكمة وهم الجمهور فيقولون لله تعالى فيما يخلقه من الحيوان حكم عظيمة كما له حكم في غير هذا ونحن لا نحصر حكمته في الثواب والعوض فان هذا قياس لله تعالى على الواحد من الناس وتمثيل لحكمة الله وعدله بحكمة الواحد من الناس وعدله والمعتزلة مشبهة في الافعال معطلة في الصفات * ومن أصولهم الفاسدة انهم ينفون الله عما يخلقه في العالم اذ ليس عندهم صفة لله قائمة به ولا فعل قائم به يسمونه به ويصفونه بما يخلقه في العالم مثل قولهم هو متكلم بكلام يخلقه في غيره ومريد بارادة يحدثها لا في محل وقولهم ان رضاه وغضبه وحبه وبغضه هو نفس المخلوق الذى يخلقه من الثواب والعقاب وقوهم انه لو كان خالقا لظلم العبد وكذبه لكان هو الظالم الكاذب وأمثال ذلك من الاقوال التي اذا تدبرها العاقل علم فسادها بالضرورة

ولهذا اشتد نكير السلف والأئمة عليهم لاسيما لما أظهروا القول أن القرآن مخلوق وعلم السلف ان هذا في الحقيقة هو انكار لكلام الله تعالى وانه لو كان كلامه هو ما يخلقه للزم أن يكون كل كلام مخلوق كلاما له فيكون انطاقه للجلود يوم القيامة وانطاقه للجبال والحصا بالتسبيح وشهادة الايدي والارجل ونحو ذلك كلاما له واذا كان خالقا لكل شيء كان كل كلام موجود كلامه وهذا قول الحلولية والجهمية كصاحب الفصوص وأمثاله وهذا يقولون

وكل كلام في الوجود كلامه * سواء علينا نثره ونظامه

علم بصريح المعقول ان الله تعالى اذا خلق صفة في محل كانت صفة لذلك المحل فاذا خلق حركة في محل كان ذلك المحل هو المتحرك بها واذا خلق لونا أو ريحا في جسم كان هو الملون المروح بذلك واذا خلق علما أو قدرة أو حياة في محل كان ذلك المحل هو العالم القادر الحي فكذلك اذا خلق ارادة وحبا وبغضا في محل كان هو المريد المحب المبغض فاذا خلق فعلا لعبد كان العبد هو الفاعل فاذا خلق له كذبا وظلما وكفرا كان هو الكاذب الظالم الكافر وان خلق له صلاة وصوما وحجا كان العبد هو المصلي الصائم الحاج والله تعالى لا يوصف بشيء من مخلوقاته بل صفاته قائمة بذاته وهذا مطرد على أصول السلف وجمهور المسلمين من أهل السنة وغيرهم ويقولون ان خلق الله السموات والارض ليس هو نفس السموات والارض بل الخلق غير المخلوق لاسيما مذهب السلف والائمة وأهل السنة الذين وافقوهم على اثبات صفات الله وأفعاله

قال المعتزلة ومن وافقهم من الجهمية القدرية نقضوا هذا الاصل على من لم يقل ان الخالق غير المخلوق كالاشعري ومن وافقه فقالوا اذا قلتم ان الصفة اذا قامت بمحل عاد حكمها على ذلك المحل دون غيره كما ذكرتم في الحركة والعلم والقدرة وسائر الاعراض انتقض ذلك عليكم بالعدل والاحسان وغيرهما من أفعال الله تعالى فانه يسمى عادلا بعدل خلقه في غيره محسنا باحسان خلقه في غيره فكذا يسمى متكلما بكلام خلقه في غيره

والجمهور من أهل السنة وغيرهم يجيبون بالتزام هذا الاصل ويقولون انما كان عادلا بالعدل الذي قام بنفسه ومحسنا بالاحسان الذي قام بنفسه وأما المخلوق الذي حصل له به فهو أثر ذلك كما انه رحمن رحيم بالرحمة التي هي صفته وأما المخلوقة من الرحمة فهو أثر تلك الرحمة واسم الصفة تقع تارة على الصفة التي هي المصدر ويقع تارة على متعلقها الذي هو مسمى المفعول كلفظ الخلق يقع تارة على الفعل وعلى المخلوق أخرى والرحمة تقع على هذا وهذا وكذلك الامر يقع على أمره الذي هو مصدر امر يأمر أمرا ويقع على المفعول تارة كقوله تعالى وكان أمر الله قدرا مقدورا فكذلك لفظ العلم يقع على المعلوم والقدرة تقع على المقدور ونظائر هذا متعددة

وقد استدل أحمد وغيره من ائمة السنة في جملة ما استدلوا على أن كلام الله غير مخلوق بقوله عليه الصلاة والسلام أعوذ بكلمات الله التامات ونحو ذلك وقالوا الاستعاذة لا تحصل بمخلوق ونظير هذا قول النبي صلى الله

عليه وسلم اللهم اني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك

ومن تدبر هذا الباب وجد اهل البدع والضلال لا يستطيلون على فريق منتسب الى السنة والهدى الا قد دخلوا فيه من نوع بدعة أخرى وضلال آخر لاسيما اذا وافقوهم على ذلك فيحتجون عليهم بما وافقوهم عليه من ذلك ويطلبون لوازمه حتى يخرجوهم من الدين ان استطاعوا خروج الشعرة من العجين كالقرامطة الباطنية والفلاسفة وأمثالهم بفريق فريق من طوائف المسلمين والمعتزلة استطالوا على الاشعرية ونحوهم من المثبتين للصفات والقدر بما وافقوهم عليه من نفي الافعال القائمة بالله تعالى فنقضوا بذلك أصلهم الذي استدلوا به عليهم من أن كلام الله غير مخلوق وان الكلام وغيره من الامور اذا خلق بمحل عاد حكمه على ذلك المحل واستطالوا عليهم بذلك في مسئلة القدر واضطروهم الى أن جعلوا نفس ما يفعله العبد من القبيح فعلا لله رب العالمين دون العبد

ثم أثبتوا كسبا لا حقيقة له فانه لا يعقل من حيث تعلق القدرة بالمقدور فرق بين الكسب والفعل ولهذا صار الناس يسخرون ممن قال هذا ويقولون ثلاثة أشياء لا حقيقة لها طفرة النظام وأحوال ابي هاشم وكسب الاشعري اضطروهم الى أن فسروا تأثير القدرة في المقدور بمجرد الاقتران العادي والاقتران العادي يقع بين كل ملزوم ولازمه ويقع بين المقدور والقدرة وليس جعل هذا مؤثرا في هذا الباب بأولى من العكس ويقع بين المعلول وعلته المنفصلة عنه مع ان

قدره العباد عنده لايتجاور محلها ولهذا فر القاضي أبو بكر الى قول وأبو اسحاق الاسفرايني الى قول وأبو المعالي الجويني الى قول لما رأوا في هذا القول من التناقض والكلام على هذا مبسوط في موضعه والمقصود هنا التنبيه

ومن النكت في هذا الباب ان لفظ التأثير ولفظ الجبر ولفظ الرزق ونحو ذلك ألفاظ مجملة فاذا قال القائل هل قدرة العبد مؤثرة في مقدورها أم لا قيل له أولا لفظ القدرة يتناول نوعين أحدهما القدرة الشرعية المصححة للفعل التي هي مناط الامر والنهي والثاني القدرة القدرية الموجبة للفعل التي هي مقارنة للمقدور لايتأخر عنها فالاولى هي المذكورة في قوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا فان هذه الاستطاعة لو كانت هي المقارنة للفعل لم يجب حج البيت الا على من حج فلا يكون من لم يحج عاصيا بترك الحج سواء كان له زاد وراحلة وهو قادر على الحج أو لم يكن وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب وكذلك قوله تعالى فاتقوا الله مااستطعتم وقوله صلى الله عليه وسلم اذا أمرتكم بأمر فأتوا منه مااستطعتم لو أراد استطاعة لاتكون الا مع الفعل لكان قد قال فافعلوا منه ماتفعلون فلا يكون من لم يفعل شيئا عاصيا له وهذه الاستطاعة المذكورة في كتب الفقه ولسان العموم والناس متنازعون في مسمى الاستطاعة والقدرة فمنهم من لايثبت استطاعة الا مقارن الفعل وتجد كثيرا من الفقهاء يتناقضون فاذا خاضوا مع من يقول من المتكلمين

المثبتين للقدر ان الاستطاعة لا تكون الا مع الفعل وافقوهم على ذلك وإذا خاضوا في الفقه اثبتوا الاستطاعة المتقدمة التي هي مناط الامر والنهي وعلى هذا تتفرع مسئلة تكليف ما لا يطاق فان الطاقة هي الاستطاعة وهي لفظ مجمل فالاستطاعة الشرعية التي هي مناط الامر والنهي لم يكلف الله أحداً شيئا بدونها فلا يكلف ما لا يطاق بهذا التفسير وأما الطاقة التي لا تكون الا مقارنة للفعل فجميع الامر والنهي تكليف ما لا يطاق بهذا الاعتبار فان هذه ليست مشروطة في شيء من الامر والنهي باتفاق المسلمين وكذا تنازعهم في العبد هل هو قادر على خلاف المعلوم فاذا أريد بالقدرة القدرة الشرعية التي هي مناط الامر والنهي كالاستطاعة المذكورة في قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم فكل من أمره الله ونهاه فهو مستطيع بهذا الاعتبار وان علم انه لا يطيعه وان اريد بالقدرة القدرة القدرية التي لا تكون الا مقارنة للمفعول فمن علم انه لا يفعل الفعل لم تكن هذه القدرة ثابتة له

ومن هذا الباب تنازع الناس في الامر والارادة هل يأمر بما لا يريد أولا يأمر الا بما يريد فان الارادة لفظ فيه اجمال يراد بالارادة الارادة الكونية الشاملة لجميع الحوادث كقول المسلمين ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وكقوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجا كانما يصعد في السماء وقول نوح عليه السلام ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم ولا ريب ان الله يأمر العباد بما لا يريده بهذا التفسير

والمهـى كما قال تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها فدل على انه لم يؤت كل نفس هداها مع انه أمر كل نفس بهداها وكما اتفق العلماء على أن من حلف بالله ليقضين دين غريمه غدا ان شاء الله أو لبردن وديعته أو غصبه أو ليصلين الظهر أوالعصر ان شاء الله أو ليصومن رمضان ان شاء الله ونحو ذلك مما أمره الله به فانه اذا لم يفعل المحلوف عليه لايحنث مع ان الله أمره به لقوله ان شاء الله فعلم ان الله لم يشاءه مع أمره به واما الارادة الدينيه فهي بمعنى المحبه والرضا وهي ملازمة للامر كقوله تعالى يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم ومنه قول المسلمين هذا يفعل شيأ لايريده الله اذا كان يفعل بعض الفواحش أي انه لايحبه ولا يرضاه بل ينهى عنه ويكرهه

وكذلك لفظ الجبر فيه اجمال يراد فيه اكراه الفاعل على الفعل بدون رضاه كما يقال ان الاب يجبر المرأة على النكاح والله تعالى أجل وأعظم من أن يكون مجبرا بهذا التفسير فانه يخلق للعبد الرضا والاختيار بما يفعله وليس ذلك جبرا بهذا الاعتبار ويراد بالجبر خلق مافي النفوس من الاعتقادات والارادات كقول محمد بن كعب القرظي الجبار الذى جبر العباد على ماأراد كما في الدعاء المأثور عن علي رضي الله عنه جبار القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها والجبر ثابت بهذا التفسير فلما كان لفظ الجبر مجملا نهى الائمة عن اطلاق اثباته أو نفيه وكذلك لفظ الرزق فيه اجمال فقد يراد بلفظ الرزق ماأباحه الله أو ملكه فلا يدخل الحرام في مسمى هذا الرزق كما في قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون وقوله

تعالى وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت وقوله ومن رزقناه منا رزقا حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً وأمثال ذلك وقد يراد بالرزق ما ينتفع به الحيوان وان لم يكن هناك اباحة ولا تمليك فيدخل فيه الحرام كما فى قوله تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها وقوله عليه الصلاة والسلام في الصحيح فيكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد ولما كان لفظ الجبر والرزق ونحوهما فيه اجمال منع الائمة من اطلاق ذلك نفياً واثباتا كما تقدم عن الاوزاعى وأبى اسحاق الفزارى وغيرهما وكذا لفظ التأثير فيه اجمال فان القدرة مع المقدور كالسبب مع المسبب والعلة مع المعلول والشرط مع المشروط فان أريد بالقدرة القدرة الشرعية المصححة للفعل المتقدمة للفعل فتلك شرط للفعل وسبب من اسبابه وعلة ناقصة له وان أريد بالقدرة القدرة المقارنة للفعل المستلزمة له فتلك علة للفعل وسبب ومعلوم انه ليس فى المخلوقات شيء هو وحده علة تامة وسبب تام للحوادث بمعنى ان وجوده مستلزم لوجود الحوادث بل ليس هذا الا مشيئة الله تعالى خاصة فما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن

وأما الاسباب المخلوقة كالنار في الاحراق والشمس في الاشراق والطعام والشراب في الاشباع والارواء فجميع هذه الامور سبب لا يكون الحادث به وحده بل لابد أن ينضم اليه سبب آخر ومع هذا فلهما موانع تمنعهما عن الاثر فكل سبب فهو موقوف على وجود الشروط وانتفاء الموانع وليس فى المخلوقات واحد يصدر عنه وحده شيء

وهذا مما يبين لك خطأ المتفلسفة الذين قالوا الواحد لا يصدر عنه الا واحد واعتبروا ذلك بالأسباب الطبيعية كالتسخين والتبريد ونحو ذلك فان هذا غلط فان التسخين لا يكون الا بشيئين أحدهما فاعل كالنار والثاني قابل كالجسم القابل للسخونة والاحتراق والا فالنار اذا وقعت على السمندل والياقوت لم تحرقه وكذلك الشمس فان شعاعها مشروط بالجسم القابل للشمس الذي ينعكس عليه الشعاع وله موانع من السحاب والسقوف وغير ذلك فهذا الواحد الذي قدروه في أنفسهم لا وجود له في الخارج وقد بسط هذا في موضع آخر فان الواحد العقلي الذي يثبته الفلاسفة كالوجود المجرد عن الصفات وكالعقول المجردة وكالكليات التي يدعون تركب الانواع منها وكالمادة والصورة العقليتين وأمثال ذلك لا وجود لها في الخارج بل انما توجد في الاذهان لا في الاعيان وهي أشد بعدا عن الوجود من الجوهر الفرد الذي يثبته من يثبته من أهل الكلام فان هذا الواحد لا حقيقة له في الخارج وكذلك الواحد كما قد بسط في موضعه

والمقصود هنا ان التأثير اذا فسر بوجود شرط الحادث أو سبب يوقف حدوث الحادث به على سبب آخر وانتفاء موانع وكل ذلك بخلق الله تعالى فهذا حق وتأثير قدرة العبد في مقدورها ثابت بهذا الاعتبار وان فسر التأثير بأن المؤثر مستقل بالاثر من غير مشارك معاون ولا معاوق مانع فليس شيء من المخلوقات مؤثرا بل الله وحده خالق كل شيء ولا شريك له ولا ند له فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده قل

ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون ونظائر هذا في القرآن كثيرة فاذا عرف ماقي نمط التأثير من الاجمال والاشتراك ارتفعت الشبهة وعرف العدل المتوسط من الطائفتين فمن قال ان المؤمن والكافر سواء فيما أنعم الله عليهما من الاسباب المقتضية للايمان وان المؤمن لم يخصه الله بقدرة ولا ارادة آمن بها وان العبد اذا آمن لم يحدث له معرفة من الله وارادة لم تكن قبل الفعل فقوله معلوم الفساد وقيل لهؤلاء فعل العبد من جملة الحوادث والممكنات وكل مابه يعلم ان الله تعالى أحدث غيره يعلم به ان الله أحدثه فيكون العبد فاعلا بعد ان لم يكن أمر ممكن حادث فان أنكر صدور هذا الممكن بدون محدث واجب يحدثه ويرجح وجوده على عدمه أمكن ذلك في غيره فانتقض دليل اثبات الصانع ولا ريب ان كثيراً من متكلمة الاثبات القائلين بالقدر سلموا للمعتزلة ان القادر المختار يمكنه ترجيح أحد مقدوريه على الآخر بلا مرجح وقالوا في مسئلة احداث العالم ان القادر المختار أو الارادة القديمة التي نسبتها الى جميع الحوادث والازمنة نسبة واحدة رجحت أنواعا من الممكنات في الوقت الذي رجحته بلا حدوث سبب اقتضى الرجحان وادعوا أن القادر المختار يمكنه الترجيح بلا مرجح أوالارادة

القديمة ترجح بلا مرجح آخر فاعترض عليهم هناك من نازعهم من أهل الملل والفلاسفة القائلين بأن الله لم يحدث الحوادث بأفعال تقوم بنفسه وان الله خالق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام والقائلين بقدم العالم قالوا هذا الذي قلتموه معلوم الفساد بالضرورة وتجويز هذا يقتضي جواز حدوث الحوادث بلا سبب والترجيح بلا مرجح وذلك يسد باب اثبات الصانع

ثم ان هؤلاء المثبتين للقدر احتجوا بهذه الحجة على نفاة القدر وقالوا حدوث فعل العبد بعد ان لم يكن لابد له من محدث مرجح تام غير العبد فان ما كان من العبد فهو محدث وعند وجود ذلك المحدث المرجح التام يجب وجود فعل العبد وهذا الذي قالوه حق وهو حجة قاطعة على القدرية لكنهم نقضوه وتناقضوا فيه في فعل الرب تعالى وادعوا هناك ان البديهة فرقت بين فعل القادر وبين الموجب بالذات فان كان هذا الفرق صحيحاً بطلت حجتهم على المعتزلة ولم تبطل قول القدرية وان كان باطلا بطل قولهم في احداث الله وفعله بالقادر وهذا هو الباطل في نفس الامر فان القول بأن الممكن لا يترجح وجوده على عدمه الا بمرجح تام أمر معلوم بالفطرة الضرورية لا تمكن القدح فيه وهو عام لا تخصيص فيه والفرق المذكور باطل وذلك يبطل قولهم بأن خالق العالم هو العالم وانه حدث بعد ان لم يكن بغير سبب حادث ومن قال ان قدرة العبد وغيرها من الاسباب التي خلق الله تعالى بها المخلوقات ليست أسباباً وان وجودها كعدمها وليس هناك الا مجرد اقتران عادي

كافران الدليل بالمداول فقد جحد ما في خلق الله وشرعه من الاسباب والحكم ولم يجعل في العين قوة تمتاز بها عن الخد تبصر بها ولا في القلب قوة تمتاز بها عن الرجل تعقل بها ولا في النار قوة تمتازبها عن التراب تحرق بها وهؤلاء ينكرون معاني الاجسام المطبوعة من الطبائع والغرائز

قال بعض الفضلاء تكلم قوم من الناس في ابطال الاسباب والقوى والطبائع فاضحكوا العقلاء على عقولهم ثم ان هؤلاء يقولون لاينبغي للانسان أن يقول انه شبع بالخبز وروى بالماء بل يقول شبعت عنده ورويت عنده فان الله يخلق الشبع والري ونحو ذلك من الحوادث عند هذه المقترنات بها عادة لا بها وهذا خلاف الكتاب والسنة فان الله تعالى يقول وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات الآية وقال تعالى وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وقال تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم وقال ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا وقال ونزلنا من السماء ماء فأنبتنا به جنات وحب الحصيد وقال وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء وقال هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات وقال تعالى ان الله لايستحيي أن يضرب مثلا ما الى قوله يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ومثل

هذا في القرآن كثير وكذلك في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم كقوله لا يموتن أحد منكم الا آذنتموني حتى اصلي عليه فان الله جاعل صلاتي عليه بركة ورحمة وقال صلى الله عليه وسلم ان هذه القبور مملوءة على أهلها ظلمة وان الله جاعل صلاتي عليهم نوراً ومثل هذا كثير

وانظر هؤلاء الذين أبطلوا الاسباب المقدورة في خلق الله من ابطال الاسباب المشروعة في أمر الله كالذين يظنون ان مايحصل بالدعاء والاعمال الصالحة وغير ذلك من الخيرات ان كان مقدراً حصل بدون ذلك وان لم يكن مقدراً لم يحصل بذلك وهؤلاء كالذين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم أفلا ندع العمل ونتكل على الكتاب فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وفي السنن انه قيل يارسول الله أرأيت أدوية نتداوى بها وأرقية نسترقي بها وتقاه نتقيها هل ترد من قدر الله شيئا فقال هي من قدر الله ولهذا قال من قال من العلماء الالتفات الى الاسباب شرك في التوحيد ومحو الاسباب أن تكون أسبابا نقص في وجوه العقل والاعراض عن الاسباب بالكلية قدح في الشرع والله سبحانه خالق الاسباب والمسببات وجعل هذا سبباً لهذا فاذا قال القائل ان كان هذا مقدوراً حصل بدون السبب والالم يحصل

جوابه انه مقدور بالسبب وليس مقدوراً بدون السبب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق للجنة اهلا خلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم وبعمل أهل النار يعملون وقال صلى الله عليه وسلم اعملوا فكل

ميسر لما خلق له اما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة وفى الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم تكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل اليه الملك فيؤمر باربع كلمات ويكتب رزقه وعمله وأجله وشقى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذى نفسى بيده ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب ويعمل بعمل أهل النار ويدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتي مايكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب ويعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها فبين صلي الله عليه وسلم ان هذا يدخل الجنة بالعمل ألذى يعمله ويختم له به وهذا يدخل النار بالعمل الذى يعمله ويختم له به كما قال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالخواتيم وذلك لان جميع الحسنات تحبط بالردة وجميع السيئات تغفر بالتوبة وبطلان ذلك من صام ثم أفطر قبل الغروب أو صلى وأحدث عمداً قبل كمال الصلاة ثم أبطل عمله وبالجملة فالذى عليه سلف الامة وأئمتها مابعث الله به رسله وأنزل كتبه فيؤمنون بخلق الله وأمره بقدره وشرعه بحكمه الكونى وحكمه الدينى وارادته الكونية والدينية كما قال فى الاول فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء وقال نوح عليه السلام ولا ينفعكم نصحى

أن اردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم وقال تعالى في الارادة الدينية يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم وقال ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم وهم مع اقرارهم بان الله خالق كل شئ وربه ومليكه وانه خالق الاشياء بقدرته ومشيئته يقرون بانه لا اله الا هو لا يستحق العبادة غيره ويطيعونه ويطيعون رسله ويحبونه ويرجونه ويخشونه ويتوكلون عليه ويدعون اليه ويوالون أولياءه ويعادون أعداءه ويقرون بمحبته لما أمر به ولعباده المؤمنين أيضا ورضاه بذلك وبغضه لما نهى عنه وللكافرين وسخطه لذلك ومقته له ويقرون بما استفاض عن النبي صلى الله عليه وسلم من ان الله أشد فرحا بتوبة عبده التائب من رجل أضل راحلته بأرض دوية مهلكة عليها طعامه وشرابه فطلبها فلم يجدها فقال تحت شجرة فلما استيقظ اذا بدابته عليها طعامه وشرابه فالله اشد فرحا بتوبة عبده من هذا براحلته

فهو الههم الذي يعبدونه وربهم الذي يسألونه كما قال تعالى الحمد لله رب العالمين الى قوله اياك نعبد واياك نستعين فهو المعبود المستعان بالعبادة تجمع كمال الحب مع كمال الذل فهم يحبونه أعظم مما يحب كل محب لمحبوبه كما قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله وكل ما يحبونه سواه فانما يحبونه لاجله كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاث من

كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لايحبه الا لله ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد ان أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار وفي الترمذي وغيره أوثق عري الايمان الحب في الله والبغض في الله ومن أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان وهو سبحانه يحب عباده المؤمنين

وكمال الحب هو الخلة التي جعلها الله لابراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم فان الله اتخذ ابراهيم خليلا واستفاض عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح من غير وجه انه قال ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا وقال لو كنت متخذا خليلا من أهل الارض لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله يعني نفسه وهذا اتفق سلف الامة وأئمتها وسائر أهل السنة وأهل المعرفة ان الله نفسه يحب ويحب وانكرت الجهمية ومن تبعهم محبته وأول من أنكر ذلك الجعد بن درهم شيخ الجهم بن صفوان فضحى به خالد بن عبد الله القسري بواسط وقال يأيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فاني مضح بالجعد بن درهم انه زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً ثم نزل فذبحه وهذا أصل مسئلة ابراهيم الذي جعله الله اماما للناس قال تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماما وقال ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا ومن

قال ان المراد بمحبه الله محبه التقرب اليه فقوله متناقض فان محبة التقرب اليه تبع لمحبته فمن أحب الله نفسه أحب التقرب اليه ومن كان لايحبه نفسه امتنع أن يحب التقرب اليه وأما من كان لايطيعه ولا يمتثل أمره الا لاجل عرض آخر فهو فى الحقيقة انما يحب ذلك العرض الذى عمل لاجله وقد جعل طاعة الله وسيله اليه وقد ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناديا أهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون ماهو ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار فيكشف الحجاب فينظرون اليه فما أعطاهم شيئا أحب اليهم من النظر اليه وهو الزيادة فاخبر ان النظر اليه أحب اليهم من كل ماينعمون به ومحبة النظر اليه تبع لمحبته فانما احبوا النظر اليه لمحبتهم اياه وما من مؤمن الا ويجد فى قلبه محبة الله وطمأنينة بذكره وتنعما بمعرفته ولذة وسرورا بذكره ومناجاته وذلك يقوى ويضعف ويزيد وينقص بحسب ايمان الخلق فكل من كان ايمانه اكمل كان تنعمه بهذا أكمل ولهذا قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه أحمد وغيره حبب الىّ من دنياكم النساء والطيب ثم قال وجعلت قرة عيني فى الصلاه وكان صلى الله عليه وسلم يقول أرحنا بالصلاه يابلال وهذا مبسوط فى غير هذا الموضع

والمقصود هنا ان عباده المؤمنين يحبونه وهو يحبهم سبحانه ويحبهم له بحسب وفائهم لما يحبه كما فى صحيح البخاري عن ابي هريرة عن النبي

صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى من عادى لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة وما تقرب الى عبدى بمثل أداء ماافترضت عليه ولايزال عبدى يتقرب الىّ بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشى بها فبى يسمع وبي يبصر وبى يبطش وبى يمشى ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه

وقد بين ان العبد اذا تقرب الى الله بما يحبه من النوافل بعد الفرائض أحبه الله فحب الله لعبده بحسب فعل العبد لما يحبه الله وما يحبه الله من عبادته وطاعته فهو تبع لحب نفسه وحب ذلك هو سبب حب عباده المؤمنين فكان حبه للمؤمنين تبعا لحب نفسه فالمؤمنون وان كانوا يحمدون ربهم ويثنون عليه فهم لايحصون ثناء عليه بل هو كما أثني على نفسه كما في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم اني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لاأحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وفي الصحيح انه قال لاأحد أحب اليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه وقال له الاسود بن سريع اني حمدت ربي فقال ان ربك يحب الحمد فهو يحب حمد العباد له وحمده لنفسه أعظم من حمد العباد له ويحب ثناءهم عليه وثناؤه على نفسه أعظم من ثنائهم عليه وكذلك حبه لنفسه وتعظيمه لنفسه فهو سبحانه أعلم بنفسه من كل أحد وهو الموصوف بصفات

الا كمال التي لا يبلغها عقول الخلائق فالعظمة ازاره والكبرياء رداؤه وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قرأ وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه قال يقبض الله الارض و يطوى السموات بيمينه ثم يهزهن ثم يقول أنا الملك انا القدوس أنا السلام أنا المؤمن أنا المهيمن انا الذى بدأت الدنيا ولم تك شيئا أنا الذى أعيدها وفى رواية يحمد الرب نفسه فهو يحمد نفسه ويثنى عليها ويمجد نفسه سبحانه وهو الغنى بنفسه لا يحتاج الى أحد غيره بل كل ما سواه فقير اليه يسأله من فى السموات والارض كل يوم هو فى شان وهو الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فاذا فرح بتوبة التائب وأحب من تقرب اليه بالنوافل ورضى عن السابقين الاولين لم يجز أن يقال هو مفتقر بذلك الى غيره ولا مستكمل بسواه فانه هو الذى خلق هؤلاء وهداهم وأعانهم حتى فعلوا ما يحبه ويرضاه ويفرح به فهذه المحبوبات لم تحصل الا بقدرته ومشيئته وحده فله الملك لا شريك له وله الحمد فى الاولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون فهذا ونحوه يحتج به الجمهور الذين يثبتون لافعاله حكمة تتعلق به يحبها ويرضاها ويفعل لاجلها قالوا وقول القائل ان هذا نقص انه مستكمل بغيره ويكون ناقصا قبل ذلك

فمن أجوبة * أحدها ان هذا منقوض بنفس ما تفعله من المفعولات فما كان جوابا فى المفعولات كان جوابا عن هذا ونحن لا نعقل فى الشاهد فاعلا لا مستكملا بفعله

الثاني انهم قالوا كماله أن يكون لايزال قادرا على الفعل بحكمته ولو قدر كونه غير قادر على ذلك لكان ناقصا

الثالث قول القائل انه مستكمل بغيره باطل فان ذلك انما حصل بقدرته ومشيئته لاشريك له في ذلك فلم يكن في ذلك محتاجا الى غيره واذا قيل كمل بفعله الذي لايحتاج فيه الى غيره كان كما لو قيل كمل بصفاته أو بذاته

الرابع قول القائل كان قبل ذلك ناقصا ان أراد به عدم ماتجدد فلا نسلم ان عدمه قبل ذلك الوقت الذي اقتضت الحكمة وجوده فيه يكون نقصا وان أراد بكونه ناقصا معنى غير ذلك فهو ممنوع بل يقال عدم الشئ في الوقت الذي لم تقتض الحكمة وجوده فيه من الكمال كما ان وجوده في وقت اقتضاء الحكمة وجود كمال فليس عدم كل شئ نقصا بل عدم مايصلح وجوده هو النقص كما ان وجود مالا يصلح وجوده نقص فتبين ان وجود هذه الامور حين اقتضت الحكمة عدمها هو النقص لاان عدمها هو النقص ولهذا كان الرب تعالى موصوفا بالصفات الثبوتية المتضمنة لكماله وموصوفا بالصفات السلبية المستلزمة لكماله أيضا وكان عدم ما نفي عنه هو من الكمال كما ان وجود مايستحق ثبوته من الكمال واذا عقل مثل هذا في الصفات وكذلك في الافعال ونحوها وليس كل زيادة يقدرها الذهن من الكمال بل كثير من الزيادات تكون نقصا في كمال المزيد كما يعقل مثل ذلك في كثير من الموجودات والانسان قد يكون وجود أشياء في وقت نقصا وجودها في

حقـه وفي وقت آخر كمالا وممدحا في حقه كما تكون في وقت مضرة له وفي وقت منفعة له

الخامس انا اذا قدرنا من يقدر على احداث الحوادث لحكمة ومن لا يقـدر على ذلك كان معلوما ببديهة العقل ان القادر على ذلك أكمل مع ان الحوادث لايمكن وجودها الا حوادث لاتكون قديمة واذا كانت القدرة على ذلك أكمل وهـذا المقدور لايكون الاحادثا كان وجوده هو الكمال وعدمه قبل ذلك من تمام الكمال وعـدم الممتنع الذي هو شرط في وجود الكمال

ثم الجمهور القائلون بهـذا الاصـل هنا ثلاث فرق فرقـة تقول ارادته وحبه ورضاه ونحو هذا قديم فلم يزل راضيا عمن علم انه يموت مؤمنا ولم يزل ساخطا على من علم انه يموت كافرا كما تقول ذلك من يقوله من الكلابية وأهل الحديث والفقهاء والصوفية فهؤلاء لا يلزمهم التسلسل لاجـل حلول الحوادث لكن تعارضـهم الاكثرون الذين ينازعونهم في الحكمة المحبوبة كما نازعوهم في الارادة فانهم قالوا اذا كانت الارادة قديمة لم تزل ونسبتها الى جميع الازمنة والحوادث سواء فاختصاص زمان دون زمان بالحـدوث ومفعول دون مفعول تخصيص بلا مخصص قال أولئك الارادة من شأنها ان تخصص قال لهم المنازعون من شأنها جنس التخصيص وأما تخصيص هذا المعين على هـذا المعين فليس من لوازم الارادة بل لابد من سبب يوجب اختصاص أحدهما بالارادة دون الآخر والانسان يجد من نفسه أنه يخصص بارادته ولكنه

يعلم أنه لا يريد هذا دون هذا الا لسبب اقتضاه التخصيص والا فلو تساوى ما يمكن ارادته من جميع الوجوه امتنع تخصيص الارادة لواحد من ذلك دون أمثاله فان هذا ترجيح بلا مرجح ومتى جوز هذا انسد باب اثبات الصانع قالوا ومن تدبر هذا وأمعن النظر فيه علمه حقيقة وانما ينازع فيه من يقلد قولا قاله غيره من غير اعتبار لحقيقته وهكذا يقول الجمهور اذا كان الله تعالى راضياً في أزله ومحباً وفرحاً بما يحدثه فبل أن يحدثه فاذا أحدثه هل حصل باحداثه حكمة يحبها ويرضاها ويفرح بها أولم يحصل الا ما كان في الازل فان قلتم لم يحصل الا ما كان في الازل قبل ذلك كان حاصلا بدون ما احدثه من المفعولات فامتنع أن تكون المفعولات فعلت لكي يحصل ذلك فقولكم كما تضمن ان المفعولات تحدث بلا سبب يحدثه الله تضمن أنه فعلها لا لحكمة يحبها ويرضاها قالوا فقولكم يتضمن نفي ارادته المقارنة ومحبته وحكمته التي لا يحصل الفعل الا بها

والفرقة الثانية قالوا ان الحكمة المتعلقة به تحصل بمشيئته وقدرته كما تحصل الفعل بمشيئته وقدرته كما تقول ذلك من يقوله من الكلابية وأهل الحديث والصوفية قالوا وان قام ذلك بذاته فهو كقيام سائر ما أخبر به من صفاته وأفعاله بذاته والمعتزلة تنفي قيام الصفات والافعال به وتسمى الصفات أعراضاً والافعال حوادث ويقولون لا تقوم به الاعراض ولا الحوادث وتوهم من لم يعرف حقيقة قولهم انهم ينزهون الله تعالى عن النقائص والعيوب والآفات ولا ريب ان الله يجب تنزيهه عن كل

عيب ونقص وآفة فانه القدوس السلام الصمد السيد الكامل في كل نعت من نعوت الكمال كما لا يدرك الخلق حقيقته منزهاً عن كل نقص تنزيهاً لا يدرك الخلق كماله وكل كمال ثبت لموجود من غير استلزام نقص فالخالق تعالى أحق به وأكمل فيه منه وكل نقص تنزه عنه مخلوق فالخالق أحق بتنزيهه عنه وأولى ببراءته منه

روينا من طريق غير واحد كعثمان بن سعيد الدارمي وأبي جعفر الطبري والبيهقي وغيرهم في تفسير علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى الصمد قال السيد الذي كمل في سودده والشريف الذي قد كمل في شرفه والعظيم الذي قد كمل في عظمته والحكيم الذي قد كمل في حكمته والغني الذي قد كمل في غناه والجبار الذي قد كمل في جبروته والعالم الذي قد كمل في علمه والحليم الذي قد كمل في حلمه وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسودد وهو الله عز وجل هذه صفته لا تنبغي الا له ليس له كفؤ ولا كمثله شيء سبحانه الواحد القهار وهذا التفسير ثابت عن عبد الله بن أبي صالح عن علي ابن أبي طلحة الوالبي لكن يقال انه لم يسمع التفسير عن ابن عباس ولكن مثل هذا الكلام ثابت عن السلف وروى عن سعيد بن جبير أنه قال الصمد الكامل في صفاته وأفعاله وثبت عن أبي وائل شقيق بن سلمة أنه قال الصمد السيد الذي انتهى سؤدده وهذه الاقوال وما أشبهها لا تنافي ما قاله كثير من السلف كسعيد بن المسيب وابن جبير ومجاهد والحسن والسدي والضحاك وغيرهم من أن الصمد هو الذي لا جوف له وهذا منقول

عن ابن مسعود وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه موقوفا أو مرفوعا فان كلا القولين حق كما بسط الكلام عليه ولفظ الاعراض في اللغة قد يفهم منه ما يعرض للانسان من الامراض ونحوها وكذلك لفظ الحوادث والمحدثات قد يفهم منه ما يحدثه الانسان من الافعال المذمومة والبدع التي ليست مشروعة أو ما يحدث بالانسان من الامراض ونحو ذلك والله تعالى يجب تنزيهه عما هو دون ذلك مما فيه نوع نقص وكيف تنزيهه عن هذه الامور ولكن لم يكن مقصود المعتزلة بقولهم هو منزه عن الاعراض والحوادث الا نفي صفاته وأفعاله فعندهم لا تقوم به علم ولا قدرة ولا مشيئة ولا رحمة ولا حب ولا رضا ولا فرح ولا خلق ولا احسان ولا عدل ولا اتيان ولا مجيء ولا نزول ولا استواء ولا غير ذلك من صفاته وأفعاله وجماهير المسلمين يخالفونهم في ذلك ومن الطوائف من نازعهم في الصفات دون الافعال ومنهم من نازعهم في بعض الصفات دون بعض ومن الناس من نازعهم في العلم القديم ويقول ان فعله قديم وان كان المفعول محدثا كما يقول في نظير من يقوله في الارادة وبسط هذه الاقوال وذكر قائليها وأدلتهم مذكورة في غير هذا الموضع

والمقصود هنا التنبيه على مجامع أجوبة الناس عن السؤال المذكور وهذا الفريق الثاني اذا قال لهم الناس اذا أثبتم حكمة حدثت بعد ان لم تكن لزمكم التسلسل قالوا القول في حدوث الحكمة كالقول في سائر ما أحدثه من المفعولات ونحن نخاطب من يسلم لنا انه اذا أحدث المحدثات بعد ان لم يكن فاذا قلنا انه أحدثها لحكمة حادثة لم يكن له ان يقول

هذا يستلزم التسلسل بل نقول له القول فى حدوث الحكمة كالقول فى حدوث المفعول الذى ترتبت عليه الحكمة فما كان جوابك عن هذا كان جوابا عن هذا

فلما خصم الفريق الثانى للفريق الاول قال لهم الفريق الثالث من ائمة الحديث والفقهاء والصوفية وأهل الكلام هذه حجة جدلية الزامية ولم تشفوا العليل بهذا الجواب وليس معكم في الادلة الشرعيه ولا العقليه ماينفى مثل هذا التسلسل بل التسلسل نوعان والدور نوعان أحدهما لتسلسل في العلل والمعلولات فهذا ممتنع وفاقا والثانى التسلسل فى الشروط والآثار فهذا في جوازه قولان معروفان للمسلمين وغيرهم وطوائف من أهل الكلام والحديث والفلسفة يجوزون هذا ومن هؤلاء السلف والأئمة الذين يقولون لم يزل الله متكلما اذا شاء وانه لم يزل يقوم به مايتعلق بمشيئته وقدرته من الافعال وغيرها وبين هؤلاء ان ماينفى به منازعوهم على نفى التسلسل فى الآثار امتناع وجود مالا يتناهي فى الماضى أدلة ضعيفة كدليل المطابقة بين الجملتين مع زيادة أحدهما وكزيادة الشفع والوتر ونحو ذلك من الادلة التي بين هؤلاء فسادها ونقضوها بعلمهم بالحوادث في المستقبل وبعقود الاعداد وبمعلومات الله مع مقدوراته وغير ذلك مما قد بسط فى موضعه

والدور نوعان فالدور القبلي السبقي ممتنع واما الدور المعي الاقترانى وهو أن لايكون هذا الا مع هذا فهذا الدور فى الشروط وما أشبهها من المضايفات والمتلازمات ومثل هذا جائز فهذه مجامع أجوبة الناس

عن هذا السؤال وهي عدة أقوال

الاول قول من لا يعلل لا أفعاله ولا أحكامه

والثاني قول من يعلل ذلك بأمور مباينة له منفصلة عنه من جملة مفعولاته

والثالث قول من يعلل ذلك بأمور قائمة به متعلقة بقدرته ومشيئته لكن يقول جنسها حادث

والخامس قول من يعلل ذلك بأمور متعلقة بمشيئته وقدرته فان كان الفعل المقتضي للحكمة حادث النوع كانت الحكمة كذلك وان قدر أنه قام به كلام أو فعل متعلق بمشيئته وانه لم يزل كذلك كانت الحكمة كذلك ويكون النوع قديماً وان كانت آحاده حادثة

ويمكن الجواب عن السؤال بتقسيم حاصر بأن يقال لا ريب ان الله عز وجل يحدث مفعولات لم تكن فاما أن تكون الافعال المحدثة يجب أن يكون لها ابتداء ويجوز أن تكون غير متناهية في الابتداء كما هي غير متناهية في الانتهاء فان وجب أن تكون لها ابتداء أمكن حدوث الحوادث بدون تسلسلها فاذا قال القائل او فعل لعلة محدثة لكان القول في حدوث تلك العلة كالقول في حدوث معلولها ويلزم التسلسل كان جوابه على هذا التقدير ان الحوادث يجب أن يكون لها ابتداء واذا فعل الفعل لحكمة محدثة كان الفعل وحكمته محدثين ولا يجب أن يكون للعلة المحدثة علة محدثة الا اذا جاز أن لا يكون للحوادث ابتداء فاما اذا جاز أن لا يكون لها ابتداء بطل هذا السؤال فكيف اذا وجب أن يكون لها ابتداء وان

قيل يجوز أن يكون الحوادث غير متناهية في الابتداء كما انها غير متناهية في الانتهاء عند المسلمين وسائر أهل الحق ولم ينازع في ذلك الا بعض أهل البدع الذين يقولون بفناء الجنة والنار كما يقوله الجهم بن صفوان أو بفناء حركات أهل الجنة كما يقوله أبو الهذيل فان هذين أوجبا أن يكون لجنس الحوادث انتهاء كما يجوز أن يكون لها عندهم ابتداء وأكثر الذين وافقوهم على وجوب الابتدا خالفوهم في الانتهاء وقالوا لها ابتداء وليس لها انتهاء والاقوال الثلاثة معروفة في طوائف المسلمين

والمقصود هنا ان الجواب يحصل على التقديرين فمن جوز أن يكون لها نهاية في الابتداء جوز تسلسل الحوادث وقال هذا تسلسل في الآثار والشروط لاتسلسل في العلل والمؤثرات والممتنع انما هو الثاني دون الاول وقال انه لاتقوم دليل على امتناع الثاني كما يقول ذلك طوائف من متقدمي أهل الكلام ومتأخريهم ومن أوجب أن يكون لها ابتداء قال في حدوث العلة مانقوله في حدوث المعلول اذ لافرق بينهما في هذا المعنى

ومن الاجوبة الحاصرة أن يقال خلق الله اما أن يجوز تعليله أولا فان لم يجز تعليله كان هذا هو القدر الاول وعلى هذا التقدير فلا يسمى هذا عبثاً واذا سماه المسمي عبثاً لم يكن تسميته عبثاً قدحاً فيما تحقق فانا نتكلم على تقدير امتناع التعليل واذا كان التعليل ممتنعاً وجب القول به ولو سماه المسمي بأي شيء سماه وان جاز تعليله فلا يخلو اما ان يجوز تعليله بعلة حادثة واما أن لايجوز فان قيل لايجوز

الصديق بها ولهذا يجب أن يكون الخطاب في المسائل المشكلة بطريق ذكر كل قول ومعارضة الآخر له حتى تبين الحق بطريقه لمن يريد هدايته ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور والله يقول الحق وهو يهدى السبيل والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ تمت الرسالة الثامنة ﴾

﴿ ويليها الرسالة التاسعة له أيضا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا * وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له اقرارا به وتوحيدا * وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما مزيدا

﴿ اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة الى قيام
الساعة أهل السنة والجماعة ﴾

الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والايمان بالقدر خيره وشره

ومن الايمان بالله الايمان بما وصف به نفسه فى كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل بل يؤمنون بأن الله ليس كمثله شئ وهو السميع البصير فلا ينفون عنه ماوصف به نفسه ولايحرفون الكلم عن مواضعه ولا يلحدون فى أسماء الله وآياته ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه لانه سبحانه لاسمى له ولا كفؤ له ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى فانه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلا وأحسن حديثا من خلقه ثم رسله صادقون مصدوقون بخلاف الذين يقولون عليه مالا يعلمون ولهذا قال سبحانه وتعالى سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل وسلام على المرسلين لسلامة ماقالوه من النقص والعيب وهو

سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي و الاثبات ولا عدول لاهل السنة والجماعة عما جاءت به المرسلون فانه الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقد دخل في هذه الجملة ما وصف به نفسه في سورة الاخلاص التي تعدل ثلث القرآن حيث يقول قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وما وصف به نفسه في أعظم آية من كتاب الله حيث يقول الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما (أي لا يكرثه ولا يثقله) وهو العلي العظيم فلهذا كان من قرأ هذه الآية في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح وقوله سبحانه وتعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت وقوله سبحانه هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم وقوله سبحانه وهو العليم الخبير يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه وقوله لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما وقوله ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين وقوله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ان الله نعما

يعظكم به ان الله كان سميعاً بصيرا وقوله ولولا اذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لاقوة الا بالله ولو شاء الله مااقتتل الذين من بعدهم من بعد ماجاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله مااقتتلوا ولكن الله يفعل مايريد أحلت لكم بهيمة الانعام الا مايتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم ان الله يحكم مايريد فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء وقوله وأحسنوا ان الله يحب المحسنين وأقسطوا ان الله يحب المقسطين فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقوله رضي الله عنهم ورضوا عنه وقوله بسم الله الرحمن الرحيم ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما وكان بالمؤمنين رحيما كتب ربكم على نفسه الرحمة وهو الغفور الرحيم فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين وقوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وقوله ذلك بأنهم اتبعوا ماأسخط الله وكرهوا رضوانه وقوله فلما آسفونا انتقمنا منهم ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقوله كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالاتفعلون وقوله هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الامر والى الله ترجع الامور هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك كلا اذا

دكت الارض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وقوله ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام كل شيء هالك الا وجهه وقوله مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وقوله واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقوله وحملناه على ذات ألواح ودسر تجري باعيننا جزاء لمن كان كفر وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني وقوله قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ماقالوا أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون انني معكما أسمع وأرى وقوله ألم يعلم بأن الله يرى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وقوله شديد المحال وقوله ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لايشعرون وقوله انهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا وقوله ان تبدوا خيراً أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديرا وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم وقوله ولله العزة ولرسوله فبعزتك لاغوينهم أجمعين وقوله تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام وقوله فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا ولم يكن له كفوا أحد فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك

ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً يسبح لله ما في السموات وما في الارض له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا وخلق كل شيء فقدره تقديرا ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون ولا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون وقوله الرحمن على العرش استوى ثم استوى على العرش في ستة مواضع ياعيسى اني متوفيك ورافعك الي بل رفعه الله اليه اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ياهامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع الي اله موسى واني لاظنه كاذبا أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير وقوله هو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم لا تحزن ان الله معنا انني معكما أسمع وأرى ان الله مع

الذين اتقوا والذين هم محسنون واصبروا ان الله مع الصابرين كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وقوله ومن أصدق من الله حديثا ومن اصدق من الله قيلا واذ قال الله ياعيسى بن مريم وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا وكلم الله موسى تكليما منهم من كلم الله ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا واذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين وناداهما ربهما ألم انهكما عن تلكما الشجرة ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا واتل ما أوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل وهذا كتاب أنزلناه مبارك لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدي وبشرى للمسلمين ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين وجوه يومئذ ناضرة الي ربها ناظرة على الارائك ينظرون للذين أحسنوا الحسني وزيادة لهم ماشاؤن عند ربهم لهم ماشاؤن فيها ولدينا مزيد

وهذا الباب في كتاب الله تعالى كثير من تدبر القرآن طالبا الهدى

عنه تبين له طريق الحق ثم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تفسر القرآن وتبينه وتدل عليه وتعبر عنه وما وصف الرسول به ربه من الاحاديث الصحاح التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول وجب الايمان بها كذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا الى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له متفق عليه وقوله صلى الله عليه وسلم لله أشد فرحا بتوبة عبده من أحدكم براحلته الحديث متفق عليه وقوله صلى الله عليه وسلم يضحك الله الى رجلين أحدهما يقتل الآخر كلاهما يدخل الجنة متفق عليه وقوله عجب ربنا من قنوط عباده وقرب خيره ينظر اليكم أزلين قنطين فيظل يضحك يعلم ان فرجكم قريب حديث حسن وقوله صلى الله عليه وسلم لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه وفي رواية عليها قدمه فينزوي بعضها الى بعض وتقول قط قط متفق عليه وقوله صلى الله عليه وسلم يقول الله يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادي بصوت ان الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا الى النار متفق عليه وقوله في رقية المريض ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك أمرك في السماء والارض كما رحمتك في السماء اجعل رحمتك في الارض اغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين انزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع رواه أبو داود وقوله صلى الله عليه وسلم الا تأمنوني وأنا أمين من في السماء رواه البخاري وغيره وقوله والعرش فوق ذلك والله فوق ذلك

والله فوق عرشه وهو يعلم ما أنتم عليه رواه أبو داود والترمذي وغيرهما وقوله صلى الله عليه وسلم للجارية اين الله قالت في السماء قال من أنا قالت أنت رسول الله قال أعتقها فانها مؤمنة رواه مسلم وقوله صلى الله عليه وسلم أفضل الايمان ان تعلم ان الله معك حيثما كنت حديث حسن وقوله إذا قام أحدكم الى الصلاة فان الله قبل وجهه فلا يبصق قبل وجهه ولا عن يمينه ولكن عن يساره أو تحت قدمه متفق عليه وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى منزل التوراة والانجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها أنت الاول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وانت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين واغنني من الفقر رواه مسلم وقوله لما رفع أصحابه أصواتهم بالذكر أيها الناس اربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون اصم ولا غائباً انما تدعون سميعاً قريباً ان الذي تدعونه أقرب الى أحدكم من عنق راحلته متفق عليه وقوله انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة بعد غروبها فافعلوا متفق عليه الى أمثال هذه الاحاديث التي يخبر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه بما يخبر به

(فان الفرقة الناجية) أهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير

تكيف ولا تمثيل بل هم الوسط في فرق الامة كما ان الامة هي الوسط في الامم فهم وسط في باب صفات الله سبحانه وتعالى بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة وهم وسط في باب أفعال الله تعالى بين القدرية والجبرية وفي باب وعيد الله بين المرجئة وبين الوعيدية من القدرية وغيرهم وفي باب الايمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية وفي اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الخوارج وبين الروافض

وقد دخل فيما ذكرناه من الايمان بالله الايمان بما أخبر الله به في كتابه وتواتر عن رسوله صلى الله عليه وسلم واجمع عليه سلف الامة من أنه سبحانه فوق سمواته على عرشه عليّ على خلقه وهو معهم سبحانه أينما كانوا يعلم ماهم عاملون كما جمع بين ذلك في قوله هو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم مايلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير وليس معنى قوله وهو معكم أينما كنتم انه مختلط بالخلق فان هذا لاتوجبه اللغة وهو خلاف ماأجمع عليه سلف الامة وخلاف مافطر الله عليه الخلق بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته هو موضوع في السماء وهو مع المسافر أينما كان وهو سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه مهيمن عليهم مطلع اليهم الى غير ذلك من معاني ربوبيته وكل هذا الكلام الذي ذكره الله من أنه فوق العرش وانه معنا حق على حقيقته لايحتاج الى تحريف ولكن يصان عن

الظنون الكاذبة ودخل في ذلك الإيمان بأنه قريب من خلقه كما قال تعالى وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون وقال النبي صلى الله عليه وسلم إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته وما ذكر في الكتاب والسنة من قربه ومعيته لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في جميع نعوته وهو علي في دنوه قريب في علوه

ومن الإيمان به وبكتبه الإيمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدا وإليه يعود وأن الله تكلم به حقيقة وأن هذا القرآن الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة بل إذا قرأه الناس أو كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله حقيقة فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئا لا إلى من قاله مبلغاً مؤدياً وقد دخل أيضاً فيما ذكرناه من الإيمان به وبكتبه وبرسله الإيمان أن المؤمنين يرونه يوم القيامة عياناً بأبصارهم كما يرون الشمس صحواً ليس دونها سحاب وكما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته يرونه سبحانه وهم في عرصات القيامة ثم يرونه بعد دخول الجنة كما شاء الله سبحانه وتعالى

ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت فيؤمنون بفتنة القبر وبعذاب القبر ونعيمه فأما الفتنة فإن الناس يفتنون في قبورهم فيقال للرجل من ربك وما دينك ومن نبيك فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فيقول المؤمن

الله ربي والإسلام ديني ومحمد نبي صلى الله عليه وسلم وأما المرتاب فيقول آه آه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته فيضرب بمرزبة من حديد فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان ولو سمعها الإنسان لصعق ثم بعد هذه الفتنة إما نعيم وإما عذاب إلى يوم القيامة الكبرى فتعاد الأرواح إلى الأجساد وتقوم القيامة التي أخبر الله تعالى بها في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وأجمع عليها المسلمون فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين حفاة عراة غرلا وتدنو منهم الشمس ويلجمهم العرق وتنصب الموازين فتوزن فيها أعمال العباد فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون وتنشر الدواوين وهي صحائف الأعمال فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره كما قال سبحانه وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ويحاسب الله الخلائق ويخلو بعبده المؤمن فيقرره بذنوبه كما وصف ذلك في الكتاب والسنة وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيآته فإنه لا حسنات لهم ولكن تعد أعمالهم وتحصى فيوقفون عليها ويقررون بها ويجزون بها وفي عرصة القيامة الحوض المورود لمحمد صلى الله عليه وسلم ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل آنيته عدد نجوم السماء طوله شهر وعرضه شهر من يشرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً والصراط منصوب على متن جهنم وهو الجسر الذي بين الجنة والنار

يمر الناس عليه على قدر أعمالهم فمنهم من يمر كلمح البصر ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس الجواد ومنهم من يمر كركاب الابل ومنهم من يعدو عدوا ومنهم من يمشي مشياً ومنهم من يزحف زحفاً ومنهم من يخطف فيلقى في جهنم فان الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم فمن مر على الصراط دخل الجنة فاذا عبروا عليه وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض فاذا هذبوا ونقوا اذن لهم فى دخول الجنة

وأول من يستفتح باب الجنة محمد صلى الله عليه وسلم وأول من يدخل الجنة

وله فى القيامة ثلاث شفاعات اما الشفاعة الاولى فيشفع في أهل الموقف حتى يقضى بينهم بعد أن يتراجع الانبياء آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم الشفاعة حتى تنتهي اليه وأما الشفاعة الثانية فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة وهاتان الشفاعتان خاصتان له وأما الشفاعة الثالثة فيشفع فيمن استحق النار وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم فيمن استحق النار أن لا يدخلها ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها ويخرج الله من النار أقواما بغير شفاعة بل بفضل رحمته ويبقى في الجنة فضل عمن دخلها من أهل الدنيا فينشئ الله له أقواما فيدخلهم الجنة وأصناف ما تتضمنه الدار الآخرة من الحساب والعقاب والجنة والنار وتفاصيل ذلك مذكورة في الكتب المنزلة من السماء والآثارة من العلم المأثورة عن الانبياء وفي العلم الموروث عن محمد صلى

الله عليه وسلم من ذلك مايشفي ويكفي فمن اسعاه وجده

ويؤمن الفرقة الناجية من أهل السنة والجماعة بالقدر خيره وشره والايمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين فالدرجة الاولى الايمان أن الله تعالى علم ماالخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلا وأبداً وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والارزاق والآجال ثم كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ مقادير الخلائق فأول ماخلق الله القلم فقال اكتب قال ما اكتب قال اكتب ماهو كائن الى يوم القيامة فما أصاب الانسان لم يكن ليخطئه وماأخطأه لم يكن ليصيبه جفت الاقلام وطويت الصحف كما قال سبحانه ألم تعلم أن الله يعلم مافي السماء والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير وقال ماأصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة وتفصيلا فقد كتب في اللوح المحفوظ ماشاء فاذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه بعث اليه ملكا فيؤمر بأربع كلمات فقال له اكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد ونحو ذلك فهذا القدر قد كان ينكره غلاة القدرية قديما ومنكروه اليوم قليل وأما الدرجة الثانية فهو مشيئة الله تعالى النافذة وقدرته الشاملة وهو الايمان أن ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن وانه مافي السموات والارض من حركة ولا سكون الا بمشيئة الله سبحانه لايكون في ملكه الا مايريد وانه سبحانه وتعالى على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات فما من مخلوق في الارض ولا في السماء

وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم بل قد رضي عنهم ورضوا عنه وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة

ويشهدون بالجنة لمن شهد له النبي صلى الله عليه وسلم كالعشرة وكثابت بن قيس بن شماس وغيرهم من الصحابة

ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق ثم عمر ثم يثلثون بعثمان ويربعون بعلي كما دلت عليه الآثار وكما أجمع الصحابة على تقديم عثمان في البيعة مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي بعد اتفاقهم على أبي بكر وعمر أيهما أفضل فقدم قوم عثمان وسكتوا أو ربعوا بعلي وقدم قوم عليا وقوم توقفوا لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان ثم علي وإن كانت هذه المسألة مسألة عثمان وعلي ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة لكن المسألة التي يضلل المخالف فيها مسألة الخلافة وذلك أنهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي* ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء الأئمة فهو أضل من حمار أهله

ويحبون أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال في يوم غدير خم أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي وقال أيضا للعباس عمه وقد شكا إليه أن بعض قريش يجفو بني هاشم فقال والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي وقال إن الله اصطفى بني

اسماعيل واصطفى من بنى اسماعيل كنانة واصطفى من كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بني هاشم

ويتولون أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين ويقرون بأنهم أزواجه فى الآخرة خصوصا خديجة أم أكثر الاولاد وأول من آمن به وعضده على أمره وكان لها منه المنزلة العلية والصديقة بنت الصديق التى قال النبى صلى الله عليه وسلم فيها فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام

ويتبرؤن من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أوعمل

ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون ان هذه الآثار المروية فى مساويهم منها ماهو كذب ومنها ما قد زيد ونقص وغير عن وجهه والصحيح منه هم فيه معذورون اما مجتهدون مصيبون واما مجتهدون مخطؤن وهم مع ذلك لا يعتقدون ان كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الاثم وصغائره بل يجوز عليهم الذنوب فى الجملة ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم ان صدر حتى انه يغفر لهم من السيئات مالا يغفر لمن بعدهم لان لهم من الحسنات ماليس لمن بعدهم وقد ثبت بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم خير القرون فان المد من أحدهم اذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهبا ممن بعدهم ثم اذا كان قد صدر عن أحد منهم ذنب فيكون قد تاب منه أوأتى بحسنات تمحوه أوغفر له بفضل سابقته أو بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم الذين

أحق الداس سمءعته أو اسلى ، لاء في الدىيا كمر ع ه فاداكان هدا في الدىوب المحققة وكيف بالامور الاى كانوا فيهامحتهدس ان أصابوا فلهم أحران وان أحطؤا فلهم أحر واحد والحطأ معمور

ىم القدر الذى ىكر من فصل ىعصهم قليل ىرر معمور فى حىب فصائل القوم ومحاسنهم من الايمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح ومن نطر في سيرة القوم ىعلم ىصيرةوما من الله ىه عليهم من الفصائل علم ىقيناانهم حير الحلق ىعد الاىىياء لا كان ولا يكون مثلهم فانهم الصفوة من قرون هده الامة التي هى حىر الامم وأكرمها على الله

ومن أصول أهل السىه التصــديق ىكرامات الاولياء وما يجرى الله على أيديهــم من حوارق العادات فى العلوم والمكاشفات وانواع القدرة والتأثيرات كالمأثور عن سالف الامم في سورة الكهف وعيرها وعن صدر هده الامة من الصحابه والتابعــين وسائر فرق الامة وهي موحودة فيها الى يوم القيامه

ىم من طريقة اهل السىة والجماعة اىباع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ىاطىا وظاهرا واتباع سبيل السابقين الاولين من المهاجرىن والانصار واتباع وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال عليكم بسىتى وسىــه الخلفاء الراشــدين من ىعدى تمسكوا ىها وعصوا عليها ىالىواحد واياكم ومحدثات الامور فان كل ىدعة صلالة

ويعلمون ان أصــدق الكلام كلام الله وحىر الهدى هدى محمد

رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤثرون كلام الله على غيره من كلام أصناف الناس ويقدمون هدي محمد صلى الله عليه وسلم على هدي كل أحد

ولهذا سموا أهل الكتاب والسنة وسموا أهل الجماعة لان الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة وان كان لفظ الجماعة قد صار اسما لنفس القوم المجتمعين والاجماع هو الاصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين

وهم يزنون بهذه الاصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة مما له تعلق بالدين

والاجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح اذ بعدهم كثر الاختلاف وانتشر الامة

ثم هم مع هذه الاصول يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة * ويرون اقامة الحج والجهاد والجمع والاعياد مع الامراء أبرارا كانوا أو فجارا ويحافظون على الجماعات * ويدينون بالنصيحة للامة ويعتقدون معني قوله صلي الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه وقوله صلي الله عليه وسلم مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكي منه عضو تداعي له سائر الجسد بالحمى والسهر * ويأمرون بالصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمر القضاء * ويدعون الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال * ويعتقدون معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا * ويندبون الى أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك * ويأمرون ببر الوالدين وصلة الارحام

وحسن الجوار والاحسان الى اليتامى والمساكين وابن السبيل والرفق بالمملوك وينهون عن الفخر والخيلاء والبغي والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق * ويأمرون بمعالي الاخلاق وينهون عن سفسافها * وكل ما يقولونه أو يفعلونه من هذا وغيره فانما هم فيه متبعون الكتاب والسنة وطريقتهم هي دين الاسلام الذي بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم لكن لما أخبر صلى الله عليه وسلم ان أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار الا واحدة وهي الجماعة وفي حديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال هم من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي صار المتمسكون بالاسلام المحض الخالص عن الشوب أهل السنة والجماعة * وفيهم الصديقون والشهداء والصالحون ومنهم أعلام الهدى ومصابيح الدجى أولو المناقب المأثورة والفضائل المذكورة وفيهم الابدال وفيهم الأئمة الذين اجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم وهم الطائفة المنصورة الذين قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعه

فنسأل الله العظيم أن يجعلنا منهم وأن لا يزيغ قلوبنا بعد اذ هدانا ويهب لنا من لدنه رحمة انه هو الوهاب والحمد لله رب العالمين وصلواته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه وعلى سائر النبيين وآل كل وسائر الصالحين وحسبنا الله ونعم الوكيل

تمت الرسالة التاسعه

ويليها الرسالة العاشرة له أيضا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

ذكر ما وقع في هذه العقيدة المباركة من الابحاث التي جلاها جامعها للمعترضين

نقل الشيخ علم الدين ان الشيخ قدس سره قال في مجلس نائب السلطنة الافرم لما سأله عن اعتقاده وكان أحضر الشيخ عقيدته الواسطية قال هذه كتبتها من نحو سبع سنين قبل مجيء التتار الى الشام وقرئت في المجلس ثم نقل علم الدين عن الشيخ انه قال كان سبب كتابتها بعض قضاة واسط من أهل الخير والدين شكى ما الناس فيه ببلادهم في دولة التتر من غلبة الجهل والظلم ودروس الدين والعلم وسألني أن أكتب له عقيدة فقلت له قد كتب الناس عقائد أئمة السنة فألح في السؤال وقال ما أحب الا عقيدة تكتبها أنت فكتبت له هذه العقيدة وأنا قاعد بعد العصر فأشار الامير لكاتبه فقرأها على الحاضرين حرفا حرفا فاعترض بعضهم على قوله فيها

ومن الايمان بالله الايمان بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ومقصوده ان هذا ينفي التأويل الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره اما وجوبا واما جوازا فقلت أني عدلت عن لفظ التأويل الى لفظ التحريف لان التحريف اسم جاء القرآن بذمه وأنا تحريت في هذه العقيدة اتباع الكتاب والسنة فنفيت ما ذمه الله من التحريف ولم أذكر فيها لفظ التأويل لانه لفظ له عدة معان كما بينته في موضعه من القواعد فان معنى لفظ التأويل في كتاب الله غير معنى لفظ التأويل في اصطلاح المتأخرين من أهل الاصول

والعقه وعير معنى مص التأويل في اصطلاح كثير من أهل التفسير والسلف

وقلت لهم ذكرت في النفي التمثيل ولم أذكر التشبيه لان التمثيل نفاه الله بنص كتابه حيث قال ليس كمثله شيء وأحدوا يذكرون نفي التشبيه والتجسيم ويطنبون في هذا ويعرضون عما نفاه بعض الناس ابتدا من ذلك

فيا قولي من عير تكييف ولا تمثيل ينفي كل باطل وانما اخترت هذين الاسمين لان التكييف مأثور نفيه عن السلف كما قال ربيعة ومالك وابن عيينة وعيرهم المقالة التي تلقاها العلماء بالقبول الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة

فاتفق هؤلاء السلف على ان الكيف غير معلوم لنا فنفيت ذلك اتباعا لسلف الامه وهو أيضا منفي بالنص فان تأويل آيات الصفات يدخل فيها حقيقة الموصوف وحقيقة صفاته غير معلومة وهذا من التأويل الذي لا يعلمه الا الله كما قررت ذلك في قاعدة مفردة ذكرتها في التأويل والمعنى والفرق بين علمنا بمعنى الكلام وبين علمنا بتأويله

وكذلك التمثيل منفي بالنص والاجماع القديم مع دلالة العقل على نفيه ونفي التكييف اذ كنه الباري غير معلوم للبشر

وذكرت في ضمن ذلك كلام الخطابي الذي نقل انه مذهب السلف وهو اجراء آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه عنها اذ الكلام في الصفات فرع الكلام في الذات يحتذي حذوه ويتبع

ونفيه مثاله فاذا كان اثبات الذات اثبات وجود لا اثبات تكييف وكذلك اثبات الصفات اثبات وجود لا اثبات تكييف

فقال أحد كبراء المخالفين فحينئذ يجوز أن يقال هو جسم لا كالاجسام فقلت له أنا وبعض الفضلاء انما قيل انه يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله وليس في الكتاب والسنة ان الله جسم حتى يلزم هذا وأول من قال ان الله جسم هشام بن الحكم الرافضي وأما قولنا فهو فهم الوسط في فرق الامة كما ان الامة هي الوسط في الامم فهم وسط في باب صفات الله بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة

فقيل لي أنت صنفت اعتقاد الامام أحمد وأرادوا قطع النزاع لكونه مذهبا متبوعا فقلت ما خرجت الا عقيدة السلف الصالح جميعهم ليس للامام أحمد اختصاص بهذا

وقلت قد أمهلت من خالفني في شيء منها ثلاث سنين فان جاء بحرف واحد عن القرون الثلاثة يخالف ما ذكرته فانا أرجع عن ذلك وعلى أن آتي بنقول جميع الطوائف عن القرون الثلاثة يوافق ما ذكرته من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة والاشعرية وأهل الحديث وغيرهم

ثم طلب المنازع الكلام في مسئلة الحرف والصوت فقلت هذا الذي يحكى عن أحمد وأصحابه ان صوت القارئين ومداد المصاحف قديم أزلي كذب مفترى لم يقل ذلك أحمد ولا أحد من علماء المسلمين

وأخرجت كراساً وفيه ما ذكره أبو بكر الخلال في كتاب السنة عن الامام أحمد وما جمعه صاحبه أبو بكر المروزي من كلام أحمد وكلام أئمة زمانه في أن من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع قلت فكيف بمن يقول لفظي أزلي فكيف بمن يقول صوتي قديم

فقال المنازع انه انتسب الى احمد أناس من الحشوية والمشبهة ونحو هذا الكلام

فقلت المشبهة والمجسمة في غير أصحاب الامام أحمد أكثر منهم فيهم فهؤلاء أصناف الاكراد كلهم شافعية وفيهم من التشبيه والتجسيم ما لا يوجد في صنف آخر وأهل جيلان فيهم شافعية وحنبلية وأما الحنبلية المحضة فليس فيهم من ذلك ما في غيرهم والكرامية المجسمة كلهم حنفية

وقلت له من في أصحابنا حشوي بالمعنى الذي تريده الأثرم . أبو داود . المروزي . الخلال . أبو بكر بن عبد العزيز . أبو الحسن التميمي . ابن حامد . القاضي أبو يعلي . أبو الخطاب . ابن عقيل .

ورفعت صوتي وقلت سمهم قل لي من هم

أبكذب ابن الخطيب وافترائه على الناس في مذاهبهم تبطل الشريعة وتندرس معالم الدين كما نقل هو وغيره عنهم انهم يقولون القرآن القديم هو أصوات القارئين ومداد الكاتبين وان الصوت والمداد قديم أزلي من قال هذا وفي أي كتاب وجد عنهم هذا قل لي وكما نقل عنهم ان الله لا يرى في الآخرة باللزوم الذي ادعاه والمقدمة التي نقلها عنهم

ولما جاءت مسئلة القرآن وانه كلام الله غير مخلوق منه بدا واليه يعود نازع بعضهم في كونه منه بدأ واليه يعود وطلبوا تفسير ذلك فقلت أما هذا القول فهو المأثور والثابت عن السلف مثل مانقله عمرو بن دينار قال ادركت الناس منذ سبعين سنة يقولون الله الخالق وما سواه مخلوق الا القرآن فانه كلام الله غير مخلوق منه بدا واليه يعود

ومعنى منه بدا أي هو المتكلم به وهو الذي أنزله من لدنه ليس هو كما تقوله الجهمية انه خلق في الهواء أو غيره وبدأ من غيره

وأما اليه يعود فانه يسرى به في آخر الزمان من المصاحف والصدور فلا يبقى في الصدور منه كلمة ولا في المصاحف منه حرف ووافق على ذلك غالب الحاضرين

وقلت هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ماتقرب العباد الى الله بمثل ماخرج منه يعني القرآن وقال خباب بن الارت ياهناه تقرب الى الله بما استطعت فلن يتقرب الي الله بشيء أحب اليه مما خرج منه

وقلت وان الله تكلم به حقيقة وان هذا القرآن الذي أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره ولا يجوز اطلاق القول بانه حكاية عن كلام الله أو عبارة بل اذا قرأ الناس القرآن أو كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك عن ان يكون كلام الله فان الكلام انما يضاف حقيقة الى من قاله مبتدئا مؤديا فامتعض بعضهم من اثبات كونه كلام الله حقيقة بعد تسليمه أن الله تكلم به حقيقة ثم انه سلم ذلك لما بين له أن المجاز يصح نفيه وهذا لا يصح نفيه وان أقوال

المتقدمين المأثورة عنهم وشعر الشعراء المضاف اليهم هو كلامهم حقيقة ولما ذكر فيها أن الكلام انما يضاف حقيقة الى من قاله مبتدئا لا الى من قاله مبلغا اذ سمعوا هذا الكلام وعظموه

وذكرت ما أجمع عليه سلف الامة من أنه سبحانه فوق العرش وانه معنا حق على حقيقته لا يحتاج الى تحريف ولكن يصان عن الظنون الكاذبة وليس معنى قوله وهو معكم أينما كنتم أنه مختلط بالخلق فان هذا لا توجبه اللغة وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الامة وخلاف مافطر الله عليه الخلق بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته وهو موضوع فى السماء وهو مع المسافر أينما كان

ولما ذكرت أن جميع أسماء الله التى يسمى بها المخلوق كلفظ الوجود الذى هو مقول بالحقيقة على الواجب والممكن تنازع كثيران هل هو مقول بالاشتراك أو بالتواطؤ فقال أحدهما هو متواطئ وقال آخر هو مشترك لئلا يلزم التركيب وقال هذا قد ذكر فخر الدين ان هذا النزاع مبنى على ان وجوده هل هو عين ماهيته أم لا فمن قال ان وجود كل شئ عين ماهيته قال انه مقول بالاشتراك ومن قال ان وجوده قدر زائد على ماهيته قال انه مقول بالتواطؤ فأخذ الاول يرجح قول من يقول ان الوجود زائد على الماهية لينصر أنه مقول بالتواطؤ فقال الثانى مذهب الاشعرى وأهل السنة ان وجوده عين ماهيته فأنكر الاول ذلك

فقلت أما متكلموا اهل السنة فعندهم ان وجود كل شئ عين ماهيته وأما القول الآخر فهو قول المعتزلة ان وجود كل شئ قدر

زائد على ماهيته وكل منهما أصاب من وجه فان الصواب ان هذه الاسماء مقولة بالتواطؤ كما قد قررته في غير هـذا الموضع وأما بناء ذلك على كون وجود الشيء عـين ماهيته أوليس فهو من الغلط المضاف الي بن الخطيب فانا وان قلنا ان وجود الشيء عين ماهيته لايجب أن يكون الاسم مقولا عليه وعلى نظيره بالاشتراك اللفظي فقط كما في جميع أسماء الاجناس فان اسم السواد مقول على هذا السواد وهذا السواد بالتواطؤ وليس عين هذا السواد هو عين هذا السواد اذ الاسم دال على القدر المشترك بينهما وهو المطلق الكلي لكنه لا يوجد مطلقا بشرط الاطلاق الا في الذهن ولا يلزم من ذلك نفي القدر المشترك بين الاعيان الموجودة في الخارج فانه على ذلك تنتفي الاسماء المتواطئة وهي جمهور الاسـماء الموجودة في اللغات وهي أسماء الاجناس اللغوية وهو الاسم المعلق على الشيء وما أشبهه سواء كان اسم عين أو اسم صفة جامدا أو مشتقا وسواء كان جنسا منطقيا أو فقهيا أو لم يكن بل اسم الجنس في اللغة يدخل فيه الاجناس والاصناف والانواع ونحو ذلك وكلها أسماء متواطئة وأعيان مسمياتها في الخارج متميزة هـذا آخر بعض ماعلمـه الشيخ فيما يتعلق بالمناظرة بحضرة نائب السلطنة والقضاة والفقهاء وغيرهم قال الحافظ الذهبي ثم وقع الاتفاق على ان هذا معتقد سلفي جيد

﴿ تمت الرسالة العاشرة ﴾

﴿ ويليها الرسالة الحادية عشر له أيضا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ماقول السادة العلماء أئمة الدين أحسن الله اليهم أجمعين)

فى آيات الصفات كقوله تعالى الرحمن على العرش استوى وقوله ثم استوى الى السماء الى غير ذلك من الآيات وأحاديث الصفات أيضاً كقوله صلى الله عليه وسلم ان قلوب بنى آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن وقوله يضع الجبار قدمه فى النار الى غير ذلك وما قالت العلماء فيه وليبسطوا القول فى ذلك مأجورين ان شاء الله تعالي

فاجاب سيدنا شيخ الاسلام تقى الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رضى الله عنه وأرضاه

الحمد لله رب العالمين * قولنا فيها ماقاله الله ورسوله والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان وما قاله أئمة الهدى بعد هؤلاء الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم وهذا هو الواجب على جميع الخلق فى هذا الباب وفي غيره فان الله سبحانه وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد وشهد له بانه بعثه داعياً الى الله باذنه وأمره أن يقول هذه سبيلى ادعو الي الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ومن المحال فى العقل والدين أن يكون السراج المنير الذى أخرج به الناس من الظلمات الى النور وأنزل معه الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وأمر الناس أن يردوا ماتنازعوا فيه من دينهم الى مابعث به من الكتاب والحكمة وهو يدعو الى الله والى

سبيله بادنه على بصيرة وقد أخبره الله بأنه أكمل له ولامته دينهم وأتم عليهم نعمته محال مع هذا وغيره أن يكون قد ترك باب الايمان بالله والعلم به ملتبساً مشتبهاً ولم يميز مايجب لله من الاسماء الحسنى والصفات العليا وما يجوز عليه وما يمتنع عليه فان معرفة هذا أصل الدين وأساس الهداية وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب وحصلته النفوس وأدركته العقول فكيف يكون ذلك الكتاب وذلك الرسول وأفضل خلق الله بعد النبيين لم يحكموا هذا الباب اعتقاداً وقولا ومن المحال أيضاً أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد علم أمته كل شيء حتى الخراءة وقال تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي الا هالك وقال فيما صح عنه أيضاً مابعث الله من نبي الا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير مايعلمه لهم وينهاهم عن شر مايعلمه لهم وقال أبو ذر لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقلب جناحيه في السماء الا ذكر لنا منه علماً وقال عمر بن الخطاب قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاماً فذكر بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه رواه البخاري ومحال مع تعليمهم كل شيء لهم فيه منفعة في الدين وان دقت أن يترك تعليمهم مايقولونه بألسنتهم وقلوبهم في ربهم ومعبودهم ورب العالمين الذي معرفته غاية المعارف وعبادته أشرف المقاصد والوصول اليه غاية المطالب بل هذا خلاصة الدعوة النبوية وزبدة الرسالة الالهية فكيف يتوهم من في قلبه أدنى مسكة من ايمان وحكمة أن لايكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول على غاية التمام ثم اذا

كان قد وقع ذلك منه فمن المحال ان خير أمة وأفضل قرونها قصروا في هذا الباب زائدين فيه أو ناقصين عنه

ثم من المحال أيضاً ان تكون القرون الفاضلة القرن الذي بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كانوا غير عالمين وقائلين في هذا الباب بغير الحق المبين لان ضد ذلك اما عدم العلم والقول واما اعتقاد نقيض الحق وقول خلاف الصدق وكلاهما ممتنع أما الاول فلان من في قلبه أدنى حياة وطلب للعلم أو نهمة في العبادة يكون البحث عن هذا الباب والسؤال عنه ومعرفة الحق فيه أكبر مقاصده وأعظم مطالبه وليست النفوس الصحيحة الي شئ اشوق منها الى معرفة هذا الامر وهذا أمر معلوم بالفطرة الوجدية فكيف يتصور مع قيام هذا المقتضى الذي هو من أقوى المقتضيات أن يتخلف عنه مقتضاه في أولئك السادة في مجموع عصورهم هذا لايكاد يقع في أبلد الخلق وأشدهم اعراضاً عن الله وأعظمهم اكباباً على طلب الدنيا والغفلة عن ذكر الله فكيف يقع في أولئك

وأما كونهم كانوا فيه معتقدين غير الحق أوقائليه فهذا لايعتقده مسلم ولا عاقل عرف حال القوم

ثم الكلام في هذا الباب عنهم أكثر من أن يمكن سطره في هذه الفتوى أو أضعافها يعرف ذلك من طلبه وتتبعه ولا يجوز أيضاً أن يكون الخالفون أعلم بالله من السالفين كما قد يقوله بعض الاغبياء ممن لم يقدر قدر السلف بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة

المأمور بها من أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم أو أحكم فإن هذا القول إذا تدبره الإنسان وجده في غاية الجهالة بل هو في غاية الضلالة كيف يكون هؤلاء المتأخرون لا سيما والإشارة بالخلف إلى ضرب من المتكلمين الذين كثر في باب الدين اضطرابهم وغلظ عن معرفة الله حجابهم وأخبر الواقف على نهاية إقدامهم بما انتهى إليه من مرامهم حيث يقول

لعمري لقد طفت المعاهد كلها * وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعاً كف حائر * على ذقن أو قارعاً سن نادم

وأقروا على أنفسهم بما قالوه متمثلين به أو منشئين له فيما صنفوه من كتبهم مثل قول بعض رؤسائهم

نهاية إقدام العقول عقال * وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا * وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا * سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

ويقول الآخر منهم لقد خضت البحر الخضم وتركت أهل الإسلام وعلومهم وخضت في الذي نهوني عنه والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لفلان وها أنا ذا أموت على عقيدة أمي

ويقول الآخر منهم أكثر الناس شكا عند الموت أصحاب الكلام ثم إذا حقق عليهم الأمر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خبر ولا وقعوا من ذلك على عين ولا أثر كيف يكون هؤلاء المنقوصون المحجوبون المفضولون المسبوقون الحيارى المتهوكون أعلم بالله

و آياته من السابقين الاولين من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم
بإحسان من ورثة الانبياء وخلفاء الرسل واعلام الهدى ومصابيح
الدجى الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا
الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر اتباع الانبياء
وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جمعت حكمة
غيرهم اليها لاستحيا من يطلب المقابلة ثم كيف يكون خير قرون الامة
أنقص في العلم والحكمة لاسيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته من هؤلاء
الاصاغر بالنسبة اليهم أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة واتباع الهند
واليونان أعلم بالله من ورثة الانبياء وأهل القرآن والايمان وانما قدمت
هذه المقدمة لأن من استقرت هذه المقدمة عنده علم طريق الهدى أين
هو في هذا الباب وغيره وعلم أن الضلال والتهوك انما استولى على كثير
من المتأخرين بنبذهم كتاب الله وراء ظهورهم واعراضهم عما بعث
الله به محمداً صلى الله عليه وسلم من البينات والهدى وتركهم البحث عن
طريق السابقين والتابعين والتماسهم علم معرفة الله ممن لم يعرف الله
باقراره على نفسه وبشهادة الامة على ذلك وبدلالات كثيرة

وليس غرضي واحداً معيناً وانما أصف نوع هؤلاء ونوع هؤلاء واذا
كان كذلك فهذا كتاب الله من أوله الى آخره وسنة رسوله صلى الله عليه
وسلم من أولها الى آخرها ثم عامة كلام الصحابة والتابعين ثم كلام
سائر الأئمة مملوء بما هو اما نص واما ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى
فوق كل شيء وعلى كل شيء وأنه فوق العرش وأنه فوق السماء مثل

قوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه اني متوفيك ورافعك الي أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً بل رفعه الله اليه تعرج الملائكة والروح اليه يخافون ربهم من فوقهم ثم استوى علي العرش في ستة مواضع الرحمن علي العرش استوي ياهامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع الى اله موسى واني لأظنه كاذبا تنزيل من حكيم حميد منزل من ربك الي أمثال ذلك مما لا يكاد يحصى الا بكلفة

وفي الاحاديث الصحاح والحسان مالا يحصى مثل قصة معراج الرسول صلي الله عليه وسلم الى ربه ونزول الملائكة من عند الله وصعودها اليه وقوله في الملائكة الذين يتعاقبون بالليل والنهار فيعرج الذين باتوا فيكم الى ربهم فيسألهم وهو أعلم بهم وفي الصحيح في حديث الخوارج ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحا ومساء وفي حديث الرقية الذي رواه أبو داود وغيره ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك أمرك في السماء والارض كما رحمتك في السماء اجعل رحمتك في الارض اغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع وقال صلى الله عليه وسلم اذا اشتكى أحد منكم أو اشتكى أخ من حوله فليقل ربنا الله الذي في السماء وذكره وقوله في حديث الاوعال والعرش فوق ذلك والله فوق عرشه وهو يعلم ما أنتم عليه وقوله في حديث قبض الروح حتى يعرج به الى السماء التي فيها الله

وقول عبد الله بن رواحة الذي أنشده النبي صلى الله عليه وسلم وأقره عليه

شهدت أن وعد الله حق * وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف * وفوق العرش رب العالمينا

وقول أمية بن أبي الصلت الثقفي الذي أنشده النبي صلى الله عليه وسلم هو وغيره من شعره فاستحسنه وقال آمن شعره وكفر قلبه

مجدوا الله فهو للمجد أهل * ربنا في السماء أمسى كبيرا
بالبناء الأعلى الذي سبق النا * س وسوى فوق السماء سريرا
شرجعا ما يناله بصر العين ترى دونه الملائك صورا (١)

إلى أمثال ذلك مما لا يحصيه إلا الله مما هو من أبلغ المتواترات اللفظية والمعنوية التي تورث علما يقينيا من أبلغ العلوم الضرورية أن الرسول المبلغ عن الله ألقى إلى أمته المدعوين أن الله سبحانه على العرش استوى وأنه فوق السما كما فطر الله على ذلك جميع الأمم عربهم وعجمهم في جاهليتها والإسلام إلا من اجتالته الشياطين عن فطرته

ثم عن السلف في ذلك من الأقوال ما لو جمع لبلغ مئين أو ألوفا * ثم ليس في كتاب الله ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من سلف الأمة لا من الصحابة والتابعين ولا عن الأئمة الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف حرف واحد يخالف ذلك لا نصا ولا ظاهرا ولم يقل أحد منهم قط إن الله ليس في السماء ولا أنه ليس على العرش ولا أنه في كل مكان ولا أن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء ولا أنه لا داخل

(١) الشرجع الطويل والصور جمع أصور المائل العنق

العالم ولا خارجه ولا متصل ولا منفصل ولا انه لا تجوز الاشارة الحسية اليه بالاصابع ونحوها بل قد ثبت في الصحيح عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خطب خطبته العظيمة يوم عرفات في أعظم مجمع حضره رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يقول ألا هل بلغت فيقولون نعم فيرفع أصبعه الى السماء وينكبها اليهم ويقول اللهم أشهد غير مرة وأمثال ذلك كثيرة فلئن كان الحق ما يقوله هؤلاء السالبون النافون من هذه العبارات ونحوها دون ما يفهم من الكتاب والسنة اما نصا واما ظاهرا كيف يجوز على الله ثم على رسوله ثم على خير الامة انهم يتكلمون دائما بما هو نص أو ظاهر في خلاف الحق ثم الحق الذي يجب اعتقاده لا يبوحون به قط ولا يدلون عليه لا نصا ولا ظاهرا حتى يجيء انباط الفرس والروم وفروخ اليهود والفلاسفة يبينون للامة العقيدة الصحيحة التي يجب على كل مكلف أو كل فاضل أن يعتقدها * لئن كان ما يقوله هؤلاء المتكلمون المتكلفون هو الاعتقاد الواجب وهم مع ذلك أحيلوا في معرفته على مجرد عقولهم وان يدفعوا بمقتضى قياس عقولهم ما دل عليه الكتاب والسنة ظاهرا لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم وأنفع على هذا التقدير بل كان وجود الكتاب والسنة ضررا محضا في أصل الدين فان حقيقة الامر على ما يقوله هؤلاء انكم معشر العباد لا تطلبوا معرفة الله ولا ما يستحقه من الصفات نفيا واثباتا لا من الكتاب ولا من السنة ولا من طريق سلف الامة ولكن انظروا أنتم فما وجدتموه مستحقا له من الصفات فصفوه به سواء كان موجودا في

الكتاب والسنة أو لم تكن وما لم تجدوه مستحقا له في عقولكم فلا تصفوه به ثم هم ههنا فريقان أكثرهم يقولون ما لم تثبته عقولكم فانفوه ومنهم من يقول بل توقفوا فيه وما نفاه قياس عقولكم الذي أنتم فيه مختلفون ومضطربون اختلافا أكثر من جميع اختلاف على وجه الأرض فانفوه واليه عند التنازع فارجعوا فانه الحق الذي تعبدتكم به وما كان مذكورا في الكتاب والسنة مما يخالف قياسكم هذا أو يثبت ما لم تدركه عقولكم على طريقة أكثرهم فاعلموا اني امتحنتكم بتنزيله لا لتأخذوا الهدى منه لكن لتجتهدوا في تخريجه على شواذ اللغة ووحشي الألفاظ وغرائب الكلام أو ان تسكتوا عنه مفوضين علمه الى

هذه حقيقة الأمر على رأي المتكلمين وهذا الكلام قد رأيته صرح بمعناه طائفة منهم وهو لازم لجماعتهم لزوما لا محيد عنه ومضمونه أن كتاب الله لا يهتدى به في معرفة الله والرسول معزول عن التعليم والاخبار بصفات من أرسله وان الناس عند التنازع لا يردون ما تنازعوا فيه الى الله والرسول بل الى مثل ما كانوا عليه في الجاهلية والى مثل ما يتحاكم اليه من لا يؤمن بالانبياء كالبراهمة والفلاسفة وهم المشركون والمجوس وبعض الصابئين وان كان هذا الرد لا يزيد الأمر الا شدة ولا يرتفع به الخلاف اذ لكل فريق طواغيت يريدون ان يتحاكموا اليهم وقد أمروا أن يكفروا بهم وما أشبه حال هؤلاء المتكلمين بقوله سبحانه وتعالى الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد

الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا فإن هؤلاء إذا دعوا إلى ما أنزل الله من الكتاب وإلى الرسول والدعاء إليه بعد دعوته إلى ... أعرضوا عن ذلك وهم يقولون إنا قصدنا الإحسان علما وعملا بهذه الطريق التي ... والتوفيق بين الدلائل العقلية والنقلية

ثم عامة هذه السلبيات التي يسمونها دلائل إنما تلقوا أكثرها عن طاغوت من طواغيت المشركين والصابئين أو بعض ورثتهم الذين أمروا أن يكفروا بهم مثل فلان وفلان فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه

ولازم هذه المقالة أن لا يكون الكتاب هدى للناس ولا بيانا ولا شفاء لما في الصدور ولا نورا ولا مردا عند التنازع لأنا نعلم بالاضطرار أن ما يقوله هؤلاء المتكلفون أنه الحق الذي يجب اعتقاده لم يدل عليه الكتاب والسنة لا نصا ولا ظاهرا وإنما غايته أن يستفتح هذا من قوله ولم يكن له كفوا أحد هل لم نعلم بالاضطرار أن كل عاقل

ان من دل الحلق على ان الله ليس على العرش ولا فوق السموات ونحو ذلك تقوله هل تعلم له سميا لقد أعد البحث، وهو اما ماهر أو مدلس لم يخاطبهم بلسان عربي مبين

ولازم هذه المقالة أن يكون ترك الناس بلا رسالة خيرالهم في أصل دينهم لان مردهم قبل الرسالة وبعدها واحد وانما الرسالة زادتهم عمى وضلالا فسبحان الله كيف لم يقل الرسول يوما من الدهر ولا أحد من سلف الامة هذه الآيات والاحاديث لا تعتقدوا ما دلت عليه ولكن اعتقدوا الذي تقتضيه مقاييسكم أو اعتقدوا كذا وكذا فانه الحق وما خالفه ظاهره فلا تعتقدوا ظاهره أو انظروا فيها فما وافق قياس عقولكم فاعتقدوه وما لا يوافقه فتوقفوا فيه أو انفوه

ثم الرسول صلى الله عليه وسلم قد أخبر بان أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة فقد علم ما سيكون ثم قال اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله

وروى عنه انه قال في صفة الفرقة الناجية هو من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي فهلا قال من تمسك بظاهر القرآن في باب الاعتقاد فهو ضال وانما الهدى رجوعكم الى مقاييس عقولكم وما يحدثه المتكلمون منكم بعد القرون الثلاثة وان كان قد نبغ أصلها في أواخر عصر التابعين

ثم أصل هذه المقالة انما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين فان أول من حفظ عنه انه قال هذه المقالة أعني ان

الله ليس على العرش حقيقة وانما استوى استولى ونحو ذلك أول
ما ظهرت هذه المقالة من جعد بن درهم وأخذها عنه الجهم بن صفوان
وأظهرها فنسبت مقالة الجهمية اليه والجعد أخذ مقالته عن ابان بن
سمعان وأخذها أبان من طالوت ابن أخت لبيد بن أعصم وأخذها
طالوت من لبيد بن اعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي صلي الله
عليه وسلم وكان الجعد هذا فيما قيل من أهل حران وكان فيهم خلق
كثير من الصابئة والفلاسفة بقايا أهل دين النمرود والكنعانيين الذين
صنف بعض المتأخرين في سحرهم وكانوا يعبدون الكواكب ويبنون
لها الهياكل ومذهبهم في الرب انه ليس له الا صفات سلبية أو اضافية
أو مركبة منهما وهم الذين بعث ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم اليهم
فيكون الجعد قد أخذها عن الصابئة الفلاسفة وأخذها الجهم أيضاً فيما
ذكره الامام أحمد وغيره من السمنية بعض فلاسفة الهند وهم الذين
يجحدون من العلوم ماسوى الحسيات فهذه أسانيد الجهم ترجع الى
اليهود والصابئين والمشركين والفلاسفة الضالون هم اما من الصابئين
واما من المشركين

ثم لما عربت الكتب الرومية في حدود المائة الثانية زاد البلاء مع
ما ألقى الشيطان في قلوب الضلال ابتداء من جنس ما ألقاه في قلوب
أشباههم ولما كان في حدود المائة الثانية انتشرت هذه المقالة التي كان
السلف يسمونها مقالة الجهمية بسبب بشر بن غياث المريسي وطبقته
وكلام الائمة مثل مالك رضي الله عنه وسفيان بن عيينة وأبي يوسف

والشافعي وأحمد واسحاق والفضيل بن عياض وبشر الحافي وغيرهم في بشر المريسي هذا كثير في ذمه وتضليله وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس مثل أكثر التأويلات التي ذكرها أبو بكر بن فورك في كتاب التأويلات وذكرها أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي في كتابه الذي سماه تأسيس التقديس ويوجد كثير منها في كلام خلق غير هؤلاء مثل أبي علي الجبائي وعبد الجبار بن أحمد الهمداني وأبي الحسين البصري وابن عقيل وأبي حامد الغزالي وغيرهم وهي بعينها التأويلات التي ذكرها بشر المريسي في كتابه وان كان قد يوجد في كلام بعض هؤلاء رد التأويل وابطاله أيضا ولهم كلام حسن في أشياء فانما بينت أن عين تأويلاتهم هي عين تأويلات المريسي ويدل على ذلك كتاب الرد الذي صنفه عثمان بن سعيد الدارمي أحد الأئمة المشاهير في زمن البخاري صنف كتابا سماه نقض عثمان بن سعيد على الكاذب العنيد فيما افترى على الله في التوحيد

حكى فيه هذه التأويلات بأعيانها عن بشر المريسي بكلام يقتضي أن المريسي أقعد بها وأعلم بالمعقول والمنقول من هؤلاء المتأخرين الذين اتصلت اليهم من جهته ثم ردها عثمان بن سعيد بكلام اذا طالعه العاقل الذكي علم حقيقة ما كان عليه السلف وتبين له ظهور الحجة لطريقهم وضعف حجة من خالفهم

ثم اذا رأى الأئمة أئمة الهدى قد أجمعوا على ذم المريسية وأكثرهم كفروهم أو ضللوهم وعلم أن هذا القول الساري في هؤلاء المتأخرين

هو مذهب المريسي تبين الهدى لمن يريد الله هدايته ولا حول ولا قوة الا بالله والفتوى لا تحتمل البسط في هذا الباب وانما أشير اشارة الى مبادئ الأمور والعاقل يسير فينظر وكلام السلف في هذا الباب موجود في كتب كثيرة لا يمكن ان نذكر هنا الا قليلا منه مثل كتاب السنن اللالكائي والابانة لابن بطه والسنة لابى ذر الهروى والاسماء والصفات للبيهقي وقبل ذلك السنة للطبرانى ولابي الشيخ الاصبهانى وقبل ذلك السنة للخلال والتوحيد لابن خزيمة وكلام أبى العباس بن سريج والرد على الجهمية لجماعة وقبل ذلك السنة لعبد الله بن أحمد وكلام عبد العزيز المكى صاحب الحيدة في الرد على الجهمية وكلام الامام أحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وأشياء كثيرة

وعندنا من الدلائل السمعية والعقلية مالا يتسع هذا الموضع لذكره وأنا أعلم ان المتكلمين لهم شبهات موجودة لكن لا يمكن ذكرها في الفتوى فمن نظر فيها وأراد ابانة ماذكروه من الشبه فانه يسير واذا كان أصل هذه المقالة مقالة التعطيل والتأويل مأخوذا عن تلامذة المشركين والصابئين واليهود فكيف تطيب نفس مؤمن بل نفس عاقل ان يأخذ سبيل هؤلاء المغضوب عليهم والضالين ويدع سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين

ثم القول الشامل في جميع هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله وبما وصفه به السابقون الاولون لا يتجاوز القرآن والحديث

قال الإمام أحمد رضي الله عنه لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث ونعلم أن ما وصف الله به من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاجي بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته ولا في أفعاله فكما نتيقن أن الله سبحانه له ذات حقيقة وله أفعال حقيقة فكذلك له صفات حقيقة وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وكل ما أوجب نقصا أو حدوثا فإن الله منزه عنه حقيقة فإنه سبحانه مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه ويمتنع عليه الحدوث لامتناع العدم عليه واستلزام الحدوث سابقة العدم ولافتقار المحدث إلى محدث ولوجوب وجوده بنفسه سبحانه وتعالى

ومذهب السلف بين التعطيل وبين التمثيل فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله فيعطلون أسماءه الحسنى وصفاته العليا ويحرفون الكلم عن مواضعه ويلحدون في أسماء الله وآياته وكل واحد من فريقي التعطيل والتمثيل فهو جامع بين التعطيل والتمثيل

أما المعطلون فإنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات فقد جمعوا بين التمثيل والتعطيل مثلوا أولا وعطلوا آخرا وهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم وتعطيل لما

نسميه هو سبحانه من الاسماء والصفات اللائقة بالله سبحانه وتعالى فانه اذا قال القائل لو كان الله فوق العرش للزم اما أن يكون أكبر من العرش أو أصغر أو مساويا وكل ذلك محال ونحو ذلك من الكلام فانه لم يفهم من كون الله على العرش الا ما يثبت لاي جسم كان على أى جسم كان وهذا اللازم تابع لهذا المفهوم أما استواء يليق بجلال الله ويختص به فلا يلزمه شئ من اللوازم الثلاثة كما يلزم سائر الاجسام وصار هذا مثل قول الممثل اذا كان للعالم صانع فاما أن يكون جوهرا أو عرضا اذ لا يعقل موجود الا هذان أو قوله اذا كان مستويا على العرش فهو مماثل لاستواء الانسان على السرير أو الفلك اذ لا يعلم الاستواء الا هكذا فان كلاهما مثل وكلاهما عطل حقيقة ما وصف الله به نفسه وامتاز الاول بتعطيل كل مسمى للاستواء الحقيقي وامتاز الثاني باثبات استواء هو من خصائص المخلوقين

والقول الفاصل هو ما عليه الامة الوسط من ان الله مستو على عرشه استواء يليق بجلاله ويختص به فكما انه موصوف بانه بكل شئ عليم وعلى كل شئ قدير وانه سميع بصير ونحو ذلك ولا يجوز ان نثبت للعلم والقدرة خصائص الاعراض التي لعلم المخلوقين وقدرهم

فكذلك هو سبحانه فوق العرش ولا نثبت لفوقيته خصائص فوقية المخلوق على المخلوق ولوازمها.

واعلم انه ليس في العقل الصريح ولا في النقل الصحيح ما يوجب مخالفة الطريقة السلفية أصلا لكن هذا الموضع لا يتسع لجواب عن

لشبهات الواردة عن الحق فمن كان في قلبه شبهة وأحب حلها فذلك سهل يسير

ثم المخالفون للكتاب والسنة وسلف الامة من المتأولين هذا الباب في أمر مريج فان من ينكر الرؤية يزعم ان العقل يحيلها وانه مضطر فيها الى التأويل ومن يحيل ان لله علما وقدرة وأن يكون كلامه غير مخلوق ونحو ذلك يقول ان العقل أحال ذلك فاضطر الى التأويل بل من ينكر حقيقة حشر الاجساد والاكل والشرب الحقيقي في الجنة يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطر الى التأويل ومن يزعم أن الله ليس فوق العرش يزعم ان العقل أحال ذلك وانه مضطر الى التأويل

ويكفيك دليلا على فساد قول هؤلاء أنه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل بل منهم من يزعم أن العقل جوز أو أوجب ما يدعي الآخر أن العقل أحاله

فيا ليت شعري بأي عقل يوزن الكتاب والسنة فرضي الله عن مالك ابن أنس الامام حيث قال أوكلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل الى محمد صلى الله عليه وسلم لجدل هذا وكل من هؤلاء مخصوم بما خصم به الآخر وهو من وجوه

أحدها بيان أن العقل لا يحيل ذلك والثاني أن النصوص الواردة لا تحتمل التأويل الثالث ان عامة هذه الامور قد علم أن الرسول جاء بها بالاضطرار كما أنه جاء بالصلوات الخمس وصوم شهر رمضان فالتأويل الذي يحيلها

عن هذا بمنزلة تأويلات القرامطة والباطنية في الحج والصوم والصلاة وسائر ما جاءت به النبوات على ان الاساطين من هؤلاء الفحول معترفون بأن العقل لا سبيل له الى اليقين في عامة المطالب الالهيـة واذا كان هكذا فالواجب تلقي علم ذلك من النبوات على ماهو عليه ونحن نذكر من ألفاظ السلف بأعيانها وألفاظ من نقل مذهبهم بحسب مايحتمله هذا الموضع مايعلم به مذهبهم

روى أبو بكر البيهقي في الاسماء والصفات باسناد صحيح عن الاوزاعي قال كنا والتابعون متوافرون نقول ان الله تعالى ذكره فوق عرشه ونؤمن بما وردت السنة به من صفاته فقد حكى الاوزاعي وهو أحد الائمة الاربعة في عصر تابعي التابعين الذين هم مالك امام أهل الحجاز والاوزاعي امام أهل الشام والليث امام أهل مصر والثوري امام أهل العراق حكى شهرة القول في زمن التابعين بالايمان بأن الله فوق العرش وبصفاته السمعية وانما قال الاوزاعي هذا بعد ظهور مذهب جهم المنكر لكون الله فوق عرشه والنافي لصفاته ليعرف الناس أن مذهب السلف كان بخلاف هذا

وروى أبو بكر الخلال في كتاب السنة عن الاوزاعي قال سئل مكحول والزهري عن تفسير الاحاديث فقالا أمروها كما جاءت

وروي أيضاً عن الوليد بن مسلم قال سألت مالك بن أنس وسفيان الثوري والليث بن سعد والاوزاعي عن الاخبار التي جاءت في الصفات فقالوا أمروها كما جاءت وفي رواية فقالوا أمروها كما جاءت بلا كيف

فقولهم رضي الله عنهم أمروها كما جاءت رد على المعطلة وقولهم بلا كيف رد على الممثلة والزهري ومكحول هما أعلم التابعين في زمانهم والاربعة الباقون أئمة الدنيا في عصر تابعي التابعين ومن طبقتهم حماد بن زيد وحماد ابن سلمة وأمثالهما

روى أبو القاسم الازجي باسناده عن ابن مطرف بن عبد الله قال سمعت مالك بن أنس اذا ذكر عنده من يدفع أحاديث الصفات يقول قال عمر بن عبد العزيز سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولاة الامر بعده سننا الاخذ بها تصديق بكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لاحد من خلق الله تغييرها ولا النظر في شيء خالفها من اهتدى بها فهو مهتد ومن استنصر بها فهو منصور ومن خالفها واتبع سبيل غير المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً

وروى الخلال باسناد كلهم أئمة عن سفيان بن عيينة قال سئل ربيعة ابن عبد الرحمن عن قوله الرحمن على العرش استوى كيف استوى قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق وهذا الكلام مروي عن مالك بن أنس تلميذ ربيعة من غير وجه

منها مارواه أبو الشيخ الاصبهاني وأبو بكر البيهقي عن يحيي بن يحيي قال كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال ياأبا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف استوى فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرحضاء

ثم قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعا فأمر به أن يخرج

وروى أبو عبد الله بن بطة في الإبانة بإسناد صحيح عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون وهو أحد أئمة المدينة الثلاثة الذين هم مالك وابن الماجشون وابن أبي ذئب وقد سئل فيما جحدت به الجهمية أما بعد فقد فهمت ما سألت فيما تتابعت الجهمية ومن خالفها في صفة الرب العظيم الذي فاقت عظمته الوصف والتقدير وكلت الألسن عن تفسير صفته وانحسرت العقول دون معرفة قدره ردت عظمته العقول فلم تجد مساغا فرجعت خاسئة وهي حسيرة وإنما أمروا بالنظر والتفكر فيما خلق بالتقدير وإنما يقال كيف لمن لم يكن مرة ثم كان فأما الذي لا يحول ولا يزول ولم يزل وليس له مثل فإنه لا يعلم كيف هو إلا هو وكيف يعرف قدر من لم يبدأ ومن لا يموت ولا يبلى وكيف يكون لصفة شيء منه حد أو منتهى يعرفه عارف أو يحد قدره واصف على أنه الحق المبين لا حق أحق منه ولا شيء أبين منه الدليل على عجز العقول عن تحقيق صفته عجزها عن تحقيق صفة أصغر خلقه لا تكاد تراه صغرا يجول ويزول ولا يرى له سمع ولا بصر لما يتقلب به ويحتال من عقله أعضل بك وأخفى عليك مما ظهر من سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين وخالقهم وسيد السادة وربهم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير اعرف رحمك الله غناك عن تكلف صفة ما لم يصف الرب من نفسه بعجزك عن معرفة قدر ما وصف منها إذا لم تعرف قدر ما وصف فما تكلفك

علم ما لم يصف هل يستدل بذلك على شيء من طاعته او ينزجر به عن شيء من معصيته

وأما الذي جحد ماوصف الرب من نفسه تعمقاو تكلفاً قد استهوته الشياطين في الارض حيران فصار يستدل بزعمه على جحد ماوصف الرب وسمى من نفسه بأن قال لابد ان كان له كذا من أن يكون له كذا فعمى عن البين بالخفى بجحد ماسمى الرب من نفسه لصمت الرب عما لم يسم منها فلم يزل يملي له الشيطان حتى جحد قول الله عز وجل وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فقال لايراه أحد يوم القيامة فجحد والله أفضل كرامه الله التي أكرم بها أولياءه يوم القيامة من النظر الى وجهه ونضرته اياهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر قد قضى أنهم لايموتون فهم بالنظر ينضرون الى أن قال

واذا جحد رؤيته يوم القيامة اقام بحجته ضلالة الضلالة لانه قد عرف انه يتجلى لهم يوم القيامة رأوا منه ما كانوا به قبل ذلك مؤمنين وكان له جاحداً وقال المسلمون لرسول الله هل نري ربنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا قال هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا قال فانكم ترون ربكم يومئذ كذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمتلئ النار حتى يضع الجبار فيها قدمه فتقول قط قط وينزوى بعضها الى بعض وقال لثابت بن قيس لقد ضحك الله مما فعلت بضيفك البارحة

وقال فيما يلعنا ان الله ليضحك من أزلكم (١) وقنوطكم وسرعة اجابتكم فقال له رجل من العرب ان ربنا ليضحك قال نعم قال لا نعدم من رب يضحك خيراً في أشباه هذا مما لم نحصه وقال الله تعالى وهو السميع البصير واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وقال ولتصنع على عيني وقال ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي وقال والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون فوالله ما دلهم على عظم ما وصف من نفسه وما تحيط به قبضته الا صغر نظيرها منهم عندهم ان ذلك الذي ألقى في روعهم وخلق على معرفة قلوبهم فما وصف الله من نفسه فسماه على لسان رسوله سميناه كما سماه ولم نتكلف منه صفة ما سواه لا هذا ولا هذا لانجحد ما وصف ولا نتكلف معرفة مالم يصف

أعلم رحمك الله ان العصمة في الدين ان تنتهي حيث انتهى به ولا تجاوز ماقد حدلك فان من قوام الدين معرفة المعروف وانكار المنكر فما بسطت عليه المعرفة وسكنت اليه الافئدة وذكر أصله في الكتاب والسنة وتوارث علمه الامة فلا تخافن في ذكره وصفته من ربك ما وصف من نفسه عيناً ولا تكلفن لما وصف لك من ذلك قدراً وما أنكرته نفسك ولم تجد ذكره في كتاب ربك ولا في الحديث عن نبيك من ذكر صفة ربك فلا تتكلفن علمه بعقلك ولا تصفه بلسانك واصمت عنه كما صمت الرب عنه من نفسه فان تكلفك معرفة ما لم يصف من نفسه مثل انكارك ما وصف منها فكما أعظمت ماجحده الجاحدون مما

(١) هكذا يروى وفي بعض صوره من أزلكم ولا زلنا نشد ذلك فيحقق

وصف من نفسه فكذلك اعظم تكلف ماوصف الواصفون مما لم يصف مها ... والله عز المسلمون الدين يعرفون المعروف ويعرفونهم المعروف وينكرون المنكر ويانكارهم ينكر اسم ... ماوصف الله به نفسه من هذا في كتابه وما يبلغهم مثله عن نبيه فما مرض من ذكر هذا وتسميته من الرب فاب مسلم ولا تكلف صفة قدره ولا تسمية غيره من الرب مؤمن وما ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سماه من صفة ربه فهو بمنزلة ماسمي ووصف الرب تعالى من نفسه والراسخون في العلم الواقفون حيث انتهى علمهم الواصفون لربهم بما وصف به من نفسه التاركون لما ترك من ذكرها لاينكرون صفة ماسمى جحداً ولا يتكلفون وصفه ... لم يسم ... لان الحق ترك ماترك وتسمية ماسمى ... ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا وهب الله لنا ولكم حكما والحقنا بالصالحين وهذا كله كلام ابن ... حشون الامام

وروى أبو ... الالكائي الحافظ الطبري في ... المشهور في أصول السنة باسناده عن محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة قال اتفق الفقهاء كلهم من المشرق الى المغرب على الايمان بالقرآن والاحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه فمن فسر اليوم شيأ من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وفارق الجماعة فانهم لم يصفوا ولم يفسروا ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة لانه قد وصفه بصفة لاشيء محمد بن الحسن

أحد عن أبي حنيفة ومالك وطبقتهما من العلماء وقد حكي هذا الاجماع وأخبر ان الجهمية تصفه بالأمور السلبية غالبا أو دائما

وروى البيهقي وغيره باسانيد صحيحة عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال هذه الأحاديث التي تقول فيها ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره وان جهنم لا تمتلئ حتى يضع ربك قدمه فيها والكرسي موضع القدمين وهذه الأحاديث في الرواية هي عندنا حق حملها الثقات بعضهم عن بعض غير أنا اذا سئلنا عن تفسيرها لا نفسرها وما أدركنا أحدا يفسرها

أبو عبيد احد الأئمة الاربعة الذين هم الشافعي وأحمد واسحاق وأبو عبيد وله من المعرفة بالفقه واللغة والتأويل ما هو أشهر من أن يوصف وقد كان في الزمان الذي ظهرت فيه الفتن والأهواء وقد أخبر انه ما أدرك أحدا من العلماء يفسرها

وروى اللالكائي والبيهقي عن عبد الله بن المبارك ان رجلا قال له يا أبا عبد الرحمن اني أكره الصفة عني صفة الرب فقال له عبد الله بن المبارك أنا أشد الناس كراهية لذلك ولكن اذا نطق الكتاب بشيء قلنا به واذا جاءت الآثار بشيء جسرنا عليه ونحو هذا أراد ابن المبارك انه يكره أن نبتدئ بوصف الله من تلقاء أنفسنا حتى يجيء به الكتاب والآثار

وروي عبد الله بن أحمد وغيره باسانيد صحاح عن ابن المبارك انه قيل له بماذا نعرف ربنا قال بأنه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه ولا

يقول كما تقول الجهمية انه ههنا في الارض وهكذا قال الامام أحمد وغيره وباسناد صحيح عن سليمان بن حرب الامام سمعت حماد بن زيد وذكر هؤلاء الجهمية فقال انما يحاولون أن يقولوا ليس في السماء شيء

وروى ابن أبي حاتم عن سعيد بن عامر الضبعي امام أهل البصرة علما ودينا من شيوخ أحمد انه ذكر عنده الجهمية فقال هم شر قولا من اليهود والنصارى وقد اجتمع اليهود والنصارى وأهل الاديان مع المسلمين على أن الله على العرش وقالوا هم ليس عليه شيء

وقال محمد بن اسحاق بن خزيمة امام الائمة من لم يقل ان الله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه وجب أن يستتاب فان تاب والا ضربت عنقه ثم ألقي على مزبلة لئلا يتأذى بنتن ريحه أهل القبلة وأهل الذمة

وروى عبد الله بن أحمد عن عباد بن العوام الواسطي من أهل واسط من طبقة شيوخ الشافعي وأحمد قال كلمت بشرا المريسي وأصحاب بشر فرأيت آخر كلامهم ينتهي أن يقولوا ليس في السماء شيء

وعن عبد الرحمن بن مهدي الامام المشهور انه قال ليس في أصحاب الاهواء شر من أصحاب جهم يدورون على أن يقولوا ليس في السماء شيء أرى والله أن لا يناكحوا ولا يوارثوا

وروى عبد الرحمن بن أبي حاتم في كتاب الرد على الجهمية عن عبد الرحمن بن مهدي قال أصحاب جهم يريدون أن يقولوا ليس في السماء شيء وان الله ليس على العرش أرى أن يستتابوا فان تابوا والا قتلوا

وعن الاصمعي قال قدمت امرأة جهم فنزلت الدباغين فقال رجل عندها الله على عرشه فقالت محدود على محدود فقال الاصمعي كافرة بهذه المقالة

وعن عاصم بن علي بن عاصم شيخ أحمد والبخاري وطبقتهما قال ناظرت جهميا فتبين من كلامه انه لا يؤمن أن في السماء ربا

وروي الامام أحمد قال أنبأنا شريح بن النعمان قال سمعت عبدالله ابن نافع الصائغ قال سمعت مالك بن أنس يقول الله في السماء وعلمه في كل مكان لايخلو من علمه مكان

وقال الشافعي رضي الله عنه خلافة أبي بكر حق قضاها الله في سمائه وجمع عليه قلوب عباده

وفي الصحيح عن أنس بن مالك قال كانت زينب تفتخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات وهذا مثل قول الشافعي وقصة أبي يوسف صاحب أبي حنيفة مشهورة في استتابة بشر المريسي حتى هرب منه لما أنكر أن يكون الله فوق العرش قد ذكرها ابن أبي حاتم وغيره

وكلام الائمة في هذا الباب اطول وأكثر من أن تسع هذه الفتوى عشره وكذلك كلام الناقلين لمذهبهم مثل ما ذكره أبو سليمان الخطابي في رسالته المشهورة في الغنية عن الكلام وأهله قال فاما ما سألت عنه من الصفات وما جاء منها في الكتاب والسنة فان مذهب السلف اثباتها واجراؤها على ظواهرها ونفي الكيفية والتشبيه عنها وقد نفاها قوم

فانطلوا ما أثبته الله وحمدها قوم من المثبتين فخرجوا في ذلك الى ضرب من التشبيه والتكييف وانما القصد في سلوك الطريقة المستقيمة من الامرين ودين الله تعالى بين الغالي فيه والمقصر عنه والاصل في هذا ان الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات ويحتذي في ذلك حذوه ومثاله فاذا كان معلوما ان اثبات البارى سبحانه انما هو اثبات وجود لا اثبات تحديد وتكييف فاذا قالوا يد وسمع وبصر وما أشبهها فانما هي صفات أثبتها الله لنفسه ولسنا نقول ان معنى اليد القوة أو النعمة ولا معنى السمع والبصر العلم ولا نقول انها جوارح ولا نشبهها بالايدي والاسماع والابصار التي هي جوارح وأدوات للفعل

ونقول ان القول انما وجب باثبات الصفات لان التوقيف ورد بها ووجب نفي التشبيه عنها لان الله ليس كمثله شيء وعلى هذا جرى قول السلف في أحاديث الصفات هذا كلام الخطابي وهكذا قاله أبو بكر الخطيب الحافظ في رسالة له أخبر فيها ان مذهب السلف على ذلك

وهذا الكلام الذي ذكره الخطابي قد نقل نحوا منه من العلماء من لا يحصى منهم أبي بكر الاسماعيلي والامام يحيى بن عمار السجزي شيخ شيخ الاسلام أبي اسماعيل الانصاري الهروي وأبي عثمان الصابوني شيخ الاسلام وأبي عمر بن عبد البر النمري امام المغرب وغيرهم

وقال أبو نعيم الاصبهاني صاحب الحلية في عقيدة قال في أولها طريقتنا طريقة المتبعين للكتاب والسنة واجماع الامة قال فمما اعتقدوه ان الأحاديث التي ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم في العرش واستواء

الله يقولون بها ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه وان الله بائن من خلقه والخلق بائنون منه لايحل فيهم ولا يمتزج بهم وهو مستو على عرشه في سمائه من دون أرضه وخلقه

وقال الامام العارف معمر بن أحمد الاصبهاني شيخ الصوفية فى حدود المائة الرابعة في بلاده قال أحببت أن أوصى أصحابى بوصية من السنة وموعظة من الحكمة وأجمع ماكان عليه أهل الحديث والاثر وأهل المعرفة والتصوف من المتقدمين والمتأخرين قال فيها وان الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل والاستواء معقول والكيف فيه مجهول وانه عز وجل بائن من خلقه والخلق منه بائنون بلا حلول ولا ممازجة ولا اختلاط ولا ملاصقة لانه الفرد البائن من الخلق الواحد الغنى عن الخلق وان الله عز وجل سميع بصير عليم خبير يتكلم ويرضى ويسخط ويضحك ويعجب ويتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكا وينزل كل ليلة الى سماء الدنيا كيف شاء فيقول هل من داع فاستجيب له هل من مستغفر فاغفر له هل من تائب فاتوب عليه حتى يطلع الفجر ونزول الرب الى السماء بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل فمن أنكر النزول أو تأول فهو مبتدع ضال وسائر الصفوة من العارفين على هذا ومن متأخريهم الامام أبو محمد عبد القادر بن أبى صالح الجيلى قال في كتاب الغنية له أما معرفة الصانع بالآيات والدلالات على وجه الاختصار فهو أن تعرف وتتيقن ان الله واحد الى أن قال وهو بجهة العلو مستو على العرش محتو على الملك محيط علمه بالاشياء

اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون ولا يجوز وصفه بانه في كل مكان بل يقال انه في السماء على العرش كما قال الرحمن على العرش استوى وذكر آيات وأحاديث الى أن قال و ينبغي اطلاق صفة الاستواء من غير تأويل وانه استواء الذات على العرش قال وكونه على العرش مذكور في كل كتاب أنزل على نبي أرسل بلا كيف وذكر كلاما طويلا لا يحتمل هذا الموضع وذكر في سائر الصفات نحو هذا ولو ذكرت ماقاله العلماء في ذلك لطال جدا

قال أبو عمر بن عبد البر روينا عن مالك بن أنس وسفيان الثوري وسفيان بن عيينه والاوزاعي ومعمر بن راشد في أحاديث الصفات انهم كلهم قالوا أمروها كما جاءت قال أبو عمر ماجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من نقل الثقات أو جاء عن الصحابة رضي الله عنهم فهو علم يدان به وما أحدث بعدهم ولم يكن له أصل فيما جاء عنهم فهو بدعة وضلاله

وقال في شرح الموطأ لما تكلم على حديث النزول قال هذا حديث ثابت من جهة النقل صحيح الاسناد ولا يختلف أهل الحديث في صحته وهو منقول من طرق سوى هذه من أخبار العدول عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على ان الله في السماء على العرش من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة وهو حجتهم على المعتزلة في قولهم ان الله في كل مكان قال والدليل على صحة قول أهل الحق قول الله وذكر بعض

الآيات الى أن قال وهذا أشهر وأعرف عند العامة والخاصة من أن يحتاج الي أكثر من حكايته لانه اضطرار لم يوقفهم عليه أحد ولا أنكره عليهم مسلم

وقال أبو عمر بن عبد البر ايضا أجمع علماء الصحابه والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم هو على العرش وعلمه في كل مكان وما خالفهم في ذلك من يحتج بقوله

وقال أبو عمر أيضا أهل السنة مجمعون على الاقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والايمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز الا انهم لايكيفون شيئا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة وأما أهل البدع الجهميه والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئا منها على الحقيقة ويزعم ان من أقر بها مشبه وهم عند من أقر بها نافون للمعبود والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم ائمة الجماعة هذا كلام ابن عبد البر امام أهل المغرب وفي عصره الحافظ أبو بكر البيهقي مع توليه للمتكلمين من أصحاب أبي الحسن الاشعري وذبه عنهم قال في كتاب الاسماء والصفات باب ماجاء في اثبات اليدين صفتين لامن حيث الجارحة لورود خبر الصادق به قال الله ياابليس مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي وقال بل يداه مبسوطتان وذكر الاحاديث الصحاح في هذا الباب مثل قوله في غير حديث في حديث الشفاعة يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ومثل قوله في

الحدث المتفق عليه أن موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك الالواح بيده وفي لفظ وكتب لك التوراة بيده ومثل ما في صحيح مسلم وغرس كرامة أوليائه في جنة عدن بيده ومثل قوله صلى الله عليه وسلم تكون الارض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلا لاهل الجنة وذكر أحاديث مثل قوله بيدك الامر والخير بيديك والذي نفس محمد بيده وان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل وقوله المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين وقوله يطوي السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك اين الجبارون أين المتكبرون ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون وقوله يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والارض فانه لم ينقص ما في يمينه وعرشه على الماء وبيده الاخرى القبض يخفض ويرفع وكل هذه الاحاديث في الصحاح وذكر أيضا قوله ان الله لما خلق آدم قال له ويداه مقبوضتان اختر أيهما شئت قال اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة وحديث ان الله لما خلق آدم مسح ظهره الي أحاديث أخر ذكرها من هذا النوع

ثم قال البيهقي أما المتقدمون من هذه الامة فانهم لم يفسروا ما كتبنا من الآيات والاخبار في هذا الباب وكذلك قال في الاستواء على العرش وسائر الصفات الخبرية مع أنه يحكي قول بعض المتأخرين

وقال القاضي ابو يعلى في كتاب ابطال التأويل لايجوز رد هذه الاخبار ولا التشاغل بتأويلها والواجب حملها على ظاهرها وانها صفات الله لا تشبه بسائر الموصوفين بها من الخلق ولا يعتقد التشبيه فيها لكن على ماروى عن الامام احمد وسائر الائمة وذكر بعض كلام الزهرى ومكحول ومالك والثورى والاوزاعى والليث وحماد بن زيد وحماد ابن سلمة وابن عيينة والفضيل بن عياض ووكيع وعبد الرحمن بن مهدى وا ود بن سالم واسحاق بن راهويه وابى عبيد ومحمد بن جرير الطبرى وغيرهم في هذا الباب وفى حكاية ألفاظهم طول الى أن قال ويدل على ابطال التأويل ان الصحابة ومن بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها ولم يتعرضوا لتأويلها ولا صرفها عن ظاهرها ولو كان التأويل سائغا لكانوا اليه أسبق لما فيه من ازالة التشبيه ورفع الشبهة

وقال أبو الحسن على بن اسماعيل الاشعرى المتكلم صاحب الطريقة المنسوبة اليه فى الكلام في كتابه الذى صنفه في اختلاف المصلين ومقالات الاسلاميين ذكر فرق الروافض والخوارج والمرجئة والمعتزلة وغيرهم ثم قال

مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث جملة قول أصحاب الحديث أهل السنة الاقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاء عن الله وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يردون من ذلك شيئا وان الله واحد أحد فرد صمد لااله غيره لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وان محمدا

عبده ورسوله وان الجنة حق وان النار حق وان الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور وان الله على عرشه كما قال الرحمن على العرش استوى وان له يدين بلا كيف كما قال خلقت بيدي وكما قال بل يداه مبسوطتان وان له عينين بلا كيف كما قال تجري بأعيننا وان له وجها كما قال ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وان أسماء الله لايقال انها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج واقروا ان لله علماً كما قال أنزله بعلمه وكما قال وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه وأثبتوا السمع والبصر ولم ينفوا ذلك عن الله كما نفته المعتزلة وأثبتوا لله القوة كما قال أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وذكر مذهبهم في القدر الى أن قال ويقولون القرآن كلام الله غير مخلوق والكلام في اللفظ والوقف من قال باللفظ وبالوقف فهو مبتدع عندهم لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق ولا يقال غير مخلوق ويقرون ان الله يرى بالابصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر يراه المؤمنون ولا يراه الكافرون لانهم عن الله محجوبون قال عز وجل كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وذكر قولهم في الاسلام والايمان والحوض والشفاعة وأشياء الى أن قال ويقرون بان الايمان قول وعمل يزيد وينقص ولا يقولون مخلوق ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار الى ان قال وينكرون الجدل والمراء في الدين والخصومة والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ويتنازعون من دينهم ويسلمون بالروايات الصحيحة ولما جاءت به الآثار التي جاءت بها الثقات عدلا عن عدل حتى ينتهي ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لايقولون كيف

ولالم لان دلك بدعة الى أن قال

ويقرون ان الله يجيء يوم القيامة كما قال وجاء ربك والملك صفا صفا وان الله تقرب من خلقه كيف شاء كما قال ونحن أقرب اليه من حبل الوريد الى أن قال ويرون مجانبة كل داع الى بدعة والتشاغل بقراءة القرآن وكتابة الآثار والنظر فى الفقه مع الاستكانة والتواضع وحسن الخلق مع بذل المعروف وكف الاذى وترك الغيبة والنميمة والسعاية وتفقد المآكل والمشارب قال فهذه جملة مايأمرون به ويستعملونه ويرونه وبكل ماذكرنا من قولهم نقول واليه نذهب وما توفيقنا الا بالله وهو المستعان

وقال الاشعرى أيضاً في اختلاف أهل القبلة فى العرش فقال قال أهل السنة وأصحاب الحديث ليس بجسم ولا يشبه الاشياء وانه استوى على العرش كما قال الرحمن على العرش استوى ولا نتقدم بين يدى الله في القول بل نقول استوى بلا كيف وان له وجهاً كما قال ويبقى وجه ربك وان له يدين كما قال خلقت بيدى وان له عينين كما قال تجرى بأعيننا وانه يجيء يوم القيامة هو وملائكته كما قال وجاء ربك والملك صفاً صفا وانه ينزل الى السماء الدنيا كما جاء فى الحديث ولم يقولوا شيئاً الا ماوجدوه فى الكتاب أو جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت المعتزلة ان الله استوى على العرش بمعنى استولى وذكر مقالات أخرى

وقال أيضاً أبو الحسن الاشعرى في كتابه الذى سماه الابانة في

أصول الديانة وقد ذكر أصحابه انه آخر كتاب صنفه وعليه يعتمدون في الذب عنه عند من يطعن عليه فقال

﴿ فصل ﴾ في ابانة قول أهل الحق والسنة فان قال قائل قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون قيل له قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب ربنا وسنة نبينا وما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون وبما كان يقول أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون ولما خالف قوله مخالفون لانه الامام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق ودفع به الضلال وأوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكين فرحمة الله عليه من امام مقدم وجليل معظم وكبير مفهم

وجملة قولنا انا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاؤا به من عند الله وبما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نرد من ذلك شيئا وان الله واحد لا اله الا هو فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وان محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق وان الجنة حق والنار حق وان الساعة آتية لاريب فيها وان الله يبعث من في القبور وان الله مستو على عرشه كما قال الرحمن على العرش استوى وان له وجهاً كما قال ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وان له يدين بلا كيف كما قال خلقت بيدي وكما قال بل يداه مبسوطتان وان له عينين بلا

كيف كما قال بحرى ما عبدا

وان من زعم ان أسماء الله غيره كان ضالا وذكر نحواً مما ذكر في الفرق الي أن قال ونقول ان الاسلام أوسع من الايمان وليس كل اسلام ايمانا

وندين بان الله يقلب القلوب بين أصبعين من أصابع الله عز وجل وانه عز وجل يضع السموات على أصبع والارضين على أصبع كما جاءت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الي أن قال وان الايمان قول وعمل يزيد وينقص

ونسلم الروايات الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التي رواها الثقات عدلا عن عدل حتى ينتهى الى رسول الله صلي الله عليه وسلم الى أن قال

ونصدق بجميع الروايات التي يثبتها أهل النقل من النزول الى السماء الدنيا وان الرب عز وجل يقول هل من سائل هل من مستغفر وسائر ما نقلوه وأثبتوه خلافا لما قال أهل الزيغ والتضليل

ونعول فيما اختلفنا فيه على كتاب ربنا وسنة نبينا واجماع المسلمين وما كان في معناه ولا نبتدع في دين الله ما لم يأذن لنا به ولا نقول على الله ما لا نعلم

ونقول ان الله يجيء يوم القيامة كما قال وجاء ربك والملك صفاً صفاً وان الله يقرب من عباده كيف شاء كما قال ونحن أقرب اليه من حبل الوريد وكما قال ثم دنى فتدلي فكان قاب قوسين أو أدنى الى ان

قال وسيجيح لما ذكرناه من قولنا وما بقي مما لم نذكره بابا بابا ثم تكلم على أن الله يرى واستدل على ذلك ثم تكلم على ان القرآن غير مخلوق واستدل على ذلك ثم تكلم على من وقف على القرآن وقال لا أقول انه مخلوق ولا غير مخلوق ورد عليه ثم قال باب الاستواء على العرش فقال

ان قال قائل ما تقولون في الاستواء قيل له نقول ان الله مستو على عرشه كما قال الرحمن على العرش استوى وقد قال الله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقال بل رفعه الله اليه وقال يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه وقال حكاية عن فرعون ياهامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا كذب موسى في قوله ان الله فوق السموات وقال أأمنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض فالسموات فوقها العرش فلما كان العرش فوق السموات قال أأمنتم من في السماء لانه مستو على العرش الذي هو فوق السموات وكل ما علا فهو سماء والعرش أعلى السموات وليس اذا قال أأمنتم من في السماء يعني جميع السماء وانما أراد العرش الذي هو أعلى السموات ألا ترى أن الله ذكر السموات فقال وجعل القمر فيهن نورا فلم يرد ان القمر يملؤهن وانه فيهن جميعا ورأينا المسلمين جميعا يرفعون أيديهم اذا دعوا نحو السماء لان الله على العرش الذي هو فوق السموات فلولا ان الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش كما لا يحطونها اذا دعوا الى الارض ثم قال

(فصل) وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية ان معنى قوله الرحمن على العرش استوى انه استولى وملك وقهر وان الله عز وجل فى كل مكان وجحدوا أن يكون الله على عرشه كما قال أهل الحق وذهبوا فى الاستواء الى القدرة ولو كان هذا كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والارض السابعة لان الله قادر على كل شئ والارض فالله قادر عليها وعلى الحشوش وعلى كل ما فى العالم فلو كان الله مستويا على العرش بمعنى الاستيلاء وهو عز وجل مستول على الاشياء كلها لكان مستويا على العرش وعلى الارض وعلى السماء وعلى الحشوش والاقذار لانه قادر على الاشياء مستول عليها واذا كان قادراً على الاشياء كلها ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول ان الله مستو على الحشوش والاخلية لم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذى هو عام فى الاشياء كلها ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص العرش دون الاشياء كلها وذكر دلالات من القرآن والحديث والاجماع والعقل

ثم قال باب الكلام فى الوجه والعينين والبصر واليدين وذكر الآيات فى ذلك ورد على المتأولين بكلام طويل لا يتسع هذا الموضع لحكايته مثل قوله فان سئلوا أتقولون لله يدان قيل نقول ذلك وقد دل عليه قوله يد الله فوق أيديهم وقوله لما خلقت بيدى

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله مسح ظهر آدم بيده فاستخرج منه ذريته وقد جاء فى الخبر المأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم بيده وخلق جنة عدن بيده وكتب

التوراة بيده وغرس شجرة طوبى بيده وليس يجوز في لسان العرب ولا في عادة أهل الخطاب أن يقول القائل عملت كذا بيدي ويعني به النعمة وإذا كان الله إنما خاطب العرب بلغتها وما يجري في مفهومها في كلامها ومعقولا في خطابها وكان لا يجوز في خطاب أهل اللسان أن يقول القائل فعلت بيدي ويعني به النعمة بطل أن يكون معنى قوله عز وجل بيدي النعمة وذكر كلاما طويلا في تقرير هذا ونحوه

قال القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني المتكلم وهو أفضل المتكلمين المنتسبين الى الأشعري ليس فيهم مثله لا قبله ولا بعده قال في كتاب الإبانة تصنيفه فإن قال فما الدليل على أن لله وجها ويدا قيل له وقوله ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام وقوله تعالى ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي فأثبت لنفسه وجها ويدا فإن قال فما أنكرتم أن يكون وجهه ويده جارحة إذ كنتم لا تعقلون وجها ويدا لا جارحة قلنا لا يجب هذا كما لا يجب إذا لم نعقل حيا عالما قادرا إلا جسما أن نقضي نحن وأنتم بذلك على الله سبحانه وكما لا يجب في كل شيء كان قائما بذاته أن يكون جوهرا لأنا وإياكم لا نجد قائما بنفسه في شاهدنا إلا كذلك وكذلك الجواب لهم إن قالوا فيجب أن يكون علمه وحياته وكلامه وسمعه وبصره وسائر صفاته عرضا واعتلوا بالوجود

قال فإن قال قائل أتقولون إنه في كل مكان قيل له معاذ الله بل هو مستو على عرشه كما أخبر في كتابه فقال الرحمن على العرش استوى وقال تعالى إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقال تعالى

أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هي تمور قال ولو كان في كل مكان لكان في بطن الانسان وفمه والحشوش والمواضع التي يرغب عن ذكرها ولوجب أن يزيد بزيادة الامكنة اذا خلق منها مالم يكن وينقص بنقصانها اذا بطل منها ما كان ولصح أن يرغب اليه الي نحو الارض والى خلفنا والي يميننا وشمالنا وهذا قد أجمع المسلمون على خلافه وتخطئة قائله

وقال أيضا في هذا الكتاب صفات ذاته التي لم يزل ولا يزال موصوفا بها وهي الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والارادة والبقاء والوجه والعينان واليدان والغضب والرضا

وقال في كتاب التمهيد كلاما أكثر من هذا وكلامه وكلام غيره من المتكلمين في هذا الباب مثل هذا كثير لمن يطلبه وان كنا مستغنين بالكتاب والسنة وآثار السلف عن كل كلام

وملاك الامر أن يهب الله للعبد حكمة وايمانا بحيث يكون له عقل ودين حتى يفهم ويدين ثم نور الكتاب والسنة يغنيه عن كل شيء ولكن كثير من الناس قد صار منتسبا الى بعض طوائف المتكلمين ومحسنا الظن بهم دون غيرهم أو متوهما انهم حققوا في هذا الباب ما لم يحققه غيرهم فلو أتى بكل آية ما تبعها حتى يؤتى بشيء من كلامهم ثم هم مع هذا مخالفون لأسلافهم غير متبعين لهم فلو أنهم أخذوا بالهدى الذي يجدونه في كلام أسلافهم لرجي لهم مع الصدق في طلب الحق أن يزدادوا هدى ومن كان لا يقبل الحق الا من طائفة معينة ثم لا يستمسك بما جاءت به

به من الحق تبعه شبه من اليهود الذين قال الله فيهم وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين فإن اليهود قالوا لا نؤمن إلا بما أنزل علينا قال الله لهم قل فلم قتلتم الأنبياء من قبل إن كنتم مؤمنين بما أنزل عليكم يقول سبحانه لا لما جاءتكم به أنبياؤكم تتبعون ولا لما جاءكم به سائر الأنبياء تتبعون ولكن إنما تتبعون أهواءكم

وهذا حال من لم يتبع الحق لا من طائفته ولا من غيرها مع كونه يتعصب لطائفته دون طائفة بلا برهان من الله ولا بيان

وكذلك قال أبو المعالي الجويني في كتاب الرسالة النظامية اختلف مسالك العلماء في هذه الظواهر فرأى بعضهم تأويلها والتزم ذلك في آي الكتاب وما يصح من السنن وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها إلى الرب تعالى والذي نرتضيه رأيا وندين الله به عقدا اتباع سلف الأمة والدليل السمعي القاطع في ذلك أن إجماع الأمة حجة متبعة وهو مستند معظم الشريعة وقد درج صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ترك التعرض لمعانيها ودرك ما فيها وهم صفوة الإسلام والمستقلون بأعباء الشريعة وكانوا لا يألون جهدا في ضبط قواعد الملة والتواصي بحفظها وتعليم الناس ما يحتاجون إليه منها فلو كان تأويل هذه الظواهر مسوغا أو محتوما لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة وإذا انصرم عصرهم وعصر التابعين على الإضراب عن التأويل

كان ذلك هو الوجه المانع لحق على ذي الدين أن يعتقد تنزيه الباري عن صفات المحدثين ولا يخوض في تأويل المشكلات ويكل معناها إلى الرب فليجر آية الاستواء والمجيء وقوله لما خلقت بيدي ويبقى وجه ربك وقوله تجري بأعيننا وما صح من أخبار الرسول كخبر النزول وغيره على ما ذكرناه

﴿قلت وليعلم السائل﴾ أن الغرض من هذا الجواب ذكر ألفاظ بعض الأئمة في هذا الباب وليس كل من ذكرنا شيئاً من قوله من المتكلمين وغيرهم نقول بجميع ما يقوله في هذا وغيره ولكن الحق يقبل من كل من تكلم به

كان معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول في كلامه المشهور عنه الذي رواه أبو داود في سننه اقبلوا الحق من كل من جاء به وإن كان كافراً أو قال فاجراً واحذروا زيغة الحكيم قالوا كيف نعلم أن الكافر يقول الحق قال إن على الحق نوراً أو كلاماً هذا معناه

وأما تقرير ذلك بالدليل وإماطة ما يعرض من الشبه وتحقيق الأمر على وجه يخلص إلى القلب ما يبرد به من اليقين ويقف على مواقف ريب الناس في هذه المهامه فما يسع له هذه الفتوى

وقد كتبت شيئاً من ذلك قبل هذا وخاطبت ببعض ذلك بعض من يجالسنا وربما أكتب إن شاء الله في ذلك ما يحصل به المقصود

وجماع الأمر في ذلك أن الكتاب والسنة يحصل منهما كمال الهدى والنور لمن تدبر كتاب الله وسنة نبيه وقصد اتباع الحق وأعرض عن

تحريف الكلم عن مواضعه والالحاد في أسماء الله وآياته ولا يحسب الحاسب ان شيأ من ذلك يناقض بعضه بعضا البتة مثل أن يقول القائل ما في الكتاب والسنة من أن الله فوق العرش يخالفه في الظاهر قوله وهو معكم أينما كنتم وقول النبي صلي الله عليه وسلم اذا قام أحدكم الى الصلاة فان الله قبل وجهه ونحو ذلك فان هذا غلط وذلك ان الله معنا حقيقة وهو فوق العرش حقيقة كما جمع الله بينهما في قوله سبحانه وهو الذى خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى علي العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السما وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير فاخبر انه فوق العرش يعلم كل شيء وهو معنا أينما كنا كما قال النبي صلي الله عليه وسلم في حديث الاوعال والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه وذلك ان كلمة مع في اللغة اذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة الا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين وشمال فاذا قيدت بمعنى من المعاني دلت علي المقارنة في ذلك المعنى فانه يقال ما زلنا نسير والقمر معنا أو والنجم معنا ويقال هذا المتاع معي لمجامعته لك وان كان فوق رأسك فالله مع خلقه حقيقة وهو فوق عرشه حقيقة ثم هذه المعية تختلف أحكامها بحسب الوارد واما قال يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير دل ظاهر الخطاب على ان حكم هذه المعية ومقتضاها انه مطلع عليكم شهيد عليكم مهيمن عالم بكم وهذا معنى قول السلف انه معهم بعلمه وهذا ظاهر الخطاب

وحقيقته وكذلك فى قوله مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامه ولما قال النبى صلى الله عليه وسلم لصاحبه فى الغار لاتحزن ان الله معنا كان هذا أيضا حقا على ظاهره ودلت الحال على ان حكم المعية هنا معنى الاطلاع النصر والتأييدوكذلك قوله ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وكذلك قوله لموسى وهرون انني معكما أسمع وأري*هنا المعيه على ظاهرها وحكمها فى هذا الموطن النصر والتأييد وقد يدخل على صبى من يخيفه فيبكى فيشرف عليه أبوه من فوق السقف ويقول لاتخف انا معك أو أنا هنا أو أنا حاضر ونحو ذلك ينبهه على المعيه الموجبة بحكم الحال دفع المكروه ففرق بين معنى المعية وبين مقتضاها وربما صار مقتضاها من معناها فيختلف باختلاف المواضع فلفظ المعيه قد استعمل في الكتاب والسنة فى مواضع تقتضى في كل موضع أمورا لا تقتضيها في الموضع الآخر فاما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع أوتدل على قدر مشترك بين جميع موارده وان امتاز كل موضع بخاصيته فعلى التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب مختلطة بالخلق حتى يقال قد صرفت عن ظاهرها ونظيرها من بعض الوجوه الربوبيه والعبودية فانها وان اشتركت فى أصل الربوبية والتعبد فلما قال رب العالمين رب موسى وهرون كانت ربوبية موسى وهرون لها اختصاص زائد على الربوبية العامة للخلق فان من أعطاه الله من الكمال أكثر مما اعطى غيره فقدربه وربّاه ربوبية

وبرسه اكمل من غيره وكذلك قوله عينا يشرب بها عباد الله وسبحان الذى أسرى بعبده ليلا

(فان العبد) تارة يعني به المعبد فيعم الخلق كما فى قوله ان كل من فى السموات والارض الا آت الرحمن عبدا وتارة يعنى به العابد فيخص ثم يختلفون فمن كان أعبد علما وحالا كانت عبوديته أكمل فكانت الاضافة في حقه أكمل مع انها حقيقيه فى جميع المواضع ومثل هذه الالفاظ يسميها بعض الناس مشككة لتشكك المستمع فيها هل هى من قبيل الاسماء المتواطئه أو من قبيل المشترك في اللفظ فقط والمحققون يعلمون انها ليست خارجة عن جنس المتواطئة اذ واضع اللغة انما وضع اللفظ بازاء القدر المشترك وان كانت نوعا مختصا من المتواطئه فلا بأس بتخصيصها بلفظ ومن علم ان المعية تضاف الى كل نوع من أنواع المخلوقات كاضافة الربوبية مثلا وان الاستواء على الشيء ليس الا للعرش وان الله يوصف بالعلو والفوقيه الحقيقيه ولا يوصف بالسفول ولا بالتحتية قط لا حقيقه ولا مجازا علم ان القرآن على ماهو عليه من غير تحريف

ثم من توهم أن كون الله فى السماء بمعنى ان السماء تحيط به وتحويه فهو كاذب ان نقله عن غيره وضال ان اعتقده في ربه وما سمعنا أحدا يفهمه من اللفظ ولا رأينا أحدا نقله عن أحد ولو سئل سائر المسلمين هل تفهمون من قول الله ورسوله ان الله فى السماء ان السماء تحويه لبادر كل أحد منهم الى أن يقول هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا واذا كان الامر هكذا فمن التكلف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئا محالا ولا يفهمه

الناس منهم يريد أن يتأوله بل عند المسلمين ان الله في السماء وهو على العرش واحد اذ السماء انما يراد به العلو فالمعنى ان الله في العلو لا في السفل

وقد علم المسلمون ان كرسيه سبحانه وسع السموات والارض وان الكرسي في العرش كحلقة ملقاة بارض فلاة وان العرش خلق من مخلوقات الله لا نسبة له الى قدرة الله سبحانه وعظمته وكيف يتوهم بعد هذا ان خلقا يحصره أو يحويه وقد قال سبحانه ولاصلبنكم في جذوع النخل وقال فسيروا في الارض بمعنى على ونحو ذلك وهو كلام عربي حقيقة لا مجازاً وهذا يعلمه من عرف حقائق معاني الحروف وانها متواطئة في الغالب لا مشتركة وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم اذا قام أحدكم الى الصلاة فان الله قبل وجهه فلا يبصق قبل وجهه الحديث حق على ظاهره وهو سبحانه فوق العرش وهو قبل وجه المصلي بل هذا الوصف يثبت للمخلوقات فان الانسان لو أنه ناجى السماء أو ناجى الشمس والقمر لكانت السماء والشمس والقمر فوقه وكانت أيضاً قبل وجهه

وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثل بذلك ولله المثل الاعلى ولكن المقصود بالتمثيل بيان جواز هذا وامكانه لا تشبيه الخالق بالمخلوق وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد الا سيرى ربه مخلياً به فقال له أبو رزين العقيلي كيف يارسول الله وهو واحد ونحن جميع فقال له النبي صلى الله عليه وسلم سأنبئك بمثل ذلك في آلاء الله هذا

القمر كالكم يراه مخليا به وهو آية من آيات الله فالله أكبر او كما قال صلى الله عليه وسلم وقال انكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر فشبه الرؤية بالرؤية وان لم يكن المرئي مشابها للمرئي فالمؤمنون اذا رأوا ربهم يوم القيامة وناجوه كل يراه فوقه قبل وجهه كما يرى الشمس والقمر ولا منافاة اصلا ومن كان له نصيب من المعرفة بالله والرسوخ في العلم بالله يكون اقراره للكتاب والسنة على ما هما عليه أوكد

واعلم ان من المتأخرين من يقول مذهب السلف اقرارها على ما جاءت به مع اعتقاد ان ظاهرها غير مراد وهذا لفظ مجمل فان قوله ظاهرها غير مراد يحتمل انه أراد بالظاهر نعوت المخلوقين وصفات المحدثين مثل ان يراد بكون الله قبل وجه المصلي انه مستقر في الحائط الذي يصلي اليه وان الله معنا ظاهره انه الى جانبنا ونحو ذلك فلا شك ان هذا غير مراد ومن قال ان مذهب السلف ان هذا غير مراد فقد أصاب في المعنى لكن أخطأ في اطلاق القول ان هذا ظاهر الآيات والاحاديث فان هذا المحال ليس هو الظاهر على ما قد بيناه في غير هذا الموضع اللهم الا أن يكون هذا المعنى الممتنع صار يظهر لبعض الناس فيكون القائل لذلك مصيبا بهذا الاعتبار معذوراً في هذا الاطلاق فان الظهور والبطون قد يختلف باختلاف أحوال الناس وهو من الامور النسبية وكان أحسن من هذا أن يبين لمن اعتقد ان هذا هو الظاهر ان هذا ليس هو الظاهر حتى يكون قد أعطي كلام الله وكلام رسوله حقه لفظاً ومعنى وان كان الناقل عن السلف أراد بقوله الظاهر

غير مراد عندهم ان المعاني التي تظهر من هذه الآيات والاحاديث مما يليق بجلال الله وعظمته ولا تختص بصفة المخلوقين بل هي واجبة لله أو جائزة عليه جوازا ذهنيا أو جوازا خارجياً غير مراد وهذا قد أخطأ فيما نقله عن السلف أو تعمد الكذب فما يمكن أحدا قط أن ينقل عن واحد من السلف مايدل لا نصا ولا ظاهراً انهم كانوا يعتقدون ان الله ليس فوق العرش ولا ان الله ليس له سمع ولا بصر ولا يد حقيقة

وقد رأيت هذا المعنى ينتحله بعض من يحكيه عن السلف ويقول ان طريقة اهل التأويل هي في الحقيقة طريقة السلف بمعنى ان الفريقين اتفقوا على ان هذه الآيات والاحاديث لم تدل على صفات الله سبحانه ولكن السلف امسكوا عن تأويلها والمتأخرون رأوا المصلحة تأويلها لمسيس الحاجة الى ذلك ويقول الفرق ان هؤلاء قد يعينون المراد بالتأويل وأولئك لا يعينون لجواز ان يراد غيره وهذا القول على الاطلاق كذب صريح على السلف أما في كثير من الصفات فقطعا مثل ان الله فوق العرش فان من تأمل كلام السلف المنقول عنهم الذي لم يحك هنا عشره علم بالاضطرار ان القوم كانوا مصرحين بان الله فوق العرش حقيقة وانهم ما اعتقدوا خلاف هذا قط وكثير منهم قد صرح في كثير من الصفات بمثل ذلك

والله يعلم اني بعد البحث التام ومطالعة ماأمكن من كلام السلف مارأيت كلام احد منهم يدل لا نصا ولا ظاهرا ولا بالقرائن على نفي الصفات الخبرية في نفس الامر بل الذي رأيته ان كثيراً من كلامهم

يدل اما نصاً واما ظاهراً على تقرير جنس هذه الصفات ولا انقل عن كل واحد منهم اثبات كل صفة بل الذي رايته انهم يثبتون جنسها في الجملة وما رايت أحدا منهم نفاها وانما ينفون التشبيه وينكرون على المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه مع انكارهم على من نفى الصفات أيضاً كقول نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري من شبه الله بخلقه فقد كفر

وليس ماوصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيها وكانوا اذا رأوا الرجل قد أغرق في نفي التشبيه من غير اثبات للصفات قالوا هذا جهمي معطل وهذا كثير جداً في كلامهم فان الجهمية والمعتزلة الي اليوم يسمون من أثبت شيئا من الصفات مشبها كذبا منهم وافتراء حتي ان منهم من غلا ورمى الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين بذلك حتى قال ثمامة بن الاشرس من رؤساء الجهمية ثلاثة من الانبياء مشبهة موسى حيث قال ان هي الا فتنتك وعيسى قال تعلم مافي نفسي ومحمد حيث قال ينزل ربنا وحتى ان جل المعتزلة تدخل عامة الائمة مثل مالك وأصحابه والثوري وأصحابه والاوزاعي وأصحابه والشافعي وأصحابه واسحاق بن راهويه وأبي عبيد وغيرهم في قسم المشبهة

وقد صنف أبو اسحاق ابراهيم بن عثمان بن درباس الشافعي جزأ سماه تنزيه أئمة الشريعة عن الالقاب الشنيعة وذكر فيه كلام السلف وغيرهم في معاني هذه الالقاب وذكر ان أهل البدع كل صنف منهم يلقب أهل السنة بلقب افتراه يزعم انه صحيح على رأيه الفاسد كما ان

المشركين كانوا يلقبون النبي صلى الله عليه وسلم بألقاب افتروها فالروافض تسميهم نواصب والقدرية يسمونهم مجبرة والمرجئة يسمونهم شكاكا والجهمية يسمونهم مشبهة وأهل الكلام يسمونهم حشوية ونوابت وغثاء وغثرا الى أمثال ذلك كما كانت قريش تسمي النبي صلى الله عليه وسلم تارة مجنونا وتارة شاعرا وتارة كاهنا وتارة مفتريا قالوا وهذا علامة الارث الصحيح والمتابعة التامة فان السنة هي ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقادا واقتصادا وقولا وعملا فكما ان المنحرفين عنه يسمونه بأسماء مذمومة مكذوبة وان اعتقدوا صدقها بناء على عقيدتهم الفاسدة فكذلك التابعون له على بصيرة الذين هم أولى الناس به في المحيا والممات باطنا وظاهرا أما الذين وافقوهم بواطنهم وعجزوا عن اقامة الظواهر أو الذين وافقوه بظواهرهم وعجزوا عن تحقيق البواطن أو الذين وافقوه ظاهرا وباطنا بحسب الامكان لا بد للمنحرفين عن سنته أن ينقموا فيهم نقصا يذمونهم به ويسمونهم بأسماء مكذوبة وان اعتقدوا صدقها كقول الرافضي من لم يبغض أبا بكر وعمر فقد أبغض عليا لانه لا ولاء لعلي الا بالبراءة منهما ثم يجعل من أحب أبا بكر وعمر ناصبيا بناء على هذه الملازمة الباطلة التي اعتقدها صحيحة أو عاند فيها وهو الغالب

وكقول القدري من اعتقد ان الله أراد الكائنات وخلق أفعال العباد فقد سلب العباد الاختيار والقدرة وجعلهم مجبورين كالجمادات وكقول الجهمي من قال ان الله فوق العرش فقد زعم انه محصور وانه

جسم محدود وانه مشابه لخلقه وكقول الجهمية المعتزلة من قال ان لله علماً وقدرة فقد زعم انه جسم وهو مشبه لان هذه الصفات اعراض والعرض لايقوم الا بجوهر متحيز وكل متحيز جسم أو جوهر فرد

ومن حكي عن الناس المقالات وسماهم بهذه الاسماء المكذوبة بناء على عقيدته التي هم مخالفون له فيها فهو وربه اعلم والله من ورائه بالمرصاد ولا يحيق المكر السيئ الا باهله

وجماع الامر ان الاقسام الممكنة في آيات الصفات وأحاديثها ستة أقسام كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة *قسمان يقولون تجرى على ظواهرها *وقسمان يقولون هي على خلاف ظاهرها *وقسمان يسكتون أما الاولون فقسمان أحدهما من يجريها على ظاهرها ويجعل ظاهرها من جنس صفات المخلوقين فهؤلاء المشبهة ومذهبهم باطل انكره السلف واليه توجه الرد بالحق والثاني من يجريها على ظاهرها اللائق بجلال الله كما يجرى اسم العليم والقدير والرب والاله والموجود والذات ونحو ذلك على ظاهرها اللائق بجلال الله فان ظواهر هذه الصفات في حق المخلوق اما جوهر واما عرض فالعلم والقدرة والكلام والمشيئة والرحمة والرضا والغضب ونحو ذلك في حق العبد اعراض والوجه واليد والعين في حقه أجسام فاذا كان الله موصوفا عند عامة أهل الاثبات بأن له علماً وقدرة وكلاما ومشيئة وان لم يكن ذلك عرضاً يجوز عليه ما يجوز على صفات المخلوقين جاز أن يكون وجه الله ويداه ليست أجساما يجوز عليها مايجوز على صفات المخلوقين وهذا هو المذهب الذى حكاه الخطابي وغيره عن السلف

وعليه يدل كلام جمهورهم وكلام الباقين لايخالفه وهو أمر واضح فان الصفات كالذات وكما ان ذات الله ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس المخلوقات فمن قال لاأعقل علماً ويداً الا من جنس العلم واليد المعهود بن قيل له فكيف تعقل ذاتا من غير جنس ذوات المخلوقين

ومن المعلوم ان صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته فمن لم يفهم من صفات الرب الذي ليس كمثله شيء الا ماناسب المخلوق فقد ضل في عقله ودينه وما أحسن مقال بعضهم اذا قال الجهمي كيف استوى أوكيف ينزل الى سماء الدنيا او كيف يداه ونحو ذلك فقل له كيف هو في نفسه فاذا قال لك لا نعلم ماهو الا هو وكنه البارى غير معلوم للبشر فقل له والعلم بكيفية الصفة مستلزم بالعلم بكيفية الموصوف وكيف يمكن ان نعلم كيفية صفة لموصوف لم تعلم كيفيته وانما تعلم الذات والصفات من حيث الجملة على الوجه الذي ينبغي لك بل هذه المخلوقات في الجنة قد ثبت عن ابن عباس انه قال ليس في الدنيا مما في الجنة الا الاسماء وقد أخبر الله أنه لا تعلم نفس ماأخفي لهم من قرة أعين وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان في الجنة مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاذا كان نعيم الجنة وهو خلق من خلق الله كذلك فما ظنك بالخالق سبحانه وتعالى وهذه الروح التي في بني آدم قد علم العاقل اضطراب الناس فيها وامساك النصوص على بيان كيفيتها أفلا تعتبر العاقل بها عن الكلام في كيفية الله تعالى اما انا نقطع بان الروح في البدن وانها تخرج منه وتعرج الى السماء وانها تسل منه وقت

الروع كما نطقت بذلك النصوص الصحيحة لا امثالي في تجريدها علو المتفلسفة ومن وافقهم حيث نفوا عنها الصعود والنزول والاتصال بالبدن والانفصال عنه وتخبطوا فيه حيث رأوها من غير جنس البدن وصفاته فعدم مماثلتها للبدن لا ينفي أن تكون هذه الصفات ثابتة لها بحسبها الا أن يفسروا كلامهم بما يوافق النصوص فيكونون قد أخطؤا في اللفظ وانى لهم بذلك

وأما القسمان اللذان ينفيان ظاهرها أعني الذين يقولون ليس لها في الباطن مدلول هو صفة لله تعالى قط وان الله لا صفة له ثبوتية بل صفاته اما سلبية واما اضافية واما مركبة منهما أو يثبتون بعض الصفات وهي الصفات السبعة أو الثمانية أو الخمسة عشر أو يثبتون الاحوال دون الصفات على ماقد عرف من مذاهب المتكلمين فهؤلاء قسمان قسم يتأولونها ويعينون المراد مثل قولهم استوى بمعنى استولى أو بمعنى علو المكانة والقدر أو بمعنى ظهور نوره للعرش أو بمعنى انتهى الخلق اليه الى غير ذلك من معاني المتكلمين وقسم يقولون الله أعلم ماأراد بها لكنا نعلم أنه لم يرد اثبات صفة خارجة عما علمناه

وأما القسمان الواقفان فقسم يقولون يجوز أن يكون المراد بظاهرها اللائق بالله ويجوز أن لايكون المراد صفة لله ونحو ذلك وهذه طريقة كثير من الفقهاء وغيرهم وقوم يمسكون عن هذا كله ولا يزيدون على تلاوة القرآن وقراءة الحديث معرضين بقلوبهم والسنتهم عن هذه التقديرات

فهذه الاقسام الستة لا يمكن أن يخرج الرجل عن قسم منها

والصواب في كثير من آيات الصفات وأحاديثها القطع بالطريقة الثانية كالآيات والاحاديث الدالة على ان الله سبحانه فوق عرشه ونعلم أن طريقة الصواب في هذا وأمثاله بدلالة الكتاب والسنة والاجماع على ذلك دلالة لا تحتمل النقيض وفي بعضها قد يغلب على الظن ذلك مع احتمال النقيض وتردد المؤمن في ذلك هو بحسب ما يؤتاه من العلم والايمان ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور

ومن اشتبه عليه ذلك أو غيره فليدع بما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يصلي يقول اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم وفي روايه لابي داود انه كان يكبر في صلاته ثم يقول ذلك فاذا افتقر العبد الى الله ودعاه وادمن النظر في كلام الله وكلام رسوله وكلام الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين انفتح له طريق الهدى

ثم ان كان قد خبر نهايات اقدام المتفلسفة والمتكلمين في هذا الباب وعرف غالب ما يزعمونه برهانا وهو شبهة ورأى ان غالب ما يعتمدونه يؤول الى دعوى لا حقيقة لها أو شبهة مركبة من قياس فاسد أوقضية كلية لا تصح الا جزئية أودعوى اجماع لا حقيقة له ثم ان ذلك اذا ركب

بألفاظ كثيرة طويلة غريبة عمن لم يعرف اصطلاحهم أوهمت الغر ما يوهمه السراب للعطشان ازداد ايمانا وعلماً بما جاء به الكتاب والسنة فان الضد يظهر حسنه الضد وكل من كان بالباطل أعلم كان للحق أشد تعظيماً وبقدره أعرف فاما المتوسط من المتكلمين فيخاف عليه ما لا يخاف على من لم يدخل فيه وعلى من قد أنهاه نهايته فان من لم يدخل فيه هو في عافية ومن أنهاه قد عرف الغاية فما بقي يخاف من شيء آخر فاذا ظهر له الحق وهو عطشان اليه قبله وأما المتوسط فمتوهم بما تلقاه من المقالات المأخوذة تقليداً المعظمة تهويلاً

وقد قال الناس أكثر ما يفسد الدنيا نصف متكلم ونصف متفقه ونصف متطبب ونصف نحوي هذا يفسد الاديان وهذا يفسد البلدان وهذا يفسد الابدان وهذا يفسد اللسان

ومن علم ان المتكلمين من المتفلسفة وغيرهم هم في الغالب في قول مؤتفك يؤفك عنه من أفك علم الذكي منهم العاقل انه ليس هو فيما يقوله على بصيرة وان حجته ليست بينة وانما هي كما قيل فيها

حجج تهافت كالزجاج تخالها ✻ حقاً وكل كاسر مكسور

ويعلم العليم البصير أنهم من وجه مستحقون ما قال الشافعي رضي الله عنه حيث قال حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام

ومن وجه آخر اذا نظرت اليهم بعين القدر والحيرة مستولية

علمهم والشيطان مستحوذ عليهم رحمتهم ورفقت عليهم أوتوا ذكاء وما أوتوا زكاء وأعطوا فهوما وما أعطوا علوما وأعطوا سمعا وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن

ومن كان عليماً بهذه الأمور تبين له بذلك حذق السلف وعلمهم وخبرتهم حيث حذروا عن الكلام ونهوا عنه وذموا أهله وعابوهم وعلم أن من ابتغى الهدى في غير الكتاب والسنة لم يزداد إلا بعداً

ونسأل الله العظيم أن يهدينا صراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً مباركا الى يوم الدين

﴿ تمت الرسالة الحادية عشر ﴾

﴿ ويليها الرسالة الثانية عشر ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية رضي الله عنه

ما تقول السادة العلماء أئمة الدين وفقهم الله لطاعته فيمن يقول لا يستغاث برسول الله صلى الله عليه وسلم هل يحرم عليه هذا القول وهل هو كفر أم لا وإن استدل بآيات من كتاب الله وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم هل تنفعه دليله أم لا وإذا قام الدليل من الكتاب والسنة فما يجب على من يخالف ذلك أفتونا مأجورين * الجواب *

الحمد لله * قد ثبت بالسنة المستفيضة بل المتواترة واتفاق الأمة أن نبينا صلى الله عليه وسلم الشافع المشفع وانه يشفع في الخلائق يوم القيامة وان الناس يستشفعون به يطلبون منه أن يشفع لهم الى ربهم وانه يشفع لهم

ثم اتفق أهل السنة والجماعة انه يشفع في أهل الكبائر وانه لا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد

وأما الخوارج والمعتزلة فانكروا شفاعته لأهل الكبائر ولم ينكروا شفاعته للمؤمنين وهؤلاء مبتدعة ضلال وفي تكفيرهم نزاع وتفصيل وأما من أنكر ما ثبت بالتواتر والاجماع فهو كافر بعد قيام الحجة وسواء سمى هذا المعنى استغاثة أو لم يسمه وأما من أقر بشفاعته وأنكر ما كان الصحابة يفعلونه من التوسل به والاستشفاع به كما رواه البخاري في صحيحه عن أنس أن عمر بن الخطاب كان اذا قحطوا استسقى بالعباس ابن عبد المطلب وقال اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل

اليك ثم سنا فاسقنا فيسقون وفي سنن أبي داود وغيره ان اعرابيا قال للنبي صلى الله عليه وسلم جهدت الانفس وجاع العيال وهلك المال فادع الله لنا فانا نستشفع بك على الله و نستشفع بالله عليك فسبح رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه وقال ويحك ان الله لا يستشفع به على أحد من خلقه شأن الله أعظم من ذلك وذكر تمام الحديث فانكر قوله نستشفع بالله عليك ولم ينكر قوله نستشفع بك على الله بل أقره عليه فعلم جوازه فمن أنكر هذا فهو ضال مخطئ مبتدع وفي تكفيره نزاع وتفصيل

وأما من أقر بما ثبت بالكتاب والسنة و الاجماع من شفاعته والتوسل به ونحو ذلك ولكن قال لا يدعى الا الله وان الامور التي لا يقدر عليها الا الله فلا تطلب الا منه مثل غفران الذنوب وهداية القلوب وانزال المطر وانبات النبات ونحو ذلك فهذا مصيب في ذلك بل هذا مما لا نزاع فيه بين المسلمين أيضا كما قال تعالى ومن يغفر الذنوب الا الله وقال انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وكما قال تعالى يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض وكما قال تعالى وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله وقال الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا

فالمعاني الثابتة بالكتاب والسنة يجب اثباتها والمعاني المنفية بالكتاب

والسنة بحب نفيها والعبارة الدالة على المعاني نفيا واثباتا ان وجدت في كلام الله ورسوله وجب اقرارها وان وجدت في كلام أحد وظهر مراده من ذلك رتب عليه حكمه والا رجع فيه اليه وقد يكون في كلام الله ورسوله عبارة لها معنى صحيح لكن بعض الناس يفهم من تلك غير مراد الله ورسوله فهذا يرد عليه فهمه كما روى الطبراني في معجمه الكبير انه كان في زمن النبي صلي الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين فقال أبو بكر الصديق قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه لا يستغاث بي وانما يستغاث بالله فهذا انما أراد به النبي صلى الله عليه وسلم المعنى الثاني وهو ان يطلب منه ما لا يقدر عليه الا الله والا فالصحابة كانوا يطلبون منه الدعاء ويستسقون به كما في صحيح البخاري عن ابن عمر قال ربما ذكرت قول الشاعر وأنا انظر الى وجه النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي فما ينزل حتي يجيش له ميزاب

وابيض يستسقي الغمام بوجهه * ثمال اليتامي عصمة للأرامل

وهو قول أبي طالب ولهذا قال العلماء المصنفون في أسماء الله تعالى يجب على كل مكلف أن يعلم أن لا غياث ولا مغيث على الاطلاق الا الله وان كل غوث فمن عنده وان كان جعل ذلك على يدي غيره فالحقيقة له سبحانه وتعالي ولغيره مجاز

قالوا من أسمائه تعالى المغيث والغياث وجاء ذكر المغيث في حديث أبي هريرة قالوا واجمعت الامه على ذلك

وقال أبو عبد الله الحليمي الغياث هو المغيث وأكثر ما يقال غياث المستغيثين ومعناه المدرك عباده في الشدائد اذا دعوه ومجيبهم ومخلصهم وفي خبر الاستسقاء في الصحيحين اللهم أغثنا اللهم أغثنا يقال اغاثة اغاثة وغياثا وغوثا وهذا الاسم في معنى المجيب والمستجيب قال تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم الا أن الاغاثة أحق بالافعال والاستجابة أحق بالاقوال وقد يقع كل منهما موقع الآخر قالوا الفرق بين المستغيث والداعي ان المستغيث ينادي بالغوث والداعي ينادي بالمدعو والمغيث وهذا فيه نظر فان من صيغة الاستغاثة يالله للمسلمين وقد روى عن معروف الكرخي انه كان يكثر أن يقول واغوثاه ويقول اني سمعت الله يقول اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم وفي الدعاء المأثور ياحي ياقيوم لا اله الا أنت برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني الى نفسي طرفة عين ولا الى أحد من خلقك

والاستغاثة برحمته استغاثة به في الحقيقة كما ان الاستعاذة بصفاته استعاذة به في الحقيقة وكما ان القسم بصفاته قسم به في الحقيقة ففي الحديث اعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق وفيه أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك

ولهذا استدل الائمة فيما استدلوا على ان كلام الله غير مخلوق بقوله أعوذ بكلمات الله التامة قالوا والاستعاذة لا تصلح بالمخلوق

وكذلك القسم فقد ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم

قال من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت وفي لفظ من حلف بغير الله فقد أشرك رواه الترمذي وصححه ثم قد ثبت في الصحيح الحلف بعزة الله ولعمر الله ونحو ذلك مما اتفق المسلمون على انه ليس من الحلف بغير الله الذي نهى عنه والاستغاثة بمعنى أن نطلب من الرسول ماهو اللائق بمنصبه لاينازع فيها مسلم ومن نازع في هذا المعنى فهو اما كافر ان أنكر مايكفر به واما مخطيء ضال

وأما بالمعنى الذي نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أيضاً مما يجب نفيها ومن أثبت لغير الله مالا يكون الا لله فهو أيضاً كافر اذا قامت عليه الحجة التي يكفر تاركها

ومن هذا الباب قول أبي يزيد البسطامي استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق وقول الشيخ أبي عبد الله القرشي المشهور بالديار المصرية استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون

وفي دعاء موسى عليه السلام اللهم لك الحمد واليك المشتكى وانت المستعان وبك المستغاث وعليك التكلان ولاحول ولا قوة الا بك

ولما كان هذا المعنى هو المفهوم منها عند الاطلاق وكان مختصاً بالله صح اطلاق نفيه عما سواه ولهذا لايعرف عن أحد من أئمة المسلمين انه جوز مطلق الاستغاثة بغير الله ولا أنكر على من نفى مطلق الاستغاثة عن غير الله

وكذلك الاستعانة أيضاً فيها مالا يصلح الا لله وهي المشار اليها بقوله اياك نعبد واياك نستعين فانه لايعين على العبادة الاعانة المطلقة الا الله

وقد يستعان بالمخلوق فيما يقدر عليه وكذلك الاستنصار قال الله تعالى وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر والنصر المطلق هو خلق ما به يغلب العدو ولا يقدر عليه الا الله

ومن خالف ما ثبت بالكتاب والسنة فانه يكون اما كافراً واما فاسقاً واما عاصياً الا أن يكون مؤمناً مجتهداً مخطئاً فيثاب على اجتهاده ويغفر له خطؤه وكذلك ان كان لم يبلغه العلم الذي تقوم عليه به الحجة قال الله يقول وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وأما اذا قامت عليه الحجة الثابتة بالكتاب والسنة فخالفها

فانه يعاقب بحسب ذلك اما بالقتل

واما بدونه والله أعلم

تمت الرسالة الثانية عشر

وبتمامها تم ولله الحمد طبع الجزء الاول من مجموعة الرسائل الكبرى لشيخ الاسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية الحراني الدمشقي (ويليه ان شاء الله الجزء الثاني وأوله الرسالة الثالثة عشر المسماة)

الاكليل في المتشابه والتأويل

﴿ الجزء الثاني ﴾

﴿ من مجموعة الرسائل الكبرى ﴾

﴿ تأليف ﴾

﴿ شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ﴾
﴿ ابن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي المتوفى ﴾
﴿ سنة ٧٢٨ رحمه الله تعالى ﴾

(الأولى)

﴿ رسالة الإكليل في المتشابه والتأويل ﴾

﴿ وهو مما صنفه أخيراً بقلعة دمشق المحروسة ﴾

﴿ الطبعة الأولى ﴾

(سنة ١٣٢٣)

([illegible])

([illegible])

بسم الله الرحمن الرحيم

(قال شيخ الاسلام علم الاعلام أبو العباس أحمد بن تيميه الحرانى الدمشقى)

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

فصل قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته (الى قوله) ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفى شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادي الذين آمنوا الى صراط مستقيم

جعل الله القلوب ثلاثة أقسام قاسية وذات مرض ومؤمنة مخبتة وذلك لانها اما أن تكون يابسة جامدة لاتلين للحق اعترافا واذعانا أولا تكون يابسة جامدة *فالاول هو القاسى وهو الجامد اليابس بمنزلة الحجر لاينطبع ولا يكتب فيه الايمان ولا يرتسم فيه العلم لان ذلك يستدعي محلا لينا قابلا *والثانى لايخلو اما أن يكون الحق ثابتا فيه لايزول عنه لقوته مع لينه أو يكون لينه مع ضعف وانحلال فالثانى هو الذى فيه مرض والاول هو القوى اللين وذلك ان القلب بمنزلة أعضاء الجسد كاليد مثلا فاما أن تكون جامدة يابسة لاتلتوى ولا تبطش أو تبطش بعنف فذلك مثل القلب القاسى أو تكون ضعيفة مريضة عاجزة لضعفها ومرضها فذلك الذي

وبه مرض أو يكون باطشه بقوة وأين فهو مثل القلب العليم الرحيم والرحمة خرج عن القسوة وبالعلم خرج عن المرض فان المرض من الشكوك والشبهات ولهذا وصف من عدى هؤلاء بالعلم والايمان والاخبات وفي قوله (وليعلم الذين أوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم) دال على ان العلم يدل على الايمان ليس من أهل العلم يرفعوا عن درجة الايمان كما يتوهمه طائفة من المتكلمة بل معهم العلم والايمان كما قال تعالى (لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) وقال تعالى (وقال الذين أوتوا العلم والايمان) وعلى هذا فقوله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا نظير هذه الآية فانه أخبر هنا ان الذين أوتوا العلم يعلمون انه الحق من ربهم وأخبر هناك أنهم يقولون في المتشابه آمنا به كل من عند ربنا وكلا الموضعين موضع شبهة لغيرهم وان الكلام هناك في المتشابه وهنا فيما يلقي الشيطان مما ينسخه الله ثم يحكم الله آياته وجعل المحكم هنا ضد الذي نسخه الله مما ألقى الشيطان ولهذا قال طائفة من مفسري المتقدمين المحكم هو الناسخ والمتشابه المنسوخ

أرادوا والله أعلم قوله ينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والنسخ هنا رفع ما ألقاه الشيطان لا رفع ما شرعه الله وقد أشرت الى وجه ذلك فيما بعد وهو ان الله جعل المحكم مقابل متشابه تارة ومقابل المنسوخ أخرى والمنسوخ يدخل فيه في اصطلاح السلف كل ظاهر ترك ظاهره لمعارض راجح كتخصيص العام وتقييد المطلق فان هذا متشابه لانه يحتمل معنيين ويدخل فيه المجمل فانه متشابه

واحكامه رفع مايتوهم فيه من المعنى الذى ليس بمراد وكذلك مارفع حكمه فان في ذلك جميعه نسخا لما يلقيه الشيطان في معانى القرآن ولهذا كانوا يقولون هل عرفت الناسخ من المنسوخ فاذا عرفت الناسخ عرفت المحكم وعلى هذا فيصح أن يقال المحكم والمنسوخ كما يقال المحكم والمتشابه وقوله بعد ذلك ثم يحكم الله آياته جعل جميع الآيات محكمة محكمها ومتشابهها كما قال (الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت) وقال (تلك آيات الكتاب الحكيم) على أحد القولين وهنالك جعل الآيات قسمين محكما ومتشابها كما قال (منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) وهذه المتشابهات مما انزله الرحمن لا مما ألقاه الشيطان ونسخه الله فصار المحكم في القرآن تارة يقابل بالمتشابه والجميع من آيات الله وتارة يقابل بما نسخه الله مما ألقاه الشيطان

ومن الناس من يجعله مما لم ينسخه الله حتى تكون هذه الآية محكمة ليست منسوخة ويجعل المنسوخ ليس محكما وان كان منزلا أوله أولا اتباعا لظاهر من قوله فينسخ الله ويحكم الله آياته فهذه ثلاث معان تقابل المحكم ينبغي التفطن لها

وجماع ذلك ان الاحكام تارة يكون في التنزيل فيكون في مقابلته ما يلقيه الشيطان فالمحكم المنزل من عند الله أحكمه الله أى فصله من الاشتباه بغيره وفصل منه ما ليس منه فان الاحكام هو الفصل والتمييز والفرق والتحديد الذى به يتحقق الشيء ويحصل اتقانه ولهذا دخل فيه معنى المنع كما دخل في الحد ...

يكون في ابقاء المنزل عند من قابله ... رفع ما شرع ...

اصطلاحي أو نقل وهو أشبه بقول السلف كانوا يسمون كل رفع نسخا سواء كان رفع حكم او رفع دلالة ظاهرة والفاء الشارع في أمنيته قد يكون في نفس لفظ المبلغ وقد يكون في مسمع المبلغ وقد يكون في فهمه كما قال (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها) الآية ومعلوم ان من سمع سمع النص الذي قد رفع حكمه أو دلالة له فانه يلقى الشيطان في تلك التلاوة تسمع ذلك المنسوخ فيحكم الله آياته بالناسخ الذي به رفع الحكم وبان المراد وعلى هذا التقدير فيصح أن يقال المتشابه المنسوخ بهذا الاعتبار والله أعلم

وتارة يكون الاحكام في التأويل والمعنى وهو تمييز الحقيقة المقصودة من غيرها حتى لا تشتبه بغيرها وفي مقابلة المحكمات الآيات المتشابهات التي تشبه هذا وتشبه هذا فتكون محتملة للمعنيين ولم يقل في المتشابه لا يعلم تفسيره ومعناه الا الله وانما قال وما يعلم تأويله الا الله وهذا هو فصل الخطاب بين المتنازعين في هذا الموضع فان الله أخبر أنه لا يعلم تأويله الا هو والوقف هنا على ما دل عليه أدلة كثيرة وعليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجمهور التابعين وجماهير الامة ولكن لم ينف علمهم بمعناه وتفسيره بل قال (كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته) وهذا يعم الآيات المحكمات والآيات المتشابهات وما لا يعقل له معنى لا يتدبر وقال (أفلا يتدبرون القرآن) ولم يستثن شيئا منه نهى عن تدبره والله ورسوله انما ذم من اتبع المتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله فأما من تدبر المحكم والمتشابه كما أمره الله وطلب فهمه ومعرفة معناه فلم يذمه الله بل أمر بذلك ومدح عليه يبين ذلك ان التأويل قد روي

أن من اليهود الذين كانوا بالمدينة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كحيى ابن أخطب وغيره من طلب من حروف الهجاء التي في أوائل السور تأويل بقاء هذه الامة كما سلك ذلك طائفة من المتأخرين موافقة للصابئة المنجمين وزعموا أنه ستمائة وثلاثة وتسعون عاما لان ذلك هو عدد ما بالحروف في حساب الجمل بعد اسقاط المكرر وهذا من نوع تأويل الحوادث التي أخبر بها القرآن في اليوم الآخر

وروي ان من النصارى الذين وفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد نجران من تأول انا ونحن على ان الالهة ثلاثة لان هذا ضمير جمع وهذا تأويل في الايمان بالله فاولئك تأولوا في اليوم الآخر وهؤلاء تأولوا في الله ومعلوم ان انا ونحن من المتشابه فانه يراد بها الواحد الذي معه غيره من جنسه ويراد بها الواحد الذي معه أعوانه وان لم يكونوا من جنسه ويراد بها الواحد المعظم نفسه الذي يقوم مقام من معه غيره لتنوع اسمائه التي كل اسم منها يقوم مقام اسمى فصار هذا متشابها لان اللفظ واحد والمعنى متنوع والاسماء المشتركة في اللفظ هي من المتشابه وبعض المتواطئ أيضاً من المتشابه ويسميها أهل التفسير الوجوه والنظائر وصنفوا كتب الوجوه والنظائر فالوجوه في الاسماء المشتركة والنظائر في الاسماء المتواطئة وقد ظن بعض أصحابنا المصنفين في ذلك ان الوجوه والنظائر جميعاً في الاسماء المشتركة فهي نظائر باعتبار اللفظ ووجوه باعتبار المعنى وليس الامر على ما قاله بل كلامهم صريح فيما قلناه لمن تأمله والذين في قلوبهم زيغ يدعون المحكم الذي لا اشتباه فيه مثل والهكم إله واحد انني أنا الله لا إله الا أنا فاعبدني ما اتخذ الله من ولد

وما كان معه من إله ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ويسمون المتشابه اشتباهاً لطيفة ليغروا به الناس إذا وضعوه على غير مواضعه وحرفوا الكلم عن مواضعه وابتغاء تأويله وهو الحقيقة التي أخبر عنها وذلك أن الكلام نوعان إنشاء فيه الأمر وإخبار فتأويل الأمر هو نفس الفعل المأمور به كما قال من قال من السلف إن السنة هي تأويل الأمر قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي يتأول القرآن تعني قوله فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً

وأما الإخبار فتأويله عين الأمر المخبر به إذا وقع ليس تأويله فهم معناه وقد جاء اسم التأويل في القرآن في غير موضع وهذا معناه قال الله تعالى (ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق) فقد أخبر أنه فصل الكتاب وتفصيله بيانه وتمييزه بحيث لا يشتبه

ثم قال هل ينظرون أي ينتظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله إلى آخر الآية وإنما ذلك مجيء ما أخبر به القرآن بوقوعه من القيامة وأشراطها كالدابة ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها ومجيء ربك والملك صفاً صفاً وما في الآخرة من الصحف والموازين والجنة والنار وأنواع النعيم والعذاب وغير ذلك فحينئذ يقولون قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا

نعمل وهذا القدر الذي أخبر به القرآن من هذه الامور لا نعلم وقته وقدره وصفته الا الله فان الله يقول فلا تعلم نفس ماأخفي لهم من قرة عين ويقول أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر وقال ابن عباس ليس في الدنيا مما في الجنة الا الاسماء فان الله قد أخبر ان في الجنـــة خمراً ولبناً وماء وحريراً وذهباً وفضة وغير ذلك ونحن نعلم قطعاً ان تلك الحقيقة ليست مماثلة لهذه بل بينهـــما تباين عظيـــم مع التشابه كما في قوله (وأتوا به متشابهاً) على أحـــد القولين ان يشبه مافي الدنيا وليس مثله فأشبه اسم تلك الحقائق أسماء هـــذه الحقائق كما أشبهت الحقائق الحقائق من بعض الوجوه ونحن نعلمها اذا خوطبنا بتلك الاسماء من جهة القدر المشترك بينهما ولكن لتلك الحقائق خاصية لا ندركها في الدنيا ولا سبيل الى ادراكنا لهـــا لعدم ادراك عينها او نظيرها من كل وجه وتلك الحقائق على ماهي عليه هي تأويل ما أخبر الله به وهذا فيه رد على اليهود والنصارى والصابئين من المتفلسفة وغيرهم فانهم ينكرون أن يكون في الجنة أكل وشرب ولباس ونكاح ويمنعون وجود ما أخبـــر به القرآن ومن دخـــل في الاسلام ونافق المؤمنين تأول ذلك على أن هـــذه أمثال مضروبة لتفهيم النعيم الروحاني ان كان من المتفلسفة الصابئة المنكرة لحشر الاجساد وان كان من منافقة الملـــيين المقرين بحشر الاجساد تأول ذلك على تفهيم النعيم الذي في الجنة من الروحاني والسماع الطيب والروائح العطرة كل ضال يحرف الكلم عن مواضعه الى ما اعتقد ثبوته وكان في هذا أيضاً

متبعاً للمتشابه اذ الاسماء تشبه الاسماء والمسميات تشبه المسميات ولكن تخالفها أكثر مما تشابهها فهؤلاء يتبعون هذا المتشابه ابتغاء الفتنة بما يوردونه من الشبهات على امتناع أن يكون في الجنة هذه الحقائق وابتغاء تأويله ان يردوه الى المعهود الذي يعلمونه في الدنيا قال الله تعالى (وما يعلم تأويله الا الله) فان تلك الحقائق قال الله فيها فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين لا ملك مقرب ولا نبي مرسل

وقوله وما يعلم تأويله اما أن يكون الضمير عائداً على الكتاب أو على المتشابه فان كان عائداً على الكتاب كقوله منه ومنه فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله فهذا يصح فان جميع آيات الكتاب المحكمة والمتشابهة التي فيها اخبار عن الغيب الذي أمرنا أن نؤمن به لا يعلم حقيقة ذلك الغيب ومتى يقع الا الله وقد يستدل لهذا ان الله جعل التأويل للكتاب كله مع اخباره أنه مفصل بقوله ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله فجعل التأويل الجائي للكتاب المفصل

وقد بينا ان ذلك التأويل لا يعلمه وقتاً وقدراً ونوعاً وحقيقة الا الله وانما نعلم نحن بعض صفاته بلغ علمنا لعدم نظيره عندنا وكذلك قوله (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) واذا كان التأويل الكتاب كله والمراد به ذلك ارتفعت الشبهة وصار هذا بمنزلة قوله (يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات والارض) الى قوله (انما علمها عند الله) وكذلك قوله (يسألك

الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً) فأخبر أنه ليس علمها الا عند الله وانما هو علم وقتها المعين وحقيقتها والا فنحن قد علمنا من صفاتها ما أخبرنا به فعلم تأويله كعلم الساعة والساعة من تأويله وهذا واضح بين ولا ينافي كون علم الساعة عند الله أن نعلم من صفاتها واحوالها ما علمناه وان نفسر النصوص المبينة لاحوالها فهذا هذا وان كان الضمير عائداً الى ما تشابه كما يقوله كثير من الناس ولان المخبر به من الوعد والوعيد متشابه بخلاف الامر والنهي ولهذا في الآثار العمل بمحكمه والايمان بمتشابهه لان المقصود في الخبر الايمان وذلك لان المخبر به من الوعد والوعيد فيه من المتشابه ما ذكرناه بخلاف الامر والنهي فانه متميز غير متشابه بغيره فانه أمور نفعلها قد علمناها بالوقوع وأمور نتركها لا بد أن نتصورها

ومما جاء من لفظ التأويل في القرآن قوله تعالى (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) والكناية عائدة على القرآن أو على ما لم يحيطوا بعلمه وهو يعود الى القرآن قال تعالى (وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لاريب فيه من رب العلمين أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين) فأخبر سبحانه ان هذا القرآن ما كان ليفترى من دون الله

وهـذه الصيغة تدل على امتناع الحق كقوله (ما كان ربك ليهلك القرى بظلم) لأن الخلق عاجزون عن الاتيان بمثله كما تحداهم وطالبهم لما قال أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فهذا تعجيز لجميع المخلوقين قال تعالى ولكن تصديق الذي بين يديه اى تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب أي مفصل الكتاب فأخبر أنه مصدق الذي بين يديه ومفصل الكتاب والكتاب اسم جنس ولما تحدى القائلين افتراه دل على أنهم هم المفترون قال بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ففرق بين الاحاطة بعلمه وبين اتيان تأويله فتبين أنه يمكن أن يحيط أهل العلم والايمان بعلمه ولما يأتهم تأويله وان الاحاطة بعلم القرآن ليست اتيان تأويله فان الاحاطة بعلمه معرفة معاني الكلام على التمام واتيان التأويل نفس وقوع المخبر به وفرق بين معرفة الخبر وبين المخبر به فمعرفة الخبر هي معرفة تفسير القرآن ومعرفة المخبر به هي معرفة تأويله وهذا هو الذي بيناه فيما تقدم ان الله انما أنزل القرآن ليعلم وتفهم معانيه ويتدبر ويتفكر فيه محكمه ومتشابهه وان لم يعلم تأويله

ويبين ذلك ان الله يقول عن الكفار واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا) فقد أخبر ذم لهؤلاء بأنه اذا قرئ عليهم القرآن حجب بين ابصارهم وبين الرسول بحجاب مستور وجعل على

ولو بهم أكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا فلو كان أهل العلم والايمان على قلوبهم أكنة أن يفقهوا بعضه لشاركوهم في ذلك وقوله أن يفقهوه يعود الى القرآن كله

فعلم ان الله يحب أن يفقه ولهذا قال الحسن البصري ما أنزل الله آية الا وهو يحب أن يعلم فيما ذا أنزلت وماذا عنى بها وما استثنى من ذلك لا متشابها ولا غيره

وقال مجاهد عرضت المصحف على ابن عباس من أوله الى آخره مرات أقف عند كل آية وأسأله عنها فهذا ابن عباس حبر الامة وهو أحد من كان يقول لا يعلم تأويله الا الله يجيب مجاهدا عن كل آية في القرآن

وهذا هو الذي حمل مجاهدا ومن وافقه كابن قتيبة على ان جعلوا الوقف عند قوله والراسخون في العلم فجعلوا الراسخين يعلمون التأويل لان مجاهدا تعلم من ابن عباس تفسير القرآن كله وبيان معانيه فظن ان هذا هو التأويل المنفي عن غير الله

وأصل ذلك ان لفظ التأويل فيه اشتراك بين ما عناه الله في القرآن وبين ما كان يطلقه طوائف من السلف وبين اصطلاح طوائف من المتأخرين فبسبب الاشتراك في لفظ التأويل اعتقد كل من فهم منه معنى بلغته أن ذلك هو المذكور في القرآن * ومجاهد امام المفسرين قال الثوري اذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به وأما التأويل فشأن آخر ويبين ذلك ان الصحابة والتابعين لم يمتنع أحد منهم عن تفسير آية من كتاب الله وقال هذه من المتشابه الذي لا يعلم معناه ولا قال قط أحد

من سلف الامة ولا من الائمة اتبوعين ان في القرآن آيات لا نعلم معناها ولا يفهمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أهل العلم والايمان جميعهم وانما قد ينفون علم بعض ذلك عن بعض الناس وهذا لاريب فيه

وانما وضع هذه المسئلة المتأخرون من الطوائف بسبب الكلام في آيات الصفات و آيات القدر وغير ذلك فلقبوها هل يجوز أن يشتمل القرآن على ما لا نعلم معناه وما تعبدنا بتلاوة حروفه بلا فهم فجوز ذلك طوائف متمسكين بظاهر من هذه الآية وبأن الله يمتحن عباده بما شاء ومنعها طوائف ليتوصلوا بذلك الي تأويلاتهم الفاسدة التى هى تحريف الكلم عن مواضعه * والغالب على كلا الطائفتين الخطأ أولئك يقصرون في فهم القرآن بمنزلة من قيل فيه ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني وهؤلاء معتدون بمنزلة الذين يحرفون الكلم عن مواضعه

ومن المتأخرين من وضع المسئلة بلقب شنيع فقال لايجوز أن يتكلم الله بكلام ولا يعنى به شيئا خلافا للحشوية وهذا لم يقله مسلم ان الله يتكلم بما لا معنى له

وانما النزاع هل يتكلم بما لا نفهم معناه وبين نفى المعنى عند المتكلم وبين الفهم عند المخاطب بون عظيم

ثم احتج بما لا يجرى على أصله فقال هذا عبث والعبث على الله محال وعنده ان الله لا يقبح منه شيء أصلا بل يجوز أن يفعل كل شيء وليس له أن يقول العبث صفة نقص فهو منتف عنه لان النزاع في الحروف وهي عنده مخلوقة من جملة الافعال ويجوز أن يشتمل الفعل عنده على كل

صفة ولا نقل صحيح ولا عقل صريح

وصار السنة بين الطائفتين وصار عقولهم ان مدعى ا أو لى أخطؤا في زعمهم أن العلماء يعلمون التأويل وفي دعواهم أن التأويل هو تأويلهم الذي هو تحريف الكلم عن مواضعه فان الاولين لعلمهم بالقرآن والسنن وصحة عقولهم وعلمهم بكلام السلف وكلام العرب علموا يقيناً ان التأويل الذي يدعيه هؤلاء ليس هو معنى القرآن فانهم حرفوا الكلم عن مواضعه وصاروا مراتب ما بين قرامطة وباطنية يتأولون الاخبار والاوامر وما بين صابئة فلاسفة يتأولون عامة الاخبار عن الله وعن اليوم الآخر حتى عن أكثر أحوال الانبياء وما بين جهمية ومعتزلة يتأولون بعض ما جاء في اليوم الآخر وفي آيات القدر ويتأولون آيات الصفات وقد وافقهم بعض متأخري الاشعرية على ما جاء في بعض الصفات وبعضهم في بعض ما جاء في اليوم الآخر وآخرون من أصناف الامة وان كان تغلب عليهم السنة فقد يتأولون أيضاً مواضع يكون تأويلهم من تحريف الكلم عن مواضعه والذين ادعوا العلم بالتأويل مثل طائفة من السلف وأهل السنة وأكثر أهل الكلام والبدع رأوا أيضاً ان النصوص دلت على معرفة معاني القرآن ورأوا عجزاً وعيباً وقبيحاً أن يخاطب الله عباده بكلام يقرؤنه ويتلونه وهم لايفهمونه وهم مصيبون فيما استدلوا به من سمع وعقل لكن أخطأوا في معنى التأويل الذي نفاه الله وفي التأويل الذي أثبتوه وتسلق بذلك مبتدعهم الى تحريف الكلم عن مواضعه وصار الاولون أقرب الى السكوت والسلامة

نوع من الجهل وصار الآخرون أكثر كلاما وجدالا ولكن بفرية على الله وقول عليه مالا يعلمونه والحاد في أسمائه وآياته فهذا هذا ومنشأ الشبه الاشتراك في لفظ التأويل

فان التأويل في عرف المتأخرين من المتفقهة والمتكلمة والمحدثة والمتصوفة ونحوهم هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح الى المعنى المرجوح لدليل يقترن به وهذا هو التأويل الذى يتكلمون عليه في أصول الفقه ومسائل الخلاف فقد قال أحد منهم هذا الحديث أو هذا النص مؤول أو هو محمول على كذا قال الآخر هذا نوع تأويل والتأويل يحتاج الى دليل والمتأول عليه وظيفتان بيان احتمال اللفظ للمعنى الذي ادعاه وبيان الدليل الموجب للصرف اليه عن المعنى الظاهر وهذا هو التأويل الذى يتنازعون فيه في مسائل الصفات اذا صنف بعضهم في ابطال التأويل أو ذم التأويل أو قال بعضهم آيات الصفات لا تؤول وقال الآخر بل يجب تأويلها وقال الثالث بل التأويل جائز يفعل عند المصلحة ويترك عند المصلحة أو يصلح للعلماء دون غيرهم الى غير ذلك من المقالات والتنازع

وأما التأويل في لفظ السلف فله معنيان أحدهما تفسير الكلام وبيان معناه سواء وافق ظاهره أو خالفه فيكون التأويل والتفسير عند هؤلاء متقاربا أو مترادفا وهذا والله أعلم هو الذى عناه مجاهد ان العلماء يعلمون تأويله ومحمد بن جرير الطبري يقول في تفسيره القول في تأويل قوله كذا وكذا واختلف أهل التأويل في هذه الآية ونحو ذلك ومراده

التفسير والمعنى الثانى فى لفظ السلف وهو الثالث من مسمى التأويل مطلقاً هو نفس المراد بالكلام فان الكلام ان كان طلبا كان تأويله نفس الفعل المطلوب وان كان خبراً كان تأويله نفس الشيء المخبر به وبين هذا المعنى والذي قبله بون فان الذى قبله يكون التأويل فيه من باب العلم والكلام كالتفسير والشرح والايضاح ويكون وجود التأويل في القلب واللسان له الوجود الذهنى واللفظي والرسمي

وأما هذا فالتأويل فيه نفس الامور الموجودة في الخارج سواء كانت ماضية أو مستقبلة فاذا قيل طلعت الشمس فتأويل هذا نفس طلوعها وهذا الوضع والعرف الثالث هو لغة القرآن التى نزل بها وقد قدمنا التنبيه فى ذلك ومن ذلك قول يعقوب عليه السلام ليوسف (وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك) وقوله (ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما انى أرانى أعصر خمرا وقال الآخر انى أرانى أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين قال لايأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما) وقول الملأ (أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين وقال الذى نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فارسلون وقول يوسف لما دخل عليه أهله مصر وآوى اليه أبويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال ياأبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقاً)

فتأويل الاحاديث التى هي رؤيا المنام هي نفس مدلولها التى تؤول

اليه كما قال يوسف هذا تأويل رؤياي من قبل والعالم بتأويلها الذى
يخبر به كما قال يوسف لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما
بتأويله قبل أن يأتيكما أى قبل أن يأتيكما التأويل وقال الله تعالى (فان
تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم
الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) قالوا احسن عاقبة ومصيرا فالتأويل
هنا تأويل فعلهم الذى هو الرد الى الكتاب والسنة والتأويل في سورة
يوسف تأويل أحاديث الرؤيا والتأويل في الاعراف ويونس تأويل
القرآن وكذلك فى سورة آل عمران وقال تعالى فى قصة موسى والعالم
(قال هذا فراق بينى وبينك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا) الى
قوله (وما فعلته عن أمرى ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا) فالتأويل
هنا تأويل الافعال التى فعلها العالم من خرق السفينة بغير اذن صاحبها
ومن قتل الغلام ومن اقامة الجدار فهو تأويل عمل لا تأويل قول
وانما كان كذلك لان التأويل مصدر أوله يؤوله تأويلا مثل حول تحويلا
وعول تعويلا وأول يؤول تعديه آل يؤول أولا مثل حال يحول حولا
وقولهم آل يؤول أى عاد الى كذا ورجع اليه ومنه المآل وهو ما يؤول
اليه الشيء ويشاركه فى الاشتقاق الاكبر الموئل فانه من وأل وهذا من أول
والموئل المرجع قال تعالى (لن يجدوا من دونه موئلا) ومما يوافقه فى
اشتقاقه الاصغر الآل فان آل الشخص من يؤول اليه ولهذا لا يستعمل
الا في عظيم بحيث يكون المضاف اليه يصلح أن يؤول اليه الآل كآل
ابراهيم وآل لوط وآل فرعون بخلاف الاهل والاول أفعل لانهم قالوا في

تأنيثه أولي كما قالوا جمادى الاولى وفي القصص (وله الحمد في الاولى والآخرة) ومن الناس من يقول فوعل ويقول أوله الا أن هذا يحتاج الى شاهد من كلام العرب بل عدم صرفه يدل على انه أفعل لا فوعل فان فوعل مثل كوثر وجوهر مصروف سمي المقدم أول والله أعلم لأن ما بعده يؤول اليه ويبني عليه فهو اس لما بعده وقاعدة له وأنثاه صفة تفضيل مثل أكبر وكبرى وأصغر وصغرى لا من باب احمر وحمراء ولهذا يقولون جئته أول من أمس وقال من أول يوم وأنا أول المسلمين ولا تكونوا أول كافر به ومثل هذا أول هؤلاء فهذا الذي فضل عليهم في الاول لأن كل واحد يرجع الى ما قبله فيه فيعتمد عليه وهذا السابق كلهم يؤول اليه فان من تقدم في فعل فاستن به من بعده كان السابق الذي يؤول اليه الكل فالاول له وصف السودد والاتباع ولفظ الاول مشعر بالرجوع والعود والاول مشعر بالابتداء والمبتدأ خلاف العائد لأنه انما كان أولا لما بعده فانه يقال أول المسلمين وأول يوم فما فيه من معنى الرجوع والعود هو للمضاف اليه لا للمضاف واذا قلنا آل فلان فالعود في المضاف لأن ذلك صيغة تفضيل في كونه مآلا ومرجعا لغيره لأن كونه مفضلا دل على انه مآل ومرجع لا آيل وراجع اذ لا فضل في كون الشيء راجعا الى غيره آيلا اليه وانما الفضل في كونه هو الذي يرجع اليه ويؤول فاما كانت الصيغة صيغة تفضيل أشعرت بانه مفضل في كونه مآلا ومرجعا والتفضيل المطلق في ذلك يقتضي أن يكون هو السابق المبتدئ والله أعلم

فتأويل الكلام ما أوله اليه المتكلم أو ما يؤول اليه الكلام أو ما تأوله المتكلم فان التفعيل يجري على غير فعل كقوله وتبتل اليه تبتيلا ويجوز أن يقال تأول الكلام الى هذا المعنى تأويلا والمصدر واقع موقع الصفة اذ قد يحصل المصدر صفة بمعنى الفاعل كعدل وصوم وفطر وبمعنى المفعول كدرهم ضرب الامير وهذا خلق الله فالتأويل هو ما أول اليه الكلام أو يؤول اليه أو تأول هو اليه والكلام انما يرجع ويعود ويستقر ويؤول ويؤول الى حقيقته التي هي عين المقصود به كما قال بعض السلف في قوله لكل نبأ مستقر قال حقيقته فانه ان كان خبرا فالى حقيقته المخبر بها يؤول ويرجع والا لم يكن له حقيقة ولا مآل ولا مرجع بل كان كذبا وان كان طلبا فالى الحقيقة المطلوبة يؤول ويرجع وان لم يكن مقصوده موجودا ولا حاصلا ومتى كان الخبر وعدا أو وعيدا فالى الحقيقة المطلوبة المنتظرة يؤول كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما نزلت هذه الآية (قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا) قال انها كائنة ولم يأت تأويلها بعد [illegible] أو [illegible] في المتشابه الذي لا يعلم [illegible] الا الله [illegible] الله [illegible] وسلم [illegible] كما يقول ذلك واحد [illegible] وغيرهم فهم وان أصابوا في [illegible] الكلام على [illegible] المتشابه [illegible] أعلم [illegible]

أحد من سلف الا ة ولا من الائمه لاأحمد بن حنبل ولا غيره انه جعل ذلك من المتشابه الداخل في هذه الآية ونفى أن يعلم أحد معناه وجعلوا أسماء الله وصفاته بمنزلة الكلام الاعجمي الذى لا يفهم ولا قالوا ان الله ينزل كلاما لا يعلم أحد معناه وانما قالوا كلمات لها معان صحيحة قالوا في أحاديث الصفات تمر كما جاءت ونهوا عن تأويلات الجهمية وردوها وأبطلوها التي مضمونها تعطيل النصوص على مادلت عليه ونصوص أحمد والائمة قبله بينة في أنهم كانوا يبطلون تأويلات الجهمية ويقرون النصوص على مادلت عليه من معناها ويفهمون منها بعض مادلت عليه كما يفهمون ذلك في سائر نصوص الوعد والوعيد والفضائل وغير ذلك وأحمد قد قال في غير أحاديث الصفات تمر كما جاءت في أحاديث الوعيد مثل قوله من غشنا فليس منا وأحاديث الفضائل ومقصوده بذلك ان الحديث لايحرف كلمه عن مواضعه كما يفعله من يحرفه ويسمى تحريفه تأويلا بالعرف المتأخر

فتأويل هؤلاء المتأخرين عند الائمه تحريف باطل وكذلك نص أحمد في كتاب الرد على الزنادقه والجهمية انهم تمسكوا بمتشابه القرآن وتكلم أحمد على ذلك المتشابه وبين معناه وتفسيره بما يخالف تأويل الجهمية وجرى في ذلك على سنن الائمة قبله فهذا اتفاق من الائمه على أنهم يعلمون معنى هذا المتشابه وأنه لا يسكت عن بيانه وتفسيره بل يبين ويفسر باتفاق الائمه من غير تحريف له عن مواضعه أو الحاد في أسماء الله وآياته

ومما يوضح لك موقع هذا من الاضطراب ان أهل السنة متفقون على ابطال تأويلات الجهمية ونحوهم من المحرفين الملحدين والتأويل المردود هو صرف الكلام عن ظاهره الى مايخالف ظاهره فلو قيل ان هذا هو التأويل المذكور في الآية وانه لايعلمه الا الله لكان في هذا تسليم للجهمية ان للآية تأويلا يخالف دلالتها لكن ذلك لايعلمه الا الله وليس هذا مذهب السلف والائمة وانما مذهبهم نفي هذه التأويلات وردها لا التوقف فيها وعندهم قراءة الآية والحديث تفسيرها وتمر كما جاءت دالة على معانيها لاتحرف ولا تلحد فيها

والدليل على ان هذا ليس بمتشابه لايعلم معناه ان نقول لاريب ان الله سمى نفسه في القرآن بأسماء مثل الرحمن والودود والعزيز والجبار والعليم والقدير والرؤف ونحو ذلك ووصف نفسه بصفات مثل سورة الاخلاص وآية الكرسي وأول الحديد وآخر الحشر وقوله (ان الله بكل شيء عليم) وعلى كل شيء قدير • والله يحب المتقين • والمقسطين والمحسنين • رضي الله عنهم ورضوا عنه • وهو الذين آمنوا وعملوا الصالحات • وبما اتبعوا ما اسخط الله • ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله • ولكن كره الله انبعاثهم • الرحمن على العرش استوى • ثم استوى على العرش • يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها • وهو معكم اينما كنتم • وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وهو على عظيم • اليه يصعد الكلم الطيب • والعمل الصالح يرفعه • انني معكما أسمع وأرى • وهو الله في السموات وفي الارض • ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي • بل

يد ه ماسوطتان • يمق كيف يشاء • ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام •
يريدون وجهه (واصبع على شي) الى أمثال ذلك ويقال لمن أدعى
في هذا انه متشابه لا يعلم معناه أنقول هذا في جميع ماسمى الله ووصف
به نفسه أم في البعض فان قلت هذا في الجميع كان هذا عنادا ظاهرا
وجحدا لما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام بل كفر صريح فانا
نفهم من قوله (ان الله بكل شيء عليم) معنى ونفهم من قوله (ان الله على
كل شيء قدير) معنى ليس هو الاول ونفهم من قوله (ورحمتي وسعت كل
شيء) معنى ونفهم من قوله (ان الله عزيز ذو انتقام) معنى وصبيان المسلمين
بل وكل عاقل يفهم هذا وقد رأيت بعض من ابتدع وجحد من اهل
المغرب مع انتسابه الى الحديث لكن أثرت فيه الفلسفة الفاسدة من
يقول ان اسماء الله الحسنى لا تدل على معنى اصلا من غير ان نفهم منه
معنى يدل على شيء قط وكذلك في قوله ولا يعزب عنه شيء
يصدق شيء لقط من غير ان تكون ثم علم

وهذا الغلو في الظاهر من جنس غلو القرامطة في الباطن لكن هذا
يبس وذاك أكفر

ثم يقال لهذا المعاند فهل هذه الاسماء داله على الاله المعبود
أو على حق موجود أم لا فان قال لا كان معطلا محضاً وما أعلم مسلما
يقول هذا وان قال نعم قيل له فهمت منها دلالتها على نفس الرب ولم
تفهم دلالتها على مافيها من المعاني من الرحمة والعلم وكلاهما في الدلالة
سواء فلا بد ان يقول لان ثبوت الصفات محال في العقل لانه يلزم منه

التركيب أو الحدوث بخلاف الذات فيخاطب حينئذ فالمخاطب به الفريق الثاني كما سنذكره وهو من أقر بفهم بعض معنى هذه الأسماء والصفات دون بعض فيقال له ما فرق بين ما أثبته وبين مانفيته أوسكت عن ا به وعيه فان فرق اما أن يكون من جهة السمع لأن أحد النصين دال دلالة قطعية أو ظاهرة بخلاف الآخر أو من جهة العقل بأن أحد المعنيين يجوز أو يجب اثباته دون الآخر وكلا الوجهين باطل في أكثر المواضع * فالاول فدلالة القرآن على أنه رحمن رحيم ودود سميع بصير علي عظيم كدلالته على أنه عليم قدير ليس بينهما فرق من جهة النص وكذلك ذكره رحمته ومحبته وعفوه مثل ذكره لمشيئته وارادته * وأما الثاني فيقال لمن أثبت شيئا ونفى آخر لم نفيت مثلا حقيقة رحمته ومحبته وأعدت ذلك الى ارادته فان قال لان المعنى المفهوم من الرحمة في حقنا هي ... يمتنع على الله قيل له والمعنى المفهوم من الارادة في حقنا هي ... يمتنع على الله فان قال ارادته ليست من جنس ارادة خلقه قيل له ورحمته ليست من جنس رحمة خلقه وكذلك محبته وان قال وهو حقيقة قوله ... ت الارادة وغيرها السمع والبصر ... وكذلك السمع والبصر والكلام على احدى الروايتين قال ... على ... والاحكام ... على العلم والتخصيص ... قيل له الجواب من ثلاثة أوجه

أحدها ان الانعام والاحسان وكشف الضر دل أيضا على الرحمة كدلالة التخصيص على الارادة والتقريب والادناء وأنواع التخصيص

اتي لا تكون الا من المحب تدل على المحبة أو مطلق التخصيص تدل على الارادة وأما التخصيص لا ماهو تخصيص خاص والتخصيص بالعرب والاصطلاح تعريف خاص وما يذكر في مسألة الارادة يسلك في مثل هذا

الثاني يقال له هب ان العقل لا يدل على هذا فانه لا ينفيه الا عمل ما ينفي به الارادة والسمع دال عليه مستقل بنفسه بل الطمأنينة اليه في هذه المضايق أعظم ودلالته أتم فلأي شيء نفيت مدلوله أو توقفت وأعدت هذه الصفات كلها الى الارادة مع أن النصوص تفرق فلا يذكر حجة الا عورض بمثلها في اثبات الارادة زائدة على الفعل

الثالث يقال له اذا قال لك الجهمي الارادة لا معنى لها الا عدم الاكراه أو نفس الفعل والأمر به وزعم أن اثبات ارادة تقتضي محذورا ان قال بقدمها محذورا وان قال بحدوثها

وهؤلاء المعتزلة البصريون يقولون ارادة قديمة عندهم ولا يقولون تحدث صفة له لامتناع حلول الحوادث عندهم

فصاروا حزبين البغداديون وهم أشد غلوا في البدعة في الصفات وفي القدر نفوا حقيقة الارادة وقال الجاحظ لا معنى لها الا عدم الاكراه وقال الكعبي لا معنى لها الا نفس الفعل اذا تعلقت بفعله ونفس الامر اذا تعلقت بفعل عباده

والبصريون كأبي علي وأبي هاشم قالوا تحدث ارادة لا في محل فلا

ارادة فالتزموا حدوث حادث غير مراد وقيام صفة بغير محل وكلاهما عند العقلاء معلوم الفساد بالبديهة كان جوابه ان مادعيا نفاه من ثبوت الصفات ليس بمحال والنص قد دل عليها والعقل أيضاً فاذا أخذ الخصم ينازع في دلالة النص أو العقل جعله مسفسطاً أو مقرمطا وهذا بعينه موجود في الرحمة والارادة فان خصومه ينازعونه في دلالة السمع والعقل عليها على الوجه القطعي

ثم يقال لخصومه ثم انتم انه عليم قدير بما أثبتموه به من سمع وعقل فعليه تثبت الارادة وما عارضوا به من الشبه عورضوا بمثله في العلم والقدر واذا انتهى الامر الى ثبوت المعاني وانها تستلزم حدوث أو التركيب والافتقار كان الجواب ماقررناه في غير هذا الموضع فان ذلك لا يستلزم حدوثا ولا تركيباً مقتضياً حاجة الى غيره

والمعارضون أيضاً بما يثبته اهل التعطيل الذات من الشبه المعاندة ويلزمون بوجود الرب الخالق المعلوم بالفطرة الجامعة والضرورة العقلية والقواطع العقلية واتفاق الامم وغير ذلك من الدلائل ثم يطالبون بوجود من جنس ما يعهده أو بوجود يعلمون كنهه ولا بد أن يعترفوا الى اثبات بلا شبيه حقيقته الخلائق فاعلون في سائر ماسمي ووصف به نفسه كالعون في نفسه سبحانه وتعالى ونكتة هذا الكلام ان من نفى شيئاً مما دل عليه الكتاب والسنة لابد أن يستلزم المقتضي وانتفاء المانع ونفي الشيء لوجود المانع أو لعدم المقتضي أو يتوقف اذا لم يكن له عنده مقتض ولا مانع فيبين له أن المقتضي فيما نفاه قائم

كما أنه فيما أثبته قائم اما من كل وجه أو من وجه يجب به الاثبات فان كان المنفي هناك حقاً وكذلك هنا والافرق ذلك المقتضى من جنس درء هذا

وأما المانع فيبين ان المانع الذي يحيله فيما نفاه من جنس المانع الذي يحيله فيما أثبته فاذا كان ذلك المانع المستحيل موجودا على التقديرين لم يبح من محذوره باثبات أحدهما ونفي الآخر فانه ان كان حقاً نفاهما وان كان باطلا لم ينف واحداً منهما فعليه أن يسوى بين الامرين في الاثبات والنفي ولا سبيل الى النفي فتعين الاثبات

فهذه نكتة الالزام لمن أثبت شيئا وما من أحد الا ولا بد أن يثبت شيئا أو يجب عليه اثباته فهذا يعطيك من حيث الجملة ان اللوازم التي يدعى أنها موجبة النفي خيالات غير صحيحة وان لم تعرف فسادها على التفصيل واما من حيث التفصيل فيبين فساد الشبهة المعارضة كما قرر هنا غير مرة

فان قال من اثبت هذه الصفات التي هي فينا اعراض كالحياة والعلم والقدرة ولم يثبت ماهو فينا أبعاض كاليد والقدم هذه أجزاء وأبعاض تستلزم التركيب والتجسيم

قيل له وتلك أعراض تستلزم التجسيم والتركيب العقلي كما استلزمت هذه عندك التركيب الحسي فان أثبت تلك على وجه لا تكون اعراضاً أو تسميتها أعراضاً لا تمنع ثبوتها قيل له وأثبت هذه على وجه لا تكون تركيباً وأبعاضاً أو تسميتها تركيباً وأبعاضاً لا تمنع ثبوتها

فان قيل هـذه لا تعقل منه الا لاجزاء قيل له وثلاث لا يعقل منها الا الاعراض فان قال العرض فلا يبقى وصفات الرب باقيه

قيـل والبعض ماخر اسصاله عن الجملـه وذلك في حق الله محال فمارقه الصفات لمدنة مستحيلة في حق الله تعالى مطلقاً والمخلوق يجوز أن تفارقه أعراضه وأبعاضه

فان قال ذلك تجسيم ولتجسيمه فـ قيل وهذا تجسيم وانجسيم مثبت

فان قال اثبات الصفة ليست عرضاً تعتر متحير وان لم يكن له في الشاهد نظير قيل له فقل صفة هي لنا بعض لغير متحير وان لم يكن له في الشاهد نظير فان اي عقل هذا تعقل ذاك وان كان بينهما نوع فرق لكنه فرق غير مؤثر في موضع النزاع ولهذا كانت المعطلة الجهمية تنفي الجميع لكن ذلك أيضاً مستلزم لنفي الذات ومن اثبت هذه الصفات الخبرية من نظير هؤلاء صرح بأنها صفة قائمة به كالعلم والقدرة وهذا أيضاً ليس هو معقول النص ولا مدلول العقل وانما الضرورة الجأتهم في هذه المضايق وأصل ذلك انهم أتوا بألفاظ ليست في الكتاب ولا في السنة وهي ألفاظ مجملة مثل متحيز ومحدود وجسم ومركب ونحو ذلك ونفوا مدلولها وجعلوا ذلك مقدمة بينهم مسلمة ومدلولها عامها نوع قياس وذلك القياس أوقعهم فيه مسلك سلكوه في اثبات حدوث العالم بحدوث الاعراض او اثبات امكان الجسم بالتركيب من الاجزاء فوجب طرد الدليل بالحدوث والامكان لكن هم شبهة هذا الدليل اذ الدليل القطعي

لاتقبل الترك لمعارض راجح فرأوا ذلك ينكر عليهم من جهة النصوص ومن جهة العقل من ناحية أخرى فصاروا أحيانا تارة ينفون القياس الاول ويدفعون ماعارضه وهم المعتزلة وتارة يعلمون القياس الثاني ويدفعون الاول كهشام بن الحكم الرافضي فانه قد قيل أول ماتكلم في الجسم نفيا واثباتا من زمن هشام بن الحكم وأبي الهذيل العلاف فان أبا الهذيل ونحوه من قدماء المعتزلة نفوا الجسم لما سلكوا من القياس وعارضهم هشام وأثبت الجسم لما سلكوه من القياس واعتقد الاولون احالة ثبوته واعتقد هذا احالة نفيه وتارة يجمعون بين النصوص والقياس بجمع تظهر فيه الاحالة والتناقض

فما أعلم أحدا من الخارجين عن الكتاب والسنة من جميع فرسان الكلام والفلسفة الاولا بد أن يتناقض فيحيل ماأوجب نظيره ويوجب ماأحال نظيره اذ كلامهم من عند غير الله وقد قال الله تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)

والصواب ماعليه أئمة الهدى وهو أن يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله لايتجاوز القرآن والحديث ويتبع في ذلك سبيل السلف الماضين أهل العلم والايمان والمعاني المفهومة من الكتاب والسنة لاترد بالشبهات فتكون من باب تحريف الكلم عن مواضعه ولا يعرض عنها فيكون من باب الذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا ولايترك تدبر القرآن فيكون من باب الذين لايعلمون الكتاب الا أماني فهذا أحد الوجهين وهو منع أن تكون هذه من المتشابه

* الوجه الثاني انه اذا قيل هذه من المتشابه أو كان فيها ما هو من المتشابه كما نقل عن بعض الأئمة انه سمى بعض ما استدل به الجهمية متشابها فيقال الذي في القرآن انه لا يعلم تأويله الا الله اما المتشابه واما الكتاب كله كما تقدم ونفي علم تأويله ليس نفي علم معناه كما قدمناه في القيامة وأمور القيامة وهذا الوجه قوى ان ثبت حديث ابن اسحاق في وفد نجران انهم احتجوا على النبي صلى الله عليه وسلم بقوله انا ونحن ونحو ذلك ويؤيده أيضا أنه قد ثبت ان في القرآن متشابها وهو ما يحتمل معنيين وفي مسائل الصفات ما هو من هذا الباب كما ان ذلك في مسائل المعاد وأولى فان نفي المشابهة بين الله وبين خلقه أعظم من نفي المشابهة بين موعود الجنة وموجود الدنيا وانما نكتة الجواب هو ما قدمناه أولا ان نفي علم التأويل ليس نفيا لعلم المعنى ونزيده تقريرا ان الله سبحانه يقول (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربيا غير ذي عوج) وقال تعالى (الر تلك آيات الكتاب المبين انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) فأخبر انه أنزله ليعقلوه وانه طلب تذكرهم وقال ايضا (وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) فحض على تدبره وفقهه وعقله والتذكر به والتفكر فيه ولم يستثن من ذلك شيئا بل نصوص متعددة تصرح بالعموم فيه مثل قوله (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) وقوله (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) ومعلوم ان نفي الاختلاف عنه لا يكون الا بتدبره كله والا فتدبر بعضه لا يوجب الحكم في نفي مخالفه ما لم يتدبر

لما تدبر

وقال على عليه السلام لما قيل له هل ترك عندكم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ فقال لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة الا فهما يؤتيه الله عبدا في كتابه وما في هذه الصحيفه فأخبر أن الفهم فيه مختلف فى الامه والفهم أخص من العلم والحكم قال الله تعالى (ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما) وقال النبي صلى الله عليه وسلم رب مبلغ أوعى من سامع وقال بلغوا عني ولو آيه وأيضاً فالسلف من الصحابه والتابعين وسائر الامه قد تكلموا في جميع نصوص القرآن آيات الصفات وغيرها وفسروها بما يوافق دلالتها ورووا عن النبى صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة توافق القرآن وأئمة الصحابة في هذا أعظم من غيرهم مثل عبدالله بن مسعود الذي كان يقول لو أعلم اعلم بكتاب الله مني تبلغه آباط الابل لاتيته وعبد الله بن عباس الذى دعا له النبى صلى الله عليه وسلم وهو حبر الامه وترجمان القرآن كانا هما وأصحابهما من أعظم الصحابه والتابعين اثباتا للصفات ورواية لها عن النبى صلي الله عليه وسلم ومن له خبره بالحديث والتفسير يعرف هذا وما في التابعين أجل من أصحاب هذين السيدين بل وثالثهما في علية التابعين من جنسهم أو قريب منهم جلالة أصحاب زيد بن ثابت لكن اصحابه مع جلالتهم ليسوا مختصين به بل أخذوا عن غيره مثل عمر وابن عمر وابن عباس ولو كان معانى هذه الآيات منفيا أو مسكوتا عنه لم يكن ربانيوا الصحابة أهل العلم بالكتاب والسنه أكثر كلاما فيه

ثم ان الصحابة نقلوا عن النبي صلى الله عليه وسلم انهم كانوا يتعلمون منه التفسير مع التلاوة ولم يذكر أحد منهم عنه قط انه امتنع من تفسير آية

قال أبو عبد الرحمن السلمي حدثنا الذين كانوا يقرئوننا عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا اذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل وكذلك الأئمة كانوا اذا سئلوا شيئا من ذلك لم ينفوا معناه بل يثبتون المعنى وينفون الكيفية كقول مالك بن أنس لما سئل عن قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى فقال الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وكذلك ربيعة قبله وقد تلقى الناس هذا الكلام بالقبول فليس في أهل السنة من ينكره وقد بين ان الاستواء معلوم كما ان سائر ما أخبر به معلوم ولكن الكيفية لا تعلم ولا يجوز السؤال عنها لا يقال كيف استوى ولم يقل مالك الكيف معدوم وانما قال الكيف مجهول وهذا فيه نزاع بين أصحابنا وغيرهم من أهل السنة غير ان أكثرهم يقولون لا تخطر كيفيته ببال ولا تجري ماهيته في مقال ومنهم من يقول ليس له كيفية ولا ماهية

فان قيل معنى قوله الاستواء معلوم ان ورود هذا اللفظ في القرآن معلوم كما قاله بعض أصحابنا الذين يجعلون معرفة معانيها من التأويل الذي لا يعلمه الا الله

قيل هذا ضعيف فان هذا من باب تحصيل الحاصل فان السائل قد علم ان هذا موجود في القرآن وقد تلا الآية وأيضا فلم يقل ذكر الاستواء في القرآن ولا اخبار الله بالاستواء وانما قال الاستواء معلوم فأخبر عن الاسم المفرد انه معلوم لم يخبر عن الجملة وأيضا فانه قال والكيف مجهول ولو أراد ذلك لقال معنى الاستواء مجهول أو تفسير الاستواء مجهول أو بيان الاستواء غير معلوم فلم ينف الا العلم بكيفية الاستواء لا العلم بنفس الاستواء وهذا شأن جميع ما وصف الله به نفسه لو قال في قوله انني معكما أسمع وأرى كيف يسمع وكيف يرى لقلنا السمع والرؤيا معلوم والكيف مجهول ولو قال كيف كلم موسى تكليما لقلنا الكلام معلوم والكيف غير معلوم * وأيضا فان من قال هذا من أصحابنا وغيرهم من أهل السنة يقرون أن الله فوق العرش حقيقة وان ذاته فوق ذات العرش لا ينكرون معنى الاستواء ولا يرون هذا من المتشابه الذي لا يعلم معناه بالكلية

ثم السلف متفقون على تفسيره بما هو مذهب أهل السنة قال بعضهم ارتفع على العرش علا على العرش وقال بعضهم عبارات أخرى وهذه ثابتة عن السلف قد ذكر البخاري في صحيحه بعضها في آخره في كتاب الرد على الجهمية

وأما التأويلات المحرفة مثل استولى وغير ذلك فهي من التأويلات المبتدعة لما ظهرت الجهمية وأيضا قد ثبت ان اتباع المتشابه ليس في خصوص الصفات بل في صحيح البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم

قال لعائشة ياعائشة اذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم وهذا ذم وقصة صبيغ بن عسل مع عمر بن الخطاب من اشهر القصاة فانه بلغه انه يسأل عن متشابه القرآن حتى رآه عمر وسأل عمر عن الذاريات ذروا فقال ما اسمك قال عبدالله صبيغ فقال وأنا عبدالله عمر وضربه الضرب الشديد وكان ابن عباس اذا ألح عليه رجل في مسئلة من هذا الجنس يقول ما أحوجك أن يصنع بك كما صنع عمر بصبيغ وهذا لانهم رأوا ان غرض السائل ابتغاء الفتنة لا الاسترشاد ولا الاستفهام كما قال النبي عليه الصلاة والسلام اذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه وكما قال تعالى (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء فتنه) فعاقبوهم على هذا القصد الفاسد كالذي يعارض بين آيات القرآن وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض فان ذلك يوقع الشك في قلوبهم ومع ابتغاء الفتنة ابتغاء تأويله الذي لا يعلمه الا الله وكان مقصودهم مذموما ومطلوبهم متعذرا مثل اغلوطات المسائل التي نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها

ومما يبين الفرق بين المعنى و التأويل ان صبيغا سأل عمر عن الذاريات وليس من الصفات وقد تكلم الصحابة في تفسيرها مثل علي بن ابي طالب مع ابن الكواء لما سأله عنها كره سؤاله لما رآه من قصده لكن علي كانت رعيته ملتوية عليه لم يكن مطاعا فيهم طاعة عمر حتى يؤدبه والذاريات والحاملات والجاريات والمقسمات فيها اشتباه لان

اللفظ يحتمل الرياح والسحاب والنجوم والملائكة ويحتمل غير ذلك اذ ليس في اللفظ ذكر الموصوف والتأويل الذي لا يعلمه الا الله هو أعيان الرياح ومقادرها وصفاتها ومتي تهب وأعيان السحاب وما تحمله من الامطار ومتى ينزل المطر وكذلك في الجاريات والمقسمات فهذا لا يعلمه الا الله وكذلك في قوله انا ونحن ونحوهما من أسماء الله التي فيها معنى الجمع كما اتبعته النصارى فان معناه معلوم وهو الله سبحانه لكن اسم الجمع يدل علي تعدد المعاني بمنزلة الاسماء المتعددة مثل العليم والقدير والسميع والبصير فان المسمى واحد ومعاني الاسماء متعددة فهكذا الاسم الذي لفظه الجمع

وأما التأويل الذي اختص الله به فحقيقة ذاته وصفاته كما قال مالك والكيف مجهول فاذا قالوا ما حقيقة علمه وقدرته وسمعه وبصره قيل هذا هو التأويل الذي لا يعلمه الا الله

وما أحسن مايعاد التأويل الى القرآن كله (فان قيل) فقد قال النبي صلي الله عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل (قيل) أما تأويل الامر والنهي فذاك يعلمه واللام هنا للتأويل المعهود لم يقل تأويل كل القرآن فالتأويل المنفي هو تأويل الاخبار التي لا يعلم حقيقة مخبرها الا الله والتأويل المعلوم هو الامر الذي يعلم العباد تأويله وهذا كقوله (هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله) وقوله (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) فان المراد تأويل الخبر الذي وقع عن

المستعمل فانه هو الذى ينتظر ويأتى وما يأتهم وأما تأويل
الامر والنهى فذاك في الامر وتأويل الخبر عن الله
وعن معنى ان أدخل فى التأويل
لاينتظر والله سبحانه أعلم
وبه التوفيق

تمت الرسالة الاولى

وتليها الرسالة الثانية له أيضا

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه مسئلة سئل عنها الشيخ الامام العالم العامل شيخ الاسلام وقطب الائمة الاعلام ومن عمت بركاته أهل العراقين والشام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني ثم الدمشقي نفع الله المسلمين ببركاته وكان بالديار المصرية * في رجل نقل عن بعض السلف من الفقهاء انه قال أكل الحلال متعذر لا يمكن وجوده في هذا الزمان فقيل له لم ذلك فذكر ان وقعة المنصورة لم تقسم الغنائم فيها واختلطت الاموال بالمعاملات بها فقيل له أن الرجل يؤجر نفسه لعمل من الاعمال المباحة ويأخذ أجرته حلال فذكر أن الدرهم في نفسه حرام فقيل له كيف فعل الدرهم انتقل أولا فصار حراما بالسبب الممنوع ولم تنقل الغير فيكون حلالا بالسبب المشروع فما الحكم في ذلك

وأجاب رضي الله عنه * الحمد لله * هذا القائل الذي قال ان أكل الحلال متعذر لا يمكن وجوده في هذا الزمان غالط مخطئ في قوله باتفاق أئمة الاسلام فان مثل هذه المقالة كان يقولها بعض أهل البدع وبعض أهل الفقه الفاسد وبعض أهل النسك الفاسد وأنكر الائمة ذلك حتى الامام أحمد في ورعه المشهور كان ينكر مثل هذه المقالة وجاء رجل من النساك فذكر له شيئا من هذا فقال انظر الى هذا الخبيث يحرم أموال المسلمين

وقال بلغني أن بعض هؤلاء يقول من سرق لم تقطع يده لأن المال ليس بمعصوم ومثل هذا كان يقوله بعض المنتسبين الى العلم من أهل

العصر بناء على هذه الشبهة الفاسدة وهو أن الحرام قد غلب على الاموال لكثرة الغصوب والعقود الفاسدة ولم يتميز الحلال من الحرام

ووقعت هذه الشبهة عند طائفة من متصوفي الفقهاء فأفتوا بأن لا يتناول الانسان الا مقدار الضرورة وطائفة لما رأت مثل هذا الحرج سدت باب الورع فصاروا نوعين المباحة لايفرقون بين الحلال والحرام بل الحلال ما حل بأيديهم والحرام ما حرموه لانهم ظنوا مثل هذا الظن الفاسد وهو أن الحرام قد طبق الارض ورأوا أنه لا بد للانسان من طعام والكسوة فصاروا يتناولون ذلك من حيث أمكن وطائفة ... ذلك الورع الفاسد كما أورث الاحلال عن دين الاسلام وهؤلاء يحكون في الورع الفاسد حكايات بعضها كذب ممن نقل عنه وبعضها غلط كما يحكون عن الامام أحمد أن ابنه صالحا لما تولى القضاء لم يكن يخبز في داره وأن أهله خبزوا في تنوره فلم يأكل الخبز وألقوه في دجلة فلم يكن يأكل من صيد دجلة

وهذا من أعظم الكذب والفرية على مثل هذا الامام ولا يفعل مثل هذا الا من هو من أجهل الناس وأبعدهم مكراً ... لا ... قد رحمه الله عن هذا وهذا وكيف وقد علم أن ... المصالح في حياته ... تولاه بعد موته

ولكن كان الخليفة المتوكل قد أمر أولاده وأن ... من ... أمرهم أبو عبد الله أن لا يقبلوا جوائز السلطان ... إليه بحاجة مما لها من قبلهم ... لا كل من أموالهم ولا ...

نيرانهم في حجر او ماء لكونهم قبلوا جوائز السلطان وسألوه عن هذا المال احرام هو فقال لا فسألوا أتحج منه فقال نعم و بين لهم انما امتنع منه لئلا يصير ذلك سبباً الى أن يداخل الخليفة فيما يريد كما قال النبي صلى الله عليه وسلم خذ العطاء ما كان عطاء فاذا كان عوضا عن دين أحدكم فلا يأخذه ولو أتى في دجلة الدم والميتة ولحم الخنزير وكل حرام في الوجود لم يحرم صيدها ولم يحرم

ومن الناس من آلته الافراط في الورع الي أمر اجتهد فيه فيثاب على حسن قصده وان كان المشروع خلاف مافعله مثل من امتنع من أكل ما في الاسواق ولم يأكل الا ما يشتري في البراري ولم يأكل من أموال المسلمين وانما يأكل من أموال أهل الحرب وأمثال ذلك مما يكون فاعله حسن القصد وله فيه فضل وان كان ضرب المشروع خلاف ذلك فان الله سبحانه خلق الخلق لعبادته وأمرهم بما شرع لهم في صحيح مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله امر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً) وقال (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده الى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فانى يستجاب لذلك فقد بين صلى الله عليه وسلم ان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين من أكل الطيبات كما أمرهم بالعمل الصالح والعمل الصالح لا يمكن الا بأكل وشرب ولبس وما يحتاج اليه العبد من سكن ومركب وسلاح يقاتل به وكراع

يقتل عبيه وكيف شعر بهم وأمثال ذلك مما لا تقوم ماأمر الله به الا به
ومالا يتم الواجب الا به فهو واجب فاذا كان القيام بالواجبات فرضاً على
جميع العباد وهي لا تتم الا بهذه الامور فكيف يقال انه ورع بل هو
كبر ... بل هو العدوان على أموال الناس ولو كان الحرام هو الاغلب
... في الجمهور لا ... لازم حد أمرين اما ترك الواجبات من
... الخلق واما ... حرام لأكثر الخلق وكلاهما باطل والورع
من قوله ... في الصحيح عن ... بن بشير عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال حلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن
كثير من الناس فمن ترك الشبهات استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات
وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يوقعه الا وان لكل
ملك حمى الا وان حمى الله محارمه الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت
صلح الجسد كله واذا فسدت فسد لها سائر الجسد الا وهي القلب

وفي الحديث الآخر دع ما يريبك الى مالا يريبك ورأي تمرة
... لولا أخاف أن تكون من الصدقة لأكلتها وهذا مشهور
... وهذا ... أصول

...

منها مسئلة المغانم فان السنة أن تجمع وتخمس وتقسم بين الغانمين بالعدل وهل يجوز للامام أن ينفل من اربعة أخماسها فيه قولان فمذهب فقهاء الثغور وأبي حنيفة وأحمد وأهل الحديث ان ذلك يجوز لما في السنن ان النبي صلى الله عليه وسلم نفل في بدأته الربع بعد الخمس ونفل في رجعته الثلث بعد الخمس

وقال سعيد بن المسيب ومالك والشافعي لايجوز ذلك بل يجوز عند مالك التنفيل من الخمس ولا يجوز عند الشافعي الا من خمس الخمس وكان أحمد يتعجب من سعيد بن المسيب ومالك كيف لم تبلغهما هذه السنة مع وفور علمهما

وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عمر أنه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية قبل نجد فبلغت سهامنا اثنا عشر بعيراً ومعلوم أن السهم اذا كان اثنى عشر بعيراً فجميع خمس خمس لن يخرج منه لكل واحد بعيراً فعلم أن ذلك لايكون الا اذا كان السهم أربعة وعشرين بعيراً وكذلك اذا فضل الامام بعض الغانمين على بعض لمصلحة راجحة كما أعطى النبي صلى الله عليه وسلم سلمة بن الاكوع في غزوة ذي قرد سهم راجل وفارس فان ذلك يجوز في أصح قولي العلماء ومنهم من لايجيزه كما تقدم

وكذلك اذا قال الامام من أخذ شيئا فهو له ولم تقسم الغنائم فهذا جائز في أحد قولي العلماء وهو ظاهر مذهب أحمد ولا يجوز في القول الآخر وهو المشهور من مذهب الشافعي وفي كل من المذهبين خلاف

وعلى مثل هذا الأصل بني الغنائم في الأزمان المتأخرة مثل الغنائم التي
كان يغنمها السلاجقة الأتراك والغنائم التي غنمها المسلمون من النصارى
من ثغور الشام ومصر فإن هذه أفتى بعض الفقهاء كأبي محمد الجويني
والنواوي أنه لا يحل لمسلم أن يشتري منها شيئا ولا يطأ منها فرجا ولا
يملك منها مالا ولزم من هـذا القول من الفساد ما الله به عليم وعارضهم
أبو محمد بن سباع الشافعي فأفتى أن الإمام لا يجب عليه قسمة المغانم بحال
ولا تخميسها وأن له أن يفضل الراجل وأن يحرم بعض الغانمين ويخص
بعضهم وزعم أن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم تقتضي ذلك وهـذا
القول خلاف الإجماع والذي قبله باطل ومنكر أيضاً وكلاهما انحراف

والصواب في مثل هذه أن الإمام إذا قال من أخذ شيئا فهو له فإن
قيل بجواز ذلك فمن أخذ شيئا ملكه وعليـه تخميسه وإن كان الإمام
لم يقل ذلك ولم يقسم المغانم بل أراد منها مالا يسوغ بالاتفاق أو قيل
إنه يجب عليه أن يقسم بالعدل ولا يجوز له الإذن بالانتهاب فهذا المغانم
مال مشترك بين الغانمين ليس لغيرهم فيها حق فمن أخـذ منها مقدار
حقه جاز له ذلك وإذا شك في ذلك فإما أن يحتاط ويأخذ بالورع المستحب
أو يبني على غالب ظنه ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها وكذلك المزارعة
على أن يكون البـذر من العامل التي يسميها بعض الناس المخابرة وقد
تنازع فيها الفقهاء لكن ثبت بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة
جوازها فإنه عامل أهل خيبر بشطر ما يخرج منها من ثمر وزرع على أن
يعمروها من أموالهم وأما نهيه عن المخابرة فقد جاء مفسراً في الصحيح

فان أراد به ان يشترط للمالك زرع بقعة بعينها وكذلك كراء الارض بجزء من الخارج منها يجوزه أبو حنيفة والشافعي وأحمد في المشهور عنه ونهى عنه مالك وأحمد في رواية ونظائر ذلك كثيرة وهذا بين

الاصل الثاني ان المسلم اذا عامل معاملة اعتقد هو جوازها وقبض المال جاز لغيره من المسلمين أن يعامله في مثل ذلك المال وان لم يعتقد جواز تلك المعاملة فانه قد ثبت ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه رفع اليه ان بعض عماله يأخذ خمراً من أهل الذمة عن الجزية فقال قاتل الله فلانا أما علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قاتل الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها وباعوها وأكلوا أثمانها ثم قال عمر ولوهم بيعها وخذوا منهم أثمانها فامر عمر أن يأخذوا من أهل الذمة الجزية من أثمان الخمر التي باعوها لانهم يعتقدون جواز ذلك في دينهم ولهذا قال العلماء ان الكفار اذا تعاملوا بينهم بمعاملات يعتقدون جوازها وتقابضوا الاموال ثم أسلموا كانت تلك الاموال لهم حلالا وان تحاكموا الينا أقررناها في أيديهم سواء تحاكموا قبل الاسلام أو بعده وقد قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين) فامرهم بترك ما بقي في الذمم من الربا ولم يأمرهم برد ما قبضوه لانهم كانوا يستحلون ذلك والمسلم اذا عامل معاملات يعتقد جوازها كالحيل الربوية التي يفتي بها من يفتي من أصحاب أبي حنيفة وأخذ ثمنه أو زارع على ان البذر من العامل أو أكرى الارض بجزء

من الخارج مهرا ونحو ذلك وفرض المال جاز لغيره من المسلمين أن يعامله في ذلك المال وان لم يعتقد جواز تلك المعاملة بطريق الاولى والاحرى ولو انه تبين له فيما بعد رجحان التحريم لم يكن عليه اخراج المال الذي كسبه بتأويل سائغ فان هذا أولى بالعفو والعذر من الكافر المتأول ولما ضيق بعض الفقهاء هذا على بعض أهل الورع ألجأه الى أن يعامل الكفار ويترك معاملة المسلمين ومعلوم ان الله ورسوله لا يأمر المسلم ان يأكل من أموال الكفار ويدع أموال المسلمين بل المسلمون أولى بكل خير والكفار أولى بكل شر

الاصل الثالث ان الحرام نوعان* حرام لوصفه كالميتة والدم ولحم الخنزير فهذا اذا اختلط بالماء والمائع وغيره من الاطعمة وغير طعمه أو لونه أو ريحه حرمه وان لم يغيره ففيه نزاع ليس هذا موضعه* والثاني الحرام لكسبه كالمأخوذ غصبا أو بعقد فاسد فهذا اذا اختلط بالحلال لم يحرمه فلو غصب الرجل دراهم أو دنانير أو دقيقا أو حنطة أو خبزا وخلط ذلك بماله لم يحرم الجميع لا على هذا ولا على هذا بل ان كانا متماثلين أمكن أن يقسموه ويأخذ هذا قدر حقه وهذا قدر حقه وان كان قد وصل الى كل منهما غير عين الآخر الذي حقه لآخر حقه وهذا يكون الخلط كالاتلاف فيه وجهان في مذهب الشافعي وأحمد وغيرهما* أحدهما انه كالاتلاف فيعطيه مثل حقه من أين شاء* والثاني ان حقه يتعلق بذلك فيعطيه أن أصاب حقه من تلك العين فهذا أصل نافع فان كثيرا من الناس يتوهم ان الدراهم المحرمة اذا اختلطت

االدراهم الحـلال حرم الحمـع وهدا حطأ واما يورع اعص العلماء فيما اذا كانت قليلة وأما مع الكثرة فمـا أعلم وه براعا

الاصـل الرابع المال اذا تعـدر معرفة مالكه صرف فى مصالح المسلمين عند حماهير العلماء كمالك وأحمد وعيرهما فاذا كان بيد الانسان عصوب أو عوارى او ودائع أو رهون قد يئس من معرفة أصحابها فانه يتصدق بها عنهم أو يصرفها فى مصالح المسلمين أو يسلمها الى قاسم عادل يصرفها فى مصالح المسلمين المصالح الشرعيـة ومن الفقهاء من يقول يوقف أبدا حتى يتبين أصحابها و الصواب الاول فان حبس المـال دائما لمن لا يرجى لافائدة فيـه بل هو تعرض لهلاك المـال واستيلاء الظلمة عليه وكان عبد الله بن مسعود قد اشـترى جارية فدخل بيته ليأتى بالثمن فخرج فلم يجد البائع فجعل يطوف على المساكين ويتصدق عليهـم بالثمن ويقول اللهم عن رب الجارية فان قبل فذاك وان لم يقبل فهو لي وعلي له مثله يوم القيامة وكذلك أفتى بعض التابعين من غل من الغنيمة وتاب بعـد تفرقهم أن يتصدق بذلك عنهـم ورضى بهذه الفتيا الصحابة والتابعون الذين بلغتهم كمعاوية وغيره من أهـل الشام وهذا بين

الاصل الخامس وهو الذى يكشف سر المسئلة وهو ان المجهول فى الشريعة كالمعدوم والمعجوز عنه فان الله سبحانه وتعالى قال (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) وقال تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) وقال النبى صلى الله عليه وسلم اذا أمرتكم بامر فأتوا منه ما استطعتم فالله اذا أمرنا بامر كان

ذلك مشروطا بالقدرة عليه والتمكن من العمل به فما عجز به عن معرفته أو عن العمل به سقط عنه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في اللقطة فان جاء صاحبها فأدها إليه والا فهي مال الله يؤتيه من يشاء فهذه اللقطة كانت ملكا لمالك ووجب دفعه إليه فلما تعذر معرفته مالكها قال النبي صلى الله عليه وسلم هي مال الله يؤتيه من يشاء فدل ذلك على ان الله شاء أن يزيل عنها ملك ذلك المالك ويعطيها هذا الملتقط الذي عرفها سنة ولا نزاع بين الأئمة انه بعد تعريف السنة يجوز للملتقط أن يتصدق بها وكذلك له أن يتملكها ان كان فقيرا وهل له تملكها مع الغنى فيه قولان مشهوران ومذهب الشافعي وأحمد أنه يجوز ذلك وأبو حنيفة لا يجوزه ولو مات رجل ولم يعرف له وارث صرف ماله في مصالح المسلمين وان كان في نفس الامر له وارث غير معروف حتى وتبين الوارث يسلم اليه ماله وان كان قد تلف يكون صرفه الى من يصرفه جائزا وأخذه له غير حرام مع كثرة من يموت وله عصبة بعد لم يعرف واذا تبين هذا فمال مني الموجود من الاموال المغصوبة والمقبوضة بعقود لا تباح بالقبض ان عرفه المسلم اجتنبه فمن علمت انه سرق مالا او خانه في أمانته أو غصبه فأخذه من المغصوب قهرا بغير حق لم يجز لي أن آخذه منه لا بطريق الهبة ولا بطريق المعاوضة ولا وفاء عن أجرة ولا ثمن مبيع ولا وفاء عن قرض فان هذا عين مال ذلك المظلوم وأما ان كان ذلك المال قبضه بتأويل سائغ في مذهب بعض الأئمة جاز لي أن أستوفيه من ثمن مبيع أو لأجرة أو قرض وغير ذلك من الديون وان كان مجهول الحال

فالمجهول كالمعدوم والاصل فيما بيد المسلم ان يكون ملكا له ان ادعى انه ملكه أو يكون ولايا عليه كناظر الوقف وولي اليتيم وولي بيت المال أو يكون وكيلا فيه وما تصرف فيه المسلم أو الذمي بطريق الملك أو الولاية جاز تصرفه فاذا لم أعلم حال ذلك المال الذي بيده بنيت الامر على الاصل ثم ان كان ذلك الدرهم في نفس الامر قد غصبه هو ولم أعلم أنا كنت جاهلا بذلك والمجهول كالمعدوم فليس أحدى الثمن المسع وأجرة العمل وبدل القرض بدون أحدى اللقطة فان اللقطة أخذتها بغير عوض ثم لم أعلم مالكها وهذا المال لا أعلم له مالكا غير هذا وقد أخذته عوضا عن حقي فكيف يحرم هذا على لكن ان كان ذلك الرجل معروفا بأن في ماله حراما ترك معاملته ورعا وان كان أكثر ماله حراما ففيه نزاع بين العلماء وأما المسلم المستور فلا شبهة في معاملته أصلا ومن ترك معاملته ورعا كان قد ابتدع في الدين بدعة ما أنزل الله بها من سلطان وهذا يتبين الحكم في سائر الاموال فان هذا غالط يقول ان هذه الاجناس والالبان التي تؤكل قد تكون في الاصل قد نهبت أو غصبت فيقال المجهول كالمعدوم فاذا لم نعلم ان ذلك في حقنا كأنه لم يكن وهذا لان الله انما حرم من المعاملات الفاسدة لما فيها من الظلم فان الله تعالى يقول في كتابه العزيز (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز) والغصب وأنواعه والسرقة والخيانة داخل في الظلم واذا كان كذلك فهذا

المظلوم الذى أخذ ماله بغير حق ثم بيع (١) أجرة وأخذ منه والمشترى لا يعلم بذلك ثم ينقل من المشترى الى غيره ثم الى غيره ويعلم أن أولئك لم يظلموه وانما ظالمه من اعتدى عليه ولكن لو علم بهم فهل له مطالبتهم بما لم يلتزموا ضمانه على قولين للعلماء أصحهما انه ليس له ذلك

مثال ذلك ان الظالم اذا أودع ماله عند من لا يعلم أنه غاصب فتلفت الوديعة فهل للمالك أن يطالب المودع على قولين أصحهما أنه ليس له ذلك ولو أطعم المال لضيف لم يعلم الظلم ثم علم المالك فهل له مطالبة الضيف على قولين أحدهما ليس له مطالبته ومن قال ان له مطالبته لا يقول انه أكله حرام بل يقول لا إثم عليه في أكله ويجب عليه أداء ثمنه بمنزلة ما اشتراه وصاحب القول الصحيح يقول لا اثم عليه في أكله ولا غرم عليه لصاحبه بحال وانما الغرم على الغاصب الظالم الذى أخذه منه بغير حق فاذا نظرنا الى مال معين بيد انسان لا نعلم أنه مغصوب ولا مقبوض قبضاً لا يفيد معاملة المالك واستوفيناه منه أو اتهبناه منه أو استوفيناه عن أجرة أو بدل قرض لا اثم علينا في ذلك بالاتفاق وان كان في نفس الامر قد سرقه أو غصبه ثم اذا علمنا فيما بعد انه مسروق فعلى أصح القولين لا يجب علينا الا ما التزمناه بالعقد أي لا نضمن الا ما التزمناه بالعقد فلا نستقر علينا ضمان ما اشترى أو وهب ولا ضمان أكثر من الثمن وكذلك الاجرة وبدل القرض ونحو ذلك قد تصرفنا فيها لم يستقر علينا ضمان بذلك لكن مالك الشىء ... في مسئلة وهي انه هل له أن يضمن هؤلاء المغرورين الذين تلف المال تحت

يده ثم يرجع الى الغارم بما غرمه بغروره أم ليس له مطالبة المغرور الا بما استقر عليه ضمانه على قولين هما روايتان عن أحمد ومثل هذا لو غصب رجل حرية فاشتراها منه انسان واستولدها أو وهبه اياها فقد اتفق الصحابة والائمة على ان ولدها من المغرور يكونون أحرارا لان الواطئ لايعلم أنها مملوكة لغيره بل اعتقد انها مملوكة مع اتفاقهم ان الولد يتبع أمه في الحرية والرق ويتبع أباه في النسب والولاء ومع هذا جعلوا ابنه حرا لكون الوالد لم يعلم والمجهول كالمعدوم وأوجبوا للسيد الجارية بدل الولد لانه كان يستحقه لولا الغرور فاذا خرجوا عن ملكه بغير حق كان له بدلهم وأوجبوا له مهر أمة وقالوا في أصح القولين ان هذا يلزم الغارم الظالم الذي غصب الجارية وباعها لايلزم المغرور المشتري الا ماالتزمه بالعقد وهو الثمن فقط ثم هل لصاحبها أن يطالب المغرور بفداء الولد والمهر ثم يرجع به المغرور على الغار الظالم أم ليس له لا مطالبة الغار الظالم على قولين هما روايتان عن احمد ولا نزاع بين الامة ان وطء ليس بحرام وان ولده ولد رشدة لاولد غية فهو ولد حلال لاولد زنا وكذلك في سائر هذه الصور لم يتنازعوا انه لاإثم على الآكل ولا على اللابس ولا على الواطئ الذي لم يعلم وانما تنازعوا في الضمان لان الضمان من باب العدل الواجب في حقوق الآدميين وهو يجب في العمد والخطأ (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله الا أن يصدقوا) فقاتل النفس خطأ لاإثم ولا فسق بذلك ولكن عليه

الدية وكذلك من أخذ مالا مغصوبا خطأ فعليه بدله ولا اثم عليه

فقد تبين ان الاثم مذنب مع عدم العلم

وحينئذ فجميع الاموال التى بايدى المسلمين واليهود والنصارى التى لا يعلم بدلالة ولا أمارة أنها مغصوبة أو مقبوضة قبضا لا يجوز معه معاملة القابض فانه يجوز معاملتهم فيها بلا ريب ولا تنازع فى ذلك من الائمة أعلمه

ومعلوم ان غالب أموال الناس كذلك والقبض الذى لا يفيد الملك هو الظلم المحض فأما المقبوض بعقد فاسد كالربا والميسر ونحوهما فهل يفيد الملك على ثلاثة أقوال للفقهاء أحدها أنه يفيد الملك وهو مذهب أبى حنيفة والثانى لا يفيده وهو مذهب الشافعى وأحمد فى المعروف من مذهبه والثالث أنه من باب أفاد الملك وان أمكن رده الى مالكه ولم يتغير فى وصف ولا سعر لم يفد الملك وهو المحكى عن مذهب مالك وهذه الامور والقواعد قد بسطناها فى غير هذا الجواب ولكن نبهنا على قواعد شريفة تفتح باب الاشتباه فى هذا الاصل الذى هو أحد أصول الاسلام كما قال الامام أحمد وغيره ان اصول الاسلام تدور على ثلاثة أحاديث قوله الحلال بين والحرام بين وقوله انما الاعمال بالنيات وقوله من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد فان الاعمال اما مأمورات واما محظورات والاول فيه ذكر المحظورات والمأمورات اما قصد القلب وهو النية وأما العمل الظاهر وهو المشروع الموافق للسنة كما قال الفضيل بن عياض فى قوله تعالى ليبلوكم أيكم

أحسن عملا) قال أخلصه وأصوبه قالوا يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه قال ان العمل اذا كان خالصاً ولم يكن صوابا لم يقبل وان كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصاً صوابا والخالص ان يكون لله والصواب أن يكون على السنة

فتبين ان ما ذكره هذا القائل الذي قال أكل الحلال متعذر ولا يمكن وجوده في هذا الزمان قوله خطأ مخالفا للاجماع بل الحلال هو الغالب على أموال الناس وهو أكثر من الحرام وهذا القول قد يقوله طائفة من المتفقهة المتصوفة وأعرف من قاله من كبار المشايخ بالعراق ولعله من أولئك انتقل الى بعض شيوخ بصرهم الذي قال ذلك لم يرد أن يسد باب الاكل بل قال الورع حينئذ لا يسئل الله ثم يذكر ما يأتي مما يفعل ويترك لم يحضرني الآن

فليتدبر العاقل وليعلم انه من خرج عن القوانين التي اتى بها النبي المحمدي الذي دل عليه الكتاب والسنة وأجمع ... احتاج الى أن يصنع قانونا آخر متناقضاً يرده العقل والدين لكن من كان مجتهداً ممتحن بطاعة الله ورسوله فان الله يثيبه على اجتهاده ويغفر له خطأه (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم)

وما ذكره من ان وقعه الصورة التي تقسم فيها الطعام واختلطت فيها الطعام بحلت الشبهة

الجواب عنه من ... من أحدها ان يقال الذي اختلط بأموال

الناس من الحرام المحض كالغصب الذي يغتصبه القادرون من الولاة والقطاع أو أهل الفتن وما يدخل في ذلك من الخيانة في المعاملات أكثر من ذلك بكثير لاسيما في هذه البلاد المصرية فانها أكثر من الشام والغرب ظلما كظلم بعضهم بعضاً في المعاملات بالخيانة والغش وجحد الحق وأكثرة منها من ظلم قطاع الطريق والفلاحين والأعراب ولكثرة ما [illegible] من ظلم الموضوع من الشوان بغير حق فالحالة المحرم عن هذا الأمر أولى من الحالة عن معاملة

ثاني أن تلك المعاملة قد ذكر مذهب الفقهاء فيها وهو [illegible] صحيح أن الامام [illegible] في الآخذ من غير قسم جائر وأنه إذا لم يجز فيمن أخذ مقدار حقه جائز وان أخذ من أخذ أكثر من حقه وتعذر رده على أصحابه لعدم العلم بهم فانه يتصدق به عنهم وانه لو لم يتصدق به عنهم وتصرف فيه فتى وصل اليه منه شيء لم يعلم بحاله لم يكن محرما عليه ولا عليه فيه اثم وهذا الحكم جار في سائر الغصوب المذكورة وتبين [illegible] من آخر نفسه أو [illegible] أو مشتغله أحد [illegible] للمالك ولم تعلم حاله من كل مستور [illegible] أو سرقه أو غصبها بوجه لا يسع أحدها [illegible] وحرمه مع أن هذا فيه [illegible] عن نفسه

و [illegible] درهم [illegible] وصار [illegible]

المنوع ولم تقبل التغيير وصار حلالا بالسبب المشروع

فيقال له بل قد تقبل التغير فيما حرم لوصفه لا لعاجرم لكسبه فالاول مثل الخمر فانها لما كانت عصيراً لم تصر حلالا طاهرا فلما تخمر كان حراما نجساً فاذا تخللت بفعل الله من غير قصد لتحليلها كانت حل خمر حلالا طاهراً باتفاق العلماء وانما تنازعوا فيما اذا قصد تخميرها وتنازعوا في سائر النجاسات كالخنزير اذا صار ملحاً والنجاسة اذا صارت رماداً فقيل لا تطهر كقول الشافعي واحد القولين في مذهب مالك وأحمد والثاني مثل المال المغصوب هو حرام لانه قبض بالظلم فاذا قبض بحق أبيح مثل أن يأذن فيه المالك للغاصب أو يهبه اياه أو يبيعه منه أو يقبضه المالك أو وليه أو وكيله ثم الغاصب اذا أعطاه لمن لا يعلم انه مغصوب كان قبضه بحق لان الله لم يكلفه ما لا يعلم وكذلك من وصفه ... انما قبض بحق وقد تقدم الكلام في الضمان والله أعلم

تمت الرسالة السادسة

ويليها الرسالة السابعة له أيضا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

(فصل) في زيارة بيت المقدس ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد وأبي هريرة وقد روي من طرق أخرى وهو حديث مستفيض متلقى بالقبول أجمع أهل العلم على صحته وتلقيه بالقبول والتصديق واتفق علماء المسلمين على استحباب السفر إلى بيت المقدس للعبادة المشروعة فيه كالصلاة والدعاء والذكر وقراءة القرآن والاعتكاف وقد روي من حديث رواه الحاكم في صحيحه أن سليمان عليه السلام سأل ربه ثلاثاً ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده وسأله حكماً يوافق حكمه وسأله أنه لا يؤمّ أحد هذا البيت لا يريد إلا الصلاة فيه إلا غفر له ولهذا كان ابن عمر رضي الله عنه يأتي إليه فيصلي فيه ولا يشرب فيه ماء لتصيبه دعوة سليمان لقوله لا يريد إلا الصلاة فيه فإن هذا يقتضي إخلاص النية في السفر إليه ولا يأتيه لغرض دنيوي ولا بدعة

وتنازع العلماء فيمن نذر السفر إليه للصلاة فيه أو الاعتكاف فيه هل يجب عليه الوفاء بنذره على قولين مشهورين وهما قولان للشافعي

أحدهما يجب الوفاء بهذا النذر وهو قول الأكثرين مثل مالك وأحمد ابن حنبل وغيرهما والثاني لا يجب وهو قول أبي حنيفة فان من أصله أنه لا يجب بالنذر الا ما كان من جنسه واجب بالشرع فلهذا يوجب نذر الصلاة والصيام والصدقة والحج والعمرة فان من جنسها واجب بالشرع ويوجب نذر الاعتكاف فان الاعتكاف لا يصح عنده الا بصوم وهو مذهب مالك وأحمد في أحد الروايتين عنه واما الأكثرون فيحتجون بما رواه البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالوفاء بالنذر لكل من نذر أن يطيع الله ولم يشترط أن تكون الطاعة من جنس الواجب بالشرع وهذا القول أصح وهكذا النزاع لو نذر السفر الى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم مع أنه أفضل من المسجد الأقصى وأما لو نذر اتيان المسجد الحرام لحج أو عمرة وجب عليه الوفاء بنذره باتفاق العلماء

والمسجد الحرام أفضل المساجد ويليه مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ويليه المسجد الأقصى وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام

والذي عليه جمهور العلماء أن الصلاة في المسجد الحرام أفضل منها في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقد روي أحمد والنسائي وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف

صلاة والصلاة في المسجد الاقصى فقد روى أنها بخمسين صلاة وقيل بخمسمائة صلاة وهو أشبه

(وأما السفر الى قبر الخليل عليه السلام) أو قبر النبي صلى الله عليه وسلم أو الى الطور الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام أو الى جبل حراء الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعبد فيه وجاءه الوحي فيه والغار المذكور في القرآن وغير ذلك من المغار والمقامات والمشاهد المضافة الى بعض الانبياء والمشايخ أو الى بعض المغارات أو الجبال لم يجب الوفاء بهذا النذر باتفاق الائمة لان السفر الى هذه المواضع منهي عنه نهى النبي صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد فاذا كانت المساجد التي هي من بيوت الله التي أمر فيها بالصلوات الخمس قد نهى عن السفر اليها حتى مسجد قباء الذي يستحب لمن كان بالمدينة أن يذهب اليه لما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يأتي قباء كل سبت راكباً وماشياً وروى الترمذي وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تطهر في بيته ثم أحسن الطهور ثم أتى مسجد قباء لا يريد الا الصلاة فيه كان له كعمرة قال الترمذي حديث حسن صحيح

فاذا كان مثل هذا منهياً عن السفر اليه ونهى عن السفر الى الطور المذكور في القرآن وكذلك ذكر من ذلك المواضع التي في الصحيح ثم اتى بالمساجد المتخذة على القبور نهى عن اتخاذ المساجد عليها ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في مرض موته لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور

أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا قالت عائشة ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن كره أن يتخذ مسجداً وفي صحيح مسلم وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك ولهذا لم تكن الصحابة يسافرون الي شيء من مشاهد الانبياء لا مشهد ابراهيم الخليل عليه السلام ولا غيره والنبي صلي الله عليه وسلم ليلة المعراج صلى في بيت المقدس ركعتين كانت ذلك في الحديث الصحيح ولم يصل في غيره وأما ما يرويه بعض الناس من حديث المعراج انه صلى في المدينة وصلى عند قبر موسى عليه السلام وصلى عند قبر الخليل فكل هذه الاحاديث مكذوبة موضوعة

وقد رخص بعض المتأخرين في السفر الى المشاهد ولم ينقلوا ذلك عن أحد من الائمة ولا احتجوا بحجة شرعية

﴿ فصل والعبادات المشروعة في المسجد الاقصى ﴾ هي من جنس العبادات المشروعة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من سائر المساجد الا المسجد الحرام فانه يشرع فيه زيادة على سائر المساجد بالطواف بالكعبة واستلام الركنين اليمانيين وتقبيل الحجر الاسود واما مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والمسجد الاقصى وسائر المساجد فليس فيها ما يطاف فيه ولا فيها ما يتمسح به ولا ما يقبل فلا يجوز لاحد أن يطوف بحجرة النبي صلى الله عليه وسلم ولا بغير ذلك من مقابر الانبياء والصالحين ولا بصخرة بيت المقدس ولا بغير هؤلاء كالقبة التي فوق جبل عرفات وأمثالها بل ليس في الارض مكان يطاف به كما يطاف بالكعبة

﴿ ومن اعتقد ان الطواف بغيرها ﴾ مشروع فهو شر ممن يعتقد جواز الصلاة الى غير الكعبة فان النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر من مكة الى المدينة صلى بالمسلمين ثمانية عشر شهراً الى بيت المقدس فكانت قبلة المسلمين هذه المدة ثم ان الله حول القبلة الى الكعبة وأنزل الله في ذلك القرآن كما ذكر في سورة البقرة وصلى النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون الى الكعبة وصارت هي القبلة وهي قبلة ابراهيم وغيره من الانبياء فمن اتخذ الصخرة اليوم قبلة يصلي اليها فهو كافر مرتد يستتاب فان تاب والا قتل مع أنها كانت قبلة لكن نسخ ذلك فكيف بمن يتخذها مكاناً يطاف به كما يطاف بالكعبة والطواف بغير الكعبة لم يشرعه الله وكذلك من قصد أن يسوق اليها غنماً أو بقراً ليذبحها هناك ويعتقد ان الاضحية فيها أفضل وان يحلق فيها شعره في العيد أو ان يسافر اليها ليعرف بها عشية عرفة فهذه الامور التي يشبه بها بيت المقدس في الوقوف والطواف والذبح والحلق من البدع والضلالات ومن فعل شيئاً من ذلك معتقداً ان هذا قربة الى الله فانه يستتاب فان تاب والا قتل كما لو صلى الى الصخرة معتقداً ان استقبالها في الصلاة قربة كاستقبال الكعبة ولهذا بنى عمر بن الخطاب مصلى المسلمين في مقدم المسجد الاقصى

﴿ فان المسجد الاقصى ﴾ اسم لجميع المسجد الذي بناه سليمان عليه السلام وقد صار بعض الناس يسمي الاقصى المصلى الذي بناه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مقدمه والصلاة في هذا المصلى الذي

ساه عمر للمسلمين أفضل من الصلاة في سائر المسجد فان عمر بن الخطاب لما فتح بيت المقدس وكان على الصخرة زبالة عظيمة لان النصارى كانوا يقصدون اهانتها مقابلة لليهود الذين يصلون اليها فأمر عمر رضى الله عنه بازالة النجاسة عنها وقال لكعب الاحبار أين ترى أن نبنى مصلى للمسلمين فقال خلف الصخرة فقال ياابن اليهودية خالطتك يهودية بل ابنيه امامها فان لنا صدور المساجد ولهذا كان ائمة الامة اذا دخلوا المسجد قصدوا الصلاة في المصلى الذى بناه عمر وقد روى عن عمر رضى الله عنه أنه صلى فى محراب داود وأما الصخرة فلم يصل عندها عمر رضى الله عنه ولا الصحابة ولا كان على عهد الخلفاء الراشدين عليها قبة بل كانت مكشوفة فى خلافة عمر وعثمان وعلى ومعاوية ويزيد ومروان ولكن لما تولى ابنه عبد الملك الشام ووقع بينه وبين ابن الزبير الفتنة كان الناس يحجون ويجتمعون بابن الزبير فأراد عبد الملك أن يصرف الناس عن ابن الزبير فبنى القبة على الصخرة وكساها في الشتاء والصيف ليرغب الناس في زيارة بيت المقدس ويشتغلوا بذلك عن اجتماعهم بابن الزبير وأما أهل العلم من الصحابة والتابعين لهم باحسان فلم يكونوا يعظمون الصخرة فانها قبلة منسوخة كما أن يوم السبت كان عيداً في شريعة موسى عليه السلام ثم نسخ فى شريعة محمد صلى الله عليه وسلم بيوم الجمعة فليس للمسلمين أن يخصوا يوم السبت ويوم الاحد بعبادة كما تفعل اليهود والنصارى وكذلك الصخرة انما يعظمها اليهود وبعض النصارى

(وما يذكره بعض الجهال فيها) من أن هناك أثر قدم النبي صلى

الله عليه وسلم وأثر عمامته وغير ذلك فكله كذب وأكذب منه من
يظن أنه موضع قدم الرب وكذلك المكان الذي يذكر أنه مهد عيسى
عليه السلام كذب وإنما كان موضع معمودية النصارى وكذا من زعم
أن هناك الصراط والميزان أو أن السور الذي ضرب به بين الجنة والنار
هو ذلك الحائط المبني شرقي المسجد وكذلك تعظيم السلسلة أو موضعها
ليس مشروعا

(فصل) وليس في بيت المقدس مكان يقصد للعبادة سوى المسجد
الأقصى لكن إذا زار قبور الموتى وسلم عليهم وترحم عليهم كما كان النبي
صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه فحسن فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان
يعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقول أحدهم السلام عليكم أهل الديار
من المؤمنين والمؤمنات وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ويرحم الله المستقدمين
منا ومنكم والمستأخرين نسأل الله لنا ولكم العافية اللهم لا تحرمنا أجرهم
ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم

(فصل) وأما زيارة معابد الكفار مثل الموضع المسمى بالقمامة
أو بيت لحم أو صهيون أو غير ذلك مثل كنائس النصارى فمنهي عنه فمن
زار مكانا من هذه الأمكنة معتقدا أن زيارته مستحبة والعبادة فيه أفضل
من العبادة في بيته فهو ضال خارج عن شريعة الإسلام يستتاب فإن
تاب وإلا قتل وأما إذا دخلها الإنسان لحاجة وعرضت له الصلاة فيها
فللعلماء فيها ثلاثة أقوال في مذهب أحمد وغيره قيل تكره الصلاة فيها
مطلقا واختاره ابن عقيل وهو منقول عن مالك وقيل تباح مطلقا وقيل

ان كان فيها صور تنهي عن الصلاة والا فلا وهذا منصوص عن احمد وغيره وهو مروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولما فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة كان في الكعبة تماثيل فلم يدخل الكعبة حتى محيت تلك الصور والله أعلم

(فصل) وليس ببيت المقدس مكانا يسمى حرما ولا بتربة الخليل ولا بغير ذلك من البقاع الا ثلاثة اماكن أحدها هو حرم باتفاق المسلمين وهو حرم مكة شرفها الله تعالى والثاني حرم عند جمهور العلماء وهو حرم النبي صلى الله عليه وسلم من عير الى ثور بريد في بريد فان هذا حرم عند جمهور العلماء كمالك والشافعي وأحمد وفيه احاديث صحيحة مستفيضة عن النبي صلى الله عليه وسلم والثالث وج وهو واد بالطائف فان هذا روي فيه أحاديث رواه أحمد في المسند وليس في الصحاح وهذا حرم عند الشافعي لاعتقاده صحة الحديث وليس حرما عند أكثر العلماء وأحمد ضعف الحديث المروي فيه فلم يأخذ به وأما ما سوى هذه الاماكن الثلاثة فليس حرما عند أحد من علماء المسلمين فان الحرم ما حرم الله صيده ونباته ولم يحرم الله صيد مكان ونباته خارجا عن هذه الاماكن الثلاثة

(فصل) وأما زيارة بيت المقدس فمشروعة في جميع الاوقات ولكن لا ينبغي أن يؤتى في الاوقات التي تقصدها الضلال مثل وقت عيد النحر فان كثيرا من الضلال يسافرون اليه ليقفوا هناك والسفر

اليه لاجل التعريف به معتقدا ان هذا قربة محرم بلا ريب وينبغي أن لا يتشبه بهم ولا يكثر سوادهم وليس السفر اليهم الحج قربة وقول امثال هؤلاء قدس الله حجتك قول باطل لا أصل له كما يروى من زار وزار أبي في عام واحد ضمنت له الجنة قال هذا كذب باتفاق اهل المعرفة بالحديث بل وكذلك كل حديث يروى في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فانه ضعيف بل موضوع ولم يرو اهل الصحاح والسنن والمسانيد كمسند أحمد وغيره من ذلك شيئا ولكن الذي في السنن ما رواه أبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من رجل يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام فهو يرد السلام على من سلم عليه عند قبره ويبلغ سلام من سلم عليه من البعيد كما في النسائي عنه انه قال ان الله وكل بقبري ملائكة يبلغون عن أمتي السلام وفي السنن عنه أنه قال أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة فان صلاتكم معروضة علي قالوا كيف صلاتنا تعرض عليك وقد أرمت فقال ان الله قد حرم على الارض أن تأكل لحوم الانبياء فبين صلى الله عليه وسلم ان الصلاة والسلام توصل اليه من البعيد والله قد أمرنا أن نصلي عليه ونسلم وثبت في الصحيح انه قال من صلى علي مرة صلى الله عليه بها عشرا صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا

﴿ فصل ﴾ واما السفر الى عسقلان في هذه الاوقات فليس مشروعا لا واجبا ولا مستحبا ولكن عسقلان كان المسلمون قصدوها وقصدها كانت ثغرا المسلمين يقيم بها المرابطون في سبيل الله فانه قد

ثبت في صحيح مسلم عن سلمان عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال رباط يوم وليلة في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه ومن مات مرابطاً مات مجاهداً وأجرى عليه عمله وأجرى عليه رزقه من الجنة وأمن الفتان وقال أبو هريرة لأن أرابط في سبيل الله أحب الي من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الاسود وكان أهل الخير والدين يقصدون ثغور المسلمين للرباط فيها ثغور الشام كعسقلان وعكة وطرسوس وجبل لبنان وغيرها وثغور مصر كالاسكندرية وغيرها وثغور العراق كعبادان وغيرها فاخرب من هذه البقاع ولم يبق بيوتا كعسقلان لم يكن ثغورا ولا في السفر اليه فضيلة وليس فيه أحد من الصالحين التابعين لشريعة الاسلام ولكن فيه كثير من الجن وهم رجال الغيب الذين يرون أحيانا في هذه البقاع قال تعالى (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) وكذلك الذين يرون الخضر أحياناً هو جني رآه وقد رآه غير واحد ممن أعرفه وقال اني الخضر وكان ذلك جنيا لبس على المسلمين الذين رأوه والا فالخضر الذي كان مع موسى عليه السلام مات ولو كان حيا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لوجب عليه أن يأتي الى النبي صلى الله عليه وسلم ويؤمن به ويجاهد معه فان الله فرض على كل نبي أدرك محمدا ولو كان من الانبياء أن يؤمنوا به ويجاهدوا معه كما قال الله تعالى (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصري

قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) قال ابن عباس رضي الله عنه لم يبعث الله نبيا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه ولم يذكر أحد من الصحابة أنه رأى الخضر ولا أنه أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإن الصحابة كانوا أعلم وأجل قدرا من أن يلتبس الشيطان عليهم ولكن التبس على كثير ممن بعدهم فصار يتمثل لأحدهم في صورة آدمي ويقول أنا الخضر وإنما هو شيطان كما أن كثيرا من الناس يرى ميته خرج وجاء إليه وكلمه في أمور وقضاء حوائج ويظنه الميت نفسه وإنما هو شيطان تصور بصورته وكثير من الناس يستغيث بمخلوق إما نصراني كجرجس أو غير نصراني فيراه قد جاءه وربما يكلمه وإنما هو شيطان صور بصورة ذلك المستغاث به لما أشرك به المستغيث تصور له كما كانت الشياطين تدخل في الأصنام وتكلم الناس ومثل هذا موجود كثير في هذه الأزمان في كثير من البلاد ومن هؤلاء من تحمله الشياطين فتطير به في الهواء إلى مكان بعيد ومنهم من تحمله إلى عرفة فلا يحج حجا شرعيا ولا يحرم ولا [illegible] ولا يطوف ولا يسعى [illegible] مع أن [illegible] يحسبونه [illegible] [illegible] في غير هذا الموضع [illegible]

محمد وعلى [illegible] وصحبه وسلم

تمت [illegible]

[illegible]

ومنهم من يقول لا ريب أن له ثبوتا في العلم ووجودا فيه فهو باعتبار
هذا الثبوت والوجود هو شيء وذات وهؤلاء لا يفرقون بين الوجود
والثبوت كما فرق من قال هو شيء ولا يفرقون في كون المعدوم
ليس شيئا بين الممكن والممتنع كما فرق أولئك فقد اتفقوا على أن
الممتنع ليس شيئا وإنما النزاع في الممكن وعمدة من جعله شيئا إنما هو
ما ثبت في العلم واعتبار ذلك صحيح لكن يحصل بالفصل بين الخلق والخبر
عنه والأمر به والنهي عنه وعن ذلك قولا وهذه الصفات ثابتة له أن
تتعلق بالمعدوم فحصل بذلك الفرق بين الوجود الذي هو الثبوت
العيني وبين الوجود الذي هو الثبوت العلمي زالت الشبهة في هذا الباب

وقوله تعالى «إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون»
وذلك الشيء هو معلوم قبل إبداعه وقبل توجيه هذا الخطاب إليه
وبذلك كان مقدرا مقضيا فإن الله سبحانه وتعالى يقول ويكتب من
مقاديره ما يشاء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي
رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو إن الله قدر مقادير
الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وفي صحيح
البخاري عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
كان الله ولم يكن شيء معه وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل
شيء ثم خلق السموات والأرض وفي سنن أبي داود وغيره عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فقال
ما أكتب قال ما هو كائن إلى يوم القيامة إلى مثل ذلك من النصوص

التي ـ ... ان المخلوق قبل أن يخلق كان معلوما مخبرا عنه مكتوبا فهي
شيء باعتبار وجوده العلمي الكلامي الكتابي وان كانت حقيقته التي
هي وجوده العيني ليس ثابتا في الخارج بل هو عدم محض ونفي صرف
وهذه مراتب الاربعة المشهورة موجودات وقد ذكرها الله سبحانه
في أول سورة أنزلها على نبيه في قوله (اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق
الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم
يعلم) وقد بسطنا الكلام في ذلك في غير هذا الموضع وإذا كان كذلك
كان الخطاب موجها الى من توجهت اليه الارادة وتعلقت به القدرة
وخلق وكون كما قال (انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون)
والذي يقال له كن هو الذي يراد وهو حين يراد قبل أن يخلق له ثبوت
وتميز في العلم والتقدير ولولا ذلك لما تميز المراد المخلوق من غيره وبهذا
يحصل الجواب عن التقسيم * فان قول السائل ان كان المخاطب موجود
فتحصيل الحاصل محال * يقال له هذا اذا كان موجودا في الخارج وجوده
الذي هو وجوده ولا ريب ان المعدوم ليس موجودا ولا هو في نفسه
ذات ولا عين ولا شيء وكان شيئا في العلم والارادة والتقدير فليس
وجوده في الخارج محالا بل جميع المخلوقات لا توجد الا بعد وجودها
في العلم والارادة وهو قول السائل ان كان معدوما فكيف يتصور خطاب
المعدوم فيقال له انما اذا قصد أن يخاطب المعدوم في الخارج خطابا
يفهمه ويأتي به فهذا محال اذ من شرط المخاطب أن يتمكن من الفهم
والفعل والمعدوم لا يتصور أن يفهم ويفعل فامتنع خطاب ... كذ ...

له حب عدمه [illegible] انه يطلب منه حين عدمه أن يفهم ويعمل وكذلك [illegible] يحفظ [illegible] في الخارج [illegible] تكوين [illegible] أن [illegible] وأما الشيء المعلوم [illegible] توجيه [illegible] مثل توجه [illegible] ذلك محدده [illegible] وجه [illegible] يكون حصول [illegible] المطلوب [illegible] على حصوله حصل مع [illegible] وقد يقول الإنسان [illegible] ويكون المطلوب [illegible] قدرته عليه والله سبحانه على كل شيء قدير [illegible] فإن [illegible] أن يقول له كن فيكون

(فصل) [illegible] والناس لا يعلمون [illegible] الأمم [illegible] في [illegible] الأمر [illegible] وإن كانت [illegible] أن لا يحجب أحد من المخلوقين عن عبادته [illegible] الأمر [illegible] من هذا المضيق

ويقال هذه اللام [illegible] هي اللام التي يسميها النحاة لام العاقبة و [illegible] أحدها [illegible] من أن ذلك لم [illegible] على قول من [illegible] يعرفون [illegible] التي [illegible] ولكن [illegible] قول ضعيف [illegible] لبعض الناس

ذلك كله قوله (ولذلك خلقهم) التي في آخر سورة هود قال بعض القدرية زعم ان هذه اللام لام العاقبة والصيرورة أي صارت عاقبتهم الى الرحمة وإلى الاختلاف ولم تقصد بهم ذلك الخلق وحملوا ذلك كقوله (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) وقول الشاعر

لدوا للموت وابنوا للخراب

وهذه [illegible] اللام [illegible] في حق من لا يكون عالما بعواقب الأمور ومصادرها [illegible] الفعل الذي [illegible] فأما من يكون عالما بعواقب الأمور ومصادرها [illegible] فعلا [illegible] فلا [illegible] انه يكون ذلك بغير ارادة

وأما الأمر فهي اللام المعروفة وهي لام كي ولام التعليل التي اذا حذفت انتصب المصدر المجرور بها على المفعول له وتسمى علة غائية وهي متقدمة في العلم والإرادة متأخرة في الوجود والحصول وهذه [illegible]

[illegible] على [illegible]

أحدهما الارادة الكونية وهي الارادة [illegible] [illegible] شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وهذه الارادة [illegible] قوله (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا) وقوله (ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم) وقوله [illegible]

الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد) وقال تعالى (ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله) وأمثال ذلك وهذه الارادة في ... (ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم ... الاختلاف وفريقا للرحمة ولما ... احتلفوا ...

... وهي محبة المراد ورضاه ومحبة ... حتى ... ويريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وفي قوله (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم) وقوله (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا) فهذه ... ولا ... النوع الاول من الارادة ... الاسماء ...

... الارادة وهو موقع في الوجود من الاعمال ... ورضاه وارادة ... ولا ... كل

و ... وهو ما أمر الله به من الاعمال ... كلها ارادة

ن وهو يحبها ويرضاها ، وقد لا تقع

و ... ما تعلقت به الارادة الكونية فقط وهو ما قدره وشاءه من
الحوادث التي لم يأمر بها كالمباحات والمعاصي فانه لم يأمر بها ولم يرضها
... ولا يرضى لعباده الكفر ولولا مشيئته
... كان وما ... ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن

والرابع ما لم تتعلق به هذه الارادة ولا هذه فهذا ما لم يكن من
... ولما كان كذلك ... اللام في قوله (وما
خلقت الجن والانس الا ليعبدون) هي لام الارادة الدينية الشرعية وهذه
... ويحبه ويرضى لهم
... فهو ... خلق العبادة أي هو
... يكونون مرضيين محبوبين فمن لم
يحصل منه هذه الغاية كان ... ما يحب ويرضى ويراد له الارادة الدينية
التي فيها سعادته ونجاته وعدم الكمال وصلاح العدم ... فساده
وعدله ... هي مرتبة الطريقة فهولاء ...
... ظهر ... خوفه ...

... من ... و ...
في ... لله ... أعطاه الله فهو محب ... في
... الله ... ولكن ...
... الله ...

... في ... ولا ... رسول الله ... ولا حديث يأمر

العباد أن يرضوا بكل ما هو مقدر من أفعال العباد حسنها وسيئها فهذا أصل يجب أن يعرف ولكن على الناس أن يرضوا بما أمر الله به فليس لأحد أن يسخط ما رضيه الله ورسوله قال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا [illegible] ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم [illegible]

[illegible]

[illegible]

وقال صلى الله عليه وسلم [illegible] من رضي [illegible] يقدره الله عليه من مصائب [illegible] ليست [illegible] مثل [illegible] فقر أو مرض أو ذل وأذى الخلق له فإن الصبر على المصائب واجب وأما الرضا بها فهو مشروع لكن هل هو واجب أو مستحب على قولين لأصحاب أحمد وغيرهم أصحهما أنه مستحب ليس بواجب [illegible] الحب في الله والبغض في الله وقد أمر الله بالأمر بالمعروف وبحبه والرضا به وحب أهله والنهي عن المنكر وبغضه والسخط له وبغض أهله وجهادهم بأيديهم وألسنتهم وقلوبهم فكيف يتوهم أنه ليس في المخلوقات ما يبغضه ويكرهه وقد قال تعالى لما ذكر ما ذكر من المنهيات كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً فما كان الله يكرهه وهو المنهيات فكيف لا يكرهها من أمر الله أن يكرهها ويبغضها وهو [illegible] وكره [illegible] الكفر والفسوق والعصيان

أولئك هم الراشدون وقال تعالى (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم) وقال تعالى (فلما آسفونا انتقمنا منهم) وقال تعالى (وغضب الله عليهم ولعنهم) وقال تعالى (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول) فأخبر أن ما يقول الواقع ما لا يرضاه وقال تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم) وقال (ورضيت لكم الاسلام دينا) وقال (وإن تشكروا يرضه لكم) فبين أنه يرضى الدين الذي أمر به ولو كان يرضى كل شيء لكان له خصوصه وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته وقال إن الله يغار والمؤمن يغار وغيرة الله أن يأتي العبد ما حرم عليه ولا بد من غيرة من كراهة ما يغار منه وبغضه وهذا باب واسع

(فصل) ومن المسئلة ان تمه فقوله اذا حصل العلم بما هو كائن فما معنى قوله تعرى تحت الحكم وان كان الدعاء سببا لما هو كائن فـ .... لأمر به ولا بد من وقوعه

فيقال هذه في قضية الاجابة كثر الاضطراب في هذه القضية لا سيما وكثير الناس في قضيتها اشتبهت ومن قال ان ... علامة ودلالة محضة على حصول المطلوب المسؤول ليس سببا أو هو عبادة محضة لا أثر له في حصول المطلوب وجودا ولا عدما بل ما يحصل به ... يحصل بدونه فهما قولان ضعيفان فإن الله علق الاجابة به تعليق السبب

سبب دعوته وقال ربكم ادعوني أستجب لكم وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم الا أعطاه بها احدى خصال ثلاث اما أن يعجل له دعوته واما أن يدخر له من الخير مثلها واما أن يصرف عنه من الشر مثلها قالوا يا رسول الله اذاً نكثر قال الله أكثر فعلق العطايا بالدعا تعليق الوعد والجزاء بالعمل المأمور به وقال عمر بن الخطاب اني لا أحمل هم الاجابة وانما أحمل هم الدعاء فاذا ألهمت الدعاء فان الاجابة معه وأمثال ذلك كثير وأيضاً فالواقع المشهود يدل على ذلك ويبينه كما يدل على ذلك مثل سائر الأسباب وما أخبر الله به من ذلك مأخوذ في مثل قوله (ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون) وقوله تعالى (وذا النون اذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين) وقوله أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض) وقوله تعالى عن زكريا (رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه) وقال تعالى (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون) وقال تعالى (ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص) وخبر [illegible] أو نحوهن فاجتمع أحدهم بدعوتهم

و عدوه عن كثير منها مع علم المجادلين فى آياته انه مالهم من محيص لانه في مثل هذا الحال يعلم المو د للشبهات في الدلائل الدالة على ربوبية الرب وقدرته ومشيئته ورحمته انه لا محاص له مما وقع فيه كقوله في الآية الاخرى (وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال) فان المعارف التى تحصل فى النفس بالاسباب الاضطرارية أثبت وأرسخ من المعارف التى ينتجها مجرد النظر القياسى الذي يخرج عن النفوس في مثل هذه الحال هل لرب موجب في نفسه فلا يكون هو المحدث للحوادث ابتداء ولا يمكنه ان يحدث شيئا ولا يغير العالم حتى يدعى ويسأل وهل هو عالم بالتفصيل والاجمال وقادر على التصرف بالاحوال حتى يسأل التحويل من حال الى حال ليس كذلك كما يزعمه من زعمه من الفلاسفة وغيرهم من الضلال ويجتمع مع المعوقة ومنو من ذى الجلال علم أهل الرأى والجدل انه لا محيص لهم عما أوقع بينهم من جادلوا فى آياته وهو شديد المحال وقد تكلمنا على هذا وأشباهه وما يتعلق به من المقالات والديانات في غير هذا الموضع

والمقصود هنا أن عموم الخلق وسؤاله هو سبب لنيل المطلوب سؤال الناس بحوده كعدمه فى ذلك ولا هو لازمه محصه كما دل عليه الكتاب والسنة وان كان قد نازع فى ذلك طوائف من أهل القبلة وغيرهم مع ان ذلك مشروع هو من الملة من المسلمين واليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين لكن طوائف من المشركين والصابئين من الفلاسفة السالكين سبيل ارسطو ومن تبعه من متفلسفة أهل الملل

كالفارابي وابن سينا ومن سلك سبيلهم ممن خلط ذلك بالكلام والتصوف ونحوه وهؤلاء يزعمون أن تأثير الدعاء في نيل المطلوب كما يزعمونه في تأثير سائر الحركات للمخلوقات من قوى الملائكة والطبيعية والقوى النفسانية والفلكية فيجعلون ما يترتب على الدعاء هو من تأثير النفوس الناطقة من غير أن يشعر الخالق سبحانه بذلك علماً مفصلاً أو قدرة على تغيير العالم أو أن يسمع دعاءه أو يشاء أن يستجيب لمن دعاه وليس هو عندهم قادراً على أن يجمع عظامه ولا أن يسوي بنانه وهو سبحانه هو الخالق لها وللقوى ولا حول ولا قوة إلا بالله

والمقصود هنا أن ما كان هو كائن مقدرة لا مرد له ولا بد من وقوعه فيقال إن المأمور به لا يحصل كون ما أمر به العبد دعاه فيه من مصيبة فقد حصلت له بقوة وبأسبابه ويدل ذلك على أن المعلوم المقدور هو الدعاء والإجابة ودفع ما فيه من المصيبة والدعوة ولا يحصل ... على أن من في المعلوم المقدور الدعاء ولا الإجابة فالدعاء الكائن هو الذي تقدم العلم بأنه كائن لا يكون دون فيه فما قدره الأمر في علمه أنه يكون من الدعاء فعل الأمر هو سبب أيضاً في أمثال الأمور به كسائر الأسباب والدعاء سبب لدفع البلاء فإذا كان أقوى منه دفعه وإن كان سبب البلاء أقوى لم يدفعه لكن يخففه ويضعفه ولهذا أمر عند الكسوف والآيات بالصلاة والدعاء والاستغفار والصدقة والعتق

(فصل) وأما مسألة الحسنة في قوله صلى الله عليه وسلم من

فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار فاختلاف المفسرين في آية واحدة ان كان بالرأي فكيف اجتماعه وان لم يكن بالرأي فكيف وقع الاختلاف والحق لايكون في طرفي نقيض

فيقال ينبغي أن يعلم أن الاختلاف الواقع من المفسرين وغيرهم على وجهين أحدهما ليس فيه تضاد وتناقض بل يمكن أن يكون كل منهما حقا وانما هو اختلاف تنوع أو اختلاف في الصفات أو العبارات وعامة الاختلاف الثابت عن مفسري السلف من الصحابة والتابعين هو من هذا الباب فان الله سبحانه اذا ذكر في القرآن اسما مثل قوله (اهدنا الصراط المستقيم) وكل من المفسرين يعبر عن الصراط المستقيم بعبارة يدل بها على بعض صفاته وكل ذلك حق بمنزلة ما يسمى الله ورسوله وكتابه بأسماء كل اسم منها يدل على صفة من صفاته فيقول بعضهم الصراط المستقيم كتاب الله أو اتباع كتاب الله ويقول الآخر الصراط المستقيم هو الاسلام أو دين الاسلام ويقول الآخر الصراط المستقيم هو السنة والجماعة ويقول الآخر الصراط المستقيم طريق العبودية أو طريق الخوف والرجاء والحب وامتثال الأمر واجتناب المحظور أو متابعة الكتاب والسنة أو العمل بطاعة الله أو نحو هذه الأسماء والعبارات ومعلوم أن المسمى هو واحد وان تنوعت صفاته وتعددت أسماؤه وعباراته كما اذا قيل محمد وأحمد وهو الحاشر وهو الماحي وهو العاقب وهو خاتم المرسلين وهو نبي الرحمة وهو نبي الملحمة وكذلك اذا قيل القرآن هو الفرقان والنور والشفاء والذكر الحكيم والكتاب الذي

أحد الكتب الآية ثم نصب وكذلك أسماء الله الحسنى هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم وهو الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى وهو الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر هو الله الخالق البارئ المصور ونحو ذلك فهو سبحانه واحد صمد وأسماؤه الحسنى تدل كلها على ذاته وتدل هذه من صفاته على ما لا تدل عليه الأخرى فهي متفقة في الدلالة على الذات ومتنوعة في الدلالة على الصفات فالاسم يدل على الذات والصفة التي فيه مطابقة ويدل على أحدهما بطريق التضمن وكل اسم يدل على الصفة التي دل عليها الاسم الآخر لأنه يدل على ذات مشتركة في جميع الصفات فكثير من التفسير والترجمة تكون من هذا الوجه

والقسم الآخر وهو أن يذكر المفسر والمترجم معنى المسمى على سبيل التعيين والتمثيل لا على سبيل الحد والحصر مثل أن يقول قائل من العجم ما معنى الخبز فيشار له إلى رغيف وليس المقصود مجرد عينه وإنما الإشارة إلى تعيين هذا الشخص وهذا كما إذا سئلوا عن قوله (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) أو عن قوله (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) أو عن الصالحين أو الظالمين ونحو ذلك من الأسماء العامة الجامعة التي قد يتعسر أو يتعذر على السامع أو المستمع ضبط مجموع معناه فلا يكون محتاجاً في ذلك فيذكر

له من انواعه وا-بحاصه ميحصل به عرصه وقد يستدل به عى نصائره
ون العالم لنفسه هو تارك المأمور فعل المحظور والمقصــد هو فاعل
الواجب وتارك المحرم والسابق هو فاعــل الواجب والمستحب وتارك
المحرم والمكروه فقول حيث يحسب حجه السائل الظالم الذي يؤخر
الصــلاة أو الذي لا يسبغ الوضوء أو الذي لا يتم الاركان ونحو ذلك
والمقتصــد الذي يصلي في الوقت كما أمر والسابق الذي يصلي
الصلاة بواجباتها ومستحباتها ويأتي بالنوافل المستحبة معها وكذلك
يقول مثل هذا في الزكاة والصوم والحج وسائر الواجبات وقد روى
عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : فسر على أربعة أوجه تفسير
تعرفه العرب من كلامها وتفسير لا يعذر أحد بجهالته وتفسير يعلمه
العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله فمن ادعى علمه فهو كاذب والصحابة
أخذوا عن الرسول لفظ القرآن ومعناه كما أخذوا عنه السنة وان كان
من الناس من غير السنة فمن الناس من غير بعض معاني القرآن اذ لم
يتمكن من تغيير لفظه و ... ... بعض علماء ...
... حتى ... بعض السنة ...
المجتهد من هذا ... والله ...

... ترجمة ... ــة ...

... ونهاية ... خامسة ...

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الإسلام حسنة الأيام أوحد المجتهدين قامع المبتدعين تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ثم الدمشقي رضي الله عنه عن قوم يحتجون بسابق القدر ويقولون إنه قد مضى الأمر من قبل وأسعد من سعد وأشقى من شقي ويحتجون بقوله تعالى (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) ويقولون إن الله خالق الأعمال قدرة والقدرة لله على قدر الخير والشر وكتبه علينا والمراد بيان خطأ هؤلاء بالأدلة القاطعة ويقولون من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ويحتجون بحديث أبي ذر في قوله صلى الله عليه وسلم وإن زنى وإن سرق فبينوا لنا جوابا عن هذه الحجة أفتونا مأجورين

فأجاب رضي الله عنه * الحمد لله رب العالمين * هؤلاء القوم إذا أصروا على هذا الاعتقاد كانوا أكفر من اليهود والنصارى فإن اليهود والنصارى يؤمنون بالأمر والنهي والوعد والوعيد والثواب والعقاب لكن حرفوا وبدلوا وآمنوا ببعض وكفروا ببعض كما قال تعالى (إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما) فقد كان من آمن ببعض وكفر ببعض فهو كافر حقا فكيف بمن كفر بالجميع ومن لم يقر بأمر الله ونهيه ووعده ووعيده

بل ترك ذلك محتجاً بالقدر فهو أكفر من أهل البدع وأكثر بعض
وقول هؤلاء يظهر بطلانه من وجوه

أحدها أن من هؤلاء [illegible] هؤلاء [illegible] القدر حجة للعبد وأما
أن لا يرى حجة [illegible] لكن القدر حجة [illegible] فهو حجة لجميع الناس
فإنهم كلهم مشتركون في [illegible] أن لا ينكر على من ظلمه
وشتمه [illegible] وأهلك الحرث والنسل
وهؤلاء جميعهم [illegible] بعضهم [illegible] وبعض
[illegible] حتى [illegible]
[illegible] أحد
[illegible] ولا [illegible] أحد
[illegible]
[illegible] أهل [illegible] في الشرع
[illegible]

[illegible]

[illegible]

الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض [illegible]
كالفجار [illegible] أم حسب الذين اجترحوا [illegible]
كالذين آمنوا وعملوا [illegible] محياهم ومماتهم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وفي شيء [illegible]
[illegible] على معاصي الله تعالى

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ولا مرية [illegible]

[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] من الجنة
[illegible] رسول الله [illegible] على الكتاب [illegible]
لكن [illegible] خالق [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] على [illegible] الامور و[illegible] على [illegible]
[illegible] سبحانه [illegible] وعمل [illegible]
ولا [illegible]
[illegible] ولا [illegible]
[illegible]
[illegible] ولا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
ولا [illegible]
[illegible]

[illegible]

لأسباب و [illegible] وهو [illegible] في معنى هذا وهذا

(فصل) [illegible] فهو

[illegible] وعصى آدم

[illegible] لأمر الشرعي

[illegible]

و [illegible] المعصية هي الخروج

عن قدرة الله فإن ذلك لكان العصاة الأشقياء ولا يكون إبليس وفرعون

وقوم نوح وقوم عاد وثمود وجميع الكفار عصاة أيضاً لأنهم داخلون

في قدر الله تعالى [illegible] تظلم من فعل ذلك به

قيل له [illegible] ليس هو [illegible] الله تعالى [illegible] داخل في قدر

الله عز وجل [illegible] على حال

(فصل) وأما قول [illegible] قدرة [illegible]

فإن الله تعالى فرق بين المستطيع [illegible] (فاتقوا

الله ما استطعتم) وقال تعالى (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه

سبيلا) وقال تعالى (الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف

قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة) والله تعالى قد أثبت للعبد مشيئة

وفعلا كما قال تعالى (لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤون إلا أن يشاء

الله رب العالمين) وقال تعالى (جزاء بما كانوا يعملون) لكن الله سبحانه

خلقه وخالق كل ما فيه من قدرة ومشيئة وعمل فإنه لا رب غيره ولا إله

سواه وهو خالق كل شيء وربه ومليكه

(فصل) وأما قول القائل إنما من المعاصي مكتوب فهو كلام صحيح لكن هذا لا يمنعه الاحتجاج به فإن الله تعالى كتب أفعال العباد خيرها وشرها وكتب ما يصيرون إليه من السعادة والشقاوة وجعل الأعمال سبباً للثواب والعقاب وكتب ذلك كما كتب الأمراض وجعلها سبباً للمرض والموت فمن أكل السم فإنه يمرض أو يموت والله تعالى قدر وكتب هذا وهذا كذلك من فعل ما نهي عنه من الكفر والفسوق والعصيان فإنه فعل ما كتب عليه وهو مستحق لما كتبه الله من الجزاء [illegible] ذلك وحجة هؤلاء [illegible] على المعاصي من جنس حجة المشركين الذين قال الله تعالى عنهم (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم) وقال تعالى (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين)

(فصل) ومما [illegible] [illegible] [illegible] لا [illegible] [illegible] دخل خيبة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وسنة فهم [illegible] [illegible] وقد قال تعالى ([illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً) وقال تعالى ([illegible] [illegible] [illegible] لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً ومن يفعل ذلك عدواناً وظلماً فسوف نصليه ناراً وكان ذلك على الله يسيراً) ومثل هذا كثير في

بالكتاب والسنة واتفاق السلف أن من صدق بهذا وهذا لا يؤمن ببعض ويكفر ببعض فهؤلاء المرجئة ارادوا ان يصدقوا بالوعد ويكذبوا بالوعيد والحرورية والمعتزلة ارادوا ان يصدقوا بالوعيد ويكذبوا بالوعد وكلاهما أخطأ والذي عليه أهل السنة والجماعة الإيمان بالوعد والوعيد وكما أن ما توعد الله به العبد من العقاب قد بين سبحانه أنه بشروط بأن لا يتوب فان تاب تاب الله عليه وبأن لا يكون له حسنات تمحو ذنوبه فان الحسنات يذهبن السيئات وبأن لا يشاء الله أن يغفر له فان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فهكذا الوعد له تفسير وبيان فمن قال بلسانه لا إله إلا الله وكذب الرسول صلى الله عليه وسلم فهو كافر باتفاق المسلمين وكذلك إن جحد شيئا مما أنزل الله على [illegible] ولا بد من الأعمال كل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم [illegible] كل من أهل الكتاب [illegible] الله [illegible] ومن شاء [illegible] ومن ارتد عن الإسلام ومات مرتدا كان في النار [illegible] حبطت أعماله و[illegible] ومن كان له حسنات وسيئات فان الله لا يظلمه بل من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره والله تعالى يتفضل عليه ويحسن اليه بمغفرته ورحمته ومن مات على الايمان فانه لا يخلد في النار فالزاني والسارق لا يخلد في النار بل لا بد ان يدخل الجنة فالنار يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وهؤلاء الذين يقولون القدرية الجبرية المشركية وقد جاء في ذمهم من الآثار ما صدق عليه هذا الجواب

تمت الرسالة الخامسة ويليها السادسة له أيضا

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام أبو العباس أحمد بن تيمية قدس الله روحه

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً

(فصل) في قوله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى لما احتج عليه بالقدر وبيان ذلك في المصائب لا في الذنوب وأن الله أمر بالصبر والتقوى فهو في الصبر لا في التقوى وقال (فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك) فأمر بالصبر على المصائب والاستغفار من المعائب وذلك يبين أنهم يضطربون في هذا المقام مقام عرض الأمر والقدر وقد بسطنا الكلام على ذلك في مواضع

والمقصود هنا أنه قد ثبت في الصحيحين حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت أبو البشر الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة فقال له آدم أنت موسى الذي كلمك الله وكتب لك التوراة فبكم تجد فيها مكتوباً وعصى آدم ربه فغوى قبل أن أخلق قال بأربعين سنة قال فحج آدم موسى وهو مروي أيضاً من طريق عمر بن الخطاب بإسناد حسن

وقد ظن كثير من الناس أن آدم احتج بالقدر السابق على نفي

الإثم على الذنب ثم صاروا في هذا الأصل ثلاثة أحزاب

فريق يكذبون بأنه خالق كل شيء على أحد شيء غيره لأنه من المعلوم

لأصحابه [illegible] ولا [illegible]

يكون [illegible] صلى الله عليه وسلم إلى

[illegible] عصى الله ورسوله

وفريق [illegible] سقوط [illegible] عقوبة [illegible] بعضهم إنما حجه

لآدم [illegible] لأن لا يلوم [illegible] ويقول بعضهم لأن الذنب كان في شريعة

واللوم في أخرى ويقول بعضهم لأن الملام كان بعد التوبة وقول بعضهم

لأن هذا تحاج فيه في [illegible] ودار الآخرة

وفريق [illegible] عمدة في سقوط الملام عن المخالفين لأمر الله

ورسوله [illegible] في [illegible] في [illegible] الإثم

من عمل ما [illegible] وغيره [illegible] أهواء

وأغراضه لا لأحد [illegible] في [illegible] هؤلاء [illegible] عند الطاعة

قدري وعند المعصية جبري أي مذهب وافق هواه تمذهب به فالواحد

من هؤلاء إذا أذنب أحد يحتج بالقدر ولو أذنب غيره أو ظلمه لم

يعذره وهؤلاء الظالمون معتدون

ومنهم من يقول هذا في حق أهل الحقيقة الذين يشهدون توحيد

الربوبية [illegible] فيرون أن لا فاعل إلا الله وهؤلاء لا يستحسنون

حسنة ولا يستقبحون سيئة [illegible] لا يرون فعلا

لا [illegible] شهد [illegible] وهذا قول كثير

من مآخذ الصوفية المدعين للحقيقة وقد يجعلون هذا نهاية التحقيق
وغاية العرفان والتوحيد وهذا قول طائفة من أهل العلم قال ابن المظفر
السمعاني وأما الكلام فيما جرى بين آدم وموسى من المحاججة في هذا
الشأن فقد ساغ لهما الحجاج في ذلك لأنهما نبيان جليلان خصا بعلم
الحقائق وأذن لهما في استكشاف السرائر وليس سبيل الخلق الذين
أمروا بالوقوف عند ما حد لهم والسكوت عما طوي عنهم سبيلهما وليس
قوله فحج آدم موسى إبطال حكم الطاعة ولا إسقاط العمل الواجب
ولكن معناه ترجيح أحد الأمرين وتقديم رتبة العلة على السبب فقد
تقع الحكمة بترجيح معنى أحد الأمرين فسبيل قوله فحج آدم موسى
هذا السبيل وقد ظهر هذا في قصة آدم قال الله تعالى (إني جاعل في
الأرض خليفة) إلى أن قال فجاء من هذا أن آدم لم تتم له أن يستديم
سكنى الجنة بأن لا يقرب الشجرة لسابق القضاء المكتوب عليه في الخروج
منها فبهذا صال على موسى عند المحاجة وبهذا المعنى قضى له على موسى
فقال فحج آدم موسى قلت ولهذا يقول الشيخ عبد القادر قدس الله
روحه كثير من الرجال إذا وصلوا إلى القضاء والقدر أمسكوا وأنا انفتحت
لي فيه روزنة فنازعت أقدار الحق بالحق للحق والرجل من يكون
منازعا للقدر لا موافقا له وهو رضي الله عنه كان يعظم الأمر والنهي
ويوصي باتباع ذلك وينهى عن الاحتجاج بالقدر وكذلك شيخه حماد
الدباس وذلك لما رأوه في كثير من السالكين من الوقوف عند القدر
المعارض للأمر والنهي والعبد مأمور أن يجاهد في سبيل الله ويدفع

ما قدر من المعاصي كما قدر من الطاعة فهو مطيع للمقدور والمحظور [illegible] ولله تعالى وهذا هو دين الله [illegible] الأولين والآخرين من الرسل صلوات الله عليهم أجمعين

ومن شيوخ هؤلاء [illegible] من [illegible] يكون [illegible] أنه [illegible] [illegible] لأنه كان [illegible]

وفي [illegible] فهذا [illegible] في [illegible] من [illegible] من أهل العلم [illegible] وهو [illegible] الإسلام

ومن هؤلاء من يقول الخضر [illegible] عنه الملام لأنه كان مشاهداً [illegible] ومن شيوخ هؤلاء من كان يقول [illegible] وقلت [illegible] [illegible] محدثاً

ومنهم من يتأول [illegible] قوله بحسب الإمكان فيكون [illegible] حتى [illegible] [illegible] شيء [illegible] [illegible] [illegible] ويقول [illegible] [illegible] والأقسام [illegible]

ومن هؤلاء الاتحادية الذين يقولون الوجود واحد ثم يقولون [illegible] يتصل من [illegible] وإذا اتصل استحق أن يكون رباً [illegible] ويقولون إن فرعون كان صادقاً في قوله أنا ربكم الأعلى وهذا قول طائفة من ملاحدة المتصوفة أهل [illegible] الاتحادية كالتلمساني والقول بالاتحاد العام المسمى وحدة الوجود وهو قول ابن عربي الطائي وصاحبه القونوي وابن سبعين وابن الفارض وأمثالهم لكن هم في الاتحاد والحلول

نزاع كما زعموا في ان الوجود هل هو شيء غير الذوات ام لا

وهؤلاء ضلوا من وجهه من جهة عدم الفرق بين الوجود الخالق والمخلوق ومشهود القدر فهل لا ريب ان الله تعالى خالق كل شيء ومليكه

والقدر هو قدرة الله كما قال الامام أحمد وهو المقدر لكل ما هو كائن لكن حقيقة الامر والنهي والوعد والوعيد من الافعال ما ينفع صاحبه فيحصل له به نعيم ومنها ما يضر صاحبه فيحصل له به عذاب [illegible] لكن تشترك جميع من جهة [illegible] والموجودات [illegible] لكن تفترق من جهة حكمه والامر لا [illegible] فمن اعتقد [illegible] الامر [illegible] وجعل [illegible] وعملوا [illegible] كالمفسدين في الارض [illegible] المتقين كالفجار [illegible] المسلمين كالمجرمين) [illegible] كانت حقيقة الفرق [illegible] من الامور فهو ملائم للانسان [illegible] يحصل له اللذة ومنها ما هو [illegible] بل [illegible] يرجع الفرق [illegible] والفرق معلوم [illegible] يجمع [illegible] موجود في جميع [illegible] والفرق [illegible] وهو الفرق [illegible] والفرق يرجع الى [illegible] مفطور على ان يكون [illegible] ملائم للانسان [illegible] ما ينافيه [illegible] قيل هذا حسن وهذا قبيح فهذا حسن [illegible]

بالنفاق عقلاء وشارعوا في الحسن والقبح بمعنى كون الفعل سببا للذم والعقاب هل يعلم بالعقل أم لا يعلم إلا بالشرع وكان من أسباب النزاع ... ... فليس في وجود حسن ... ... ولا قبح ... والمدح ... الاثم و ... من الاثم و ...

في ... في بعض أنواع الحسن و ... لا ... ولا ... من أنواعه ... يعلم ... الشرع و ... معلوم لعموم الخلق كالظلم والكذب ونحو ذلك

و ... في أمور منها ... الفعل ... حسنا وقبيحا وان الحسن ... هو كونه موافقا للمصلحة ... و ... الفعل بخلافه فهل في الشرع ... على ذلك وفي أن ... في الدنيا والآخرة هل يعلم ... وبسط هذا له موضع آخر

ومن الناس من أثبت قسما ثالثا للحسن والقبح وادعى الاتفاق عليه وهو كون الفعل صفة كمال أو صفة نقص وهذا القسم لم يذكره عامة المتقدمين المتكلمين في هذه المسئلة ولكن ذكره بعض المتأخرين كالرازي وأخذه عن الفلاسفة

والتحقيق أن هذا القسم لا يخالف الأول فان الكمال الذي يحصل ... نقص ... هو يعود الى الموافقة والمخالفة وهو اللذة و ... هو كمالا و ... بالنقص فيعود الكمال والنقص الى ... و ... وهذا مبسوط في موضع آخر

والمقصود هنا أن الفرق بين الأفعال الحسنة التي يحصل لصاحبها بها لذة وبين السيئة التي يحصل له بها ألم أمر حسي يعرفه جميع الحيوان فمن قال من المدعين لتحقيق القدرية والفناء في توحيد الربوبية والاصطلام إنه يبقى في عين الجمع بحيث لا يفرق بين ما يؤلمه وما يلذه كان هذا مما يعلم كذبه فيه إن كان يفهم ما يقول وإلا كان ضالا يتكلم بما لا يعرف حقيقته وهو الغالب على من يتكلم في هذا فإن القوم قد يحصل لأحدهم هذا المشهد مشهد الفناء في توحيد الربوبية فلا يشهد فرقا مدة ما في هذا المشهد وقد غيب عنه الإحساس بما يوجب الفرق مدة من الزمان فيظن هذا الفناء مقاما محمودا وغايته عقبة وإنما لأرباب التمكين وهذا غلط فإن عدم الفرق بين ما يسمع ويعدث أحيانا هو مثل عدم الفرق للنوم والنسيان والغفلة والاشتغال بشيء عن آخر وهو لا يزيل الفرق الثابت في نفس الأمر ولا يزيل الإحساس به إذا وجد سببه والواحد من هؤلاء لابد أن يجوع أو يعطش فلا يسوي بين الخبز والشراب وبين الملح الأجاج وبعد ذلك أمرت بل لابد أن يفرق بينه ويبغض هذا ويحب هذا وهذا هو الفرق بين كل ما أمر الله ورسوله به وما نهى عنه فإنه أمر بما يجب من التقوى والعمل ونهى عن الخبث والشرك فإن بين الفرق هو ل من الأمور يحصل ويوجب نفعه وبعضها يوجب ضرهم ويوجب لذة والعمل فإن هذه الأمور تدرك بالحس وبعضها تدركه النفس فهؤلاء الأمور الدنيا فيفرقون بين ما يحصل لهم منفعة في الدنيا وما يحصل لهم مضرة

وهذا من التعقل الذي ميز به الانسان فبه يدرك من عواقب الافعال ما لا يدركه الحس وبه يحقق في الامر ان يصون ما يجلب به المنفعة وما يدفع به الضرر ولله تعالى [illegible] تكمل القصر وقد اوهم حتى [illegible] في الآخرة ويخوف من عذاب الآخرة [illegible] من [illegible] ونحو ذلك هو [illegible] والامر والالام [illegible] و [illegible] يدرك هذا الفرق [illegible] عقله هو به معمور [illegible] من الشر [illegible] من الخير ولا ريب ان في الناس من [illegible] في بعض الاحوال ومن الناس من [illegible] الاصوات [illegible] فان ذلك قد [illegible] في [illegible] سكروا [illegible] من [illegible]

[illegible] في شرب الخمر [illegible] سكروا [illegible] من اولياء الله المتقين وفي [illegible] في السنة [illegible] هو كالذي [illegible] ولا هو [illegible]

[illegible]

كان السكر بأسباب محرم فهذا وشبهه رائج معروف بين العلماء والدين يذكرون عن أبي يزيد وغيره كلمات من الاتحاد الخاص وفي الفرق ويعذرونه في ذلك بسكر أو غلبة عقله حتى قال أنا الحق وسبحاني وما في الجبة إلا الله ويتأولونه إذا قوي على صاحبه وكان قلبه ضعيفاً يغيب بمحبوبه عن حبه وبموجوده عن وجده وبمذكوره عن ذكره حتى يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل

ويحكون أن شخصاً ألقى نفسه في الماء في محبة شخص ... فقال أنا وقعت فما أوقعك أنت فقال غبت بك عني فظننت أنك أني ... خاف أن يزول فهم ... يعلم ... ولا ... ولكن ... وجد وتقدمه أن ... لا يكون قوله تحقيقاً ويوجد كثير ... مثل ... وأبي الفريد وغيرهما كان لا ... تحقيقاً ويوجد كلام ... الطائفة من الصوفية ...

... هذا ...

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الربوبية ويقولون هو غاية يقولون بل الحلاج كان في غاية التحقيق والتوحيد

فهؤلاء في قتله فرقتان وفرقة تقول قتل مظلوما ومن كان يحوز [illegible] ومنهم من يدعي [illegible] ويقولون هم قتلوا الحلاج وهؤلاء من جنس الذين يقولون الشريعة ولنا حقيقة تخالف الشريعة والذين يتكلمون بهذا الكلام لا يعرفون ما أراد بلفظ الشريعة في كلام الله ورسوله وكلام سائر الناس ولا يفرقون بين الحقيقة أو الحق أو الدين أو التوحيد أو الوجد في كلام الله ورسوله وكلام سائر الناس بل فيهم من يظن الشرع عبارة عما يحكم به القاضي ومن هؤلاء من لا يميز بين القاضي العالم العادل والقاضي الجاهل والقاضي الظالم بل ما يحكم به حاكم سماه شريعة ولا ريب أنه قد تكون الحقيقة في نفس الأمر التي يحبها الله ورسوله خلاف ما يحكم به الحاكم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض وإنما أقضي بنحو مما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار والحاكم يحكم بما سمعه من البينة والإقرار وقد يكون للآخر حجة [illegible] ومثل هذا الشريعة في نفس الأمر هو الأمر الباطن وما قضى به القاضي في الظاهر وكثير من الأمور قد يكون ظلم ذلك في الظاهر بعض الناس ومن هذا الباب قصة موسى والخضر فإنه كان الذي فعله [illegible] حقيقة وهو شريعة شرعها الله لها ولم يكن ذلك مخا

الشرع لأنه لكن لما لم يعرف موسى الباطن كان في الظاهر عنده أن هذا لا يجوز فلما بين له الخضر الأمور وأنه لم يكن ذلك مخالفا للشرع وهذا الباب تمثيل فيه قد يكون الأمر في الباطن بخلاف ما يظهر فهذا صحيح لكن تسمية الباطن حقيقة والظاهر شريعة أمر اصطلاحي

ومن الناس من يجعل الحقيقة هي الأمر الباطن مطلقا والشريعة في الأمور الظاهرة وهذا كما أن لفظ الإسلام إذا قرن بالإيمان أريد به الأعمال الظاهرة وبلفظ الإيمان يراد به الأعمال التي في القلب كما في حديث جبريل وقد جمع بينهما فتبين شرائع الإسلام وحقائق الإيمان كان هذا كلاما صحيحا لكن متى أفرد أحدهم فكل شريعة ليس لها حقيقة فليس صاحبها من المؤمنين حقا وكل حقيقة لا توافق شريعة التي بعث الله بها محمدا صلى الله عليه وسلم فصاحبها ليس بمسلم فضلا عن أن يكون من أولياء الله المتقين وقد يراد بلفظ الشريعة ما يقوله فقهاء الشريعة باجتهادهم وبالحقيقة ما يذوقه ويجده الصوفية بوجدهم ولا ريب أن كلا من هؤلاء مجتهدون تارة يصيبون وتارة يخطئون وليس لواحد منهم عصمة فيه يسوغ له أن يتبع اجتهاد صاحبه ولا يجب على غيره اتباعه أن يقبل الأخرى إلا أن يأتي بحجة شرعية يجب موافقتها

فإن قيل فمن يقول إن الخروج في حق أحد وقتنا يخالف الحقيقة موافقة لما عليها هؤلاء وهذا ظن كثير من المتأخرين كما يثبت من الذي فعل عليه ما هو منكر وقتل بعض الصالحين مثل دعواه

انه تقدر أن ارض ... تحير ... ودسوه ان من فاه حج انه او

... طوف ... عمه لحي

أمور ... محمد

... وصوره

... وحق ... مكن

... ق لاذكاء ۲ الامع حواص

... ولا روي و ... شدون

من باح بالسر كان المثل شاهده * بين الرجال ولم تؤخذ له ثار

وأصحا

... * وكم دماء الأنجس ...

... يصاري في المسجح

... همرج

...

ومنه شرقي ...

... * ... من وحده ...

توحيد ... * ... أهله اوحد

توحيده ... توحيد ... ومن بعثه لاحد

... الحق ...

...

... خلاج

...

أن الخلق وسبحان من فرعون قال ذلك وهو يشهد نفسه فضلا عن نفسه
وأما أهل الفناء فهم نوعان من سوفسطائية وكل الناس على اسمهم عندهم
وهذا ما وقع فيه كثير من متصوفة المتأخرين وهذا رد الجنيد رحمه
الله على هؤلاء حيث بين وجه الفرق هو الفرق بين القديم والمحدث
و بين حدثين بعد الطائفة إلى التوحيد لأنهم لا يفرقون بين الرب
العبد وهذا يحبب لأنهم هؤلاء من يجرون هذا هو هم
وهؤلاء من الحلولية والمتحدين وهم

وأما من حلولية لاحتمال فهم يعتقدون أنهم من يقول
بأنه في كل مكان أو أنه وجود المخلوقات وقد بسط الكلام على
هؤلاء في غير هذا الموضع

والمقصود هنا أن الخلاف في كثير منه أصعب من هذه الأصناف
من كل من قال من الأقوال التي توجب الكفر والجزاء بما يقولونه
[illegible] في غير هذا الموضع

[illegible]

كان قد آمن بموسى وكان له شأن حدثه في أمور أخرى مبسوطة في غير هذا الموضع ولكن حجة آدم لما أكل هو وحواء من الشجرة فلم يكن [illegible] في شهود [illegible] ولا احتج على موسى [illegible] موسى على أمر [illegible] الله على [illegible] أن أحق وحتج بالقدر [illegible] في الاستسلام [illegible] بين المأمور والمحظور

(فصل) وقد عرف بهذا القول صواب في قصة آدم وموسى أن موسى لم يلم آدم إلا من جهة المصيبة التي أصابته وذريته بما فعل لا لأجل أن تارك الأمر مذنب عاص ولهذا قال لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة لم يقل لماذا خالفت الأمر ولماذا عصيت والناس مأمورون عند المصائب التي تصيبهم بأفعال الناس أو بغير أفعالهم بالتسليم للقدر وشهود الربوبية كما قال الله تعالى (ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه) قال ابن مسعود وغيره هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء الله فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان فأمره بالحرص على ما ينفعه وهو طاعة الله ورسوله فليس للعبد أنفع من طاعة الله ورسوله وأمره إذا أصابته مصيبة مقدرة أن ينظر إلى القدر ولا يتحسر بتقدير لا يفيد ويقول قدر الله وما شاء الله فعل ولا يقول لو أني فعلت كذا لكان كذا فيقدر ما لم يقع أي أنه لو كان وقع فإن ذلك إنما يورث حسرة وحزنا لا يفيد والمسلم

فالقدر هو الذي يعين كما قال بعضهم الأمور أمران أمر فيه حيلة فلا
تعجز عنه وأمر لا حيلة فيه فلا تجزع منه وما زال أئمة الهدى من
الشيوخ وغيرهم يوصون الإنسان بأن يفعل المأمور ويترك المحظور
ويصبر على المقدور وإن كانت تلك المصيبة بسبب فعل آدمي فلو كان
رجل أنفق ماله في المعاصي حتى مات ولم يخلف لولده مالا أو ظلم الناس
ظلما صاروا لأجله يبغضون أولاده ويحرمونهم ما يعطونه لأمثالهم لكان
هذه مصيبة في حق الأولاد حصلت بسبب فعل الأب فإذا قال أحدهم
لأبيه أنت فعلت بنا هذا قيل له هذا كان مقدوراً عليكم وأنتم مأمورون
بالصبر على ما يصيبكم والأب عاص لله فيما فعله من الظلم والتبذير ملوم على
ذلك لا يرتفع عنه ذم الله وعقابه بالقدر السابق فإن كان الأب قد تاب
توبة نصوحا وتاب الله عليه وغفر له لم يجز ذمه ولا لومه بحال لا من
جهة حق الله فإن الله قد غفر له ولا من جهة المصيبة التي حصلت لغيره
بفعله إذ لم يكن هو ظالماً لأولئك فإن تلك كانت مقدرة عليهم وهذا
مثل قصة آدم فإن آدم لم يظلم أولاده بل إنما ولدوا بعد هبوطه من
الجنة وإنما هبط آدم وحواء ولم يكن معهما ولد حتى يقال إن ذنبهما
تعدى إلى ولدهما ثم بعد هبوطهما إلى الأرض جاءت الأولاد فلم يكن
آدم قد ظلم أولاده ظلماً استحقوا به ملامه وكونهم صاروا في الدنيا
دون الجنة أمر كان مقدراً عليهم لا يستحقون به لوم آدم وذنب آدم
كان قد تاب منه قال الله تعالى (وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه
فتاب عليه وهدى) وقال (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) فلم يبق

[illegible] لمه و [illegible] وموسى [illegible] شق الله على [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] لاحتج به [illegible]
[illegible]

وقد روي في الاسرائيليات انه احتج به وهذا مما لا يصدق به لو كان محتملا وكيف وقد خالف أصول الاسلام بل أصول الشرع والعقل [illegible] ذكر الشرع [illegible] احتج لله [illegible] في [illegible] الاسرائيليات لا [illegible] [illegible] لاحتج [illegible] فقد احرجتنا من الجنة وأهبطتنا الى الارض

[illegible] قال وهو [illegible] أهبطني الى الارض

قال [illegible] قد يكون من تمامه [illegible] صالح عمله [illegible] بعد التوبة [illegible] قال تعالى (الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم) [illegible] (الا الذين تابوا وأصلحوا [illegible] فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) وقال انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم) وقال

في القذف (إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم) وقال (إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا) وقال (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى)

وكما تاب ماعز بن مالك وصاحبته من [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] قال النبي صلى الله عليه وسلم في الغامدية [illegible] لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله

وقد أخبر الله عن توبة عجل بني إسرائيل حيث قال موسى (يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم)

وإذا كان الله تعالى قد ابتلى العبد من الحسنات والسيئات والسراء والضراء [illegible] وصبره وشكره وجزعه وطاعته أم [illegible] حق [illegible] في الأرض [illegible] له وقد [illegible] لله في [illegible] وصحيح من [illegible] وهذا [illegible] الاحتجاج [illegible] المذكور [illegible] ولا [illegible]

وأما قول [illegible] نوح وهود وصالح وقوم لوط [illegible] وقوم [illegible] كل واحد من هؤلاء [illegible] الحجة [illegible]

وأيضا فقد شرع الله من عقوبة المجرمين من الكفار وأهل الذمة وقتل المرتد وعقوبة الزاني والسارق والشارب ما يبين ذلك

(فصل) وقد بين في كتابه في غير موضع وفي مواضع أن لوم من كان سببا في مصائبهم ومن جاءه الكتاب ولهذا قال الله تعالى (ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه) وقال تعالى (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير) وسواء في ذلك المصائب السماوية والمصائب التي تحصل بأفعال الآدميين قال تعالى (واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا) وقال (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا) وقال في سورة الطور بعد قوله فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فإني معكم من المتربصين) إلى قوله (أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون) إلى قوله (أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون أم عندهم الغيب فهم يكتبون واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم) ومما قال الله في سورة نون (أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون أم عندهم الغيب فهم يكتبون) وقال (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم) وقال تعالى في سورة ن (فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم)

وقد قيل في معناه اصبر لما حكم به عليك وقيل اصبر على أذاهم لقضاء ربك الذي هو آت والأول أصح

وحكم الله نوعان خلق وأمر فالأول ماقدره من المصائب والثاني مايأمر به وينهى عنه والعبد مأمور بالصبر على هذا وعلى هذا أن يصبر لما أمر به ولما نهي عنه فيفعل المأمور ويترك المحظور وعليه أن يصبر لما قدره الله عليه وقد قال المفسرون فقول هذه الآية منسوخة بآية السيف وهذا يتوجه إن كان في الآية النهي عن القتال فيكون هذا النهي منسوخا ليس جميع أنواع الصبر منسوخة كيف والآية لم تتعرض لذلك هنا لا نفي ولا إثبات بل الصبر واجب لحكم الله ومازال واجبا وإذا أمر بالجهاد فعليه أيضا أن يصبر لحكم الله فإنه يبتلى من قتالهم بما هو أعظم من كلامهم كما ابتلي به يوم أحد والخندق وعليه حينئذ أن يصبر ويفعل ماأمر به من الجهاد

والمقصود هنا قوله واصبر لحكم ربك فإن ما تعملونه من الأذى هو مما حكم به عليك قدرا فاصبر لحكمه وإن كانوا ظالمين في ذلك وهذا الصبر أعظم من الصبر على ما جرى وفعل بالأنبياء وقوله (فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم) وقال (وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات) وسواء كان مغاضبا لقومه أو لربه فكانت مغاضبته من أمر قدر عليه وصبره صبر لحكم ربه الذي قدره وقضاه وإن كان إنما نادى من تكذيب الناس له وقالت الرسل لقومهم ومالنا أن لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال موسى لقومه لما قال فرعون سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون قال موسى

لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) وقال (فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك) وقال تعالى (والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولاجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) فوعدهم نصرا على صبرهم وسبب نزولها المهاجرون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي عامة في كل من اتصف بهذه الصفة

وأصل المهاجر من هجر ما نهى الله عنه كما ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم فكل من هجر السوء وظلمه الناس على ترك الكفر والفسوق والعصيان حتى أخرجوه أو هجر بعض أموره في الدنيا وصبر على ظلمهم فإن الله يبوئه في الدنيا حسنة ولاجر الآخرة أكبر كيوسف الصديق فإنه هجر الفاحشة حتى أخذه ذلك إلى هجر منزله ولبث في السجن البعيد مظلوما ثم مكنه الله حتى تبوأ من الأرض حيث يشاء وقال عن السحرة (ربنا أفرغ علينا صبرا) وقال (إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين) وقال (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين)

وهذا كله صبر على مقدر من أفعال الخلق والله سبحانه مدح في آياته الصبار الشكور كما قال (إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) في

غير موضع فالصبر والشكر على ما يقدره الرب عليه من السراء والضراء من النعم والمصائب من الحسنات التي يبلوه بها والسيآت فعليه أن يتلقى المصائب بالصبر والنعم بالشكر ومن النعم ما ييسره له من أفعال الخير ومنها ما هي خارجة عن أفعاله فيشهد القدر عند فعله للطاعات وعند انعام الله عليه فيشكر ويشهده عند المصائب فيصبر وأما عند ذنوبه فيكون مستغفراً تائباً كما قال (فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك)، اما من عكس هذا فشهد القدر عند ذنوبه وشهد فعله عند الحسنات فهو من أعظم المجرمين ومن شهد فعلهما فيهما فهو قدري ومن شهد القدر فيهما وهو معترف بالذنب ولا يستغفر فهو من جنس المشركين

وأما المؤمن فيقول أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفر لي كما في الحديث الصحيح (يا عبادي انما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه)

وكان نبينا صلى الله عليه وسلم متبعاً ما أمر به من الصبر على أذى الخلق في الصحيحين عن عائشة قالت ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده خادماً له ولا دابة ولا شيئاً قط الا أن يجاهد في سبيل الله ولا نيل منه شيء قط فانتقم لنفسه الا أن تنتهك محارم الله فاذا انتهكت محارم الله لم يقم لغضبه شيء حتى ينتقم لله وقال أنس خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء لم أفعله لم لا فعلته وكان بعض أهله اذا عتبني على شيء يقول دعوه دعوه

علو وصى شيء اكان

وفي الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه انه ذكر النبي صلى الله عليه وسلم قول بعض من آذاه وقال دعنا منك ويرحم الله موسى فقد أوذي بأكثر من هذا فصبر فكان يصبر على أذى الناس له من الكفار والمنافقين وأذى بعض المؤمنين كما قال (إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم) وكان يذكر ان هذا مقدر وانه مأمور بأن يصبر على المقدور وكذلك قال (وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا) فالتقوى فعل المأمور وترك المحظور والصبر الصبر على أذاهم

ثم انه حيث أباح المعاقبة قال (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون) فاخبر ان صبره بالله فالله هو الذي يعينه عليه فان الصبر على المكاره بترك الانتقام من الظالم ثقيل على الانفس لكن صبره لله كما امره أن يكون لله في قوله (ولربك فاصبر) لكن هناك ذكره في الجملة الطلبية الامرية لانه مأمور بأن يصبر لله لا لغيره وهنا ذكر في الخبرية فقال وما صبرك الا بالله فان الصبر وسائر الحوادث لاتقع الا بالله ثم قد يكون ذلك وقد لايكون فما لا يكون بالله لا يكون وما لا يكون لله لا ينفع ولا يدوم ولا يقال واصبر بالله فان الصبر لا يكون الا بالله لكن يقال استعينوا بالله واصبروا مستعين بالله على الصبر وكما ان الانسان مأمور بشهود القدر وتوحيد الربوبية عند المصائب فهو مأمور بذلك عند ما ينعم الله عليه من فعل الطاعات فيشهد قبل فعلها

حاجته وفقره الى اعانة الله له وتحقق قوله اياك نعبد واياك نستعين ويدعو بالادعية التي فيها طلب اعانة الله له على فعل الطاعات كقوله أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وقوله يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ويامصرف القلوب اصرف قلبي الى طاعتك وطاعة رسولك وقوله (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب وقوله (وهب لنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا) ومثل قوله اللهم ألهمني رشدي واكفني شر نفسي ورأس هذه الادعية وأفضلها قوله (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)

فهذا الدعاء أفضل الادعية وأوجبها على الخلق فانه يجمع صلاح العبد في الدين والدنيا والآخرة وكذلك الدعاء بالتوبة فانه يتضمن الدعاء بان يلهم العبد التوبة وكذلك دعاء الاستخارة فانه طلب تعليم العبد مالم يعلمه وتيسيره له

وكذلك الدعاء الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو به اذا قام من الليل وهو في صحيح مسلم ربنا رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم

وكذلك الدعاء الذي فيه اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به الى جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا

مصائب بنيه وكذلك ادعية التابعين والعافية كما في حديث أبي بكر وكذلك قوله بهم أصلح لي قلبي وسني ومثل قول الخليل وإسماعيل ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) وهذه أدعية تتضمن افتقار العبد إلى الله في أن يعطيه الإيمان والعمل الصالح فهذا واجب وستحبه منة من حصول المطلوب فإذا حصل بالدعاء وغيره لمدعو شهد نعمة الله فيه وكان في مقام الشكر والعبودية لله وإن شهد حصول فضله وإحسانه لا بحول العبد وقوته

فشهود القدر في الطاعات من أنفع الأمور للعبد وغيبته عن ذلك من أضر الأمور به فإنه يكون قدريا منكرا لنعمة الله عليه بالإيمان والعمل الصالح وإن لم يكن قدري الاعتقاد كان قدري الحال وذلك يورث العجب والكبر ودعوى القوة والمنة بعمله واعتقاد استحقاق الجزاء على الله به فيكون من شهد العبودية مع الذنوب والاعتراف بها لا مع الاحتجاج بالقدر عليها خيرا من هذا الذي شهد الطاعة منه لا من احسان الله إليه ويكون أولئك المذنبون بما معهم من الايمان أفضل من طاعة بدون هذا الإيمان وأما من أذنب وشهد أن لا ذنب له أصلا لكون الله هو الفاعل وعند الطاعة شهد أنه الفاعل فهذا شر الخلق وأما الذي يشهد نفسه فاعلا للأمرين والذي يشهد ربه فاعلا للأمرين ولا يرى له ذنبا فهذا أسوأ عاقبة من القدري والقدري أسوأ حالة منه كما هو مبسوط في موضع آخر

والناس في هذا المقام أربعة فسام من يعصب لربه لا لنفسه وعكسه

ومن ينصب لها ومن لا ينصب لها كما انهم في شهود القدر أربعة أقسام من يشهد الحسنة من فعل الله والسيئة من فعل نفسه وعكسه ومن يشهد الاثنين من فعل الله ومن يشهد الاثنين من فعل نفسه فهذه الاقسام الاربعة في شهود الربوبية نظير تلك الاقسام الاربعة في شهود الالهية فهذا تقسيم [illegible] لله ولهم وذلك تقسيمهم في [illegible] لله وبهم والتقسيم [illegible] ان يعمل لله بالله ولا يعمل [illegible] ولا لنفسه

والمقصود هنا تقسيمهم فيما لله فالاقسام [illegible] حال النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه وهو ان ينتصروا على أعداء [illegible] ويجاهدون في سبيل الله فمأمورون [illegible] ويغضبون لله لا [illegible] مأمورون لأن الله يأمر بعقوبة ذلك الشخص [illegible] في [illegible] الحدود فهم عكس هؤلاء [illegible] قد أوذي أحدهم [illegible] ولو انتهكت محارم الله أو ضيعت حقوقه [illegible]

[illegible]

عن حقوقه فهذا أفضل وإن كان الاقتصاص جائزاً وكذلك عفوه لنفسه تركه أفضل وإن كان الاقتصاص جائزاً وأما ما كان من باب المصائب الخاصة بتقدير الله ولم يبق فيها مذنب يعاقب فالأمر فيها إلى الصبر والتسليم

وقصة آدم وموسى كانت من هذا الباب فإن موسى لامه لأجل المصيبة التي حصلت ... وآدم كان قد تاب من الذنب وغفر له والمصيبة كانت مقدرة فحج آدم موسى وهكذا قد يصيب الناس مصائب بفعل أقوام مذنبين ... مثل كافر يقتل مسلماً ثم يسلم ويتوب الله عليه أو يكون متأولاً ببدعة ثم يتوب من البدعة أو يكون مجتهداً أو مقلداً مخطئاً فهؤلاء إذا أصاب العبد أذى بفعلهم فهو من جنس المصائب السماوية التي لا يطلب فيها قصاص من آدمي

ومن هذا الباب القتال في الفتنة قال الزهري وقعت الفتنة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متوافرون فأجمعوا أن كل دم أو مال أو فرج أصيب بتأويل القرآن فهو هدر وكذلك قتال البغاة المتأولين حيث أمر الله بقتالهم إذا قاتلوا أهل العدل فأصابوا من أهل العدل نفوساً وأموالاً لم تكن مضمونة عند جماهير العلماء كأبي حنيفة ومالك والشافعي في أحد قوليه وهذا ظاهر مذهب أحمد

وكذلك المرتدون إذا صار لهم شوكة فقاتلوا المسلمين وأصابوا من دمائهم وأموالهم كما اتفق الصحابة في قتال أهل الردة أنهم لا يضمنون بعد إسلامهم ما أتلفوه من النفوس والأموال فإنهم كانوا متأولين وإن

كان تأويلهم باطلا

كما أن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المتواترة عنه مضت بأن الكفار إذا قتلوا بعض المسلمين وأتلفوا أموالهم ثم أسلموا لم يضمنوا ما أتلفوه من النفوس والأموال وأصحاب تلك النفوس والأموال كانوا يجاهدون في سبيل الله ممن اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فعوض ما أخذ منهم على الله لا على أولئك الكفار الذين قاتلهم المؤمنون وإذا كان هذا في الدماء والأموال فهو أولى

فمن كان مجتهداً في سبيل الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبيان ما جاء في الكتاب والسنة من الأمر والنهي والخبر وبيان الأقوال المخالفة لذلك والرد على من خالف الكتاب والسنة وبين ذلك كما أمر الله ورسوله فأوذي على جهاده بيد غيره أو لسانه فأجره في ذلك على الله لا يطلب من هذا الظالم عوض مظلمته بل هذا الظالم إن تاب وقبل الحق الذي جوهد عليه فالتوبة تجب ما قبلها

وإن كان كافراً ثم أسلم فالإسلام يهدم ما كان قبله وإن لم يتب بل أصر على مخالفة الكتاب والسنة فهو مخالف لله ورسوله والحق في ذلك لله ورسوله ولكن إن كان له فيه حق شخصي فهو يطلب حقه وإن عوقب عوقب لحق الله وسيكون كله لله تعالى عليه ويكون من تمام الاحتساب لمحض مصلحة فقط

والكفار إذا اعتدوا على المسلمين قبل أن يعفوا عنهم فللمسلمين أن يعفوا عنهم كما عفوا والصبر أفضل وإن عفوا كان ذلك من تمام الجهاد

والدعاء على جنس الظالمين الكفار مشروع مأمور به وشرع القنوت والدعاء للمؤمنين والدعاء على الكافرين وأما الدعاء على معينين كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يلعن فلانا وفلانا فهذا قد روي أنه منسوخ بقوله ليس لك من الأمر شيء كما قد بسطنا الكلام على ذلك في غير هذا موضع ومن كتبه تتمة مصر

وذلك لأن المعين لا يعلم إن رضي الله أن يهلكه بل قد يكون ممن يتوب الله عليه بخلاف الجنس فإنه إذا دعا عليهم بما فيه عز الدين وذل عدوه وقمعهم كان هذا دعاء بما يحبه الله ويرضاه فإن الله يحب الإيمان وأهل الإيمان ويحب علو أهل الإيمان وذل الكفار فهذا دعاء بما يحب الله وأما الدعاء على المعين بما لا يعلم أن الله يرضاه فغير مأمور به وقد كان يفعل ثم نهي عنه لأن الله قد يتوب عليه أو يعذبه ودعاء نوح على أهل الأرض بالهلاك كان بعد أن أعلمه الله أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ومع هذا فقد ثبت في حديث الشفاعة في الصحيح أنه يقول إني دعوت على أهل الأرض دعوة لم أومر بها فإنه وإن لم ينه عنها فلم يؤمر بها فكان الأولى أنه لا يدعو إلا بدعاء مأمور به واجب أو مستحب فإن الدعاء من العبادات فلا يعبد الله إلا بمأمور به واجب أو مستحب وهذا لو كان مأمورا به لكان شرعا لنوح ثم ننظر في شرعنا هل نسخه أم لا

وكذلك دعاء موسى بقوله (ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) إذا كان دعاء مأمورا به بقي

النظر في مواقعه شرعا له

والقاعدة الكلية في شرعنا أن الدعاء ان كان واجبا أو مستحبا فهو حسن يثاب عليه الداعي وإن كان محرما كالعدوان في الدعاء فهو ذنب ومعصية وإن كان مكروها فهو ينقص مرتبة صاحبه وإن كان مباحا مستوى الطرفين فلا له ولا عليه فهذا هذا والله سبحانه أعلم

(فصل) وكلا الصنفين الذين يسلكون إلى الله بمحض الارادة والمحبة ونحو ذلك من غير اعتبار بالأمر والنهي المنزلين من عند الله وهم الذين ينتهون إلى الفناء في توحيد الربوبية وهم يقولون بالجمع والاصطلام في توحيد الربوبية ولا يصلون إلى الفرق الثاني ويقولون إن صاحب الفناء لا يستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة ويجعلون هذا غاية السلوك والذين يفرقون بين ما استحسنوه واستقبحوه ويحبونه ويكرهونه ويأمرون به وينهون عنه لكن بإرادتهم ومحبتهم وهواهم لا بالكتاب المنزل من عند الله كلا الطائفتين متبع لهواه بغير هدى من الله وكلا الطائفتين لم يحققوا شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدا رسول الله فإن تحقيق الشهادة بالتوحيد تقتضي أن لا يحب إلا لله ولا يبغض إلا لله ولا يوالي إلا لله ولا يعادي إلا لله وأن يحب ما أحبه الله ويبغض ما أبغضه الله ويأمر بما أمر الله به وينهى عما نهى الله عنه وأنك لا ترجو إلا الله ولا تخاف إلا الله ولا تسأل إلا الله وهذا ملة ابراهيم وهذا الإسلام الذي بعث الله به جميع المرسلين

(والمقصود في هذا هو الفناء المأمور به) الذي جاءت به الرسل وهو

... بعبادته عن عبادة ما سواه وبطاعته عن طاعة ما سواه وبالتوكل عليه عن التوكل على ما سواه وبرجائه وخوفه عن رجاء ما سواه وخوفه ويكون مع الحق بلا خلق كما قال الشيخ عبد القادر كن مع الحق بلا خلق ومع الخلق بلا نفس وتحقيق الشهادة أن محمداً رسول الله يوجب أن تكون محبته تابعة لله وارضاؤه ارضاء الله ودين الله ما أمر به وحلال ما حلله وحرام ما حرمه ودين ما شرعه ولهذا طالب الله المدعين محبته بقوله (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) ووصف لمن اتبعه أن الله يحبه ... محبة تامة وصح حديث هذه البشارة لا يزال مريداً إلا بما أحبه الله ورسوله ويكره ما كرهه الله ورسوله وهذا هو الذي يحبه الحق كما قال ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه فهذا محبوب الحق ومن تبع الرسول فهو محبوب الحق وهو المتقرب إلى الله بما يحبه الرسول من فرض ونفل ومعلوم أن من كان هكذا فهو حافظ لحدود الله ورسوله ومن معصية الله ورسوله فإن الفرائض والنوافل كلها من الطاعات التي يحبها الله ورسوله ليس فيها كفر ولا فسوق ولا عصيان وإن ... في جنبه فما قدم محبوب الحق فإن الجزاء من جنس العمل

فلم يزل متقرباً إلى الحق بما يحبه من النوافل بعد الفرائض أحبه الحق فإنه اتبع ما يحبه في محبوب الحق فصار الحق يحبه المحبة التامة التي لا يصل إليها من هو دونه في التقرب إلى الحق بنوافله حتى صار محبوب الحق ومن أحبه الحق صار به يسمع وبه يبصر وبه يبطش وبه يمشي

وأما الذي لا يستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة فهذا لم يبق عنده الأمور على محبوب الحق ومكروهه بل كل مخلوق فهو عنده محبوب للحق كما أنه مراد له فهؤلاء أصل قولهم هو قول جهم بن صفوان من المجبرة فهم من غلاة الجهمية الجبرية في القدر وإن كانوا في الصفات يكفرون الجهمية نفاة الصفات كأبي إسماعيل الأنصاري صاحب منازل السائرين وذم الكلام والفاروق وتكفير الجهمية وغير ذلك فإنه في باب إثبات الصفات في غاية المنافاة للجهمية والنفاة وفي باب الأفعال والقدر قوله يوافق الجهم ومن اتبعه من غلاة الجبرية وهو قول الأشعري وأتباعه وكثير من الفقهاء أتباع الأئمة الأربعة ومن أهل الحديث والصوفية فهؤلاء أقرب من المعتزلة في هذا الباب وجمهور الأئمة وهم مصيبون في ذلك وجمهور القدرية من المعتزلة وغيرهم في القدر

ولكن سلكوا في ذلك مسلك جهم بن صفوان وأتباعه فرجعوا أن الأمور كلها تصدر عن إرادة تخصص أحد المتماثلين بلا سبب وقالوا الإرادة واحدة والرضاء سواء وافقه في ذلك القدرية

فإن الجهمية والمعتزلة كلاهما يقولون إن القادر المختار يرجح أحد

انما بين بلا مرجح وكلاهما تقول لا فرق بين الارادة والمحبة والرضا

ثم قالت القدرية وقد عرفنا بالكتاب والسنة واجماع السلف ان الله يحب الايمان والعمل الصالح ولا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر بل يكره الكفر والفسوق والعصيان قالوا فيلزم من ذلك أن يكون كل ما في الوجود من المعاصي واقعا بدون مشيئته وارادته كما هو واقع على خلاف أمره وخلاف محبته ورضاه وقالوا ان محبته ورضاه لاعمال عباده هو نفس أمره وكذلك ارادته لها هو بمعنى أمره لها فلا يكون عندهم مريدا لغير ما أمر به وجمهور هؤلاء يتأولون ما في القرآن من ارادته لكل محدث ومن جمهم الاولين المعتزلة والمحرفة

وقالت الجهمية ومن تبعهم من الاشعرية وأمثالهم قد علمنا بالكتاب والسنة والاجماع ان الله خالق كل شيء وربه ومليكه ولا يكون شيء الا بقدرته ومشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وكل ما في الوجود فهو بمشيئته وقدرته وهو خالقه سواء في ذلك افعال العباد وغيرها

ثم قالوا واذا كان مريدا لكل حادث والارادة هي المحبة والرضا فهو محب راض لكل حادث وقالوا كل ما في الوجود من كفر وفسوق وعصيان فان الله راض به محب له كما هو مريد له

فقيل لهم فقد قال تعالى لا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر فقالوا هذا بمنزلة ان يقال لا يريد الفساد ولا يريد لعباده الكفر وهذا صحيح على وجهين اما ان يكون خاصا بمن لم يقع منه الكفر والفساد ولا ريب ان الله لا يريد ولا يحب ما لم يقع عندهم فقالوا معناه لا يحب الفساد

العاصين المؤمنين ولا يرضاه لهم

وحقيقته قولهم إن الله لا يحب الايمان ولا يرضاه من الكفار الجملة والرضا عندهم كالارادة عندهم متماثلة لما وقع دون ما لم يقع سواء كان مأمورا به أو منهيا عنه وسواء كان من أسباب سعادة العباد أو شقاوتهم وعندهم أن الله يحب ما وجد من الكفر والفسوق والعصيان ولا يحب ما لم يوجد من الايمان والطاعة كما أنه هذا دون هذا

والوجه الثاني قالوا لا يحب الفساد ولا يرضاه دينا وحقيقة هذا القول أنه لا يريده دينا فانه اذا أراد وقوع الشيء على صفة لم يكن مريدا له على خلاف تلك الصفة وهو اذا أراد وقوع شيء مع شيء آخر وقوعه وحده فاذا أراد أن يخلق زيد من عمرو ولم يرد أن يخلقه من غيره واذا أراد أن ينزل مطرا تنبت الارض به فانه يريد انزاله على تلك الصفة واذا أراد أن يركب البحر قوم فيغرق بعضهم ويسلم بعضهم ويربح بعضهم فانما أراده على تلك الصفة وكذلك الايمان والكفر فان الايمان يحبه ويرضاه والكفر عذاب لا يحبه وان لم يكن عندهم حب يخص شيئا دون شيء ولا حكمة تخص شيئا دون شيء حكمة لكن جعل هذا مع هذا

وعندهم جعل الشيء مع الشيء لا لأنه كما يقولون انه حسن ... عند الله لكن لأنه قدر مرضيه هو يكون به سعادة صاحبه في الآخرة والكفر والفسوق والعصيان عندهم لأجله ويرضيه كما أراده كما يحبه مع سعادة صاحبه فيحبه دينا كما يريده مع سعادة صاحبه

فلم يحبه ويرضه كما أنه يريده مع محبة صاحبه فلم يرده دينا وهذا المشهد الذي يشهده أهل الفناء في توحيد الربوبية فهم رأوا الرب هو خالق كل شيء ومريده وعلم أن سيكون ما أراد ولا يبقى عندهم شيء ولا حكمة بل كل الحوادث تحدث بالإرادة

ثم الجهمية يصفون ونفاة الصفات من المعتزلة ونحوهم لا يثبتون إرادة قائمة بذاته بل إما أن ينفوها وإما أن يجعلوها بمعنى الخلق والأمر أو يقولوا تحدث إرادة لا في محل وأما مثبتة الصفات كابن كلاب والأشعري وغيرهما ممن يثبت الصفات ولا يثبت لا واحدا منها ولا يثبت لا إرادة واحدة تتعلق بكل حادث وسمعا واحدا متعلقا بكل مسموع وبصرا واحدا متعلقا بكل مرئي وكلاما واحدا يجمع جميع أنواع الكلام كما قد عرف من مذهب هؤلاء

وهؤلاء يقولون جميع الحوادث صادرة عن ذات الإرادة الواحدة العين المرادة في ترجيح أحد المتماثلين لا لمرجح وهي نحوه ووصف وغير ذلك وهؤلاء قد شهدوا هذا لم يبق عندهم فرق بين نوع الحوادث في الحسن والقبح إلا من حيث موافقتها للإنسان ومخالفتها له فما وافق مراده ومحبوبه كان حسنة عنده وما خالف ذلك كان قبيحة عنده لا يكون في نفس الأمر حسنة يحبها الله ولا سيئة يكرهها إذ عندهم أن الحسنة هي مقرونة بلذة صاحبها والسيئة مقرونة بألم صاحبها من غير فرق يعود إليه ولا إلى الأعمال أصلا ولهذا كان هؤلاء لا يثبتون حسنا ولا قبحا لا بمعنى الملائم للطبع والمنافي له والحسن والقبح الشرعي هو ما دل صاحبه على أنه

قد يحصل لمن وليه لذة أو حصول ألم له ولهذا يجوز عندهم أن يأمر الله بكل شيء حتى الكفر والفسوق والعصيان وينهى عن كل شيء حتى عن الايمان والتوحيد ويجوز نسخ كل ما أمر به بكل ما نهى عنه ولم يبق عندهم في الوجود خير ولا شر ولا حسن ولا قبيح الا بهذا الاعتبار فما في الوجود ضر ولا نفع والنفع والضر أمران اضافيان فربما نفع هذا ما ضر هذا كما يقال * مصائب قوم عند قوم فوائد *

فلما كان هذا حقيقة قولهم الذي يعتقدونه ويشهدونه صاروا حزبين حزب من أهل الكلام والرأي أقروا بالفرق الشرعي وقالوا فثم فرق لا الفرق الطبيعي بين الناس فما فرق يرجع الي الله بأنه يحب هذا ويبغض هذا

ثم منهم من ضعف عنده الوعد والوعيد اما لقوله بالارجاء وما لظنه ان ذلك لمصالح الناس في الدنيا اقامة للعدل كما تقول ذلك من يقوله من المتفلسفة ولا يبقى عنده فرق بين فعل وفعل الا مايحبه هو ويبغضه فما أحبه هو كان الحسن الذي ينبغي فعله وما أبغضه كان القبيح الذي ينبغي تركه

وقد صار كثير من أهل الكلام والرأي الذين يرون رأي جهم والأشعري ويخوضون في القدر حدهم لا يميزون في المحبة والبغضة والموالاة والمعاداة الا الى محض هواهم وارادتهم وهو الفرق الطبيعي ومن كان منهم مؤمناً بالوعد فانه قد يفعل الواجبات ويترك المحرمات لكن لاجل ما قرن بهما من الأمور الطبيعية في الآخرة من أكل وشرب ونكاح

وهؤلاء ينكرون محبة الله والتلذذ بالنظر إليه وعندهم إذا قيل إنه يتلذذون بالنظر إليه فمعناه أنهم عند النظر يخلق لهم من اللذات المخلوقات ما يتلذذون به لا أن نفس النظر إلى الله يوجب لذة

وقد ذكر هذا غير واحد منهم أبو المعالي في الرسالة النظامية وجعل هذا من أسرار التوحيد وهو من أسرار التوحيد الذي تسميه هؤلاء الجهمية توحيداً ليس من أسرار التوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب فإن المحبة لا تكون إلا لمعنى في المحبوب يحبه المحب وليس عندهم في الموجودات شيء يحبه لذاته لا بمعنى يريده وهو مريد لكل الحوادث ولا في الرب عندهم معنى يحبه العبد وإنما يحب العبد ما يشتهيه ويشتهي الأمور الطبيعية الموافقة لطبعه ولا يوافق طبعه عندهم إلا اللذات الحسية كالأكل والشرب والنكاح

وطوائف من الصوفية ممن كان هذا أصلهم مبنى سلوكهم على نوع من الحب وهم قد سلكوا على ترك هذه الأمور التي هي حظوظ النفس وأهوائها لا يريدون شيئاً لأنفسهم وعندهم أن من طلب شيئاً للأكل والشرب في الجنة فإنما طلب هواه وحظه وهذا كله نقص عندهم بل حقيقة الفناء في توحيد الربوبية وهو نفاه مع النفس وحظوظها والمشاهدات كلها عندهم التوكل والطاعة وغير ذلك إنما هي من منازل أهل الشرع السائرين إلى عين الحقيقة وإذا شهدوا توحيد الربوبية كان ذلك عندهم نازلاً في الحقيقة إما لنقص المعرفة والشهود وإما لأنه ذنب عن النفس وطلب حظوظها فإنه من شهد أن كل ما في

الوجود فالرب يحبه ويرضاه ويريده لافرق عنده بين شيء وشيء الا أن من الامور ما فيه حظ لبعض الناس من لذة يصيبها ومنها ما فيه ألم لبعض الناس فمن كان هذا مشهده فانه قطعاً يرى أن كل من فرق بين شيء وشيء لم يفرق الا لنقص معرفته وشهوده ان الله رب كل شيء ومريد لكل شيء ومحب على قولهم لكل شيء،

واما الفرق يرجع الى حظه وهواه فيكون طالبا لحظه دالا عن نفسه وهذه علة وعيب عندهم فصار عندهم كل من فرق اما ناقص المعرفة والشهادة واما ناقص القصد والارادة وكلاهما عيب بخلاف صاحب الفناء في مشهد الربوبية فانه يشهد كل ما في الوجود مرادا له ومحبوبه ومرضيه عنده لا فرق بين شيء وشيء فلا يستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة كما قاله صاحب منازل السائرين

ولهذا في الكلام المنقول عن الشبلي وأبي يزيد انه قال اما رأيت أهل الجنة يتنعمون في الجنة وأهل النار يعذبون في النار ونحو ذلك فرق خرجت عن حقيقة التوكل أو قال التوحيد الذي هو أصل التوكل ومعلوم ان هذا الفرق لايعدم من الحيوان دائما بل لابد له منه فيقال لمن لابد له منه من أكل وشرب كما في حاله وقد يكون مستغرقا في ذلك الشهود ولكن لابد أن ينتقل الى أمور يحتاج اليها فيريدها وأمور يضره فيكرهها وهذا فرق طبيعي لايخلو منه بشر لكن قد يتولون بالفرق في الامور الطبيعية التي لايقوم الانسان الا بها من طعام ولباس ونحو ذلك فيكونون في الدنيا والآخرة لابد

نفسه من طعام ولباس ونحو ذلك وهذا الزهد هو الغاية فيزهدون في كل شيء تسميه لا يريدونه ولا يكرهونه ولا يحبونه ولا يبغضونه ويكون زهدهم في المساجد كزهدهم في الحانات ولهذا اذا قدم الشيخ كثير منهم بلداً يبدؤ بالحانات في الحانات و يقول كيف أنتم في قدر الله فانه لا فرق عنده في هذا المشهد بين المساجد والكنائس والحانات و بين أهل الصلاة والاحرام وقراءة القرآن وأهل الكفر وقطاع الطريق والمشركين بالرحمن ولا ريب ان فناءهم وغيبتهم عن شهود الالهية والنبوة شهادة ان لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله وما تضمنه من الفرق يرجع الى نقص العلم والشهود والايمان والتوحيد فشهدوا معاني نعوت الرب وغابوا عن آخر وهذا نقص وقد يرون أن شهود الذات مجردة عن الصفات أكمل ويقولون شهود الافعال ثم شهود صفات ثم شهود الذات مجرده

ونحو هؤلاء يقولون بنفس وحق الفناء واثبات الروح ويحبون هذا التنقص من ايمانهم ومعرفتهم وشهودهم هو الغاية ويكونون مصاهين للجهمية نفاة الصفات حيث أثبتوا ذاتاً مجردة عن الصفات وقالوا هذا هو الكمال لكن أولئك يقولون بانتفائها في الخارج ويقولون انهم يشهدون انها منتفية باعتقادها في الخارج يقولون انهم يشهدون أنها منتفية وهؤلاء يثبتونها في الخارج علما واعتقاداً ولكن يقولون الكمال في أن يغيب عن شهودها ولا يشهدون نفيها لكي لا يشهدوا ثبوتها وهذا نقص عظيم وجهل عظيم أولا فلانهم شهدوا الامر على خلاف ما هو

عليه فذات مجردة عن الصفات لا حقيقة لها في الخارج وأما الثاني فهو مطلوب الشيطان من الجهمية ونفاة الصفات فإن عدم العلم والشهود شيء لو وفق فيه الجهمي المعتقد لإثباتها

ومن قال أعتقد أن محمداً ليس برسول وقال الآخر وإن كنت أعلم رسالته فلا أحبها ولا أذكرها ولا أشهدها فهذا كافر كالأول والكفر عدم تصديق الرسول سواء كان معه اعتقاد تكذيب أم لا بل وعدم الإقرار بما جاء به ومحبته فمن ألزم قلبه أن يغيب عن صفات الله كما يعرف ذاته وألزم قلبه أن يشهد ذاتاً مجردة عن الصفات فقد ألزم قلبه أن لا يحصل له مقصود إلا بالصفات وهذا من أعظم الضلال

وأهل الفناء في توحيد الربوبية قد يظن أحدهم أنه إذا لم يشهد إلا فعل الرب فيه فلا إثم عليه وهم في ذلك بمنزلة من أكل السموم القاتلة وقال أنا أشهد أن الله هو الذي أطعمني فلا تضرني وهذا جهل عظيم فإن الذنوب والسيئات تضر الإنسان أعظم مما تضره السموم وشهوده أن الله فعل ذلك لا يدفع ضررها ولو كان هذا دافعاً ضررها لكان [illegible] الله [illegible] ومن قدر على هذا الشهود الذي يدفعون عن أنفسهم ضرر الذنوب

ومن هؤلاء من يظن أن [illegible] وفيه حظ يصرف همته ويكدها بحبسه على صرفه [illegible] من ذا [illegible] ملكاً لم يحبسه على صرفه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد فأخبر أنه مع أنه

المعطى المانع فلا يسمع المحدود حده انما ينفعه الايمان والعمل الصالح وبهذا أصل عصيم ضـل بالخطأ فيه خلق كثير حتى آل الامر بكثير من هؤلاء الى أن جعلوا أولياء الله المتقين يقاتلون أنبياءه ويعاونون أعداءه ويرون أنهم مأمورون بذلك وهو أمر شيطانى قدرى

ولهذا يقول من يقول منهم ان الكفار لهم خفراء من أولياء الله ويظن كثير منهم ان أهل الصفة قاتلوا النبى صلى الله عليه وسلم في بعض المغازى فقال يا أصحابى تخذلونى وتدعون عنى فقالوا نحن مع الله من كان مع الله كنا معه

ويحتجون بقتال الاعداء وقتلهم كما قال شيخ مشهور منهم كان بالشام لو قتلت سبعين نبيا ما كنت مخطئا فانه ليس في مشهدهم لله محبوب مرضى مراد الا ما يقع فما وقع فالله يحبه ويرضاه وما لم يقع فالله لا يحبه ولا يرضاه والواقع هو تبع القدر بمشيئته لله وقدرته فهو شاء كل ومنه يتنكر كل منهم من شيء ويكون معه لأن من عنده كان القدر معه والمقدور عنده هو محبوب الحق فاذا غلب الكفار كانوا معهم واذا غلب المسلمون كانوا معهم واذ كان الرسول منصورا كانوا معه واذا غلب أصحابه كانوا مع الكفار الذين غلبوهم وهؤلاء الذين يصلون الى هـذا الحد منهم لا يعرف وعد الآخرة فان من أقر بوعد الآخرة وانه للكفار لم تكنه أن يكون معاونا للكفار مواليا لهـم على ما يوجب وعد الآخرة

لكن قد يتولون بسقوطه مطلقا وقد يقولون بسقوطه عمن شهد

توحيد الربوبية وكان في هذه الحقيقة القدرية وهذا تقوله طائفة من شيوخهم كالشيخ المذكور وغيره فلهذا يوجد هؤلاء الذين يشهدون القدر المحض وليس عندهم غيره الا ماهو قدر أيضا من تميز أهل الطاعة وعقوبة أهل المعصية لايأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر ولا يجاهدون في سبيل الله ولا يدعون الله بنصر المؤمنين على الكفار بل اذا رأى احدهم من يدعو قال الفقير والمحقق أو العارف ماله وهذا يفعل الله مايشاء ويختار من يريد فان عنده ان الجميع واحد بالنسبة الى الله وبالنسبة اليه أيضا فانه ليس له غرض في نصر احدى الطائفتين لامن جهة ربه فانه لافرق على رأيه عند الله تعالى بينهما ولا من جهة نفسه فان حظوظه لاتنقص باستيلاء الكفار بل كثير منهم تكون حظوظه الدنيوية مع استيلاء الكفار والمنافقين و عامة اعظم وعامة من فيهم من الخفراء هم من هذا الضرب فان لهم حظوظا ينالونها باستيلائهم لاتحصل لهم باستيلاء المؤمنين وشياطينهم تحب تلك الحظوظ المذمومة و تعرض لطالبهم وتخاطبهم الشياطين بأمور يرى وكشف يظنونه من جهة الله و ان الله هو أمرهم ونهاهم و به حصل لهم من المكاشفة ما يحصل لاولياء الله المتقين و يكون ذلك كله من الشيطان وهم لايفرقون بين الاحوال الرحمانية والشيطانية لان الفرق مبنى على شهود الفرق من جهة الرب تعالى وعندهم لافرق بين الامور الحادثة كلها من جهة الله تعالى انما هو مشيئة محضة ليس لاشيء سبب ولا لاحد ولا يحب شيئا ولا يبغض شيئا وهذا اشترك هؤلاء في جنس

السماع الذي يهيج ما في النفوس من الحب والوجد والذوق ويثير من قلب كل أحد حبه وهواه وأذواقهم بقدره فإنهم لم يجتمعوا على محبة ميحبة الله ورسوله إذ كان محبوب الحق على أصل قولهم هو ما قدره موقع وإذ اختلفت أهواؤهم في الوجد اختلفت أهواء شياطينهم فقد يقتل بعضهم بعضاً بشياطينه لأنها أقوى من شياطين ذلك

وقد يسلبه ما معه من الحال الذي هو التصرف والمكاشفة الحاصلة له بسبب شياطينهم فتكون شياطينه هربت من شياطين ذاك فضعف أمره وسلب حاله كمن كان ملكا له أعوان فاستحدث أعوانه وبقي ذليلا لا ملك له

وكثير من هؤلاء كملوك الظلمة الذين يعتدي بعضهم على بعض إما مقتول وإما مأسور ومقهور ومنهم من أسره غيره فبقي تحت تصرفه ومنهم من سلبه غيره فبقي لا حال له كما كان يعرفه وهذا كله من [illegible] في [illegible]

وقد يحصل من هذا كله من يعبد الله محبة أصل الأمور وأبغضها لبعضها ورضا لبعضها وبغضا من بعضها وفرحا ببعضها وسخطاً لبعضها كما أخبرت به الرسل ووصفت به الكتب وهذا هو الذي يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وعلم أن التوحيد الذي بعثت به الرسل أن يعبد الله وحده لا شريك له ويعبد الله دون ما سواه

وعبادته تجمع كمال محبته وكمال الذل له كما قال تعالى (وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له) وأناب قلبه إلى الله وأسلم له واتبع ملة إبراهيم حنيفا

ومن احسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا) وسلم لما أمر الله ورسوله به فان الله يحبه ويرضاه وما نهى عنه فانه يبغضه وينهى عنه ويعاقب عليه ويسخط على فاعله فهذا الشهود يفرق من جهة الحق تعالى ويعلم ان الله تعالى يجب أن يعبد وحده لا شريك له ويبغض من يجعل له اندادا يحبونهم كحب الله وان كانوا مقرين بتوحيد الربوبية كمشركي العرب وغيرهم وان هؤلاء القدرية الجبرية الجهمية اهل الفناء في توحيد الربوبية حقيقة قولهم من جنس قول المشركين الذين قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء قال الله تعالى (كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين) فان هؤلاء المشركين لما أنكروا ما بعثت به الرسل من الامر والنهي وأنكروا التوحيد الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له وهم يقرون بتوحيد الربوبية وان الله خالق كل شيء ما بقي عندهم من فرق من جهة الحق بين مأمور ومحظور

فقالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء وهذا حق فان الله لو شاء لما كانوا هم مشركين لكن لا حجة لهم في هذا فهم بمشيئته مشركون وانما الحجة في القدر ولا يريد كل مقدرا ان يكون محبوبا مرضيا ولا علم عندهم بان الله أمر ولا أحبه ولا رضيه ان يستندون في ذلك الا على ظن وخرص

فان احتجوا بالقدر فالقدر عام لا يخص مخالفهم وان قالوا نحن نحب هذا ونسخط هذا فنحن نفرق الفرق الطبعي لا نتبع الفرق من جهة الحق تعالى ولا علم عندكم بما بعد الفرق من جهة الله تعالى

والجهمية المثبتة للشرع تقول بأن الفرق الثابت هو ان التوحيد قرن به النعيم والشرك قرن به العذاب وهو الفرق الذي جاء به الرسول وهو عندهم يرجع الى علم الله بما يكون واخباره

بل هؤلاء لا يرجع الفرق عندهم الى محبة منه لهذا وبغض لهذا وهؤلاء يوافقون المشركين في بعض قولهم لا في كله كما ان القدرية من الامة الذين هم مجوس الامة يوافقون المجوس المحضة في بعض قولهم لا في كله والا فالرسول قد دعاهم الى عبادة الله وحده لا شريك له والى محبة الله دون ما سواه والى أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما والمحبة تتبع الحقيقة فان لم يكن المحبوب في نفسه محبوبا لان يحب لم يجز الامر بمحبته فضلا عن ان يكون أحب اليه من كل ما سواه واذا بطل محبته محبة عبادته وطاعته فان محبته لعبادته واطاعته فرع على محبة نفس المطاع وكل من لم يحب في نفسه لم تحب عبادته وطاعته

ولهذا كان الناس يبغضون طاعة الشخص الذي يبغضونه ولا يمكنهم مع بغضه محبة طاعته الا لغرض آخر محبوب مثل عوض يعطيهم على طاعته فيكون المحبوب في الحقيقة هو ذلك العوض ولا يكون الله ورسوله أحب اليهم مما سواهما الا بمعنى أن العوض الذي يحصل على

ذلك من المخلوقات أحب إليهم من كل شيء ومحبة ذلك العوض مشروط بالشعور به فلا يشعر به تتبع محبته

وإذا قيل هم قد وعدوا على محبة الله ورسوله بأن يعطوا أفضل محبوباتهم المخلوقة

قيل لا معنى لمحبة الله ورسوله عندكم إلا محبة ذلك العوض والعوض غير مشعور به حتى يحب وإذا قيل بل إذا قال من لا يحب ذاته لغيره بمعنى فيك إذا أطعتني أعطيتك أعظم ما تحبه صار محباً لذلك الآمر له قيل ليس الأمر كذلك بل يكون قاصداً وارباً من محبة ذلك الأمر وإنما هو متعلق بوعده من العوض على عمله كالفعلة الذين يعملون من البناء والخياطة والنساجة وغير ذلك ما يطلبون به أجورهم فهم قد لا يعرفون صاحب العمل أولا يحبونه ولا لهم غرض فيه إنما غرضهم في العوض الذي يحبونه

وهذا أصل قول الجهمية والقدرية والمعتزلة الذين ينكرون محبة الله تعالى وهذا قالت المعتزلة ومن أتبعها من الشيعة إن معرفة الله وجبت لكونها لطفاً في أداء الواجبات العقلية فجعلوا أعظم المعارف تبعاً لغيره وجعلوه تبعاً للعمل وهم ينكرون محبة الله والنظر إليه فصار عن لذة النظر

وابن عقيل لما كان في كثير من كلامه طائفة من كلام المعتزلة سمع رجلا يقول اللهم إني أسألك لذة النظر إلى وجهك فقال هذا هب أن له وجهاً فتتلذذ بالنظر إليه وهذا الدعاء مأثور عن النبي صلى الله عليه

وسلم في الحديث الذى رواه النسائي وغيره عن عمار عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال في الدعاء اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي اللهم انى اسألك خشيتك فى الغيب والشهادة وأسألك كلمة الحق فى الغضب والرضا وأسألك القصد في الفقر والغنى وأسألك نعيما لا ينفد وأسألك قرة عين لا تنقطع وأسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت وأسألك لذة النظر الى وجهك الكريم والشوق الى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين

وقد روي هذا اللفظ من وجه آخر عن النبى صلى الله عليه وسلم أيضه من رواية زيد بن ثابت ومعناه في الصحيح من حديث صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناديا أهل الجنة ان لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون ماهو ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار قال فيكشف الحجاب فينظرون اليه فما أعطاهم شيئا أحب اليهم من النظر اليه وهى الزيادة أى قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة فقد أخبر أنه ليس فيما أعطوه من النعيم أحب اليهم من النظر اليه واذ كان النظر اليه أحب الاشياء اليهم علم أنه نفسه أحب الاشياء اليهم ولا لم يكن النظر أحب انواع النعيم اليهم فان محبة الرؤية تبع لمحبة المرئى وما لا يحب ولا يقصد في نفسه لا تكون رؤيته أحب الى الانسان من جميع انواع النعيم

وفى محبة الله وانكار رؤيته ومحبة والكلام فيه معروف من كلام

الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم والأشعرية ومن تابعهم يوافقونهم على نفي المحبة ويخالفونهم في إثبات الرؤية ولكن الرؤية التي يثبتونها لا حقيقة لها

وأول من عرف عنه في الإسلام أنه أنكر أن الله يتكلم وأن الله يحب عباده الجعد بن درهم ولهذا أنكر أن يكون اتخذ الله إبراهيم خليلا أو كلم موسى تكليما فضحى به خالد بن عبد الله القسري وقال ضحوا أيها الناس تقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهم إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا ثم نزل فذبحه

وأما الصوفية فهم يثبتون المحبة بل هذا أظهر عندهم من جميع الأمور وأصل طريقتهم إنما هي الإرادة والمحبة وإثبات محبة الله مشهور في كلام أولاهم وأخراهم كما هو ثابت بالكتاب والسنة واتفاق السلف

والمحبة جنس تحته أنواع كثيرة وكل عابد فهو محب للمعبود والمشركون يحبون آلهتهم كما قال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله) وفيه قولان أحدهما يحبونهم كحب المؤمنين لله والثاني يحبونهم كما يحبون الله لأنه قال (والذين آمنوا أشد حبا لله) فلم يكن أن يقال إن المشركين يحبون آلهتهم كما يحب الموحدون لله بل كما يحبونه لله فإنهم يعدلون آلهتهم برب العالمين كما قال (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) وقال (تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين) وقد قال آخرون من نصر القول الأول في الجواب عن حجة القول الثاني قال المفسرون قوله (والذين آمنوا

أشد حباً لله) أي أشد حباً لله من المشركين لآلهتهم ويقال له ماقاله هؤلاء المفسرون مناقض لقولك فانك تقول انهم يحبون الانداد كحب المؤمنين لله وهذا يناقض أن يكون المؤمنون أشد حباً لله من المشركين لاربابهم فمن صنف هذا لقول وثبت ان المؤمنين يحبونهم أكثر من محبة المشركين لله ولآلهتهم لان أولئك أشركوا في المحبة والمؤمنون أخلصوها كلها لله وأيضاً فقوله كحب الله أضيف فيه المصدر الى المحبوب المفعول وحذف فاعل الحب فهو لم يذكر حب الله من غير تعيين فاعل فبقي عاما في حق الطائفتين وهذا نص قوله (والذين آمنوا أشد حباً لله وأما أن يراد كحبهم لله ولا يجوز أن يراد كما يحب غيرهم لله اذ ليس في الكلام مايدل على هذا بخلاف حبهم فانه قد دل عليه قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله فأضيف الحب الثاني اليهم وكذلك الحب المشبه بهم اذ كان سياق الكلام يدل عليه اذا قال يحب زيد كحب عمرو أو يحب علياً كحب أبي بكر أو يحب صالحين من غير أهله كحب الصالحين من أهله أو قيل يحب الباطل كحب الحق أو يحب سماع المكاء والتصدية كحب سماع القرآن وامثال ذلك لم يكن المفهوم لانه هو يحب نفسه ونفسه به فانه يحب هذا كما يحب هذا لايفهم منه أنه يحب هذا كما يحب غيره هذا اذ ليس في الكلام مايدل على محبة غيره أصلاً

واستصوب ان محبته تكون اتخاذه إلهاً من دون الله وقد قال تعالى (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم) فمن كان يعبد

ما يهواه فقد اتخذ إلهه هواه فأهوى به هواه فهو لا يأله من يعلم أن يستحق التأله بل يأله ما يهواه وهذا المتخذ إلهه هواه له محبة كمحبة المشركين لآلهتهم ومحبة عباد العجل له وهذه محبة مع الله لا محبة لله وهذه محبة أهل الشرك والنفوس قد تدعي محبة الله وتكون في نفس الأمر محبة شرك تحب ما تهواه وقد أشركته في الحب مع الله وقد يخفى الهوى على النفس فإن حبك الشيء يعمي ويصم

وهكذا الأعمال التي يظن الإنسان أنه يعملها لله وفي نفسه شرك قد خفي عليه وهو يعمله إما لحب رياسة وإما لحب مال وإما لحب صورة ولهذا قالوا يا رسول الله الرجل يقاتل شجاعة وحمية ورياء فأي ذلك في سبيل الله فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله

فلما صار كثير من الصوفية النساك المتأخرين يدعون المحبة ولم يزنوها بميزان العلم والكتاب والسنة دخل فيها نوع من الشرك واتباع الأهواء والله تعالى قد جعل محبته موجبة لاتباع رسوله فقال (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وهذا لأن الرسول هو الذي يدعو إلى ما يحبه الله وليس شيء يحبه الله إلا والرسول يدعو إليه وليس شيء يدعو إليه الرسول إلا والله يحبه فصار محبوب الرب ومدعو الرسول متلازمين بل هذا هو هذا في ذات وإن تنوعت الصفات فكل من ادعى أنه يحب الله ولم يتبع الرسول فقد كذب ليست محبته لله وحده بل إن كان يحبه فهي محبة شرك فإنما يتبع ما يهواه كدعوى اليهود والنصارى محبة الله فإنهم لو أخلصوا له المحبة لم يحبوا إلا ما أحب فكانوا يتبعون الرسول

فلما أحبوا ما أبغض الله مع دعواهم حبه كانت محبتهم من جنس محبة المشركين وهكذا أهل البدع فمن قال إنه من المريدين لله المحبين له وهو لا يقصد اتباع الرسول والعمل بما أمر به وترك ما نهى عنه فمحبته فيها شوب من محبة المشركين واليهود والنصارى بحسب ما فيه من البدعة فإن البدع التي ليست مشروعة وليست مما دعا إليه الرسول لا يحبها الله فإن الرسول دعا إلى كل ما يحبه الله فأمر بكل معروف ونهى عن كل منكر

وأيضا فمن محبة الله ورسوله بغض من حاد الله ورسوله والجهاد في سبيله لقوله تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه) وقال تعالى أيضا (ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون) وقال تعالى (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده)

فأمر المؤمنين أن يتأسوا بإبراهيم ومن معه حيث أبدوا العداوة والبغضاء لمن أشرك حتى يؤمنوا بالله وحده فإن هذا من حال من لا يحسن حسنة ولا يستقبح سيئة وهؤلاء سلكوا طريق الإرادة والمحبة مجملا من

عن الاعتصام بالكتاب والسنة كذلك أهل الكلام والرأي طريق النظر والبحث من غير اعتصام بالكتاب والسنة فوقع هؤلاء في ضلالات وهؤلاء في ضلالات كما قال تعالى (فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) وقال (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وقال (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) وقال (قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها) ومثل هذا كثير في القرآن وقد بسط الكلام على هذا الأصل في غير هذا الموضع

فإن قال صاحب الفناء في توحيد الربوبية قد شهد أن الرب خالق كل شيء وقد يكون من باب الحكمة فيقول إنما خلق المخلوقات لحكمة وهو يحب تلك الحكمة ويرضاها وإنما خلق ما يكرهه لما يحبه والذين فرقوا بين المحبة والإرادة قالوا إن المريض يريد الدواء ولا يحبه وإنما يحب ما يحصل به وهو العافية وزوال المرض فالرب تعالى خالق الأشياء كلها بمشيئته فهو مريد لكل مخلوق وما خلقه من الحكمة وإن كان لا يحب بعض المخلوقات من الأعيان والأفعال لكنه يحب الحكمة التي خلق لأجلها فالعارف إذا شهد هذا أحب أيضا أن يخلق لتلك الحكمة وتكون الأشياء مراده محبوبة له كما هي للحق فهو وإن كره الكفر والفسوق والعصيان لكن ما خلقه الله فإنه خلقه لحكمة وأراده فهو

مراد محبوب باعتبار غايته لا باعتباره في نفسه

فمن شهد هذا المشهد فهو يستحسن ما أحبه الله وأمر به ورضيه ويستقبح ما كرهه الله وسخطه ولكن إذا كان الله خلق هذا المكروه لحكمة يحبها فالعارف هو أيضاً كرهه وسخطه كما كرهه الله ولكن يحب الحكمة التي خلق لأجلها ويكون حبه وبغضه موافقاً لعلم الله وحبه لأنه بكل شيء عليم حكيم

فهو يرى الأشياء على ما هي عليه وهو حكيم فيما يحبه ويريده ويتكلم به ويأمر به ويبغضه وقد كان عليه أن يفعل الملائكة والسوء الفعال متصفاً بما هو مذموم لأجله مستحق للبغض والكراهة كان من حكمته أن يبغضه ويكرهه وإذا كان يعلم أن في وجوده حصول حكمة محبوبة محمودة كان من حكمته أنه يخلقه ويريده لأجل تلك الحكمة المحبوبة التي هي وسيلة إلى حصوله وإذا قيل ان هذا الوسط يحب باعتبار ما اتصف به من الصفات المذمومة كان هذا حسناً كما تقول ان الانسان قد يبغض الدواء من وجه ويحبه من وجه وكذلك أمور كثيرة يحب من وجه ويبغض من وجه

وأيضاً يجب الفرق بين أن يكون مضرا بالشخص مكروهاً له بكل اعتبار وبين أن يكون الله خلقه لحكمة في ذلك وإذا كان الله خالق كل شيء لحكمة له في ذلك فإذا شهد العبد أن له حكمة ورأى هذا مع الجمع الذي يشترك فيه المخلوقات فلا بد مع ذلك أن يشهد ما بينهما من الفرق الذي فرق الله به بين أهل الجنة وأهل النار بل لا بد من شهود

الفرق في ذلك الجمع وهذا الشهود مطابق لعلم الله وحكمته والله أعلم

وقد قال الله تعالى (قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين)

فاخبر أن من كان محبوبه أحب اليه من الله ورسوله والجهاد في سبيله فهو من أهل الوعيد وقال في الذين يحبهم ويحبونه (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) فلا بد لمحب الله من متابعة الرسول والمجاهدة في سبيل الله بل هذا لازم لكل مؤمن قال تعالى (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) فهذا حب المؤمن لله

وأما المحبة الشركية فليس فيها متابعة للرسول ولا بغض لعدوه ومجاهدة له كما يوجد في اليهود والنصارى والمشركين يدعون محبة الله ولا يتابعون الرسول ولا يجاهدون عدوه

وكذلك أهل البدع المدعون للمحبة فهم من الاعراض عن اتباع الرسول بحسب بدعهم وهذا من حبهم لغير الله وتجدهم من أبعد الناس عن موالاة أولياء الرسول ومعاداة أعدائه والجهاد في سبيله لما فيهم من البدع التي هي شعبة من الشرك والذين ادعوا محبة من الصوفية وكان قولهم في القدر من جنس قول الجهمية المجبرة هم في آخر الامر

لا يشهدون الرب محبوبا الا ماوقع وقدر وكل ماوقع من كفر وفسوق وعصيان فهو محبوبه عندهم فلا يبقى فى هذا الشهود فرق بين موسى وفرعون ولا بين محمد وأبى جهل ولا بين أولياء الله وأعدائه ولا بين عبادة الله وحده وعبادة الاوثان بل هـذا كله عند الفانى فى توحيد الربوبية سواء ولا يفرق بين حدث وحدث الا من جهة ماهواه هو وتأله و يحب ماهواه وهو وان كان يدعى محبة الله فقد اتخذ من دون الله أنداداً يحبهم كحب الله وهم من سواه هذا مادام فيه محبة الله وقد ينسلخ منها حتى يصير الى تعطيل كفرعون وامثاله الذى هو أسوأ حالا من مشركى العرب

ولهذا هؤلاء يحبون بلا علم و يبغضون بلا علم و العلم ماجاء به الرسول كما قال (فمن حاجك فيه من بعد ماجاءك من العلم) وهو الشرع المنزل

ولهذا كان الشيوخ العارفون كثيراً مايوصون المريدين باتباع العلم والشرع كما قد ذكرنا قطعة من كلامهم في غير هذا الموضع لان الارادة والمحبة اذا كانت بغير علم وشرع كانت من جنس محبة الكفار وارادتهم فهؤلاء السالكون المريدون الصوفية والفقراء الزاهدون العابدون الذين سلكوا طريق المحبة والارادة ان لم يتبعوا الشرع المنزل والعلم الموروث عن النبى صلى الله عليه وسلم والا يحبون ماأحبه الله ورسوله و يبغضون ماأبغض الله ورسوله والا أفضى بهم الأمر الى شعب من شعب الكفر والنفاق

ولا يتم الايمان والمحبة لله الا بتصديق الرسول فيما اخبر وطاعته فيما أمر ومن الايمان بما أخبر الايمان بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله فمن نفى الصفات فقد كذب خبره

ومن الايمان به أمره فعل ما أمر وترك ما حظر ومحبة الحسنات وبغض السيئات ولزوم هذا الفرق الى الممات

فمن لم يستحسن الحسن المأمور ولم يستقبح الشيء المنهي عنه لم يكن معه من الايمان شيء كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان

وكما قال في الحديث الصحيح عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال ما من نبي بعثه الله في امته قبلي الا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل رواه مسلم

وأصحاب الانكار مبغضه الله ورسوله فمن لم يكن في قلبه بغض المنكر الذي يبغضه الله ورسوله لم يكن معه من الايمان شيء

وهذا يوجد في الذين يدعون المحبة المشتركة التي تضاهي محبة المشركين يكرهون من ينكر عليهم شيئا من أحوالهم

ويقولون فلان منكر وفلان ينكر

وقد يبتلون كثيرا بمن ينكر ما معهم من حق وباطل ويصير هذا يشبه النصراني الذي يصدق بالحق والباطل ويحب الحق والباطل كالمشرك الذي يحب الله ويحب الانداد وهذا كاليهودي الذي يكذب بالحق والباطل ويبغض الحق والباطل فلا يحب الله ولا يحب الانداد بل يستكبر عن عبادة الله كما استكبر فرعون وأمثاله وهذا موجود كثير في أهل البدع من أهل الارادة والبدع من أهل الكلام هؤلاء يقرون بالحق والباطل مضاهاة بالنصارى وهؤلاء يكذبون بالحق والباطل مضاهاة لليهود وأما دين الاسلام وطريق أهل القرآن والايمان فانكاره ما يبغضه الله ورسوله ومحبة ما يحبه الله ورسوله والتصديق بالحق والتكذيب بالباطل فهم في تصديقهم ومحبتهم معتدلون يصدقون بالحق ويكذبون بالباطل ويحبون الحق ويبغضون الباطل يصدقون بالحق الموجود ويكذبون بالباطل المفقود ويحبون الحق الذي يحبه الله ورسوله وهو المعروف الذي أمر الله ورسوله به ويبغضون المنكر الذي نهى الله ورسوله عنه وهذا هو الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين لا طريق المغضوب عليهم الذين يعرفون الحق فلا يصدقون به ولا يحبونه ولا الضالين الذين يعتقدون ويحبون ما لم ينزل الله به سلطانا

والمقصود هنا ان المحبة الشركية البدعية هي التي أوقعت هؤلاء في ان آل أمرهم الى أن لا يستحسنوا حسنة ولا يستقبحوا سيئة لعدم

ان الله لا يحب مأموراً ولا يبغض محظوراً فصاروا فى هذا من جنس من أنكر ان الله يحب شيئا ويبغض شيئاً كما هو قول الجهمية نفاة الصفات وهؤلاء قد يكون أحدهم مثبتا لمحبة الله ورضاه في أصل عقيدته باثبات الصفات لكن اذا جاء الى القدر لم يثبت شيئا من الارادة الشاملة وهذا وقع فيه طوائف من مثبتة الصفات تكلموا فى القدر بما يوافق رأى جهم والاشعرى فصاروا مناقضين لما أثبتوه من الصفات كصاحب منازل السائرين وغيره

وأما أئمة الصوفية والمشايخ المشهورون من القدماء مثل الجنيد بن محمد وأتباعه ومثل الشيخ عبد القادر وأمثاله فهؤلاء من أعظم الناس لزوما للامر والنهى وتوصية باتباع ذلك وتحذيرا من المشى مع القدر كما مشى أصحابهم أولئك وهذا هو الفرق الثانى الذى تكلم فيه الجنيد مع أصحابه والشيخ عبد القادر كلامه كله يدور على اتباع المأمور وترك المحظور والصبر على المقدور ولا يثبت طريقا تخالف ذلك أصلا لا هو ولا عامة المشايخ المقبولين عند المسلمين ويحذر عن ملاحظة القدر المحض بدون اتباع الامر والنهى كما أصاب أولئك الصوفية الذين شهدوا القدر وتوحيد الربوبية وغابوا عن الفرق الالهى الدينى الشرعى المحمدي الذي يفرق بين محبوب الحق ومكروهه وينفى انه لا اله الا هو وهذا من أعظم ما تجب رعايته على أهل الارادة والسلوك فانه كثير من المتأخرين من راع عن فصل سواء السبيل وانما يعرف هذا من توجه بقلبه وتكشفت له حقائق الامور وصار يشهد الربوبية

العامة والقيومية العامة فإن لم يكن معه نور الإيمان والقرآن الذي يحصل به الفرقان حتى يشهد الإلهية التي تفرق بين أهل التوحيد والشرك وبين محبوبه لله وبين مبغضه وبين ما أمر به الرسول وبين ما نهى عنه ولا خرج عن دين الإسلام بحسب خروجه عن هذا فإن الربوبية العامة قد أقر بها المشركون الذين قال فيهم (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) وإنما يصير الرجل مسلماً حنيفاً موحداً إذا شهد أن لا إله إلا الله فعبد الله وحده بحيث لا يشرك معه أحداً في تألهه ومحبته له وعبوديته وإنابته وإسلامه له ودعائه له وتوكله عليه وموالاته فيه ومعاداته فيه ومحبته ما يحب وبغضه ما يبغض ويفنى بحق التوحيد عن باطل الشرك

وهذا فناء يقترن به البقاء فيفنى عن تأله ما سوى الله بتأله الله تحقيقاً لقوله لا إله إلا الله فينفي من قلبه تأله ما سواه ويثبت ويبقى في قلبه تأله الله وحده وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة

وفي حديث آخر من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة

وقال في الصحيح لقنوا موتاكم لا إله إلا الله فإنها حقيقة دين الإسلام فمن مات عليها مات مسلماً والله تعالى قد أمرنا أن لا نموت إلا على الإسلام في غير موضع كقوله تعالى (اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) وقال إبراهيم ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) وقال الصديق توفني مسلماً

وألحقني بالصالحين

والصحيح من القولين أنه لم يسأل الموت ولم يتمنه وإنما سأل أنه
إذا مات يموت على الاسلام فسأل الصفة لا الموصوف كما أمر الله بذلك
وأمر به خليله إبراهيم وإسرائيل وهكذا قال
غير واحد من العلماء منهم ابن
عقيل وغيره والله
أعلم بالصواب

تمت الرسالة السادسة

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الاسلام أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله

في قوله تعالى حق اليقين وعين اليقين وعلم اليقين فما معنى كل مقام منها واى مقام أعلى (الجواب)

الحمد لله رب العالمين * للناس في هذه الأسماء مقالات معروفة

منها ان يقال علم اليقين ما علمه بالسماع والخبر والقياس والنظر وعين اليقين ما شاهده وعاينه بالبصر وحق اليقين ما باشره ووجده وذاقه وعرفه بالاعتبار * فالأول مثل من أخبر ان هناك عسلا وصدق المخبر أو رأى آثار العسل فاستدل على وجوده * والثاني مثل من رأى العسل وشاهده وعاينه وهذا أعلى كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس المخبر كالمعاين * والثالث مثل من ذاق العسل ووجد طعمه وحلاوته ومعلوم ان هذا أعلى مما قبله ولهذا يشير أهل المعرفة الى ما عندهم من الذوق والوجد كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه الا لله ومن كان يكره أن يرجع الى الكفر بعد ان أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار وقال صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا

فالناس فيما يجده أهل الايمان ويذوقونه من حلاوة الايمان وطعمه على ثلاث درجات

الاولى من علم ذلك مثل من أخبره به شيخ له يصدقه أو بلغه

ما أخبر به العارفون عن أنفسهم أو يجد من آثار أحوالهم ما يدل على ذلك

والثانية من شاهد ذلك وعاينه مثل أن يعاين من أحوال أهل المعرفة والصدق واليقين ما يعرف به مواجيدهم وأذواقهم وإن كان هذا في الحقيقة لم يشاهد ما ذاقوه ووجدوه ولكن شاهد ما دل عليه لكن هو أبلغ من المخبر والمستدل بآثارهم

والثالثة أن يحصل له من الذوق والوجد في نفسه ما كان سمعه كما قال بعض الشيوخ لقد كنت في حال أقول فيها إن كان أهل الجنة في الجنة في مثل هذا الحال إنهم لفي عيش طيب وقال آخر إنه لتمر على القلب أوقات يرقص منها طربا وقال الآخر لأهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم

والناس فيما أخبروا به من أمر الآخرة على ثلاث درجات

إحداها العلم بذلك لما أخبرهم الرسل وما قام من الأدلة على وجود ذلك

[illegible]

والثانية إذا شهدوا ذلك فدخل أهل الجنة الجنة وذاقوا ما كانوا يوعدون ودخل أهل النار النار وذاقوا ما كانوا يوعدون فلنبين فيه يوجد في الموت وفيه يوجد حرج الموت على هذه الدرجات الثلاث

وكذلك في أمور الدنيا فإن من أخبر بالعشق أو النكاح ولم يره ولم يذقه له علم به فإن شاهده ولم يذقه كان له معاينة فإن ذاقه بنفسه كان له ذوق وخبرة به ومن لم يذق الشيء لم يعرف حقيقته فإن العبارة إنما تفيد التمثيل

والتعرف وأما معرفه الحقيقه فلا تحصل بمجرد العبارة الا لمن يكون قد ذاق ذلك الشيء المعرفه وعرفه وخبره ولهذا يسمون أهل المعرفة لانهم عرفوا بالخبرة والذوق ما يعلمه غيرهم بالخبر والنظر

وفي الحديث الصحيح أن هرقل ملك الروم سأل أبا سفيان بن حرب فيما سأله عنه من أمور النبي صلى الله عليه وسلم قال فهل يرجع أحد منهم عن دينه سخطة له بعد أن يدخل فيه قال لا قال وكذلك الايمان اذا خالطت بشاشته القلوب لا يسخطه أحد

والايمان اذا باشر القلب وخالطه لا يسخطه القلب بل يحبه ويرضاه فان له من الحلاوة في القلب واللذة والسرور والبهجة ما لا يمكن التعبير عنه لمن لم يذقه

والناس متفاوتون في ذوقه والفرح والسرور الذي في القلب له من البشاشة ما هو بحسبه واذا خالطت القلب لم يسخطه قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون وقال تعالى والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه) وقال تعالى (واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون) فأخبر سبحانه أنهم يستبشرون بما أنزل من القرآن والاستبشار هو الفرح والسرور وذلك لما يجدونه في قلوبهم من الحلاوة واللذة والبهجة بما أنزل الله واللذة أبداً تتبع المحبة فمن أحب شيئا ونال ما أحبه وجد اللذة به

فالذوق هو ادراك المحبوب واللذة الظاهرة كالأكل مثلا حال الانسان

فيها أنه اشتهى الطعام ويحبه ثم يذوقه ويتناوله فيجد حينئذ لذته وحلاوته وكذلك النكاح وأمثال ذلك

وليس للخلق محبة أعظم ولا أكمل ولا أتم من محبة المؤمنين لربهم وليس في الوجود ما يستحق أن يحب لذاته من كل وجه إلا الله تعالى وكل ما يحب سواه فمحبته تبع لحبه فإن الرسول عليه الصلاة والسلام إنما يحب لأجل الله ويطاع لأجل الله ويتبع لأجل الله كما قال تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)

وفي حديث أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني بحب الله وأحبوا أهل بيتي بحبي وقال تعالى (قل إن كان آباؤكم) إلى قوله (أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين)

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين

وفي حديث الترمذي وغيره من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان وقال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله) فالذين آمنوا أشد حبا لله من كل محب لمحبوبه وقد بسطنا الكلام على هذه في مواضع متعددة

والمقصود هنا أن أهل الإيمان يجدون بسبب محبتهم لله ولرسوله من حلاوة الإيمان ما يناسب هذه المحبة ولهذا علق النبي صلى الله عليه

وسلم بالحلاوة بالمحبة فقال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار .

ومن ذلك ما يجدونه من ثمرة التوحيد والإخلاص والتوكل والالتجاء لله وحده فإن الناس في هذا الباب على ثلاث درجات منهم من علم ذلك سماعاً واستدلالاً ومنهم من شاهده وعاين ما يحصل لهم ومنهم من وجد حقيقة الإخلاص والتوكل على الله والالتجاء إليه والاستعانة به وقطع التعلق بما سواه وجرب نفسه إذا تعلق بالمخلوقين ورجاهم وطمع فيهم أن يجلبوا له منفعة أو يدفعوا عنه مضرة فإنه يخذل من جهتهم ولم يحصل مقصوده بل قد يبذل لهم من الخدمة والأموال وغير ذلك ما يرجو أن ينفعوه وقت حاجته إليهم فلا ينفعونه إما لعجزهم وإما لانصراف قلوبهم عنه وإذا توجه إلى الله بصدق الافتقار إليه واستغاث به مخلصاً له الدين أجاب دعاءه وأزال ضرره وفتح له أبواب الرحمة فهذا قد ذاق من حقيقة التوكل والدعاء لله ما لم يذق غيره

وكذلك من ذاق طعم الإخلاص لله وإرادة وجهه دون ما سواه يجد من الأحوال والنتائج والفوائد ما لم يجده من لم يكن كذلك بل من اتبع هواه في مثل طلب الرئاسة والعلو وتعلقه بالصور الجميلة أو جمعه للمال يجد في أثناء ذلك من الهموم والغموم والأحزان والآلام وضيق الصدر ما لا يعبر عنه وربما يطاوعه قلبه على ترك الهوى ولا يحصل

له ما يسره بل هو في خوف وحزن دائماً إن كان طالبا لما يهواه فهو قبل إدراكه حزين منألم حيث لم يحصل فإذا أدركه كان خائفاً من زواله وفراقه

وأولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فإذا ذاق هذا أو غيره حلاوة الإخلاص لله والعبادة له وحلاوة ذكره ومناجاته وفهم كتابه وأسلم وجهه لله وهو محسن بحيث يكون عمله صالحا ويكون لوجه الله خالصا فإنه يجد من السرور واللذة والفرح ما هو أعظم من الداعي المتوكل الذي نال بدعوته وتوكله ما ينفعه من الدنيا أو اندفع عنه ما يضره فإن حلاوة ذلك هي بحسب ما حصل له من المنفعة أو اندفع عنه من المضرة

ولا أنفع للقلب من التوحيد وإخلاص الدين لله ولا أضر عليه من الإشراك فإذا وجد حقيقة الإخلاص

التي هي حقيقة إياك نستعين كان هذا

فوق ما يجده كل أحد لم يجد

مثل هذا والله أعلم

تم بحمد الله المجلد الثاني

ويليه المجلد الثالث أوله

(كتاب بيان الهدى من الضلال في أمر الهلال)

(للشيخ الامام العامل العالم شيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب * وجعله تبيانا لكل شيء وذكرى لاولى الالباب * وأمرنا بالاعتصام به إذ هو حبله الذي هو أثبت الاسباب * وهدانا به الى سبل هدى ومناهج الصواب * وأخبر فيه أنه جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب * وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له رب الارباب * وأشهد ان محمدا عبده ورسوله المبعوث بجوامع الكلم والحكمة وفصل الخطاب * صلى الله عليه وعلى آله صلاة دائمة دوامها بعد يوم المآب

(وبعد) فان الله قد أكمل لنا ديننا وأتم علينا نعمته ورضي لنا الاسلام دينا وأمرنا أن نتبع صراطه المستقيم، ولا نتبع السبل فتفرق بنا عن سبيله وجعل هذه وصية حسنة وصية عشر آيات هي جوامع الشرائع التي تضاهي الكلمات العشر التي أنزلت على موسى في التوراة وان كانت الكلمات التي أنزلت علينا أكمل وأتم ولهذا قال الربيع ابن خثيم من سره أن ينظر الى كتاب محمد الذي لم يفض خاتمه بعده فليقرأ آخر سورة الانعام (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم) الآيات وأمرنا أن لا نكون كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأخبر رسوله ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء وذكر أنه جعله على شريعة من الامر أمره أن يتبعها ولا يتبع سبيل الذين لا يعلمون وقال تعالى (وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه

من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فأمره أن لا يتبع أهواءهم عما جاءه من الحق وان كان ذلك شرعا أو طريقا لغيره من الأنبياء فانه قد جعل لكل نبي سنة وسبيلا وحذره أن يفتنوه عن بعض ما أنزل الله اليه فاذا كان هذا فيما جاءت به شريعة غيره فكيف بما لا يعلم انها جاءت به شريعة غيره بل هو طريقة من لا كتاب له وأمره وإيانا في غير موضع أن نتبع ما أنزل الينا دون ما خالفه فقال (المص كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون) وبين حال الذين ورثوا الكتاب فخالفوه والذين استمسكوا به فقال (فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا) الى قوله (والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين) وقال (وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا) الآيات وقال (يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا) وقال (واعتصموا بحبل الله جميعا) وحبل الله كتابه كما فسره النبي

صلى الله عليه وسلم وقال (واتبع مايوحي اليك واصبر حتى يحكم الله)
الى غير ذلك من نصوص الكتاب والسنة التي أجمع المسلمون على
اتباعها وهذه جملة لم يخالف المسلمون فيه جملة ولكن قد يقع النزاع
في تفصيله فتارة يكون بين علماء المؤمنين في مسائل الاجتهاد وتارة
يقع في قوم جهال مذنبين أو مقلدين أو بينها وبين المنافقين فقد أخبر
الله سبحانه أن فيكم قوم سماعين للمنافقين يقبلون منهم كما قال (لو خرجوا
فيكم مازادوكم الا خبالا ولا وضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم
سماعون لهم) وليتما عداه باللام لانه متضمن معنى القبول والطاعة كما قال
الله على لسان عبده سمع الله لمن حمده أي استجاب لمن حمده وكذلك
سماعون لهم أي مطيعون لهم وذاكر في الصحابة قوم مطيعون للمنافقين
فكيف بغيرهم وكذلك أخبر عمن يظهر الانقياد لحكم الرسول حيث
يقول (لايحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا
بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون
لقوم آخرين لم يأتوك) في قوله (سماعون للكذب أكالون للسحت) فان
اللام في قوله للكذب لام التعدية كما في قوله أكالون للسحت أي قائلون
للكذب مرددون له وسماعون مطيعون لقوم آخرين غيرك فلهذا
معرضون عن طاعة الله ورسوله ومن قال ان اللام لام كي أي يسمعون
ويكذبون لاجل أولئك فلم يصب فان السياق يدل على ان الاول هو المراد
وكثيرا ما يصيب الحق من جهال الاميين وبين المخرفين بكم الدين وهم
شبه ما ساق كما حمد سبحانه عن أهل الكتاب حيث قال (أفتطمعون ان

تؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون) الى قوله (ومنهم أميون لايعلمون الكتاب الا أماني) الآية ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر ان هذه الامة ستتبع سنن من قبلها حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلوه وجب أن يكون فيهم من يحرف الكلم عن مواضعه فيغير معنى الكتاب والسنة فيما أخبر الله به أو أمر به وفيهم أميون لايفقهون معاني الكتاب والسنة بل ربما يظنون ان ماهم عليه من الاماني الذي هو مجرد التلاوة ومعرفة ظاهر من القول هو غاية الدين ثم قد ينظرون المحرفين وغيرهم من المنافقين أو الكفار مع علم أولئك بما لم يعلمه الاميون فاما أن يضل الطائفتان و يصير كلام هؤلاء فتنة على أولئك حيث يعتقدون ان مايقوله الأميون هو غاية علم الدين ويصيروا في طرفي نقيض واما أن يسمع أولئك الأميون أولئك المحرفين في بعض ضلالهم وهذا من بعض أسباب تغيير الملل الا أن هذا الدين محفوظ كما قال تعالى (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) ولايزال فيه طائفة قائمة ظاهرة على الحق فلم يتمكن فيه من التغيير من الأديان من تحريف كتبها وتغيير شرائعها مطلقاً لما ينطق الله به القائمين بحجة الله وبيناته الذين يحيون بكتاب الله الموتى ويبصرون به أهل العمى فان الارض لن تخلو من قائم لله بحجة لكيلا تبطل حجج الله وبيناته كما مضى تقديم هذه المقدمة في رأيت الدين في ظهر صوفيهم وفي غيره أيضاً منهم من يصغى الى مايقوله بعض جهال أهل الحساب

من ان الهلال يرى أو لا يرى وبنى على ذلك اما فى باطنه وأما فى باطنه وظاهره حتى بلغنى ان من القضاة من كان يرد شهادة العدد من العدول لقول الحاسب الجاهل الكاذب انه يرى أو لا يرى فيكون ممن كذب بالحق لما جاءه وربما أجاز شهادة غير المرضى لقوله فيكون هذا الحاكم من السماعين للكذب فان الآية تتناول حكام السوء كما يدل عليه السياق حيث يقول سماعون للكذب أكالون للسحت وحكام السوء يقبلون الكذب ممن لا يجوز قبول قوله من مخبر أوشاهد ويأكلون السحت من الرشا وغيرها وما أكثر ما يقترن هذان وفيهم من لا يقبل قوله فى المنجم لا فى الباطن ولا فى الظاهر لكن فى قلبه حسيكة من ذلك وشبهة قوية لثقته به من جهة ان الشريعة لم تلتفت الي ذلك لا سيما ان كان قد عرف شيئا من حساب النيرين واجتماع القرصين ومفارقة أحدهما الآخر بعدة درجات وسبب الاهلال والابدار والاسرار والكسوف والخسوف فجرى حكمه الحاسب الكاذب حيث رأيته هذا الجرى ثم هؤلاء الذين يخبرون من الحساب وصورة الافلاك وحركاتها أمرا صحيحا قد يعرضهم بعض الجهال من الأميين المتسمين بالاسلام والعلم أيضا وتراهم قد جاءوا الدين فى العمل بالحساب فى الرؤية أو فى أساس أحكام النجوم فى التأثيرات المحمودة والمذمومة فتراهم قد خلطوا هذا وهو من محرمات فى الدين صار كل من يتولونه من هذا ضرب حق ولا يفرق بين الحق لدى دل عليه السمع والعقل و باطل تجمع السمع والعقل مع ان هذا أحسن

ضالا في الدين من القسم الاول لان هذا كذب بشيء من الحق متأولا جاهلا من غير تبديل لبعض أصول الاسلام والضرب الاول قد يدخلون في تبديل الاسلام فانا نعلم بالاضطرار من دين الاسلام أن العمل في رؤية هلال الصوم والحج أو العدة أو الايلاء أو غير ذلك من الاحكام المعلقة بالهلال بخبر الحاسب انه يرى أو لا يرى لايجوز والنصوص المستفيضة عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك كثيرة وقد أجمع المسلمون عليه ولا يعرف فيه خلاف قديم أصلا ولا خلاف حديث الا أن بعض المتأخرين من المتفقهة الحادثين بعد المائة الثالثة زعم انه اذا غم الهلال جاز للحاسب أن يعمل في حق نفسه بالحساب فان كان الحساب دل على الرؤية صام والا فلا وهذا القول وان كان مقيدا بالاغمام ومختصا بالحاسب فهو شاذ مسبوق بالاجماع على خلافه فاما اتباع ذلك في الصحو أو تعليق عموم الحكم العام به فما قاله مسلم وقد يقارب هذا القول من يقول من الاسماعيلية بالعدد دون الاهلة وبعضهم يروى عن جعفر الصادق جدولا يعمل عليه وهو الذي يسمونه عبد الله بن معاوية وهذه الاقوال خارجة عن دين الاسلام وقد برأ الله منها جعفرا وغيره ولا ريب أن أحدا من أهل العلم مع ظهور دين الاسلام أن الصبر للمسلمين على ذلك لا به قد يكون به عمدة في مسائل في قبول شهادة وردها وقد يكون عمدة فيه في كون شريعة لم تحكم به وانا مبينة إن شاء الله أين ذلك وأوضح ما جاءت به الشريعة دليلا وتعليلا شرعا وعقلا قال الله تعالى يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس

و حج فاخبر انها مواقيت للناس وهذا عام في جميع أمورهم وخص الحج بالذكر تمييزا له ولأن الحج تشهده الملائكة وغيرهم ولأنه يكون في آخر شهور الحول فيكون علما على الحول كما أن الهلال علم على الشهر ولهذا يسمون الحول حجة ويقولون له سبعون حجة وأقمنا خمس حجج فجعل الله الاهلة مواقيت للناس في الاحكام الثابتة بالشرع ابتداء أو سببا من العباد وللاحكام التى تثبت بشروط العبد فما ثبت من المؤقتات بشرع أو شرط فالهلال ميقات له وهذا يدخل فيه الصيام والحج ومدة الايلاء والعدة وصوم الكفارة وهذه الخمسة في القرآن قال الله تعالى (شهر رمضان) وقال تعالى (الحج أشهر معلومات) وقال تعالى (للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر) وقال تعالى (فصيام شهرين متتابعين) وكذلك قوله (فسيحوا في الأرض أربعة أشهر) وكذلك صوم النذر وغيره وكذلك الشروط من الاعمال المتعلقة بالثمن ودين السلم والزكاة والجزية والعقل والخيار والايمان وأجل الصداق ونجوم الكتابة والصلح عن القصاص وسائر ما يؤجل من دين وعقد وغيرهما وقال تعالى (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) وقال تعالى (هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق) فقوله لتعلموا متعلق والله أعلم بقوله وقدره لا بجعل لان كون هذا ضياء وهذا نورا لا تأثير له فى معرفة عدد السنين والحساب وانما يؤثر في ذلك انتقالها من برج الى برج ولان الشمس

لم يعلق لنا بها حساب شهر ولا سنة وإنما علق ذلك بالهلال كما دل عليه تلك الآية ولأنه قد قال (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم) فأخبر أن الشهور معدودة اثنا عشر والشهر هلالي بالاضطرار وعلم أن كل واحد منها معروف بالهلال وقد بلغني أن الشرائع قبلنا أيضاً إنما علقت الأحكام بالأهلة وإنما بدل من اتباعهم كما يفعله اليهود في اجتماع القرصين وفي جعل بعض أعيادها بحساب السنة الشمسية وكما تفعله النصارى في صومها حيث راعى الاجتماع القريب من أول السنة الشمسية وتجعل سائر أعيادها دائرة على السنة الشمسية بحسب الحوادث التي كانت للمسيح وكما تفعله الصابئة والمجوس وغيرهم من المشركين في اصطلاحات لهم فإن منهم من يعتبر بالسنة الشمسية فقط ولهم اصطلاحات في عدد شهورها لأنها وإن كانت طبيعية فشهورها عددي وضعي ومنهم من يعتبر القمرية لكن يعتبر اجتماع القرصين وما جاءت به الشريعة هو أكمل الأمور وأحسنها وأبينها وأصحها وأبعدها من الاضطراب وذلك أن الهلال أمر مشهود مرئي بالأبصار ومن أصح المعلومات ما شوهد بالأبصار ولهذا سموه هلالاً لأن هذه المادة تدل على الظهور والبيان إما سمعاً وإما بصراً كما يقال أهل بالعمرة وأهل بالذبيحة لغير الله إذا رفع صوته ويقال تهلل وجهه إذا استنار وضاء وقيل إن أصله رفع الصوت ثم لما كانوا يرفعون أصواتهم عند رؤيته سموه هلالاً ومنه قوله

يهل بالفرقد ركبانها * كما يهل الراكب المعتمر

وهلل الوجه مأخوذ من استدارة الهلال

فالمقصود أن المواقيت حدوث أمر ظاهر بين يشترك فيه الناس ولا يشترك الهلال في ذلك شيء فان اجتماع الشمس والقمر الذي هو تشابههم كأن قبل الاهلال أمر خفي لا يعرف الا بحساب ينفرد به بعض الناس مع تعب وتضييع زمان كثير واشتغال عما يعني الناس وما لابد له منه وربما وقع فيه الغلط والاختلاف

وكذلك كون الشمس حاذت البرج الفلاني أو الفلاني هذا أمر لا يدرك بالأبصار وإنما يدرك بالحساب الخفي الخاص المشكل الذي قد يغلط وقد يعلم ذلك بالاحساس تقريبا فانه إذا انصرم الشتاء ودخل الفصل الذي تسميه العرب الصيف ويسميه الناس الربيع كان وقت حصول الشمس في نقطة الاعتدال الذي هو أول الحمل وكذلك مثله في الخريف والذي يدرك بالاحساس الشتاء والصيف وما بينهما من الاعتدالين وأما حصولها في برج بعد برج فلا يحس إلا بالحساب و ... قوم يغنون عن ... حدوثه

فتبين أنه ليس مواقيت حين ظهور تعرفه الا الهلال

وما تثبت العادة لهم في شهرهم تسمية حقيقية ثم أن كل واحد من الشهر والسنة إما أن يكون عدديا أو طبيعيا أو الشهر طبيعيا والسنة عددية أو بالعكس فمن يعدونهما مثل من يجعل السنة ثلاثمائة وستين يوما والسنة اثني عشر شهرا والذين يجعلونهما طبيعيين من يجعل شهرا والسنة شمسية ويلحق في آخر الشهور

الايام المتفاوتة بين سنتين من السنة القمرية ثلاثمائة واربعة وخمسون يوما وبعض يوم خمس وسدس وتكمل فيها الثلاثمائة وستون يوما وخمس وكسر في المائة عدة العرب في تكميل ما ينقص من التاريخ في الايام والشهور والحول وأما الشمسية فالثلاثمائة وخمسة وستون يوما وبعض يوم ربع يوم وخمسه كان التفاوت بينهما أحد عشر يوما إلا قليلا يكون سنة في كل ثلاثة وثلاثين سنة وأمثال ذلك وهو قوله تعالى (ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا) قيل معناه ثلاثمائة سنة شمسية وازدادوا تسعا بحساب السنة القمرية ومراعاة هذين عند كثير من الامم من أهل الكتاب بسبب تحريفهم وكذلك عدة المجوس أيضا وأما من يجعل السنة طبيعية والشهر عدديا فهذا حساب الروم والسريانيين والقبط ونحوهم من الصابئين والمشركين ممن يعد شهر كونه ثلاثين عددا ويعتبر السنة بسير الشمس فأما القسم الرابع فأن يكون الشهر طبيعيا والسنة عددية فهو سنة المسلمين ومن وافقهم ثم الذين يجعلون السنة طبيعية لا يعتمدون على أمر ظاهر كما تقدم بل لا بد من الحساب والعدد وكذلك الذين يجعلون شهرا طبيعيا ويعتمدون على الاجتماع لا بد من عدد وحساب فالمحسوب أمر خفي يختص بمعرفته القليل من الناس مع كلفة ومشقة وتعرض للخطأ

فهدى الله هذه الأمة لما كان في كل الأمور أن وقت الشهر أمر طبيعي ظاهر عام يدركه كل أحد لا يضل أحد عن دينه ولا يشغله مراعاته عن شيء من مصالحه ولا يدخل بسببه فيما لا يعنيه ولا يكون لأحد طريق

الى ا ميس في دين الله كما نقل بعض علماء أهل الملل علماؤهم

وأما الحول فلم يكن له حد ظاهر في السماء وكان لابد فيه من الحساب والعدد وكان عدد الشهور الهلالية أظهر وأعم من أن يحسب سير الشمس وتكون السنة مطابقة للشهور ولأن السنين اذا اجتمعت فلا بد من عددها في عادة جميع الأمم إذ ليس للسنين اذا تعددت حد سماوي يعرف به عددها وكان عدد الشهور موافقاً لعدد الشهور ثم [illegible] سنة [illegible] عدد شهور [illegible] تحتاج الى تكميل بدور الشمس فيها شمسية فلا [illegible] القمر فيه [illegible] وذلك كله يدل على معنى قوله (وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) فإن عدد شهور سنة وعدد السنة [illegible] أصله [illegible] وكانت معروفة الحساب في حساب بعض [illegible] من الآجال ونحوها اذا كان هلال وكانت [illegible] مواقيت للناس والحج

ظهر ان [illegible] يوقيت شهر وسنة [illegible] يكون [illegible] هلال [illegible] ظهوره [illegible] أمر [illegible] وتيسير ذلك وعمومه وغير ذلك من المصالح [illegible]

ومن عرف ما دخل على أهل الكتاب [illegible] والمجوس وغيرهم في عيدهم وعباداتهم و[illegible] وغير ذلك من [illegible] من الاضطراب والحرج وغير ذلك من المفاسد [illegible] عليه السلام مع [illegible] أن الاسلام لم يشرعوا شيئا من ذلك و[illegible] ذلك من جهة الحنيفية السمحة [illegible] في ملتهم وشرعوا [illegible] من [illegible]

يأذن به الله واهتدا ذكرنا ما ذكرنا حفظاً لهذا الدين عن ادخال المبتدعين
فان هذا مما يخاف تغييره فانه قد كانت العرب في جاهليتها قد غيرت
ملة ابراهيم بالنسيء الذي ابتدعته فزادت به في السنة شهراً جعلتها كبيسا
لاغراض لهم وغيروا به ميقات الحج والاشهر الحرم حتى كانوا يحجون
تارة في المحرم وتارة في صفر حتى يعود الحج الى ذي الحجة حتى بعث
الله المقيم لملة ابراهيم فوافي حجه صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وقد
استدار الزمان كما كان ووقعت حجته في ذي الحجة فقال في خطبته المشهورة
في الصحيحين وغيرهما ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات
والارض السنة اثنا عشر شهراً منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة
وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان وكان قبل
ذلك الحج لا يقع في ذي الحجة حتى حجة ابي بكر سنة تسع كانت في
ذي القعدة وهذا من اسباب تأخير النبي صلى الله عليه وسلم الحج وانزل
الله تعالى (ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم
خلق السموات والارض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم) فاخبر الله
ان هذا هو الدين القيم فبين ان ما سواه من امر النسيء وغيره من
عادات الامم ليس قيما لما فيه من الانحراف والاضطراب وغير ذلك
وكذلك اليوم والاسبوع فان اليوم طبيعي من طلوع الشمس وغروبها وأما
الاسبوع فهو عددي من أجل الايام الستة التي خلق الله فيها السموات
والارض ثم استوى على العرش فوقع التعديل بين الشمس والقمر
اليوم والاسبوع بسير الشمس والشهر والسنة بسير القمر وبهما تم

الحساب وبهذا قد يوجه قوله لنعلموا الى حمل وتكون حمل الشمس والقمر هذا كله فاما قوله تعالى (وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا) فقد قيل هو من حساب وقيل بحسبان كحسبان الرحى وهو دوران الفلك فان هذا مما لا خلاف فيه بل دل الكتاب والسنة واجماع علماء الامة على مثل ما عليه اهل المعرفة من اهل الحساب من ان الافلاك مستديرة لا مسطحة

(فصل) فى صوم ... و ... الى الأهلة وحسبان تكون المواقيت كلها معلقة بها فلا خلاف بين المسلمين انه اذا كان مبدأ الحكم في الهلال حسبت الشهور كلها هلالية مثل أن يصوم للكفارة فى هلال محرم أو يتوفى زوج امرأة فى هلال محرم أو يولى من امرأته فى هلال المحرم أو يبيعه الى شهرين او لانه من جميع الشهور حسب هلالية وان كان بعض أو جميعها كيف يكون وقع مبدأ الحكم فى اثناء الشهر فقد قيل الشهور كلها بالعدد بحيث لو باعه فى اثناء المحرم عدد ثلاثين يوما وان كان الى ستة أشهر عدد مائة وثمانين يوما فان كان ابتداء الصوم محرم كان ... من محرم وقيل بل يكمل شهر بالعدد و ... الهلال وهما روايتان عن أحمد وغيره ... احدهم انه يحسب شهر لا ... وفى شهور هلالية وذاك الا ... فى منتصف محرم حسب ... كل شهر ... خمسة عشر يوما وكذا ستة عشر يوما من جمادى الأولى وهذا يقوله

طائفة من أصحابنا وغيرهم والمفسر الثاني وهو الصواب الذي عليه عمل المسلمين قديماً وحديثاً أن الشهر الأول ان كان كاملاً كمل ثلاثين يوماً وان كان ناقصاً جعل تسعة وعشرين يوماً فمتى كان الإيلاء في منتصف المحرم كمل الشهر الآخر منتصف جمادى الأولى وهكذا سائر الحساب وعلى هذا القول وجميع الهلال ولا حاجة الى أن نقول بالعدد الى نصف اليوم الذي هو المبدأ من الشهر الأول ويكون النهاية مثله من الشهر الآخر فان كان في أول ليلة من الشهر الأول كانت النهاية في مثل تلك الساعة بعد كمال الشهور وهو أول ليلة بعد انسلاخ الشهور وان كان في اليوم الاول من المحرم وابتدئ على هذا الشهور محسوبة وهذا هو الحق الذي لاريب فيه ولذا قوله فان قيل هي مواقيت للناس والحج فجعل الهلال مواقيت للناس مع علمه سبحانه بأن الذي يقع في هذه الشهور أصناف أصناف فيقع في أوائلها فلو لم يكن ميقاتاً الا لما يقع في أوائلها لما كانت ميقاتاً الا لأقل من ثلث عشر أمور الناس ولأن الشهر اذا كان من هلال الى هلال فبين الناس مثله من هذه ونصف هذا سواء والتسوية معلومة بالشرع والفرق تحكم محض وأيضاً فان الذي جعل الشهر الذي ثلاثين وتسعة وعشرين وسبق الشهر هكذا وهكذا وخنس ابهامه في الثالثة وجعل نصف الشهور سنة يكون ثلاثين ونصفها تسعة وعشرين وأصحابه الناسيين في عاداتهم ومعاملاتهم أحق الخلق بالشهر كان مقصوده الهلال المحرم كان مقصوده نصف محرم الى صفر فالذي احتج بحسابهم وان كان مقصوده نصف محرم أيضاً لا يعرف

المسلمون عرفت ولا يسوغ الا به ومن أخذ ليزيد يوما لنقصان الشهر الأول كان قد غير عليهم فقطروا عليه من المعروف وإنهم يتكرر لا معروفه تعلم أن هذا غلط ممن وهمه من الفقهاء وسها عليه ليحذر الوقوع فيه ولنعلم به حقيقة قوله (قل هي مواقيت للناس) وان هذا العموم محفوظ عظيم القدر لا ينسى منه شيء وكذلك قوله (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب)

وكذلك قوله (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل

وجعلنا آية النهار مبصرة لتعلموا عدد السنين

والحساب) [illegible] جميع عدد [illegible]

والحساب [illegible] تقديره منازل

والله أعلم وأحكم

تمت الرسالة الثامنة

[illegible] الرسالة [illegible] أيضا

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه عن الصلاة بعد الأذان الأول يوم الجمعة هل فعله النبي صلى الله عليه وسلم أو أحد من الصحابة أو التابعين والأئمة أم لا وهل هو منصوص في مذهب من مذاهب الأئمة أم لا وقوله صلى الله عليه وسلم بين كل أذانين صلاة هل هو مخصوص بيوم الجمعة أم هو عام في جميع الأوقات

فأجاب رضي الله عنه أما النبي صلى الله عليه وسلم فإنه لم يكن يصلي قبل الجمعة بعد الأذان شيئا ولا نقل هذا عنه أحد فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يؤذن على عهده إلا إذا قعد على المنبر ويؤذن بلال ثم يخطب النبي صلى الله عليه وسلم الخطبتين ثم يقيم بلال فيصلي بالناس فما كان يمكن أن يصلي بعد الأذان لا هو ولا أحد من المسلمين الذين يصلون معه صلى الله عليه وسلم ولا نقل عنه أحد أنه صلى في بيته قبل الخروج يوم الجمعة ولا وقت بقوله صلاة مقدرة قبل الجمعة بل ألفاظه صلى الله عليه وسلم فيها الترغيب في الصلاة إذا قدم الرجل المسجد يوم الجمعة من غير توقيت كقوله من بكر وابتكر ومشى ولم يركب وصلى ما كتب له وهذا هو المأثور عن الصحابة كانوا إذا أتوا المسجد يوم الجمعة يصلون من حين يدخلون ما تيسر فمنهم من يصلي عشر ركعات ومنهم من يصلي ثنتي عشرة ركعة ومنهم من يصلي ثماني ركعات ومنهم من يصلي أقل من ذلك ولهذا كان جماهير الأئمة متفقين على أنه ليس قبل الجمعة سنة موقتة بوقت مقدرة بعدد لأن ذلك إنما يثبت بقول النبي صلى الله

عليه وسلم أو فعله وهو ليس في ذلك شيئا لا بقوله ولا بفعله وهذا مذهب مالك ومذهب الشافعي وأكثر أصحابه وهو المشهور من مذهب أحمد وذهب طائفة من العلماء إلى أن قبلها سنة فمنهم من جعلها ركعتين كما قاله طائفة من أصحاب الشافعي وأحمد ومنهم من جعلها أربعا كأبي حنيفة وطائفة من أصحاب أحمد وقد نقل عن الإمام أحمد ما استدل به على ذلك وهؤلاء منهم من احتج بحديث ضعيف ومنهم من يقول هي ظهر مقصورة وتكون سنتها سنة الظهر وهذا خطأ من وجهين * أحدهما أن الجمعة مخصوصة بأحكام تفارق بها ظهر كل يوم باتفاق المسلمين وإن سميت ظهرا مقصورة فإن الجمعة يشترط لها [illegible] والظهر [illegible] والجمعة [illegible] وغير ذلك والظهر لا يشترط لها شيء من ذلك فلا يجوز أن نتلقى أحكام الجمعة من أحكام الظهر مع اختصاص الجمعة بأحكام تفارق بها الظهر فإنه إذا كانت الظهر تشارك الجمعة في حكم وتفارقها في حكم لم يمكن إلحاق [illegible] أحدهما بالآخر إلا بدليل [illegible] من موارد النزاع [illegible] أولى من جعلها من موارد [illegible] الوجه الثاني أن يقال هب أنها ظهر مقصورة فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يصلي في السفر سنة الظهر المقصورة لا قبلها ولا بعدها وإنما كان يصليها إذا صلى الظهر [illegible] فإذا كانت سنته التي فعلها في الظهر المقصورة خلاف التامة كان ما ذكروه حجة عليهم لا لهم وكان السبب المقتضي لحذف بعض الفرض أولى بحذف السنة الراتبة كما قال بعض الصحابة لو كنت متطوعا لأتممت

الفريضة فإنه لو استحب للمسافر أن يصلي أربعا لكانت صلاة الظهر أربعا أولى من أن يصلي ركعتين فرضا وركعتين سنة وهذا لأنه قد ثبت بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المتواترة أنه كان لا يصلي في السفر إلا ركعتين الظهر والعصر والعشاء وكذلك لما حج بالناس عام حجة الوداع لم يصل بهم في منى وغيرها إلا ركعتين وكذلك أبو بكر بعده لم يصل إلا ركعتين وكذلك عمر بعده لم يصل إلا ركعتين ومن نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى الظهر أو العصر أو العشاء أربعا فقد أخطأ والحديث المروي في ذلك عن عائشة حديث ضعيف في الأصل مع ما وقع فيه من التحريف فإن لفظ الحديث أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم أفطرت وصمت وقصرت وأتممت فقال أصبت يا عائشة وهذا مع ضعفه وقيام الأدلة على أنه باطل روي أن عائشة روت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفطر ويصوم ويقصر ويتم فظن بعض الأئمة أن الحديث فيه أنها روت الأمرين عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا مبسوط في موضعه

والمقصود هنا أن السنة للمسافر أن يصلي ركعتين والأئمة متفقون على أن هذا هو الأفضل إلا قولا مرجوحا للشافعي وأكثر الأئمة يكرهون التربيع للمسافر كما هو مذهب أبي حنيفة ومالك وأحمد في أنص الروايتين عنه

ثم من هؤلاء من يقول لا يجوز التربيع كقول أبي حنيفة ومنهم من يقول بجوازه مع الكراهة كقول مالك وأحمد وقال لو كان الله

يجب للمصلي في السفر أن يصلي ركعتين ثم ركعتين لكان استحب له أن يصلي الفرض أربعا فإن التقرب إليه بعض الطهر أفضل من التقرب إليه بالتطوع مع الطهر ولهذا وجب ولو أراد المقيم أن يصلي ركعتين فرضا وركعتين تطوعا لم يجز له ذلك والله تعالى لا يوجب عليه وينهاه عن شيء إلا والذي أمره به خير من الذي نهاه عنه ولم أن صلاة الظهر أربعا خير عند الله من أن يصلي ركعتين وركعتين تطوعا فلما كان سبحانه لم يستحب للمسافر تربيع خير الأمرين عنده فلأن لا يستحب التربيع بالأمر وجوبا عنده أولى

فثبت بهذا الاعتبار الصحيح أن فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أكمل الأمور وأن هديه خير الهدي وأن المسافر إذا اقتصر على ركعتي الفرض كان أفضل له من أن يقرن بهما ركعتي السنة

وبهذا ظهر أن الجمعة لما كانت ظهرا مقصورة لم يكن من السنة أن يقرن بها سنة ظهر المقيم بل جعل كظهر المسافر المقصورة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في السفر ركعتي الفجر والوتر ويصلي على راحلته قبل أي وجه توجهت به ويوتر عليها غير أنه لا يصلي عليها المكتوبة هذا لأن الفجر لم تقصر في السفر فبقيت سنتها على حالها بخلاف المقصورات في السفر والوتر مستقل بنفسه كأنه قيام الليل وهو أفضل الصلاة بعد المكتوبة وسنة الفجر تدخل في صلاة الليل من بعض وجوه فلهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يصليهما في السفر لاستقلاله ورفع مستقبله

والصواب أن يقال ليس قبل الجمعة سنة راتبة مقدرة ولو كان الأذان على عهده فإنه قد ثبت عنه في الصحيح أنه قال بين كل أذانين صلاة بين كل أذانين صلاة بين كل أذانين صلاة ثم قال في الثالثة لمن شاء كراهة أن يتخذها الناس سنة فهذا الحديث الصحيح يدل على أن الصلاة مشروعة قبل العصر وقبل العشاء الآخرة وقبل المغرب وأن ذلك ليس بسنة راتبة وكذلك قد ثبت أن أصحابه كانوا يصلون بين أذاني المغرب وهو يراهم فلا ينهاهم ولا يأمرهم ولا يفعل هو ذلك فدل على أن ذلك فعل جائز وقد احتج بعض الناس على الصلاة قبل الجمعة بقوله بين كل أذانين صلاة وعارضه غيره فقال الأذان الذي على المنابر لم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عثمان أمر به لما كثر الناس على عهده ولم يكن يبلغهم الأذان حين خروج الإمام وقعوده على المنبر ويتوجه عليه أن يقال هذا الأذان لما سنه عثمان واتفق عليه المسلمون صار أذانا شرعيا وحينئذ فتكون الصلاة فيه وبين الأذان الثاني جائزة حسنة وليست سنة راتبة كالصلاة قبل المغرب وحينئذ فمن فعل ذلك لم ينكر عليه ومن ترك ذلك لم ينكر عليه وهذا أعدل الأقوال وكلام الإمام أحمد يدل عليه وحينئذ فقد يكون تركها أفضل إذا كان الجهال يعتقدون أن هذه سنة راتبة ولا سيما إن داوم الناس عليها فينبغي تركها أحيانا حتى لا تشبه الفرض كما استحب أكثر العلماء أن لا يداوم على قراءة السجدة يوم الجمعة مع أنه قد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم فعلها فإذا كان يكره المداومة

على ذلك فترك المداومة على ما لم يسنه النبي صلى الله عليه وسلم أولى
وإن صلاها الرجل بين الأذانين أحياناً لأنها تطوع مطلق أو صلاة
بين أذانين كما يصلي قبل العصر والعشاء لا لأنها سنة راتبة فهذا جائز
وإن كان الرجل مع قوم يصلونها فإن كان مطاعاً إذا تركها وبين لهم
السنة لم ينكروا عليه بل عرفوا السنة فتركها حسن وإن لم يكن مطاعاً
ورأى أن في صلاتها تأليفاً لقلوبهم إلى ما هو أنفع أو دفعاً للخصام
والشر لعدم التمكن من بيان الحق لهم وقبولهم له ونحو ذلك فهذا
أيضاً حسن فالعمل الواحد يكون مستحباً فعله تارة وتركه تارة باعتبار
ما يترجح من مصلحة فعله وتركه بحسب الأدلة الشرعية والمسلم قد
يترك المستحب إذا كان في فعله فساد راجح على مصلحته كما ترك النبي
صلى الله عليه وسلم بناء البيت على قواعد إبراهيم، وقال لعائشة لولا أن
قومك حديثو عهد بجاهلية لنقضت الكعبة ولألصقتها بالأرض ولجعلت
لها بابين باباً يدخل الناس منه وباباً يخرجون منه والحديث في الصحيحين
فترك النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأمر الذي كان عنده أفضل
الأمرين للمعارض الراجح وهو حدثان عهد قريش بالإسلام لما في
ذلك من التنفير لهم فكانت المفسدة راجحة على المصلحة ولذلك استحب
الأئمة أحمد وغيره أن يدع الإمام ما هو عنده أفضل إذا كان فيه تأليف
المأمومين مثل أن يكون عنده فصل الوتر أفضل بأن يسلم في الشفع
ثم يصلي ركعة الوتر وهو يؤم قوماً لا يرون إلا وصل الوتر فإذا لم
يمكنه أن يتقدم إلى الأفضل كانت المصلحة الحاصلة بموافقته لهم بوصل

الوتر أرجح من مصلحة فضيلة مع كراهتهم للصلاة خلفه وكذلك لو كان ممن يرى المخافتة بالبسملة أفضل أو الجهر بها وكان المأمومون على خلاف رأيه ففعل المفضول عنده لمصلحة الموافقة والتأليف التي هي راجحة على مصلحة تلك الفضيلة كان هذا جائزا حسنا وكذلك لو فعل خلاف الأفضل لأجل بيان السنة وتعليمها لمن لم يعلمها كان حسنا مثل أن يجهر بالاستفتاح أو التعوذ أو البسملة ليعرف الناس أن فعل ذلك حسن مشروع في الصلاة كما ثبت في الصحيح أن عمر بن الخطاب جهر بالاستفتاح فكان يكبر ويقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك قال الأسود بن يزيد صليت خلف عمر أكثر من سبعين صلاة فكان يكبر ثم يقول ذلك رواه مسلم في صحيحه ولهذا شاع هذا الاستفتاح حتى عمل به أكثر الناس وكذلك كان ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم يجهرون بالاستعاذة وكان غير واحد من الصحابة يجهر بالبسملة وهذا عند الأئمة الجمهور الذين لا يرون الجهر بها سنة راتبة كان ليعلم الناس أن قراءتها في الصلاة سنة كما ثبت في الصحيح أن ابن عباس صلى على جنازة فقرأ بأم القرآن جهرا وذكر أنه فعل ذلك ليعلم الناس أنها سنة وتنازع الناس في صلاة الجنازة على ثلاثة أقوال فمنهم من لا يرى فيها قراءة بحال كما قاله كثير من السلف وهو مذهب أبي حنيفة ومالك ومنهم من يرى القراءة فيها سنة كقول الشافعي وأحمد لحديث ابن عباس هذا وغيره ثم من هؤلاء من يقول القراءة فيها واجبة كالصلاة ومنهم من يقول بل هي سنة

مستحبه ليست واجبة وهذا أعدل الاقوال الثلاثة فان الناس فعلوا هذا وهذا وكان كلا الفعلين مشهورا بينهم كانوا يصلون على الجنازة بقراءة وبغير قراءة كما كانوا يصلون تارة بالجهر بالبسملة وتارة بغير جهر وتارة بالاستفتاح وتارة بغير استفتاح وتارة برفع اليدين في المواطن الثلاثة وتارة بغير رفع وتارة يسلمون تسليمتين وتارة تسليمة واحدة وتارة يقرؤن خلف الامام بالسر وتارة لا يقرؤن وتارة يكبرون على الجنازة سبعا وتارة خمسا وتارة أربعا كان فيهم من يفعل هذا وفيهم من يفعل هذا كل هذا ثابت عن الصحابة كما ثبت عنهم أن فيهم من كان يرجع في الاذان وفيهم من لم يرجع فيه وفيهم من يوتر الاقامة وفيهم من كان يشفعها وكلاهما ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم

فهذه الامور وان كان احدها أرجح من الآخر فمن فعل المرجوح فقد فعل جائزا وقد يكون فعل المرجوح أرجح للمصلحة الراجحة كما يكون ترك الراجح أرجح احيانا لمصلحة راجحة

وهذا واقع في عامة الاعمال فان العمل الذي هو في جنسه أفضل قد يكون في مواطن غيره أفضل منه كما أن جنس الصلاة أفضل من جنس القراءة وجنس القراءة أفضل من جنس الذكر وجنس الذكر أفضل من جنس الدعاء ثم الصلاة بعد الفجر والعصر منهي عنها والقراءة والذكر والدعاء أفضل منها في تلك الاوقات وكذلك القراءة في الركوع والسجود منهي عنها والذكر هناك أفضل منها والدعاء في آخر الصلاة بعد التشهد أفضل من الذكر

وقد يكون العمل المفضول أفضل بحسب حال الشخص المعين لكونه عاجزاً عن الأفضل أو لكون محبته ورغبته واهتمامه وانتفاعه بالمفضول أكثر فيكون أفضل في حقه لما يقترن به من مزيد عمله وحبه وإرادته وانتفاعه كما أن المريض ينتفع بالدواء الذي يشتهيه ما لا ينتفع بما لا يشتهيه وإن كان جنس ذلك أفضل ومن هذا الباب صار الذكر لبعض الناس في بعض الأوقات خيراً من القراءة والقراءة لبعضهم في بعض الأوقات خيراً من الصلاة وأمثال ذلك لكمال انتفاعه به لا لأنه في جنسه أفضل

وهذا الباب باب تفضيل بعض الأعمال على بعض إن لم يعرف فيه التفضيل وأن ذلك قد يتنوع بتنوع الأحوال في كثير من الأعمال وإلا وقع فيه اضطراب كثير فإن من الناس من إذا اعتقد استحباب فعل ورجحانه يحافظ عليه ما لا يحافظ على الواجبات حتى يخرج به الأمر إلى الهوى والتعصب والحمية الجاهلية كما تجده فيمن يختار بعض هذه الأمور فيراها شعاراً لمذهبه ومنهم من إذا رأى ترك ذلك هو الأفضل يحافظ أيضاً على هذا الترك أعظم من محافظته على ترك المحرمات حتى يخرج به الأمر إلى اتباع الهوى والحمية الجاهلية كما تجده فيمن يرى الترك شعاراً لمذهبه وأمثال ذلك وهذا كله خطأ

والواجب أن يعطى كل ذي حق حقه ويوسع ما وسعه الله ورسوله ويؤلف ما ألف الله بينه ورسوله ويراعى في ذلك ما يحبه الله ورسوله من المصالح الشرعية والمقاصد الشرعية ويعلم أن خير الكلام كلام الله

وجز هدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وان الله بعثه رحمة للعالمين ابه سعادة الدنيا والآخرة في كل امر من الامور وان يكون مع الانسان ميحفظ به هذا الاجمال والا فكثير من الناس ممد هذا مجملا ويدعه عند التفصيل اما جهلا واما ظلما واما طبا واما اتباعا للهوى ونسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا

(فصل) ومن سنة بعد الجمعة مما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يصلي بعد الجمعة ركعتين كما ثبت عنه في الصحيحين أنه كان يصلي قبل الفجر ركعتين وبعد الظهر ركعتين وبعد المغرب ركعتين وبعد العشاء ركعتين وأما الظهر ففي حديث ابن عمر أنه كان يصلي قبلها ركعتين وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنه كان يصلي قبلها أربعا وفي الصحيح عن أم حبيبة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى في يوم وليلة اثنتي عشرة ركعة تطوعا غير فريضة بنى الله له بيتا في الجنة وجاء مفسرا في السنن أربعا قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد العشاء وركعتين قبل الفجر فهذه هي السنن الراتبة التي ثبتت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم بقوله وفعله مدارها على هذه الاحاديث الثلاثة حديث ابن عمر وحديث عائشة وأم حبيبة

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم بالليل اما احدى عشرة واما

ثلاث عشرة ركعة ويكون مجموع صلاته بالليل والنهار فرضه ونفله نحوا من أربعين ركعة

والناس في هذه السنن الرواتب على ثلاثة أقوال منهم من لا يؤقت في ذلك شيئاً كقول مالك فانه لا يرى سنة الا الوتر وركعتي الفجر وكان يقول انما يوقت أهل العراق ومنهم من يقدر في ذلك أشياء بأحاديث صحيحة بل باطلة كما يوجد في مذاهب أهل العراق وبعض من وافقهم من أصحاب الشافعي وأحمد فان هؤلاء يوجد في كتبهم من الصلوات المقدرة والأحاديث في ذلك ما يعلم أهل المعرفة بالسنة انه مكذوب على النبي صلى الله عليه وسلم كمن روى عنه صلى الله عليه وسلم انه صلى قبل العصر اربعا أو انه قضى سنة العصر أو انه صلى قبل الظهر ستا أو بعدها أربعا أو انه كان يحافظ على الضحى وأمثال ذلك من الاحاديث المكذوبة على النبي صلى الله عليه وسلم

وأشد من ذلك ما قد يذكره بعض المصنفين من المتعبدين في الرقائق والفضائل في صلوات الأسبوع وحوليه كصلاة يوم الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس والجمعة المذكورة في كتاب أبي طالب وأبي حامد وعبد القادر وغيرهم وكصلاة الالفية في أول رجب ونصف شعبان وصلاة الاثني عشرية في أول ليلة جمعة من رجب وصلاة ليلة سبع وعشرين من رجب وصلوات أخرى تذكر في الاشهر الثلاثة وصلاة ليلتي العيدين وصلاة يوم عاشوراء وأمثال ذلك من الصلوات المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم مع اتفاق أهل المعرفة

بحديثه على ان ذلك كذب عليه لكن بلغ ذلك أقواما من أهل العلم والدين فظنوه صحيحاً فعملوا به وهم مأجورون على حسن قصدهم واجتهادهم لا على مخالفة السنة

وأما من تبين له السنة فظن أن غيرها خير منها فهو ضال بل كافر

والقول الوسط العدل هو ما وافق سنته الصحيحة الثابتة عنه صلى الله عليه وسلم وقد ثبت عنه انه كان يصلي بعد الجمعة ركعتين وفي صحيح مسلم عنه انه قال من كان منكم مصليا بعد الجمعة فليصل أربعاً

وقد روى الست عن طائفة من الصحابة جمعاً بين هذا وهذا

والسنة أن يفصل بين الفرض والنفل في الجمعة وغيرها كما ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه نهى أن توصل صلاة حتى يفصل بينهما بقيام أو كلام فلا يفعل ما يفعله كثير من الناس يصل السلام بركعتى السنة فان في هذا ارتكابا لنهي النبي صلى الله عليه وسلم وفي هذا من الحكمة التمييز بين الفرض وغير الفرض كما يميز بين العبادة وغير العبادة ولهذا استحب تعجيل الفطور وتأخير السحور والاكل يوم الفطر قبل الصلاة ونهى عن استقبال رمضان بيوم أو يومين فهذا كله للفصل بين المأمور به من الصيام وغير المأمور به والفصل بين العبادة وغيرها وهكذا تميز الجمعة التي أوجبها الله من غيرها وأيضاً كثيراً من أهل البدع كالرافضة وغيرهم لا ينوون الجمعة بل ينوون الظهر و يظهرون أنهم سلموا وما سلموا فيصلون ظهرا

ويظن الظان أنهم يصلون السنة فاذا حصل

تمييز بين الفرض والنفل كان في هذا

منعا لهذه البدعة وهذا له

نظائر كثيرة والله

سبحانه أعلم

تمت الرسالة التاسعة

ويليها الرسالة العاشرة لها أصل

عسر ا مودتين لشيخ لاسلام تقي الدين ابن تيمية رحمه الله تعالى

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قال شيخ الاسلام ناصر السنه قامع البدعة تقي الدين أحمد بن تيمية نفعنا المولى بعلومه وهو تا كسه في القلعة

(فصل) في قل أعوذ برب الفلق قال تعالى فالق الحب والنوى وقال فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والفلق فعل بمعنى مفعول كالقبض بمعنى المقبوض فكل ما فلقه الرب فهو فلق قال الحسن الفلق كل ما انفلق عن شيء كالصبح والحب والنوى قال الزجاج وإذا تأملت الخلق بان لك أن أكثره عن انفلاق كالارض بالنبات والسحاب بالمطر * وقد قال أكثر المفسرين الفلق الصبح فانه يقال هذا أبين من فلق الصبح وفرق الصبح * وقال بعضهم الفلق الخلق كله وأما من قال وادي في جهنم أو شجرة في جهنم أو اسم من أسماء جهنم فهذا أمر لا تعرف صحته لا بدلالة الاسم عليه ولا بنقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا في تخصيص ربوبيته بذلك حكمة بخلاف ما اذا قال رب الخلق أو رب كل ما انفلق أو رب النور الذي يظهره على العباد بالنهار فان في تخصيص هذا بالذكر ما يظهر به عظمة الرب المستعاذ به واذا قيل الفلق يعم ويخص فبعمومه للخلق أستعيذ من شر المخلوق وبخصوصه للنور النهاري أستعيذ من شر غاسق اذا وقب

فان الغاسق قد فسر بالليل كقوله أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وهذا قول أكثر المفسرين وأهل اللغة * قالوا ومعنى

وقب دخل في كل شيء قال الزجاج الغاسق البارد وقيل الليل غسق لانه أبرد من النهار وقد روى الترمذى والنسائي عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم نظر الى القمر فقال يا عائشة تعوذى بالله من شره فانه الغاسق اذا وقب وروى من حديث أبي هريرة مرفوعا أن الغاسق النجم وقال ابن زيد هو الثريا وكانت الاسقام والطواعين تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها وهذا المرفوع قد ظن بعض الناس منافاته لمن فسره بالليل فجعلوه قولا آخر ثم فسروا وقوبه بسكونه قال ابن قتيبة ويقال الغاسق القمر اذا كسف واسود ومعنى وقب دخل في الكسوف وهذا ضعيف فان مقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعارض بقول غيره وهو لا يقول الا الحق وهو لم يأمر عائشة بالاستعاذة منه عند كسوفه بل مع ظهوره وقد قال الله تعالى (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) فالقمر آية الليل وكذلك النجوم انما تطلع فترى بالليل فأمره بالاستعاذة من ذلك أمر بالاستعاذة من آية الليل ودليله وعلامته والدليل مستلزم للمدلول فاذا كان شر القمر موجودا فشر الليل موجود وللقمر من التأثير ما ليس لغيره فتكون الاستعاذة من شر خاصة فيه ويكون هذا كقوله عن المسجد المؤسس على التقوى هو مسجدى هذا مع ان الآية نزلت بسبب مسجد قباء قطعا وكذلك قوله عن أهل الكساء هؤلاء أهل بيتي مع ان القرآن يتناول نساءه فتخصيص الكون بخصوص أولى بوصف ولقمر حق فيكون دليل بالاستعاذة والنبي صلى الله عليه وسلم فيه شياطين الانس

والجن مالا تنتشر بالنهار ويجرى فيه من أنواع الشر مالا يجرى بالنهار من أنواع الكفر والفسوق والعصيان والسحر والسرقة والخيانة والفواحش وغير ذلك فالشر دائماً مقرون بالظلمة ولهذا انما جعله الله لسكون الآدميين وراحتهم لكن شياطين الانس والجن تفعل فيه من الشر مالا يمكنها فعله بالنهار ويتوسلون بالقمر وبدعوته والقمر وعبادته وأبو معشر البلخي له مصحف القمر يذكر فيه من الكفريات والسحريات مايناسب الاستعاذة منه

فذكر سبحانه الاستعاذة من شر الخالق عموما ثم خص الامر بالاستعاذة من شر الغاسق اذا وقب وهو الزمان الذي يعم شره ثم خص بالذكر السحر والحسد * والسحر يكون من الانفس الخبيثة لكن بالاستعانة بالاشياء كالنفث في العقد * والحسد يكون من الانفس الخبيثة أيضاً اما بالعين واما بالظلم باللسان واليد وخص من السحر النفاثات في العقد وهن النساء والحاسد الرجال في العادة ويكون من الرجال ومن النساء (نفسه) والشر الذي يكون من الانفس الخبيثة من الرجال والنساء وهو شر منفصل عن الانسان ليس هو في قلبه كالوسواس الخناس (١) وفي سورة الناس ذكر الوسواس الخناس وبه مبدأ الافعال المذمومة من الكفر والفسوق والعصيان ففيها الاستعاذة من شر مايدخل الانسان من الافعال التي تضره من الكفر والفسوق والعصيان وقد تضمن ذلك الاستعاذة من شر نفسه وسورة الفلق فيها الاستعاذة من شر المخلوقات

(١) من قوله وهن النساء الى قوله الخناس تشويش في العبارة وقد أثبتناه كاصله فليحرر

عموما وخصوصاً ولهذا قيل فيها رب الفلق وقيل في هذه رب الناس
فان فالق الاصباح بالنور يزيل بما في نوره من الخير ما في الظلمة من
الشر وفالق الحب والنوى بعد انعقادهما يزيل ما في عقد النفاثات فان
فلق الحب والنوى أعظم من حل عقد النفاثات وكذلك الحسد هو
من ضيق الانسان وشحه لا ينشرح صدره لانعام الله عليه فرب الفلق
يزيل ما يحصل بضيق الحاسد وشحه وهو سبحانه لا يفلق شيئا الا بخير
فهو فالق الاصباح بالنور الهادي والسراج الوهاج الذي به صلاح العباد
وفالق الحب والنوى أنواع الفواكه والاقوات التي هي رزق الناس
ودوابهم والانسان محتاج الى جلب المنفعة من الهدى والرزق وهذا
حصل بالفلق والرب الذي فلق ... ما يحصل به منافعهم يستعاذ به مما يضر
الناس وطلب منه تمام نعمته بصرف المؤذيات عن عبده الذي ابتدأنا بانعامه
عليه وفلق الشيء عن الشيء هو دليل على تمام القدرة واخراج الشيء
من ضده كما يخرج الحي من الميت والميت من الحي وهذا من نوع الفلق
فهو سبحانه قادر على دفع الضد المؤذي بالضد النافع

(فصل) في قل اعوذ برب الناس الى آخرها قوله من شر
الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس فيها
قولان ... يذكر ... الجوزي القولين ولم يذكر الثالث وهو الصحيح
وهو ان قوله من الجنة والناس ... الوسواس الذي يوسوس من
الجن ومن الناس في صدور الناس فان الله تعالى قد اخبر انه جعل لكل
نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول
غروراً ... هو وسوستهم وليس من شرط الموسوس ان يكون

مسـ تتراً عن البصر دل قد يـ ُهد قال تعالى (فوسوس لهما الشـ ـطان لمدي لهما ما ووري عنهما من سو آتهما وقال مانها كما ربكما عن هده الشجرة الا أن تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين وهـذا كما من عرف قائله ليس شيئاً يلقى فى القلب لايدرى من هو والبليس قد أمر بالسجود لآدم فابى واستكبر فلم يكن من لا يعرفه آدم وهو وانما رون بى آ م من حث لا يرونهم وان آدم ومـ آه

وقد يرى الشـ صين وخن كثير من الناس اكثر لهم من الاحسان والاستفار ماليس للا س وقد قال تعالى (ولـ زين هـم الشـيطان أعمـالهم) وقال (لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى برىء منكم) وقال المفسرين والسيرة ان الشيطان جاءهم في صورة سراقة بن مالك وكانت قوله (كمثل الشـيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين)

وفي حديث أبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذ بالله من شـياطين الانس والجن قلت أو للانس شـياطين قال نعم شر من شياطين الجن

وأيضا للنفس لها وسوسة كما قال تعالى (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه) فهذه توسوس نفسه لنفسه كما قال حديث النبي قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز لامتى عما حدثت به أنفسها ما

تتكلم به أو تعمل به أخرجه في الصحيحين

فالذي يوسوس في صدور الناس نفسه وشياطين الجن وشياطين الانس

والوسواس الخناس يتناول وسوسة الجنة ووسوسة الانس والا أي معنى للاستعاذة من وسوسة الجن فقط مع أن وسوسة نفسه وشياطين الانس هي مما تضره وقد تكون أضر عليه من وسوسة الجن

والقول الثاني أن المراد من شر الوسواس الذي يوسوس في صدور الناس الذي هو من الجن والانس وأنه سمى الجن ناسا كما سماهم رجالا وسماهم نفرا فهذا ضعيف فإن لفظ الناس أشهر وأظهر وأعرف من أن يحتاج إلى تنويعه إلى الجن والانس وقد ذكر الله تعالى لفظ الناس في غير موضع وأيضا فكونه يوسوس في صدور الناس فيه صفة توضيح وبيان والانس ووسوسة الجن معروفة عند الناس وانه لا يعرف هذا بخبر ولا خبر ههنا ثم قد قال من الجنة والناس فكيف يكون لفظ الناس عاما للجنة والناس وكيف يكون قسم الشيء قسيما له فهو يجعل الناس قسيم الجن ويجعل الجن نوعا من الناس وهذا كما يقول أكرم العرب من العجم والعرب فهل يقول هذا أحد ولو سماهم الله ناسا ورجالا لكان في هذا دليل على أنهم يسمون ناسا وبذلك يلتبس ان يجعلهم من الناس بل ذلك مع التقييد كما قال رجال من الجن وما ادخل فيه ولا يلزم من هذا أن يدخلوا في لفظ الناس وفي قوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها فالناس كلهم مخلوقون من

آدم وحواء مع أنه سبحانه يخاطب الجن والانس

والرسول صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الجنسين لكن لفظ الناس أقوى ولكن الجن ولكن تقول يامعشر الجن والانس

وكذلك قول الزجاج ان المعنى من شر الوسواس الذى هو الجنة ومن شر الناس فيه ضعف وان كان أرجح من الاول لان شر الجن أعظم من شر الانس فكيف يطلق الاستعاذة من جميع الناس ولا يستعيذ الا من بعض الجن وأيضا فالوسواس الخناس ان لم يكن الا من الجنة فلا حاجة الى قوله من الجنة ومن الناس فماذا يخص الاستعاذة من وسواس الجنة دون وسواس الناس

وأيضا فانه اذا قدم المعطوف عليه كان عطفه على القريب أولى كما يعود الضمير الى الأقرب أولى الا اذا كان هناك دليل يقتضي العطف على البعيد فعطف الناس هنا على الجنة المقرون به أولى من عطفه على الوسواس

ويكفي ان المسلمين كلهم يقرؤن هذه السورة من زمن نبيهم ولم ينقل هذان القولان الا عن بعض النحاة والاقوال المأثورة عن الصحابة والتابعين لهم باحسان ليس فيها شيء من هذا بل انما فيها القول الذى نصرناه كما فى تفسير معمر عن قتادة من الجنة والناس قال ان فى الجن شياطين وان فى الانس شياطين نعوذ بالله من شياطين الانس والجن فبين قتادة ان المعنى الاستعاذة من شياطين الانس والجن

وروى ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى قوله

الوسواس الخناس قال الخناس الذى يوسوس مرة ويخنس مرة من الجن والانس فيبان ويدل ان الوسواس الخنس من الصنفين وكان يقال شياطين الانس أشد على الناس من شياطين الجن شيطان الجن يوسوس ولا تراه وهذا يعاينك معاينة

وعن ابن جريج من الجنة والناس قال انهما وسواسان فوسواس من الجنة فهو الخناس ووسواس من نفس الانسان فهو قوله والناس وهذا القول الثالث وان كان يشبه قول الزجاج فهذا أحسن منه فانه جعل من الناس من الوسواس الذى في نفس الانسان فمعناه احسن ذكر الثلاثة ابن أبى حاتم فى تفسيره

وأيضا فانه ذكر فى الآية رب الناس ملك الناس اله الناس فان كان المقصود ان يستعيذ الناس بربهم وملكهم والههم من شر ما يوسوس في صدورهم فانه هو الذى يطلب منه الخير الذى ينفعهم ويطلب منه دفع الشر الذى يضرهم والوسواس أصل كل شر يضرهم لانه مبدء الكفر والفسوق والعصيان ونوع من الذنوب انما تكون على ذنوبهم ولم يكن لاحدهم ذنب فكل من نصب نفسه في حقه وسلمه لم يؤخذه فان الله يرفع برحمته ويأخذه بقدر عدم الذنوب مطلقاً لكن هذا ليس بواقع منهم فان كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون وقد قال تعالى (وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) فغاية المؤمنين الانبياء

فمن دونهم هي التوبة قال الله تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم) وقال نوح (رب اني أعوذ بك ان أسألك ما ليس لي به علم والا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين) وقال ابراهيم واسمعيل (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم) وقال موسى (أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين) ودعاء سائر عباد الله كثير معروف وكان الوسواس منه كل شر فان كانوا قد استعادوا منهم وملكهم والهمهم من شره ... في ذلك وسواس الجن والانس وسائر شر الانس انما يتبع بذنوبهم وهو ... على ... كل شر الذي يقع من الجن بغير الوسواس وكل يحصل من ... ... وهم ... ... منها من شر المخلوقات مطلقاً كما ... في سورة الفلق الله من شر الذي يكون مبدؤه في سوء ... ذكر ... من ملك الناس اله الناس استعاذوا به ... وليه ... وهذه ... يحصل عليه من ... وسواس الوسواس في صدور الناس فانه هو الذي يوسوس لظلم الناس ... بعضهم بعضاً ويتعاونون بعضهم بعضاً واعانة بعضهم بعضاً على الاثم والعدوان

فما حصل لادمي شر من أمر الا كان مبدؤه من الوسواس الخناس والا فما يحصل من أذى بعضهم ... اذا لم يكن من الوسواس لم يكن من الوحي الذي ... الله به ... كان عدلا كاقامة الحدود وجهاد الكفار و ... من الظالمين فهذه الامور فيها ضرر وأذى

للعالمين من الانس لكن هي بوحي الله لا من الوسواس وهي نعمة من الله في حق عباده حتى في حق المعاقب فانه اذا عوقب كان ذلك كفارة له ان كان مؤمناً و لا كان تخفيفاً لعذابه في الآخرة بالنسبة الى عذاب من لم يعاقب في الدنيا

ولهذا كان محمد صلى الله عليه وسلم رحمة في حق العالمين باعتبار ما حصل من الخير العام به وما حصل للمؤمنين به من سعادة الدنيا والآخرة وباعتبار أنه في نفسه رحمة من قبلها ولا كان هو الصانع لنفسه وباعتبار أنه قمع الكفار والمنافقين فنقص شرهم وقصروا عما كانوا يفعلونه بدونه وقتل من قتل منهم فكان تعجيل موته خيراً من طول عمره في الكفر له ولنفس فكان محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين بكل اعتبار ولا يستعاذ منه ومن أمثاله من الانبياء وأتباعهم المؤمنين وهم من الناس وان كانوا يفعلون باعدائهم ماهو أذى وعقوبة وألم لهم فلم تبق الاستعاذة من الناس الا مما يكون بوسواس الشيطان فيهم قيد بذلك

من ... على هذا تقدير من شر الوسواس الذي يوسوس بنفسه ومن شر الوسواس الذي يوسوس بغيره من الناس حتى لا يحصل منهم شر بغير ذلك فلا يكون من شر الا من الوسواس وكان الاستعاذة من شر الذي يوسوس هم محصل المقصود وكان حسن العبادة ... وكل ... لا ... يؤذونه ... ستعاذ من شرهم وان فترض الوسواس خالص يكون ذلك نقص لا يحتمل على الانس وهذا لا ... ع ...

فان قيل فان كان أصل الشر كله من الوسواس الخناس فلا حاجة الى ذكر الاستعاذة من وسواس الناس فانه تابع لوسواس الجن

قيل بل الوسوسة نوعان نوع من الجن ونوع من نفوس الانس كما قال (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه) فالشر من الجهتين جميعاً والانس لهم شياطين كما للجن شياطين والوسوسة من جنس الوشوشة بالشين المعجمة يقال فلان يوسوس فلانا وقد وشوشه اذا حدثه سراً في أذنه وكذلك الوسوسة ومنه وسوسة الحلي لكن هو بالسين المهملة أخص

ورب الناس الذي يربيهم بقدرته ومشيئته وتدبيره وهو رب العالمين كلهم فهو الخالق للجميع ولأعمالهم

وملك الناس الذي يأمرهم وينهاهم وبملك يتصرف بالكلام والجماد لا ملك له فانه لا يعقل الخطاب لكن له مالك وانما يكون الملك لمن يفهم عنه والحيوان يفهم بعضه عن بعض كما قال علمنا منطق الطير وقالت نملة يأيها النمل فلهذا كان له ملك من جنسه ومن غير جنسه كما كان سليمان مالكهم والاله هو المعبود الذي هو المقصود بالارادات والاعمال كلها كما قد بسط الكلام على ذلك

وقد قيل انما خص الناس بالذكر لانهم مستعيذون أو لانهم المستعاذ من شرهم ذكرهما أبو الفرج وليس لهما وجه فان وسواس الجن أعظم ولم يذكره بل ذكر الناس لانهم المستعيذون فيستعيذون بربهم الذي يصونهم وبملكهم الذي أمرهم ونهاهم وبالههم الذي يعبدونه من شر الذي يحول

فيهم وسوس عادته ويستعيذون أيضاً من شر الوسواس الذي يحصل في نفوس الناس منهم ومن الجنة فإنه أصل الشر الذي يصدر منهم والذي يرد عليهم

(فصل) وبهذا يتبين بعض هذه الاستعاذة وأتي منها كما جاءت بذلك الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لم يستعذ المستعيذون بمثلهما فإن الوسواس أصل كل كفر وفسوق وعصيان فهو أصل الشر كله فمتى وقي الإنسان شره وقي عذاب جهنم وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات وفتنة المسيح الدجال فإن جميع هذه إنما تحصل بطريق الوسواس ووقي عذاب الله في الدنيا والآخرة فإنه إنما يعذب على الذنوب وأصلها من الوسواس ثم إن دخل في الآية وسواس غيره بحيث يكون قوله من شر الوسواس استعاذة من الوسواس الذي يعرض له والذي يعرض الناس بنفسه فقد وقي ظلمهم وإن كان إنما يريد وسواسه فهم إنما يتسلطون عليه بذنوبه وهي من وسواسه قال تعالى (أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم) وقال (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) وقال (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك)

والوسواس من جنس الحديث والكلام ولهذا قال المفسرون في قوله ما توسوس به نفسه قالوا ما تحدث به نفسه ، وقد قال صلى الله عليه وسلم إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل به

وهو نوعان خبر وإنشاء فالخبر إما عن ماض وإما عن مستقبل

فالماضي يذكره به والمستقبل يحدثه بأن يفعل هو أموراً أو أن أموراً ستكون بقدر الله أو بفعل غيره فهذه الأماني والمواعيد الكاذبة والانشاء أمر ونهي وإباحة

والشيطان تارة يحدث بوسواس الشر وتارة بنسي الخير وكان ذلك يشغله به من حديث النفس قال تعالى (وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) وقال في موسى (فاني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان) وقال تعالى (فأنساه الشيطان ذكر ربه)

وثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا أذن المؤذن أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين فإذا قضى التأذين أقبل فإذا ثوب بالصلاة أدبر فإذا قضى التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه فيقول اذكر كذا اذكر كذا ما لم يذكر حتى يظل الرجل لم يدر كم صلى فيشغله بذكره أمور مضت حدث بها نفسه مما كان في نفسه من أعماله ومن غير أعماله فتلك الأمور تنسى المصلي كم صلى ولم يدر كم صلى فإن النسيان أزال ما في النفس من الذكر وشغلها بأمر آخر حتى نسي الأول وما أخبر به مما يكون في المستقبل من المواعيد والأماني

كما قال وقال الشيطان لما قضي الأمر (إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم) وفي هذه الآية أمره ووعده وقال تعالى (ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون

عنها محمد ﷺ . وقال تعالى (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم) فى هذه الآية أمره ووعده وقال موسى لما قتل القبطي (هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين) وقد قال غير واحد من الصحابة كأبي بكر وابن مسعود فيما يقولونه باجتهادهم إن يكن صوابا فمن الله وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان فجعلوا ما يلقى فى النفس من الاعتقادات التي ليست مطابقة من الشيطان وإن لم يكن صاحبها آثما لأنه اجتهد وسعه كما لا يأثم بالوسواس الذي يكون فى الصلاة من الشيطان ولا بما يحدث به نفسه وقد قال المؤمنون (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) وقد قال الله قد فعلت

والنسيان يحصل من الشيطان والخطأ من الشيطان قال تعالى (وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) وقد قال صلى الله عليه وسلم من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها [illegible] وصح عنه [illegible] فى غزوة [illegible] قال لأصحابه [illegible] الشيطان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من الشيطان وإن كان معفوا عنه [illegible] من الشيطان [illegible] [illegible]

وقد ثبت فى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الرؤيا

ثلاثة رؤيا من الله ورؤيا من الشيطان ورؤيا مما يحدث به المرء نفسه في اليقظة فيراه في النوم وقد قيل ان هذا من كلام ابن سيرين لكن تقسيم الرؤيا الى نوعين نوع من الله ونوع من الشيطان صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم لا ريب فيه فهذان النوعان من وسواس النفس ومن وسواس الشيطان وكلاهما مذموم فان الاثم قد يقع في القلب ووسواس الشيطان ينسي القلب كثيراً من الحال فينسيه ما كان معه من الايمان حتى يعمى عن الحق ويقع في الباطل فاذا كان من المتقين كما قال الله ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) فان الشيطان مسهم بطيف منه يغشى القلب وقد يكون لطيفاً وقد يكون كثيفاً الا أنه غشاوة على القلب تمنعه ابصار الحق قال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا اذنب نكت في قلبه نكتة سوداء فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه وان زاد زيد فيها حتى تعلو قلبه فذلك الران الذي قال الله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون)

لكن طيف الشيطان غير رين الذنوب هذا جزاء على الذنب والغين ألطف من ذلك كما في الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم قال انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم سبعين مرة والشيطان يلقي في النفس الشر والملك يلقي الخير وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما منكم من أحد الا وقد وكل به قرينه من الملائكة وقرينه من الجن قالوا واياك يا رسول الله قال واياي الا أن الله أعانني عليه فأسلم وفي رواية فلا يأمرني الا بخير أي استسلم وانقاد

وكان ابن عيينة يرويه فأسلم بالضم ويقول إن الشيطان لا يسلم لكن قوله في الرواية الأخرى فلا يأمرني إلا بخير دل على أنه لم يبق يأمره بالشر وهذا إسلامه وإن كان كف به من خضوعه وذلته لا عن إيمان به بالله كما يقهر الرجل عدوه الظاهر ويأسره وقد عرف العدو المقهور أن ذلك الظاهر يعرف بشره به علمه من الشر فلا يعمله بل يوافقه على ذلك فيحتاج لاشتهاره معه إلى أنه لا يشير عليه إلا بالخير لذاته وغيره لا لصلاحه ودينه وهذا قال صلى الله عليه وسلم إلا أن الله أعانني عليه فلا يأمرني إلا بخير وقال ابن مسعود إن للملك لمة وإن للشيطان لمة فلمة الملك إيعاد بخير وتصديق بالحق ولمة الشيطان إيعاد بشر وتكذيب بالحق وقد قال تعالى (إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه) أي يخوفكم أولياءه بما يقذف في قلوبكم من الوسوسة المرعبة كشيطان الإنس الذي يخوف من العدو فيرجف ويخذل وعكس هذا قوله تعالى (إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب) وقال تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) وقال تعالى (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً) وثبات حصل للإنسان بالأمرين وذلك بما يلقيه من التصديق بالحق والوعد بالخير كما قال ابن مسعود لمة الملك وعد بالخير وتصديق بالحق فمتى علم الإنسان أن ما أخبر به الرسول حق صدقه وإذا علم أن الله قد وعده تصدق بما وعد الله ثبت فهذا ثبت بالكلام كما يثبت الإنسان في أمر قد اضطرب فيه من يخبره

بصدقه وبخبره بما يبين له أنه منصور فيثبت وقد يكون التثبت بالعمل بأن يسدد العامل حتى يثبت كما يمسك الانسان الانسان حتى يثبت

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من سأل القضاء واستعان عليه وكل اليه ومن لم يسأل القضاء ولم يستعن عليه أنزل الله عليه ملكا يسدده فهذا الملك يحمله يسدده القول بما يلقي في قلبه من تصديق بالحق والوعد بالخير وقد قال تعالى (هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور) فدل ذلك على أن هذه الصلاة سبب خروجهم من الظلمات الى النور وقد ذكر اخراجه للمؤمنين من الظلمات الى النور في غير آية كقوله (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات) وقال (هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور) وقال (كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم) وفي الحديث ان الله وملائكته يصلون على معلمي الناس الخير وذلك أن هذا تعليمه خير يخرج الناس من الظلمات الى النور والخير من جنس العمل وهذا كان يربون الحق الناس فكان هذه الصلاة كما قال تعالى (ان الله وملائكته يصلون على النبي) والصلاة هي الدعاء بما تضمن الدعاء وما يجعله يصنع فالملائكة يدعون للمؤمنين كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال والملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه مالم يحدث اللهم اغفر له اللهم ارحمه مالم يحدث وبين أن صلاتهم قولهم

ألا اللهم اغفر له اللهم ارحمه

وفي الأثر ان الرب يصلي فيقول سبقت أو غلبت رحمتي غضبي وهذا كلامه سبحانه هو خبر وانشاء يتضمن أن الرحمة تسبق الغضب وتعالى وهو سبحانه لا يدعو غيره ان يفعل كما يدعوه الملائكة وغيرهم من الخلق بل طلبه بأمره وقوله وقسمه كقوله لأفعلن كذا وقوله كن فيكون وقوله لأفعلن كذا قسم منه كقوله لأملأن جهنم منك وممن تبعك وقوله (ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) وقوله (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) وقوله (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ان الله قوي عزيز) وهذا وعد مؤكد بالقسم بخلاف قوله (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا) فإن هذا وعد وخبر ليس فيه قسم لكنه مؤكد بإن التي تكون تكون خبرا وقسما وقوله (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) وقوله (ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) ونحو ذلك وعد مجرد

وقد قال تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء) فجعل ما يوحي الى البشر تارة وحيا منه وتارة يرسل رسولا فيوحي الى الرسول بإذنه ما يشاء

والملائكة رسل الله ولفظ الملك يتضمن معنى الرسالة فإن أصل

الكلمة ثلاث على وزن مفعل لكن اكثروا الاستعمال فحذفت ثم ألقيت حركة همزة على الساكن قبلها وحذفت الهمزة وملاك مأخوذ من الألوك والملاك بتقديم الهمزة على اللام واللام على الهمزة وهو الرسالة وكذلك الالوكة بتقديم همزة على اللام قال الشاعر

ألك النعمان عني مألكا * فقد طال حبسي وانتظاري

وهذا بتقديم الهمزة لكن الملك هو بتقديم اللام على الهمز وهذا أجود فإن نظيره في الاشتقاق الاكثر لان الملوك تدالا الكلام والإلجام والفأس أدوى من الواو ويبدو في الاسفل في الاوسط أكل بأكل دون الاكل بوك مايدخله في حوفه من الغذاء والكلام والعلم مايدخل في الناس ويغذى به صاحبه قال عبد الله بن مسعود ان كل آدب يحب أن تؤتى مأدبته وان مأدبة الله القرآن والادب المدعاة والأدبة الضيافة وهو ميل من طعام الضيف ومن أن الله ضيف عباده بالكلام الذي أنزله إليهم فهو غذاؤهم وقوتهم وهو أشد اشتياقا به واحتياجا اليه من حسد بدنه

وقال علي رضي الله عنه ... ... الذين يعدون الناس بالحكمة ويربونهم عليها وقد قال صلى الله عليه وسلم انى أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني وقد أخبر الله تعالى أن القرآن شفاء لما في الصدور والناس الى الغذاء أحوج منهم الى الشفاء في الموت والابدان وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم قال مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة أمسكت الماء فأنبتت الكلا

والعشب الكثير وكانت منها طائفة أمسكت الماء فشرب الناس وسقوا وزرعوا وكانت منها طائفة إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلا فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به من الهدى والعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به

وأخبر أن ما بعث به للقلوب كالماء للأرض تارة تشربه فتنبت وتارة تحبسه وتارة لا تحبسه ولا تنبت والأرض تشرب الماء وتغتذي به حتى يحمل الخير وقد أخبر الله تعالى أنه روح تحيا به القلوب فقال (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم) وقد كان ما يوحيه إلى عبده تارة يكون بواسطة ملك وتارة بغير وساطة فهذا للمؤمنين كلهم مطلقا لا يختص به الأنبياء قال تعالى (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه) وقال تعالى (وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون) وإذا كان قد قال (وأوحى ربك إلى النحل) الآية فقد ذكر أنه يوحي لهم فالى الإنسان أولى وقد قال تعالى (وأوحى في كل سماء أمرها) وقد قال تعالى (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) فهو سبحانه ملهم الفجور والتقوى لكن والفجور يكون بواسطة الشيطان وهو إلهام وسوسة والتقوى بواسطة ملك وهو إلهام وحي هذا أمر بالفجور وهذا أمر بالتقوى والأمر لابد أن يقترن به خبر

وقد صار في العرف لفظ الإلهام إذا أطلق لا يراد به الوسوسة

وهذه الآية مما تدل على أنه يفرق بين إلهام الوحي وبين الوسوسة فالمأمور به إن كان تقوى الله فهو من إلهام الوحي وإن كان من الفجور فهو من وسوسة الشيطان

فيكون الفرق بين الإلهام المحمود وبين الوسوسة المذمومة هو الكتاب والسنة فإن كان مما ألقي في النفس مما دل الكتاب والسنة على أنه تقوى لله فهو من الإلهام المحمود وإن كان مما دل على أنه فجور فهو من الوسواس المذموم وهذا الفرق مطرد لا ينتقض وقد ذكر أبو حازم في الفرق بين وسوسة النفس والشيطان فقال ما كرهته نفسك لنفسك فهو من الشيطان فاستعذ بالله منه وما أحبته نفسك لنفسك فهو من نفسك فانهها عنه

وقد تكلم النظار في الحاصل في القلب عقب النظر والاستدلال وذكروا فيه ثلاثة أقوال كما ذكر ذلك أبو حامد في مستصفاه وغيره قول الجهمية وقول المعتزلة وقول الفلاسفة وكثير من أهل الكلام لا يذكر إلا قولين قول الجهمية وقول المعتزلة

وذلك أنهم يذكرون في كتبهم ما يعرفونه من أقوال من يعرفونه تكلم في هذا وهم لا يعرفون إلا هؤلاء والمسألة هي من فروع القدر فإن الحاصل في النفس حادث فيقال فيه كالأقوال في أمثاله

ومذهب جهم ومن وافقه كأبي الحسن الأشعري وكثير من المتأخرين المثبتة هو مذهب أهل السنة والجماعة أن الله خالق كل شيء وأن الله خالق أفعال العباد لكنه لا يثبت سببا ولا قدرة مؤثرة ولا حكمة

لفعل الرب فأنكر الطبائع والقوى التي في الأعيان وأنكر الأسباب والحكم فلهذا لم تجعل لشيء سببا بل يقول هذا حاصل بخلق الله وقدرته ولم يذكروا له سببا وهم صادقون في إضافته إلى قدرته وأنه خالقه لكن بمعونة سبب من تمام المعرفة إثبات الأسباب ومعرفتها * وأما القدرية من المعتزلة وغيرهم فبنوه على أصلهم وهو أن كل ما تولد من فعل العبد فهو فعله لا يضاف إلى غيره كالشبع والري وزهوق الروح ونحو ذلك فقالوا هذا العلم متولد عن نظر العبد وتذكر النظر والمتفلسفة بنوه على أصلهم في أن كل ما يحدث من صور هو من فيض فعال عند استعداد القوابل فلما حصل في نفوس البشر من فيض العقل الفعال عند استعداد نفس الشخص بالمقدمتين وهذا قول خطأ والذي قبله أقرب منه والأول أقرب وليس في شيء من تحقيق الأمر في ذلك

وحقيقته أن الله وكل بالإنس ملائكة وشياطين يلقون في قلوبهم الخير والشر والعلم الصادق من الخير والعقائد الباطلة من الشر كما قال ابن مسعود لمة الملك تصديق بالحق ولمة الشيطان تكذيب بالحق وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم في القاضي أنزل الله عليه ملكا يسدده وكما أخبر الله أن الملائكة توحي إلى البشر ما توحيه وإن كان البشر لا يشعر بأنه من الملك كما لا يشعر بالشيطان الموسوس لكن الله أخبر أنه يكلم البشر وحيا ويكلمه بملك يوحي بإذنه ما يشاء والثالث التكليم من وراء حجاب وقد قال بعض المفسرين المراد بالوحي هنا الوحي في المنام و-

يذكر أبو الفرج غيره وليس الامر كذلك فان المنام تارة يكون من الله وتارة يكون من النفس وتارة يكون من الشيطان وهكذا ما يلقى في اليقظة والانبياء معصومون في اليقظة والمنام وهذا كانت رؤيا الانبياء وحيا كما قال حديث ابن عباس وعبيد بن عمير وقرأ قوله اني أرى في المنام أني أذبحك وليس كل من رأى رؤيا كانت وحيا وكذلك ليس كل من ألقي في قلبه شيء يكون وحيا ولا الشيطان يتكون نفسه في يقظته أكمل منها في نومه كالمصلي الذي يناجي ربه فاذا جاز أن يوحي اليه في حال النوم

فلماذا لا يوحى اليه في حال اليقظة كما أوحي الى أم موسى

والحواريين والى النحل لكن ليس لاحد أن يطلق

القول على ما يقع في نفسه انه وحي لا في

يقظة ولا في المنام الا بدليل يدل

على ذلك دون الوسواس

عن الناس

والله أعلم

تمت الرسالة العاشرة

ويليها الرسالة الحادية عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخ الاسلام علامة الانام أبو العباس تقي الدين أحمد بن تيمية رضي الله عنه

﴿ فصل فيمن أوقع العقود المحرمة ثم تاب قال الله تعالى في الربا (وان تبتم فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) وقد بسط الكلام على هذا في موضعه وقد قال تعالى لما ذكر الخلع والطلاق وقال في الخلع (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله فان خفتم أن لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) الى قوله (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه) وقال تعالى (اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة تلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا)

فالطلاق المحرم كالطلاق في الحيض وفي طهر قد أصابها فيه حرام

بالنص والاجماع وكالطلاق الثلاث عند الجمهور وهو تعد لحدود الله وفاعله ظالم لنفسه كما ذكر الله تعالى انه من يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه والظالم لنفسه اذا تاب تاب الله عليه لقوله (ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما) فهو اذا استغفره غفر له ورحمه وحينئذ يكون من المتقين فيدخل فى قوله (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب)

والذين ألزمهم عمر ومن وافقه بالطلاق المحرم كانوا عالمين بالتحريم وقد نهوا عنه فلم ينتهوا فلم يكونوا من المتقين فهم ظالمون لانفسهم مستحقون للعقوبة وكذلك قال ابن عباس للناس المستفتين ان عمك لم يتق الله فلم يجعل له فرجا ومخرجا ولو اتقى الله لجعل له فرجا ومخرجا وهذا انما يقال لمن علم ان ذلك محرم وفعله فمن لم يعلم بالتحريم لا يستحق العقوبة ولا يكون متعديا فاذا عرف أن ذلك محرم وتاب من عوده اليه والتزم أن لا يفعله والذين كان النبى صلى الله عليه وسلم يجعل ثلاثهم واحدة في حياته كانوا يتوبون فيصيرون متقين ومن لم يتب فهو الظالم كما قال (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون) فحصر الظلم فيمن لم يتب فمن تاب فليس بظالم فلا يجعل متعديا لحدود الله بل وجود قوله كعدمه ومن لم يتب فهو محل اجتهاد فعمر عاقبهم بالالزام ولم يكن هناك تحليل وكانوا لاعتقادهم ان النساء يحرمن عليهم لا يقعون في الطلاق المحرم فانكفوا بذلك عن تعدي حدود الله فاذا صاروا يوقعون الطلاق المحرم ثم يردون النساء بالتحليل المحرم صاروا يعملون

المحرم مرتين ويتعدون حدود الله مرتين بل ثلاثا بل أربعاً لان الطلاق الاول كان تعديا لحدود الله وكذلك نكاح المحلل لها ووطؤه لها بقصد بذلك ملعونا هو والزوج الاول فقد تعدى حدود الله هذا مرة اخرى وذاك مرة والمرأة ووليها لما علموا بذلك وفعلوه كانوا متعدين لحدود الله فلم يحصل بالالزام في هذه الحال الكفاف عن تعدي حدود الله بل زاد التعدي لحدود الله وترك الزامهم بذلك وان كانوا ظالمين غير تائبين خير من الزامهم فذلك الذي يعود الى تعدي حدود الله مرة بعد مرة واذا قيل فمن استفتى ابن عباس ونحوه لو قيل له تب لتاب ولهذا كان ابن عباس يفتي احيانا بترك الزوم كما نقله عنه عكرمة وغيره

وعمر ما كان يجعل الخلية والبرية الا واحدة رجعية ولما قال عمر (ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً) وانما كان الالزام عنا ظاهراً كان تخصيص البعض بالاعانة بقصد لذلك ويتوقى سوية

فالمراتب أربعة أما اذا كانوا يتقون الله ويتوبون فلا ريب ان ترك الالزام كما كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر خير وان كانوا لا يتقون ولا يتوبون ولا يقفون عند حدود الله ولا يحتاجون الى التحليل فيهم هو مصلحة ... في زمانها فيهم عمر و ... ... حو ... ... التحليل ... ... لا يبون بل يوقعون محرمه ويريدونه لا ... فيهم ... في ... فائدة لا اضرو ... ... يوجب لهم ... وحفظ ... حرمت ... وحرمت ... وشارع ... شرع ... حرمة

الدماء وتخريب الديار بل ترك الزامهم بذلك اولى فساداً وان كانوا ادنبوا فهم مدينون على التقديرين لكن تخريب الديار أكثر فساداً والله لايحب الفساد واما ترك الالزام فليس فيه الا أنه أذنب ذنباً بقوله فلم نتب منه وهذا اولى فساداً من الفساد الذى قصد الشارع دفعه ومنعه بكل طريق

وأصل المسئلة أن النهي يدل على ان المنهي عنه فساده راجح على صلاحه ولا يشرع ما فيه الفساد من شرع دفعه ومنعه

وأصل هذا ان كل ما نهى الله عنه وحرمه فى بعض الاحوال وأباحه فى حال أخرى فان الحرام لايكون صحيحاً نافذاً كالحلال يترتب عليه الحكم كما يترتب على الحلال ويحصل به المقصود كما يحصل وهذا معنى قولهم النهي يقتضى الفساد وهذا مذهب الصحابه والتابعين لهم باحسان وأئمة المسلمين وجمهورهم*وكثير من المتكلمين من المعتزلة والاشعرية يخالف فى هذا لما ظن ان بعض ما نهى عنه ليس بفاسد كالطلاق المحرم والصلاة فى الدار المغصوبة ونحو ذلك

قالوا لو كان النهي موجباً للفساد لزم انتقاض هذه العلة فدل على أن الفساد حصل بسبب آخر غير مطلق النهي

وهؤلاء لم يكونوا من أئمة الفقه العارفين بتفصيل أدلة الشرع فقيل لهم باى شئ تعرف أن العبادة فاسدة والعقد فاسد قالوا بأن يقول الشارع هذا صحيح وهذا فاسد وأما هذا فشرط في صحته كذا وكذا فاذا وجد المانع انتفت صحته

وهؤلاء وأمثالهم لايتكلمون في الادلة الشرعيه لوافقة وهي الادلة التى

جعلها الله ورسوله أدلة على الاحكام الشرعية بل يتكلمون في أمور يقدرونها في أذهانهم انها ادلة وبعد هل يستدل بها أم لا استدلال والكلام في ذلك لافائدة فيه

ولهذا لا يمكنهم أن ينتفعوا بما يقدرونه من أصول الفقه في الاستدلال بالادلة المفصلة على الاحكام فانهم لم يعرفوا نفس أدلة الشرع الواقعة بل قدروا أشياء قد لا تقع وأشياء ظنوا انها من جنس كلام الشارع وجد من هذا الباب

فان الشارع لم يدل الناس قط بهذه الالفاظ التي ذكروها ولا يوجد في كلامه شروط البيع أو النكاح كذا وكذا ولا هذه العبادة أو العقد صحيح أو ليس بصحيح ونحو ذلك مما جعلوه دليلا على الصحة والفساد بل هذه كلها عبارات أحدثها من أحدثها من أهل الرأي والكلام

وانما الشارع دل الناس بالامر والنهي والتحليل والتحريم وبقوله في عقود هذا لا يصلح فيعلم ان الصلاح المضاد للفساد فاذا قال لا يصلح علم انه فاسد كما قال في بيع مدين بمد تمرا لا يصلح والصحابة والتابعون وسائر أئمة المسلمين كانوا يحتجون على فساد العقود بمجرد النهي كما احتجوا على فساد نكاح ذوات المحارم بالنهي المذكور في القرآن وكذلك على فساد عقد الجمع بين الاختين ومنهم من توقف في التحريم لما تعارض فيه عندهم فتوقف وقيل ان بعضهم أباح الجمع

وكذا نكاح المطلقة ثلاثا استدلوا على فساده بقوله (فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره)

وكذلك الصحابة استدلوا على فساد نكاح الشغار بالنهي عنه وكذلك [illegible] وغيرها

وهم قد علموا [illegible] فهو من الفساد ليس من الصلاح [illegible] والصلاح [illegible] وانما [illegible]

[illegible] مصلحة [illegible]

وقد علموا ان مقصود الشرع رفع الفساد ومنعه لا وقوعه و لا الزام [illegible] لكانوا مفسدين غير مصلحين وانه لا [illegible] عمل [illegible] وقوله (واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض) أي [illegible] من عمل بمعصية الله فهو مفسد والمحرمات مفسدة [illegible]

ولا يوجد قط في شيء من صور [illegible] صحة [illegible] والصلاة في الدار المغصوبة فيها نزاع [illegible] صحة [illegible] مع المحتج بهما حجة لكن [illegible] كبيع المصراة [illegible] سلع و [illegible] وكل هذه الانواع [illegible] لازمة [illegible] الحلال [illegible] لازمة [illegible] أصلها وان [illegible] الحق في ذلك له والشارع [illegible]

ما كان في ابتداء العقد مثل ان علم بالعيب و [illegible] ولمصرية ويعلم المعرّا كان قدما [illegible] و رضى بان يعلم الى حالة ذلك وكذلك اذا علم [illegible] رضى [illegible] وان لم يرض كان له الفسخ وهذا يدل على ان [illegible] عن لازم [illegible] على الاجازة ان شاء أجازه صاحب الحق وان [illegible] رده [illegible] ومثل بيع المعيب مما فيه شرط [illegible] شرط في [illegible] على الاجازة وهو لازم [illegible] كان على صحة [illegible] كان على صحة وأما اذا كان غير لازم [illegible] هو موقوف على [illegible] لمحرومه [illegible] و [illegible] [illegible] يقولون بوقف عقود [illegible] وغيرها وعليه أكثر نصوص أحمد وهو [illegible] أصحابه كالخرقي وغيره كما هو مبسوط في موضعه

المقصود هنا ان هذا النوع بحسب [illegible] من [illegible] مثل [illegible] [illegible] [illegible] لا يحب أن [illegible] الفساد [illegible] الخشن [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible] من صحيح كما [illegible] [illegible]

[illegible]

والتحقيق [illegible] حرمت والصدقات [illegible] [illegible]

صاحب السلعة بالنجش ورضي بذلك جاز وكذلك اذا علم ان غيره ينجش وكذلك المخطوبة في اذن الخاطب الاول فيها جاز ولما كان النهي هنا لحق الآدمي لم يجعله الشارع صحيحا لازما كالحلال بل اثبت حق المظلوم وسلطه على الخيار فان شاء امضى وان شاء فسخ فالمشتري مع النجش ان شاء رد المبيع فحصل بهذا مقصوده وان شاء رضي به اذا علم بالنجش فاما كونه فاسدا مردودا وان رضي به فهذا لا وجه له وكذلك الرد بالعيب والتدليس والتصرية وغير ذلك وكذلك المخطوبة ان شاء الخاطب أن يفسخ نكاح هذا المتعدي عليه ويتزوجها برضاها فله ذلك وان شاء أن يمضي نكاحه فله ذلك وهو اذا اختار فسخ نكاحه عاد الأمر الى ما كان فان شاءت نكحته وان شاءت لم تنكحه اذ مقصوده حصل بفسخ نكاح الخاطب والاول هو غير قلب المرأة عليّ قبل ان [illegible] نكاحه ويكون هذا قصاصاً لظلمه [illegible] وان شاء [illegible] عنه [illegible] نكاحه

وكذلك الصلاة في الدار المغصوبة والذبح بآلة مغصوبة وطبخ الطعام بحطب مغصوب و[illegible] بحطب مغصوب كل هذا انما حرم لما فيه من ظلم الانسان وذلك يزول باعطاء المظلوم حقه فاذا أعطاه بدل ما أخذه من منفعة [illegible] أو من أعيان ماله فأعطاه كراء الدار و[illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] من حق [illegible] حق [illegible] [illegible] [illegible]

أجرة دفعه لا تحرم الشاة كلها وكان لصاحب الدار أجرة داره لا تحبط صلاته كلها لا تحل هذه الشبهة وهذا إذا أكل الطعام ولم يوفه ثمنه كان بمنزلة من أخذ طعاما لغيره فيه شركة ليس فعله حراما ولا هو حلالا محضا فان نصيح الطعام صاحب ابو قود فيه شركة وكذلك الصلاة متى عليه إثم الظلم ينتقص من صلاته بقدره فلا تبرأ ذمته كبراءة من صلى صلاة تامة ولا يعاقب كعقوبة من لم يصل بل يعاقب على قدر ذنبه

وكذلك آكل الطعام يعاقب على قدر ذنبه والله تعالى يقول (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) والنهي في الصلاة في الثوب النجس وبالمكان النجس بخلاف هذا لأنه هناك لا سبيل له الى براءة ذمته إلا بالإعادة وهنا يمكنه ذلك بأداء حقه المظلوم ولكن الصلاة في الثوب الحرير هي من ذلك فمنهم الحق فيها لله لكن نهى عن ذلك في الصلاة وغير الصلاة لم ينه عنه في الصلاة فقط

وقد تنازع الفقهاء في مثل هذا فمنهم من يقول النهي هنا لمعنى في غير [illegible] يقولون في الصلاة في الدار المغصوبة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

في الصلاة [illegible] فهذا [illegible] فإن [illegible] وقت الداء [illegible] لا
[illegible] الصلاة [illegible] وجود في [illegible] لا [illegible]
[illegible] في صلاة [illegible] هناك [illegible]
[illegible] وكذلك خرج عن [illegible]
[illegible] من محرمات [illegible] الا [illegible]
[illegible] لا [illegible] الى [illegible] الرحم والقطيعة
أمر خرج عن [illegible] حرما [illegible] من عمل
الشيطان لان [illegible] والمداوة والبغضاء
وهو [illegible] خرج عن [illegible] لان [illegible] إلى أكل
[illegible] باطل وذلك خرج عن [illegible]

[illegible] لابد أن استعمل [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وكذلك في [illegible] كل شيء
[illegible] الحرمة [illegible]
[illegible] ونحو
[illegible]
[illegible]

[illegible]
يكون [illegible] في [illegible]

فيدل على صحته كالنهي عن صوم يومي العيدين قالوا هو منهي عنه لوصف العينين لا لجنس الصوم فاذا صام صح لانه سماه صوما وقال ط، وكالنهي عن صوم في أيام الحيض وكذلك الصلاة بلا طهارة والى غير القبلة حسنه مشروع وانما النهي لوصف خاص وهو الحيض والحدث والاستقبال لغير القبلة ولا نعرف من هذا وهذا فرق معقول له تأثير في الشرع * فانه اذا قيل الحيض والحدث صفة في الحائض والمحدث وذلك صفة في الزمن * قيل والصفة في محل الفعل زمنه ومكانه كالصفة في فاعله فانه لو وقف بعرفة في غير وقتها أو في غير عرفة لم يصح وهو صفة في الزمن والمكان وكذلك لو رمى الجمار في غير أيام منى أو في غير منى وهو صفة في الزمن والمكان والاستقبال غير الملة هو الصفة في الجهة لاوية ولايجوز ولوصام ليلة لم يصح وان كان هذا زمنه * فان قيل الليل ليس بمحل للصوم شرعا * قيل ويوم العيد ليس بمحل للصوم شرعا كما أن زمان الحيض ليس بمحل للصوم شرعا

فالفرق بين هذا لابد أن يكون فرقا شرعيا فيكون معقولا ويكون مما شهد له الشارع بالاعتبار وكونه مؤثرا في الحكم فتثبت الحكم ... وحرمة لمعنى مختص ...

وكثير من الناس من يذكر فروقا لاحقيقة لها ولا تأثير لها في الشرع وهذا يقولون في المسئلة انه قد نبه في الوصف الذي للاصل والفرع أو تبع تأثيره في الاصل وذلك انه قد يذكر وصفا يجمع به بين الاصل والفرع ولا يكون ذلك الوصف مشتركا بينهما بل قد يكون منتفيا عنهما

أو عن أحدهما وكذلك الفرق قد يفرق بوصف يدعى استقلاله باحدى
الصورتين ليس هو مختصا بها بل هو مشترك بينهما وبين الأخرى
وهو الذي نهي [illegible] عنه وذلك لمعنى في غيره أو ذلك لمعنى في
وصفه دون أصله ولكن قد يكون النهي عنه يختص بالعبادة والعقد وقد
يكون لمعنى مشترك بينها وبين غيرها كما نهي المحرم عما يختص بالاحرام
مثل حلق الرأس ولبس العمامة وغير ذلك من الثياب المنهى عنها ونهى
عن نكاح امرأة ونهى عن صيد البر ونهى مع ذلك عن الربا وعن
ظلم الناس فيما يملكونه من الصيد وحينئذ فالنهي عن مشترك أعظم
ولهذا لو قتل المحرم صيدا مملوكا وجب عليه الجزاء لحق الله ووجب
عليه بدله لحق المالك ولو زنى لأفسد احرامه كما يفسده بنكاح امرأته
ولا يستحق الحد أيضا مع ذلك وعلى هذا فمن لبس في الصلاة ما يحرم
فيه وفي غيرها كالثياب التي فيها [illegible] وحرير كان أحق
ببطلان الصلاة من ثوب النجس وفي الحديث [illegible] ان الله
لا يقبل صلاة مسبل

وثوب النجس فيه نزاع وفي قدر النجاسة نزاع والصلاة في الحرير
فيها نزاع من غير حجة تحريم خاص ولا اجماع وكذلك [illegible]
لكن قد نهي عنه [illegible] شغل عن الجمعة كان ذلك أوكد في النهي
وكل ما شغل عنها فهو شر وفساد لا خير فيه والملك الحاصل بذلك كالملك
الذي لم يحصل الا بمعصية الله وعصيانه ومحادته كالذي لا يحصل الا بغير
ذلك من المعاصي مثل الكفر والسحر والكهانة والفاحشة وقد قال

النبي صلى الله عليه وسلم حلوان الكاهن خبيث ومهر البغي خبيث
وإذا كنت لا أبيع السلعة إن لم أترك الصلاة المفروضة كان حصول الملك
بسبب ترك الصلاة كما أن حصول الحلوان والمهر بالكهانة والبغاء وكما لو
قيل له إن تركت الصلاة اليوم أعطيتك عشرة دراهم فإن ما يأخذه على
ترك الصلاة خبيث كذلك ما ملكه بالمعاوضة على ترك الصلاة خبيث ولو
استأجر أجيرا بشرط أن لا يصلي كان هذا شرطا باطلا وكان
ما يأخذه عن العمل الذي يعمله بمقدار الصلاة خبيث مع أن جنس
العمل بالأجرة جائز كذلك جنس المعاوضة جائز لكن بشرط أن
لا يتعدى على فرائض الله وإذا حصل البيع في هذا الوقت وتعذر الرد
فله الثمن الذي أداه ويتصدق بالربح والبائع له غير سلعته ويتصدق
بربح إن كان ربح ولو تراضيا بذلك بعد الصلاة لم يسقط فيما هو حق
الله فهو كما لو تراضيا بمهر البغي وهناك يتصدق به على أصح القولين
لا يعطى للزاني وكذلك في الخمر ونحو ذلك مما أخذ صاحبه منفعة
محرمة فلا يجمع له العوض والمعوض فإن ذلك أعظم إثما من بيعه وإذا
كان لا يحل أن يبيع الخمر بثمن فكيف إذا أعطى الخمر وأعطى الثمن
وإذا كان لا يحل للزاني أن يزني وإن أعطى فكيف إذا أعطي شيئا
وإن جميعه لم يجب إخراج هذه لكن كلها عقود أصلها مشتركة
وكذلك هنا إذا كان قد باع سلعته وقبض الثمن ربحه وأخذ سلعته
فإن قد تصدق بالربح ولم يعطه للمشتري فيكون إعانة له على الشراء
والمشتري إذا أخذ الثمن وبعد السلعة فإن باعها ربح تصدق به ولم يعطه

لا ائ وكون قدحه ع اه يه رحس وقد تنارع الفقهاء
في امتهوس بعد د " ـ ـ د هل عث أولا لمك او
ي رق س ـ ـ ـ ـ ي لا ـ وب كم هو
م ـ و ـ في ء هـ موضع

ت الر اله الحادية عشر

و ا ، ر ا ا ية عشر له أيضا

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه عما يقع في كلام كثير من الفقهاء من قولهم هذا خلاف القياس لما ثبت بالنص أو قول الصحابة أو بعضهم وربما كان حكماً مجمعاً عليه

فمن ذلك قولهم تطهير الماء إذا وقع فيه نجاسة خلاف القياس بل وتطهير النجاسة على خلاف القياس والوضوء من لحوم الإبل على خلاف القياس والفطر بالحجامة على خلاف القياس والسلم على خلاف القياس والإجارة والحوالة والكتابة والمضاربة والمزارعة والمساقاة والقرض وصحة صوم المفطر ناسياً والمضي في الحج الفاسد كل ذلك على خلاف القياس وغير ذلك من الأحكام فهل هذا القول صواب أم لا وهل يعارض القياس الصحيح النص أم لا

فأجاب الحمد لله رب العالمين * أصل هذا أن تعلم أن لفظ القياس لفظ مجمل يدخل فيه القياس الصحيح والقياس الفاسد فالقياس الصحيح هو الذي وردت به الشريعة وهو الجمع بين المتماثلين والفرق بين المختلفين الأول قياس الطرد والثاني قياس العكس وهو من العدل الذي بعث الله به رسوله

(فالقياس الصحيح) مثل أن تكون العلة التي علق بها الحكم في الأصل موجودة في الفرع من غير معارض في الفرع يمنع حكمها ومثل هذا القياس لا تأتي الشريعة بخلافه قط وكذلك القياس بإلغاء الفارق وهو أن لا يكون بين الصورتين فرق مؤثر في الشرع فمثل هذا القياس

لأتت الشريعة بخلافه وحيث جاءت الشريعة باختصاص بعض الانواع بحكم يفارق به نظائره فلا بد أن يختص ذلك النوع بوصف يوجب اختصاصه بالحكم ويمنع مساواته لغيره لكن الوصف الذى اختص به قد يظهر لبعض الناس وقد لا يظهر وليس من شرط القياس الصحيح المعتدل أن يعلم صحته كل أحد فمن رأى شيئاً من الشريعة مخالفا للقياس فانما هو مخالف للقياس الذى انعقد في نفسه ليس مخالفا للقياس الصحيح الثابت فى نفس الامر

وحيث علمنا ان النص جاء بخلاف قياس علمنا قطعاً انه قياس فاسد بمعنى أن صورة النص امتازت عن تلك الصور التى يظن انها مثلها بوصف أوجب تخصيص الشارع لها بذلك الحكم فليس فى الشريعة ما يخالف قياساً صحيحاً لكن فيها ما يخالف القياس الفاسد وان كان من الناس من لا يعلم فساده

ونحن نبين أمثلة ذلك مما ذكر في السؤال فالذين قالوا المضاربة والمساقاة والمزارعة على خلاف القياس ظنوا أن هذه العقود من جنس الاجارة لانها عمل بعوض والاجارة يشترط فيها العلم بالعوض والمعوض فلما رأوا العمل فى هذه العقود غير معلوم والربح فيها غير معلوم قالوا تخالف القياس وهذا من غلطهم فان هذه العقود من جنس المشاركات لا من جنس المعاوضات الخاصة التى يشترط فيها العلم بالعوضين والمشاركات جنس غير جنس المعاوضة وان قيل ان فيها شوب المعاوضة وكذلك المقاسمة جنس غير جنس المعاوضة المحضة وان كان فيها شوب معاوضة

حتى ظن بعض الفقهاء أنها بيع يشترط فيها شروط البيع الخاص
﴿وإيضاح هذا﴾ أن العمل الذي يقصد به المال ثلاثة أنواع ﴿أحدها﴾ أن
يكون العمل مقصودا معلوما مقدورا على تسليمه فهذه الاجارة اللازمة
﴿والثاني﴾ أن يكون العمل مقصودا لكنه مجهول أو غرر فهذه الجعالة
وهي عقد جائز ليس بلازم فإذا قال من رد عبدي الآبق فله مائة فقد
يقدر على رده وقد لا يقدر وقد يرده من مكان قريب وقد يرده من
مكان بعيد فلهذا لم تكن لازمة لكن هي جائزة فان عمل هذا العمل
استحق الجعل وإلا فلا ويجوز أن يكون الجعل فيها إذا حصل بالعمل
جزأ شائعا ومجهولا جهالة لا تمنع التسليم مثل أن يقول أمير الغزو من
دل على حصن فله ثلث ما فيه ويقول للسرية التي يسريها لك خمس
ما تغنمين أو ربعه وقد تنازع العلماء في سلب القاتل هل هو مستحق
بالشرع كقول الشافعي أو بالشرط كقول أبي حنيفة ومالك على قولين
هما روايتان عن أحمد فمن جعله مستحقا بالشرط جعله من هذا الباب
ومن هذا الباب إذا جعل جعلا على شفاء المريض جاز كما
أخذ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لدى جعل لهم قطيع على شفاء
سيد الحي فرقاه بعضهم حتى برئ فأخذوا القطيع فان الجعل كان على
الشفاء لا على القراءة ولو استأجر طبيبا اجارة لازمة على الشفاء لم يجز
لأن الشفاء غير مقدور له فقد يشفيه الله وقد لا يشفيه فهذا ونحوه مما
يجوز فيه الجعالة دون الاجارة اللازمة ﴿وأما النوع الثالث﴾ فهو ما لا يقصد
فيه العمل بل المقصود المال وهو المضاربة فان رب المال ليس له

قصد في نفس عمل العامل كما للجاعل والمستأجر قصد في عمل العامل ولهذا لو عمل ما عمل ولم يربح شيئا لم يكن له شيء وان سمي هذا جعالة بجزء من الحاصل فمعناه [illegible] بل هذه مشاركة هذا بنفع بدنه وهذا بنفع ماله فما قسم الله من ربح كان بينهما على الاشاعة ولهذا لا يجوز أن يخص أحدهما بربح مقدر لأن هذا يخرجهما عن العدل الواجب في الشركة وهذا هو الذي نهى عنه صلى الله عليه وسلم من المزارعة

فانهم كانوا يشترطون لرب المال زرع بقعة بعينها وهو ما ينبت على الماذيانات واقبال الجداول ونحو ذلك فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ولهذا قال الليث بن سعد وغيره ان الذي نهى عنه صلى الله عليه وسلم هو أمر اذا نظر فيه ذو البصر بالحلال والحرام علم أنه لا يجوز أو كما قال فبين أن النهي عن ذلك موجب القياس فان مثل هذا لو شرط في المضاربة لم يجز لأن مبنى المشاركات على العدل بين الشريكين فاذا خص أحدهما بربح دون الآخر لم يكن هذا عدلا بخلاف ما اذا كان لكل منهما جزء شائع فانهما يشتركان في المغنم وفي المغرم فان حصل ربح اشتركا في المغنم وان لم يحصل ربح اشتركا في الحرمان وذهب نفع بدن هذا كما ذهب نفع مال هذا ولهذا كانت الوضيعة على المال لأن ذلك في مقابلة ذهاب نفع العامل ولهذا كان الصواب أنه يجب في المضاربة الفاسدة ربح المثل لا أجرة المثل فيعطي العامل ما جرت به العادة أن يعطاه مثله من الربح اما نصفه واما ثلثه واما ثلثاه فأما أن يعطي شيئا مقدر

مضمونا في ذمة المستأجر كما هي في الاجارة والجعالة وهذا غلط ممن قاله وسبب الغلط ظنه أن هذه اجارة [illegible] عوض لمثله كما [illegible] في المسمى الصحيح * ومما [illegible] هذا قول ان العامل قد يعمل [illegible] ثم يعطى أجرة المثل لا يعطي أضعاف رأس المال وهو في الصحيحة لا يستحق لاجرا [illegible] كان [illegible] فكيف يستحق في الفاسدة أضعاف ما يستحقه في الصحيحة

وكذلك [illegible] المزارعة والمساقاة [illegible] اجرة العوض [illegible] صحيح منها [illegible] الشجر لعدم امكان [illegible] لا [illegible] من المزارعة [illegible] وما [illegible] الثلث [illegible] على [illegible] حورت [illegible] ومن أعطى [illegible] علم ان المزارعة أبعد من الظلم والقمار من الاجارة باجرة مسماة مضمونة في الذمة فان المستأجر انما يقصد [illegible] الاجرة و [illegible]

[illegible]

[illegible] أحدهما [illegible] من [illegible]

[illegible]

الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) والشارع نهى عن الربا لما فيه من الظلم وعن الميسر لما فيه من الظلم والقرآن جاء بتحريم هذا وهذا وكلاهما أكل المال بالباطل وما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم من المعاملات كبيع الغرر وبيع الثمر قبل بدو صلاحه وبيع السنين وبيع حبل الحبلة وبيع المزابنة والمحاقلة ونحو ذلك هي داخلة إما في الربا وإما في الميسر فالاجارة بالأجرة المجهولة مثل أن يكريه الدار بما يكسبه المكترى في حانوته من المال هو من الميسر فهذا لا يجوز وأما المضاربة والمساقاة والمزارعة فليس فيها شيء من الميسر بل هو من أقوم العدل وهذا مما يبين لك أن المزارعة التي يكون فيها البذر من العامل أحق بالجواز من المزارعة التي يكون فيها من رب الأرض ولهذا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزرعون على هذا الوجه وكذلك عمل النبي صلى الله عليه وسلم أهل خيبر بشطر ما يخرج منها من ثمر وزرع على أن يعمروها من أموالهم والذين اشترطوا أن يكون البذر من رب الأرض قاسوا ذلك على المضاربة فقالوا في المضاربة المال من واحد والعمل من آخر وكذلك ينبغي أن يكون في المزارعة وجعلوا البذر من رب المال كالأرض وهذا قياس مع أنه مخالف للسنة ولأقوال الصحابة فهو من أفسد القياس وذلك أن المال في المضاربة يرجع إلى صاحبه ويقتسمان الربح فهو نظير الأرض في المزارعة وأما البذر الذي لا يعود نظيره إلى صاحبه بل يذهب كما يذهب نفع الأرض فالحاقه بالنفع الذاهب أولى من الحاقه بالأصل الباقي فهذا إذا أخرج البذر ذهب عمله وبذره

ورب الارض ذهب نفع أرضه وبذر هذا كارض هذا فمن جعل البذر كالمال كان ينبغي له أن يعيد مثل البذر الى صاحبه كما قال مثل ذلك في المضاربة فكيف ولو اشترط رب البذر ان يعود بذره اليه لم يجوزوا ذلك وليس هذا موضع بسط هذه المسائل واما المعرض البذر على حسب قول القائل هذا يخالف القياس

(فصل) وأما الحوالة فمن قال تخالف القياس قال انها بيع دين بدين وذلك لايجوز وهذا غلط من وجهين احدهما ان بيع الدين بالدين ليس فيه نص عام ولا اجماع وانما ورد النهي عن بيع الكالئ بالكالئ والكالئ هو المؤخر الذي لم يقبض بالمؤخر الذي لم يقبض وهذا كما لو أسلم شيئا في شيء في الذمة وكلاهما مؤخر فهذا لايجوز بالاتفاق وهو بيع كالئ بكالئ وأما بيع الدين بالدين فينقسم الى بيع واجب بواجب كما ذكرناه وينقسم الى بيع ساقط بساقط وساقط بواجب وهذا فيه نزاع * الوجه الثاني ان الحوالة من جنس ايفاء الحق لامن جنس البيع فان صاحب الحق اذا استوفى من المدين ماله كان هذا استيفاء فاذا احاله على غيره كان قد استوفى ذلك الدين عن الدين الذي له في ذمة المحيل ولهذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الحوالة في معرض الوفاء فقال في الحديث الصحيح مطل الغني ظلم واذا اتبع احدكم على مليء فليتبع فأمر المدين بالوفاء ونهاه عن المطل وبين انه ظالم اذا مطل وأمر الغريم بقبول الوفاء اذا احيل على مليء وهذا كقوله تعالى فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان امر المستحق ان يطالب بالمعروف وأمر

المدين أن يؤدي ما حصل ووفاء الدين ليس هو البيع الخاص وإن كان
فيه شوب المعاوضة وقد ظن بعض الفقهاء أن الوفاء إنما يحصل باستيفاء
الدين بسبب أن الغريم إذا قبض الوفاء صار في ذمته للمدين مثله يتقاص
... وهذا ... كره جمهور ... وقع ... نفس المال
الذي قبضه يحصل به الوفاء ولا حاجة أن يقدر في ذمة ... دينا
وأن ... قصدوا أن يكون وفاء الدين بدين وهذا لا حاجة إليه بل ...
من جنس ... كلي والمعين من جنس المعين فمن ثبت في ذمته
دين مطلق كلي ... وجودة وأي معين استوفاه
حصل به المقصود من ذلك الدين المطلق

﴿ فصل ومن ... خلاف ... ﴾ ... نوى
يحسبه من غير قبض وهذا ... من جنس ... بانتفاع
كالعيّنة وهذا ... النبي صلى الله عليه وسلم ... أو منيحة
ذهب أو ... ورق ... أصله ... يعطيه ...
... منه ... ثم يعيده إليه فتارة ينتفع ... كما في عارية العقار وتارة
... منيحة ... يشرب لبنها ... شجرة يأكل ثمرها
ثم يعيده ... يستخلف ... عارية ... المنافع وهذا
كان في وقف يجري مجرى المنافع و ... يقرضه ما يقرضه لينتفع
به ... عدد ... مثل ... عدد ... وهذا ... أن
... على ... في العارية أن يرد مع الأصل غيره
و ... ولا ... درهم ... من كل وجه إلى

أحل ولا ساغ شيء يحسبه لي أحل الا مع اختلاف الصفة أو القدر كما يباع نقد بنقد آخر وصحيح بمكسور ونحو ذلك ولكن قد يكون القرض [illegible] كما في سفتجة [illegible] وهذا كرهها من كرهها والصحيح أنها لا تكره لأن المقرض ينتفع بها أيضا ففيها منفعة لهما جميعا اذا أقرضه

(فصل) وأما قول من قال ان الحوالة على خلاف القياس والنكاح على خلاف القياس ونحو ذلك فهو من أفسد الأقوال وشبهتهم [illegible] الأبدان [illegible] والنكاح [illegible] المرأة وشرف الانسان [illegible] في الأبدان وهذا [illegible] النكاح من مصالحة شخص [illegible] ونوع الانسان [illegible] الذي [illegible] من كون [illegible] يقوم على الانثى هو من الحكمة [illegible] مصلحة [illegible] فضلا عن نوع الانسان وقول هؤلاء الابدال لا يشبه [illegible] كما [illegible] اذا احتاج الى ذلك وان يأكل ويشرب وان كان [illegible] ذلك أكثر ما احتاج اليه الانسان وجعلت له فيه مصلحته [illegible] لا يجوز [illegible]

[illegible]

[illegible]

من قول الماء لا ينجس الا بالتغير ومن سلم الاصل قال ليس جعل الازالة مخالفة للقياس بأولى من جعل نجس الماء مخالفا للقياس بل يقال القياس يقتضي ان الماء اذا لاقى نجاسة لا ينجس كما انه اذا لاقاها حال الازالة لا ينجس فهذا القياس أصح من ذلك لان النجاسة تزول بالماء بالنص والاجماع وأما نجس الماء بالملاقاة فمورد نزاع وكيف يجعل مواقع النزاع حجة على مواقع الاجماع والقياس أن يقاس موارد النزاع على مواقع الاجماع ثم يقال الذي تقتضيه العقول ان الماء اذا لم تغيره النجاسة لا ينجس فانه باق على أصل خلقته وهو طيب داخل في قوله (ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) وهذا هو القياس في المائعات جميعها اذا وقع فيها نجاسة فاستحالت حتى لم يظهر طعمها ولا لونها ولا ريحها أن لا ينجس وقد تنازع الفقهاء هل القياس يقتضي نجاسة الماء بملاقاة النجاسة الا ما استثناه الدليل أو القياس يقتضي أنه لا ينجس حتى يتغير على قولين والاول قول أهل العراق والثاني قول أهل الحجاز وفقهاء الحديث منهم من يختار هذا ومنهم من يختار هذا وهم أهل الحجاز وهو الصواب الذي تدل عليه الاصول والنصوص والمعقول فان الله تعالى حرم الخبائث وأباح الطيبات والخبث والطيب بصفات قائمة بالشيء فما دام على حاله فهو طيب فلا وجه لتحريمه وهذا [illegible] وقعت قطرة خمر في حب [illegible] ولم [illegible]

أ[illegible] الاقدار [illegible] ملاقاة في [illegible]

[illegible]

[illegible]

من قال الماء إذا كان في مورد التطهير لإزالة الخبث أو الحدث لم يثبت له حكم النجاسة ولا الاستعمال إلا إذا انفصل ومن قال الانفصال لا يكون مستعملا ولا نجساً وهذا حكاه مذهب ليس فيه حجة ومنهم من قال الماء في حال الإزالة طاهر والماء الجاري لا ينجس إلا بالتغير وهو مذهب أبي حنيفة ومالك وهو أنص الروايتين عن أحمد وهو القول القديم للشافعي ولكن إزالة النجاسة تارة تكون بالجريان وتارة تكون بدونه كما لو صب الماء على الثوب في الطست

والصواب أن مقتضى القياس أن الماء لا ينجس إلا بالتغير وأن النجاسة لا تزول به حتى يكون غير متغير وأما في حال تغيره فهو نجس لكن يخفف به النجاسة وأما الإزالة فإنما تحصل بالماء الذي ليس بمتغير وهذا القياس في الماء هو القياس في المائعات كلها أنها لا تنجس إذا استحالت النجاسة فيها ولم يبق لها فيها أثر فإنها حينئذ من الطيبات لا من الخبائث وهذا القياس هو القياس في قليل الماء وكثيره وقليل المائع وكثيره فإن الله لم يحرم على عباده شيئاً من الطيبات إلا لموجب له [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

وهذا [illegible] أظهر الأقوال في [illegible] مذهب أبي حنيفة و[illegible] أنه لا ينجس [illegible] وهو إحدى الروايتين عن الإمام أحمد [illegible] [illegible] من أصحابه كالإمام [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وكذلك [illegible]

[illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

اليه حكم الجنابة ونهيه صلى الله عليه وسلم عن البول في الماء الدائم أو عن الاغتسال فيه لا يدل على أنه يصير نجساً بذلك بل قد نهى عنه لما يفضي اليه البول فيه من افساده أو لما يؤدي الى الوسواس كما نهى عن بول الرجل في مستحمه وقال عامة الوسواس منه ونهيه عن الاغتسال فيه قد جاء فيه أنه نهى عن الاغتسال فيه بعد البول فيه فشبه نهيه عن بول الانسان في مستحمه

(وقد) ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن فأرة وقعت في سمن فقال ألقوها وما حولها وكلوا سمنكم ولم يفرق وروى فيه ان كان جامداً فألقوها وما حولها وان كان مائعاً فلا تقربوه غلط كما بينه البخاري والترمذي وغيرهما وهو من غلط معمر فيه وابن عباس راويه أفتى بأنها تلقى وما حولها ويؤكل فقيل له انها قد دارت فيه فقال انما كان ذلك وهي حية وانما ماتت حيث وجدت رواه أحمد في مسائله بسند صحيح وكذلك الزهري روى حديث ألقي في الجامد والمائع وكذلك سئل عن الكلب أو غيره فأفتى بأنه تلقى وما قرب منه ويؤكل فلو كان احتج بالحديث وكيف قد يكون روى فيه الفرق

وحديث القلتين ان صح عن النبي صلى الله عليه وسلم يدل على أنه اذا بلغ قلتين لم يحمل الخبث وفي لفظ آخر لم ينجسه شيء وذلك يدل على أن وجه نجاسته كون الخبث فيه محمولاً فمتى لم يكن الخبث محمولاً فليس فيه خبث والمائع لم يدل على ذلك

واما تخصيص القلتين بالذكر فانهم سألوه عن الماء يكون بأرض الفلاة وما ينوبه من السباع والدواب وذلك الماء الكثير في العادة فبين صلى الله عليه وسلم ان مثل ذلك لا يكون فيه خبث في العادة بخلاف القليل فانه قد يحمل الخبث وقد لا يحمله فان الكثرة تعين على احالة الخبث الى طهره ومفهوم لا يجب فيه العموم فليس اذا كان القلتان لا تحمل الخبث يلزم أن ما دونهما يحمله مطلقا على أن التخصيص وقع جوابا لأناس سألوه عن مياه معينة فقد يكون التخصيص لان هذه كثيرة لا تحمل الخبث والمثال كثير ولا يلزم أن لا يكون كثير الا القلتين ولا يكون هذا حدا فاصلا بين الحلال والحرام لم يذكره ابتداء ولان الحدود الشرعية تكون معروفة كنصاب الذهب والعشرات ونحو ذلك والماء الذي تقع فيه النجاسة لا يعلم كيله لا خرصا ولا تمكن كيله في العادة فكيف يفصل بين الحلال والحرام بما يتعذر معرفته على غالب الناس في غالب الاوقات وقد أطلق في غير حديث قوله الماء طهور لا ينجسه شيء والماء لا يجنب ولم يقدره مع ان الحديث كان عن وقت الحاجة لا يجوز وهو فوق هذا الحديث وفقه وفهمه مثل عمر من ثوب ثلاثة فهو يد لم يكن هناك سبب يوجب تخصيص بالذكر الا ذلك في الحكم وهذا لا يعرف

وحديث الامر بالغسل لا ...من ... يمكث لان الآنية في العادة ... في الكلب في العادة صغيرة ولعابه لزج يبقى في الاناء ويتصل بالانا وبالماء ومثل الاناء من ريقه الذي لا يستحيل فيه بخلاف ما اذا وقع في

ا،اء كبير وقد نقل حرب عن أحمد في كاب ولع في حب كبير فيه ريث
وأمره ،كله وسط هده المسائل له موصع آحر وانما المقصود التنبيه
على مخالفة القياس وموافقه

(فصل) وقول ا ـ ان ب صهر ، ، شي حلاف القياس هو ساء على
هد الاصل الفاسد والا في كل من ـ ه ن عـ ن ن ا ء لا يحس
الا بالعرف فالقياس عـدم طهره فان الحكم اذا ثبت بعلة زال بزوالها
واذا كان العلة العرف فـا زال التعرزات لنحاسة كما ان الة لما كانت
في الحمر الشدة المطربة فاذا زالت طهرت كيف والنحاسة في الماء واردة
عليه كنجاسة الارض ولكن قد قال هذا مبني على مسئلة الاستحالة
وفيها نزاع مشهور في مذهب مالك وأحمد قولان ومذهب أبي حنيفة
وأهل الظاهر أنها تطهر بالاستحالة ومذهب الشافعي لا تطهر بالاستحالة
وقول القائل بها تطهر بالاستحالة أصح فان النجاسة اذا صارت ملحاً
أو رماداً فقد تبدلت الحقيقة وتبدل الاسم والصفة فالنصوص المتناولة
بتحريم الميتة والدم ولحم الخنزير لا تتناول الملح والرماد والتراب
لا لفظا ولا معنى والمعنى الذي لاجله كانت تلك الاعيان خبيثة معدوم
في هذه الاعيان فلا وجه لقول بأنها خبيثة نجسة والذين فرقوا بين
ذلك وبين الخمر قالوا خمر نجس بالاستحالة فطهرت بالاستحالة فيقال
لهم وكذلك الدم والبول والعذرة انما نجست بالاستحالة فينبغي أن تطهر
بالاستحالة

(فصل) ومن قول بان التوضؤ من لحوم الابل على خلاف

القياس فهذا إنما قاله لأنه لحم والمحرم لا يتوضأ منه وصاحب الشرع
قد فرق بين لحم الغنم ولحم الإبل كما فرق بين معاطن هذه ومبارك
هذه فأمر بالصلاة في هذا ونهى عن الصلاة في هذا فدعوى المدعي
أن هذه من التسوية بينهما من جنس قول الذين قالوا إنما البيع مثل
الربا وأحل الله البيع وحرم الربا والفرق بينهما ثابت في نفس الأمر
كما فرق بين أصحاب الإبل وأصحاب الغنم فقال الفخر والخيلاء في
الفدادين أصحاب الإبل والسكينة في أهل الغنم وروي في الإبل أنها جن
خلقت من جن وروي على ذروة كل بعير شيطان فلأن فيه قوة
شيطانية والغاذي شبيه بالمغتذي ولهذا حرم كل ذي ناب من السباع
وكل ذي مخلب من الطير لأنها دواب عادية فالاغتذاء بها تجعل في خلق
الإنسان من العدوان ما يضره في دينه فنهى الله عن ذلك لأن المقصود
أن يقوم الناس بالقسط والإبل إذا أكل منها تبقى فيه قوة شيطانية وفي
الحديث الذي في السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الغضب من
الشيطان والشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء قال النبي صلى
الله عليه وسلم فإذا غضب أحدكم فليتوضأ فإذا توضأ العبد من لحوم
الإبل كان في ذلك من إطفاء القوة الشيطانية ما يزيل المفسدة بخلاف
من لم يتوضأ منها فإن الفساد حاصل معه ولهذا يقال إن الأعراب
بكثرة أكلهم لحوم الإبل مع عدم الوضوء منها صار فيهم من الحقد ما صار
وهذا أمر بالوضوء مما مست النار وهو حديث صحيح وقد ثبت في
أحاديث صحيحة أنه لم يكن يتوضأ مما مست النار فقيل إن الأول

منسوخ لكن لم يثبت أن ذلك متقدم على هذا بل رواه أبو هريرة وإسلامه متأخر عن تاريخ بعض تلك الأحاديث كحديث السويق الذي كان بخيبر وهو كان قبل إسلام أبي هريرة وقيل بل الأمر بالوضوء مما مست النار استحباب كالأمر بالوضوء من الغضب وهذا أظهر القولين وهما وجهان في مذهب أحمد فإن النسخ لا يصار إليه إلا عند التنافي والتاريخ وكلاهما منتف بخلاف حمل الأمر على الاستحباب فإن له نظائر كثيرة

وكذلك الوضوء من مس الذكر ومس النساء هو من هذا الباب لما فيه من تحريك الشهوة فالتوضؤ مما يحرك الشهوة كالوضوء من الغضب وما مسته النار هو من هذا الباب فإن الغضب من الشيطان والشيطان من النار وأما لحم الإبل فقد قيل الوضوء منه مستحب لكن تفريق النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين لحم الغنم مع أن ذلك مسته النار والوضوء منه مستحب دل على الاختصاص وما فوق الاستحباب إلا الإيجاب ولأن الشيطنة في الإبل لازمة وفيما مسته النار عارضة ولهذا نهى عن الصلاة في أعطانها لأنها مأوى الشياطين بخلاف الصلاة في مباركها في السفر فإنه جائز لأنه عارض والحشوش محتضرة فهي أولى بالنهي من أعطان الإبل وكذلك حمامات الشياطين ففي الوضوء من اللحوم الخبيثة عن أحمد روايتان بناء على أن الحكم مما يعقل معناه فيعدى أو ليس كذلك والخبائث التي تباح للضرورة كلحوم السباع أبلغ في الشيطنة من لحوم الإبل فالوضوء منها أولى

وقد تنازع العلماء في الوضوء من النجاسة الخارجة من غير السبيلين كالفصاد والحجامة والجرح والقيء والوضوء من مس النساء لشهوة وغير شهوة والوضوء من مس الذكر والتوضؤ من القهقهة فمن الصحابة كان يتوضأ من مس الذكر كسعد وابن عمر وكثير منهم لم يكن يتوضأ منه والوضوء منه هل هو واجب أو مستحب فيه عن مالك وأحمد روايتان ووجوبه قول الشافعي وعدم الإيجاب مذهب أبي حنيفة وكذلك مس النساء لشهوة إذا قيل باستحبابه فهذا متوجه وأما وجوب ذلك فلا يقوم الدليل إلا على خلافه ولا يقدر أحد أن ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يأمر أصحابه من مس النساء ولا من النجاسات الخارجة لعموم البلوى بذلك وقوله تعالى (أو لامستم النساء) المراد به الجماع كما فسره بذلك ابن عباس وغيره بوجوه متعددة وقوله صلى الله عليه وسلم للمستحاضة إنما ذلك عرق وليس بالحيضة تعليل لعدم وجوب الغسل لا لوجوب الوضوء فإن وجوب الوضوء لا يختص بدم العروق بل كان قد ظن أن ذلك الدم هو دم الحيض الذي يوجب الغسل فبين له النبي صلى الله عليه وسلم أن هذا ليس هو دم الحيض الذي يوجب الغسل فإن ذاك يخرج من الرحم كالعرق وإنما هذا دم عرق انفجر في الرحم ودم العروق لا يوجب الغسل وهذه مسائل مبسوطة في مواضع أخر.

والمقصود هنا التنبيه على فساد من يدعي النقض في معاني الشريعة أو ألفاظها وزعم أن الشرع فرق بين متماثلين بل بينا

محمد صلى الله عليه وسلم بعث بالهدى ودين الحق بالحكمة والعدل والرحمة ولا يفرق بين شيئين في الحكم الا لافتراق صفاتهما المناسبة للفرق ولا يسوى بين شيئين الا لتماثلهما في الصفات المناسبة للتسوية

ولا يظهر انه لا يجب الوضوء من مس الذكر ولا النساء ولا خروج النجاسات من غير السبيلين ولا القهقهة ولا غسل الميت فانه ليس مع الموجبين دليل صحيح بل الادلة الراجحة تدل على عدم الوجوب لكن الاستحباب متوجه ظاهر فيستحب ان يتوضأ من مس النساء بشهوة ويستحب أن يتوضأ من الحجامة والقيء ونحوهما كما في السنن أن النبي صلى الله عليه وسلم قاء فتوضأ والفعل انما يدل على الاستحباب ولم يثبت عنه انه أمر بالوضوء من الحجامة ولا أمر أصحابه بالوضوء اذا جرحوا مع كثرة الجراحات والصحابة نقل عنهم قل الوضوء لا ايجابه وكذلك القهقهة في الصلاة ذنب وشرع لكل من أذنب أن يتوضأ وفي استحباب الوضوء من القهقهة وجهان في مذهب أحمد وغيره وأما الوضوء من الحدث الدائم لكل صلاة ففيه أحاديث متعددة عن النبي صلى الله عليه وسلم قد صحح بعضها غير واحد من العلماء فقول الجمهور الذين يوجبون الوضوء لكل صلاة أظهر وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي وأحمد والله أعلم

(فصل) وأما الحجامة فالذين اعتقدوا أن الفطر بها مخالف للقياس من غير نص بل النص في خروج لا في دخول وهؤلاء اشكل عليهم القيء ولا اشكال فيه فحصل القياس وأما من تدبر أصول الشرع ومقاصده

فيه رأى الشارع أمر بالصوم أمر فيه بالاعتدال حتى كره الوصال وأمر بتعجيل الفطر وتأخير السحور وجعل أعدل الصيام وأفضله صيام داود وكان من العدل أن لا يخرج من الإنسان ما هو قيام قوته والقيء يخرج الغذاء والاستمناء يخرج المني والحيض يخرج الدم وبهذه الأمور قوام البدن لكن فرق بين ما يمكن الاحتراز منه وما لا يمكن ولا خلاف أنه لا يمكن الاحتراز منه وكذلك من ذرعه القيء وكذا دم الاستحاضة فإنه ليس له وقت معين بخلاف دم الحيض فإن له وقتا معينا والحجم أخرج دمه وكذلك المفتصد بخلاف من خرج دمه بغير اختياره كالجروح فإن هذا لا يمكن الاحتراز منه وكانت الحجامة من جنس القيء والاستمناء والحيض وكان خروج دم الجرح من جنس الاستحاضة والاحتلام وذرع القيء فقد تناسبت الشريعة وتشابهت ولم يخرج عن القياس والأظهر أنه لا يفطر بالكحل ولا بمقطر في الاحليل ولا بابتلاع ما لا يغذى كالحصاة ولكن يفطر بالسعوط لقوله وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائما.

فصل وأما قولهم السلم على خلاف القياس فقولهم هذا من جنس ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تبع ما ليس عندك وأرخص في السلم وهذا لم يرو في الحديث وإنما هو من كلام بعض الفقهاء وذلك أنهم قالوا البيع لا يكون إلا فيما ليس عنده ويكون مخالفا لهذا الحديث وهي النبي صلى الله عليه وسلم حكيم بن حزام عن بيع ما ليس عنده إما أن يراد به بيع عين معينة ويكون قد باع مال الغير قبل أن يشتريه

وفيه نظر وأما ان يراد به بيع ملا يقدر على تسليمه وان كان في الذمة وهذا أشبه فيكون قد ضمن له شيئا لا يدرى هل يحصل أولا يحصل وهذا فى السلم الحال اذا لم يكن عنده مايوفيه والمناسبة فيه ظاهرة فأما السلم المؤجل فانه دين من الديون وهو كالابتياع بثمن مؤجل فاي فرق بين كون أحد العوضين مؤجلا فى الذمة وكون العوض الآخر مؤجلا في الذمة وقد قال تعالى (اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه) وقال ابن عباس أشهد أن السلف المضمون في الذمة حلال فى كتاب الله وقرأ هذه الآية فاذا جاز ذلك فى الذمة وفق الناس لا يعنى حلاوته

﴿ فصل ﴾ ومما يظن أنه على خلاف القياس الكتابة لكونه بيع ماله بماله وليس كذلك بل نفعه نفسه غائب فى الذمة والسيد لاحق له فى ذمة العبد وإنما حقه في بدنه فان السيد حقه مالية العبد في انسانيته فهو من حيث هو مؤمن وهي انسان مكلف يلزمه الايمان والصلاة والصوم لاحق له فيه وانما يطالب العبد بما يؤديه بعد عتقه وحينئذ لا ملك للسيد عليه والكتابة بيعه نفسه بمال في ذمته ثم اذا اشترى نفسه كان كسبه له ونفعه له وهو حادث على ملكه الذى استحقه بعقد الكتابة لكن لا عتق فيها الا بالأداء لان السيد لم يرض بخروجه من ملكه الا بان يسلم له العوض فمتى لم يحصل له العوض وعجز العبد كان له الرجوع في البيع وهذا هو القياس في المعاوضات ولهذا نقول اذا عجز المشترى عن الثمن لافلاسه كان للبائع الرجوع في

المدع فالعبد المكاتب مشتر لنفسه فيحجر عن أداء العوض لحجر المشتري وهذا القياس في جميع العوض إذا حجر المعاوض عما عاوض من عوض كان للآخر الرجوع في عوضه ويدخل في ذلك حجر الرجل من الصداق وحجر الزوج عن الوفاء وصرده حجر الرجل عن العوض في الحال والأصح من القصاص

﴿ فصل ﴾ وأما الإجارة فالذين قالوا هي على خلاف القياس قالوا هي بيع معدوم ولا يجوز بيع معدومة حين العقد وبيع المعدوم لا يجوز ثم إن من الناس من جعله ظئر الرضاع في قوله تعالى (فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن) فإن أكثر من الفقهاء إن الإجارة على الرضاع على خلاف القياس لأن الإجارة عقد على منفعة واحدة فإنه عقد على اللبن واللبن من باب الأعيان لا من باب المنافع ومن العجب أنه ليس في القرآن ذكر إجارة جائزة إلا هذه وقالوا هذه خلاف القياس وإنما يكون خلاف القياس إذا كان النص قد جاء في موضع بحكم وجاء في موضع [illegible] خلاف النص [illegible] وليس في القرآن [illegible] الإجارة [illegible] خلاف [illegible] الإجارة [illegible] [illegible] ولا في [illegible] الإجارة [illegible] قولهم [illegible] الإجارة [illegible] التي هي أعراض لا تبقى [illegible] هي [illegible] هؤلاء أن الإجارة على خلاف [illegible] الإجارة

على القياس الذي يعتقدونه تأولوا معقود عليه فيها هو الماء الذي أودعه في بحر أو نحو ذلك من المنافع التي هي مقدمات الرضاع ومعقود له هذه الأعمال حتى يحصل مقصوده فقد الاجارة ولا شيء مقصود لا متصوف ولا معقود عليه بل ولا قد يحصل أصلا واذا هو كذبح البقر الذي أكبر الاخوة فيها ويصنعونه في الكبرى ذاته ومقصوده هو اسكى ومقصود هذا هو الركوب وانما هذه الاعمال مقدمات ووسائل الي المقصود بالعقد ثم هؤلاء الذين حملوا الاجارة الظئر علي خلاف القياس طردوا ذلك في مثل ماء البئر والعيون التي تنبع في الارض فقالوا أدخلت ضمنا وتبعاً في المستحق ان العقد اذا وقع على عين الماء كالذي يعقد على عين تنبع لمستحق بها بستانه أو ليسوقها الى مكانه ليشرب منها وينتفع بمائها قالوا المعقود عليه الاجزاء في الارض أو نحو ذلك مما يتكلمونه وخرجوا الماء المقصود بالعقود عن أن يكون معقوداً عليه

ونحن نبين هذين الاصلين على قول من جعل الاجارة على خلاف القياس وعلى قول من جعل اجارة الظئر ونحوها علي خلاف القياس أما الاول فمقول قولهم الاجارة بيع معدوم وبيع المعدوم على خلاف القياس مقدمتين مجملتين [illegible] قولهم الاجارة بيع ان أرادوا [illegible]

[illegible]

[illegible]

ولما كان لفظ البيع يحتمل هذا وهذا تنازع الفقهاء في الإجارة هل تنعقد بلفظ البيع على وجهين والتحقيق أن المتعاقدين إن عرفا المقصود انعقدت بأي لفظ من الألفاظ عرف به المتعاقدان مقصودهما انعقد به العقد وهذا عام في جميع العقود فإن الشارع لم يحد في ألفاظ العقود حدا بل ذكرها مطلقة فكما تنعقد العقود بما يدل عليها من الألفاظ الفارسية والرومية وغيرهما من الألسن العجمية فهي تنعقد بما يدل عليها من الألفاظ العربية ولهذا وقع الطلاق والعتاق بكل لفظ يدل عليه وكذلك البيع وغيره وطرد هذا النكاح فإن أصح قولي العلماء أنه ينعقد بكل لفظ يدل عليه لا يختص بلفظ الإنكاح والتزويج وهذا مذهب جمهور العلماء كأبي حنيفة ومالك وهو أحد القولين في مذهب أحمد بل نصوصه تدل لا على هذا الوجه وأما الوجه الآخر بأنه لا ينعقد إلا بلفظ الإنكاح والتزويج فهو قول أبي عبد الله بن حامد وأتباعه كالقاضي أبي يعلى ومن تبعه وأما قدماء أصحاب أحمد وجمهورهم فلم يقولوا بهذا الوجه وقد نص أحمد في غير موضع على أنه إذا قال أعتقت أمتي وجعلت عتقها صداقها [illegible] انعقد النكاح وليس فيه لفظ إنكاح وتزويج وهكذا ذكر ابن عقيل وغيره أن هذا نص على [illegible] النكاح [illegible] وأما ابن حامد [illegible] لا بد أن [illegible] وتزوجتها [illegible] أبو يعلى [illegible] النكاح [illegible] الإنكاح والتزويج [illegible] [illegible] على مقصوده [illegible] فهو

لايرى اختصاصها بالصريح ومن اصله ان الكناية مع دلالة الحال
كالصريح لانه مراد الى اظهار النية وهذا قال بذلك في الطلاق والقذف
وغير ذلك والذين قالوا ان النكاح لا ينعقد الا بلفظ الانكاح والتزويج
من اصحاب الشافعي واحمد قالوا ان ما سوى هذين كناية والكناية لا يثبت
حكمها [illegible] والشهادة [illegible]
تقع على سمع [illegible] اصحاب [illegible] كاح
بالعقد [illegible] لكن اصول احمد ونصوصه
تخالف [illegible] هذه المذهب [illegible] على [illegible]
هذين كناية فاما [illegible] الفاظ الصريح والكناية [illegible] يعرف
[illegible] كما يقوله الشافعي ومن وافقه من أصحاب أحمد كالخرقي والقاضي
[illegible] وغيرهم ان صريح الطلاق هو الطلاق والفراق والسراح
[illegible] ومالك وغيرهما
[illegible] اصحاب [illegible] وغيرهم ولا
[illegible] من يقول الصريح هو لفظ الطلاق
فقط كابي حنيفة [illegible] وغيرهما من أصحاب أحمد
و[illegible] أصحاب الشافعي [illegible] من يقول ان الصريح اعم من هذه
[illegible] كما ذكر عن مالك وهو قول ابي بكر وغيره من أصحاب أحمد
[illegible] المذكور [illegible] الصريح طلاق ثابت
[illegible] صريحه في [illegible]
[illegible] في عرف [illegible]

قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا) فأمر بتسريحهن بعد الطلاق قبل الدخول وهو طلاق بائن لا رجعة فيه وبين أن التسريح هنا بطلاق بائن باتفاق المسلمين وقال تعالى (وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف) وفي الآية الأخرى أو فارقوهن بمعروف فالمراد بالفراق والتسريح ليس المراد به هنا طلاق فإن المطلقة الرجعية فهو تخلية عند انقضاء عدتها [illegible] لا يحتاج [illegible]

والمقصود هنا [illegible] أن يكون النص صريحا في خطاب الشارع أن يكون صحيحا وخطاب كل متكلم وبسط هذا له موضع آخر والمقصود هنا [illegible] به الاسم الخاص وهو الذي يفهم من لفظ الاسم عند الإطلاق فمن كذلك فإن ذلك [illegible] يعتمد على [illegible] معينة أو معمول في الذمة [illegible] [illegible] على الأعيان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وحقيقة [illegible] قياس في [illegible] الشرع وهو [illegible] لأن الشرع [illegible] وجودها

فلا يتصور أن تباع المنافع في حال وجودها كما تباع الأعيان في حال وجودها والشارع أمر الإنسان أن يؤخر العقد على الأعيان التي لم تخلق إلى أن تخلق فنهى عن بيع السنين وبيع حبل الحبلة وبيع الثمر قبل بدو صلاحه وعن بيع الحب حتى يشتد ونهى عن بيع المضامين والملاقيح وعن المجر وهو الحمل وهذا كله نهى عن بيع حيوان قبل أن يخلق وعن بيع حب وثمر قبل أن يخلق وأمر بتأخير بيعه الى أن يخلق وهذا التفصيل وهو منع بيعه في الحال وإجازته في حال ممتنع مثله في المنافع فانه لا يمكن أن تباع الا هكذا فإلحاق حكم الاصل مساويا لحكم الفرع الا أن يقال فأنا أقيسه على بيع الأعيان المعدومة فيقال له هنا شيئان أحدهما يمكن بيعه في حال وجوده وحال عدمه فنهى الشارع عن بيعه الا اذا وجد وشيء آخر لا يمكن بيعه الا في حال عدمه فالشارع لم ينه عن بيع ذلك حال عدمه ولا بد اذا قست عليه أن تكون العلة الموجبة للحكم في الاصل ثابتة في الفرع فلم قلت ان العلة في الاصل مجرد كونه معدوما ولم لا يجوز أن يكون بيعه في حال عدمه مع امكان تأخير بيعه الى حال وجوده وعلى هذا التقدير فالعلة مقيدة بعدم خاص وهو معدوم يمكن بيعه بعد وجوده وأنت لم تثبت أن العلة في الاصل العدم المشترك كان قياسك فاسدا وهذا سؤال المطالبة وهو كاف في وجه قياسك لكن نحن نبين فساده فنقول ما ذكرته علة مطردة وما ذكرته علة منتقضة واذا جعلت المنع بمجرد العدم انتقضت عليك بالمنافع ونحوها عند عدمه مما لا يمكن تأخير بيعه الى حال

وجوده أو عدمه هو عن اطردت علة وأيضاً فالمناسبة تشهد لهذه العلة فانه اذا كان له حال وجود وعدم كان بيعه حال العدم فيه مخاطرة وقمار وبها علل النبي صلى الله عليه وسلم المنع حيث قال أرأيت ان منع الله الثمرة فبم يأخذ أحدكم مال أخيه بغير حق بخلاف ما ليس له الا حال واحدة والغالب فيه السلامة فان هذا ليس مخاطرة فالحاجة داعية اليه ومن أصول الشرع أنه اذا تعارض المصلحة والمفسدة قدم أرجحهما فهو انما نهى عن بيع الغرر لما فيه من المخاطرة التي تضر بأحدهما وفي المنع مما يحتاجون اليه من البيع ضرر أعظم من ذلك فلا يمنعهم من الضرر اليسير بوقوعهم في الضرر الكثير بل يدفع أعظم الضررين باحتمال أدناهما ولهذا لما نهاهم عن المزابنة لما فيها من نوع ربا أو مخاطرة فيها ضرر أباحها لهم في العرايا للحاجة لان ضرر المنع من ذلك أشد وكذلك لما حرم عليهم الميتة لما فيها من خبث التغذية أباحها لهم عند الضرورة لان ضرر الموت أشد ونظائره كثيرة * فان قيل فهذا كله على خلاف القياس * قيل ان قصد بالقياس ان الفرع اختص بوصف أوجب الفرق بينه وبين الأصل فهذا فرق صحيح على خلاف القياس الفاسد وان أريد به أن الأصل والفرع استويا في المقتضى والمانع واختلف حكمهما فهذا باطل قطعاً ليس في الشريعة شيء منه البتة فرع في وصف ودونه في وصف كل الاولين في الحكم باعتبار الفارق بينهما لاستوائهما باعتبار الجامع لكن هذا هو القياس الصحيح طرداً وعكساً وهو التسوية بين المتماثلين والفرق بين المختلفين وأما التسوية بينهما

في حكمه من فهمه ما يوجب الحكم وهذه فهو قياس فاسد

و شرع دائما يحصل ... من ... الناس وقياس المشركين

... ... على ... وقالوا

... ولا ... مقياس ... في ... قياس

... ... على ... فقالوا ... كانت ...

تدخل ... لا يعبد من دون الله فكذلك ... في أن يدخل المسيح

النار قال الله تعالى (ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون

وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون)

وهذا ... ابن الزبعرى لما أنزل الله ... إنكم وما تعبدون

من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها

وكل فيها خالدون) ... الخطاب للمشركين لا لاهل الكتاب والمشركون

... المسيح ... ... قوله وما تعبدون

... ... المسيح لا ... ولا ... من قبل أن

... ... المسيح ولكن أخر بيان ... علط ... ولو كان

... صحيح ... متوجهة ... من ... ...

... ... من ... ...

... ... مريم ... عبروه إلا ... له ...

... ... فقالوا لا ... وأوردوه

... ... وهذا المعنى

... ... وهو ... ... فهي

لايدخل النار وهذا قياس فاسد لظنهم أن العلة مجرد كونه معبوداً وليس
كذلك بل لا بد أنه معبود ليس مستحقاً للثواب أو معبود لا ظلم في
ادخاله النار فالمسيح وأمه والملائكة وغيرهم ممن عبد من دون الله وهو
من عباد الله الصالحين وهو مستحق كرامة الله بوعد الله وعدله وحكمته
ولا يعذب بذنب غيره فانه لا تزر وازرة وزر أخرى والمقصود بالقاء الاصنام
في النار اهانة عابديها وأولياء الله لهم الكرامة دون الاهانة فهذا الفرق
من فقه [illegible] تعلق حكم بذلك الجمع والاقيسة الفاسدة من هذا
الجنس [illegible] من هذا الجنس فقد أصاب
هذا من كمال الشريعة واشتمالها على العدل والحكمة التي بعث
الله بها رسوله ومن لم يجانب مثل هذه الاقيسة الفاسدة التي سوى
بين الشيئين لاشتراكهما في أمر من الامور لزمه أن يسوي بين كل
موجودين لاشتراكهما في مسمى الوجود فيسوي بين رب العالمين وبين
بعض المخلوقين فيكون من الذين هم بربهم يعدلون ويشركون وبهذا
من أعظم القياس الفاسد فهؤلاء يسوون لله أندادا كما في ضلال من
[illegible] وظلمه [illegible] ومن قبل
[illegible] الشمس والقمر [illegible]
[illegible] كاقيسة المشركين ومن ذلك معرفة
كلام [illegible] ضلال من ضل من الفلاسفة
والمتكلمين من هذه الاقيسة الفاسدة التي يسوي بها بين شيئين
لاشتراكهما في بعض الامور مع أن بينهما من الفرق ما يوجب عظم

المحالة واعتبر هذا بكلامهم في وجود الرب ووجود المخلوقات فان فيه
من الاضطراب ما قد بيناه في غير هذا الموضع وهذا الذي ذكرناه
في الاجارة بناء على تسليم موجود ان بيع المعدوم لا يجوز وهذه
المقدمة باطلة وكلامهم من وجهين أحدهما أن نقول لا نسلم صحة
هذه المقدمة فليس في كتاب الله ولا سنة رسوله بل ولا عن أحد من
الصحابة ان بيع المعدوم لا يجوز لا لفظ عام ولا معنى عام وانما فيه
النهي عن بيع بعض الاشياء التي هي معدومة كما فيه النهي عن بيع بعض
الاشياء التي هي موجودة وليست العلة في المنع لا الوجود ولا العدم
بل الذي ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن
بيع الغرر والغرر ما لا يقدر على تسليمه سواء كان موجودا أو معدوما
كالعبد الآبق والبعير الشارد ونحو ذلك مما قد لا يقدر على تسليمه بل
قد يحصل وقد لا يحصل هو غرر لا يجوز بيعه وان كان موجودا فان
موجب البيع تسليم المبيع والبائع عاجز عنه والمشتري انما يشتريه
مخاطرة ومقامرة فان أمكنه أخذه كان المشتري قد قمر البائع وان لم
يمكنه أخذه كان البائع قد قمر المشتري وهكذا المعدوم الذي هو غرر
نهى عن بيعه لكونه غررا لا لكونه معدوما كما اذا باع ما يحمل هذا
الحيوان أو ما يحمل هذا البستان فقد يحمل وقد لا يحمل واذا حمل
فالمحمول لا يعرف قدره ولا وصفه فهذا من القمار وهو من الميسر
الذي نهى الله عنه ومثل هذا اذا أكراه دوابا لا يقدر على تسليمها
أو عقارا لا يمكنه تسليمه بل قد يحصل وقد لا يحصل فهذه اجارة غرر

الوجه الثاني أن نقول بل الشارع صحح بيع المعدوم في بعض المواضع فإنه ثبت عنه في غير وجه أنه نهى عن بيع الثمر حتى يبدو صلاحه ونهى عن بيع الحب حتى يشتد وهذا من أصح الحديث وهو في الصحيح عن غير واحد من أصحابه فقد فرق بين ظهور الصلاح وعدم ظهوره فأحل أحدهما وحرم الآخر ومعلوم أنه قبل ظهور الصلاح لو اشتراه بشرط القطع كما يشتري الحصرم ليقطعه حصرما جاز بالاتفاق وإنما نهى عنه إذا بيع على أنه باق فدل ذلك على أنه جوزه بعد ظهور الصلاح أن يبقيه على البقاء إلى كمال الصلاح وهذا مذهب جمهور العلماء كمالك والشافعي وأحمد وغيرهم ومن جوز بيعه في الموضعين بشرط القطع ونهى عنه بشرط التبقية أو مطلقا لم يكن عنده لظهور الصلاح فائدة ولم يفرق بين ما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم وما أذن فيه وصاحب هذا القول يقول موجب العقد التسليم عقيبه ولا يجوز التأخير فيقال له لا نسلم أن هذا موجب العقد إما أن يكون ما أوجبه الشارع بالعقد أو ما أوجبه المتعاقدان على أنفسهما وكلاهما منتف فلا الشارع أوجب أن يكون كل مبيع مستحق التسليم عقب العقد ولا العاقدان التزما ذلك بل تارة يعقدان العقد على هذا الوجه وتارة يشترطان التأخير لمصلحة كما في السلم وكذلك في الأعيان وقد يكون للبائع مقصود صحيح في تأخير التسليم كما كان جابر حين باع بعيره من النبي صلى الله عليه وسلم واستثنى ظهره إلى المدينة ولهذا كان الصواب أنه يجوز لكل عاقد أن يستثني من منفعة

المعقود عليه منفعة فيه غرض صحيح كما إذا باع عقارا واستثنى سكناه مدة أو دابة واستثنى ظهرها، أو وهب ملكا واستثنى منفعته أو أعتق العبد واستثنى خدمته مدة أو مدة حياة السيد أو وقف عينا واستثنى غلتها لنفسه مدة حياته ونحو ذلك مما هو منصوص أحمد وغيره وبعض أصحاب أحمد قال لابد أن يستثني منفعته إلا ما يعرف من أن المسلم فيه في الذمة يأخذها بيسر وفي منفعة بناء على هذا الأصل الفاسد وهو انه لابد من استحقاق القبض عقب العقد وهو قول ضعيف وعلى هذا الأصل قال من قال انه لا تجوز الاجارة لأن المنفعة في الاجارة وهؤلاء نظروا الى ما يعمله الناس أحيانا فجعلوه لازما لهم في كل صورة وهو من قياس الشبه وعلى هذا بنوا أن الدين لا يجوز وآخرون منهم من قال لا يجوز أن تكون المنفعة لا تدخل في البيع فلا يحصل التسليم ومنهم من قال هذا مستحق بالشرع بخلاف المستثنى بالشرط * ولو باع الأمة المزوجة صح باتفاقهم وان كانت منفعة البضع للزوج وقد فرق من فرق بينهما بما قد بسط في موضعه والمقصود هنا أن هذا كله تفريع على ذلك الأصل الضعيف وهو أن موجب العقد استحقاق التسليم عقبه والشرع لم يدل على هذا الأصل بل العقد في الأعيان والمنافع كالقبض في الدين تارة يكون موجب العقد قبضه عقبه بحسب الإمكان وتارة يكون موجب العقد تأخيره بحسب ما يشترطه من الصحيح وعلى هذا فالنبي صلى الله عليه وسلم جوز بيع الثمر بعد بدو الصلاح مستحق الابقاء إلى كمال الصلاح وعلى البائع السقي والخدمة الى كمال الصلاح ويدخل في هذا ما هو

معدوم مخلوق وهذا داخل في كل مرة قبل الغرر المؤخرة ونحوه
يبيح له التصرف فيه في أظهر قولي العلماء وهو أصح الروايتين عن
أحمد وبعضه لا يوجب ضمان البائع له بل إذا تلف الثمر بعد بدو
صلاحه كان من ضمان البائع كما هو مذهب أهل المدينة مالك وغيره وهو
مذهب أهل الحديث أحمد رضي الله عنه وغيره وهو قول معلق للشافعي وقد
ثبت في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن بعت من أخيك ثمرة
فأصابتها جائحة فلا يحل لك أن تأخذ منه شيئاً بم يأخذ أحدكم
مال أخيه بغير حق وليس مع المنازع دليل شرعي يدل على أن كل قبض
جوز التصرف ينقل الضمان وأن مجوز التصرف لم ينقل الضمان بل قبض
ليس المؤخر يجوز التصرف ولا ينقل الضمان ومن هذا الباب بيع المنافع
فإن من تعلم منعهم لجواز بيعها لا أظنه قط إلا من بيع معدوم وجعلوا هذا
من بيع الثمر قبل بدو صلاحه ثم من هؤلاء قال إذا بيع الثمر وقد
كان كمبيع أصل الشجر مع الثمر وذلك يجوز قبل ظهور صلاحه
لكونه صار تابعاً ويدل في خلاف المنع على صحة من باع نخلاً قد
أبرت فثمرتها للبائع إلا أن يشترطها المبتاع ... دخل في
البيع وهذا جائز ... قبل بدو صلاحه ... الأصل وهذا يكون
جميعه في المشتري ومعلوم أن ... من بيعه ... الأصل
والمقصود في ... هو الثمر فلا ... أحدهما الآخر ومن ...
من جوز بيع المقاثي كما هو قول مالك وغيره وهو قول في مذهب أحمد
وهذا صحيح فإنه لا يمكن بيعها إلا على هذا الوجه ...

لمطة ومثلا باع الاعلى وحده واحد لا ينهى عن بيعه كما تقدم والنبي صلى الله عليه وسلم انما نهى عن بيع الثمار التي يمكن تأخير بيعها حتى يبدو صلاحها فلم يدخل في نهيه ولهذا كثير من العلماء أدخلوا ضمان البساتين في نهيه فقالوا اذا ضمن الحديقة لمن يعمل عليها حتى تثمر فهو معلوم كأن هذا بيع للثمر قبل بدو صلاحه فلا يجوز ومن الناس من حكى الاجماع على منع هذا وليس كما قال بل قد ثبت أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قبل حديقة أسيد بن حضير ثلاث سنين ويستلف الضمان فقضى به دينا كان على أسيد لانه كان وصيه وقد جوز ابن عقيل ضمانها مع الاراضي او جرة اذا لم يمكن افراد أحدهما عن الآخر وجوز مالك ذلك تبعاً للارض في قدر الثلث وقصة عمر ابن الخطاب مما يشتهر مثلها في العادة ولم ينقل ان أحداً من الصحابة أنكره والصواب مافعله عمر بن الخطاب اذ الفرق بين البيع والضمان هو الفرق بين البيع والاجارة ألا ترى أن النبي صلي الله عليه وسلم نهى عن بيع الحب حتى يشتد ثم اذا استأجر أرضاً ليزرعها جاز هذا مع ان المستأجر مقصوده الحب لكن مقصوده ذلك بعمله هو لا بعمل البائع وكذلك الذى يستأجر البستان ليخدم شجره ويسقيها حتى تثمر هو بمنزلة المستأجر ليس بمنزلة المشترى الذى يشتري ثمرا وعلى البائع مؤنة خدمتها وسقيها * فان قيل هذه أعيان والاجارة لا تكون على الاعيان * قيل الجواب من وجهين أحدهما ان الاعيان هنا حصلت بعمله هو من الاصل المستأجر كما حصل الحب بعمل المؤجر في أرض * واذا قيل الحب

حصل من بذره والثمر حصل من شجر المؤجر كان هذا فرقا لا أثر له في الشرع ألا ترى أن المساقاة كالمزارعة والمساقي يستحق جزأ من الثمرة الحاصلة من أصل المالك والمزارع يستحق جزأ من الزرع النابت في أرض المالك وإن كان البذر من المالك وكذلك إن كان البذر منه كما ثبت بالسنة وإجماع الصحابة فالبذر يتلف لا يعود إلى صاحبه وقد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم عامل أهل خيبر بشطر ما يخرج من ثمر وزرع على أن يعمروها من أموالهم فالأرض والنخل والماء كان للنبي صلى الله عليه وسلم واستحقوا بعملهم جزأ من الثمر كما استحقوا جزأ من الزرع وإن كان البذر منهم والشجر من النبي صلى الله عليه وسلم فعلم أن هذا الفرق لا أثر له في الشرع ودائم تؤثر في المساقاة والمزارعة إلى يكون النماء مشتركا لم يؤثر في الإجارة بطريق الأولى فإن استئجار الأرض ليس فيه من النزاع ما في المزارعة فإذا كانت إجارتها أجوز من المزارعة فإجارة الشجر أجوز من المساقاة

الوجه الثاني أن قولهم كجزء الثمر والمنفعة ونحو ذلك والكلام على هذا هو الكلام على الأصل الذي في الإجارة فقولهم إن الإجارة على خلاف القياس ثابت وقولهم إن الإجارة لا تكون إلا على منفعة عرض لا يستحق بها أعيان وهذا قدر لم يدل عليه الكتاب والسنة ولا الإجماع ولا القياس بل الذي دلت عليه الأصول أن الأعيان التي تحدث شيئا بعد شيء مع بقاء أصلها حكمها حكم المنافع كالثمر والشجر واللبن في الحيوان ولهذا سوى بين هذا

وهذا في الوقف فان الأصل تحبيس الأصل وتسبيل الفائدة فلا بد أن يكون الأصل باقيا وأن تكون الفائدة تحدث مع بقاء الاصل فيجوز أن تكون فائدة الوقف منفعة كالسكنى ويجوز أن تكون ثمرة كوقف الشجر ويجوز أن تكون لبنا كوقف الماشية للانتفاع بلبنها وكذلك باب التبرعات فان المنحة تارة تكون منفعة وتارة تكون عطاء المنفعة كالعارية مع بقاء الأصل ثم يردها فمنحة عطاء الشاة لمن يشرب لبنها ثم يردها والعرية عطاء شجرة لمن يأكل ثمرها ثم يردها والسكنى اعطاء الدار لمن يسكنها ثم يردها وكذلك في الاجارة تارة تكون على المنفعة التي ليست أعيانا كالسكنى والركوب وتارة تكون على الأعيان التي تحدث شيئا فشيئا مع بقاء الأصل كلبن الظئر ونقع البئر والعين فان الماء واللبن لما كانا شيئا يحدث شيئا فشيئا مع بقاء الأصل كان كالمنفعة والمسوغ للاجارة هو ما بينهما من القدر المشترك وهو حدوث المقصود بالعقد شيئا فشيئا سواء كان الحادث عينا أو منفعة وكونه جسما أو معنى قائما بجسم لا أثر له في الشرع مع أن هذا الفرق ليس هو الفرق المؤثر فان الأجسام أكمل من صفاتها ولا يمكن العقد عليها الا كذلك وطرد هذا أكثر الطير من الحيوان للارضاع ثم الظئر تارة تستأجر بأجرة مقدرة وتارة بطعامها وكسوتها وتارة يكون طعامها وكسوتها من جملة الأجرة وأما الماشية فإنما يعتاض عن لبنها بعوض فتارة يشتري المشتري اللبن وحده على أن يحلبه وتارة على أن ذلك على المشتري ... وهو أجرة ... ثمن ... أرضه بخلاف

من قبض لابن فانه هنا قبض المنفعة المعقود عليها واسه هكذا بيعا

وهذا احاره نوع لمعنى والاعتبار بالمقاصد ومن الفقهاء من يجعل

خلاف الم رت ... في صحة العقد وفساده حتى ان من هؤلاء من

يصححها ... بعض دون ... كما ... ن ... لايجوز واذا

كان المقصود ... حار ويقول ... ان ... على أن يكون لدر

من ... لا يجوز ... وهذا قول بعض

أصحاب أحمد وهذا ... لا ... في ... كان

المعنى مقصودا ... فيجوزه ... يجوزه

بلعة دون ... كل ... حكم ... الآخر

فهذا له حكم آخر ... هذا موضع ... هذه مسائل واذا مقصود

... على ... موافق القياس ... شارع ... سوى ... من

شيئين كما سوى بين الاستئجار على الرضاع والخدمة ولفارق بينهما عدم

التأثير ... يكون ... منفعة ... فرق بين شيئين فاجتمع

... هو ... حكم ...

(...) ... من ... عن ...

... من ... مقصود ...

... في ... لا ...

في ... حتى ... قه ... واوجد

... وفي ... معروف في مذهب أحمد

وغيره وعلى ذلك ... لو ... دون اذن الخاطب

منها فمن قال هي واجبة على العاقلة تحملا قال تجزىء ومن قال هي واحدة عليه ابتداء قال هي كاداء الزكاة عن الغير ولذلك تنازعوا فى العقل اذا لم تكن عاقلة هل يجب في ذمة القاتل أم لا والعقل فارق غيره من الحقوق في أسباب اقتضت اختصاصه بالحكم وذلك ان دية المقتول مال كثير والعاقلة انما تحمل الخطأ لاتحمل العمد بلا نزاع وفى شبه العمد نزاع والاظهر انها لاتحمله والخطأ مما يعذر فيه الانسان فايجاب الدية في ماله ضرر عظيم به من غير ذنب تعمده ولا بد من ايجاب بدل المقتول فالشارع أوجب على من عليهم موالاة القاتل ونصره ان يعينوه على ذلك فكان هذا كايجاب النفقات التي تجب للقريب أوجب للفقراء والمساكين وايجاب فكاك الاسير من بلد العدو فان هذا أسير بالدية التي تجب عليه وهى لم تجب باختيار مستحقها ولا باختياره كالديون التي تجب بالقرض والبيع وليست أيضا قليلة في الغالب كابدال المتلفات فان الاتلاف مال كثير فقدر لديه حصة نادر جدا بخلاف قتل النفس خطأ فيه العمد في نفس أو مال فالمتلف ظالم مستحق فيه للعقوبة ونتيجة الخطأ فى الاموال قليل في العادة بخلاف الدية ولهذا كان عند الاكثرين لاتحمل العاقلة الا ماله قدر كبير فعند مالك وأحمد لاتحمل مادون الثلث وعند أبى حنيفة مادون السن والموضحة فكان ايجابها من جنس ماأوجبه الشارع من الاحسان الى المحتاجين كابن السبيل والفقراء والمساكين والاقارب المحتاجين ومعلوم ان هذا من أصول الشرائع التي بها قيام مصلحة العالم فان الله لما قسم خلقه الى غنى وفقير

ولا تتم مصلحتهم الا بسد خلة الفقراء وحرم الربا الذي يضر الفقراء فكان الامر بالصدقة من جنس النهي عن الربا ولهذا جمع الله بين هذا وهذا في مثل قوله تعالى (يمحق الله الربا ويربي الصدقات) وفي مثل قوله تعالى (وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) وقد ذكر الله في آخر البقرة أحكام الاموال وهي ثلاثة أصناف عدل وفضل وظلم فالعدل البيع والظلم الربا والفضل الصدقة فمدح المتصدقين وذكر ثوابهم وذم المربين وبين عقابهم وأباح البيع والتداين الى أجل مسمى فالعقل من جنس ما أوجبه من الحقوق لبعض الناس على بعض كحق المسلم وحق ذي الرحم وحق الجار وحق المملوك والزوجة

(فصل) والاحكام التي يقال انها على خلاف القياس نوعان نوع مجمع عليه ونوع متنازع فيه فما لا نزاع في حكمه تبين انه على وفق القياس الصحيح وينبني على هذا ان مثل هذا هل يقاس عليه أم لا فذهب طائفة من الفقهاء أن ما ثبت على خلاف القياس لا يقاس عليه ويحكى هذا عن أصحاب أبي حنيفة والجمهور انه يقاس عليه وهذا هو الذي ذكره أصحاب الشافعي وأحمد وغيرهم وقالوا انما يعتبر في شروط القياس فما علمت علته ألحقنا به ما شاركه في العلة سواء قيل انه على خلاف القياس أو لم يقل وكذلك ما علم انتفاء الفارق فيه بين الاصل والفرع والجمع بدليل العلة كالجمع بالعلة وأما اذا لم يقم دليل على ان الفرع كالاصل فهذا لا يجوز فيه القياس سواء قيل انه على وفق القياس

وجب كونه وهذا كان الصحيح عن ان العرايا يلحق بها ما كان في معناها
وحقيقة الأمر أنه لم يشرع شيء على خلاف القياس الصحيح بل ما قيل
إنه على خلاف القياس فلا بد من اتصافه بوصف امتاز به عن الأمور
التي خالفها واقتضى مفارقته لها في الحكم وإذا كان كذلك فذلك الوصف
إن شاركه غيره فيه فحكمه كحكمه وإلا كان من الأمور المفارقة له وأما
ما يقال فيه فمنها في حديث يخالف أثر ويقول القائلون هذا بخلاف
القياس في خلاف ... الأصول وهذا له أمثلة من أشهرها المصراة
فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تصروا الإبل ولا الغنم فمن ابتاع
مصراة فهو بخير النظرين بعد أن يحلبها إن شاء أمسكها وإن سخطها
ردها وصاعا من تمر وهو حديث صحيح فيقولون هذا يخالف قياس
الأصول من وجوه منها أنه رد العين بلا عيب ولا خلاف في صفة . ومنها
أن الخراج بالضمان فإن اللبن الذي يحدث عند المشتري غير مضمون عليه
وهنا قد ضمنه . ومنها أن اللبن من ذوات الأمثال فهو مضمون بمثله
ومنها أنه إذا كان له يضمن بالقيمة من النقد وهنا ضمنه بالتمر ومنها
أن المال المضمون يضمن بقدره لا بقدر بدله بالشرع وهنا قدر بالشرع
فقال المثبتون للحديث كل ما ذكرتموه خطأ والحديث موافق الأصول
ولو خالفها لكان هو أصلا كما أن غيره أصل فلا يضرب الأصول بعضها
ببعض بل يجب اتباعها كلها فإنها كلها من عند الله أما قولكم رد بلا عيب
ولا فوات صفة فليس في الأصول ما يوجب انحصار الرد في هذين
الشيئين بل التدليس نوع ثبت به الرد وهو من جنس الخلف في الصفة

فإن البيع تارة تظهر صفاته بالقول وتارة بالفعل فاذا ظهر أنه على صفة وكان على خلافها فهو تدليس وقد أثبت النبي صلى الله عليه وسلم الخيار للركبان اذا تلقوا واشترى منهم قبل أن يهبطوا السوق ويعلموا السعر وليس كذلك واحد من الامرين ولكن فيه نوع تدليس * وأما قوله الخراج بالضمان فحديث المصراة أصح منه باتفاق أهل العلم مع أنه لا منافاة بينهما فان الخراج ما يحدث في ملك المشتري ولفظ الخراج اسم للغلة مثل كسب العبد وأما اللبن ونحوه فلحق بذلك وهنا كان اللبن موجوداً في الضرع فصار جزءاً من المبيع ولم يجعل الصاع عوضاً عما حدث بعد العقد بل عوضاً عن اللبن الموجود في الضرع وقت العقد وأما تضمينه بغير جنسه وتقديره بالشرع فلأن لبن المضمون اختلط باللبن الحادث بعد العقد وتعذرت معرفة قدره فلهذا قدر الشرع البدل قطعاً للنزاع وقدر بغير الجنس لأن التقدير بالجنس قد يكون أكثر من الأول أو أقل فيفضي الى الربا بخلاف غير الجنس فانه كأنه بيع لبن بتمر واذا تعذرت معرفة قدره بالصاع من تمر ولم يكن صاع من حنطة وهو مكيل مطعوم ... أن يكون مكيلا مطعوما وهو ... الى الصاع ... بخلاف حنطة وشعير فإنه لا تتأتى به الصفقة وهو أقرب الأجناس الى اللبن إذ كانوا يقتاتونه بالمدينة وقد كان من موارد الاجتهاد أن جميع الأمصار يعطون في ذلك الصاع من تمر أو يكون هذا من تنقيح المناط فهذا من موارد الاجتهاد كما في صدقة الفطر صاع من شعير أو تمر ومن

ذلك قول بعضهم ان أمره للمصلى خلف الصف وحده بالاعادة على خلاف القياس فان الامام يقف وحده والمرأة تقف خلف الرجال وحدها كما جاءت به السنة وليس الامر كذلك فان الامام يسن في حقه التقدم بالاتفاق والمؤتمون يسن في حقهم الاصطفاف بالاتفاق فكيف يشبه هذا بهذا وذلك لان الامام يؤتم به فاذا كان امامهم رأوه وكان قد يؤتم به بخلاف ما اذا لم يكن واما المرأة فانها تقف وحدها اذا لم يكن هناك امرأة غيرها تقف معها في حقها الاصطفاف لكن وقوف المرأة تدل على شيئين تدل على انه يشرع خلف الصف من يقوم معه وعذر الرجل في صف يصلى وحده للحاجة وهذا هو قياس فان الواجبات تسقط للحاجة وأمره بأن يقف غيره من الواجبات فاذا تعذر ذلك سقط للحاجة كما سقط غير ذلك من فرائض الصلاة للحاجة في مثل صلاة الخوف محافظة على الجماعة وطرد ذلك اذا لم يمكنه أن يصلى مع الجماعة الا قدام الامام فانه يصلى هنا لاجل الحاجة أمامه وهو قول طوائف من أهل العلم وهو أحد الوجهين في مذهب أحمد وان كانوا لا يجوزون التقدم على الامام اذا أمكن ترك التقدم عليه وفي الجملة فليست المصافة أوجب من غيرها فاذا سقط غيرها للعذر في الجماعة فهي أولى بالسقوط *ومن الاصول الكلية ان المعجوز عنه في الشرع ساقط الوجوب وأن المضطر اليه بلا معصية غير محظور فلم يوجب الله ما يعجز عنه العبد ولم يحرم مايضطر اليه العبد ومن ذلك قول بعضهم في الحديث الصحيح الذي فيه ان الرهن مركوب ومحلوب وعلى الذي

يركب ويحلب الفقه أنه على خلاف القياس وليس كذلك فإن الرهن
إذا كان حيوانا فهو محترم في نفسه ولمالكه فيه حق وللمرتهن فيه حق
وإذا كان بيد المرتهن فلم يركب ولم يحلب ذهبت منفعته باطلة وقد قدمنا
أن اللبن يجري مجرى المنفعة فإذا استوفى المرتهن منفعته وعوض عنها
نفقته كان في هذا جمع بين المصلحتين وبين الحقين فإن نفقته واجبة على
صاحبه والمرتهن إذا أنفق عليه أدى عنه واجبا وله فيه حق فله أن
يرجع ببدله ومنفعة الرهن تصلح أن تكون بدلا فأخذها خير من أن
تذهب على صاحبها وتذهب باطلا وقد تنازع الفقهاء فيمن أدى عن
غيره واجبا بغير إذنه كالدين فمذهب مالك وأحمد في المشهور عنه له أن
يرجع به عليه ومذهب أبي حنيفة والشافعي ليس له ذلك وإذا أنفق
نفقة تجب عليه مثل أن ينفق على ولده الصغير أو عبده فبعض أصحاب
أحمد قال لا يرجع وفرقوا بين النفقة والدين والمحققون من أصحابه
سووا بينهما وقالوا الجميع واجب ولو افتداه من الأسر كان له مطالبته
بالفداء وليس ذلك دينا عليه والقرآن يدل على هذا القول فإن الله قال فإن
أرضعن لكم فآتوهن أجورهن فأمر بإيتاء الأجر بمجرد الإرضاع ولم
يشترط عقدا ولا إذن الأب وكذلك قال والوالدات يرضعن أولادهن
حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن
وكسوتهن بالمعروف فأوجب ذلك عليه ولم يشترط عقدا ولا إذنا ونفقة
الحيوان واجبة على ربه والمرتهن والمستأجر له فيه حق فإذا أنفق عليه
النفقة الواجبة على ربه كان أحق بالرجوع من الإنفاق على ولده فإذا

قدر أن الراهن قال لم آذن لك في النفقة قال هي واجبة عليك وأنا أستحق أن أطالبك بها لحفظ الرهون والمستأجر وإذا كان المنفق قد رضي بأن يعتاض بغلة الرهن التي لا يطالبه بعين النفقة كان قد أحسن إلى صاحبه فهذا خير محض مع الراهن وكذلك لو قدر أن المؤتمن على حيوان الغير كالمودع والشريك والوكيل أنفق من مال نفسه وعوض بنفقته فهذا أحسن إلى صاحبه إذا لم ينفق عليه صاحبه وقد ثبت بهذا الحديث عن النبي الحديث الذي في السنن عن الحسن عن قبيصة بن حريث عن سلمة بن المحبق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في رجل وقع على جارية امرأته إن كان استكرهها فهي حرة وعليه لسيدتها مثلها وإن كانت طاوعته فهي له وعليه لسيدتها مثلها وقد روي في لفظ آخر وإن كانت طاوعته فهي ومثلها من ماله لسيدتها وهذا الحديث تكلم بعضهم في إسناده لكنه حديث حسن وهم يحتجون بما هو دونه في القوة ولكن لإشكاله قوي عندهم تضعيفه وهذا الحديث يستقيم على القياس مع ثلاثة أصول هي صحيحة كل منها قول طائفة من الفقهاء أحدها أن من غير مال غيره بحيث يفوت مقصوده عليه فله أن يضمنه إياه بمثله وهذا كما إذا تصرف في المغصوب بما أزال اسمه ففيه ثلاثة أقوال في مذهب أحمد وغيره أحدها أنه باق على ملك صاحبه وعلى الغاصب ضمان النقص ولا شيء له في زيادته كقول الشافعي والثاني يملكه الغاصب بذلك ويضمنه لصاحبه كقول أبي حنيفة والثالث يخير المالك بين أخذه وتضمين النقص

وبين المطالبة بالبدل وهذا أعدل الاقوال وأقواها فان فوت صفاته المعروفة مثل أن ينسيه صناعته أو يضعف قوته أو يفسد عقله ودينه فهذا أيضا يخير المالك بين تضمين النقص وبين المطالبة بالبدل ولو قطع ذنب بغلة القاضي فعند مالك يضمنها بالبدل ويملكها لتعذر مقصودها على المالك في العادة أو يخير المالك وكذلك السلطان اذا قطع آذان فرسه ونحوه ﴿الاصل الثاني﴾ أن جميع المتلفات تضمن بالجنس بحسب الامكان مع مراعاة القيمة حتى الحيوان فانه في القرض يجب فيه رد المثل وقد اقترض حيوانا فرد مثله كما اقترض النبي صلى الله عليه وسلم بكرا ورد خيرا منه وكذلك في المغرور يضمن ولده بمثلهم كما قضت به الصحابة وكذلك الجاني رأس الرجل ولحيته فان الصحابة قضوا بمثله أي برأس منه في القيمة وهذا أحد القولين في مذهب أحمد وغيره وقصة داود وسليمان عليهما السلام من هذا الباب فان الماشية كانت قد أتلفت حرث القوم وهو بستانهم وكان عنبا والحرث اسم للشجر والزرع فقضى داود بقيمة لاصحاب الحرث كانه ضمنهم ذلك بالقيمة ولم يكن لهم مال الا الغنم فأعطاهم الغنم بالقيمة وقضى سليمان بحكم أن اصحاب الماشية يقومون على الحرث حتى يعود كما كان فضمنهم اياه بالمثل وأعطاهم الماشية يأخذون منفعتها عوضا عن المنفعة التي فاتت من حين تلف الحرث الى أن يعود وبذلك أفتى الزهري لعمر بن عبد العزيز فيمن كان أتلف له شجرا فقال يغرسه حتى يعود كما كان وقيل ربيعة وأبا الزناد فقالا عليه القيمة فغلط الزهري القول

فيهما وهذا موجب الأدلة فان الواجب ضمان المتلف بالمثل بحسب الامكان قال تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) وقال (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) وقال (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) وقال (والحرمات قصاص) فاذا أتلف نقدا أو حبوبا ونحو ذلك أمكن ضمانها بالمثل وان كان المتلف ثيابا أو آنية أو حيوانا فهنا مثله من كل وجه وقد يتعذر فالأمر دائر بين شيئين اما أن نضمنه بالقيمة وهي دراهم مخالفة له في الجنس والصفة لكنها مساوية في المالية واما أن نضمنه بثياب من جنس ثيابه وآنية من جنس آنيته أو حيوان من جنس حيوانه مع مراعاة القيمة بحسب الامكان ومع كون قيمته مقدرة فيه فهنا تكون مساوية كما في النقد وامتاز هذا بالمشاركة في الجنس والصفة فكان ذلك أقرب من هذا وما كان أمثل فهو أعدل فيجب الحكم به اذا تعذر المثل من كل وجه ونظير هذا ما ثبت بالسنة واتفاق الصحابة من القصاص في اللطمة والضربة وهو قول كثير من السلف وقد نص عليه أحمد في رواية اسماعيل ابن سعيد الشالنجي التي شرحها الجوزجاني في كتابه المسمى بالمترجم فقال طائفة من الفقهاء المساواة متعذرة في ذلك فيرجع الى التعزير فيقال لهم ما جاءت به الآثار هو موجب القياس فان التعزير عقاب غير مقدر الجنس ولا الصفة ولا القدر والمرجع فيه الى اجتهاد الوالي ومن المعلوم ان الامر بضرب يقارب ضربته وان لم نعلم انه مساو له أقرب الى العدل والمماثلة من عقوبة تخالفه في الجنس والوصف غير

مقدرة أصلا واعلم أن التماثل من كل وجه متعذر حتى في المكيلات فضلا عن غيرها فإنه إذا أتلف صاعاً من بر فضمن صاعاً من بر لم يعلم أن أحد الصاعين فيه من الحب ما هو مثل الآخر بل قد يزيد أحدهما على الآخر ولهذا قال تعالى (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها) فإن تحديد الكيل والوزن مما قد يعجز عنه البشر ولهذا قيل هذا أمثل من هذا إذا كان أقرب إلى المماثلة فإذا لم يحصل المماثلة من كل وجه فالأصل ثابت من قول الصحابة متفق عليه وهذا مذهب مالك وأحمد وغيرهما وقد جاءت بذلك آثار مرفوعة عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كعمر بن الخطاب كما قد ذكر في غير هذا الموضع فهذا الحديث موافق هذه الأصول الثابتة بالأدلة الموافقة للقياس العادل فإذا طاوعته فقد أفسدها على سيدها فإنها مع المطاوعة تبقى زانية وذلك ينقص قيمتها ولا يمكن سيدها من استخدامها لما كانت تمكن قبل ذلك لنقص عقلها وطمع الجارية في السيد والاستشراف ... لا سيما وتصير على سيدها ... كما كانت تطيعه وإذا صرف ... ينقص قيمته كان لصاحبه ... فتضمن ... ومعلوم أنه لو رضيت أن تبقى ملكه هو ونقص من قيمتها لم تمنع من ذلك ... وكان موجب هذا أن الأمة إذا أفسدها رجل على أهلها حتى طاوعت على الزنا ولأهلها أن يضمنوه مثلها واحتمالها بناء على أن المثل يجب في كل مضمون بحسب الإمكان وأما إذا استكرهها فإن هذا من باب المثلة فإن الإكراه على الوطء

مثـلة فان الوطء يجرى مجرى الاتلاف ولهذا قيل ان من استكره عبده على اللوط به عتق عليـه ولهـذا لايخلو من عقر أو عقوبة لاتجرى مجرى منفعة الخدمة فهي لما صارت له بافسادها على سيدها أوجب عليه مثلها كما في المطاوعة واعتقها عليه لكونه مثل بها وقد قال انه يلزم على هذا ان يستكره عبده على الفاحشة يعتق عليه ولو استكره أمه الغير على الفاحشة عتقت وضمنها بمثلها لان الفرق بين أمة مرأته وبين غيرها في كل منهما فرق شرعي والاقوى جب القياس المسوية وأما قوله عز وجل (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم) وهذا النهي عن اكراههن على كسب المال بالبغاء كما قيل ان ابن أبي المنافق كان له من الاماء مكرهن على البغاء وليس هو استكراها للامه على أن يزني هو بها فان هذا بمنزلة التمثيل بها وذاك الزام لها بأن تذهب وتزني بنفسها مع انه قد يمكن أن يقال العتق بالمثلة لم يكن مشروعا عند نزول الآية ثم شرع بعد ذلك والكلام على هذا الحديث من أدق الامور فان كان ثابتاً فهذا الذي ظهر في توجيهه وتخريجه على الاصول الثابتة وان لم يكن ثابتاً فلا يحتاج الى الكلام عليه وبالجملة فما عرفت حديثاً صحيحاً الا ويمكن تخريجه على الاصول الثابتة وقد تدبرت ما أمكنني من أدلة الشرع فما رأيت قياساً صحيحاً يخالف حديثاً صحيحاً كما أن المعقول الصريح لايخالف المنقول الصحيح بل متى رأيت قياساً يخالف اثراً فلا بد من ضعف أحدهما لكن التمييز

من صحيح القياس وفاسده مما يخفى كثير منه على أفاضل العلماء فضلا عمن هو دونهم فإن إدراك الصفات المؤثرة في الأحكام على وجهها ومعرفة الحكم والمعاني التي تضمنتها الشريعة من أشرف العلوم فمنه الجلي الذي يعرفه كثير من الناس ومنه الدقيق الذي لا يعرفه إلا خواصهم فلهذا صار قياس كثير من العلماء يرد مخالفا للنصوص لخفاء القياس الصحيح عليهم كما يخفى على كثير من الناس ما في النصوص من الدلائل الدقيقة التي تدل على الأحكام

(فصل) وأما قولهم إن المضي في الحج الفاسد على خلاف القياس فليس الأمر كذلك فإن الله أمر بإتمام الحج والعمرة فعلى من شرع فيهما أن يمضي فيهما وإن كان متطوعا بالدخول باتفاق الأئمة وإن تنازعوا فيما سوى ذلك من التطوعات هل تلزم بالشروع فقد وجب عليه بالإحرام أن يمضي إلى حين يتحلل وأن لا يطأ في الحج فإذا وطئ في الحج لم يسقط وطؤه ما وجب عليه من إتمام الحج ونظير هذا الصائم في رمضان فإنه وجب عليه الإمساك ثم تعمد فيه الفطر لم يحل له ذلك وإذا أفطر لم يسقط عنه بفطره ما وجب عليه من الإمساك بل يجب عليه إتمام صومه في رمضان وإن أفسده وهذا لأن الصيام له حد محدود وهو غروب الشمس كما أن للحج وقت مخصوص وهو يوم عرفة وما بعده ومكان مخصوص وهو يوم عرفة وما بعده ومكان مخصوص وهو عرفة ومزدلفة ومنى فلا يمكنه الإحلال بالحج قبل وصوله إلى مكانه كما لا يمكنه إحلال الصائم المفطر إلا أن يكون معذورا كالمحصر فهذا كالمعذور بالفطر

وهذا بخلاف الصلاة اذا أفسدها فانه يتمها لان الصلاة يمكنه فعلها فى اثناء الوقت والحج لا يمكنه فعله فى أثناء الوقت

(فصل) وأما الاكل ناسياً فللذين قالوا هو خلاف القياس قالوا هو من باب ترك المأمور ومن ترك المأمور ناسياً لم تبرأ ذمته كما لو ترك الصلاة ناسياً أو ترك نية الصيام ناسياً لم تبطل عبادته الا من فعل محظور ولكن من يقول هو على وفق القياس يقول القياس ان من فعل محظوراً ناسياً لم تبطل عبادته لان من فعل محظوراً ناسياً فلا اثم عليه كما دل عليه قوله تعالى (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا) وقد ثبت فى الصحيح ان الله قال قد فعلت وهذا مما لا ينازع فيه العلماء ان الناسى لا يأثم لكن يتنازعون فى بطلان عبادته فيقول القائل اذا لم يأثم لم يكن قد فعل محرما ومن لم يفعل محرماً لم تبطل عبادته فان العبادة انما تبطل بترك واجب أو فعل محرم فاذا كان ما فعله من باب فعل المحرم وهو ناس فيه لم تبطل عبادته وصاحب هذا القول يقول القياس أن لا تبطل الصلاة بالكلام فى الصلاة ناسياً وكذلك يقول القياس ان من فعل شيئاً من محظورات الاحرام ناسياً لا فدية عليه وقيل الصيد هو من باب ضمان المتلفات كدية المقتول بخلاف الطيب واللباس فانه من باب الترفه وكذلك الحلق والتقليم هو فى الحقيقة من باب الترفه لا من باب متلف له قيمة ودية لا وجه لذلك ولهذا كان أعدل الاقوال أن لا كفارة فى شئ من ذلك الا فى جزاء الصيد وطرد هذا ان من فعل المحلوف عليه ناسياً لا يحنث سواء حلف بالطلاق والعتاق أو غيرهما لان من فعل المنهى

عنه ناسياً لم يعص ولم يخالف والحنث في الأيمان كالمعصية في الأمر والنهي وكذلك من باشر النجاسة في الصلاة ناسياً فلا إعادة عليه لأنه من باب فعل المحظور بخلاف ترك طهارة الحدث فإنه من باب المأمور * فإن قيل الترك في الصوم مأمور به وهذا يشترط فيه النية بخلاف الترك في هذه المواضع فإنه ليس مأموراً به فإنه لا يشترط فيه النية * قيل لا ريب أن النية في الصوم واجبة ولولا ذلك لما أثيب لأن الثواب لا يكون إلا مع النية ومع الأمور إذا قصد تركها لله أثيب على ذلك أيضاً وإن لم يحضر بقلبه قصد تركها لم يثب ولم يعاقب ولو كان ناوياً تركها لله وفعله ناسياً لم يقدح نسيانه في أجره بل يثاب على قصد تركها لله وإن فعلها ناسياً كذلك الصوم فما فعله الناسي لا يضاف إليه بل فعله الله به من غير قصده ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم من أكل أو شرب ناسياً فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه فأضاف إطعامه وإسقاءه إلى الله لأنه لم يتعمد ذلك ولم يقصده وما يكون مضافاً إلى الله لا ينهى عنه العبد فإنما ينهى عن فعله والأفعال التي ليست اختيارية لا تدخل تحت التكليف ففعل الناسي كفعل النائم والمجنون والصغير ونحو ذلك ومن ذلك أن الصائم إذا احتلم في منامه لم يفطر ولو استمنى باختياره أفطر ولو ذرعه القيء لم يفطر ولو استدعى القيء أفطر فلو كان ما يوجد بغير قصده كما يوجد بقصده لأفطر بهذا وهذا * فإن قيل فيخطئ يفطر مثل من يأكل يظن أنه الليل ثم تبين له طلوع الفجر أو يأكل يظن غروب الشمس ثم تبين له أن الشمس لم تغرب * قيل هذا فيه نزاع بين السلف

والخلف والذين فرقوا بين الناسي والمخطئ قالوا هذا يمكن الاحتراز منه بخلاف النسيان وقاسوا ذلك على ما إذا أفطر يوم الشك ثم تبين أنه من رمضان ونقل عن بعض السلف أنه يقضي في مسألة الغروب دون طلوع الفجر كما لو استمر الشك والذين قالوا لا يفطر في الجميع قالوا حجتنا أقوى ودلالة الكتاب والسنة على قولنا أظهر فان الله قال (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) فجمع بين النسيان والخطأ ولأن من فعل محظور الحج والصلاة مخطئاً كمن فعله ناسياً وقد ثبت في الصحيح أنهم أفطروا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثم طلعت الشمس ولم يذكروا في الحديث أنهم أمروا بالقضاء ولكن هشام ابن عروة قال لا بد من قضاء وأبوه أعلم منه وكان يقول لا قضاء عليهم وثبت في الصحيحين أن طائفة من الصحابة كانوا يأكلون حتى يظهر لأحدهم الخيط الأبيض من الخيط الأسود وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأحدهم إن وسادك لعريض إنما ذلك بياض النهار وسواد الليل ولم ينقل أنه أمرهم بقضاء وهؤلاء جهلوا الحكم فكانوا مخطئين وثبت عن عمر بن الخطاب أنه أفطر ثم تبين النهار فقال لا نقضي فانا لم نتجانف لإثم وروي عنه أنه قال نقضي ولكن إسناد الأول أثبت وصح عنه أنه قال الخطب يسير فتأول ذلك من تأوله على أنه أراد خفة أمر القضاء لكن اللفظ لا يدل على ذلك وفي الجملة فهذا القول أقوى أثراً ونظراً وأشبه بدلالة الكتاب والسنة والقياس وبه يظهر أن القياس في الناسي أنه لا يفطر والأصل الذي دل عليه الكتاب والسنة أن من فعل

محظورا ناسيا لم يكن قد فعل منهيا عنه فلا يبطل بذلك شيء من العبادات ولا فرق بين الوطء وغيره سواء كان في إحرام أو صيام

﴿ فصل ﴾ وأما قول القائل إنهم يقولون ذلك فيما روي عن بعض الصحابة فهذا باب واسع والذي يعرفه إنما كان من أقوال الصحابة فعل بعضهم [illegible] وقال بعضهم بخلافهم فقد يكون أحد القولين مخالفا للقياس الصحيح بل وللنص الصريح [illegible] أنه حجة ما كان من سنة الخلفاء الراشدين التي سنوها للمسلمين ولم يعلم أن أحدا من الصحابة خالفهم فيها فهذا لا ريب أنه حجة بل إجماع وقد دل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة مثال ذلك حمى عمر وعثمان رضي الله عنهما للأرضين المفتوحة وترك قسمها على الغانمين فمن قال إن هذا لا يجوز قال لأن النبي صلى الله عليه وسلم قسم خيبر وقال [illegible] الإمام [illegible] حكمه [illegible] سنة [illegible] وهذا القول [illegible]

[illegible]

أرسل اليهم أحدا يصالحهم بل خرج أبو سفيان يتجسس الاخبار وأخذه العباس وقدم به كالاسير وغايته أن يكون العباس أمنه فصار مستأمنا ثم أسلم فصار من المسلمين وكيف يتصور أن يعقد عقد صلح الكفار بعد اسلامه بغير اذن منهم كيف وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم علق الامن بشرائط كونه من دخل دار أبو سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن فمن لم يفعله فلو كانوا مصالحين لم يحتج الى ذلك [illegible] وسماهم النبي صلى الله عليه وسلم طلقاء لانه أطلقهم بعد القدرة عليهم كما يطلق الاسير وقد روى قتله من قتلهم من الاسرى كثيمة بن [illegible] وغيره وأيضا فانه أذن في قتل جماعة منهم من رجال ونساء وأيضا فقد ثبت عنه في الصحاح انه قال في خطبته ان مكة لم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار وقد دخل مكة وعلى رأسه المغفر ولم يدخلها بالاحرام فلو كانوا قد صالحوه لم يكن ما احله له شيء ولو صالح مدينة من مدائن الحل لم يكن قد أحل فكيف تحل له بلد الحرم وأهله مسلمون له صلح معه وأيضا فقد قاتلوا خالدا وقتل طائفة منهم وفي الجملة من تدبر الآثار المنقولة علم بالاضطرار ان مكة فتحت عنوة وقوله ثم انه صلى الله عليه وسلم لم يقسم أرضها كما لم يفرق رجالها فهذا يجري مجرى عنوة وقسمه وفتح مكة عنوة ولم يقسمها فيتخرج على القولين ولا منافي في هذا الباب ثلاثة مذاهب وجوب قسمة [illegible] ووجوب تحبيسه [illegible] شرى وأي

حنيفة وأبي عبيد وهو ظاهر مذهب أحمد وعنه كالقولين الأولين ومن أشكل ما أشكل على الفقهاء من أحكام الخلفاء الراشدين أمر المفقود فإنه قد ثبت عن عمر بن الخطاب أنه أجل امرأته أربع سنين وأمرها أن تتزوج بعد ذلك ثم قدم المفقود فخيره عمر بين امرأته وبين مهرها وهذا مما اتبعه فيه الإمام أحمد وغيره وأما طائفة من متأخري أصحابه فقالوا هذا مخالف الأصول والقياس هي باقية على نكاح الأول إلا أن تقول الفرقة تنفذ ظاهراً وباطناً فهي زوجة الثاني وللأول قول الشافعي والثاني قول مالك وآخرون يفرقون في ذكرهم حتى هو بو حكم حاكم تقول عمر نقض حكمه بعده عن القياس وآخرون أخذوا ببعض قول عمر وتركوا بعضه فقالوا إذا تزوجت فهي زوجة الثاني وإذا دخل بها الثاني فهي زوجته ولا ترد إلى الأول ومن خالف عمر لم يهتد إلى ما اهتدى إليه عمر ولم يكن له من الخبرة بالقياس الصحيح مثل خبرة عمر فإن هذا مبني على أصول وهو وقف العقود إذا تصرف الرجل في حق الغير بغير إذنه هل يقع تصرفه مردوداً أو موقوفاً على إجازته على قولين مشهورين هما روايتان عن أحمد أحدهما أنه [illegible] على تحصيل [illegible] قول [illegible] والثاني أنه موقوف وهو مذهب أبي حنيفة ومالك وهو [illegible] لأحمد وغيره [illegible] مذهب [illegible] معروف [illegible] من [illegible] على [illegible] الأول [illegible] لا [illegible] في [illegible] فالأول

مثل من عنده أموال لا تعرف أصحابها كالغصوب والعواري ونحوهما
إذا تعذرت عليه معرفة أرباب الأموال ويئس منها فإن مذهب أبي
حنيفة ومالك وأحمد أنه يتصدق بها عنهم فإن ظهروا بعد ذلك كانوا
مخيرين بين الإمضاء وبين التضمين وهذا مما جاءت به السنة في
اللقطة فإن الملتقط أخذها بعد التعريف وتصرف فيها ثم إن جاء
صاحبها كان مخيرا بين إمضاء تصرفه وبين المطالبة بها فهو تصرف
موقوف لكن تعذر الاستئذان ودعت الحاجة إلى التصرف وكذلك
الموصي إذا وصى بشيء وصيته موقوفة على إجازة الورثة عند
الأكثرين والمفقود عند من يقول المنقطع خبره فإن
امرأته تبقى إلى أن يعلم خبره بقيت لا أيما ولا ذات زوج إلى أن
تصير عجوزا وتموت ولم تعلم خبره والشريعة لا تأتي بمثل هذا فلما
حلت أربع سنين ولم ينكشف خبره حكم بموته ظاهرا وإن قيل
بأنه يسوغ للإمام أن يفرق بينهما للحاجة فإنما ذلك لاعتقاد موته ولو
علم حياته لم يكن مفقودا كما ساغ التصرف في الأموال التي تعذر
معرفة أصحابها وقد يقال يحصل الاجتهاد كما إذا ظهر صاحب
المال والإمام قد تصرف في زوجته بالفرقة فيبقى هذا التفريق موقوفا
على [illegible] فإن [illegible] لا مع وجود أحدهما صار كالتفريق
[illegible] للإمام أن يفرق بينهما فيفرق [illegible]
[illegible] كما لو [illegible] لم
[illegible] المجهول

كالمفقود كما في القصة فإنه إذا ظهر أن المالك لم يحصل منه تقدم قبل ذلك وتكون موقوفة على إجازته من جنس إجازتها ويكون زوجته فيكون له أن يخير بين امرأته وبين المهر وإذا اختاره فقد أخرج البضع عن ملكه وخروج البضع من ملك الزوج متقوم عند الأكثرين كمالك والشافعي وأحمد في أنص الروايتين عنه وهو مضمون بالمسمى كما يقوله مالك وأحمد في إحدى الروايتين عنه والشافعي يقول هو مضمون بمهر المثل وفرع عليهم فيما إذا شهد شهود بطلاق امرأته ورجعوا عن شهادتهم فقيل لا شيء عليهم بناء على أن خروج البضع من ملك الزوج غير متقوم وهو قول أبي حنيفة وأحمد في إحدى الروايتين اختارها متأخرو أصحابه كالقاضي أبي يعلى وأصحابه وقيل عليهم مهر المثل وهو قول الشافعي وهو وجه في مذهب أحمد وقيل عليهم المسمى وهو مذهب مالك وهو أشهر في نصوص أحمد وقد نص على ذلك فيما إذا أفسد نكاح امرأته برضاع أنه يرجع بالمسمى والكلام على هذا على [illegible] [illegible] وهذا [illegible] المهر [illegible] وكذلك [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] زوج [illegible] [illegible] في غير هذا [illegible] [illegible] المفقود [illegible] الصحابة [illegible] في [illegible] ذلك

مثل قصة [illegible] في [illegible] عن [illegible] أخبره الى [illegible]
الذي كان له [illegible] عليه [illegible] وكتصدق [illegible]
[illegible] في ذلك وعن ذلك
[illegible] مع أن القول [illegible] هو الأصل في [illegible]
وهو قول الجمهور [illegible] ذلك [illegible] أصلا بل صلاح لا فساد فإن
الرجل قد يرى أن [illegible] أو [illegible] أو يستأجر له أو يوجب له
ثم شاوره في رضي و لا [illegible] وكذلك في زوج مولاته
ونحو ذلك وأما مع [illegible] ولهذا [illegible]
يقف [illegible] على أن تزوج [illegible] كما يقف التصرف المتعلق
على [illegible] والأول رد المهر [illegible] امرأته من ملكه
ولكن [illegible] هو أو ما أعطاها
[illegible]
[illegible] الذي أصدقها [illegible] فلا حق له [illegible]
الأول [illegible] فيه روايتان احداهما يرجع
لأنه التي أخذته والثاني قد [illegible] الذي عليه فلا يصح مهر
بخلاف [illegible] اختار [illegible] أن ترد
[illegible] المرأة [illegible]
[illegible] الزوج [illegible] من ملكه
[illegible]
[illegible]

أئمة الفقهاء فيه ما قال وهو مع هذا أصح الاقوال وأجراها على القياس وكل قول قيل سواه فهو خطأ فمن قال انها تعاد الى الاول وهو لا يختارها ولا يريدها فقد فرق بينه وبينها تفريقاً سائغاً في شرع وأجاز هو ذلك التفريق فانه وان كان الامر تبين ان الامر بخلاف ما اعتقده فالحق في ذلك للزوج فاذا أجاز ما فعله الامام زال المحذور وأما كونها زوجة الثاني بكل حال مع ظهور زوجها وتبين ان الامر بخلاف ما فعل فهو خطأ فانه مفقود له حق في امرأته وانما فرق بينهما لاستظهار انه لم يكن كذلك وهو يطلب امرأته فكيف يحال بينه وبينها وهو لو طلب ماله أو بدله رد اليه فكيف لا ترد اليه امرأته وأهله أعز عليه من ماله فان قيل فهنا حق الثاني تعلق بها قيل حقه سابق على حق الثاني وقد ظهر انتقاض السبب الذي به استحق الثاني أن تكون زوجة له وما الموجب لمراعاة حق الثاني دون حق الاول . فالصواب ما قضى به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وان فهم صواب الصحابة في مثل هذه المشكلات [illegible] ... [illegible] هؤلاء [illegible] ... [illegible] ... [illegible] لأئمة [illegible] ... [illegible] ... [illegible] أصحابه هو أصح الاقوال [illegible] وعليه يدل القياس حتى وكل قول سوى [illegible] الناس في [illegible] منصوص

وكذ ... في مسائل غير هذه مثل مسألة ... ومسئلة ميراث
الز... وما شابهها من مسائل ... أحد أحود لاقوال فيها لا لاقوال
... ... هذه ما علمت قولا قاله الصحابه ولم
يجمعوا ... لا وكان ... من ... لكن ... صحيح ... من
أجل العلوم وعما يعرف ذلك من كان ... بأسرار الشرع ومقاصده
وما اشتملت عليه شريعة الإسلام من المحاسن التى فوق التعداد
وما تضمنته من مصالح العباد في المعاش والمعاد وما فيها من
الحكمة البالغة والرحمة ... والعدل التام
والله أعلم بالصواب وإليه
المرجع والمآب
...

كتاب السماع والرقص

جمعه

الشيخ محمد بن محمد بن محمد المنبجى الحنبلى من كلام الأئمة

والعلماء المعتبرين وقد نقلت هذه

النسخة عن أصل مسودته

رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الاسلام بحر العلوم تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رضي الله عنه عن صفة سماع الصالحين ما هو وهل سماع القصائد الملحنة بالآلات المطربة هو من القربات والطاعات أم هو محرم أو مباح

فأجاب الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم * أصل هذه المسألة أن يفرق بين السماع الذي ينتفع به في الدين وبين ما يرخص فيه رفعاً للحرج وبين سماع المتقربين وسماع المتلعبين فأما السماع الذي شرعه الله لعباده وكان سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم يجتمعون عليه لصلاح قلوبهم وزكاة نفوسهم فهو سماع آيات الله وهو سماع النبيين والمؤمنين وأهل العلم والمعرفة قال الله تعالى لما ذكر من ذكره من الأنبياء عليهم السلام في قوله (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكيا) وقوله تعالى (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون) وقوله تعالى (إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا تتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا) وقوله تعالى (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) وهذا السماع أمر

الله تعالى في قوله (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) وعلى أهله أثنى تعالى كما في قوله تعالى (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) وقال تعالى في الأخرى (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) فالقول الذي أمروا بتدبره هو الذي أمروا بسماعه وقال تعالى (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته) وكما أثنى تعالى على هذا السماع ذم تعالى المعرضين عن هذا السماع فقال تعالى (وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا) وقال تعالى (وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) وقال تعالى (وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا) وقال تعالى (فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة) وقال تعالى (وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب) وقال تعالى (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا) وهذا هو السماع الذي شرعه الله للمسلمين في صلواتهم وخطبهم كصلاة الفجر وصلاة العشاءين وفي غير ذلك وعلى هذا السماع كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتمعون وكانوا إذا اجتمعوا أمروا واحدا منهم أن يقرأ والباقي يستمعون وكان عمر يقول لأبي موسى ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يستمعون

وهذا هو السماع الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يشهده مع أصحابه

ويستدعيه منهم كما في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له اقرأ علي قال قلت أقرأ عليك وعليك أنزل قال إني أحب أن أسمعه من غيري فقرأت عليه سورة النساء حتى وصلت إلى هذه الآية (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) قال حسبك فإذا عيناه تذرفان

وهذا هو الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يسمعه وأصحابه كما قال تعالى (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) والحكمة هي السنة وقال تعالى (قل إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين) وكذلك غيره من الرسل صلوات الله عليهم قال تعالى (يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وكذلك يحتج عليهم يوم القيامة كما قال تعالى (يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا) الآية وقال تعالى (وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى) الآية

وقد [illegible] أن المقصود بعد السماع [illegible] معالج والمرض

ضل ولا شقي قال الله تعالى (فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا
يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره
يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى) الآية وقال تعالى (ومن
يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين)

وذكر الله يراد به تارة ذكر العبد ربه ويراد به الذكر الذي
أنزله الله كما قال تعالى (وهذا ذكر مبارك أنزلناه) وقال تعالى (أوعجبتم أن
جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم) وقال (يا أيها الذي نزل
عليه الذكر انك لمجنون) وقال تعالى (وما يأتيهم من ذكر من ربهم
محدث الا استمعوه وهم يلعبون) وقال تعالى (وانه لذكر لك ولقومك)
وقال تعالى (ان هو الا ذكر للعالمين) وقال تعالى (وما علمناه الشعر وما
ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين) وهذا السماع له آثار ايمانية
من المعارف القدسية والاحوال الزكية ما يطول شرحها ووصفها وله
في الجسد آثار محمودة من خشوع القلب ودموع العين واقشعرار
الجلد وهذا مذكور في القرآن وهذه الصفات موجودة في الصحابة
ووجدت بعدهم آثاره من الاضطراب والصراخ والاغماء والموت
في التابعين

والجملة فهذا السماع هو أصل الايمان فان الله تعالى بعث محمدا
صلى الله عليه وسلم الى الخلق أجمعين ليبلغهم رسالات ربهم فمن سمع
ما بلغه الرسول فآمن به واتبعه اهتدى وأفلح ومن أعرض عن ذلك
ضل وشقي

وأما سماع المكاء والتصدية والتصدية هي التصفيق بالايدى والمكاء مثل الصفير ونحوه فهذا سماع المشركين الذى ذكره الله تعالى فى قوله (وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية) فأخبر الله تعالى عن المشركين انهم كانوا يتخذون التصفيق باليد والتصويت بالفم قربة ودينا ولم يكن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه يجتمعون على مثل هذا السماع ولا حضروه قط ومن قال ان النبى صلى الله عليه وسلم حضر ذلك فقد كذب عليه باتفاق أهل المعرفة بحديثه وسنته والحديث الذى ذكره محمد بن طاهر المقدسى فى مسئلة السماع فى صفة الصوفية ورواه من طريقه الشيخ أبو حفص عمر السهروردى صاحب عوارف المعارف أن النبى صلى الله عليه وسلم أنشده اعرابى

قد لسعت حية الهوى كبدى * فلا طبيب لها ولا راقى

الا الحبيب الذى شغفت به * فعنده رقيتى وترياقى

وأنه تواجد حتى سقطت البردة عن منكبيه فقال معاوية ما أحسن لهوكم فقال مهلا يامعاوية ليس بكريم من لم يتواجد عند ذكر الحبيب هو حديث مكذوب موضوع باتفاق أهل العلم بهذا الشأن وأظهر منه كذبا حديث آخر يذكرون فيه انه لما بشر الفقراء بسبقهم للاغنياء الى الجنة تواجدوا وخرقوا أثوابهم وان جبريل نزل من السماء فقال يامحمد ان ربك يطلب نصيبه من هذه الخروق فأخذ منه خرقة فعلقها بالعرش وان ذلك هو زيق الفقراء * وهذا وأمثاله انما يرويه من هو من أجهل

الناس بحال النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن بعدهم معرفة الإيمان والاسلام وهو شبيه برواية من روى ان أهل الصفة قاتلوا مع الكفار لما انكسر المسلمون يوم حنين أو غير يوم حنين وانهم قالوا نحن مع الله من كان معه كنا معه ومن روى ان صبيحة المعراج وجد أهل الصفة يتحدثون بشيء كان الله أمر نبيه أن يكتمه فقال لهم من أين لكم هذا فقالوا الله علمنا اياه فقال يارب ألم تأمرني أن لا أفشيه فقال أمرتك أنت أن لا تفشيه ولكن أنا علمتهم به ونحو هذه الاحاديث التي يرويها طوائف منتسبون الى الدين مع فرط جهلهم بدين الاسلام وبما بنى عليها من النفاق والبدع ما يناسبها فرقة يسقطون التوسط بالرسول وانهم يصلون الى الله من غير طريق الرسول مطلقاً وهذا أعظم من كفر اليهود والنصارى فان أولئك أسقطوا واسطة رسول واحد وهؤلاء أسقطوا وساطة الرسل مطلقاً وهؤلاء اذا أسقطوا وساطة الرسل مطلقاً عن أنفسهم كان هذا أغلظ من كفر أولئك لكنهم يقولون لا نسقط الوساطة الا عن الخاصة لا عن العامة فيكونون أكفر من أهل الكتاب من جهة عدم السفارة مطلقاً عنهم وفي بعض الاحوال وأهل الكتاب أكفر من جهة سقوط السفارة مطلقة عن أهل الكتاب الذين يقولون انه رسول الى الاميين دون أهل الكتاب فخير من هؤلاء من أولئك أخرجوا عن رسالته من له كتاب وهؤلاء يخرجون عن رسالته من لا حقيقة معه الا خيالات ووساوس وظنون ألقاها اليه الشيطان مع ظنه انه من خواص أولياء الله وهو من أشد أعداء الله وتراهم يجعلون هذه

الآثار المختلقة حجة فيما يفترونه من أمور تخالف دين الاسلام ويدعون انها من أسرار الخواص كما يفعله الملاحدة والقرامطة والباطنية ونزرة يجعلونه حجة في الاعراض عن كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ما يدعونه من الحادثهم لهوا ولعباً

والجملة قد علم بالاضطرار من دين الاسلام أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرع لصالحي أمته وعبادهم وزهادهم أن يجتمعوا على استماع الابيات الملحنة مع ضرب بالكف أو ضرب بالقضيب أو الدف كما لم يبح لاحد أن يخرج عن متابعته واتباع ما جاء به من الكتاب والحكمة لا في باطن الامر ولا في ظاهره لا لعامي ولا لخاص ولكن رخص النبي صلى الله عليه وسلم في أنواع من اللهو في العرس ونحوه كما رخص للنساء أن يضربن بالدف في الاعراس والافراح وأما الرجال على عهده فلم يكن أحد منهم يضرب بدف ولا يصفق بكف بل قد ثبت عنه في الصحيح انه قال انما التصفيق للنساء والتسبيح للرجال ولعن المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء ولما كان الغناء والضرب بالدف والكف من عمل النساء كان السلف يسمون من يفعل ذلك مخنثاً ويسمون الرجال المغنين مخانيث وهذا مشهور في كلامهم ومن هذا الباب حديث عائشة رضي الله عنها لما دخل عليها أبو بكر في أيام العيد وعندها جاريتان من الانصار تغنيان بما تقاولت به الانصار يوم بعاث فقال أبو بكر أبمزمور الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم معرضا عنهما مقبلا

بوجهه الي الحائط فقال دعهما يا أبا بكر فان لكل قوم عيدا وهذا عيدنا
أهل الاسلام ففي هذا الحديث بيان ان هذا لم يكن من عادة النبي صلى
الله عليه وسلم وصحابه الاجتماع عليه ولهذا سماه الصديق أبو بكر
رضي الله عنه مزمور الشيطان والنبي صلى الله عليه وسلم أقر الجوارى
عليه معللا ذلك بانه يوم عيد والصغار يرخص لهم في اللعب في الاعياد
كما جاء في الحديث ليعلم المشركون ان في ديننا فسحة وكما كان يكون
لعائشة لعب تلعب بهن ويجىء صواحباتها من صغار النسوة يلعبن معها
وليس في حديث الجاريتين أن النبي صلى الله عليه وسلم استمع الى
ذلك والامر والنهي انما يتعلق بالاستماع لا بمجرد السماع كما في الرؤية
فانه انما تتعلق بقصد الرؤية لا بما يحصل منها بغير الاختيار كذلك في
اشتمام الطيب انما ينهى المحرم عن قصد الشم فاما اذا شم ما لا يقصده
فانه لا اثم عليه وكذلك في مباشرة المحرمات كالحواس الخمس من السمع
والبصر والشم والذوق واللمس انما يتعلق الامر والنهي في ذلك بما للعبد
فيه قصد وعمل واما ما يحصل بغير اختياره فلا أمر فيه ولا نهي وهذا
مما وجه به الحديث الذي في السنن حديث ابن عمر انه كان مع النبي
صلى الله عليه وسلم فسمع صوت زمارة راع فعدل عن الطريق وقال
هل تسمع حتى انقطع الصوت فان من الناس من يقول بتقدير صحة
الحديث لم يأمر ابن عمر بسد أذنيه فيجاب بان ابن عمر لم يكن يستمع
وانما كان يسمع وهذا لا اثم فيه وانما النبي صلى الله عليه وسلم عدل طلبا
الا كمل والافضل كمن اجتاز بطريق فسمع قوما يتكلمون بكلام

محرم فسد أذنه كيلا يسمعه فهذا حسن ولو لم يسد اذنه لم يأثم بذلك الا أن يكون في سماعه ضرر ديني لا يندفع الا بالسد

وبالجملة فمسألة السماع تكلم فيها كثير من المتأخرين في السماع هل هو محظور أو مكروه أو مباح وليس المقصود بذلك رفع الحرج بل مقصودهم بذلك أن يتخذ طريقا الى الله يجتمع عليه أهل الديانات لصلاح القلوب والتشويق الى المحبوب والتخويف من المرهوب والتحزين على فوات المطلوب يستنزل به الرحمة ويستجلب به النعمة ويحرك به مواجيد أهل الايمان ويستجلي به مشاهد أهل العرفان حتى يقول بعضهم انه أفضل لبعض الناس أو للخاصة من سماع القرآن من عدة وجوه وحتى يجعلونه قوتا للقلوب وغذاء للأرواح وحاديا للنفوس يحدوها الى السير الى الله عز وجل ويحثها على الاقبال عليه ولهذا يوجد من اعتاده واغتذى به لا يحن الى القرآن ولا يفرح به ولا يجد في سماع الآيات كما يجد في سماع الابيات بل اذا سمعوا القرآن سمعوه بقلوب لاهية وألسن لاغية واذا سمعوا سماع أهل المكاء والتصدية خشعت الاصوات وسكنت الحركات وأصغت القلوب وتعاطت المشروب فمن تكلم في هذا هل هو مكروه أو مباح وشبهه بما كان النساء يغنين به في الاعياد والافراح لم يكن قد اهتدى الى الفرق بين طريق أهل الخسارة والفلاح ومن لم يتكلم في هذا هل هو من الدين ومن سماع المتقين ومن أحوال المقربين والمقتصدين ومن أعمال أهل اليقين ومن طريق المحسنين المحبوبين ومن أفعال

السالكين الى رب العالمين كان كلامه فيه من وراء وراء عبرة من سئل عن علم الكلام المحدث فيه هل هو محمود أو مذموم فاجاب يتكلم في حد الكلام وأقسامه في الاسم والفعل والحرف أو يتكلم في مدح الصمت أو في آفات اللسان والصدق وأمثال ذلك مما لا يمس المحل المشتبه المتنازع فيه واذا عرف هذا

فلم يكن في القرون الثلاثة المفضلة لا بحجاز ولا بشام ولا باليمن ولا مصر ولا مغرب والعراق وخراسان من أهل الدين والصلاح والزهد والعبادة من يجتمع على مثل سماع المكاء والتصدية لا بدف ولا بكف ولا بقضيب وانما حدث هذا بعد ذلك في أواخر المائة الثانية فلما رآه الائمة أنكروه فقال الشافعي خلفت ببغداد شيئا أحدثته الزنادقة يسمونه التغبير يصدون به الناس عن القرآن وقال يزيد بن هرون ما يغبر الا فاسق ومتى كان التغبير وسئل عنه أحمد فقال أكرهه هو محدث قيل أنجلس معهم قال لا وكذلك سائر أئمة الدين كرهوه وأكابر الشيوخ الصالحين لم يحضروه فلم يحضره ابراهيم بن أدهم ولا الفضيل بن عياض ولا معروف الكرخي ولا أبو سليمان الداراني ولا أحمد بن أبي الحواري ولا السري السقطي وأمثالهم والذين حضروه من الشيوخ المحمودين تركوه في آخر أمرهم وعيون المشايخ لم يحضروا هذا كما ذكر ذلك الشيخ عبد القادر والشيخ أبو البيان وغيرهم من الشيوخ وما ذكره الامام الشافعي رضي الله عنه من أنه من احداث الزنادقة من كلام امام خبير بأصول الاسلام فان هذا السماع لم يرغب فيه ويدعو

اليه في الأصل الا من هو متهم بالزندقة كابن الراوندي والفارابي وابن سينا وأمثالهم كما ذكر أبو عبد الرحمن السلمي في مسألة السماع عن ابن الراوندي أنه قال اختلف الفقهاء في السماع فأباحه قوم وكرهه قوم وأوجبه قوم وأنا آمر به فخالف اجماع العلماء في الأمر به وأبو نصر الفارابي كان بارعاً في الغناء الذي يسمونه الموسيقا وله فيه طريقة عند أهل صناعة الغناء وحكايته مع ابن حمدان مشهورة لما ضرب فأبكاهم ثم أضحكهم ثم نومهم ثم خرج وابن سينا ذكر في اشاراته في مقامات العارفين من الترغيب فيه وفي عشق الصور ما يناسب طريقة أسلافه الفلاسفة المشركين الذين كانوا يعبدون الكواكب والأصنام كما كان عليه اليونان ومن أئمتهم برقلس وبطليموس والاسكندر الافروديسي وكانوا يؤرخون بالاسكندر بن فيلبس المقدوني الذي تؤرخ به اليهود والنصارى وكان قبل المسيح بنحو ثلثمائة سنة وليس هو ذا القرنين المذكور في القرآن الذي بنى السد فذاك قبل هؤلاء بزمن طويل وأما الاسكندر الذي وزر له ارسطو فانه انما بلغ بلاد خراسان ونحوها في دولة فارس لم يصل الى السد وهذه الأمور مبسوطة في غير هذا الموضع وابن سينا أحدث فلسفة ركبها من كلام سلفه اليونان ومما أخذه من أهل الكلام المبتدعين الجهمية ونحوهم وسلك طريق الملاحدة الاسماعيلية في كثير من أمورهم العلمية والعملية ومزجه بشيء من كلام الصوفية وحقيقته تعود الى كلام اخوانه الاسماعيلية القرامطة الباطنية فان أهل بيته كانوا من أتباع

الحاكم الذي كان بمصر وكانوا في زمانه ودعوتهم دعوة أصحاب رسائل اخوان الصفا وأمثالهم من أئمة منافقي الامم الذين ليسوا مسلمين ولا يهود ولا نصارى وكان الفارابي قد حذق في حروف اليونان التي هي تعليم ارسطو وأتباعه من الفلاسفة المشائين وفي أصواتهم صناعة الغناء ففي هذه الطوائف من يرغب فيه ويجعله مما تزكو به النفوس وترتاض به وتهذب به الاخلاق

وأما الحنفاء أهل ملة ابراهيم خليل الله الذي جعله الله للناس اماما وأهل دين الاسلام لا يقبل الله من احد دينا غيره المتبعون لشريعة خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم تسليما فهؤلاء ليس فيهم من يرغب في ذلك ولا يدعو اليه وهؤلاء هم أهل القرآن والايمان والهدى والرشاد والسعادة والفلاح وأهل المعرفة والعلم واليقين والاخلاص لله والحب له والتوكل عليه والخشية منه والانابة اليه

ولكن قد حضره أقوام من أهل الارادة وممن له نصيب في المحبة لما فيه من تحريك الحب ولم يعلموا غائلته ولا عرفوا مغبته كما دخل قوم من متفقهة أهل [illegible] الرسول صلى الله عليه وسلم في نوع من كلام الفلاسفة ظنا [illegible] من الاسلام [illegible] منهم أنه حق موافق وما علموا غائلته ولا عرفوا مغبته فان القيام بحقائق الدين علما وقولا وعملا ودعوة وجهادا لا يستقل به أكثر الناس ولكن الدليل جميع هؤلاء [illegible] الكتاب والسنة فان الله عز وجل بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله

سبيلا وقد قال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) وقال تعالى (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا وخط خطوطا عن يمينه وشماله ثم قال هذا سبيل الله وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ (وأن هذا صراطي مستقيما) ومن كان له خبرة بحقائق الدين وأحوال القلوب ومعارفها وأذواقها ومواجيدها عرف أن سماع المكاء والتصدية لا يجلب للقلوب منفعة ولا مصلحة إلا وفي ضمن ذلك من الضرر والمفسدة ما هو أعظم منه فهو للروح كالخمر للجسد يفعل في النفوس فعل حميا الكؤوس ولهذا يورث أصحابه سكرا أعظم من سكر الخمر ويجدون فيه لذة كما يجد شارب الخمر بل يحصل لهم أكثر وأكبر مما يحصل لشارب الخمر ويصدهم ذلك عن ذكر الله وعن الصلاة أعظم مما يصدهم الخمر ويوقع بينهم العداوة والبغضاء أعظم من الخمر حتى يقتل بعضهم بعضاً من غير مس بيد بل بما يقترن بهم من الشياطين فإنه يحصل لهم أحوال شيطانية بحيث تنزل عليهم الشياطين في تلك الحال ويتكلمون على ألسنتهم كما يتكلم الجني على لسان المصروع إما بكلام من جنس كلام الأعاجم الذين لا يفقه كلامهم كلسان الترك أو الفرس أو غيرهم ويكون الإنسان الذي لبسه الشيطان عربياً لا يحسن أن يتكلم بذلك بل يكون الكلام من جنس كلام من يكون ذلك الشيطان من حوائجهم وإما كلاماً لا يعقل

ولا يفهم له معنى وهذا يعرفه أهل المكاشفة شهودا وعيانا وهؤلاء الذين يدخلون النار مع خروجهم عن الشريعة هم من هذا النمط فإن الشيطان يلبس أحدهم بحيث يسقط احساس بدنه حتى أن المصروع يضرب ضربا عظيماً وهو لا يحس ولا يؤثر في بدنه فكذلك هؤلاء تلبسهم الشياطين فتدخل بهم النار وقد تطير بهم في الهواء وانما يلبس أحدهم الشيطان مع تغيب عقله كالمصروع وبأرض الهند ضرب من الزط يقال لأحدهم المصلي يلبسه الشياطين وتدخل به النار ويطير في الهواء ويمشي شيئا مع تغيب عقله هؤلاء وهم من أرذل الناس لا أخلاق لهم وفي خطف كثير من الناس ويغيبه عن أبصار الناس ويطير به في الهواء وقد شهر من هذه الأمور المنقول عنهم وكذلك هؤلاء المتولهون المنتسبون إلى بعض الشيوخ قد يحصل لهم وجد شيطاني عند سماع المكاء والتصدية فمنهم من يصعد في الهواء ومنهم من يدخل النار ويأخذ الحديد المحمي بالنار فيضعه على بدنه وأنواع من هذا الجنس ولا يحصل لهم هذا الحال عند الصلاة ولا عند الذكر ولا عند قراءة القرآن لأن هذه عبادات شرعية إيمانية محمدية نبوية تطرد الشياطين وتلك عبادات بدعية شركية شيطانية فلسفية تستجلب الشياطين

و[illegible] عن النبي [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] شيئاً [illegible] ولا [illegible] عن النار [illegible] حدث به [illegible] وكل [illegible] شريعة الله ورسوله قال الله

يقول (اليوم أكملت لكم دينكم) الآية وإذا وجد السامع به منفعة لقلبه ولم يجد شاهد ذلك من كتاب الله ولا من سنة رسوله لم يلتفت إليه كما أن الفقيه إذا رأى قياساً لا تشهد له الكتاب والسنة لم يلتفت إليه

وفصل النزاع في حكم مسئلة السماع ثلاث قواعد من أهم قواعد الإيمان والسلوك فمن لم يبن عليها وإلا فهو على شفا جرف هار ﴿القاعدة الأولى﴾ أن ذوق الحال والوجد هل هو حاكم أو محكوم عليه بحاكم آخر أو محكم فيه فهذا منشأ ضلال من ضل من المفسدين لطريق القوم فصاروا يجعلونه حاكماً يتحاكمون إليه فيما هو صحيح وفاسد فجعلوه حكماً بين الحق والباطل فنبذوا الكتاب والسنة ولم يحكموا العلم والنصوص وحكموا الأذواق والمواجيد فعم الفساد وطمست معالم الإيمان والسلوك المستقيم والعجب أنهم دخلوا في الرياضات والمجاهدات والزهد ليتجردوا عن شهوات النفس وحظوظها فانتقلوا من شهوات إلى شهوات أكبر منها ومن حظوظ إلى حظوظ أعظم منها وكان حظهم في الشهوات التي انتقلوا عنها أكمل وخير من هؤلاء لأنهم لم يعارضوا بها العلم ولا قدموها على النصوص ولا جعلوها قربة وديناً ووقفوا مع حظوظهم من الله دون مراد الله وإنما زهدوا في حظ إلى حظ أعلى منه وتركوا شهوة لشهوة فليتدبر اللبيب هذا في نفسه وفي غيره فكل من طلب من الله الذي من أجله فهو حظه وشهوته ذوقاً كان أو حالاً أو وجداً أو كشفاً أو تصرفاً ونحو ذلك فى الحقيقة هي مراده فهو أسوأ حالاً ممن اعترف به لنفسه وبخسه وإن

مراد الله أولى بالتقديم منه وانه دنب تحب التوبة منه

﴿القاعدة الثانية﴾ انه اذا وقع النزاع في حكم فعل من الافعال أو حال أو ذوق هل هو صحيح أو فاسد أو حق أو باطل وجب الرجوع فيه الى الحجة المقبولة عند الله من كتاب الله وسنة رسوله فهذا هو الاساس ومن لم يبن على هذا الأصل فعلمه وسلوكه ليس على شيء

﴿القاعدة الثالثة﴾ اذا أشكل على الناظر أو السالك حكم شيء هل هو الاباحة أو التحريم فلينظر الى مفسدته وثمرته وغايته فان كان مشتملا على مفسدة راجحة ظاهرة فانه يستحيل على الشارع الأمر به أو اباحته بل يقطع أن الشرع يحرمه لاسيما اذا كان طريقه مفضيا الى ما يبغضه الله ورسوله فكيف يظن بالحكيم الخبير أن يحرم مثل رأس الابرة من المسكر لانه يسوق النفس الى السكر الذي يسوقها الى المحرمات ثم يبيح ما هو أعظم منها شوقا للنفوس الى المحرم بكثير فان الغناء كما قال ابن مسعود وغيره رقية الزنا وقد شاهد الناس أنه ما عاناه صبي الا وفسد ولا امرأة الا بغت ولا شاب ولا شيخ الا وقع في محذور

وقد سبح الاسلام ابن تيمية فصل الخطاب في هذا الباب في ان يعلن في مذهبه شيء ثم يطلق عليه التحريم أو الكراهة أو غير ذلك والصوفية يطلقون على أشياء منها غناء الحجيج فانهم ينشدون أشعارا يصفون فيها الكعبة وزمزم والمقام وغير ذلك فسماع تلك الاشعار مباح وفي معنى هؤلاء الغزاة فانهم ينشدون أشعارا يحرضون بها على الغزو وفي هذا المعنى انشاد المبارزين للقتال وقد قرب الرسول صلى الله عليه

وسلم لحاديه رويدك سوقا بالقوارير وقال عبد الله بن رواحة يمدح النبي صلى الله عليه وسلم

وفينا رسول الله نتلو كتابه * اذا انشق معروف من الفجر ساطع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه * اذا استثقلت بالمشركين المضاجع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا * به موقنات أن ما قال واقع

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خرج على أهل الصفة وفيهم واحد يقرأ والباقي يستمعون فجلس معهم

وقال الشيخ في موضع ولكن تكلموا في الغناء المجرد عن آلات اللهو هل هو حرام أو مكروه أو مباح وذكر أصحاب أحمد لهم في ذلك ثلاثة أقوال وذكروا عن الشافعي قولين ولم يذكروا عن أبي حنيفة ومالك في ذلك نزاعا وذكر زكريا بن يحيى الساجي وهو أحد الأئمة المتقدمين من المائلين الى مذهب الشافعي أنه لم يخالف من الفقهاء المتقدمين الا ابراهيم بن سعد من أهل المدينة وعبيد الله بن الحسن العنبري من أهل البصرة وما ذكره أبو عبد الرحمن السلمي وأبو القاسم القشيري وغيرهما عن مالك وأهل المدينة في ذلك فغلط وانما وقع به لان بعض أهل المدينة كان يحضر السماع الا أن هذا ليس قول أئمتهم وفقهائهم

وقال شيخ الاسلام أيضا وجماع الامر في ذلك أنه اذا كان الكلام في السماع وغيره هل هو طاعة وقربة فلابد من دليل شرعي يدل على ذلك واذا كان الكلام هل هو محرم أو غير محرم فلابد من دليل شرعي

يدل على ذلك إذ لا حرام إلا ما حرمه الله ولا دين إلا ما شرعه الله والله تعالى سبحانه ذم المشركين على أنهم ابتدعوا في الدين ما لم يأذن به الله وأنهم حرموا ما لم يحرمه الله قال الله تعالى أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله وقال تعالى وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها الآية

قال أبو سليمان الداراني إنه لتمر بي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين الكتاب والسنة وقال أيضا ليس لمن ألهم شيئا من الخير أن يعمله حتى يسمع فيه بأثر فإذا سمع بأثر كان نورا على نور وقال الجنيد علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يصلح له أن يتكلم في علمنا وقال سهل بن عبد الله التستري كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل وقال كل عمل على اقتداء فهو عذاب على النفس وكل عمل بلا اقتداء فهو عيش النفس وقال أبو عثمان النيسابوري من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة

وقال أبو الفرج بن الجوزي اعلم أن سماع الغناء يجمع شيئين أحدهما أن يلهي القلب عن التفكر في عظمة الله تعالى والقيام بخدمته والثاني أن يميله إلى اللذات العاجلة ويدعوه إلى استيفائها من جميع الشهوات الحسية ومعظمها النكاح وليس تمام لذته إلا في المتجددات ولا سبيل إلى كثرة المتجددات من الحل فلذلك يحث على الزنا فبين الغناء والزنا تناسب من جهة أن الغناء لذة الروح والزنا أكبر لذات النفس

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في موضع من كلامه في السماع وأما أبو حنيفة ومالك والثوري ونحوهم فهم أعظم كراهة وانكاراً لذلك من الشافعي وأحمد

وقال في موضع آخر ولم يحضره مثل ابراهيم بن أدهم ولا الفضيل ابن عياض ولا معروف الكرخي ولا السري السقطي ولا أبو سليمان الداراني ولا مثل الشيخ عبد القادر والشيخ عدي والشيخ ابي البيان والشيخ حياة وغيرهم بل في كلام طائفة من هؤلاء مثل الشيخ عبد القادر وغيره النهي عنه وكذلك أعيان المشايخ وقد حضره من المشايخ جماعة وشرطوا له المكان والامكان والخلان والشيخ الذي يحرس من الشيطان وأكثر الذين حضروه من المشايخ المعروفين ثم رجعوا عنه في آخر عمرهم كالجنيد فانه كان يحضره وهو شاب وتركه في آخر عمره وكان يقول من تكلف السماع فتن به ومن صادف السماع استراح به فقد ذم من يجتمع له ورخص فيمن يصادفه من غير قصد ولا اعتماد للجلوس له وسبب ذلك انه مجمل ليس فيه تفصيل فان الابيات المتضمنة لذكر الحب والوصل والهجر والقطيعة والشوق والصبر على العزل واللوم ونحو ذلك هو قول مجمل يشترك فيه محب الرحمن ومحب الاوثان ومحب الصلبان ومحب الاخوان ومحب الاوطان ومحب المردان ومحب النسوان فقد يكون فيه منفعة اذا هيج الباطن أثار الساكن وكان ذلك مما يحبه الله ورسوله لكن تكون فيه مضرة راجحة على نفعه كما في الخمر والميسر فان فيهما إثماً كبيراً ومنافع للناس وإثمهما

أكثر من نفعهما فلهذا لم يأت به الشريعة فإن الشريعة لم تأت إلا بالمصلحة الخالصة أو الراجحة وأما ما تكون مفسدته غالبة على مصلحته فهو بمنزلة من يأخذ درهما بدينار أو يسرق خمسة دراهم يتصدق منها بدرهمين وذلك أنه يهيج الوجد المشترك فيبرز من النفس كوامن تضره آثارها ويغذي النفس ويفتنها به فتعتاض به عن سماع القرآن حتى لا تبقى فيها محبة لسماع القرآن ولا التذاذ به ولا استطابة له بل قد يبقى في النفس بغض لذلك واشتغال به كمن يشتغل نفسه بتعلم التوراة والإنجيل وعلوم أهل الكتابين والصابئين واستفادة العلم والحكمة منها فأعرض بذلك عن كتاب الله وسنة رسوله إلى أشياء أخر يطول ذكرها

فما كان هذا السماع لا يعطي بنفسه ما يحبه الله ورسوله من الأحوال والمعارف بل قد يصد عن ذلك ويعطي ما لا يحبه الله ورسوله بل ما يبغضه الله ورسوله لم يأمر الله به ولا رسوله ولا سلف الأمة ولا أعيان مشايخها

والصوت يؤثر في النفس بحسب الأوقات تارة فرحا وتارة حزنا وتارة غضبا وتارة رضا وإذا قوي أسكر الروح فتصير في لذة مطربة من غير تمييز كما يحصل للنفس إذا سكرت بالصور والجسد إذا سكر بالطعام والشراب فإن السكر هو الطرب الذي يورث لذة بلا عقل فلا تقوم منفعة تلك اللذة بما يحصل من غيبة العقل التي صدت عن ذكر الله وعن الصلاة وأورثت العداوة والبغضاء .

وأما الرقص فلم يأمر الله عز وجل به ولا رسوله ولا أحد من

الائمة بل قال الله تعالى (ولا تمش في الارض مرحا) والرقص شيء من هذا وقال تعالى (واقصد في مشيك) وقال تعالى (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا) أي بسكينة ووقار

وانما عبادة المسلمين الركوع والسجود بل الرقص والرقص في الطريق لم يأمر الله به ولا رسوله ولا أحد من سلف الامة بل أمروا في الصلاة بالسكينة والوقار ولو ورد على الانسان حال يغلب فيها حتى يخرج الى حالة خارجة عن المشروع وكان ذلك الحال بسبب مشروع كسماع القرآن الكريم ونحوه لسلم اليه ذلك كما تقدم فاما الذي اذا تكلف من الاسباب ما لم يؤمر به مع علمه بانه يوقعه فيما لا يصلح له فهو بمنزلة من شرب الخمر مع علمه انها تسكره واذا قال ورد على حال وانا سكران قيل له اذا كان السبب محظورا لم يكن صاحبه معذورا فهذه الاحوال الفاسدة من كان فيها صادقا فهو مبتدع ضال من جنس خفراء التتر وأعوان الظلمة من ذوي الاحوال الفاسدة لدى صاحبها عباده النصارى والمشركين بعض ما لهم من الاحوال ومن كان كاذبا فهو منافق ضال

(فصل) وقد يستدل قوم على اباحة السماع بامور أخص بها ذلك

منها أنه مستلذ طيب تلتذ به النفوس وتستريح اليه وان الطفل يسكن الى صوت الطيب بل بعض صغار الانسان حتى تحدوله القائمة بامره والابل تهون عليها تعب السير ومشقة الحمولة فيهون عليها بالحداء

ومنها أن الصوت الطيب نعمة من الله على صاحبه وزيادة في خلقه

وقد يستدلون عليه بقوله (يزيد في الخلق ما يشاء) وبأن الله تعالى ذم الصوت الفظيع (ان أنكر الاصوات لصوت الحمير) فقال

ومنها ان الله وصف أهل الجنة بهم في روضة يحبرون وان ذلك هو السماع الطيب وكيف يكون حراما وهو في الجنة

ومنها ما ثبت ان الله تعالى ما أذن لشيء كأذنه أي كاستماعه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن

ومنها ان أبا موسى الاشعري استمع النبي صلى الله عليه وسلم صوته وأثنى على حسن الصوت وقال لقد أوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود وقال له أبو موسى لو أعلم انك استمعت لحبرته لك تحبيرا أي زينته وحسنته

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن بأصواتكم وقوله ليس منا من لم يتغن بالقرآن والصحيح انه من التغني وهو تحسين الصوت به كذا ذكره العلامة ابن القيم وصححه ويعضده ما فسره الامام أحمد فقال يحسن صوته ما استطاع

ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم أقر عائشة على غناء الجاريتين يوم العيد وقال لابي بكر دعهما فان لكل قوم عيدا وهذا عيدنا أهل الاسلام

ومنها انه صلى الله عليه وسلم أذن في العرس بالغناء وسماه لهوا

ومنها انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحداء وأذن فيه

ومنها انه كان يسمع انشاد الصحابة وكانوا يرتجزون بين يديه

في حفر الخندق

نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد ما بقينا أبدا

ودخل مكة وابن رواحة بين يديه ينشد شعر عبد الله بن رواحة وحدا به أحد في منصرفه من خيبر فجعل يقول

والله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا * وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الألى قد بغوا علينا * إذا أرادوا فتنة أبينا

فدعا له ثلثه

ومدحه وسمع قصيدة كعب بن زهير وأجزه

ومدحه واستنشد الأسود بن سريع قصائد حمد بها ربه واستنشد من شعر أمية بن أبي الصلت مائة قافية وأنشد الأعشى شيئا من شعره فسمعه

ومدح لبيد في قوله

ألا كل شيء ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل

ودعا لحسان بن ثابت أن يؤيده الله بروح القدس ما دام ينافح عنه وكان يعجبه شعره وقال له اهجهم وروح القدس معك وأنشدت عائشة رضي الله عنها قول أبي كبير الهذلي

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه * برقت كبرق العارض المتهلل

وقالت أنت أحق بهذا البيت فسر بقولها

ومما يؤيد ما قدمنا أنه رخص فيه عبد الله بن عمر وعبد الله بن

جعفر وأهل المدينة وأن كذا وكذا ولي الله جعفر ومن سمعوه فمن حرمه فقد قدح في هؤلاء السادة القدوة الأعلام

ومنها أن السماع بعينه مستند على إباحة أصوات الطيور المطربة الشجية فمن سماع صوت الآدمي أولى بالإباحة أو مساوية وأن السامع يجد وروح السامع وقلبه إلى نحو محبوبه فإن كان محبوبه حراماً كان السماع معيناً له على الحرام وهو حرام في حقه وإن كان مباحاً كان السماع في حقه مباحاً وإن كانت محبته رحمانية كان السماع في حقه قربة وطاعة لأنه يحرك محبة الرحمانية ويهيجها ومن اللذة باللذات بالصوت الطيب كاللذة بالعين بالمنظر الحسن وبالشم بالروائح الطيبة وبالذوق بالطعم الطيب فإن كان هذا حراماً كانت هذه اللذات ولذا كانت محرمة

والجواب عن ذلك وبالله التوفيق فيما قدمناه من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة ابن القيم وغيرهم كفاية وقد ذكر جد عن المقصود وروغ عن محل النزاع فإن جهة كون الشيء مستلذاً بالحاسة مدركاً لها لا يدل على حله ولا تحريمه ولا كراهته ولا استحبابه فإن هذه اللذة تكون في أحكام بحسب ... حسنة وكذلك يستدل بها على الإباحة من يعرف شروط ... ومواقع الاستدلال ... من يستدل على ... من لذة ... لا ينكرها ذو طبع سليم وهل ... بوجود اللذة على حل ... الإثم أحد وهل ... من لذات وهل ... التي ... على ... وجد ... في ... نحوها

فاصبح لا يباد وأجمع أهل العلم على تحريم بعضها وقال بعضهم بتحريم جميعها وقد حكى ابن الصلاح الاجماع على تحريم السماع مع الدف والشبابة يعني ذكر منه آية هو وهل استدلال القائل بالصوت الطيب دليل على اباحته وتحريمه وعجب من هذا الاستدلال على الاباحة فان الله تعالى خلق الصوت الطيب وهو زيادة نعمة منه لصاحبه وقال والصورة الحسنة الجميلة ليست زيادة في النعمة والله تعالى خالقها ومعطي حسنها أفيدل ذلك على اباحة التمتع بها والاتلذذ بها على الاطلاق وهل هذا الا مذهب أهل الاباحة الخارجين عن رسوم الشريعة وهل في دلالة الصوت الحسن ما يدل على اباحة الاصوات المطربات بالنغمات الموزونات ولا فرق بين ما ذكر من صور المستحسنات وأنواع المصانع المستحسنات المذوقات واستماع ما يضحك المحدث وعجب من هذا الاستدلال على الاباحة بسماع أهل الجنة أنهم في روضة يحبرون فكيف صح هذا الاستدلال فان هذا يمكن ان يستدل على اباحة الخمر لان في الجنة خمرا وعلى اباحة لبس الحرير فان لباس أهل الجنة الحرير وعلى حل أواني الذهب والفضة والتحلي بها للرجال فان هذا كله مباح لاهل الجنة

فان قيل قام الدليل على تحريم هذا ولم يقم على تحريم السماع قيل هذا الآن استدلال آخر غير الاستدلال على اباحته لاهل الجنة فعلم ان الاستدلال باباحته لاهل الجنة استدلال باطل وقولك لم يقم دليل على تحريم السماع فيقال أي السماعات تعني وأي المسموعات

تريدون منها المحرم والمكروه والمباح والواجب والمستحب فمن نوعا يقع الكلام فيه هنا وثنا

فإن قلت سماع القصائد ممدح لله ورسوله وكتابه وهجي له أعدائه فهذا لم يزل المسلمون يروونه ويسمعونه ويدرونه وهي التي سمعها الرسول وأصحابه وأثاب عليها وحرض حسان عليه وهي التي عرف أصحاب السماع الشعري الذي هو أساس قصائدهم ولكن هذا والسنة كلام والبدعة كلام والتسبيح كلام والغيبة كلام ولكن هل سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته سماعكم هذا الناشئ على قريب من مائة سنة ونصرهم ما سمعوه على أن الرسول استحسن الصوت الحسن وأن فيه كلاما من حديث أبي موسى الأشعري وغيره فتنوا هذا لاستحسان في دون الصوت وحده وغيرهم بالغناء المقرون بالدفوف المصوحة والشبابات والأوتار وغير ذلك من المعازف وذكر المسدود والعذار والنهود والخصور ووصف [illegible] ومحاسن الشباب وحمرة الخدود وذكر الوصل [illegible] والاشتياق والعشق [illegible] وما يشبه [illegible] مذكر خمر وآنية سكر [illegible] صحيح [illegible] أشعر [illegible] وتأثيره في [illegible]

مكابرة [illegible] فكيف يحمى [illegible] والمرض عما يشوش عليه صحته
ويسمح له [illegible] [illegible] و [illegible] من وجد لامن فقد واعجب
من هذا من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من الهيئة الاجتماعية
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في يوم عيد
وفرح [illegible] في وصف [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
والشيم فان هذا من هذا والعجب ان هذا من أكثر [illegible] [illegible]
[illegible] في [illegible] ذلك [illegible] الشيطان وأقره على هذه التسمية [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] ولا [illegible] ولا في استماعه أبدل
[illegible] [illegible] [illegible] من استماع [illegible] وأعجب من هذا كله
الاستدلال على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على الحق
والتوحيد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وله و [illegible] وأعجب
استدلالهم [illegible] على [illegible] أصوات [illegible] [illegible] [illegible] هذا لامن
[illegible] في من لديه قوة [illegible] [illegible] مثل [illegible] و [illegible] صوت [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] والمردان والاوتار والعيدان والغناء [illegible] [illegible]
الارواح والنفوس [illegible] [illegible] كل محبوبة ومحبوب وأين [illegible] عن
هو من [illegible] الى [illegible] صوت [illegible] و [illegible] و [illegible] والشحرور
ونحوه وأعجب من هذا من [illegible] [illegible] [illegible] وقد أنكر على كذا
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على أولياء الله [illegible] أنكر
[illegible] [illegible] [illegible] الله من هو أكثر منهم [illegible] وأعظم [illegible] الله [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الله في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الى

بعض كان يقال ان أهل الجنة الى الجنة وكون ولي الله يرتكب المكروه أو المحظور متأولا أو عاصيا لايمنع من الانكار عليه ولا يخرجه عن أصل ولايته لله وهيهات هيهات أن يكون أحد من أولياء الله المتقدمين حضر هذا السماع المحدث المشتمل على هذه الهيئة التي تفتن القلوب أعظم فتنة

وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية في موضع من كلامه قال اسحق ابن موسى الطباع سألت مالك عما يرخص فيه أهل المدينة من الغناء فقال انما يفعله عندنا الفساق وهذا النص عن مالك معروف في كتب أصحابه مثل مشهور وهم أعرف بمذهبه ونقل من ينقل عنه [illegible] وعن أهل المدينة من طائفة ممن لا علم بمذاهب الفقهاء ومن ذكر عن مالك انه ضرب بعود فقد افترى عليه وانما نبهت على هذا لأن فيما جمعه أبو عبد الرحمن السلمي ومحمد بن طاهر المقدسي في ذلك حكايات وآثارا يظن من لا خبرة له بالعلم وأحوال السلف أنها صدق وكان [illegible] أبو عبد الرحمن [illegible] فيه من الخير والزهد والدين والتصوف ما يحمله على أن يجمع من كلام الشيوخ والآثار [illegible] مقصوده كل ما يجده فلهذا يوجد في كتبه من الآثار [illegible] والكلام [illegible] في [illegible] ويوجد فيها من الآثار [illegible] والكلام المردود من لا حجة به وبعض الناس من توقف في روايته حتى ان البيهقي [illegible] أبو عبد الرحمن من أصل [illegible] وذكر الحكايات [illegible] صاحب [illegible]

فإنه كان أجمع شيوخه لكلام الصوفية ومحمد بن طاهر له مصنفات جيدة في معرفة الحديث ورجاله وهو من حفاظ وقته لكن كثير من المتأخرين من أهل الحديث وأهل الزهد وغيرهم إذا صنفوا في باب ذكروا ما روي من غث وسمين ولم يميزوا ذلك انتهى كلامه

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في موضع آخر ذكر من صنف في السماع ومن روى فيه من الأحاديث الموضوعة والمكذوبة ثم قال وكثير من المتأخرين أهل الحديث وأهل الزهد وأهل الفقه والتصوف وغيرهم إذا صنفوا في باب ذكروا ما روي فيه من غث وسمين ولم يميزوا ذلك كما يوجد في كثير ممن صنف في الأبواب مثل المصنفين في فضائل الشهور والأوقات وفضائل الأعمال والعبادات وفضائل الأشخاص وغير ذلك من الأبواب مثل ما صنف بعضهم في فضائل صيام رجب وغيره وفي فضائل صلوات الأيام والليالي صلاة يوم الأحد وصلاة يوم الاثنين والثلاثاء وصلاة أول جمعة في رجب وألفية أول رجب ونصف شعبان وإحياء ليلة العيدين وصلاة يوم عاشوراء وكل هذا كذب باتفاق أهل العلم بالحديث وأجود حديث روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في صيام رجب ما رواه ابن ماجه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن صيام رجب وقد ثبت بالإسناد الصحيح عن عمر بن الخطاب أنه كان يضرب أيدي الناس في رجب حتى يضعها ويقول لا تشبهوه برمضان وكذا كره إفراده بالصوم غير واحد من السلف وأجود ما روي من هذه الصلوات حديث

صلاة التسبيح وقد رواه أبو داود والترمذي وغيرهما ومع هذا فلم يقل به أحد من الأئمة الأربعة بل الإمام أحمد ضعف الحديث وقال لا يصح ولم يستحب هذه الصلاة وأما ابن المبارك والمنقول عنه فليس مثل الصلاة المرفوعة من تلك فيها قعدة طويلة بعد السجدة الثانية وهذا يخالف الأصول فلا يجوز أن يثبت بمثل هذا الحديث ومن تدبر الأصول علم أنه موضوع وأمثال هذه الأحاديث فهي كلها أحاديث موضوعة مكذوبة عند أهل المعرفة مع أنها توجد في مثل كتب أبي طالب وكتاب أبي حامد وكتب الشيخ عبد القادر وتوجد في مثل أمالي أبي القاسم بن عساكر وفيما صنفه أبو حفص بن شاهين وعبد العزيز الكتاني وأبو علي بن البناء وأبو الفضل بن ناصر وغيرهم وكذلك أبو الفرج بن الجوزي يذكر مثل هذه في كتب فضائل الشهور ويذكر في الموضوعات أنه كذب موضوع

والذين جمعوا الأحاديث في الزهد والرقائق يذكرون ما روي في هذا [illegible] مصنف [illegible] كتاب الزهد [illegible] وفيه [illegible] وكذلك [illegible] الزهد [illegible] ولوكيع وكذلك الزهد [illegible] في ذلك كتب الزهد [illegible] مرتب على [illegible] ابن [illegible] على الأبواب وهذه الكتب يذكرون زهد الأنبياء والصحابة والتابعين ثم المتأخرين على [illegible] من ذكر زهد المتقدمين والمتأخرين كأبي نعيم في حليته وأبي الفرج في صفوة الصفوة

ومنهم من اقتصر على ذكر المتأخرين من حين حدث اسم الصوفية كما فعل أبو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصوفية وصاحبه أبو القاسم القشيري في رسالته ثم الحكايات التي يذكرها هؤلاء ونحوهم كأبي نعيم وغيره وأمثاله يذكرون حكايات مرسلة بعضها صحيح وبعضها باطل قطعا والله أعلم

وقال الشيخ رحمه الله ومقصوده هنا ما هو مذكور عن سلف الأمة وأئمتها من المنقولات التي لا بد من التمييز بين صحيحه وسقيمه كما ينبغي فإن ذلك في منقولات الحكايات وكذلك في الذوق والوجد والمكاشفات والمخاطبات فإن كثيرا من هذه الأصناف الآلة فيها حق وباطل فلا بد من التمييز بين هذا وهذا والجامع لذلك أن ما وافق كتاب الله وسنة رسوله الثابتة عنه وما كان عليه صحابته فهو حق وما خالف ذلك فهو باطل فإن الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم الآية

(فصل) وأما من زعم أن الملائكة والأنبياء تحضر سماع المكاء والتصدية محبة له ورغبة فيه فهو كاذب مفتر بل إنما تحضره الشياطين وهي التي تتنزل عليهم وتنفخ فيهم كما روى الطبراني وغيره عن ابن عباس مرفوعا أن الشيطان قال يا رب اجعل لي بيتا قال بيتك الحمام قال اجعل لي قرآنا قال قرآنك الشعر قال اجعل لي مؤذنا قال مؤذنك المزمار وقد قال الله تعالى للشيطان (واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك) وقد فسر ذلك بصوت الغناء

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين صوت لهو ولعب ومزامير الشيطان وصوت لطم خدود وشق جيوب ودعاء بدعوى الجاهلية وقد كوشفت جماعات من أهل المكاشفات بحضور الشياطين في مجمع السماعات الجاهلية ذات المكاء والتصدية وكيف يدور الشيطان عليهم حتى يتواجدوا الوجد الشيطاني حتى ان بعضهم صار يرقص فوق رؤس الحاضرين ورأى بعض المشايخ المكاشفين أن شيطانه قد حمله حتى رقص به فلما صرخ شيطانه هرب وسقط ذلك الرجل وهذه الامور لها أسرار وحقائق لا تشهدها الا أهل البصائر الايمانية والمشاهد الايقانية ولكن من اتبع ما جاءت به الشريعة وأعرض عن السبل المبتدعة فقد حصل له الهدى وخير الدنيا والآخرة وان لم يعرف حقائق الامور بمنزلة من سلك السبيل الى مكة خلف الدليل الهادي فانه يصل الى مقصوده ويجد الزاد والماء في مواطنه وان لم يعرف كيف يحصل ذلك وسببه ومن سلك خلف غير الدليل الهادي كان ضالا عن الطريق فاما أن يهلك واما أن يشقى مدة ثم يعود الى الطريق والدليل الهادي هو الرسول الذي بعثه الله الى الناس بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وهاديا الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض وآثار الشيطان تظهر على أهل السماع الجاهلي مثل الارباد والازباد والصرخات المنكرة ونحو ذلك مما يضارع أهل الصرع الذين يصرعهم الشيطان وكذلك يجدون في

هو سهم من نوع مراد الشيطان بحسب الصوت أما وجد في الهوى
المذموم وإما غضب وعدوان على من هو مظلوم وإما لطم وشق ثياب
وصياح كصياح المحزون المحروم إلى غير ذلك من الآثار الشيطانية
في معنى أهل الاجتماع على شرب الخمر إذ سكرهم بهذا السكر
بالأصوات المطربة قد يصير من جنس السكر بالأشربة المطربة فتصدهم
عن ذكر الله وعن الصلاة وتمنع قلوبهم حلاوة القرآن وفهم معانيه
واتباعه فيصيرون مضارعين للذين يشترون لهو الحديث ليضلوا عن
سبيل الله ويقع بينهم العداوة والبغضاء حتى يقتل بعضهم بعضا
بأحواله الفاسدة الشيطانية كما يقتل العائن من أصابه بعينه ولهذا قال
من قال من العلماء أن هؤلاء يجب عليهم القود والدية إذا عرف أنهم
قتلوا بالأحوال الفاسدة لأنهم ظالمون وهم إنما يستعملون هذا فيما يحمدونه
من مراداتهم المحرمة كما يفعل الظلمة المسلطون ومن هذا الجنس
حال فقراء الكافرين والمبتدعين والمنافقين فهم قد يكون لهم زهد
وعبادة وهمة كما يكون للمشركين وأهل الكتاب وكما كان للخوارج
المارقين الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم يحقر أحدكم صلاته
مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤون القرآن
لا يجاوز حناجرهم الحديث وقد يكون لهم مع ذلك أحوال باطنة كما يكون لهم
مملكة ظاهرة وسلطان الباطن يتبع السلطان الظاهر ولا يكون من
أولياء الله إلا من كان من الذين آمنوا وكانوا يتقون وما فعلوه من
ذلك على الظلم يستحقون العقاب عليه بقدر الذنوب بالقدرة والتمكن

ظاهراً وباطناً ليس مسلماً لولاية لله، فقد يكون ولي الله متمكناً ذا سلطان وقد يكون مستضعفاً إلى أن ينصره الله وقد يكون عدو الله مستضعفاً وقد يكون متسلطاً إلى أن ينتقم الله منه فخوارق السر في الباطن من جنس النصر في الظاهر هؤلاء في العباد نظير هؤلاء في الأجساد وأما الغلبة فإن الله قد يديل الكافرين كما كان يكون لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عدوهم لكن العاقبة للمتقين فإن الله يقول (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) وإذا كان في المسلمين ضعف وكان العدو مستظهراً عليهم كان ذلك بسبب ذنوبهم وخطاياهم إما لتفريطهم في أداء الواجبات باطناً وظاهراً وإما لعدوانهم بتعدي الحدود باطناً وظاهراً قال الله تعالى (إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا) وقال تعالى (أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم) وقال تعالى (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور)

وقال الشيخ في موضع آخر وأما اتخاذ القصب والدف والضرب بالكفوف والسماع في الشبابات والاجتماع على ذلك ديناً وطريقاً إلى الله وقربة فهذا ليس من دين الإسلام وليس مما شرعه نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم ولا أحد من خلفائه ولا استحسن ذلك أحد من أئمة المسلمين بل ولم يكن أحد من أهل الدين يفعل ذلك على عهد رسول

الله صلى الله عليه وسلم ولا عهد أصحابه ولا تابعيهم بإحسان ولا تابعي التابعين بل لم يكن أحد من أهل الدين في الأعصار الثلاثة لا بالحجاز ولا بالشام ولا باليمن ولا العراق ولا خراسان ولا المغرب ولا مصر يجتمع على مثل هذا السماع وإنما ابتدع في الإسلام بعد القرون الثلاثة ولهذا قال الشافعي لما رأى ذلك خلفت ببغداد شيئاً أحدثته الزنادقة

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن رجل يحب السماع والرقص فأنكر عليه رجل فقال هذه الأبيات

أنكروا رقصنا وقالوا حرام * فعليهم من أجل ذلك سلام

اعبد الله بالفقيه وصل * والزم شرع فالسماع حرام

بل حرام عليك ثم حلال * عند قوم أحوالهم لا تلام

مثل قوم صعقوا وبان لهم من * جانب الطور جذوة وكلام

فإذا قولك السماع بلهو * حرام على الجميع حرام

أجاب الحمد لله رب العالمين هذا الشعر تضمن منكراً من القول وزوراً بل أوله يتضمن مخالفة السنة وآخره يفتح باب الزندقة والإلحاد المخالفة للحقيقة الإلهية الدينية النبوية وذلك أن قول القائل مثل قوم صعقوا وبان لهم من جانب الطور جذوة وكلام يتضمن تمثيل هؤلاء بموسى بن عمران الذي نودي من جانب الطور ولما رأى النار قال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بقبس أو جذوة من النار لعلكم تصطلون وهذا قول طائفة من الناس يسلكون طريق

الرياضة والتصفية ونحو ذلك أنهم بذلك يصلون الى أن يخاطبهم الله كما خاطب موسى بن عمران وهؤلاء ثلاثة أصناف

صنف يزعمون أنهم يخاطبون أعظم مما خوطب به موسى بن عمران كما يقول ذلك من يقوله من أهل الوحدة والاتحاد القائلين بأن الوجود واحد كصاحب الفصوص وأمثاله فان هؤلاء يدعون أنهم أعلى من الانبياء وأن الخطاب الذي يحصل لهم من الله أعلى مما حصل لابراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ ومعلوم أن هذا الكفر أعظم من كفر اليهود والنصارى الذين يفضلون الانبياء على غيرهم لكن يؤمنون ببعض الانبياء ويكفرون ببعض

والنوع الثاني من يقول ان الله يكلمه مثل كلام موسى بن عمران كما يقول ذلك من يقوله من المتفلسفة ومتصوفيهم الذين يقولون ان تكليم موسى فيض فاض على قلبه من العقل الفعال ويقولون ان النبوة مكتسبة

والنوع الثالث الذين يقولون ان موسى أفضل لكن صاحب الرياضة قد يسمع الخطاب الذي سمعه موسى ولكن موسى مقصود بالتكليم دون هذا كما يوجد هذا في الاحياء صاحب مشكاة الانوار وكتب مثل ذلك صاحب خلع النعلين وأمثالهما ومدلوله في أول الشعر لمن يخاطبه بم الشرع يتقيه وصل شعر بما أتى مع الشرع وأما نحن فما الى الله طريق غير الشرع ومن ادعى أن له الى الله طريقا يوصله الى رضوان الله وكرامته وثوابه غير الشريعة التي بعث الله بها

رسوله فانه أيضا كافر يستتاب فان تاب والا ضربت عنقه كطائفة استنطوا

وزعموا ان العبد يصل الى الله بلا متابعة الرسل وطائفة يظنون ان الخواص من الاولياء يستغنون عن متابعة محمد صلى الله عليه وسلم كما استغنى الخضر عن متابعة موسى وجهل هؤلاء ان موسى لم يكن مبعوثا الى الخضر ومحمد صلى الله عليه وسلم رسول الى كل أحد ظاهرا وباطنا مع أن ما فعله الخضر لم يكن مخالفا لشريعة موسى بل وافقها ولكن الاسباب المبيحة له لم يكن موسى علمها، فلما علمها تبين أن الافعال توافق شريعته لا تخالفها

سئل شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله عن مؤذن يصعد الى المأذنة ينشد أبياتا يذكر فيها الفراق والبين وغير ذلك فانكر عليه رجل فقال له لا تفعل هذا وعليك بالتسبيح والتحميد والقصائد الزهدية فهل أصاب أم لا

أجاب رضي الله عنه الحمد لله نعم ينهى المؤذن أن ينشد الابيات التي هي من جنس النياحة والرثاء وكذلك ما كان من جنس الغزل فان في ذلك مفاسد كثيرة وليس ذلك من ذكر الله المشروع للمؤذنين ولا بأس بالابيات المتضمنة لذكر الآلاء والاحسان والتوبة والاستغفار والله أعلم

(فصل) ونقع ان شاء الله في تدبره في قوله تعالى (فطرة الله التي فطر الناس عليها) قال العلماء من المفسرين والنحاة معناه الزموا واتبعوا دين الله الذي خلق الناس له ولهذا نصب على المصدر ومعنى ذلك فطر الله الناس على ذلك فطرة وفطر الناس عليها أي لها وهذه الفطرة أضافها الله اليه اضافة مدح لا اضافة ذم فعلم انها فطرة محمودة لا مذمومة يبين ذلك قوله؛ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها؛ لهذا نصب على المصدر الذي دل عليه الفعل الاول عند سيبويه وأصحابه فدل على ان اقامة الوجه للدين حنيفا هو فطرة الله التي فطر الناس عليها مثل قوله كتاب الله عليكم وسنة الله فهو عندهم منصوب نصب المصدر لا بفعل مضمر دل عليه الفعل المتقدم كأنه قال كتب الله عليكم وسن الله ذلك لكم وكذلك وفطر الله الناس على ذلك

ثم اختلف العلماء والمفسرون في تفسير الفطرة على أقوال وكذلك الخلاف

رسالة في الكلام على الفطرة ومعرفة الله عز وجل

جمع الشيخ محمد

ابن محمد بن محمد المنبجي

رحمه الله تعالى

في قول النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة اقرؤوا إن شئتم (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) رواه البخاري ومسلم فالفطرة المراد بها الإسلام قاله أبو هريرة وابن شهاب * وسئل مجاهد عن الفطرة فقال هي الإسلام وكذلك قاله قتادة ثم قال مجاهد (لا تبديل لخلق الله) قال لا تبديل لدين الله وقاله سعيد بن جبير وقتادة والنخعي وروي عن ابن عباس وعكرمة في إحدى الروايتين عنهما والقول بأن الفطرة الإسلام هو إحدى الروايات عن الإمام أحمد وقاله ابن عبد البر في التمهيد وقال آخرون والفطرة هنا الإسلام قال وهو المعروف عند عامة السلف وأهل التأويل قاله في تفسير هذا الحديث بعينه * ثم قال وأما قوله فطرة الله أي فطر الناس عليها (فقد أجمعوا على أن قالوا دين الإسلام انتهى وليس كما قال وذكر القرطبي في تفسيره أقوالا في الفطرة منها أنها الإسلام وهو المعروف عند عامة السلف من [illegible] ومعنى هذا أن الطفل خلق سليما من الكفر على الميثاق الذي أخذه الله على ذرية آدم حين أخرجهم من صلبه وأنهم إذا ماتوا قبل أن يدركوا في الجنة أولاد مسلمين كانوا أو أولاد [illegible] انتهى

وقد [illegible] أهل التأويل في الفطرة فقيل [illegible] ملة [illegible] ثم ذكر [illegible] ثم ذكره القرطبي

وقد احتج لهذا القول بأدلة

منها حديث أبي هريرة الذي في الصحيحين وقد تقدم

ومنها ما ثبت في صحيح مسلم عن عياض بن حمار المجاشعي عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل خلقت عبادي حنفاء مسلمين فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا

ومنها ما رواه الترمذي عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد من ولد كافر أو مسلم يولد على فطرة الإسلام ولكن الشياطين تأتيهم فتجتالهم عن دينهم فهودهم وتنصرهم وتمجسهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا

ومنها ما في الصحيحين خمس من الفطرة أي من فطرة الاسلام وفي مسلم ورواه أحمد وأبو داود عشر من الفطرة وفي رواية عشر من سنن الاسلام

وقال جماعة من الفقهاء والمفسرين كل مولود يولد على الفطرة التي خلق عليها في المعرفة بربه عز وجل معرفة مخالفة لخلقة البهائم التي لا تصل بخلقتها إلى معرفته والفاطر الخالق وقوله تعالى (وما لي لا أعبد الذي فطرني) يعني الذي خلقني ووجهوا هذا بقوله كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء يعني سالمة هل تحسون فيها من جدعاء مقطوعة الاذن قالوا ففي هذا الحديث تمثيل أولاد بني آدم وأولاد البهائم لا نقص فيهم

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية يرد على من قال كل مولود يولد

على ما سبق له في علم الله أنه صائر إليه

قال الشيخ ومعلوم أن جميع المخلوقات بهذه المثابة فجميع البهائم هي مولودة على ما سبق في علم الله لها وحينئذ فيكون كل مخلوق مخلوقا على الفطرة وأيضا فلو كان المراد بذلك لم يكن لقوله فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه معنى فإنهما فعلا به ما هو الفطرة التي ولد عليها فلا فرق بين التهويد والتنصير

ثم قال بعد أن ذكر تمثيله صلى الله عليه وسلم بالبهيمة التي ولدت جمعاء ثم جدعت يبين أن أبويه غيرا ما ولد عليه

ثم قال بعد ذلك وقولكم خلقوا خاليين من المعرفة والإنكار من غير أن تكون الفطرة تقتضي واحدا منهما بل يكون القلب كاللوح الذي يقبل كتابة الإيمان والكفر وليس هو لأحدهما أقبل منه للآخر فهذا قول فاسد جدا فحينئذ لا فرق بالنسبة إلى الفطرة بين المعرفة والإنكار والتهويد والتنصير والإسلام وإنما ذلك بحسب الأسباب فكان ينبغي أن يقال فأبواه يسلمانه ويهودانه وينصرانه فلما ذكر أن أبويه يكفرانه وذكر أن الملة التي ولد عليها هي الإسلام علم أن حكمه في حصوله بسبب منفصل عن حكم الكفر

ثم قال بعد ذلك في حجة ترك قال فلا يمدح ولا يذم على السواء لا يستحق مدحا ولا ذما والله تعالى يقول (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها) فأمره بلزوم فطرته التي فطر الناس عليها

وأيضا فالنبي صلى الله عليه وسلم شبهها بالبهيمة المجتمعة الخلق وشبه ما يطرأ عليها من الكفر بجدع الانف ومعلوم ان كمالها محمود ونقصها مذموم فكيف تكون قبل النقص لا محمودة ولا مذمومة اهـ

وقد ذكر الخلال في جامعه في كتاب أحكام الملل باب الحكم المترتب على الفطرة

(قال) المروزي أن أبا عبد الله قال في سبي أهل الحرب انهم مسلمون اذا كانوا صغاراً وان كانوا مع أحد الابوين ويحتج بالحديث وذكر عنه نصوصا كثيرة في هذا الباب

وقد سئل الزهري عن رجل عليه رقبة مؤمنة أيجزئه رضيع منه قال نعم لانه ولد على الفطرة وهي الاسلام وقال الزهري نصلي على كل مولود متوفى وان كان لغية لانه ولد على فطرة الاسلام والاسلام هو قول لا اله الا الله وحدث في قوله تعالى (أفمن شرح الله صدره للاسلام) قال ابن عباس وأكثر المفسرين لقول لا اله الا الله ولهذا كان معلوما بالفطرة أنه لابد لكل موجود من موجد ولكل مصنوع من صانع كما قال تعالى أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون يقول اخلقوا من غير خالق خلقهم أم خلقوا أنفسهم مع اعترافهم (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) قل (من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله) الآيات الثلاث

ولما كان علم النفوس بحاجتهم وفقرهم الى الرب قبل علمهم بحاجتهم الى الاله المعبود وقصدهم لدفع حاجتهم العاجلة قبل الآجلة

كان اقرارهم بالله اقرارا فطريا من جهة ربوبيته أسبق من اقرارهم به من جهة ألوهيته ولهذا بعث الله الرسل تدعوهم الى عبادة الله وحده لاشريك له فهذا هو الأمر والنهي الذي يعرف من جهة الرسل

وأما الرب الذي هو معروف بالفطرة (قالت رسلهم أفي الله شك) فالمشركون من عباد الأصنام وغيرهم من أهل الكتاب معترفون بالله معترفون بأنه ربهم وخالقهم ورازقهم وأنه رب السموات والأرض والشمس والقمر وأنه المعبود الأعظم ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي حصين بن حصين كم الها تعبد اليوم قال ستة في الأرض وواحد في السماء قال فمن الذي تعده لرغبتك ورهبتك قال الذي في السماء رواه الترمذي [illegible] حق من خلق [illegible] معطلا لايعلم شيئا مبجحا [illegible] ولا يلهج بلسانه بأكثر من اسمه المقدس فطرة تامة

[illegible] على [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الا

[illegible] على [illegible]

وتحميده وتنزيهه لطفا لا يفهمه الا الذي أنطقها به قال تعالى (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا) قال شيخنا ابن قاضي الجبل في هذه الآية قال تسبيحها تسبيح حقيقي ولهذا قال انه كان حليما غفورا أي اذ كانت الجمادات التي لا تسبح بحمد خالقها فهو حليم غفور اذ لم يعاجل بعقوبتهم مع ... وقال تعالى (ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه) الآية وقال تعالى (سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم) وقال تعالى (يسبح لله ما في السموات وما في الارض) والآيات كثيرة في هذا الباب وقد أتى بلفظ الماضي الدال على وقوع التسبيح وصدوره والمضارع الدال على استمرار التسبيح وتجدده كل وقت ولا يستنكر ... وتسبيحها بحمده اذ قد فطرها عليه كما فطر بني آدم على الاقرار بربوبيته ألست بربكم قالوا بلى لم يعذب منهم أحد وكما ... الله عباده أنهم يسبحونه بكرة وعشيا في قوله تعالى (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال) وقال تعالى (فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا) وقال تعالى (اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا) وكما أخبر سبحانه عن ... تعالى في حق داود (انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق) وقال أبو هريرة كل شيء يسبح خالقه الجبال والطير

بالتسبيح والذكر وقال أبو الفرج ابن الجوزي قد روي أن داود كان
اذا وجد فترة أمر الجبال فسبحت حتى يشتاق هو فيسبح وقد ثبت
في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بجبل جمدان فقال هذا
جمدان سبق المفردون قالوا وما المفردون يارسول الله قال الذاكرون
الله كثيرا والذاكرات فقد جعل سبق المفردين بذكر الله الى ذكر
الجبل قد أخبر سبحانه أنه خاطب الجمادات فقال تعالى (ولقد آتينا
داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير) والتأويب هو الترجيع بالتسبيح
وأخبر سبحانه عن الحجارة أن منها لما يهبط من خشية الله وهذا يدل
على أنها تعرف ربها معرفة تليق بها فتخشاه بحسب ذلك العلم بالخشية
وكذلك قوله (ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا
طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) وهذا خطاب من يعرف ربه ويطيع
أمره وليس هذا خطاب تكوين لمعدوم فانه خاطبهما بعد وجودهما
وكذلك قوله (اذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت) ومعنى أذنت
سمعت واستمعت لربها وأمره وكذلك أخبر عن الأرض بقوله
(يومئذ تحدث أخبارها) وفي الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال أتدرون ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال أن تشهد على كل
عبد بما عمل على ظهرها من خير وشر وهذه شهادة تتعلق بالمحبة
من شهادة في هذه الدار [illegible] حتى
[illegible] وكذلك أخبر سبحانه عن سجود المخلوقات فقال تعالى
(ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس

والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ولو كان سجودها هو مجرد دلالتها على الصانع كما يقوله من المفسرين لم يختص بكثير من الناس بل جميع العالم دال على صانعه ومثل هذا كثير في القرآن وما كان بهذه المثابة كيف يستنكر معرفته ربه وسجوده له وتسبيحه بحمده ولو لم يكن في هذه الآية إلا قوله سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم في أوائل هذه السور فإنه سبحانه لم يخص ما أولا لغير أولي العلم قطعا من مخصص ومن عينا ولا يصح حمل ما ذكرنا من الآيات على أولي العلم وتخصيصها ثم انه لو أريد ذلك لجيء بلفظ من المختصة بمن يعقل ولو كان في القرآن ما لا يعقل ومن لا لا يعقل فيه بحث ليس هذا محل ذكره

والمقصود ان كانت هذه المخلوقات قد فطرت على معرفة ربها وتوحيده وتسبيحه والإنسان أشرف منها فلأن يفطر على معرفته ربه بطريق الأولى والأحرى لما ركب الله فيه من العقل والتمييز والفطنة لا سيما وقد صدق الكتاب والسنة أنه فطره على الإسلام والإسلام كلمة [illegible] وكل الإسلام في الأصل هو الاستسلام وذلك

(فصل) [illegible] كلامه على [illegible] في [illegible]

[illegible]

متنازعون في أصل المعرفة بالصانع هل هي فطرية أو نظرية وان شيخ الاسلام ابن تيمية يفصل ويقول يختلف باختلاف الناس ولكن الصحيح انها فطرية لانه قد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل مولود يولد على الفطرة ولكن قد يعرض للفطرة ما يفسدها فيحتاج حينئذ الى النظر فهي في الاصل ضرورية وقد تكون نظرية ثم المعرفة الواحدة لا يتفق فيها جميع الناس بل قد تحصل ضرورية لقضية النفس وبواسطتها من أعظم الاسباب في حصول المعرفة الضرورية ولكن قد يحتاج الى أمور تحث النفس ثم فيتوقف على النظر فيحصل النظر مقررا عن الفطرة من هذه فان كون هذه الذات لا بد لها من صانع وخالق ومدبر فهذا ضروري فكونه لا تعرف هذه الا طريق النظر فيه نظر وأي نظر بل هو معلوم عقلا وواجب عقلا وقد ذكره الله تعالى في فطرة مخلوقاته متحركها وساكنها ناطقها وصامتها حيوانها وجمادها كما تقدم أنها مسبحة بحمده عارفة به ففي كل شيء له آية تدل على انه واحد ومع دلالتها على توحيده مسبحة بحمده معترفة به ساجدة له وان جميع مخلوقاته حالا كذلك نطقها بتسبيح بحمده ويسبح كل شيء بحسب قبوله بل كل شيء يسبح بحمده ولكن هذه معية لا نفقهه نحن ولا نعلمه لانه شيء عظيم فذكر به ويدل على عظمته

وقد روى في جزء لي في كتاب المذكر له بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال ان الجبل ينادي الجبل باسمه هل مر بك اليوم احد ذكر الله عز وجل فان قال نعم فيقول هنيئا لك لكن مامر

علي اليوم أحد يذكر الله

وروى أيضا باسناده عن أنس رضي الله عنه قال مامن صباح ولا رواح الا تنادي بقاع الارض بعضها بعضا ياجارة هل مر بك اليوم عبد فصلى عليك لله أو ذكر الله عليك فمن قائلة لا ومن قائلة نعم فاذا قالت نعم رأت بذلك لها فضلا فكل فطرة سليمة لم تجتالها الشياطين ولم تفسد عليها فطرتها تصدق بذلك وتقربه وتزداد ايمانا ولا يقول هذه أخبار آحاد وآثار لا تفيد شيئ في هذا الباب وانما هذه من باب الرحمة والمطالبة

فلما يكفينا ما تقدم لنا من اخبار الله تعالى في القرآن من الدليل القطعي عن الحجارة أن منها لما يهبط من خشية الله وهذا يدل على انها تعرف ربها معرفة تليق بها والا لما هبطت من خشيته فان الخشية تستلزم العلم بالمخشى وقد تقدم ذلك

قال ابن عبد السلام للعلماء في الحجارة وما يهبط من خشية الله ثلاث مذاهب قال الصوفية هي حيوان وفيها حركة حيّ تسبح الله تعالى وتخر له وتسجد له وقال آخرون هذا من مجاز التشبيه وقال الاشعري الله تعالى يخلق لها حياة عند ارادة ذلك منها نحو جبل الطور انتهى كلامه ذكره في النكت

قلت ما ذكره من هذه الاقوال * أما القول الاول فهو قول بعض جهلة الصوفية والا فكون الحجارة حيوانا مما نعلم بالفطرة بطلانه وأما القول بكونه من مجاز التشبيه فان هذا مما تشهد

الكتاب والسنة بطلانه أما الكتاب فما تقدم لنا من الآيات على تسبيح كل شيء بحمده وأما السنة فتسبيح الحصى في كف النبي صلى الله عليه وسلم ثم في كف غيره من الصحابة تسبيحا يسمعه الحاضرون وقال النبي صلى الله عليه وسلم إني لأعرف حجرا كان يسلم على قبل أن أبعث فهذا الحجر عرف ربه وعرف رسوله ولولم ينطق بكلام مسموع مفهوم مخصوص مذكر معين لما أخبر عنه ولهذا أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن جبل حنين فقال هذا جبل يحبنا ونحبه وكذلك أخبر عن أحد أنه يحبنا ونحبه وهذه حبل بعضها وبعضه

قال ابن عباس إن الله تعالى لما أراد أن يتجلى لموسى تطاولت الجبال لتحلى له وتواضع ونسى الطور فتجلى له وهذا يدل على أنها تعرف ربها

وروى ابن الجوزي عن معاوية بن قرة عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وحمله دكا قال صار لعظمته ستة أجبال فوقعت ثلاثة بالمدينة أحد وورقان ورضوى ووقعت بمكة ثلاثة حراء وثبير وثور

بل هو مسبح ربه وماتق قد حضه خمس وهذا يلي (إ نا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان) فهذا الإباء والإشفاق يدل على إن علمت حقه وفهمته وعلمت محرها

وليس المقصود ذلك وإنما المقصود أن الإنسان شرف عند الله

وأعظم من الحال حتى من البيت لما روى ابن ماجه عن ابن عمر قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يطوف بالكعبة و يقول ما أطيبك وأطيب ريحك وأعظم حرمتك والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك

ثم شرف الانسان لا يزكيه الله في فطرته ونفسه ما عرفه ربه من غير دليل طرق يحتاج فهمه الى عمر وقد ينقص علمه أو اشككه فيه من هو أحذق محجته منه

هذا الهدهد طير من الطيور وقد عبر عمن صبح كغيره من الطيور فخص سليمان علم التوحيد و علمه بغير ذلك (فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين) الى قوله (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) هذا كلام الهدهد كما اتفق على ذلك المفسرون فمعرفة الله تعالى فطرية قد فطر الله عليها جميع المخلوقات

فان أريد بالمعرفة المعرفة التامة وهي معرفة صفات الكمال ونعوت الجلال وما يليق ولا يليق ومعرفة أسمائه وما أمر به وما نهى عنه وما أخبر به وما أراده من عباده شرعا وما كرهه منهم ولم يرضه ولم يرده ونوعه فهذا ما لم الا السمع من جهة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فعبادة الله تعالى ولا شيء به مما يحب بالسمع ولزوم النزاع

فان الامام أحمد في رواية المروزي معرفة الله تعالى في القلب تتفاضل وتزيد وهذا يدل على ان معرفة أصلها في القلب فطرية ثم انها

تزيد وتمكن تتضافر الادلة والقاضي أبو يعلى في المعتمد استدل بهذه الرواية على انها كسبية وقال لانها لو كانت فطرية لم تزد وقال في رواية يحتمل أن المعرفة لا تزيد ولا تنقص وهذه الرواية عكس الاولى وحملها القاضي على انه أراد بالمعرفة ههنا الاقرار بالاسلام وهو لا يزيد ولا ينقص لانه موقوف على الشهادتين وفيما قاله نظر لانه صدر في أول المسألة فقال معرفته قد تحصل بدلائله الظاهرة وحججه البينة وهي أفعاله والسموات والارض وما بينهما وذلك ان الله صنعه لان هذه الاشياء تدل على صانع صنعها ومنشئ انشأها ذكره في المعتمد

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في كلامه على سورة اقرأ وذكر أن أول ما وجب لله على عباده معرفته ووحدانيته وبسمي ربك الذي خلق ثم قال بعد كلام كثير فقد تبين ان الاقرار بالاعتراف بالخالق فطري ضروري في نفوس الناس وان كان بعض الناس قد يحصل له ما يفسد فطرته حتى يحتاج الى نظر تحصل له به المعرفة وهذا قول جمهور الناس وعليه حذاق النظار ان المعرفة تحصل بالضرورة وقد تحصل بالنظر لمن فسدت فطرته كما عرف من حال حذاق من أئمة المتكلمين انتهى

وقال الشيخ ايضا في شرح الاصفهانية وأما معرفة الخالق فان في ذلك طريقين ... في هذا الموضع خلاف الناس في الاقرار بالصانع هل هو فطري أو نظري والمعروف من قال انه فطري وان كل مولود يولد على الفطرة وانه قد يعرض للفطرة ما يفسدها بما يعرض له من الشبه ويستدل على ذلك بأدلة كثيرة ابين ... وهذا ... محدث

وكل محدث فلا بد له من محدث أو هذا ممكن وكل ممكن فلا بد له من موجب أو هذا موجود وكل موجود فلا بد له من موجد أو هذا مخلوق وكل مخلوق فلا بد له من خالق أو هذا مصنوع وكل مصنوع فلا بد له من صانع ونحو ذلك فهذا صحيح معلوم بالفطرة وقد يقول من يحذق بذهنه وتبهر أذهان الناس بالفساد وتركن الى ذهنه وعقله ويقول هذا يدل على محدث مطلق وواجب مطلق وواحد مطلق لا يمتنع تصوره من وقوع الشركة فيه والهم يكله الله تعالى الى ذهنه ووهمه وعقله فما يرشده الله الى الصواب ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا فمن يهد الله فهو المهتد

فمن طلب الهداية من الله عز وجل واعترف بالعجز وعرف ربه بالقدرة ونفسه بالعجز وعلم أنه لا بد أن ينتهي الى فاعل قديم لا يكون الا واحدا وواجب بنفسه لا يكون الا واحدا فهو واحد مطلق عندنا ليس هو معينا في نفس الامر وآيات الله سبحانه وتعالى دالة على نفسه المقدسة المعينة فهذا وأمثاله مما فسدت فطرته لاسيما في معرفة ربه فلا بد من النصر ولهذا قدمنا أنها فطرية وان الشيخ رحمه الله قال وقد يعرض لبعض الناس من الشبه ما يفسد فطرته فلا بد له من النظر وهذا الذي عرض هو ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في نفس الحديث ان كل مولود يولد على فطرة الاسلام ولكن الشياطين أتتهم فاجتالتهم عن دينهم فمنهم من هوده ومنهم من نصره ومنهم من مجسه وتتول ومنهم من وسوست له الشياطين فشككه في خلقه وقد أخبر الله عن رسله انهم قالوا

لقولهم أفي الله شك فاطر السموات والارض بمعنى خالق السموات والارض ومالي لا أعبد الذي فطرني أي خلقني أي الخالق ثبت وقد قال هل من خالق غير الله

قال شيخ الاسلام ابن تيمية ذهب طوائف من النظار الى أن معرفة الله واجبة ولا طريق اليها الا بالنظر فأوجبوا النظر على كل أحد وهذا القول انما اشتهر في الامة عن المعتزلة ونحوهم ولهذا قال أبو جعفر السمناني وغيره من أصحاب الاشعري النظر في المعرفة بقية بقيت عليه من الاعتزال وقد دخل في هذا القول طوائف من الفقهاء من أصحاب الائمة الاربعة كالقاضي أبي يعلى وأتباعه مثل أبي الفرج الشيرازي وأبي الخطاب وابن عقيل وغيرهم ومع هذا فقد اختلف كلام الاشعري وأصحابه في ايجاب النظر فقال أبو اسحق الاسفرايني من اعتقد ما يجب اعتقاده هل يكتفي به اختلف الاصحاب فيه ثم ذكر كلامه وكلام الاشعري وأصحابه مطولا وذكر في المسألة قولين عنهم حتى ان أبا اسحق نسبه الى مخالفة كلامه ثم قال واختلفوا أيضا في النظر في قواعد الدين هل هو من فروض الاعيان أو من فروض الكفايات والذين أوجبوا النظر منهم من قال لا يصح الايمان الا به ومنهم من قال يصح الايمان بدونه لكن تاركه عاص وهذه الاقوال كلها مخالفة لظاهر الدليل من الكتاب والسنة لا على ما يقتضيها

وقد ذهب بعض الفضلاء من أصحابنا وقال طوائف من العلماء النظر لا يجب على أحد لان الواجب الاعتقاد الجازم دون المعرفة

وذلك لا يحتاج الى نظر واما لان الامور لها طرق غير النظر فتحصل ضرورة وقد تحصل الهاما وقد تحصل بالتصفية وهو قول طوائف من الصدر والفقهاء وأهل الحديث والصوفية وغيرهم وهو قول طائفة من أصحاب أحمد والشافعي وغيرهما والله اعلم

وقال بعض العلماء يجب النظر في حال دون حال وعلى شخص دون شخص فوجوبه من العوارض التي تجب على بعض الناس في بعض الاحوال فمن امور المعرفة فمن كل علم وجب ولم يحصل الا بالنظر وجب النظر وأما اذا حصل ضرورة أو حصل العلم بدون النظر أو لم يكن ممن وجب عليه لم يجب عليه واحد

وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية في موضع من مصنفاته هذا الكلام وقال هم عنده لامور وكلام الأئمة والسلف اذا دل عليه ولكن أوجبوا النظر ليس معهم نص على عمومه وجوبه بل يدل على انه قد يجب ولهم قولوا وجب لايختص بما سموه نظرا (قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الآيات والنذر) الآيه وقوله (قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى) وقوله (فلينظر الانسان مم خلق) فهذه نصوص خطاب مع كل من احد ممن امر بالنظر ليعرفوا الحق ويقروا به ولا ريب انه فرض على هؤلاء ولكن جعلوا في وجوب النظر وهو قولهم لا نسلم وجوب المعرفة ولا نسلم انحصار طريقها في النظر

والمقصود أن الذين أوجبوا لله على عباده أن يؤمنوا بالله ورسوله

وأن يطيعوا الله ورسوله فهذا فرض على كل أحد ، ووجوب الإيمان بالله معلوم بالاضطرار من دين الإسلام ونصوص القرآن متضمنة له والعلم بوجوبه ضروري ولو كان نظريا لكان يجب على الرسل أول ما يدعونهم إلى النظر وهذا مما علم فساده من دين الإسلام فإن كل كافر إذا أراد الدخول في دين الإسلام أول ما يؤمن به ... ولو قال أنا أقر بالخالق لم يكن بذلك مسلما ولو قال أنا أعرف الله أنه رب العالمين ورازقهم ومدبرهم لم يصر بذلك مسلما فمعرفة الله فطرية حاصلة لجمهور الخلق

فإن قيل إذا كانت معرفته عندك فطرية ضرورية فهي ثابتة في فطرة كل أحد وكيف ينكر ذلك كثير من نظار المسلمين أو غيرهم وفي زعمهم أنهم لا يقولون [illegible]

فيقال أول من عرف في الإسلام بإنكار هذه المعرفة هم أهل الكلام الذين اتفق السلف على ذمهم من الجهمية والقدرية وهم عند [illegible]

[illegible]

ومن علم [illegible] القرآن الذي لا يحسن لا يتدبره واعتبروه وكذلك يجب النظر في مسائل النزاع التي لا يعلم الحق فيها إلا بالنظر فإن أراد معرفة الحق فيها وجب

عليه المصر ود أحهد غاية الاحهاد وبدل وسعه وأداه النظر الى غير الحق فهما خطؤه مغفور له وله أجر جهاده وان أصاب الحق فله أجران فالله تعالى الهم الرشاد * ووفقنا للسداد * في أقوالنا وأفعالنا انه يجيب من دعاه وبعطى من سأله ونسأله أن يجعلنا من المؤمنين آمين انه ولي ذلك والقادر عليه والحمد لله رب العالمين وصلى الله علي محمد النبي الامي وآله وصحبه وسلم

(وهذا ما أجاب به شيخ الإسلام ابن تيمية

عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم

إذا زنى أحدكم خرج منه

الإيمان [illegible])

ما قول السادة العلماء أئمة الدين رضي الله عنهم أجمعين في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم إذا زنى العبد خرج منه الإيمان فكان فوق رأسه كالظلة فإذا خرج من ذلك العمل عاد إليه الإيمان رواه الترمذي وأبو داود وهل يكون الزاني في حال زناه مؤمنا أو غير مؤمن وهل جاء حديث بتكفيره أحد من الأئمة أو أجمعوا على تكفيره فقط أفتونا مأجورين.

أجاب شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه الحمد لله رب العالمين الناس في الفاسق الملي مثل الزاني والسارق والشارب ونحوهم على ثلاثة أقسام طرفين ووسط

أحد الطرفين أنه ليس بمؤمن بوجه من الوجوه ولا يدخل في عموم الأحكام المتعلقة باسم الإيمان ثم من هؤلاء من يقول هو كافر كاليهودي والنصراني وهو قول الخوارج ومنهم من يقول ننزله منزلة بين المنزلتين وهي منزلة الفاسق وليس هو بمؤمن ولا كافر وهم المعتزلة وهؤلاء يقولون إن أهل الكبائر يخلدون في النار وإن أحدا منهم لا يخرج منها وهذا من مقالات أهل البدع التي دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان على خلافه قال تعالى (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) إلى قوله (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم) فسماهم مؤمنين وجعلهم إخوة مع الاقتتال والبغي بعضهم على بعض وقال تعالى (فتحرير رقبة مؤمنة) ولو أعتق مذنبا أجزأ عتقه بإجماع العلماء [illegible] في [illegible] الاعتقادية لا نكفر أحدا

ويحيى ومعروف ولابن قانع [illegible] الله [illegible] من [illegible] من

انصاري [illegible]

ومما رووه عنه [illegible])

أجاب [illegible] كلام من [illegible] لا [illegible]

الله [illegible] من كلام [illegible]

ومما رووه عنه [illegible] الأعرف [illegible]

[illegible]

أجاب [illegible] من كلام [illegible]

[illegible] ولا [illegible]

ومما رووه عنه صلى الله عليه وسلم [illegible]

الله عنه قال [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible] الذي لا [illegible])

أجاب [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

أجاب [illegible] موضوع [illegible]

[illegible] وغيره [illegible]

ومما [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]

يوم القيامة [illegible] وحلالي [illegible]

حديث أحمد الله هذا كذب ورووه عن عمر وهو كذب

ومما رووه عن عمر رضي الله عنه أنه قال [illegible]

حديث هذا كذب [illegible] رضي الله عنه مات في الجاهلية قبل

[illegible] صلى الله عليه وسلم

ومما رووه [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] وآدم بين [illegible]

[illegible] ولا [illegible] ولا [illegible] لا صين

حديث [illegible] هذا [illegible] كذب [illegible] ولكن اللفظ المأثور الذي

رواه الترمذي وغيره أنه قيل لرسول الله متى كنت نبيا قال وآدم

بين الروح والجسد وفي [illegible] على العرش [illegible] قال إني عبد

الله [illegible] وإن آدم لمنجدل في طينته

ومما رووه [illegible] ومسكين رجل بلا

امرأة ومسكينة امرأة بلا رجل

حديث الحمد لله هذا ليس من كلام [illegible] صلى الله عليه وسلم

[illegible] ثابت

ومما رووه أن إبراهيم عليه السلام [illegible]

[illegible] فأوحى الله تعالى إليه يا إبراهيم فهل من هذا [illegible]

[illegible] سورة

حديث [illegible] هذا كذب [illegible] هو من كذب [illegible]

ومما رووه أنه صلى الله عليه وسلم أنه قال [illegible] إبراهيم

[illegible] ذكرت [illegible] ولا [illegible] غيره

فصلوا علي ثم صلوا عليه

أجاب رحمه الله هذا لا يعرف من كتب أهل الحديث ولا عن أحد من العلماء المعروفين بالحديث

ومما يروونه عنه صلى الله عليه وسلم من أكل مع مغفور له غفر له

أجاب رحمه الله هذا ليس له إسناد عند أهل العلم ولا هو في شيء من كتب المسلمين وإنما يرويه [illegible] وليس معناه صحيحاً على الإطلاق فقد يأكل مع المسلمين الكفار والمنافقون

ومما يروون أيضاً من [illegible] جوعة [illegible] له خبزة

أجاب رحمه الله هذا لا يعرف عن النبي صلى الله عليه وسلم

ومما يروون لا تكرهوا [illegible] فقال

أجاب رحمه الله هذا ليس معروفاً عن النبي صلى الله عليه وسلم

ومما يروون سب أصحابي ذنب لا يغفر

أجاب رحمه الله هذا كذب على النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء

ومما يروون من [illegible] من كتب الله [illegible]

أجاب رحمه الله هذا كذب ليس في شيء من كتب أهل العلم

ومما يروون عنه آية من القرآن خير من محمد وآله

أجاب رحمه الله القرآن كلام الله غير مخلوق ولا يشبه بالمخلوقين واللفظ المذكور غير مأثور

ومما يروون عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه من عرف وليس العرب سمي

أجاب الحمد لله هذا ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم

ومما يروونه أنه قال اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين

أجاب هذا يروى لكنه ضعيف لا يثبت ومعناه أحيني خاشعا متواضعا لكن لفظه لم يثبت

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا سمعتم عني حديثا فاعرضوه على الكتاب والسنة فإن وافق فارووه وإن لم يوافق فلا

أجاب الحمد لله هذا مروي ولكنه ضعيف عن غير واحد من الأئمة كالشافعي وغيره

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال يا علي [illegible] من جسد [illegible] في صلب [illegible]

أجاب الحمد لله ليس هذا ولا هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى ائتوني بنياتكم ولا تأتوني بأعمالكم

أجاب الحمد لله ليس هذا اللفظ مرويا عن النبي صلى الله عليه وسلم

ومما يروون عن النبي صلى الله عليه وسلم من قدم [illegible] فكأنما قدم [illegible] مسرجة ملجومة يجاهد عليه في سبيل الله

أجاب هذا ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولا أعرف في شيء من كتب [illegible] معروفة

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال عن ... من مسلم
بدنه لا من عرق من شاهق في شاهق

أجاب الحمد لله هذا الكلام ليس معروفا عن النبي صلى الله عليه
وسلم

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال حسنت ...
سيئات مقربين

أجاب الحمد لله هذا كلام بعض الناس وليس هو من كلام النبي
صلى الله عليه وسلم

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال سعرو من أصحابي
هدية العقل والتوفيق في حق

أجاب الحمد لله هذا لفظ لا يعرف عن النبي صلى الله عليه وسلم

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم أنه اختلف الناس في صحبته فسكتوا
وإذا وصلوا إلى القصة ... فمسكوا

أجاب الحمد لله هذا ... ...

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم ... ...
... من

أجاب الحمد لله هذا ... لا يعرف

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من ... في حرمة
... مات في غضب الرب

أجاب الحمد لله هذا ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم

وما يروون عنه صلى الله عليه وسلم انه أمر النساء أن يصح لأرواحهن عند [illegible]

[illegible] صلى الله عليه وسلم

[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] من كثير [illegible]

[illegible] من [illegible] معروف

عن النبي صلى الله عليه وسلم وكثير من الكلام تكون صحيحة لكن لا يمكن أن يقال عن الرسول صلى الله عليه وسلم مما يقدح اذ هذا الفعل ليس عطلق في كثير قلوب الكفار والمنافقين اذ به اقامة الملة والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين وعلى آله وصحبه وأزواجه والتابعين

ـ ه بمؤامـ ه في حـو ـ

ـب حـي صـ ـ محمعة

ور ع مده في ك

كا ر د و ع ير

ـلـ

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في رجل حنفي صلى جماعة ورفع يديه في كل تكبيرة فأنكر عليه فقيه الجماعة وقال له إن هذا لا يجوز في مذهبك وأنت مبتدع فيه فهل مافعله ينقص في صلاته مخالف للسنة وللإمامة أم لا

فأجاب الحمد لله أما رفع اليدين مع كل تكبيرة حتى في السجود فليس هو سنة ولا كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعلها ولكن الأمة متفقة على أنه يرفع عند تكبيرة الافتتاح وأما رفعهما عند الركوع والاعتدال من الركوع فلم يعرفه أكثر فقهاء الكوفة كإبراهيم النخعي وأبي حنيفة والثوري وغيرهم وأما أكثر فقهاء الأمصار وعلماء الآثار فإنهم عرفوا ذلك لما استفاضت به السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم كالأوزاعي والشافعي وإسحق وأحمد بن حنبل وأبي عبيد وهي إحدى الروايتين عن مالك فإنه قد ثبت في الصحيحين من حديث ابن عمر وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه إذا افتتح الصلاة وإذا ركع وإذا رفع رأسه من الركوع ولا كذلك بين السجدتين وثبت هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح من حديث مالك بن الحويرث ووائل بن حجر وأبي حميد الساعدي في عشرة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحدهم أبو قتادة وهو معروف من حديث علي بن أبي طالب وأبي هريرة وعدد كثير من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر إذا رأى من

يصلي ولا يرفع يديه في الصلاة خمسة وهي عنده من عام له بكل
إشارة عشر حسنات والكوفيون حجتهم أن عبد الله بن مسعود لم
يكن يرفع يديه وهم معذورون فيه قبل أن تبلغهم السنة الصحيحة فإن
عبد الله بن مسعود هو الفقيه الذي بعثه عمر بن الخطاب رضي الله عنه
إليهم ليعلم أهل الكوفة السنة لكن قد حفظ الرفع عن النبي صلى الله عليه
وسلم خلق كثير من الصحابة وابن مسعود لم يصرح أن النبي صلى الله
عليه وسلم لم يرفع إلا أول مرة لأنهم رأوه يصلي ولا يرفع إلا أول
مرة والإنسان قد ينسى وقد يذهل وقد خفي على ابن مسعود التطبيق
في الصلاة فكان يطبق وقد نسخ التطبيق بسنة كانوا يعملون أول
الإسلام ثم إن التطبيق نسخ بما ثبت وأمر بالركب وهذا يخفيه
ابن مسعود في الرفع [illegible] من نقص صلاته لا تجوز
بل من صلى بلا رفع ومن رفع كان أفضل وأحسن وإن كان الرجل متبعاً
لأبي حنيفة أو مالك أو الشافعي أو أحمد ورأى في بعض مسائل أن
مذهب غيره أقوى منه فاتبعه كان قد أحسن في ذلك ولم يقدح في عدالته
ولا دينه بلا نزاع بل هذا أولى بالحق وأحب إلى الله ورسوله ممن
يتعصب لواحد معين غير النبي صلى الله عليه وسلم كمن يتعصب لمالك
والشافعي وأحمد أو أبي حنيفة ويرى أن قول هذا المعين هو الصواب
الذي ينبغي اتباعه دون قول الإمام الذي خالفه فمن فعل هذا كان
جاهلاً ضالاً بل قد يكون كافراً فإنه متى اعتقد أنه يجب على الناس
اتباع واحد بعينه من هؤلاء الأئمة دون الإمام الآخر فإنه يجب أن

ينتسب [illegible] والا [illegible] يسوغ أو يدعي أو يجب على الامة أن [illegible] وجد [illegible] من [illegible] زيد ولا عمرو وأما أن يقول قائل انه يجب على العامة تقليد فلان أو فلان فهذا لا يقوله مسلم ومن كان مواليا للائمة محبا لهم يقلد واحدا منهم فيما يظهر له أنه موافق للسنة فهو محسن في ذلك هذا أحسن حالا من غيره ولا يقال [illegible] هذا [illegible] على وجه [illegible] المذبذب المذموم الذي لا يكون مع هؤلاء ولا مع هؤلاء بل يكون [illegible] مؤمن بوجه [illegible] بوجه كما [illegible] في [illegible] (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) وقال النبي صلى الله عليه وسلم مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هؤلاء مرة وإلى هؤلاء مرة [illegible] المذبذبون وهم الذين ذمهم الله ورسوله وقال في حقهم (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) وقال في حقهم (ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون) فهؤلاء المنافقون الذين تولوا اليهود الذين غضب الله عليهم ما هم من اليهود ولا منا [illegible] من أظهر الاسلام من اليهود والنصارى وغيرهم وقد [illegible] مع طائفة فلا هو مؤمن محض ولا هو كافر ظاهرا وباطنا فهؤلاء المذبذبون الذين ذمهم الله ورسوله وأوجب على [illegible]

أن يكونوا لا كفارا ولا مسلمين بل يكونون لله ويعصون الله ويطيعون الله ويعصون الله قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم) إلى قوله (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق) الآيات وقال (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم) الآية وقال تعالى [illegible] [illegible] وأصحابه من حولك) وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر) وفي الصحيحين عنه أنه قال (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه) وفي الصحيح عنه أنه قال (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه) وفي الصحيحين أنه قال (والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) وقال (والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أخبركم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم) وأمر الله تعالى المؤمنين بالجماعة والائتلاف ونهاهم عن الفرقة والاختلاف فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا

ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا) إلى قوله (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) قال ابن عباس تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة [illegible] على منهاج الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين و [illegible] في بعض فروع الشريعة [illegible] الصلاة [illegible] وحديث [illegible] [illegible] والأهواء [illegible] السنة والجماعة أنهم مذمومون [illegible] أمته [illegible] هؤلاء [illegible] يكون [illegible] قدره في [illegible] وكان [illegible] ولله أمر [illegible] الله غفور رحيم [illegible]

[illegible] ولا [illegible] أو
[illegible] لأنه [illegible] في صلاته
[illegible] ولا [illegible] في الا [illegible] المسلم
و [illegible] كل [illegible] وليس هذا
[illegible] رسول الله [illegible] أو [illegible]
[illegible] على كل مؤمن [illegible] حق [illegible]
[illegible] ومن [illegible]
[illegible]
[illegible] الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] في
[illegible] ولا [illegible]
[illegible] في صلاة
و [illegible] الرجل [illegible] الأوقات دون [illegible]
في [illegible]
[illegible]
[illegible] في [illegible]
[illegible] في
[illegible]
[illegible] ومن [illegible] ومن [illegible]
[illegible]

تجرد دينهم وتخطئ [illegible] ولا [illegible] من أسباب تسليط الله
[illegible] كثيرا [illegible] في المذاهب وغيرها حتى تجد
المنتسب إلى الشافعي يتعصب لمذهبه على مذهب أبي حنيفة حتى يخرج
عن الدين والمنتسب إلى أبي حنيفة يتعصب لمذهبه على مذهب الشافعي
وغيره حتى يخرج عن الدين والمنتسب إلى أحمد يتعصب لمذهبه على
مذهب هذا وهذا وفي المغرب تجد المنتسب إلى مالك يتعصب لمذهبه
على هذا وهذا وكل هذا من التفرق والاختلاف الذي نهى الله
ورسوله عنه وكل هؤلاء [illegible] الأهواء ومن يهوي
لا [illegible] من الله [illegible] يحتجون [illegible]
وهذا [illegible] الأخبار [illegible]
من أصول الدين وفروعه [illegible] في الحقيقة وكيف يقدح
في الأصل بخصوص [illegible] وجمهور [illegible] من الكتاب
و[illegible] الأئمة [illegible] يتمسكون بأحاديث صحيحة [illegible]
حكايات عن بعض [illegible] والشيوخ قد تكون صدقا وقد تكون كذبا
أو كانت صدقا فليس صاحبها معصوما يتمسكون بنقل غير مصدق عن
قائل غير معصوم ويدعون النقل المصدق عن القائل المعصوم وهو
ما نقله الثقات من أهل العلم ودونوه في الكتب الصحاح عن
النبي صلى الله عليه وسلم فإن الناقلين لذلك مصدقون باتفاق أئمة الدين
والمنقول عنه معصوم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى قد
أوجب الله على جميع الخلق طاعته واتباعه وقال تعالى (فلا وربك

لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) وقال تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) والله تعالى يوفقنا وسائر إخواننا المؤمنين لما يحبه ويرضاه من القول والعمل وهو [illegible]

[illegible]

[illegible] الشيخ الامام العلامة

[illegible] وقد [illegible] و شركاه

[illegible]

[illegible]

[illegible] وأوصله [illegible]

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام العلامة ناصر السنة وماحي البدعة تقي الدين أبو العباس أحمد بن شهاب الدين عبد الحليم بن الإمام مجد الدين عبد السلام بن عبد الله بن تيمية رضي الله عنه الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً أما بعد فقد تكرر السؤال من كثير من المسلمين أن أكتب في بيان مناسك الحج ما يحتاج إليه غالب الحجاج في غالب الأوقات فإني كنت قد كتبت منسكاً في أوائل عمري فذكرت فيه أدعية كثيرة وقلدت في الأحكام من اتبعته قبلي من العلماء وكتبت في هذا ما تبين لي من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مختصراً مبيناً ولا حول ولا قوة إلا بالله

فأول ما يفعله قاصد الحج والعمرة إذا أراد الدخول فيهما أن يحرم بذلك وقبل ذلك فهو قاصد الحج أو العمرة ولم يدخل فيهما بمنزلة الذي يخرج إلى صلاة الجمعة فله أجر السعي ولا يدخل في الصلاة حتى يحرم بها وعليه إذا وصل إلى الميقات أن يحرم والمواقيت خمسة ذو الحليفة والجحفة وقرن المنازل ويلملم وذات عرق ولما وقت النبي صلى الله عليه وسلم المواقيت قال هن لأهلهن ولمن مر عليهن من غير أهلهن لمن يريد الحج والعمرة ومن كان منزله دونهن فمهله من أهله حتى أهل

مكة [illegible] من مكة [illegible] الحليفة هي أبعد المواقيت منها وبين مكة عشر
مراحل أو أقل أو أكثر بحسب اختلاف الطرق [illegible] إلى مكة عشرة
طرق ويسمى وادي العقيق ومسجده يسمى مسجد الشجرة وفيها بئر
[illegible] على [illegible] وهو كذب [illegible]
[illegible] من [illegible] ولا [illegible]
[illegible] الجحفة
[illegible] وكان
[illegible]
[illegible] شام
ومصر [illegible] في هذه
الأوقات أحرموا [illegible]
[illegible]
[illegible] مكة [illegible]
[illegible] لا بإحرام وإن قصد مكة لتجارة أو لزيارة
[illegible] أن يحرم [illegible] الميقات في أشهر الحج
[illegible] ثلاثة [illegible]
[illegible] الحج [illegible]
[illegible] الحج [illegible]
[illegible] والسنة
[illegible]

التحقيق في ذلك أنه نوع اختلاف
وفصل في الأفضل من ذلك و
حلل حج وإن كان سافر سفرة للعمرة وللحج سفرة أخرى أو سافر
إلى مكة قبل أشهر الحج واعتمر وأقام بها حتى حج فهذا الإفراد
له أفضل له باتفاق الأئمة الأربعة والإحرام بالحج قبل أشهره ليس مسنونا
بل مكروه وإذا فعله فهل يصير محرما بعمرة أو بحج فيه نزاع وأما إذا فعل
ما يفعله غالب الناس وهو أن يجمع بين العمرة والحج في سفرة واحدة
ويقدم مكة في أشهر الحج وهن شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة
فهذا إن ساق الهدي فالقران أفضل له وإن لم يسق الهدي فالتحلل
من إحرامه بعمرة أفضل فإنه قد ثبت بالنقول المستفيضة التي لم يختلف
في صحتها أهل العلم بالحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لما حج حجة
الوداع هو وأصحابه أمرهم جميعهم أن يحلوا من إحرامهم ويجعلوها عمرة
إلا من ساق الهدي فإنه أمره أن يبقى على إحرامه حتى يبلغ الهدي محله
وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ساق الهدي هو وطائفة من أصحابه وقرن
هو بين العمرة والحج [illegible] عمرة وحجا ولم يعتمر بعد الحج أحد
ممن كان مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا عائشة وحدها لأنها كانت
[illegible] الله [illegible] قال [illegible]
[illegible] لا تطوفي [illegible]
[illegible]
مع حجها [illegible] في مكة
[illegible] على عهد النبي

صلى الله عليه وسلم وانما بنيت بعد ذلك علامة على المكان الذي أحرمت منه عائشة وليس دخول هذه المساجد ولا الصلاة فيها لمن احرم من تلك المواضع فرضا ولا سنة بل قصد ذلك واعتقاد انه يستحب بدعة مكروهة لكن من خرج من مكة ليعتمر فانه اذا دخل واحدا منها وصلى فيه لاجل الاحرام فلا بأس بذلك ولم يكن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين احد يخرج من مكة ليعتمر الا لعذر لا في رمضان ولا في غير رمضان والذين حجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيهم من اعتمر بعد الحج من مكة الا عائشة رضي الله عنها ولا كان هذا من فعل الخلفاء الراشدين والذين استحبوا الافراد من الصحابة انما استحبوا أن يحج في سفرة ويعتمر في أخرى ولم يستحبوا أن يحج ويعتمر عقب ذلك عمرة مكية بل هذا لم يكونوا يفعلونه قط اللهم الا ان يكون شيئا نادرا وقد تنازع السلف في هذا هل يكون متمتعا عليه دم أم لا وهل تجزئه هذه العمرة عن عمرة الاسلام أم لا وقد اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم بعد هجرته أربع عمر * عمرة الحديبية وصل الى الحديبية والحديبية وراء الجبل الذي بالتنعيم عند مساجد عائشة عن يمينك وأنت داخل الى مكة فصده المشركون عن البيت فصالحهم وحل من احرامه وانصرف * وعمرة القضية اعتمر من العام القابل * وعمرة الجعرانة فانه كان قد قاتل المشركين بحنين وحنين من ناحية المشرق من ناحية الطائف وأما بدر فهي بين المدينة وبين مكة وهي من المروتين ست سنين ولكن قريبا في لما كان قسم غنائمه فيها الا انه اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم

والمؤمنون في غزوة ثم ذهب فحصر المشركين بالطائف ثم رجع
وقسم غنائم حنين بالجعرانة فلما قسم غنائم حنين اعتمر من الجعرانة
داخلا إلى مكة لا خارجا منها للإحرام والعمرة الرابعة مع حجته فإنه
قرن بين العمرة والحج باتفاق أهل المعرفة بسنته وباتفاق الصحابة على
ذلك ولم ينقل عن أحد من أصحابه أنه تمتع تمتعا حل فيه بل كانوا
يسمون القران تمتعا ولا نقل عن أحد من الصحابة أنه لما قرن
طاف طوافين وسعى سعيين وعامة المنقول عن الصحابة في صفة حجته
ليست بمختلفة وإنما اشتبهت على من لم يعرف مرادهم وجميع الصحابة
الذين نقل عنهم أنه أفرد الحج كعائشة وابن عمر وجابر قالوا إنه تمتع
بالعمرة إلى الحج فقد ثبت في الصحيحين عن عائشة وابن عمر بأسانيد
أصح من إسناد الإفراد ومرادهم بالتمتع القران كما ثبت ذلك في
الصحاح أيضا فإذا أراد الإحرام فإن كان قارنا قال لبيك عمرة
وحجا وإن كان متمتعا قال لبيك عمرة وإن كان مفردا قال لبيك
حجة وإن قال اللهم إني أوجبت عمرة وحجا أو أوجبت عمرة أو أوجبت
حجة أو أريد الحج أو أريدهما أو أريد التمتع بالعمرة إلى الحج فمهما
قال من ذلك أجزأه باتفاق الأئمة ليس في ذلك عبارة مخصوصة
ولا يجب شيء من هذه العبارات باتفاق الأئمة كما لا يجب التلفظ بالنية
في الطهارة والصلاة والصيام باتفاق الأئمة بل متى لبى قاصدا
للإحرام انعقد إحرامه باتفاق المسلمين ولا يجب عليه أن يتكلم
قبل التلبية بشيء ولكن تنازع العلماء هل يستحب أن يتكلم بذلك

[illegible] عنه [illegible] في الصلاة والصوت

[illegible] صلى الله عليه وسلم

[illegible] أكثر شيء من

[illegible]

[illegible] يحيى من الأرض [illegible]

[illegible] وصححه الترمذي ولفظ النسائي أرسله

الحج [illegible] يحيى من الأرض حتى

[illegible] في صحيحين

[illegible]

[illegible] وكان [illegible]

عمرة [illegible] وكان قول الله [illegible] من [illegible]

[illegible] أهل [illegible] ومهل أهل الشام [illegible] ومهل أهل

[illegible] ومهل أهل [illegible]

عرق ومن [illegible] دون [illegible] من أهله والاهلال هو التلبية وهذا هو

[illegible] في ابتداء الحج والعمرة

[illegible] مشروع [illegible] لأكثر

[illegible]

[illegible] ولا [illegible] ولو هل

[illegible] ولا قصد [illegible]

[illegible] ولا [illegible] من [illegible]

في فعل ... النبي صلى الله عليه وسلم ... حجا و ...
... حوله من ... وقت و ... حتى ...
... كل ... النبي صلى الله عليه وسلم ...
... شرعه على ... كان شاء ...
أن يصنعه ... ولم يكن ... كل من ...
... في ... حتى ولا ...
لأحد ... النبي صلى الله عليه وسلم ...
ولم يكن ... صلى الله عليه وسلم ... و ...
في الحج ... العمرة و ... الحج و العمرة وهو ...
... الحج ... في ... الحج ولا رفث ولا
فسوق ولا جدال في الحج او ... في صحيحين ... حج
... لم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه ...
على ... فلا رفث ولا فسوق ... الحج
... و ... كله ...
... الحج ... الله ...
... في ... في حكمه ... قد ...
... والله ... الحج ...
... الحج ... الله ... ولا ...
... قد ... كان ...
... كان ... في الحج ... كل ... على

وكالحديث في الحلق بعد منى والحاصل ان الفسوق يتفاوت بحرمه الله تعالى
ولا يختص بالسباب وان كان سبب المسلم فسوقا فالفسوق يعم هذا وغيره
* والرفث هو الجماع وان في الحصورات مفسد الحج الا الجماع
بحث فيها من منه وبين الفسوق * وقد ذكر محصورات كالتي
والصيد فيه ... لا ... فلا يفسد حج ... لذلك
... محرم ان لا ... وكل ...
... ولا يكون رجل محرما مجردا في ... من
قصد حج و ... في ... من ...
لا ... محرم ... هو الصحيح من القولين
و ... لاحرام والتي ... ولو احرم
وعليه ... رسول الله صلى الله عليه وسلم ...
... عليه ... محصور

* فصل * ويستحب ان يحرم عقب صلاة مفروض او مسنوع
... في احد قولين وفي الآخر ان كان يصلي فرضا
احرم عقبه و الا فليس للاحرام صلاة تخصه وهذا أرجح * ويستحب
أن يغتسل للاحرام ولو كانت نفساء او حائضا ان احتاج الى ذلك
كتقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة ونحو ذلك فعل ذلك
وهذا ليس من خصائص الاحرام وكذلك لم يكن له ذكر فيما نقله
الصحابة لكنه مشروع بحسب الحاجة وهكذا يشرع لمصلي الجمعة والعيد
على هذا الوجه ويستحب ان يحرم في ثوبين نظيفين فان كانا أبيضين

فيه [illegible] ويجوز أن يجره في جميع [illegible] من [illegible]
و[illegible] والصوف و[illegible] [illegible] ورداء [illegible] [illegible]
أو غير مخيط [illegible] لأنه [illegible] في غيرها [illegible] كان [illegible]
يجوز [illegible] ويجوز أن [illegible] في [illegible] وغيره من [illegible] الحاجة
وإن كان [illegible] ولا [illegible] [illegible] [illegible]
فإذا [illegible] [illegible] [illegible] وليس [illegible] أن [illegible]
دون [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] ولا [illegible]
[illegible] في عرفات [illegible] [illegible] و[illegible] في
[illegible] [illegible] في [illegible] أولا لأنه [illegible]
[illegible] وقد كان الصحيح أنه يجوز [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] ونحو ذلك [illegible]
[illegible] وقد [illegible] ولا يقوم مقامهما [illegible]
والمداس ونحو ذلك فإن [illegible] ولا [illegible] وكذلك [illegible]
[illegible] ولا [illegible] قوله [illegible]
صلى الله عليه وسلم [illegible] في [illegible] في عرفات [illegible]
وكذلك [illegible] [illegible] من [illegible]
[illegible] [illegible] ونحو ذلك [illegible] لأنه
[illegible] [illegible] علاه [illegible] [illegible]
[illegible] لا [illegible] و[illegible]
[illegible] [illegible] أن [illegible]

رأس المحرم [illegible] وأمر من احرم في جبة أن ينزعها عنه فما
كان من هذا الجنس فهو في معنى ما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم فما
كان في معنى القميص فهو مثله وليس له أن يلبس القميص لا بكم ولا
[illegible] أو مخروقا
[illegible]
[illegible]
[illegible] وهذا معنى قول الفقهاء
لا يلبس [illegible] على قدر العضو وكذلك
[illegible] ولا يلبس
[illegible]
كالازار [illegible]
احتاج الى [illegible] وهل [illegible]
مع كراهة أو تحريم فيه نزاع [illegible]
عن ابن عمر رضي الله عنهما منهم من قال هو كراهة تنزيه كأبي حنيفة
وغيره ومنهم من قال كراهة تحريم وأما الرأس فلا يغطيه لا بمخيط
ولا غيره فلا يغطيه بعمامة ولا قلنسوة ولا كوفية ولا ثوب يلصق به
ولا غير ذلك وله أن يستظل تحت السقف والشجر ويستظل في الخيمة ونحو
ذلك باتفاقهم وأما الاستظلال بالمحمل كالمحارة التي لها رأس في حال السير فهذا
فيه نزاع والافضل للمحرم أن يضحي لمن أحرم له كما كان النبي صلى الله
عليه وسلم وأصحابه يحجون وقد رأى ابن عمر رجلا ظلل

فلهذا قيل إنها محرمة تجتنب النقاب وهذا كان السلف يكرهون
النقاب على الحامل وهي محمل في الطريق وما المحمل كرهوه فيه
كرهه لأنه ليس سنة وهذا في حق الرجل وأما المرأة فهو ستره
ويباح حدوثه ليس على ... وأسقطه الشافعي ...
... النبي صلى الله عليه وسلم ... و ... الشافعي و ...
خلاف ... وجهها ...
لا عن الوجه ... لا ... كان ... يجافي ...
ولا تكلف المرأة أن تجافي سترتها عن الوجه لا بعود ولا بيد ولا غير
ذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم سوى بين وجهها ويديها وكلاهما
كبدن الرجل لا كرأسه وأزواجه صلى الله عليه وسلم كن يسدلن
على وجوههن من غير مراعاة المجافاة ولم ينقل أحد من أهل العلم
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إحرام المرأة في وجهها وإنما
هذا قول بعض السلف لكن النبي صلى الله عليه وسلم نهاها أن تنتقب
أو تلبس القفازين كما نهى المحرم أن يلبس القميص والخف مع أنه
يجوز له أن يستر يديه ورجليه باتفاق الأئمة والبرقع أقوى من النقاب
فلهذا ينهى عنه باتفاقهم ولهذا كانت المحرمة لا تلبس ما يصنع لستر الوجه
كالبرقع ونحوه فإنه كالنقاب ومن احتاج المحرم إلى شيء مما نهى
النبي صلى الله عليه وسلم عنه لا لحاجة كما يباح ...
لا لحاجة وللحاجة مثل المرأة التي تخاف أن ... إذا ...
... مرض ... محتاج ... رأسه ... حاجة

فهذا مخير فيه بين أن يهدي أو صيام ثلاثة أيام وإما نسك شاة أو يطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من تمر أو شعير أو مد من بر وإن أطعمه خبزا جاز ويكون رطلين بالعراقي قريبا من نصف رطل بالدمشقي وينبغي أن يكون مأدوما وإن أطعمه مما يأكل كالبقسماط والرقاق ونحو ذلك جاز وهو أفضل من أن يعطيه قمحا أو شعيرا وكذلك في سائر الكفارات إذا أعطاه مما يقتات به مع أدمه فهو أفضل من أن يعطيه حبا مجردا إذا لم يكن عادتهم أن يطحنوا بأيديهم ويخبزوا بأنفسهم والواجب في ذلك كله ما ذكره الله تعالى بقوله إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم الآية فأمر الله بإطعام المساكين من أوسط ما يطعم الناس أهليهم وقد تنازع العلماء في ذلك هل ذلك مقدر بالشرع أو يرجع فيه إلى العرف وكذلك تنازعوا في نفقة الزوجة والراجح في هذا كله أن يرجع فيه إلى العرف فيطعم كل قوم مما يطعمون أهليهم ولما كان كعب بن عجرة ونحوه يقتاتون التمر أمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يطعم فرقا من التمر بين ستة مساكين والفرق ستة عشر رطلا بالبغدادي وهذه الفدية يجوز أن يخرجها إذا احتاج إلى فعل المحظور قبله وبعده ويجوز أن يذبح النسك قبل أن يصل إلى مكة ويصوم الأيام الثلاثة متتابعة إن شاء ومتفرقة إن شاء فإن كان له عذر أخر فعله وإلا عجل فعله وإذا لبس ثم لبس مرارا ولم يكن أدى الفدية أجزأته فدية واحدة في أظهر قولي العلماء

(فصل) [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] لا شريك [illegible] إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك و[illegible] على هذه [illegible] أو [illegible] جاز كما كان الصحابة يزيدون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمعهم فلم [illegible] وكان هو [illegible] على [illegible] ولو من [illegible] أولم يركبها [illegible] جاز والتلبية هي [illegible] عليه [illegible] والثاني هو [illegible] كما [illegible] الذي [illegible] لا [illegible] مرة [illegible] والتلبية شعار الحج [illegible] رفع الصوت [illegible] الصوت [illegible] بحيث لا يجهد نفسه والمرأة ترفع صوتها بحيث تسمع رفيقتها ويستحب الإكثار منها عند اختلاف الأحوال [illegible] أدبار الصلوات [illegible] أو [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible] أو [illegible]

والسمن ونحوه اذا لم يكن فيه طيب فيه نزاع مشهور وتركه أولى
ولا يقلم أظفاره ولا يقطع شعره وله أن يحك بدنه اذا حكه ويحتجم
في رأسه وغير رأسه وإن احتاج أن يحلق شعراً لذلك جاز فإنه قد
ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم في وسط رأسه
وهو محرم ولا يمكن ذلك إلا مع حلق بعض الشعر وكذلك اذا اغتسل
وسقط شيء من شعره بذلك لم يضره وإن تيقن أنه انقطع بالغسل
ويفتصد اذا احتاج الى ذلك وله أن يغتسل من الجنابة بالاتفاق
وكذلك لغير الجنابة ولا ينكح المحرم ولا ينكح ولا يخطب ولا يصطاد
صيداً برياً ولا يتملكه بشراء ولا اتهاب ولا غير ذلك ولا يعين على صيد
ولا يذبح صيداً فأما صيد البحر كالسمك ونحوه فله أن يصطاده ويأكله
وله أن يقطع الشجر لكن نفس الحرم لا يقطع شيء من شجره وإن كان
غير محرم ولا من نباته المباح الا الإذخر وأما ما غرسه الناس أو زرعوه
فهو لهم وكذلك ما يبس من النبات يجوز أخذه ولا يصطاد به صيداً
وإن كان من الماء كالسمك على الصحيح بل ولا ينفر صيده مثل
أن يقيمه ليقعد مكانه وكذلك حرم مدينة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو ما بين لابتيها واللابة هي الحرة وهي الأرض التي فيها
حجارة سود وهو بريد في بريد والبريد أربع فراسخ وهو من عير
الى ثور وعير هو جبل عند الميقات يشبه العير وهو الحمار وثور هو
جبل من ناحية أحد وهو غير جبل ثور الذي بمكة فهذا الحرم أيضاً
لا يصاد صيده ولا يقطع شجره الا لحاجة كآلة الركوب والحرث ويؤخذ

عن حشيشه محتاج اليه للعلف فان النبي صلى الله عليه وسلم رخص لأهل المدينة في هذا لحاجتهم الى ذلك اذ ليس حولهم ما يستغنون به عنه بخلاف الحرم المكي واذا أدخل عليه صيد لم يكن عليه ارساله وليس في الدنيا حرم لا بيت المقدس ولا غيره الا هذان الحرمان ولا يسمى غيرهما حرما كما يسمي الجهال فيقولون حرم المقدس وحرم الخليل فان هذين وغيرهما ليسا بحرم باتفاق المسلمين والحرم المجمع عليه حرم مكة. وأما المدينة فلها حرم أيضا عند الجمهور كما استفاضت بذلك الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يتنازع المسلمون في حرم ثالث الا وجاء وهو واد بالطائف وهو عند بعضهم حرم وعند الجمهور ليس بحرم. وللمحرم أن يقتل ما يؤذي بعادته الناس كالحية والعقرب والفأرة والغراب والكلب العقور وله أن يدفع ما يؤذيه من الآدميين والبهائم حتى لو صال عليه أحد ولم يندفع الا بالقتال قاتله فان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون حرمته فهو شهيد واذا قرصته البراغيث والقمل فله القاؤها عنه وله قتلها ولا شيء عليه والقاؤها أهون من قتلها وكذلك ما يتعرض له من الدواب فينهى عن قتله وان كان في نفسه محرما كالاسد والفهد فاذا قتله فلا جزاء عليه في أظهر قولي العلماء وأما التفلي بدون التأذي فهو من الترفه فلا يفعله ولو فعله فلا شيء عليه ويحرم على المحرم الوطء ومقدماته ولا يطأ شيئا سواء كان امرأة ولا غير امرأة ولا يتمتع بقبلة

[illegible] ولا [illegible] شهوة في [illegible] وفي [illegible]
[illegible]
[illegible] شهوة [illegible]

﴿دخول مكة﴾ [illegible] أن يدخل مكة والمسجد من جميع الأبواب لكن الأفضل أن يأتي من وجه الكعبة اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم فإنه دخلها من وجهها من الناحية العليا التي فيها اليوم باب المعلاة ولم يكن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم لمكة ولا للمدينة سور ولا أبواب مبنية ولكن دخلها من الثنية العليا ثنية كداء بالفتح والمد المشرفة على المقبرة ودخل المسجد من الباب الأعظم الذي يقال له باب بني شيبة ثم ذهب إلى الحجر الأسود فإن هذا أقرب الطرق إلى الحجر الأسود لمن دخل من باب المعلاة ولم يكن بمكة بناء يعلو على البيت ولا كان فوق الصفا والمروة والمشعر الحرام [illegible] ولا كان بمنى ولا عرفات مسجد ولا عند الجمرات مساجد بل كل هذه محدثة بعد الخلفاء الراشدين ومنها ما أحدث بعد الدولة الأموية ومنها ما أحدث بعد ذلك فكان البيت يرى قبل دخول المسجد وقد ذكر ابن جرير أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى البيت رفع يديه وقال اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة وبرا وزد من شرفه وكرمه ممن حجه أو اعتمره تشريفا وتعظيما فمن رأى البيت قبل دخول المسجد فعل ذلك وقد استحب ذلك من استحبه عند رؤية البيت ولو كان بعد دخول المسجد لكن النبي صلى الله عليه وسلم

بعد أن يدخل المسجد يبتدئ بالطواف ولا يصلي قبل ذلك تحية المسجد ولا غير ذلك بل تحية المسجد الحرام هو الطواف بالبيت وكان صلى الله عليه وسلم يغتسل لدخول مكة كما كان يبيت بذي طوى وهو عند الآبار التي يقال لها آبار الزاهر فمن تيسر له المبيت بها والاغتسال ودخول مكة نهارا وإلا فليس عليه شيء من ذلك وإذا دخل المسجد بدأ بالطواف فيبتدئ من الحجر الأسود يستقبله استقبالا ويستلمه ويقبله إن أمكن ولا يؤذي أحدا بالمزاحمة عليه فإن لم يمكن استلمه وقبل يده وإلا أشار إليه ثم ينتقل للطواف ويجعل البيت عن يساره وليس عليه أن يذهب إلى ما بين الركنين ولا يمشي عرضا ثم ينتقل للطواف بل ولا يستحب ذلك ويقول إذا استلمه بسم الله والله أكبر وإن شاء قال اللهم إيمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ويجعل البيت عن يساره فيطوف سبعا ولا يخترق الحجر في طوافه لما كان أكثر الحجر من البيت والله أمر بالطواف به لا بالطواف فيه ولا يستلم من الأركان إلا الركنين اليمانيين دون الشاميين فإن النبي صلى الله عليه وسلم إنما استلمهما خاصة لأنهما على قواعد إبراهيم والآخران هما في داخل البيت فالركن الأسود يستلم ويقبل واليماني يستلم ولا يقبل والآخران لا يستلمان ولا يقبلان والاستلام هو مسحه باليد وأما سائر جوانب البيت ومقام إبراهيم وسائر ما في الأرض من المساجد وحيطانها ومقابر الأنبياء والصالحين كحجرة نبينا صلى الله عليه وسلم ومغارة إبراهيم ومقام نبينا صلى الله عليه وسلم الذي

كل ما في المسجد وغير ذلك من مقابر الأنبياء والصالحين وصخرة بيت المقدس فإنه لا يقبل باتفاق الأئمة وأما الطواف بذلك فهو من أعظم البدع المحرمة ومن اتخذه دينا يستتاب فإن تاب وإلا قتل ولو وضع يده على الشاذروان الذي يربط فيه أستار الكعبة لم يضره ذلك في أصح قولي العلماء وليس الشاذروان من البيت بل جعل عمادا للبيت ويستحب له في الطواف الأول أن يرمل من الحجر إلى الحجر في الأطواف الثلاثة والرمل مثل الهرولة وهو مسارعة المشي مع تقارب الخطى فإن لم يمكن الرمل للزحمة كان خروجه إلى حاشية المطاف والرمل أفضل من قربه إلى البيت بدون رمل وأما إذا أمكن القرب من البيت مع إكمال السنة فهو أولى ويجوز أن يطوف من وراء قبة زمزم وما وراءها من السقائف المتصلة بحيطان المسجد ولو صلى المصلي في المسجد والناس يطوفون أمامه لم يكره سواء مر أمامه رجل أو امرأة وهذا من خصائص مكة وكذلك يستحب أن يضطبع في هذا الطواف والاضطباع هو أن يبدي ضبعه الأيمن فيضع وسط الرداء تحت إبطه الأيمن وطرفيه على عاتقه الأيسر وإن ترك الرمل والاضطباع فلا شيء عليه ويستحب له في الطواف أن يذكر الله تعالى ويدعوه بما يشرع وإن قرأ القرآن سرا فلا بأس وليس فيه ذكر محدود عن النبي صلى الله عليه وسلم لا بأمره ولا بقوله ولا بتعليمه بل يدعو فيه بسائر الأدعية الشرعية وما يذكره كثير من الناس من دعاء معين تحت الميزاب ونحو ذلك فلا أصل له وكان النبي صلى الله عليه وسلم

يختم طوافه بين الركنين بقوله ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار كما كان يختم سائر دعائه بذلك وليس في ذلك ذكر واجب باتفاق الأئمة والطواف بالبيت كالصلاة الا أن الله أباح فيه الكلام فمن تكلم فيه فلا يتكلم الا بخير ولهذا يؤمر الطائف أن يكون متطهر الطهارتين الصغرى والكبرى ويكون مستور العورة مجتنب النجاسة التي يجتنبها المصلي والطائف طاهر لكن في وجوب الطهارة في الطواف نزاع بين العلماء فانه لم ينقل أحد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أمر بالطهارة للطواف ولا نهى المحدث أن يطوف ولكنه طاف طاهرا لكنه ثبت عنه أنه نهى الحائض عن الطواف وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم فالصلاة التي أوجب لها الطهارة ما كان يفتتح بالتكبير ويختم بالتسليم كالصلاة التي فيها ركوع وسجود كصلاة الجنازة وسجدتي السهو وأما الطواف وسجود التلاوة فليسا من هذا والاعتكاف يشترط له المسجد ولا يشترط له الطهارة بالاتفاق والمعتكفة الحائض تنهى عن اللبث في المسجد مع الحيض وإن كانت تلبث في المسجد وهي محدثة وقال أحمد بن حنبل في مناسك الحج لابنه عبد الله حدثنا سهل بن يوسف أنبأنا شعبة عن حماد ومنصور قال سألتهما عن الرجل يطوف بالبيت وهو غير متوضئ فلم يريا به بأسا قال عبد الله سألت أبي عن ذلك فقال أحب الي أن لا يطوف بالبيت وهو غير متوضئ لأن الطواف بالبيت صلاة وقد اختلفت الرواية عن أحمد في اشتراط الطهارة فيه ووجوبها كما هو أحد قولي

في مذهب أبي حنيفة لكن لا يختلف مذهب أبي حنيفة أنها ليست
شرط وهو يصلي في جورب ونحوه [illegible] من ورق [illegible]
أو غيره [illegible] حيث ليست في
[illegible] ويطوفون [illegible]
حمله فكذلك لا يحرم طهارة [illegible] السنة المعلومة فإذ أقصى
أن ذلك كان حضورا واجبا بالقول الذي تضمن مخالفة السنة حيثما كمن
خلع نعليه في صلاة المكتوبة وصلاة الجنازة خوفا من أن تكون
فيهما نجاسة فهذا خلاف ما علم بالسنة فإن النبي صلى الله عليه وسلم
كان يصلي في نعليه وقال إن اليهود لا يصلون في نعالهم فخالفوهم وقال
إذا أتى المسجد أحدكم فلينظر في نعليه فإن كان فيهما أذى فليدلكهما
في التراب فإن التراب لهما طهور وكما يجوز أن يصلي في نعليه فكذلك
يجوز أن يطوف في نعليه وإن لم يمكنه الطواف ماشيا فطاف راكبا أو
محمولا أجزأه بالاتفاق وكذلك ما يعجز عنه من واجبات الطواف مثل
من كان به نجاسة لا يمكنه إزالتها كالمستحاضة ومن به سلس البول فإنه
يطوف ولا شيء عليه باتفاق الأئمة وكذلك لو لم يمكنه الطواف إلا
عريانا فطاف بالليل كما لو لم يمكنه الصلاة إلا عريانا وكذلك المرأة الحائض
إذا لم يمكنها طواف الفرض إلا حائضا بحيث لا يمكنها التأخر فإنه في أحد
قولي العلماء الذين يوجبون الطهارة على الطائف إذا طاف حائضا
أو جنبا أو محدثا أو حاملا النجاسة مطلقا أجزأه الطواف وعليه
دم إما شاة وإما بدنة مع الحيض والجنابة وشاة مع الحدث الأصغر

ومنع الحائض من الطواف قد يعلل بأنه يشبه الصلاة وقد يعلل بأنها ممنوعة من المسجد كما منعت منه بالاعتكاف وكما قال عز وجل لإبراهيم صلى الله عليه وسلم وطهر بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود فأمر بتطهيره لهذه العبادات فمنعت الحائض من دخوله وقد اتفق العلماء على أنه لا يجب للطواف ما يجب للصلاة من تحريم وتحليل وقراءة وغير ذلك ولا يبطله ما يبطلها من الأكل والشرب والكلام وغير ذلك ولهذا كان مقتضى تعليل من منع الحائض لحرمة المسجد أنه لا يرى الطهارة شرطاً بل مقتضى قوله أنه يجوز لها ذلك عند الحاجة كما يجوز لها دخول المسجد عند الحاجة والله أمر بتطهير بيته للطائفين والعاكفين والركع السجود والعاكف فيه لا يشترط له الطهارة ولا تجب عليه الطهارة من الحدث الأصغر باتفاق المسلمين ولو اضطرت العاكفة الحائض إلى لبثها فيه جاز ذلك والركع السجود هم المصلون والطهارة شرط للصلاة باتفاق المسلمين والحائض لا تصلي لا قضاء ولا أداء يبقى الطائف هل يلحق بالعاكف أو بالمصلي أو يكون قسماً ثالثاً بينهما هذا هو محل الاجتهاد وقوله الطواف بالبيت صلاة لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكن هو ثابت عن ابن عباس وقد روي مرفوعاً وقال بعض العلماء عن ابن عباس أنه قال إذا طفت بالبيت وهو حسن عليه ولا ريب أن المراد بذلك أنه يشبه الصلاة من بعض وجوه ليس المراد أنه نوع من الصلاة التي يشترط لها الطهارة وهكذا قوله في تحية المسجد ولا يشترط لها الطهارة

فه في صلاة وقوله أن أحدكم في صلاة ما كانت الصلاة تحبسه وما دام يقصد الصلاة وما كان يعمد الى الصلاة ونحو ذلك ولا يجوز لحائض أن تطوف الا طاهرة اذا أمكنها ذلك باتفاق العلماء ولو قدمت المرأة حائضا لم تطف بالبيت لكن تقف بعرفة وتفعل سائر المناسك كلها مع الحيض الا الطواف فانها تنتظر حتى تطهر ان أمكنها ذلك ثم تطوف وان اضطرت الى الطواف فطافت أجزأها ذلك على الصحيح من قولي العلماء فاذا قضى الطواف صلى ركعتين للطواف وان صلاهما عند مقام ابراهيم فهو أحسن ويستحب أن يقرأ فيهما بسورتي الاخلاص قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ثم اذا صلاهما استحب له أن يستلم الحجر ثم يخرج الى الطواف بين الصفا والمروة ولو أخر ذلك الى بعد طواف الافاضة جاز فان الحج فيه ثلاثة أطوفة طواف عند الدخول وهو يسمى طواف القدوم والدخول والورود والطواف الثاني هو بعد التعريف ويقال له طواف الافاضة والزيارة وهو طواف الفرض الذي لابد منه كما قال تعالى ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق والطواف الثالث هو لمن أراد الخروج من مكة وهو طواف الوداع واذا سعى عقيب واحد منها أجزأه فاذا خرج للسعي خرج من باب الصفا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرقى على الصفا والمروة وهما في جانب جبلي مكة فيكبر ويهلل ويدعو الله تعالى واليوم قد بني فوقهما دكتان فمن وصل الى أسفل البناء أجزأه السعي وان لم يصعد فوق البناء فيطوف بالصفا

و ... و ... ما ... ... صعدا ويختم بالمروة ويستحب أن يسعى في بطن الوادي من العلم الى العلم وهما معلمان هناك وان لم يسع في بطن الوادي بل مشى على هيئته جميع ما بين ... أجزأه ... العلماء ولا شيء ولا صلاة عقيب الطواف بالصفا والمروة وانما الصلاة عقيب الطواف بالبيت بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ... و لانه قد طاف بين الصفا والمروة ... من احرامه كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه لما طافوا بهما أن يحلوا الا من كان معه هدى ... يحل حتى ينحره والمفرد والقارن لا يحلان الا يوم النحر ويستحب له أن يقصر من شعره ليدع ... للحج وكذلك أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم اذا أحل حل له ما حرم عليه بالاحرام

﴿ فصل ﴾ فاذا كان يوم التروية أحرم وأهل بالحج فيحرم كما فعل عند الميقات وان شاء أحرم من مكة وان شاء من خارج مكة هذا هو الصواب وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ... أحرموا كما أمرهم ... صلى الله عليه وسلم من ... والسنة أن يحرم من الموضع الذي هو ... وكذلك المكي يحرم من أهله كما ... صلى الله عليه وسلم من كان منزله دون مكة فمهله من أهله حتى أهل مكة يهلون من مكة ... يستحب ... يصلون الظهر و العصر و ... و ... ولا يخرجون منها حتى تطلع الشمس كما ... النبي صلى الله عليه وسلم و ... لا ... بدعة مكروهة ... و ... لا ... سنة ... من عرفة وأما الايقاد

منى أو عرفة ودفعة بعضا ويسيرون منها إلى نمرة على طريق ضب من
يمين الطريق ونمرة كانت قرية خارجة عن عرفات من جهة اليمين
فيقيمون بها إلى الزوال كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسيرون
منها إلى بطن الوادي وهو موضع النبي صلى الله عليه وسلم الذي صلى
فيه الظهر والعصر وخطب وهو في حدود عرفة ببطن عرنة وهناك
مسجد يقال له مسجد إبراهيم وإنما بني في أول دولة بني العباس فيصلي
هناك الظهر والعصر قصرا كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ويصلي
خلفه جميع الحجاج أهل مكة وغيرهم قصرا وجمعا يخطب بهم الإمام كما
خطب النبي صلى الله عليه وسلم على بعيره ثم إذا قضى الخطبة أذن
المؤذن وأقام ثم يصلي كما جاءت بذلك السنة ويصلي بعرفة ومزدلفة
ومنى قصرا ويقصر أهل مكة وغير أهل مكة وكذلك يجمعون الصلاة
بعرفة ومزدلفة ومنى كما كان أهل مكة يفعلون خلف النبي صلى الله
عليه وسلم بعرفة ومزدلفة ومنى وكذلك كانوا يفعلون خلف أبي بكر
وعمر رضي الله عنهما ولم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم ولا خلفاؤه
أحدا من أهل مكة أن يتموا الصلاة ولا قالوا لهم بعرفة ومزدلفة ومنى
أتموا صلاتكم فإنا قوم سفر ومن حكى ذلك عنهم فقد أخطأ ولكن
المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ذلك في غزوة الفتح لما
صلى بهم بمكة وأما في حجته فإنه لم ينزل بمكة ولكن كان نازلا خارج مكة
وهناك كان يصلي بأصحابه ثم لما خرج إلى منى وعرفة خرج معه أهل
مكة وغيرهم ولما رجع من عرفة رجعوا معه ولما صلى بمنى أيام منى

صبح يومه وهم يقولون هم تو الملائكة ، يوم سهر وم محمد النبي صلى الله عليه وسلم السهر لا ... ولا ... ولم يكن من أحد ... كما في ...
وهذا قد ... من ... ولكن ... في حلاوة ...
و ... ذلك ... الصلاة لانه كان يرى ل ... من ...
... بعد ذلك يذهب الى عرفات ... لكن في هذه
الوقت لا يكاد يذهب أحد لى ... ولا في ... صلي ...
و ... يدخلون عرفات بطريق ... في ...
ومنهم من يدخلها الا و ... قبل الغروب وهما التي ...
... كله حري ... كان فيه ... من ...
... من ... ويؤدى أداء ... كل صلاة
والايقاد ... بدعة مكروهة وكذلك ... في ...
وانه يكون لايقاد ... حصة في الرجوع وقعود عرفات ...
غروب الشمس ولا يخرجون منها حتى غرب الشمس و ...
... في ... و ...
... والاخوه ... غرب الشمس والا ... حد
... سرقة وتجد في ... و ...
... في ... ولا أحد ولا ... ولا ...
من ... من ... في ...
... الا ... و ...
... لوقوف ... و ... لاتصل

ويختلف بخلاف الناس فإن كان ممن إذا ركب رآه الناس لحاجتهم إليه أو كان يشق عليه ترك الركوب وقف راكبا فإن النبي صلى الله عليه وسلم وقف راكبا. وهكذا الحج فإن من الناس من يكون حجه راكبا أفضل ومنهم من يكون حجه ماشيا أفضل ولم يعين النبي صلى الله عليه وسلم لعرفة دعاء ولا ذكرا بل يدعو الرجل بما شاء من الأدعية الشرعية وكذلك يكبر ويهلل ويذكر الله تعالى حتى تغرب الشمس والاغتسال لعرفة قد روي في حديث النبي صلى الله عليه وسلم وروي عن ابن عمر وغيره ولم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه في الحج إلا ثلاثة أغسال غسل الإحرام والغسل عند دخول مكة والغسل يوم عرفة وما سوى ذلك كالغسل لرمي الجمار وللطواف والمبيت بمزدلفة فلا أصل له لا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه ولا استحبه جمهور الأئمة لا مالك ولا أبو حنيفة ولا أحمد وإن كان قد ذكره طائفة من متأخري أصحابه بل هو بدعة إلا أن يكون هناك سبب يقتضي الاستحباب مثل أن يكون عليه رائحة تؤذي الناس بها فيغتسل لإزالتها وعرفة كلها موقف ولا يقف ببطن عرنة وأما صعود الجبل الذي هناك فليس من السنة ويسمى جبل الرحمة ويقال له إلال على وزن هلال وكذلك القبة التي فوقه يقال لها قبة آدم لا يستحب دخولها ولا الصلاة فيها والطواف بها من الكبائر وكذلك المساجد التي عند الجمرات لا يستحب دخول شيء منها ولا الصلاة فيها وأما الطواف بها أو بالصخرة أو بحجرة النبي

صلى الله عليه وسلم أو ما كان عبر ابعد العتيق فهو من أعظم البدع المحرمة

﴿ فصل ﴾ فاذا أفاض من عرفات ذهب الى المشعر الحرام على طريق المأزمين وهو طريق الناس اليوم وانما قال الفقهاء على طريق المأزمين لانه الى عرفة طريق أخرى تسمى طريق ضب ومنها دخل النبي صلى الله عليه وسلم الى عرفات وخرج على طريق المأزمين وكان صلى الله عليه وسلم في المناسك والاعياد يذهب من طريق ويرجع من أخرى فدخل من الثنية العليا وخرج من الثنية السفلى ودخل المسجد من باب بني شيبة وخرج بعد الوداع من باب حزورة اليوم ودخل الى عرفات من طريق ضب وخرج من طريق المأزمين وأتى الى جمرة العقبة يوم العيد من الطريق الوسطى التي يخرج منها الى خارج منى ثم ينعطف على يساره الى الجمرة ثم لما رجع الى موضعه بمنى الذي نحر فيه هديه وحلق رأسه رجع من الطريق المتقدمة التي يسير منها جمهور الناس اليوم ويؤخر المغرب الى أن يصليها مع العشاء بمزدلفة ولا يزاحم الناس بل إن وجد خلوة أسرع فاذا وصل الى المزدلفة صلى المغرب قبل تبريك الجمال إن أمكن ثم اذا بركوها صلوا العشاء وإن أخر العشاء لم يضر ذلك ويبيت بمزدلفة ومزدلفة كلها يقال لها المشعر الحرام وهي ما بين مأزمي عرفة الى بطن محسر فان بين كل مشعرين حدا ليس منهما فان بين عرفة ومزدلفة بطن عرنة وبين مزدلفة ومنى بطن محسر قال النبي صلى الله عليه وسلم عرفة كلها

[illegible] قبل [illegible] كلها موقف وارفعوا عن
[illegible] كلها طرق و [illegible] أن يبيت
[illegible] يقف
[illegible] قبل طلوع الشمس ومن كان من
ضعفة كالنساء والصبيان ونحوهم [illegible] من مزدلفة [illegible] منى —
قبل الفجر ولا ينبغي لأهل القوة أن يخرجوا من مزدلفة حتى يطلع
الفجر فيصلوا بها الفجر ويقفوا بها ومزدلفة كلها موقف لكن الوقوف
عند قزح أفضل وهو جبل الميقدة وهو المكان الذي يقف فيه الناس
اليوم قد بني عليه بناء وهو المكان الذي يخصه كثير من الفقهاء باسم
المشعر الحرام فإذا كان قبل طلوع الشمس أفاض من مزدلفة إلى منى
فإذا أتى محسرا أسرع قدر رمية بحجر فإذا أتى منى رمى جمرة العقبة
بسبع حصيات ويرفع يده في الرمي وهي الجمرة التي هي آخر الجمرات
من ناحية منى وأقربهن من مكة وهي الجمرة الكبرى ولا يرمي يوم
النحر غيرها يرميها مستقبلا لها يجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه
هذا هو الذي صح عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها ويستحب أن يكبر
مع كل حصاة وإن شاء قال مع ذلك اللهم اجعله حجا مبرورا وسعيا
مشكورا وذنبا مغفورا ويرفع يديه في الرمي ولا يزال يلبي في ذهابه
من مشعر إلى مشعر مثل ذهابه إلى عرفات وذهابه من عرفات إلى
مزدلفة حتى يرمي جمرة العقبة فإذا شرع في الرمي قطع التلبية فإنه
حينئذ يشرع في التحلل والعلماء في التلبية على ثلاثة أقوال منهم من

يكون قصدها ... وصل ... عرفة ... إلى عرفة
وشرعه إلى أن رمى الجمرة والقول الثالث أنه إذا أفاض من عرفة إلى
مزدلفة ... إذا أفاض من مزدلفة إلى منى وهكذا صح عن النبي
صلى الله عليه وسلم

﴿فصل﴾ ومن ... وقلده ... ومزدلفة ... عن
النبي صلى الله عليه وسلم وقد نقل عن خلفائه الراشدين وغيرهم ثم
كانوا لا ... يرمي جمرة العقبة ثم ينحر هديه إن كان معه هدي
ويستحب أن ينحر الإبل مستقبلة القبلة قائمة معقولة اليد اليسرى
والبقر والغنم يضجعها على شقها الأيسر مستقبلا بها القبلة ويقول
بسم الله والله أكبر اللهم منك ولك اللهم تقبل مني كما تقبلت من إبراهيم
خليلك وكل ما ذبح بمنى وقد سيق من الحل إلى الحرم فإنه هدي سواء
كان من الإبل أو البقر أو الغنم ويسمى أيضا أضحية بخلاف ما يذبح
يوم النحر بالحل فإنه أضحية وليس بهدي وليس بمنى ما هو أضحية
وليس بهدي كما في سائر الأمصار فإذا اشترى الهدي من عرفات وساقه
إلى منى فهو هدي باتفاق العلماء وكذلك إن اشتراه من الحرم فذهب
به إلى التنعيم وأما إذا اشترى الهدي من منى وذبحه فيها ففيه نزاع
فمذهب مالك أنه ليس بهدي وهو منقول عن ابن عمر ومذهب الثلاثة
أنه هدي وهو منقول عن عائشة وله أن يأخذ الحصى من حيث شاء
لكن لا يرمي بحصى قد رمي به ويستحب أن يكون فوق الحمص ودون
البندق وإن كسره جاز والتقاطه أفضل من تكسيره من الجبل

ثم يحلق رأسه أو يقصره، والحلق أفضل من التقصير، وإذا قصره جمع
الشعر وقص منه بقدر الأنملة أو أقل أو أكثر، والمرأة لا تقص أكثر
من ذلك [illegible] وبعد ذلك فقد تحلل
[illegible] ويباح له
[illegible] ولا يبقى عليه من
المحظورات إلا النساء، وبعد ذلك يدخل مكة فيطوف طواف الإفاضة
إن أمكنه ذلك يوم النحر وإلا فبعده، لكن ينبغي أن يكون في
أيام التشريق فإن تأخيره عن ذلك فيه نزاع، ثم يسعى بعد ذلك سعي
الحج، وليس على المفرد إلا سعي واحد، وكذلك القارن عند جمهور العلماء
وكذلك المتمتع في أصح قوليهم، وهو أصح الروايتين عن أحمد، وليس
عليه إلا سعي واحد، فإن الصحابة الذين تمتعوا مع النبي صلى الله عليه
وسلم لم يطوفوا بين الصفا والمروة إلا مرة واحدة قبل التعريف، فإذا
اكتفى المتمتع بالسعي الأول أجزأه ذلك كما يجزئ المفرد والقارن
وكذلك قال عبد الله بن أحمد بن حنبل قيل لأبي المتمتع كم يسعى بين
الصفا والمروة؟ قال إن طاف طوافين يعني بالبيت وبين الصفا والمروة
فهو أجود، وإن طاف طوافاً واحداً فلا بأس، وإن طاف طوافين فهو
أعجب إلي. وقال أحمد حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الأوزاعي عن عطاء
عن ابن عباس أنه كان يقول المفرد والمتمتع يجزئه طواف بالبيت وسعي
بين الصفا والمروة. وقد اشتبهوا في الصحابة المتمتعين مع النبي صلى الله
عليه وسلم مع اتفاق الناس على أنهم طافوا أولاً بالبيت وبين الصفا

والمروة ولم يرجعوا من عرفة فلم يسعوا إلا سعيا بعد طواف الافاضة وقيل لم يسعوا وهذا هو الذي ثبت في صحيح مسلم عن جابر قال لم يطف النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه بين الصفا والمروة الا طوافا واحدا طوافه الاول وقد روي في حديث عائشة انهم طافوا مرتين لكن هذه الزيادة قيل انها من قول الزهري لا من قول عائشة وقد احتج بها بعضهم على أنه يستحب طوافان بالبيت وهذا ضعيف والاظهر ما في حديث جابر ويؤيده قوله دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة فالمتمتع من حين أحرم بالعمرة دخل بالحج لكنه فصل بتحلل ليكون أيسر على الحاج واحب الدين الى الله الحنيفية السمحة ولا يستحب للمتمتع ولا لغيره أن يطوف طواف القدوم بعد التعريف بل هذا الطواف هو السنة في حقه كما فعل الصحابة مع النبي صلى الله عليه وسلم فاذا طاف طواف الافاضة فقد حل له كل شيء النساء وغيرهن وليس بمنى صلاة عيد بل رمي جمرة العقبة لهم كصلاة العيد لاهل الامصار والنبي صلى الله عليه وسلم لم يصل جمعة ولا عيدا في السفر لا بمكة ولا بعرفة بل كانت خطبته بعرفة خطبة نسك لا خطبة جمعة ولم يجهر بالقراءة في الصلاة بعرفة

﴿ فصل ﴾ ثم يرجع الى منى فيبيت بها ويرمي الجمرات الثلاث كل يوم بعد الزوال يبتدئ بالجمرة الاولى التي هي أقرب الى مسجد الخيف ويستحب أن يمشي اليها فيرميها بسبع حصيات ويستحب له أن يكبر مع كل حصاة وان شاء قال اللهم اجعله حجا مبرورا وسعيا

مشكور [illegible] [illegible] ثم يتقدم [illegible] الي
موضع [illegible] مستقبل القبلة رافعا يديه
[illegible]
[illegible]
[illegible]
ثم [illegible] في الأول [illegible] في اليوم الثالث
وهو الأصل وإن [illegible] تعجل في اليوم الثاني [illegible] قبل غروب الشمس
كما قال تعالى فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه الآية فإذا غربت
الشمس وهو بمنى أقام حتى يرمي مع الناس في اليوم الثالث ولا ينفر
الإمام الذي [illegible] بل يقيم في اليوم الثالث
والسنة للإمام أن يصلي بالناس بمنى ويصلي خلفه أهل الموسم * ويستحب
أن لا يدع الصلاة في مسجد منى وهو مسجد الخيف مع الإمام فإن
النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر كانوا يصلون [illegible] بلا
جمع بمنى ويقصر الناس كلهم خلفهم أهل مكة وغير أهل مكة وإنما
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يا أهل مكة أتموا صلاتكم
فإنا قوم سفر [illegible] فإن لم يكن للناس إمام عام صلى
الرجل بأصحابه والمسجد بني بعد النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن على
عهده ثم [illegible] نزل بالمحصب وهو الأبطح وهو ما بين
الحجون [illegible] قال النبي صلى الله عليه وسلم
[illegible] وقال

لا ينفرن أحد حتى يكون آخر عهده بالبيت ولا يخرج الحاج حتى يودع البيت فيطوف طواف الوداع حتى يكون آخر عهده بالبيت ومن أقام بمكة فلا وداع عليه وهذا الطواف إذا أراد الخروج من مكة حتى يكون بعد جميع أموره ولا يشتغل بعده بتجارة ونحوها لكن إن قضى حاجته أو اشترى شيئاً في طريقه بعد الوداع أو دخل إلى المنزل الذي هو فيه ليحمل المتاع على دابته ونحو ذلك مما هو من أسباب الرحيل فلا إعادة عليه وإن أقام بعد الوداع أعاده وهذا الطواف واجب عند الجمهور لكن يسقط عن الحائض وإن أحب أن يأتي الملتزم وهو بين الحجر الأسود والباب فيضع صدره ووجهه وذراعيه وكفيه ويدعو ويسأل الله تعالى حاجته فعل ذلك وله أن يفعل ذلك قبل طواف الوداع فإن هذا الالتزام لا فرق بين أن يكون حال الوداع وغيره والصحابة كانوا يفعلون ذلك حين يدخلون مكة ومن ثم قال في دعائه الدعاء المأثور عن ابن عباس اللهم البيت بيتك وأنا عبدك وابن أمتك حملتني على ما سخرت لي من خلقك وسيرتني في بلادك حتى بلغتني بنعمتك إلى بيتك وأعنتني على أداء نسكي فإن كنت رضيت عني فازدد عني رضا وإلا فمن الآن فارض عني قبل أن تنأى عن بيتك داري فهذا أوان انصرافي إن أذنت لي غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك اللهم فأصحبني العافية في بدني والصحة في جسمي والعصمة في ديني وأحسن منقلبي وارزقني طاعتك ما أبقيتني واجمع لي بين خيري الدنيا والآخرة إنك على كل شيء قدير ولو دعا بغير

[illegible] كان [illegible] قد ولى لا يقف ولا [illegible] ولا [illegible] في [illegible] القهقرى مشية [illegible] فودع [illegible] [illegible] على [illegible] لا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] وعلى [illegible] هدي بدنة أو بقرة أو شاة أو [illegible] في دم [illegible] محمد الهدي [illegible] ثلاثة أيام قبل يوم النحر [illegible] ولة أن يصوم الثلاثة من حين أحرم بالعمرة في أشهر الحج [illegible] الثلاث [illegible] عن أحمد وقيل يصومها قبل الإحرام بالعمرة وقيل لا يصومها إلا بعد الاحرام بالحج وقيل يصومها من حين الاحرام بالعمرة وهو الأرجح وقد قيل إنه يصومها بعد التحلل من العمرة لأنه حينئذ شرع في الحج ولكن دخلت العمرة في الحج كما دخل الوضوء في الغسل قال النبي صلى الله عليه وسلم دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا متمتعين معه وانما أحرموا بالحج يوم التروية وحينئذ فلا بد من صوم بعض الثلاثة قبل الاحرام بالحج ويستحب أن يشرب من ماء زمزم ويتضلع منه ويدعو عند شربه بما شاء من الأدعية الشرعية ولا يستحب الاغتسال منها * وأما زيارة المساجد التي بنيت بمكة غير المسجد الحرام كالمسجد الذي تحت الصفا وما في سفح أبي قبيس ونحو ذلك من المساجد التي بنيت على آثار

النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كمسجد المولد وغيره فليس قصد شيء من ذلك من السنة ولا استحبه أحد من الأئمة وإنما المشروع إتيان المسجد الحرام خاصة والمشاعر عرفة ومزدلفة والصفا والمروة وكذلك قصد الجبال والبقاع التي حول مكة غير المشاعر عرفة ومزدلفة ومنى مثل جبل حراء والجبل الذي عند منى الذي يقال إنه كان فيه قبة الفداء ونحو ذلك فإنه ليس من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم زيارة شيء من ذلك بل هو بدعة وكذلك ما يوجد في الطرقات من المساجد المبنية على الآثار والبقاع التي يقال إنها من الآثار لم يشرع النبي صلى الله عليه وسلم زيارة شيء من ذلك بخصوصه ولا زيارة شيء من ذلك ودخول الكعبة ليس بفرض ولا سنة مؤكدة بل دخولها حسن والنبي صلى الله عليه وسلم لم يدخلها في حج ولا في العمرة لا عمرة الجعرانة ولا عمرة القضية وإنما دخلها عام فتح مكة ومن دخلها استحب له أن يصلي فيها ويكبر الله ويدعوه ويذكره فإذا دخل مع الباب تقدم حتى يصير بينه وبين الحائط ثلاثة أذرع والباب خلفه فذلك هو المكان الذي صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم ولا يدخلها إلا حافياً والحجر أكثره من البيت من حيث ومن صلى فيه فهو كمن دخل الكعبة وليس على داخل الكعبة ما ليس على غيره من الحجاج بل يجوز له من شيء جاز لغيره والإكثار من الطواف بالبيت من الأعمال الصالحة فهو أفضل من أن يخرج الرجل من الحرم ويأتي بعمرة مكية فإن هذا لم

يكن من أمهات المؤمنين ولا من المهاجرين والأنصار ولا رغب
فيه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإنه من [illegible] السنة

[illegible] الحج [illegible] مسجده
[illegible] وصلاة فيه خير من ألف صلاة
فيما سواه إلا المسجد الحرام [illegible] إلى مسجد
الحرام والمسجد الأقصى هكذا ثبت في الصحيحين من حديث أبي
هريرة وأبي سعيد وهو مروي من طرق أخر ومسجده كان أسس
[illegible] هو اليوم وكذلك المسجد الأقصى لكن يرد فيهما الخلفاء الراشدون
ومن بعدهم وخلافه الواردة [illegible] الأحكام ثم يسلم على
النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فإنه قد قال ما من رجل يسلم علي
إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام رواه أبو داود وغيره
وكان عبد الله بن عمر يقول إذا دخل المسجد السلام عليك يا رسول
الله السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبت ثم ينصرف وهكذا
كان الصحابة يسلمون عليه ويسلمون عليه مستقبلي الحجرة مستدبري
القبلة عند أكثر العلماء كمالك والشافعي وأحمد وأبو حنيفة قال يستقبل
القبلة فمن أصحابه من قال يستدبر الحجرة ومنهم من قال يجعلها عن
يساره واتفقوا على أنه لا يستلم الحجرة ولا يقبلها ولا يطوف بها ولا
يصلي إليها وإذا قال في سلامه السلام عليك يا رسول الله يا نبي الله يا خيرة
الله من خلقه يا أكرم الخلق على ربه يا إمام المتقين فهذا كله من صفاته
بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم وكذلك إذا صلى عليه مع السلام

عليه فهذا مما أمر الله به ولا يدعو هناك مستقبل الحجرة دون القبلة كما روي عنه من الأئمة ومالك من أعظم الأئمة كراهية لذلك والحكاية المروية عنه أنه أمر المنصور أن يستقبل الحجرة وقت الدعاء كذب على مالك ولا يعرف عند من كان الدعاء عنده عند هذا بدعة ولم يكن أحد من الصحابة يقف عنده يدعو لنفسه ولكن كانوا يستقبلون القبلة ويدعون في مسجده صلى الله عليه وسلم قال اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد وقال لا تجعلوا قبري عيداً ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً وصلوا علي حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني وقال أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة فإن صلاتكم معروضة علي قالوا كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت أي بليت فقال إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء فأخبر أنه يسمع الصلاة والسلام من القريب وأنه يبلغ ذلك من البعيد وقال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا قالت عائشة ولولا ذلك لأبرز قبره ولكنه كره أن يتخذ مسجداً [illegible] في مسجده [illegible] أصحابه [illegible] مدفونه في حجرة عائشة وكانت هي وسائر الحجر خارج المسجد من قبليه وشرقيه لكن لما كان في زمن الوليد بن عبد الملك عمر هذا المسجد وغيره وكان نائبه على المدينة عمر بن عبد العزيز فأمر أن تشترى الحجر ويزاد في المسجد فدخلت الحجرة في المسجد من ذلك الزمان وبنيت منحرفة عن القبلة مسنمة لئلا يصلي أحد إليها فإنه قال صلى الله عليه وسلم لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها * رواه مسلم عن أبي

جنازته ... والله أعلم ﴿ وزيارة القبور على وجهين زيارة شرعية
وزيارة بدعية ﴿ فالشرعية المقصود بها السلام على الميت والدعاء له كما يقصد
الصلاة على جنازته فزيارته بعد موته من جنس الصلاة عليه فالسنة أن
يسلم على الميت ويدعو له سواء كان نبيا أو غير نبي كما كان النبي صلى
الله عليه وسلم يأمر أصحابه إذا زاروا القبور أن يقول أحدهم السلام
عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون
ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين نسأل الله لنا ولكم
العافية اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم وهكذا
يقول إذا زار أهل البقيع ومن به من الصحابة أو غيرهم أو زار
شهداء أحد وغيرهم وليست الصلاة عند قبورهم أو قبور غيرهم
مستحبة عند أحد من أئمة المسلمين بل الصلاة في المساجد التي ليس
فيها قبر أحد من الأنبياء والصالحين وغيرهم أفضل من الصلاة في
المساجد التي فيها ذلك باتفاق أئمة المسلمين بل الصلاة في المساجد التي
على القبور إما محرمة وإما مكروهة ﴿ والزيارة البدعية أن يكون مقصود
الزائر أن يطلب حوائجه من ذلك الميت أو يقصد الدعاء عند قبره
أو يقصد الدعاء به فهذا ليس من سنة النبي صلى الله عليه وسلم ولا
استحبه أحد من سلف الأمة وأئمتها وقد كره مالك وغيره أن يقول
القائل زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم وهذا اللفظ لم ينقل عن
النبي صلى الله عليه وسلم بل الأحاديث المذكورة في هذا الباب مثل
قوله من زارني وزار أبي إبراهيم في عام واحد ضمنت له على الله الجنة

وقوله من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي ومن زارني بعد مماتي حلت عليه شفاعتي ونحو ذلك كلها أحاديث ضعيفة بل موضوعة ليست في شيء من دواوين الإسلام التي يعتمد عليها ولا نقلها إمام من أئمة المسلمين لا الأئمة الأربعة ولا نحوهم ولكن روى بعضها البزار والدارقطني ونحوهما بإسناد ضعيف ولأن من عادة الدارقطني وأمثاله يذكرون هذا في السنن ليعرف وهو وغيره يبينون ضعف الضعيف من ذلك فإذا كانت هذه الأمور التي فيها شرك وبدعة نهي عنها عند قبره وهو أفضل الخلق فالنهي عن ذلك عند قبر غيره أولى وأحرى * ويستحب أن يأتي مسجد قباء ويصلي فيه فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تطهر في بيته وأحسن الطهور ثم أتى مسجد قباء لا يريد إلا الصلاة فيه كان له كأجر عمرة * رواه أحمد والنسائي وابن ماجه وعن النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة في مسجد قباء كعمرة قال الترمذي حسن والسفر إلى المسجد الأقصى والصلاة فيه والدعاء والذكر والقراءة والاعتكاف مستحب في أي وقت شاء سواء كان عام الحج أو بعده ولا يفعل فيه وفي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم إلا ما يفعل في سائر المساجد وليس فيها شيء يتمسح به ولا يقبل ولا يطاف به هذا كله ليس إلا في المسجد الحرام خاصة ولا تستحب زيارة الصخرة بل المستحب أن يصلي في قبلي المسجد الأقصى الذي بناه عمر بن الخطاب للمسلمين ولا يسافر أحد ليقف بعرفات ولا يسافر للوقوف بالمسجد الأقصى ولا للوقوف عند قبر أحد لا من الأنبياء ولا المشايخ ولا غيرهم

[illegible] في صورة [illegible] لا [illegible] أحد [illegible] فمن
[illegible] من كان [illegible] ومن اختار
[illegible] لأحد [illegible]
[illegible] أن
الدين مبني على أصلين أن لا نعبد إلا الله وحده لا شريك له ولا نعبده
إلا بما شرع لا نعبده بالبدع كما قال تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه
فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) وهذا كان عمر بن
الخطاب رضي الله عنه يقول في دعائه اللهم اجعل عملي كله صالحا
واجعله لوجهك خالصا ولا تجعل فيه لأحد شيئا، وقال الفضيل بن
عياض في قوله تعالى (أيكم أحسن عملا) قال أخلصه وأصوبه
قال إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل وإذا كان صوابا
ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا، والخالص أن يكون لله
والصواب أن يكون على السنة وقد قال الله تعالى (أم لهم شركاء شرعوا
لهم من الدين ما لم يأذن به الله) والمقصود بجميع العبادات أن يكون
الدين كله لله وحده فالله هو المعبود المسؤول الذي يخاف ويرجى ويسأل
ويعبد فله الدين خالصا وله أسلم من في السموات والأرض طوعا
وكرها والقرآن مملوء من هذا كما قال تعالى (تنزيل الكتاب من الله
العزيز الحكيم إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين
ألا لله الدين الخالص) إلى قوله (قل الله أعبد مخلصا له ديني) إلى قوله
(أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون) وقال تعالى (ما كان لبشر أن

يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله» الآية. وقال تعالى «قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا» الآية

﴿فصل﴾ وإن طائفة من الناس كانوا يدعون الملائكة والأنبياء كالمسيح وعزير فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال تعالى «وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول» الآيات ومثل هذا في القرآن كثير بل هذا مقصود القرآن وأصله وهو مقصود دعوة الرسل كلهم وله خلق الله الخلق كما قال تعالى «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» فحصل مما ذكر أنه يجب من جنس الصلاة ونحوها من العبادات التي هي لله وحده لا شريك له وأن الصلاة على الجنازة وزيارة القبور للأموات من جنس الدعاء والصدقة للخلق من جنس المعروف والإحسان الذي هو من جنس الزكاة والعبادات التي أمر الله بها بوحدانيته وغيرها [illegible] وبدعة [illegible] التي [illegible] من [illegible] العبادات التي أمر [illegible] فإنه ليس من [illegible] وهذا [illegible] المكروه [illegible] زيارة القبور [illegible] وهذا في [illegible] غير مشروع حتى [illegible] من قصد [illegible] لا تقصر الصلاة [illegible] وكذلك من يقصد [illegible] من مخلوق هي [illegible] كالمروءة [illegible] ذلك [illegible] وبدعة كما [illegible] النصارى [illegible] بدعة

هذه الأمة حيث يجعلون الحج والصلاة من جنس ما يفعلونه من الشرك
والبدع وهذا قال صلى الله عليه وسلم لما ذكرت له بعض أزواجه
كنيسة بأرض الحبشة وذكرت له من حسنها وما فيها من التصاوير فقال
أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه
تلك التصاوير أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة وهذا سبيل العلماء
[illegible] من الأنبياء أو الصالحين مثل
من كتب رقعة وعلقها عند قبر نبي أو صالح أو مسجد لغيره أو دعوة
أو رغب إليه فهذا أنه لا يجوز بناء المساجد على القبور لأن النبي صلى
الله عليه وسلم قال قبل أن يموت بخمس ليال إن من كان قبلكم كانوا
يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن
ذلك * رواه مسلم وقال لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت
أبا بكر خليلا وهذه الأحاديث في الصحاح وما يفعله بعض الناس من
أكل التمر في المسجد أو تعليق الشعر في القناديل فبدعة مكروهة * ومن
حمل شيئا من ماء زمزم جاز فقد كان السلف يحملونه وأما التمر
الصيحاني فلا فضيلة فيه بل غيره من التمر البرني والعجوة خير منه
والأحاديث إنما جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم في مثل ذلك
كما جاء في الصحيح من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم
سم ولا سحر ولم يجيء عنه في الصيحاني شيء وقول بعض الناس أنه
صاح بالنبي صلى الله عليه وسلم جهل منه بل إنما سمي بذلك ليبسه
فإنه يقال صوح التمر إذا يبس وهذا كقول بعض الجهال أن عجوة

الزوراء جاءت بعده من مكة ولم يكن بالمدينة على عهد النبي صلى
الله عليه وسلم عين جارية الا الزرقاء ولا عيون حمزة . ولا عبرة بها بل
كل هذا مستخرج بعده ورفع الصوت في المساجد منهي عنه وقد
ثبت ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى رجلين يرفعان أصواتهما
في المسجد فقال لو أعلم انكما من أهل البلد لأوجعتكما ضربا ان
الاصوات لا ترفع في مسجده فما يفعله بعض جهال العامة من رفع
الصوت عقيب الصلاة من قولهم السلام عليك يا رسول الله بأصوات
عالية من أقبح المنكرات ولم يكن أحد من السلف يفعل شيأ من ذلك
عقب السلام بأصوات عالية ولا منخفضة بل ما في الصلاة من قول
المصلي السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته هو المشروع كما ان
الصلاة عليه مشروعة في كل زمان ومكان وقد ثبت في الصحيح انه
قال من صلى علي مرة صلى الله عليه بها عشرا وفي المسند أن رجلا
قال يا رسول الله أجعل عليك ثلث صلاتي قال اذا يكفيك الله ثلث
أمرك قال أجعل عليك ثلثي صلاتي قال اذا يكفيك الله ثلثي أمرك
قال أجعل صلاتي كلها عليك قال اذا يكفيك الله ما أهمك من أمر
دنياك وأمر آخرتك وفي السنن عنه أنه قال لا تتخذوا قبري عيدا
وصلوا علي حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني وقد رأى عبد الله بن حسن
شيخ الحسنيين في زمنه رجلا ينتاب قبر النبي صلى الله عليه وسلم
للدعاء عنده قال يا هذا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا
قبري عيدا وصلوا علي حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني فما أنت ورجل

بالاندلس الا سواه ولهذا كان السلف يكثرون الصلاة والسلام عليه في كل مكان وزمان ولم يكونوا يجتمعون عند قبره لا لقراءة ختمة ولا ايقاد شمع واطعام واسقاء ولا انشاد قصائد ولا نحو ذلك بل هذا من البدع بل كانوا يعملون في مسجده ماهو المشروع في سائر المساجد من الصلاة والقراءة والذكر والدعاء والاعتكاف وتعليم القرآن والعلم وتعلمه ونحو ذلك وقد علموا أن النبي صلى الله عليه وسلم له مثل أجر كل عمل صالح تعمله أمته فانه صلى الله عليه وسلم قال من دعا الى هدى فله من الاجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيأ وهو الذي دعا أمته الى كل خير وكل خير تعمله أحد من الامة فله مثل أجره فلم يكن صلى الله عليه وسلم يحتاج ان يهدى اليه ثواب صلاة أو صدقة أو قراءة من كان له مثل اجر ما يعملونه من غير أن ينقص من أجورهم شيأ وكل من كان له أطوع وأتبع كان أولى الناس به في الدنيا والآخرة قال تعالى (قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) وقال صلى الله عليه وسلم ان آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء انما وليي الله وصالح المؤمنين وهو أولى بكل مؤمن من نفسه وهو الواسطة بين الله وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه ووعده ووعيده فالحلال ما حلله والحرام ما حرمه والدين ما شرعه والله هو المعبود المسؤل المستعان به الذي يخاف ويرجى ويتوكل عليه قال تعالى (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون) فجعل الطاعة لله والرسول كما قال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله)

وجعل الخشية والتقوى لله وحده لا شريك له فقال تعالى (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون) فأضاف الايتاء الى الله والرسول كما قال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فليس لأحد أن يأخذ الا ما أباحه الرسول وان كان الله آتاه ذلك من جهة القدرة والملك فانه يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ولهذا كان صلى الله عليه وسلم يقول في الاعتدال من الركوع وبعد السلام اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد أي من آتيته جدا وهو البخت والمال والملك فانه لا ينجيه منك الا الايمان والتقوى وأما التوكل فعلى الله وحده والرغبة فاليه وحده كما قال تعالى (وقالوا حسبنا الله) ولم يقل ورسوله وقالوا (انا الى الله راغبون) ولم يقولوا هنا ورسوله كما قال في الآية بل هذا نظير قوله (فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب) وقال تعالى (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) وفي صحيح البخاري عن ابن عباس انه قال حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم حين ألقي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وقد قال تعالى (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) أي الله وحده حسبك وحسب المؤمنين الذين اتبعوك ومن قال (ان الله والمؤمنين حسبك) فقد ضل بل قوله من جنس الكفر فان الله وحده هو حسب كل مؤمن به والحسب

الكافي كما قال تعالى (أليس الله بكاف عبده) ولله تعالى حق لا يشركه فيه مخلوق كالعبادات والاخلاص والتوكل والخوف والرجاء والحج والصلاة والزكاة والصيام والصدقة والرسول له حق كالايمان به وطاعته واتباع سنته وموالاة من والاه ومعاداة من عاداه وتقديمه في المحبة على الاهل والمال والنفس كما قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى اكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين بل يجب تقديم الجهاد الذي أمر به على هذا كله كما قال تعالى (قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين) وقال تعالى (والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين) وبسط ما في هذا المختصر وشرحه مذكور في غير هذا الموضع والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين

آمين

يقول مصححه راجي عفو ربه الكريم * ابن الشيخ حسن الفيومي ابراهيم

بك اللهم أحمدك حق حمدك ياواحد وأستمطرك غيث عفو كريم واحد وأستهديك هداية السالكين العابدين وأصلي وأسلم على سيد الخلائق أجمعين سيدنا محمد الرحمة المهداة لسائر الثقلين وآله وصحبه ومن بهديه اهتدى صلاة وسلاما دائمين أبدا * وبعد * فقد تم طبع مجموع الرسائل شيخ امام الائمة الجهابذة الاماثل شيخ الاسلام والمسلمين خادم سنة سيد المرسلين من لا سبيل الى الوقوف له على ثاني سيدي أحمد بن تيمية الحنبلي الحراني قدس الله روحه ونور ضريحه وكان طبعها الزاهي الزاهر وتمثيل شكلها الفائق الباهر بالمطبعة العامره الشهيرة الشرفيه ذات الادوات الكاملة البهيه الكائن محل ادارتها بشارع الخرنفش من مصر المعزيه العزيزة لمالكها ومديرها (حضره السيد حسين أفندي شرف) تولاه الله وأولاه وساق في كل الامور لطف آمين وقد بدر بدر التمام وفاح مسك الختام اواخر الثاني من الربيعين من سنه ١٣٢٤ من هجره سيد الثقلين عليه صلاة الله وسلامه مابدا شيء وراق ختامه وآله وصحبه وسائر جنده

آمين

صحيفة

﴿ تمت ﴾

فهرس الجزء الثاني من مجموع الرسائل الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

صحيفة

﴿ تمت ﴾

کآنچه را نام کرده وجدان | چیست جز بادِ کرده در انبان
تك سگی بود که بی کم و بیش | چون هرسه‌است وآب دیده سِ پس
چون کشی رسن احمق است دراز | ور رها شد درارس بدو عار
شیر و غُرم چون برد دندان | هیچ دانی چه گویدش وجدان
گوید ای شاهِ دد هماره زی | نوش خور نوش وشاد خواره زی
ز آنکه زین غُرم گول ابتر دل | چون کنی طعمه ای شه عادل
عملی هضم در معدۀ شاه | سیر ساری کند از این روباه
کار صید از تو بزره بارست | بلکه از دام شاهِ دد سارست
زن حولا حو بر کشد بتکاس | بار وجدان بدو زند ساناس
گویدش کاش نگارِ جانانه | اندر آن سگ و بار و برانه
به خورش داشتی به جامۀ گرم | شوی بر از رحش سردی سرم
هر دو رسند از این جوانمردی | این یك از درد و آن ز بی سردی
آری این اوستا بهر نیرنگ | ز یکی خم بر آورد ده رنگ
زرد از او جوی و زعفرانی بین | سرخ از او خواه و ارغوانی بین
دهدت زین خم ار کند آهنگ | سر بالا بر از سیاهی رنگ
گر بفصل قدیم صورت خوش (۲) | داد ایزد بآدم از این پس
این بسیرت عدیل دیو رجیم | صورت خود دهد ... ب ک ه
محکمی را چو او کند تاویل | سل از سه سازد از سه سل
تا بدانجا که گفت ره زن گرد | گربه می کُشتمش به خود می مرد ؟ دهخدا

انصاف بالای طاعت است. رجوع به اسکندر رومی را سود

انصاف شیوه ایست که بالای طاعت است. رجوع به اسکندر رومی سود

انصاف نصف ایمان است. رجوع به اسکندر رومی سود

انصر اخاك ظالما و مظلوما. برادرخویش را در ستمکاری و ستمدیدگی یاری ده
مثل روی عن النبی صلی الله علیه وآله انّه علیه السّلام قال هذا فقیل یا رسول الله ننصره مظلوما فکیف ننصره ظالما فقال علیه السلام رده عن الظلم

انظر الی ماقیل ولا تنظر الی من قال. گفتار نگر نه گوینده. ط

مرد باید که گیرد اندر گوش | ور نوشته است پند بر دیوار
غلط است اینکه مدعی گوید | خفته را خفته کی کند بیدار (۱) سعدی

---

(۱) ظاهرا جمله (خفته را خفته کی کند بیدار) از زمانهای قدیم مثلی سائر بوده است و نظر ... اصل در اینجا شعر حضرت سنائی علیه الرحمه نیست که میفرماید

ای بیدار ... چون طاووس | وی گفتار غره چون کفتار
غافل است و تو غافل | خفته را خفته کی کند بیدار

(۲) ان الله تعالی خلق آدم علی صورته. حدیث

باید متاع نکو دکان ز هر که باشد

مهره نگر گو مباش افعی مردم گزای | نافه طلب گو مباش آهوی صحرانشین

سخن کان از دماغ هوشمند است | گر از تحت الثری آید بلند است | نظامی

چه کمی رسن و سلب ماهی | چون بندی عجائب از سنگ | سنایی

سخن گر حضور گردد فاش (کذا) | قائلش هرکه هست گو می باش | اوحدی

ان غداً لناظره قریب • رجوع به آن الصبح ، شود

انفکاك شیئی از نفس محال است • قاعده فلسفی است که گوید هیچ چیز جز خود او نباید بود

ان فی التأخیر آفات • سوز کاری را آهوها زاید رجوع به از امروز کاری بفردا ممان ، شود

انقوره‌درقدحوررانیدن • بصورت ظاهری سک‌کسی را زیان وآسیب‌رسانیدن مثل ز شیرین کاری شیرین دلبند | فراوان خورده بود انقوره درقند | امیرخسرو

نظیر سر در لورینه داشتن

انکار پس از اقرار مسموع نباشد • تمثل

دگر مگوی که من ترک عشق خواهم کرد | که قاضی از پس اقرار نشنود انکار | سعدی

حاکم سخن روستایی نبرد اما رها کند

ان کبیرا لصحیح یهجم علی کبیر الطاعه • چون درسد مبالغت رود سوشه گمان بد برد

انك لاتسمع الموتی و لاتسمع الصم الدعاء • قرآن کریم سوره ۲۷ آیهٔ ۸۲ بیگمان تو مردگان را شنوا نتوانی کرد و کران گوشها را شنوا نداری ساخت رجوع به آه سعدی ، شود

انك لا تهدی من احببت ولکن الله یهدی من یشاء • قرآن کریم سوره ۲۸ آیه ۵٦ براستی هر که را تو خواهی راهنمائی نتوانی کرد لکن ایزد تعالی آنرا که خواهد راهنمایی فرماید

انك مسئول یوم القیمه بما اکتسبت لا بمن انتسبت • در قیامت از تو پرسند عمل حسب و نگویند پدرت کیست سعدی رجوع به آنجا که بزرگ باید بود ، شود

ان کیدکن عظیم قرآن کریم سوره ۱۲ آیه ۲۸ راستی فسون وترفند شما زنان بسیار باشد اقتباس

روح را از عرش آرد در حطیم | لاجرم مکر زنان باشد عظیم | مولوی

رجوع به آلسایه حائل السلطان ، شود

انگار میکنم که ور نجستم • مردی بردی از یکسوی بر خرجست تا سوار شود و از دیگر سوی بیفتاد خشت برخاست گرد بیفشاند و گفت انگار میکنم که ور نجستم مراد مثل